تفسير النسفي على السمرقندي

١٠٦

جلد اول

تفسير المسمى ببحر العلوم
علاء الدين علي بن يحيى السمرقندي
من سورة الفاتحة الى آخر سورة النسا

الحمد لله الذي نزّل الكتاب قرآنا عربيا مفصلا ونزّله تبيانا منجما مفصلا وصيّره مصدقا ولم يجعل له عوجا
وعلّم به ذوي البصائر بينات وحججا كلاما قديما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقرآنا كريما لا يفضي إليه
نسخ ولا تحريف في أصله وفي وصفه فسبحانه من قديم تنزّه عن الأكفاء والأمثال ذاته الأحدية الصمدية وتقدّس
عن الحدوث والزوال صفاته الأزلية الأبدية يفعل ما يشاء بباهر قدرته ويحكم ما يريد ببالغ حكمته والصلوة
على خير من أوحى إليه سيد الرسل وهادي السبل محمد المنعوت بخاتم النبيين وخيرة الأصفياء وصفوة المرسلين
المبعوث رحمة للعالمين أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين فأكمل الدين بشريعته وختم الأمر على طريقته
والشرايع كلها قد نسخت بشرعه والأنبياء بأسرهم صاروا من تبعه وعلى آله وصحبه الحائزين لقصبات السبق في مضمار
سماحة البنان وفصاحة البيان ودرك لطائف القرآن عظماء خطباء الجنان ورؤساء أهل العدل والإيمان
قد أرسوا قواعد الدين بكشف الفوادح والكروب وشيدوا مبانيه بصرف العوادي والخطوب وزينوا المشرقين
بالمعارف ومكارم الأخلاق الزكية وعلّموا الثقلين محاسن الأفعال المرضية مطهرين الظواهر من الفسوق والعصيان
والبواطن من الزيغ والكفران من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان **أما بعد** فإن العلم أشرف
المآثر وأعظم الكنوز والذخائر أضاء به الأسرار والضمائر وبأنواره القلوب والبصائر ثم العلوم متكثرة والإحاطة
بجملتها متعسرة ومن ثم تباينت طبقات العلماء وتفاوتت درجات الفضلاء فإذا على اللبيب أن يقبل بمجامع الهمة
على الأهم وما لطائل فيه أتم وإن أشرف العلوم وأعلاها وأنفعها وأحراها بصرف العمر والزمان إليها وآداب الخاطر
البقضان فيها علم التفسير الكافل بالإرشاد إلى المعارف الإلهية وما به الفوز إلى منافع الدينية والدنياوية
وإبراز نكت نظم القرآن الذي لا يحيط بوصف عجائبه عقول الإنسان ولا يدرك كنه غرائبه الملك ولا الجان
وكل فصيح دون وصف جليات أسراره فصاحته قاصر وكل بليغ دون كشف أستار بلاغته حائر ولن يستكمل
المرء خلال الاستقلال بالتحقيق في تفسيره من غيابر علماء الإسلام على أن لا يخوض في لجج أسراره ودقائقه
ولا يتقوص على غرر فوائده وحقائقه إلا من برع في علمين مختصين بالقرآن وهما المعاني والبيان ماهرا في اللغة
والنحو والاشتقاق والأصول وعلم طرق القياس والاستدلال فمن فسّر كتاب الله برأيه عن هواه ضلّ في هداه
وصار النار مأواه ومن فسّره لسعادة من قواعد علوم الدين اهتدى ورشد باتفاق أئمة المتقين فإذا أمكنه
الإخراج لنفايس إعجاز القرآن عن معادنها وإظهار فوائد نظم التنزيل عن كامنها وكان على وجوهه أوفق
وبدقائقه أعرف **واعلم** أن معجزة كل نبي نظمت من جنس ما يباهي به أهل زمانه تنطق بسمو شأنه وسطوع

وسطوع برهانه وذلك كالسحر والشعوذة في زمن موسى فأوتي آيات فائقة من اليد والعصى
ونحوهما من آياته وكذا الطب والطبايع في زمن عيسى فأكرم بمعجزات من إبراء الأكمه وإحياء الموتى
وغير ذلك من آيات ربه الأعلى وكذلك عهد نبينا أعظم الأنبياء قدرا وأعزهم نصرة وأكملهم بدلا
وأكثرهم حكمة زمن الفصاحة والبلاغة فإنها قد بلغت في عهده الغاية القصوى والدرجة العليا
وكانوا يفتخرون بها الأماجد في القبايل إن باهم أحد بفضيلة منها أتوه بفضايل حتى علقوا السبعة
بباب الكعبة تحديا لمعارضتها كما يشهد بذلك كتب السير لمن استقراها فأوتي كتابا أعجز بفصاحته مصاقع
الفصحاء وأبكم ببلاغته من يتحدى به من شقاشق البلغاء فلم يتصد للإتيان بما يوازيه واحد من غر العرب
العرباء وحجولها ولم ينهض لأقصر سورة يدانيه مداره الخطباء وفحولها على أن الخصوم أكثر من حصى البطحاء
ورمال الدهناء وأحرص الناس على إشاعة ما يناقض فحواه ويبطل دعواه فأعرضوا عن المعارضة بأسلات
ألسنتهم وفزعوا إلى المقارعة بأسنة أسلتهم فعجزوا بأسرهم مع تظاهرهم وقوة بلاغتهم عن الإتيان بمثله
وتساقط مقدرتهم حين تحدوا به ثم إنه عليه السلام جاء بعد تفاوت الأنبياء في الفضل أفضل منهم بدرجات
كثيرة حيث أوتي ما لم يؤته أحد من آيات عظيمة ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على
ما أوتي الرسل والأنبياء جميعا لأنه المعجز الباقي على وجه كل زمان والداير على كل لسان بكل مكان
واعلم أيضا أن الله تعالى لما جعل كتابه مختصا من بين الكتب السماوية مع ما فيه من المنافع الدينية والدنياوية
بصفة البلاغة التي تضائلت البلغاء عن آخرهم دون معارضتها وتقاصرت الفصحاء عن بنات رغبتها محيطا
بمحاسن العلوم وحقايقها ونفايس الفنون ودقايقها مشحونا بفرايد لا يدركها الإحصاء وفوايد
لا يحصرها الاستقصاء بعثني صدق الهمة في طوالع أنوارها واستكشاف أستار أسرارها على أن صرفت بأن
الأمر وطول الشباب وعنفوان العمر إلى النظر في العلوم ونظما لجواهر فوايدها وإجالة الفكر في غوامض الفنون
طلبا لخرايدها غير آل جهدا ولا مقصرا عن مدى في بذل الاكتساب لطايفها وصرف النهى في طلاب معارفها فألهمني ربي
من جوده وإنعامه وأوزعني من لطفه وإحسانه أن أنشئ كتابا في علم التفسير والتأويل حاويا لحقايق التنزيل وعيون
الأقاويل شاملا لطايف تفسير سمحت بها أنظار المتقدمين وغرايب نكت اهتدت إليها أفكار المتأخرين فأنشأت
هذا الكتاب المترجم ببحر العلوم في تفسير القرآن منطويا على فوايد شريفة تقصر عن إدراكها الأذهان مع توضيح لما اشتهر فيه
المعقول وتنقيح لما أثره المهرة المتقنون محتويا على لطايف علوم جمة مع حجج وضحة ودلايل موسسة على عقايد
علماء الملة سيما لطايف الأصول وعلم المعاني والبيان المطلع على نكت نظم القرآن فرعا وفرعا تتكفل بآثاره معادن درر
ومعاني الصفات التي هي المقصد الأقصى والمطلب الأعلى في أصول الدين والعمدة القصوى والعروة الوثقى للموحدين من أهل
الحق اليقين وأسأل الله العظيم الأعلى الشأن وباجليل البرهان ويا من تفرد بالقدم والأحدية وتوحد بالبقاء والصمدية
ويا من هو متصف بصفات الجلال والإكرام وبعث الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام ويا من هو عالم بجميع المعلومات

اسم كتاب

وقادر على كل الممكنات ومقتدر على كل شيء ويا رازق كل حي ويا ساتر عيوب المذنبين ويا مجيب دعوة المضطرين
ويا اكرم الاكرمين وارحم الراحمين بحق احديتك وحقوقك على كل احد وبحق صمديتك ووصول نعمك بلا عدد ان تكرمني
في الاخرة بالنظر الى وجهك الكريم غدوا وعشيا وتنور قلبي بنور معرفتك ولوامع هدايتك واحسانك ازليا وابديا
وتجعلني ممن يقتفيه الحق وقصده الهداية وهمته الصدق والاخلاص في البداية والنهاية وتسعدني في سعي هذا الامر من الكف
والفقر وفتن الدنيا والاخرة وعذاب القبر والمنافسة والمباهات والريا وما اشبههما من الاستمالة وجمع حطام الدنيا
وتعصمني عن الخطاء والسهو والنسيان والذلل والكذب والهذيان وتنفعني به وسائر اهل الايمان وتصيره وسيلة
الى الرحمة والمغفرة وانت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك بامن هو قريب مجيب وما توفيقي الا بالله عليه
توكلت واليه انيب نسألك بوجهك الكريم ان تصلي على نبينا وسيدنا محمد عبدك ورسولك في الملاء الاعلى وتبعثه مقاما محمودا
واعظم الدرجات العلى وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين وازواجه امهاتنا ابد الابدين سورة فاتحة الكتاب مكية
عند علي وابن عباس رض وعليه الجمهور وذلك لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو الفاتحة والاية مكية وتدروي عن
علي كرم الله وجهه انه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش وعن عمرو بن شرحبيل انه قال اول ما نزل من القرآن الحمد لله
رب العالمين ولقول النبي عم لا صلوة الا بالفاتحة فيمتنع ان يقال انه قام بمكة سنين يصلي بلا سورة فاتحة الكتاب وقال
لا صلوة الحديث وتسمى فاتحة الكتاب لانها مفتتحة وسابقة سورة واول ما نزل من القرآن يقال فاتحة الشي لاوله وخاتمته
لاخره والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية دون التأنيث وايضا يفتتحون القراءة بها والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي
لا المفهوم الكلي على ما هو مصطلح الاصولي ولكون اول الشي بعضه وما اضيف اليه كله كانت اضافتها الى الكتاب بمعنى اللام وهل يجوز
ان يكون بمعنى من نحو خاتم فضة وباب ساج ففيه نظر وسورة الحمد والمثاني من التثنية والتكرير لانها تثنى في الصلوة
او الانزال ان صح انها انزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت القبلة او من الثناء لاشتمالها على
ما هو ثناء على الله تعالى وسورة الشفاء والشافية لقوله عم هي شفاء لكل داء وسورة الصلوة لانها انما يكون فاضلة
او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها وام القرآن لانها مبداه وكانها اصله ومنشاؤه
ولذلك سميت اساسا لاشتمالها على المعاني الثلثة التي هي اصول مقاصد القرآن من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد
بامره ونهيه فان معنى العبادة يشملها وكذا معنى الصراط المستقيم ومن وعده ووعيده وهو في يوم الدين اي الجزاء
يشمل الثواب والعقاب وفي الذين انعمت عليهم والمغضوب عليهم او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام الفرعية
التي هي سلوك الطريق المستقيم والعثور على درجات السعداء ومراتبهم وطبقات الاشقياء ومنازلهم وسورة الكنز
والوافية والكافية لذلك والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم آية دون التسمية
ومنهم بالعكس واما من عد انعمت عليهم الى الاخر آية واول السورة خالية عن التسمية او جعلها آية واحدة او عد كل منها آية
على حدة فلم يعتد به قوله بسم الله الرحمن الرحيم اختلف الائمة في ان التسمية في اوائل السورة هل هي آية منها ام لا فقراء
اهل المدينة والشام والبصرة وفقهاؤها انه ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها وانما كتبت للفصل بين السور والتبرك

والتبرك بالابتداء بها كما بدى بذكرها في كل ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة ومتبعيه وعليه مالك والاوزاعي
الا ان مالكا قد قطع بانها ليست من القرآن ومن ثم قال لا ينبغي ان يقرء في الصلوة المكتوبة لا سرا ولا جهرا ولم ينص ابو حنيفة
فيه بشي وسئل محمد عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى والصحيح من مذهب اصحابنا انها آية واحدة من القرآن انزلت للفصل
والتبرك وليست آية ولا بعض آية من شي من السور ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة والصحيح انه تجب التسمية في كل
ركعة منها كما روى المعلى عنه انها تجب في الثانية كوجوبها في الاولى قال ابن مسعود رض كنا نكتب باسمك اللهم فلما نزلت
بسم الله مجريها ومرسيها كتبنا بسم الله فلما نزلت قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتبنا بسم الله الرحمن فلما نزلت انه من
سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتبناها وفيه دلالة على انها نزلت من القرآن ولم تنزل اول كل سورة وقراء مكة
والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي ومن تابعه وهو مذهب ابن عباس وسعد بن جبير
وعطاء والزهري وكثير من السلف ولهم وجوه منها ما روى ابو هريرة انه عم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله
الرحمن الرحيم ومنها قول ام سلمة رض قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
آية ومن ثم اختلف في انها آية برأسها او بما بعدها ومنها ما قال ابن عباس رض كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم انقضاء
سورة حتى ينزل عليه جبرئيل ببسم الله الرحمن الرحيم في اول كل سورة ومنها ان السلف لما اثبتوها في اوائل السور في المصحف
مع توصيتهم بتجريد القرآن عن الزوائد ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وبالجملة كونها من القرآن انما ثبت بحجة
محتملة غير مقطوعة فلا يكفر جاحدها ولا يجوز الصلوة بها للشك ولا تلاوتها للجنب والحائض الا على قصد التيمن والتبرك
دون التلاوة كما جاز لهما تلاوة الحمد لله رب العالمين على قصد الشكر دون التلاوة فيكون من القرآن باتفاق من المذهبين
الا انها عند الحنفية آية واحدة من القرآن كررت للفصل والتبرك وعند الشافعي مائة وثلث عشرة آية من السور
كما ان في قوله ويل يومئذ للمكذبين عدة آيات من سور القرآن ولما لم يثبت النقل المتواتر انها من السورة اختلف القراء
والفقهاء في كونها منها وان خبر الاحاد في الاختلاف يورث شبهة ومن ثم لم يقطع احد بذلك ولا يكفرون
منكرها فان عدم تكفير المنكر في غير سورة النمل انما هو لقوة شبهته وبهذا تبين ضعف ما قال شارح الكشاف فمن الحق
القطعي بانها في اوائل السور آيات من القرآن ومصداقه ما قال بعض المحققين فان قيل فما الحق في بسم الله
امن القرآن ام لا قلنا انها ليست من القرآن في اول سورة اصلا بدليل انه لم يتواتر من القرآن في اوائل السور
فلا يكون قرانا في اوائل السور لقضاء العادة بتواتر مثله وبهذا الطريق قطعنا بان غيرها مما لم يذكر في القرآن
ليس منه وانها تواترت بعض آية في سورة النمل لذلك لم يخالف فيه مخالف وقال عاصم وابن كثير والكسائي
انها آية من الفاتحة ومن كل سورة ووافقهم حمزة على الفاتحة خاصة ولم يعتقد الباقون انها ولا غيرها والباء متعلقة
بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ مثلا لان الذي يتلوه في الذكر مقروء وكل فاعل يبدأ في فعله به كان مقدرا للفظ ما يجعله
مبداه ودليل هذا الحذف الشروع في الفعل فانك اذا قلت عند الشروع في التلاوة بسم الله فانه يفيد ان المراد بسم الله
اتلوا وكذا عند الشروع في الاكل والقيام او اي فعل كان فان المحذوف يقدر ما جعلت التسمية مبداء له وله في هذا الحذف

بحث باء البسملة

نظائر من التنزيل والاستعمال على ما لا يخفى وتقديم المعمول هاهنا اوقع كقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل
في التعظيم وكفاك به دليلا قوله بسم الله مجريها ومرسيها واورد بقوله تعالى اقرأ باسم ربك لتقديم الفعل فيه فلو كان التقديم
يفيد مع الاختصاص الاهتمام لوجب ان يقدم باسم ربك ويؤخر الفعل لان كلام الله احق بالرعاية بالحكمة واجيب بان
الاهم فيه القراءة فتقديم الفعل هنا اوقع لانها اول سورة نزلت على القول الاصح فكان الامر بالقراءة اهم وقد يجاب
بان هذا ايضا من الفعل بان يجعل باسم ربك متعلقا باقرأ الثاني ومعنى اقرأ الاول افعل القراءة واوجدها على نحو قولهم
فلان يعطي ويمنع في احد الوجهين وهو القصد الى نفس الفعل بتنزيل المتعدي منزلة اللازم اي يفعل العطاء ويوجد حقيقته
من غير اعتبار تعلقه الى المعطى وهذا ربما يشعر بان تعلق باسم ربك باقرأ تعلق المفعولية ودخول الباء للدلالة على التاكيد
والثبات لقولك اخذت الخطام والوجه المرضي عندنا هو الاول وان تعلقهما تعلق الملابسة كما في تنبت بالدهن على معنى
متبركا باسم الله متبركا باسم ربك وتعلق الاستعانة كما في كتبت بالقلم اي مستعينا باسم الله مستعينا باسم ربك ويجوز ان يجعل
بسم الله متعلقا باقرأ الاول وباسم ربك متعلقا باقرأ الثاني بناء على كون التسمية من السورة وقيل الاحسن ان اقرأ الاول
والثاني كلاهما منزل منزلة اللازم اي افعل القراءة واوجدها ثم استعمال الباء هاهنا في الملابسة ادخل واعرب لان استعمالها
في الملابسة اكثر من الاستعانة ولان في التبرك باسم الله تعالى من التادب ما ليس في جعله بمنزلة الالة التي لا يكون
مقصودة بالذات وايضا الغرض الاصلي تعليم العباد كيف يتبركون باسمه ويعظمونه وكثير من القرآن على هذا المنهاج
وانما كسرت ومن حق حروف المعاني المفردات ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الجر ولام الامر داخلة
على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء فانهما لو فتحتا لتشاكلتا بلام الابتداء سيما في مثل لهولاء ولهولاء وكسرت
لام الاضافة لكون حركتها على وفق اثرها وابقيت لام الابتداء على الاصل هو الفتح ومعنى كون الباء لازمة للحرفية والجر
انها لا توجد بدونهما ولا تنفك عنهما وهما توجدان بدونها على ما هو مصطلح الحكمة في اللزوم والاسم من الاسماء التي اوائلها
ساكنة وهي احد عشر فاذا ابتدئ بها ادخلت قبلها همزة متحركة لانه ليس في لغتهم الابتداء بالساكن كما ليس فيها الوقف
على متحرك وتسمى همزة الوصل وحكمها ان يكون مكسورة واثباتها في الدرج لحن فاحش بل خروج عن كلامهم ومنهم من لم يزدها
واستغنى بتحريك الساكن فقال سم وسم قال بسم الذي في كل سورة سمه واصله سمو بشهادة تصريفهم على اسماء وسمي وسميت
فحذفت الواو ثم زيدت الالف تعويضا من طرح الواو كما في اخواته من ابن وابنة فليس فيه لام نحو يد ودم ونظائرهما
من الاسماء التي حذفت اعجازها واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى واشارة بذكره وشعار له هذا مذهب اصحابنا من نحاة
البصرة واما عند الكوفيين فمشتق من السمة حذفت الواو وعوضت همزة الوصل لتقل اعلاله ورد بان دخول الهمزة
على حذف صدره مما لم يعهد في كلامهم وايضا لو كان كذلك لجمع اوساما وصغر وسيما وكان الفعل وسمت وفيه
خمس لغات اسم وسم وبالضم والكسر فيهما وسمى كهدى واما حذف الالف في الخط واثباته في قوله تعالى باسم ربك فلانهم اتبعوا
في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف
وعن زيد بن ثابت قال صلى الله عليه وسلم اذا كتبت التسمية فبين السين فيها وعن عمر بن عبد العزيز قال للكاتب طول

طول الباء واظهر السينات ودور الميم وانما قال بسم الله دون بالله للفرق بين اليمين والتيمن ولان التبرك والاستعانة
بذكر الله تعالى واختلفوا في ان الاسم هل هو التسمية او غيرها فذهبت المعتزلة الى ان الاسم هو التسمية وعليه بعض من
الاشعرية فالمختار عندنا انه غيرها لان التسمية تخصيص الاسم ووضعه للشيء ولا شك انه مغاير له وذهب
جمهور الصوفية الى ان التسمية نفس الاقوال الدالة وان الاسم هو نفس المدلول ثم اختلف هولاء فذهب
الاشعرية الى ان من الاسماء ما هو عين كالوجود والذات ومنها ما هو غيره كالرزاق والخالق مما يدل على
نسبته الى الغير ولا شك انها غيره ومنها لا هو ولا غيره كالعليم والقادر مما يدل على صفة حقيقية فان المسمى ذاته
والاسم علمه الذي ليس عين ذاته ولا غيرها وذهب بعضهم الى ان كل اسم فهو المسمى وكذا قولك خالق وعالم فانه يدل
على الرب الموصوف بكونه خالقا وعالما وذهب بعضهم الى ان لفظ الاسم مشترك بين التسمية والمسمى فيطلق على كل
منهما ويفهم المقصود بالقرائن وقال الامام الرازي المشهور من اصحابنا ان الاسم هو المسمى وعن المعتزلة هو التسمية
وعن الغزالي انه مغاير لهما لان النسبة وطرفيها متغايرة قطعا والناس قد طولوا في هذه المسئلة وهو عندي
فضول لان الاسم هو اللفظ المخصوص والمسمى ما وضع اللفظ بازائه فنقول الاسم قد يكون غير المسمى فان لفظ الجدار
مغاير لحقيقته وقد يكون عينه فان لفظ اسم للفظ الدال على المعنى المجرد عن الزمان ومن جملة تلك الالفاظ لفظ
الاسم فيكون لفظ الاسم اسما لنفسه فاتحد هاهنا هو الاسم والمسمى واختلفوا ايضا في ان اسماء الله تعالى هل بالتوقيف
او بالاصطلاح فذهب اهل الحق الى انها ماخوذة من التوقيف الشرعي وذهب المعتزلة والكرامية الى انها ماخوذة
من القياس والاصطلاح والله اعرف الاسماء واخصها لانه لم يتسم به غيره ولا يطلق على ما سواه اصلا لا حقيقة
ولا مجازا وساير الاسماء قد يسمى بها غيره وهذا مما يشير الى انه اعظمها واعلم انه كما تحير العقول في ذاته تحير فكذا في
اللفظ الدال عليه من انه عربي او عجمي اسم ام صفة مشتقا او غير مشتق علم او غيره اسم خاص او اسم غالب فقال
ابو زيد البلخي ان الله ليس من العربية لان اليهود والنصارى يقولون الها والعرب اخذوا هذا اللفظ منهم
فتصرفوا فيه وجعلوه من جنس كلامهم واجمع المحققون قاطبة على انه عربي وهو الصحيح ثم اختلف هولاء فذهب من
اعاظم الائمة واكابر الملة كابي حنيفة ومحمد والشافعي بهم وعليه الحسن بن الفضل والقفال الشاشي وابو سليمان الخطابي
والغزالي والامام الرازي ومن تابعهم الى انه علم جامد لا اشتقاق له وهو احد قولي الخليل وسيبويه والمبرد وذهب كثير من
اهل السنة وعليه جمهور المعتزلة الى انه مشتق اصله الاله قال معاذ الاله ان يكون كظبية ونظيره لفظ الناس اصله
الاناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله
بالقطع كما يقال يا اله الا انه مخصوص بالمعبود بالحق الصانع للعالم تعالى وتقدس والاله في الاصل من اسماء الاجناس اسم
لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق ونظيره الكتاب والبيت والنجم والسنة والقول الاول هو الوجه بل هو الصحيح وذلك
لوجوه الاول لو كان مشتقا لما كان قولنا لا اله الا الله تصريحا بالتوحيد لكنه توحيد فوجب عدم كونه مشتقا بيان
الملازمة ان المفهوم من اللفظ المشتق ذات ما موصوفة وهذا المفهوم كلي لا يمنع نفس تصوره من الشركة بل الشركة قد تمنع

في نفس الامر الا انه انما يستفاد من خارج لا من مفهوم اللفظ فثبت انه لو كان الله مشتقا لكان كليا لم يمنع من وقوع
الشركة ولما بطل ذلك باجماع الانبياء والعلماء علمنا ان هذا الاسم علم جامد الثاني ان المشتقات صفات والصفات
لا تذكر الا بعد ذكر الموصوف فلا بد لها من اسم ولما صار ما سوى هذا الاسم من قبيل الصفات وجب القطع بانه اسم لها
الثالث انه دال على الذات المستجمعة لجميع الصفات الالهية بحيث لا يشذ شيء بخلاف ساير الاسماء فانها لا تدل الا على احادها
الاعلى احاد المعاني من رزق وخلق وقدرة الى غير ذلك الرابع ان ساير الصفات قد اضيفا الى هذا الاسم فوجب
ان يكون اسما للذات ويدل عليه التنزيل في غير موضع واحد نحو ولله الاسماء الحسنى هو الله الذي لا اله الا هو الى غير ذلك
والحديث كقوله عليه السلام ان الله تسعة وتسعين اسما وقد اضيف فيهما ساير الاسماء المشتقة اليه فوجب ان يكون
علما غير مشتق الخامس قوله تعالى هل تعلم له سميا اي ليس في الوجود يختص باسم الله الا الله وهو يدل على انه اسم غير مشتق
اذ لو كان مشتقا لكان اسما لصفة وهو وان يسمى بالاسم لكن بالمجاز دون الحقيقة والاله هو الحقيقة السادس اجماع
الايمة الثلث وجمهور اصحابهم وهو الوجه المختار وايضا ينبغي انك تعرف ان جميع ما ذكر في اشتقاقه وتعريفه وعدم
اسميته تعسف وتكلف وكفاك به شهيدا اختلافهم ورد بعضهم بعضا على ما نحققه الآن واحدا فواحدا فنقول وبالله
التوفيق اما القايلون باشتقاقه فقد اختلفوا فيه فقال المحققون منهم انه مشتق من اله بالكسر اذا تحير ومن اخواته وله وعله
ينتظمهما من التحير والدهشة وانما سمي به الباري تعالى لان العقول تتحير في معرفة ذاته وصفاته والاوهام تدهش
في كنه صمديته وجلاله ولذلك قال سيد البشر نبينا صلى الله عم كلكم في ذات الله حمقى فاذا كان اوليك المخاطبون الكمل في
عصره عم حمقى فما ظنك بمن دونهم ومن ههنا صار النظر الصحيح قليلا والضلال كثيرا ولما امعن النظر بعضهم وقال ان من
هذا الاسم بمعنى الاله اشتق اله واله واتاله كما قيل استنوق واستحجر من الناقة والحجر اورد عليه بانه جعل الاله بالفتح
من الاله والاله مشتق من اله بالكسر مع تناسب الكل في المعنى والتركيب فيكون تحكما واجيب بانه كان اسم فيح بدليل الافح
من فعل وتبعيان وضع الاله للمعبود مقدم على وضع اله بالفتح بمعنى عبد وتاله تعبد واستاله استعبد فحكم
باشتقاقها منه ردا على من زعم ان الها فعال بمعنى مفعول من اله بالفتح الهة عبد عبادة بخلاف اله بالكسر
تحير فانه ليس فيه معنى العبادة بل الامر بالعكس نظرا الى ان اشتقاق الاله منه وايضا ذهب الى هذا مع قلة استحجر الطين
سيما في الثلاثي لما ان اله بالفتح عبد كانه لم يوجد في اللغة الاصلية واستعمال الاقدمين ولا يخفى على المتامل المنصف
ما في بعض هذه المقدمات من التكلف والاضطراد على ان من عدم وجدان الشيء لا يلزم عدمه كيف وقد وقع في التنزيل
ويذرك والهتك على ما قراه ابن عباس رض وفسره بقوله اي عبادتك وهو من اعلم العلماء باستعمالات اللغات
العربية ومعانيها سيما لغات القرآن ومعانيها اللطيفة وهو اله بالفتح لا غير وقيل مشتق من اله الرجل يأله
الها اذا فزع اليه وعليه الحادث المحاكي من اعاظم ايمة المتكلمين ومشايخ العارفين واعترض عليه لوجوده انه
تعالى اله البهايم والجمادات وان لم يوجد الفزع منها اليه تعالى وانه ما كان يفزع اليه الخلق في الازل فوجب ان يقال انه ما كان
هناك الها وان هذا الاسم هو اشرف الاسماء ويبعد عقلا ان يكون مشتقا من ما اشتق من افعال الخلق لان كل ما هو مشتق من

من الصفات الثابتة دايمة الوجود سالمة عن التغير وما اشتق من افعالهم فبضد ذلك واجيب عن الاول بان الجماد
وان لم يفزع اليه لكن لكل الممكنات احتياج الى ايجاده تعالى وتكوينه وذلك عبارة عن هذا الفزع وعن الثاني بانه كان
موصوفا اولا بالصفات التي متى فزع الخلق لم يكن ذلك الا اليه وهذا الاعتبار كان حاصلا في الازل وعن الاخير
بان اشتقاق هذا الاسم ليس من فزع الخلق اليه بل من موصوفيته بصفات يستحق بها ان يكون مفزعا لكلهم وقيل من وله
اذا احب حبا شديدا حتى يخبط عقله وكان اصله ولاه كاساد واشاح مثلا ويرده الجمع على آلهة دون اولهة
وقيل من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله واورد عليه بانه تعالى كان في الازل الها وما
اذا ما بد يعبده وبانه اله من لا يصلح العبادة كالجماد مثلا وبانه يلزم ان يكون الاصنام الهة لعبادة الكفار اياها
واجيب بان هذه الاشكالات انما يلزم ان لو قلنا الاله هو المعبود واما اذا قيد زالت وقيل من لاه يليه لاها اذا احتجب
وتستر لانه تعالى محجوب عن ادراك البصاير وهذا ما جوزه سيبويه واورد عليه انه لا يصح ان يقال انه تعالى محجوب بل محجب
لدلالة الاحتجاب على كمال القدرة اذ هو عبارة عن قادريته على قهر العقول عن ادراك حقيقته وكنه صمديته والافطار
عن الانتهاء الى حضرة جلاله واما المحجوب فيدل على العجز والانتهاء لانه هو الذي صار مقهورا والله تعالى ليس تعالى ولا
في كل شيء له وقيل من الهت بالمكان اذا اقمت به او الهت الى فلان اذا سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكر الله والنفوس
تسكن الى معرفته وفساده ظاهر اذ العقول تستبعد استبعادا ان يكون مشتقا من الاسماء المشتقة من افعال الخلق كما مر
وقيل من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الحوايج سيما الشدايد والجواب الجواب واعجب من هذا
قول من قال ان هذا اللفظ لا يجوز ان يكون اسما واحتجوا على وجوه الاول اسم العلم قايم مقام الاشارة ولما كانت الاشارة
اليه تعالى ممتنعة كان اسم العلم في حقه محالا وبطلانه ظاهر وهذا مع ما فيه من الخروج عن قانون الوضع واستعمال العرب
يلزم ان يكون الصفات غير جارية على اسم موصوف بها وانه محال الثاني الغرض من وضع اسم العلم تمييز المسمى عما يشاركه في جنسه
او نوعه وهو منزه عن كونه تحت شيء منهما فامتنع ان يوضع له ذلك والجواب الجواب على انه لم لا يجوز ان يكون المفهوم من اسم العلم تمييزه
عما يشاركه في الوجود والشيئية الثالث اسم العلم لا يوضع الا لما كان معلوما ولا يعلم احد حقيقته المخصوصة فوضعه له محال
وقد عرفت الجواب على ان حقايق كثير من الاشياء كالروح مثلا غير معلوم للبشر على ما زعم جمهور فحول العلماء ولم يمنع ذلك من وضع الاسم
لها واما ان الله من الاعلام الخاصة او الاعلام الغالبة فاختلف القوم فيه واضطرب كلامهم والمختار انه من القسم الاول
وكفاك به دليلا اجماعهم على انه اسم لم يسم به غيره وذلك ان اهل الملل والنحل من المسلمين وغيرهم قد اجتمعوا على ان الله اسم خاص
تفرد به صانع العالم تعالى وتقدس لا شركة فيه لاحد قطعا ولا يطلق على غيره اصلا قال الله تعالى حكاية عن الكفار ولين سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولما اجمع على انه اسم خاص تفرد به الصانع ولم يسم به غيره
وجب القول قطعا بانه علم خاص دون علم غالب واما القوم فانهم يجعلونه تارة من الاعلام الخاصة واخرى من الغالبة
لكن باعتبارين اذا عرفت هذا فاعلم ان الله علم للذات الواجب الوجود المعبود بالحق الصانع للعالم وليس مفهومه المعبود
بالحق والواجب لذاته او المستحق للمعبودية له كالاله ليكون كليا فلا يكون علما لان مفهوم العلم جزئي لا يرى الى قولنا

لا اله الا الله كلمة توحيد اجماعا فلو كان الله اسما لهذا المفهوم الكلي لا علما للفرد الخاص الموجود منه لما افادت
التوحيد لافادة الكلي الكثرة وسيجيء لهذا زيادة تحقيق ان شاء الله تعالى فان قلت هل تفخم لامه قلت هو سنة وقد
اجمع القراء على تفخيمه اذا وقع بعد فتحة محققة او ضمة محققة كما اجمعوا على ترقيقها ولو مع الميم اذا وقع بعد كسرة
وقيل غلظت لامه وان كان الاصل فيه الدقيق تفخيما له وتعظيما وقيل فرقا بينه وبين اللات اذا وقف عليها بالهاء وكان
حقه ان يفخم لهذا الغرض مطلقا الا ان تفخيمه بعد الكسر يؤدي الى تنافر اللفظ وثقله بالخروج من التسفل الى التصعد ولهذا
ابقي على اصله من الترقيق وبه يحصل التلاؤم والتطبيق في الاسماع وقال الزجاج العرب كلهم على ذلك واطباقهم عليه دليل انهم
ورثوه كابرا عن كابر وحذف الفه لحن فاحش تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وان جاء في بعض الاشعار
واتفق جمهور القائلين بان الاسم الاعظم لله اسم معين معلوم للخلق على انه هو هو لوجوه منها انه يدل على ما دل سائر الصفات
من الرحمة والقدرة والعزة وغيرها مما فيها ومنها انه كلما حذف منه حرف كان الباقي من اسماء الله وليس هذه الخاصية
في سائر الاسماء ومنها انه لا يصح اسلام الكافر الا اذا قال لا اله الا الله لقوله عم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
الا الله فاذا قالوها عصموا دماءهم واموالهم فالنجاة والفوز موقوف على هذا الاسم ومنها ان سائر الاسماء مضافة اليه
كما مر ومنها الحق عند الجمهور ان لا سبيل الى معرفة اشتقاق كنه هذا الاسم كما لا سبيل الى معرفة مسماه على ما هو راي المحققين
فله زيادة مناسبة مع هذا المسمى من هذا الوجه والباقي ليس كذلك فوجب ان يكون اعظمها والرحمن قال ثعلب انه
عبراني وكان بالخاء فعرب بالابدال والحذف واتفق المحققون قاطبة على انه عربي وزنه فعلان من رحم كسكران
وغضبان وكذا الرحيم فعيل منه كسقيم من سقم ولما قيل انه صفة مشبهة اورد بان رحم متعد فكيف تشتق منه واجيب
بان المتعدي قد يجعل لازما وينقل الى فعل بالضم فيبنى منه الصفة المشبهة كما في فقير ورفيع فان رفيع الدرجات
معناه رفيع درجاته لا رافع وكذلك الرب وغيره وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم فبينهما تفاوت هذا على
راي الائمة الادبية ومن ثم قالوا الرحمن ادل من الرحيم واحتجوا بالاستعمال يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وبالقياس
حيث وقع في الرحمن زيادة على حروف الاصول فوق ما وقعت في الرحيم وهم يقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى
واورد عليه بان حذرا ابلغ من حاذر واجيب بان ذلك اكثري لا كلي وبان ذلك فيما اذا كان اللفظان المتلاقيان في الاشتقاق
متحدي النوع في المعنى كصد وصديان مثلا لا كحذر وحاذر للاختلاف والرحمة معناها رقة القلب في الحنو والانعطاف
يقتضي التفضل والاحسان ومنها الرحيم لانعطافها على ما فيها وهي من الاعراض النفسانية كالخداع والاستهزاء
والحياء والمكر مثلا ولها مبادي وغايات واسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي
والاوائل التي هي انفعالات مثلا الرحمة كيفية تعرض للنفس بسببها رقة القلب تعطفا وارادة لايصال الخير ودفع الشر
فابتداؤه رقة القلب وغايته ارادة ايصال الخير ودفع الشر والايصال والدفع فمعنى الرحمة في حق الله تعالى
محمول على الغاية دون المبدأ الذي هو رقة القلب وقس عليه البواقي وانما قدم ما هو ابلغ والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى
لكونه اشبه باسم الله من جهة الاختصاص وزيادة المعنى حتى صار كالعلم من حيث انه اسم لم يسم به غيره ولان الله تعالى يدل على

كمال الرحمة والرحمن كالمتوسط والرحيم كالرتبة الاخيرة او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم وعظائمها واصولها
ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها من الدقائق واللطائف فيكون كالتتمة والرديف له وذهب المحققون من اللغويين
وغيرهم الى ان معناهما واحد قال امام الحرمين هما اسمان ماخوذان من الرحمة ومعناهما واحد عند المحققين كالندمان
والنديم وان كان الرحمن يختص به تعالى ولا يوصف به غيره هذه عبارته ثم قال باتحادهما فسر بمعطي جلائل النعم
ودقائقها او بمريد الانعام على الخلق فعلى الاول مرجعهما صفة فعلية وعلى الثاني مرجعهما صفة الارادة ومن
قال بانهما متباينان فقال الرحمن هو المنعم بجلائل النعم والرحيم هو المنعم بدقائقها وقال بعضهم اسم الرحمن خاص بالحق تعالى
عام في الاثر واسم الرحيم عام في الاسم خاص في الاثر لجواز اطلاقه على الغير ولقوله وكان بالمؤمنين رحيما وقيل ان لم يكن
احدهما ابلغ من الآخر كانا مترادفين من جميع الوجوه من غير تفاوت في المعنى وذلك بعيد وهو من صفات الخاصة دون الغالبة
على ما زعم بعضهم لانه وصف خاص تفرد به منعم النعم كلها الصانع للعالم لم يوصف ولا يوصف به غيره اصلا ولا شركة فيه لاحد
قطعا وفي كلام علي كرم الله وجهه دلالة على هذا حيث قال اما الرحمن فهو عون لكل من آمن به وهو اسم لم يسم به غيره وقال ابن عباس
لا يسمى احد الرحمن غير الله وقال الزجاج الرحمن اسم الله خاص لا يقال على غيره والاظهر انه غير منصرف وان منع الاختصاص ان يكون له
مؤنث على فعلانة او فعلى قياسا على اخواته من بابه نحو سكران وعطشان مثلا وفي ورود التسمية بهذه الصورة وتخصيصها
بهذه الاسماء تنبيه على ان العارف ينبغي ان يكون مستغرق القلب بالله تعالى لا يرى غيره معرضا عما سواه بحيث يصرف عنان الهمة
من جميع الجهات الى جنابه تعالى وتقدس ولا يرجو ولا يخاف الا اياه عالما بان المستحق للاستعانة في الامور كلها هو الموجود
الحقيقي المنعم بالنعم كلها وكيف لا وقد فهم من قوله تعالى الله انه اسم للواجب المتفرد بالوجود الحقيقي الجامع لصفات الجلال والاكرام
وكل ما سواه فانه هالك اذ كل موجود سواه ليس بمستحق للوجود بذاته وانما استفاد الوجود منه فهو من حيث هو هو هالك
ومن العين موجود فكل شيء هالك الا وجهه ولله الامر من قبل ومن بعد فاذا وجب على كل احد ان يقبل بجامع الهمة على الاتحاد
به عن غيره ويشغل سره وعلانيته بذكره ولا يتوجه تلقاء نفسه بل بشراشره الى جناب قدسه وعلى ما يتعلق باحوال العباد
من الابد الى البقاء والجزاء وهي يستفاد من ذكرها على الترتيب واليه اشارة بقول النبي صلى الله عم بسم الله الرحمن الرحيم
هي ام القرآن وهي سبع المثاني رواه ابو هريرة وذلك لاشتمالها على كليات المعاني التي في القرآن اذ الغرض الاصلي
منه الارشاد الى معرفة المبدأ والمعاد وما بينهما من دار التكليف مع ما فيهما من الثناء والنداء على كمال ذاته وعظمة
صفاته وجميل نعمائه وجزيل آلائه التي تقاصرت النفوس عن وصفها وتضاءلت العقول دون بيانها مما وصل الى
العباد في الدنيا وما اعد في العقبى من النعم التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واجلها النظر
الى وجهه الكريم جعلنا الله واياكم ممن هو من اهله بمنه وكرمه ومما يؤيد هذا ما قال بعضهم من ان المفهوم من الرحمن
نوع من الرحمة هي ابعد من مقدورات العباد وهو ما يتعلق بالسعادة الاخروية فان الرحمن هو العطف على العباد بالايجاد
اولا وبالهداية الى الايمان واسباب السعادة ثانيا والاسعاد في الآخرة ثالثا وزيادة الانعام بالنظر الى وجهه الكريم
رابعا وقيل الرحمن بما ستر في الدنيا والرحيم بما غفر في العقبى وقيل الرحمن بالنعماء والرحيم بالآلاء وقيل بالانقاذ من النيران

والرحيم بادخال الجنان وقيل بازالة الكروب والعيوب والرحيم بانارة القلوب بالغيوب وقيل بتعليم القران والرحيم
بتشريف السلام والكلام روى عن رسول الله صلى الله عم انه قال ان عيسى اسلمته امه الى الكتاب لتعلمه فقال له المعلم قل
بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى وما بسم الله الرحمن الرحيم قال المعلم لا ادري فقال له عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم
ملكه والله اله الالهة والرحمن رحمن الاخرة والدنيا والرحيم رحيم الاخرة وعن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما كتب
القلم بسم الله الرحمن الرحيم فاذا كتبتم كتابا فاكتبوها اوله وهو مفتاح كل كتاب انزل ولما نزل بها على جبريل اعادها ثلثا
وقال هي لك ولامتك فمرهم ان لا يدعوها في شيء من امورهم فاني لم ادعها طرفة عين منذ نزلت على ابيك آدم عليه السلام
وكذلك الملائكة وروي ان الموحدين اذا دخلوا النار قالوا بسم الله فتنزوي النار عنهم وتهرب وتقول ما لي واهل بسم الله
وعن انس قال النبي عم اذا كتبتم كتابا فجودوا ونقش بسم الله الرحمن الرحيم تقضى لكم الحوائج وفيه رضاء الله تعالى وتقدس
الحمد لله هو الوصف بالجميل على قصد التعظيم من نعمة او غيرها والشكر على النعمة وحدها قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم
النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو اعم من وجه واخص من وجه وقيل الحمد هو المدح والوصف بالجميل
وانه لتصريح بانهما مترادفان وليس كذلك لان الحمد انما يكون على الافعال الاختيارية من العلم والكرم مثلا بخلاف المدح
فانه عليها وعلى غيرها ولاختصاصه باهل العلم بخلاف المدح فالمدح اعم وكم بين الاعم والاخص ومن هٰهنا قيل
الحمد لا يكون الا على الجميل الاختياري بخلاف المدح تقول حمدت على علمه وانعامه ولا تقول حمدت على صباحة خده
ورشاقة قده بل مدحته فالحمد شعبة من شعب الشكر من جهة المورد ومنه قوله عم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد
لم يحمده فان لم يعترف بالمنعم ولم يجهر بالثناء عليه لم يعد شاكرا ولم يظهر منه ذلك وان اتى بالعمل والاعتقاد لان عمل
اللسان وهو النطق هو المشعر عما في الاعتقاد وضعا والمظهر له حقا وفيه تاييد لما قال بعضهم من ان الاقرار له
اعتبار في حقيقة الايمان على ما لا يخفى فذكر النعمة باللسان اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وعمل الجوارح لخفاء
الاعتقاد وما في اداب الجوارح من الاحتمال والحمد نقيضه الذم والشكر حقيقة معناه اشاعة النعمة ونقيضه
الكفران المنبئ عن الستر والتغطية ورفعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب وقد قرئ به والعدول الى
الرفع للدلالة على الدوام والثبات كما في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع سلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم
عم حياهم بتحية احسن من تحيتهم لكونها بالجملة الاسمية الدالة على معنى دوام السلام لهم وثباتهم دون تجدده
وحدوثه وهو من المصادر السادة مسد الافعال وتقديم الحمد لكونه اهم نظرا الى ان المقام مقامه وان كان
ذكر الله اهم في نفسه والمعنى نحمد الله حمدا بلفظ المضارع ونون جماعة المتكلمين لكونه مقولا على السنة العباد
ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم هذا مذهب جمهور المحققين قالوا انما صح كون العباد بيانا
للحمد الذي هو فعل اللسان باعتبار انها نهي غاية الخضوع يقتضي الاعتراف بالانعام التام ووصف المنعم بصفات
الكمال ولا حمد ابلغ من ذلك غاية انه يفيد زيادة في البيان او احمد الله حمدا بلفظ المتكلم وحده بناء على انه
تعالى حمد نفسه كما هو راي الاخرين حيث قالوا حمد الرب نفسه تعليما للعباد كيف يحمدونه ويمجدونه وقالوا

وقالوا احمد الله الثناء عليه بصفات الحسنى وبما انعم عباده وليكون مطابقا للمفرد المضمر على ما قال بعضهم
من ان قل هنا مضمر ومعنى قوله الحمد لله قل الحمد لله على طريقة قوله قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا والسور المفتتحة به
نحو قل هو الله احد ويعضده قول النبي عم استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل ان يحمده خلقه وبما مدح به نفسه
الحمد لله وقل هو الله احد فمن لم يشفه بالقران فلا شفاه الله واختلف في لامه فقيل للجنس وقيل للاستغراق
وهذا وهم فالاولى ان يكون لتعريف الجنس دون الاستغراق لان اللام لا يفيد سوى التعريف والاشارة والاسم
لا يدل الا على مسماه فاذا لا يكون ثمه استغراق اي مستفاد من اللام وقيل لانه المتبادر الى الفهم الشايع في الاستعمال
سيما في المصادر وعند خفاء قرائن الاستغراق ورد بان المتبادر الى الفهم من اسم الجنس المعرف باللام في المقامات
الخطابية والشايع في الاستعمال هنا انما هو الاستغراق سواء كان مصدرا او غيره وقيل لان الحمد من المصادر
النايبة مناب الفعل والفعل انما يدل على الحقيقة دون الاستغراق فكذا ما ينوب منابه ورد بان نايب الفعل
انما هو المصدر النكرة نحو سلام عليك وح لا مانع من ان يدخل اللام ويقصد به الاستغراق اجيب ببطلان
الحصر فانه قد يقع المصدر المعرفة نايبا مناب الفعل نحو سبحانك ومعاذ الله وصبغة الله الى غير ذلك وقيل
السبب في اختيار الجنس ان دلالة اللفظ على الجنس وعلى اختصاصه بالله لا يحتاج فيها الى استعانة بالمقام مع
ان اختصاص الجنس يقوم مقام اختصاص جميع الافراد فلا حاجة هٰهنا في تادية ما هو المقصود يعني انتفاء المحامد
عن غيره تعالى وثبوتها له الى ان يزاد على الجنس معنى زايد يستعان فيه بالقرائن والاحوال اذا علمت هذا فاعلم ان وضع اللام
للتعريف ومعناه الاشارة والتعيين وهو وحدها حرف التعريف عند سيبويه والهمزة همزة وصل جلبت للابتداء
بها كما في اسم واخواته وعند الخليل على ان حرف التعريف ال كبل وبالجملة الاشارة اما الى نفس الحقيقة كقولك الانسان حيوان ناطق
مثلا ويسمى لام الجنس والحقيقة والطبيعة وقد يراد به واحد باعتبار عهديته في الذهن كقولك كلت الخبز وشربت الماء واشتر اللحم
ومثله في التنزيل واخاف ان ياكله الذيب يخص باسم المعهود الذهني وهو في المعنى كالنكرة ومن ثم يعامل معاملة المنكر وقد يراد
جميع الافراد نحو عالم الغيب والشهادة ويسمى لام الاستغراق واما الى معهود بينك وبين مخاطبك واحدا كان او اكثر كقولك
ما فعل الرجل لرجل معهود بينكما ويسمى لام العهد والحاصل ان اللام اما لتعريف الجنس او لتعريف العهد والجنس قد يراد به نفس
الماهية من غير ان يكون في ضمن الوجود وقد يراد واحد من الافراد باعتبار الوجود في ضمن بعضها وقد يراد به جميع الافراد وعليه
المحققون من علماء المعاني ان المعرف بلام الجنس اذا جعل مبتداء وهو مقصور على الخبر معرفة كانت او نكرة نحو الكرم التقوى والتوكل على
الله والكرب في العرب بهذا يظهر ان معنى الحمد لله هو اختصاص وقصره عليه بدلالة لام الجنس عليه كما في الامثلة المذكورة
سيما مع لام الاختصاص وانه به حقيق على ان من به البقاء ومنه المبدا واليه المعاد لم يكن احد احق به بالحمد والثناء
عليه بما هو اهله وينبغي ان تعلم ان المراد بالجنس هٰهنا الجنس من حيث هو هو لا من حيث انه في ضمن جميع افراده بمعونة
القرائن فان الجنس عندهم ما يشمل الكثير على ما هو معنى الكلي الطبيعي سواء كان جنسا منطقيا او نوعيا او غير ذلك وفيه تنبيه على انه
تعالى حي قادر عالم مريد اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرا الحسن البصري رض الحمد لله باتباع الدال اللام وقرا

ابراهيم بن ابي عبلة بالعكس وهو في الكلمتين انما يكون لتنزلهما منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما معا والافصح اتباع حركة البناء الاعرابية التي هي اقوى مرجحة انها مختلفة الدالة على المعنى وقد اقطرب الحمد لله باسكان الهاء فانشد الا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به للمبالغة كما وصف بالعدل والصوم ويجوز ان يكون بمعنى المالك من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم لانه يصلح ما يملكه ويبلغه الى الكمال ومنه قول صفوان بن امية الجمحي لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن اي يكون مالكا لي والاول ارجح لما اشرنا اليه من ان القصد بالوصف بالمصدر هو المبالغة حتى يكون المعنى في رجل عدل انه مجسم من العدل واذا جعل بمعنى الفاعل وبحذف المضافات ذلك ولم يستعملوا لفظ الرب بدون الاضافة في غير الله الا نادرا وفي جمعه يجوز الاضافة والاطلاق قال الله عز وجل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقال ابن عباس معناه سيد العالمين ويجوز ان يحمل عليه ايضا قول صفوان ومعنى يربني يكون لي سيدا مثل ساده كان له سيدا وقد جاء في الحديث ايضا السيد قال رجل للنبي عم يا سيد فقال عليه السلام السيد هو الله كانه قصد المنع من المدح شافها كقوله عم اياكم والمدح فانه الذبح والا فقد قال انا سيد ولد آدم ولا فخر وقرا زيد بن علي رب العالمين بالنصب على المدح او بفعل دل عليه الحمد كانه قيل نحمد الله رب العالمين بناء على ان العامل في الصفة هو العامل في الموصوف والعالم اسم لكل موجود يعلم به الصانع جنسا كان ولا من ذوي العلم او لا كالخاتم لما يختم به والطابع والقالب بدليل قوله تعالى وهو رب كل شيء ولقوله عم ان الله تعالى اربعين الف عالم عالم الدنيا من الشرق الى الغرب صنف من الاعلام من اربعين الفا والاعلام جمع عالم وانما سمي العالم لكونه علما على الله وقد اتفق جمهور اهل التفسير والاصول والفقه والنحو على ان الجمع المعرف باللام يتناول كل واحد من الافراد كالمفرد حتى ذكروا في قوله تعالى والله يحب المحسنين انه جمع يتناول كل محسن وفسروا العالمين بكل جنس مما سمي به العالم وقال الحسن وقتادة ومجاهد جميع المخلوقين وانما جمع ليشمل كل جنس من الاجناس وجمعه بالياء والنون تغليبا للعقلاء على ان فيه معنى الوصفية وهي الدلالة على معنى العلم فالنكتة في الجمع مع التعريف افادة تعدد الاجناس واستغراقها وقيل اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين ويتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقال ابو عبيدة هم اربع امم الملائكة والانس والجن والشياطين ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل وقال ابن عباس الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب قال الله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وفيه نظر فنافي القرينتين لان الانذار قرينة مخصصة للعالمين بالثقلين اذ لا انذار لغير الجن والانس بخلاف التربية فانها قرينة معممة للعالمين لعمومها على ما لا يخفى فيكون الايتان متنافيين عموما وخصوصا وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض التي يعلم بها الصانع تعالى كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال عز من قائل وفي انفسكم افلا تبصرون وفيه اشعار بانه تعالى يتصرف في كل شيء من الممكنات تربية تامة ويملك الاشياء قبل وجودها بمعنى انه قادر على اخراجها من العدم الى الوجود ويملكها حال حدوثه لان القدرة انما تؤثر في احداث الشيء حال حدوثه لا قبل ثم هو ان كان قابلا للبقاء فهو تعالى مالك له بمعنى

انه قادر على ابقائه وان كان غير قابل له فكذلك لكن بمعنى انه قادر على اعادته بعد عدمه فظهر بهذا ان كل ما سواه تعالى من الجائز والممكن مربوب له ومملوك سواء كان موجودا او معدوما ومفتقر الى المبقي حال بقائه كما انه مفتقر الى المحدث حال حدوثه ولا يخفى ان مفهوم الكلام قصر الربوبية فان قوله رب العالمين معناه ليس في الوجود من له الربوبية غيره وكل موجود سواه مربوب له لان اضافة المصدر تفيد الحصر كما يقال ضربي زيدا في الدار والصفات الآتية بعده مثله في الدلالة على ما هو الموجب للحمد وانه لا احد احق بالحمد والثناء الجميل وقيل الوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمدية وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه المتفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه الايجاب بالذات او وجب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص بانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين مالك يوم الدين قرا عاصم والكسائي ويعقوب مالك بالالف ويؤيده يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ولان الحسنات فيه اكثر كما قال عم من قرا القرآن فاعرب في قراءته كان له بكل حرف عشرون حسنة ومن قرا بغير اعراب كان له بكل حرف عشر حسنات ولانه اعم وقرا الباقون ملك وهو الاختيار قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم وملك الناس ولما فيه من التعظيم وايضا الرب هو المالك فاذا قال رب العالمين ثم قال ملك يوم الدين ادى بوصفين مختلفة المعنى وهو ابلغ في النظم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقيل الملك هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن غيره ويحتاج اليه كل موجود سواء في كل شيء له وملك يوم الدين من اضافة صفة مشبهة الى غير معمولها مثل رب العالمين في بناء الصفة بالنقل فتكون معنوية نحو ملك العصر وحسن الوجه مثلا لا لفظية هي اضافتها الى فاعلها نحو كريم الاب فالقصر ابلغ لان الصفة المشبهة تدل على الثبوت وروى عبد الوارث عن ابي عمرو وروي ايضا عن ابن عامر وعمر بن عبد العزيز ملك بتخفيف اللام وقرا ابو هريرة والاعمش ومحمد بن السميفع وابن ابي عبلة مالك بالنصب على المدح او على الحال والنداء ومالك بالرفع منونا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب وقرا ابو حنيفة ملك بلفظ الفعل ونصب اليوم وهو في حرف جبير بن مطعم وعبيد بن عمير وروي عن الكسائي مالك بالامالة وهو ضعيف ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا واضيف اسم الفاعل الى الظرف اجراء مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة بدليل قراءة ابي حنيفة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار او ليكون الاضافة حقيقية مقدرة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة وان كان مالكا لجميع الايام اما للتعظيم او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه وقيل القضاء كقوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله في قضائه واليوم اسم مدة من طلوع الشمس الى غروبها عرفا ومن طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس شرعا والمراد به ههنا الوقت من النشور الى دخول الجنة او النار او الوقت الذي ليس بمحدود وهو الابد الدائم اياك نعبد ايا ضمير منصوب منفصل وما يتصل بها من الكاف والهاء ونحوهما حروف دالة على احوال المرجوع اليه كالتاء

فى انت والكاف فى ارايتك ولا محل لهذا اللواحق من الاعراب انما هى علامات كالتنوين ويا النسبة وتاء التانيث والخليل على ان
اللواحق اسماء اضيف اليها ايا واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فهو شاذ لا يعمل عليه
وقال الزجاج والسيرافى ايا اسم ظاهر واللواحق مضمرات اضيف اليها ايا كان اياك بمعنى نفسك وقيل الضماير هى اللواحق وايا
دعامة لها كانها لما انفصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة وضم اليها ايا ليستقل به وكذا فى انتا التاء ضمير وان دعامة
وقيل اياك واياى واياه بكمالها اسماء وتقديم المفعول للاختصاص كما فى قوله لا الى الله تحشرون ومعناه نخصك بالعبادة
ونخصك بالاستعانة اى نجعلك منفردا بالعبادة لا نعبد غيرك على ان الباء داخلة فى المقصور لا المقصور عليه
والعجب من ابن الاثير كيف انكر هذا حيث قال فى المثل السائر ان التقديم فى اياك نعبد واياك نستعين لمراعاة حسن
النظم السجع الذى هو على حرف النون لا للاختصاص فان من له ذوق صحيح وتدرب فى معرفة تراكيب البلغاء يعرف
ان ليس المعنى فيه وفى مثله الا على الاختصاص وان امكن فى ذلك العدم بحسب النظر الظاهر والتامل القاصر وليت شعرى
ما يخطر اجتماعهما واى شئ ندبه الى ترك اعتبار نكتة ذات جزالة على ان ما ذكره خرق لما اجمع عليه المحققون واختاره
المهرة المتقنون وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء واياك بكسر الهمزة وتخفيف الياء وقرئ الدين اياك
بحذف الهمزة وروى ابو حاتم عن بعضهم وياك كما قرئ وقنت فى اقتت ومعنى العبادة قيام العبد بما تعبد به وكلف
من امتثال الاوامر والنواهى وهى اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اى مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان
فى غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا فى الخضوع لله وقيل معناه اياك نطيع طاعة نخضع فيها لك وقيل
اياك نوحد ونطيع وقرأ على رض نعبد باشباع الدال حتى يصلها بواو وهى لغة للعرب وقرأ بعض الكوفيين
نعبد وهى لغة للعرب معروفة يجزمون اواخر الكلم من غير جازم فيقولون هو يكلم ويحدث مثلا ونحوه كثير فى القراءة
والاشعار فانه قد قرأ مجاهد ويحدث له ذكرا باسكان الثاء تخفيفا وزيد بن على فى الفرقان جنة نأكل منها باسكان
اللام روما للخفة وقد قال شاعرهم تأتى قضاعة ان تعرف لكم نسبا ... وابنا نزار فانتم بيضة البلد سكن الفاء لمجرد
التخفيف وقرأ الحسن يعبد بالياء والبناء للمفعول واياك نستعين والاستعانة طلب المعونة وهى اما ضرورية او غيرها
والضرورية ما لا بد منه مما لا يصح وصف الرجل بالاستطاعة الا به كاقتدار الفاعل مثلا وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به
الفعل كالراحلة فى السفر للقادر على المشى وجنة الفاعل على الفعل وهذا القسم مما لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد
طلب المعونة فى اداء العبادات وقيل فى المهمات كلها وعموم المهمات من اطلاق الاستعانة وحذف مفعولها والاولى
ان يراد الاول ويكون اهدنا بيانا للاعانة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا فتناسقت الجمل الاربع وتلاومت
حيث وقع اياك نعبد بيانا للحمد واياك نستعين طلبا للاعانة على العبادة واهدنا بيانا للاعانة وعلى هذا الحذف
لمجرد الاختصار للقرينة وعلى الثانى للتعميم مع الاختصار وانما كان اولى لتلاوم المذكور وليكون العبادة له
والاستعانة فى المهمات وقيل قدمت العبادة على الاستعانة لكونها وسيلة والاستعانة حاجة وتقديم الوسيلة
عليها انسب لكونه اقرب الى الاجابة الى الحاجة واعون على استحقاق النتايج وقيل لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم

نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه لما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا
ولا يتيسر الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرأ يحيى بن وثاب وعبيد بن عمير الليثى
نستعين بكسر النون فيها وهى لغة بنى تميم فيكسرون حرف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها قال ابو حاتم يكرهون الكسر عليها لانها
كسرة فلا تكسر الكسرة الالتفات انما هو فى اياك نعبد والباقى جار على اسلوبه والتنبيه على الافراد ما هو المقصود
الاعظم مع الرمز الى اجلية نعمة الهداية لان اجل النعم الواصلة الى العباد هو الهداية الى دين الاسلام اذ هو السبب
المفضى الى النظر الى وجهه الكريم وبه التوصل الى النعيم الدائم فى دار السلام ولذلك امرنا بقراءة السورة المشتملة
عليها فى الصلوة وتكررها ومن عادة العرب التفنن فى الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب ويسمى هذا النقل عند
علماء المعانى التفاتا وهو ستة اقسام قيل وجه حسنه ان الكلام اذا نقل من اسلوب الى آخر كان احسن تطرية
لنشاط السامع واكثر ايقاظا للاصغاء اليه وقد يختص مواقعه بلطائف غير هذا الوجه العام وان اللطيفة المختص
بها هذا المواضع هو ان فيه تنبيها على ان العبد اذا ذكر الحقيق بالحمد عن قلب حاضر يجد من نفسه محركا للاقبال عليه
وكما اجرى عليه صفة من تلك الصفات العظام قوى ذلك المحرك الى ان يؤول الامر الى خاتمتها المفيدة انه مالك
الامر كله يوم الجزاء فح يوجب الاقبال عليه والخطاب بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة وقيل
هو انه لما ذكر واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء والعبادة فالتفت
وخوطب ذلك المعلوم المميز بها فقيل اياك نعبد يا من هذه صفاته نعبد ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له
لاجل ذلك التميز الذى لا يحق العبادة الا به لان المخاطب ادخل فى التميز واعرف فيه فكان تعليق العبادة به تعليقا لحفظ التميز
ليشعر بالعلية واوضح منه ما قيل من انه اختار اياك على اياه الذى يقتضيه ظاهر السياق واستعمل ان الغايب نزل
بسبب صفاته المذكورة الموجبة لتميزه وظهوره منزلة المخاطب فيهما ثم اطلق عليه ما هو موضوع للمخاطب ففى هذا
الاطلاق ملاحظة لتلك الاوصاف المناسبة لترتب الحكم عليها كانه قيل يا الموصوف المتميز بهذه الصفات العظام
نخصك بالعبادة والاستعانة فيتبادر منه الى الذهن ان العبادة له والاستعانة به لاجل تميزه بتلك الصفات
لما تقرر عندهم من ان تعليق الحكم بالوصف مشعر بالعلية وقيل ان العبادة هى غاية التعظيم فلا يحق الا لمن له غاية الانعام
وهو الخالق الذى منه اصول النعم وفروعها فاذا ذكر العبد اسمه الجامع لصفات الكمال ومحاسن الافعال ووصفه
بانه هو الموجد من العدم والمنعم بالنعم ومالك الامور الامر تعلق العلم بمعلوم منفرد بالقدم والاحدية حقيق بالعبادة
والاستعانة وتوجهت نفسه بشراشرها الى جناب قدسه وتنزه عن غيره بانه كما هو دأب اوليائه وخالصة عباده عند
ذلك يصير من اهل الشهادة ويراه عيانا فيناجيه شفاها فيقول اياك يا من هو شانه نخصك بالعبادة والاستعانة
لا نعبد الا اياك ولا نستعين سواك وذلك ان النظر اذا صح والحجبة اذا ارتفعت والوصلة اذا تمت لم يكن بين
نظر البصر وشهود السر فرق ولا فى حال الشهود والغيبة بون بل تتفق الاوقات وتتساوى الاحوال فيكون فى كل حال شاهدا
بكل جارحة ناظرا وهذا مما لا يدركه كل عقل سبحان من تفضل على المصطفين من عباده والمرتضين من اوليائه بما لم يكن

تبلغه هممهم ولا تصل اليه اوهامهم فاعانهم واكرمهم ما لا يخطر على القلوب ولا يدركه العقول فضلا منه ورحمة انه هو
ذو الفضل العظيم والبر الرحيم وان في ايراد الاستعانة على اسلوب العبادة واقترانها بها نكتا منها ما قد تقدم ذكره ومنها
وهو احسنها كما يشهد به الذوق الصحيح ان العبادة كما اذا وجهت الى غيره تعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم
يكن الا ظلما وكفرا وجحودا كذلك الاستعانة اذا وجهت الى الغير لم يكن الا ظلما وتفريطا وخروجا عن الصحيح النير
الى الفاسد المظلم وتعرضا لدرك الشقاء عن ابن عباس كنت ردف النبي عم فقال يا غلام اني اعلمك بكلمات احفظ الله
تعالى يحفظك احفظ الله تجده تجاهك فاذا سالت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله فلو ان الامة اجتمعوا
على ان ينفعوك الا بشئ كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك لم يضروك الا بشئ كتبه الله عليك قبل ان تسالني
واستجيب لك قبل ان تدعوني طويت الصحف وجفت الاقلام وعنه عم يقول الله تعالى ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم
بي دون غيري الا اعطيته قبل ان يسالني واستجبت له قبل ان يدعوني وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دوني
الا قطعت اسباب السماء من يديه وارسخت الارض تحت قدميه ووكلته الى نفسه وقال عامر بن قيس فوض امرك الى الله
تسترح وقال زهير بن عباد وعبد العزيز بن عمير دخل جبرئيل على يوسف عم في السجن فعرفه يوسف فقال له يا اخا المنذرين
ما لي اراك بين المذنبين قال له ما رأى كاسير بين الخاطئين فقال جبرئيل يا طاهر بن الطاهرين ان الله عز وجل كرمني بك
وبابائك وهو يقرئك السلام ويقول لك ما استحييت مني ان استعنت بغيري وعزتي لالبثنك في السجن بضع سنين
فقال يا جبرئيل وهو عني راض قال نعم قال اذن لا ابالي فاذا كان حال يوسف الصديق وهو من المرسلين جرى عليه بتركها
ما جرى فما ظنك بغيره دونه فحق على كل احد على كل ان لا يوجه الاستعانة الى ما سواه اذ لا ينفع ولا يدفع عنك شيئا ولا النفع
ههنا من الغيبة الى الخطاب اهدنا الصراط المستقيم الهداية حصول الاهتداء وقد يطلق على الدلالة والدعوة الى الاهتداء
مجازا والمعتزلة على انها بيان طريق الصواب وليس كذلك لقوله انك لا تهدي من احببت مع انه بين الطريق والمشهور
ان الهداية عندنا هو الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب سواء حصل الوصول والاهتداء او لم يحصل وعندهم الدلالة
الموصلة الى المط واستدل على اعتبار الوصول الى المط في مفهومها بوجوه احدها وقوع الضلالة في مقابلته كما نطق به
القرآن وثانيها ان الانسان يمدح بكونه مهديا ومعلوم ان من دل على المطلوب لم يستحق المدح ما لم يصل بل لو لم يصل
لربما استحق الذم وثالثها ان اهتدى مطاوع هدى وان يكون المطاوع في خلاف معنى اصله نحو جمعته فاجتمع وكسرته
فانكسر الى غير ذلك والوصول معتبر في الاهتداء فكذا في الهداية واعترض على الاول ان المقابل بالضلال هو الهداية بمعنى
الاهتداء ورد بانه لا فرق الا باللزوم والتعدي لانه مطاوعه وعلى الثاني بان التمكن من الوصول الى المطلوب فضيلة
يستحق المدح وبان المراد بالمهدي في مقام المدح هو المنتفع بالهداية حتى ان من لم ينتفع ولم يهتد فكانه لم تحصل له
الهداية ورد بان التمكن مع عدم الوصول نقيصة وبان الاصل في الاطلاق الحقيقة والثاني بانه منقوض بمثل
امرته فلم ياتمر ورد بعد تسليم المطاوعة بانه نادر والحكم انما هو على الغالب وبان حقيقة الامر لا يحصل الا بالايتمار ما لم
يمنع مانع وههنا لزوم الجبر وسقوط الاختيار مانع وعورض الوجه بقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى

على الهدى واجيب بانه ليس المراد بهديناهم معناه الحقيقي بل معناه المجازي وهو افاضة اسباب الهداية من بعث
الرسول والتنبيه على الصراط المستقيم ورد بان الاصل الحقيقة واصله ان يتعدى باللام او الى كقوله قل الله يهدي
للحق افمن يهدي الى الحق فعومل معاملة اختار في واختار موسى قومه والمطلوب زيادة الهدى او الاثبات عليه وله
اسباب من افاضة القوى والآلات التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه ومنها بعث الرسل وانزال الكتب
ومنها تعريف الطريقين المشار اليه بقوله وهديناه النجدين ومنها اشراق النور في عالم النبوة والولاية اذ لا يهتدى به
الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي به التكليف وامكان التعليم واياه عنى بقوله قل ان هدى الله هو الهدى اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده اضافه الى نفسه واختصه به وهو المهدي المطلق سيما نورا في قوله افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه وقوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعن علي وابي هدنا ثبتنا وعن ابن عباس
ارشدنا وهو في حرف ابن مسعود وعن الكلبي امنا على دين الاسلام وصيغة الامر موضوعة لطلب الفعل سواء كان على سبيل
الاستعلاء فايجاب وندب والتضرع فدعاء او التساوي فالتماس والكل حقيقة والصراط من سرط الشيء اذا ابتلعه فكانه
يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم او بالعكس والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء لكونهما من المستعلية بخلاف
السين فانه من المنخفضة ففي الجمع بينهما بعض الثقل ومن قرا بالسين جاء به على الاصل وقال الكسائي لولا اني لا احب مخالفة المصحف
لقرات السراط لانه ماخوذ من سرط الطعام وقالوا مما يدل على انه هو الاصل استعمالهم الصاد فيه اذ لو كان الصاد هو الاصل لما ردت
الى السين لانهم لم يردون الاقوى الى الاضعف بل يردون الاضعف الى الاقوى ولانهم انما يستعملون القلب فيما اشبه زيادة
التجانس والخفة فلم يكونوا ليتركوا الصاد التي هي مجانسة للطاء واللفظ معهما اخف ويجعلوا مكان السين مع عدم مجانستها
لها وثقل اللفظ معها لما يحصل فيه من التصعد بعد التسفل وقد يشم الصاد صوت الزاء ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرا ابن عم
وابن ابي ليلى الزراط بالزاء الخالص والكل لغات معروفة وان ابن كثير قرا بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش
والثابت في الامام الذي جمع الناس عليه عثمان باجماع الصحابة رض وقرا زيد بن علي والضحاك والحسن صراطا مستقيما وقال داود سمعت
جعفر بن محمد يقرا صراط المستقيم بالاضافة وانا اصلي خلفه كذا في كتاب غرائب القران ويجمع صرط ككتب يذكر ويؤنث كالطريق
والسبيل والمستقيم المستوي وقيل القيم كقوله ذلك الدين القيم وقيل الثابت يعني الصراط الثابت بالبراهين والادلة والمراد بالصراط
المستقيم طريق الحق وقيل ملة الاسلام وقيل القران واصله الطريق الواضح الذي لا عوج فيه صراط الذين انعمت عليهم بدل
بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل كانه كرر اهدنا كما كرر اللام في قوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقوله لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان الطريق المستقيم هو صراط المسلمين شهادة له بالاستقامة على ابلغ وجه
واكده لما فيه من التفصيل بعد الاجمال والتفسير بعد الابهام والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام لغرض الشمول
اذ الاسلام هي النعمة كل النعمة وقيل الانبياء عم وقيل اصحاب موسى وعيسى قبل النسخ والتحريف وعن عاصم عن ابي العالية انه النبي عم
وصاحباه ابو بكر وعمر رض قال عاصم ذكرت ذلك للحسن البصري قال صدق والله ابو العالية وقرا عبد الله صراط من انعمت
عليهم وفي كتاب غرائب القران روي عن عمر وعلي وعبد الله بن الزبير وعلقمة والاسود صراط من انعمت عليهم اي منت عليهم بالهداية

والاستعانة والانعام ايصال النعمة قال الجوهري النعمة اليد والصنيعة والمنة وما انعم به عليك وقيل هي في الاصل
الحالة التي يستلذ بها الانسان فاطلقت لما يستلذ من نعمة وهي اللين ونعم الله تعالى على كثرتها ترجع الى دنيوي
واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح واشراقه بالعقل وما يتبعه
من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة
وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن
بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يعفو ما فرط من الانسان ويرضى عنه ويبوئه
في عليين مع المقربين ابد الآبدين والمراد هو الثاني وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان من عدا ذلك يشترك
فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب
والضلال او صفة له على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي الايمان كاملا وبين السلامة من الغضب والضلال
وعن ابن كثير نصب على الحال عن الضمير المجرور او على المدح او الاستثناء ان فسر الانعام بما يعم المؤمن والكافر وهي قراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب ورويت عن علي وابن الزبير وابن عمر وابو حيوة وابن ابي عبلة ورواها
الخليل واصل ذلك ان غير من الفاظ الاستثناء وان حكمه حكم الاسم الواقع بعد الا يجيز فيه البدل والنصب في غير الموجب
وتنصبه في الموجب والمنقطع وعند التقديم وان اصله ان يكون وصفا يتبعه اعراب ما قبله ومعناه المغايرة
خلاف المماثلة ودلالة عليها من جهتين ذاتا وصفة وهو من اسماء توغلت في ابهامها فهي نكرات وان اضيفت الى
المعارف فتوصف بها النكرات كقولك رايت رجلا غيرك او مثلك او شبهك ولذلك يقع غير صفة لقوله الذين انعمت
عليهم اذ لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فانه لم يقصد به معهود لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف
فليس شيء بعينه والموصول في هذا المعنى كالمعرف باللام وله نظاير مما نطق به التنزيل نحو قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا
فان يحمل صفة للحمار ولا غير المغضوب عليهم ولا الضالين خلاف المنعم عليه فليس في غير اذا الابهام الذي يابى عليه ان يتعرف
فعلى هذا يكون غير المغضوب عليهم معرفة بناء على اشتهار المنعم عليهم بمغايرة المغضوب عليهم وتقرير المقام ان لغير ثلثة
مواقع ان يقع موقعا لا يكون فيه الا نكرة وهذا اذا اريد النفي الساذج نحو مررت برجل غير زيد وان يقع موقعا لا يكون
فيه الا معرفة وهذا اذا اريد به شيء قد اشتهر بمغايرة المضاف اليه ومضادته في معنى لا يضاده فيه الا هو نحو مررت
بغيرك اي المشهور بمضادتك الا ان هذا الوجه لا يحسن ان يجري صفة والثالث ان يقع موقعا يكون فيه تارة نكرة
وتارة معرفة نحو مررت برجل كريم غير لئيم والرجل الكريم غير اللئيم قال عبد القاهر غير المغضوب عليهم من قبيل القسم الثالث
فيجعل فيما تقدم من قبيل القسم الثاني وقولنا ان فسر الانعام بما يعم المؤمن والكافر تحقيقه ان ما اعطى الكفرة
عاجلا من الغنى وسلامة البدن ونحو ذلك فهي نعمة على الحقيقة عند الحنفية وعليه المعتزلة واما عند الاشعرية
فهي نقمة وليست بنعمة لانها سبب العذاب في الآخرة والنعم ما يتوسل بها الى الجنة فكل ما يتوسل به الى النار فهي
عقوبة واحتجوا بانه لو لم يكن نعمة لم يجب الشكر على ابتداء تلك النعم اليهم واذا لم يجب لم يجز العذاب بتركه فاستحقاقهم

ما استحقاقهم العذاب بذلك دليل على كونها نعما في حقهم وايضا لا يمكن ان يقال انهم ما نعموا بالدنيا طول عمرهم وما انعم الله
عليهم بشيء من نعمة على انه قال واذا انعمنا على الانسان اعرض وناى بجانبه وقال فكفرت بانعم الله اخبارا عن اهل قرية
كفروا بنعمه تعالى بعد ما انعم عليهم وقيل ان الرحمن معناه المنعم على المؤمن والكافر بالنعم وقال معاذ قال النبي عم بئس القوم
اليهود انعم الله عليهم كثيرا بمحمد واذلك بكفر النعم حتى صير الله تعالى منهم القردة والخنازير واذا ثبت ذلك فقوله انعمت
عليهم بها يشمل المؤمن والكافر لما مر من تحقق نعم الله في حق جميع الناس فيكون غير المغضوب استثناء منه والغضب غليان القلب
ارادة الانتقام وهذا من الاعراض النفسانية التي لا تخلو عن تغير ونقصان كالصبر والحياء والخداع والرحمة والاستهزاء
ونظاير ذلك مما امتنع ثبوته لله تعالى وتقدس لما قام عند البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب والحياء مثلا لله حملها
على الغاية والمنتهى كما مر تحقيقه وعليهم الاولى محلها نصب على المفعولية بخلاف الثانية فان محلها الرفع على الفاعلية
وقرا الحسن والجحدري عليهم بكسر الهاء واشباع الميم حتى يصلها بياء وابن ابي اسحاق وعيسى عليهما بضم الهاء والميم
ولا مزيد لتاكيد ما في غير من معنى النفي والتنصيص على شمول العدم بمعنى ان النفي متعلق بكل من المعطوف والمعطوف عليه وتوضيح
ذلك ان الواو اذا استعملت في النفي ودلت قرينة على انها لشمول النفي وسلب الحكم عن كل واحد فهي لشمول العدم كما اذا حلف
لا يرتكب الزنا واكل الحرام وكما اذا اتى بلا الزائدة المؤكدة للنفي نحو ما جاني زيد ولا عمرو وان لم تدل على شموله فهو لعدم الشمول
وهذا الثاني ليس بمقصود ههنا فذكره لتكميل الكلام وهذا اي كونها مزيدة للتاكيد انما هو على راي البصريين والكوفيين
انها بمعنى غير وعن عمر وعلي رضي انهما قرا غير الضالين وعن ابي عبيدة بلغنا ان عمر قرا غير المغضوب عليهم غير الضالين فيهما
على المدح اي وليك اوهم وعلى هذا يجوز ان يكون نصبهما على المدح وقرا ولا الضالين بالهمزة هربا من التقاء الساكنين
وعن سعيد بن عمرو كان ايوب السختياني احرص الناس على الهمزة حتى همز ولا الضالين بهمزة مفتوحة وهي لغة معروفة عند
العرب في كل الف وقع بعدها حرف مشدد نحو جان ودابة وانما قلبت الالف همزة ليصح حركتها لئلا يجتمع الساكنان والضلال
عدم الاهتداء بالجور عن المنهاج فاستعير للعدول عن السداد في الدين عن الطريق السوي عمدا وخطاء وله عرض عريض والتفاوت
ما بين ادناه واقصاه كثير وما ذكرنا فهو تصريح بان الهداية والضلالة متقابلان تقابل العدم والملكة وقيل المغضوب عليهم اليهود
لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله قد ضلوا من قبل وقد روي مرفوعا وقيل المغضوب عليهم كل من اخطا
في العمل والضالين كل من اخطا في الاعتقاد لان اللفظ مطلق والتقييد خلاف الاصل ويؤيده دخول حرف التعريف عليهما
وقوله عم اربعة اصناف من امتي ليس لهم في الاسلام نصيب ولا تنالهم شفاعتي ولا ينظر الله اليهم ولا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم
عذاب اليم المرجئة والقدرية والجهمية والرافضة وقيل المغضوب عليهم المشركون والمنافقون لقوله ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين الى قوله وغضب الله عليهم والضالين اهل البدع والاهواء لقوله ومن اضل ممن اتبع هواه
وقوله عم اهل البدع شر الخلق وقوله كل بدعة ضلالة ومن محاسن النكت ولطائف المعاني ههنا انه اسند النعمة الى نفسه بطريق
الخطاب تقربا ولما صار الى ذكر الغضب عدل عن ذلك الى الغيبة تقربا ومعنى الغيبة ترك الخطاب فقيل ولم يصرح باسناد
الغضب اليه ادبا آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما سميت باخواته الافعال وقال بعضهم انها اسما

للمصادر النايبة مناب الافعال وجعلها اسما للافعال قصر للمسافة ولهذا قال الزجاج ان امين حرف موضوع
موضع الاستجابة كما ان صه موضوع موضع السكوت وعن ابن عباس رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وبنى على الفتح لاجتماع الساكنين وعن مجاهد انه اسم من اسماء الله ومعناه يا الله
استجب دعانا وقيل معناه كذلك فليكن وقيل ليست بعربية بل لغة سريانية بناء على ان فاعيل مثل هابيل وقابيل
مما لم يوجد في ابنية العرب والجمهور على انها عربية واصله امين على وزن فعيل فاشبع فتحة الهمزة فتولدت من ذلك
الف كما في انتزاح ومن ثم قالوا فيه لغتان مد الفه وقصرها قال في الممدود يرحم الله عبدا قال آمينا وقال
في القصر امين فزاد الله ما بيننا بعدا قدم للاهتمام وليس من القرآن وفاقا وعن الحسن لا يقولها الامام لانه
الداعي يعني بقوله اهدنا وعن ابي حنيفة مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها لما رواه عبد الله بن مغفل
وانس رض وعند الشافعي يجهر بها في الجهرية لما روى عن وائل بن حجر ان النبي صلعم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين
ورفع بها صوته والمأموم يؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة
يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وقوله عم اذا امن القاري فأمنوا فانه من وافق
تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعن النبي عم علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة
وقال انه كالختم على الكتاب وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل في
التورية والانجيل والفرقان مثلها قلت بلى يا رسول الله فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي
اوتيته وكلمة لم تنزل للتأنيث لكونها مسندة الى مثلها بمعنى سورة تماثلها وعن حذيفة اليماني ان النبي عم قال ان القوم
ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع
عنهم العذاب بذلك اربعين سنة وعن ابن عباس رض قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال
ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم اعلم ان للعلماء في الآيات المتشابهة مذهبين الاول ان علمها وتأويلها
موكول الى الله تعالى وهكذا في المتشابه من الاخبار والقدوة فيه ابو بكر وعمر وعثمان رض وعلي وعبد الله
ومعاذ وسلمان وكثير من التابعين فقال ابو بكر رض لله سر وسر الله في القرآن اوائل السور وقال عمر وعثمان وابن مسعود رض
ان الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر وقال الشعبي والزهري ومالك ووكيع والاوزاعي وغيرهم الم وساير حروف
الهجاء في اوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فنحن نؤمن بها ونكل العلم فيها الى الله الملك
العلام وفائدة ذكرها طلب الايمان بها قال الاوزاعي سألت الزهري عن بعض الاخبار المتشابهة فقال من الله
العلم وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم امروا احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءت وكذا روى
سالم بن هاني عن وكيع وعبد الله بن نافع عن مالك واليه ذهب الجم الغفير من فقهاء الاثر وعلماء النظر
يرون روايتها ولا يرون البحث عنها ولا يؤولونها الثاني ان البحث عن متشابه التنزيل والحديث
واجب في الاصول والمعقول فرارا من تعطيل الصفات وآفة التشبيهات والقدوة في هذا علي وابن عباس وعليه
كثير من المحققين قالوا بمعرفة المحكم والمتشابه يتميز الفاضل من غيره والحكيم من المتعجرف ورد المتشابه منهما على ما جاء
طريق سهل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانما يتبين التميز والفضل بالبحث واستخراج الحكم من الآية
والسنة وحملها على ما يوافق الاصول ويصحح المعقول فقال علي كرم الله وجهه هو اسم من اسماء الله فرقت حروفه في
السور ومما هو في معناه ما قال سعيد بن جبير هذه الحروف منها ما يهتدى الى كيفيات تركيبها مثل الر حم ن
فان مجموعها الرحمن ومنها ما لا يهتدى الى كيفية تركيبها فاسم الله الاعظم فيها وقال ابن عباس رض الم معناه انا الله
اعلم وقال محمد بن كعب الالف آلاؤه واللام لطفه والميم ملكه قال الزجاج وهذا احسن فان العرب تذكر حرفا من كلمة تريدها
وقيل الالف الله واللام جبريل والميم محمد صلعم وقيل كل حرف منه مفتاح اسم من اسمائه تعالى قلت ان الاكل في هذا قول النبي عم
تعلموا ابجد وتفسيرها ويل للعالم جهل تفسيرها الالف الله واللام الله وحرف من اسماء الله والباء بهاء الله والجيم بهجة الله
والدال دين الله فان قلت قد علم من كلامهم انهم سموا الالفاظ التي يتهجى بها حروفا حيث قالوا انها الحروف المقطعة
ونحو ذلك مما يتأدى بانها حروف فما بال المتأخرين فصلوا القول بالاسمية حتى ان الموثوق بهم من ائمة العربية قد صرحوا بانها
اسماء قلت سميت هذه الالفاظ حروفا مجازا وانما هي اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها تركيب الكلام لصدق حد الاسم
عليها دون الحرف ولانها متصرف فيها بما يختص بالاسم من التعريف والتنكير والاسناد والاضافة مثلا وناهيك لتصريح الخليل
وابي علي دليلا بينا على صحة ذلك حيث قال لاصحابه كيف تلفظون بالكاف في لك والباء في ضرب قالوا كاف فقال انما
جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وقال ابو علي في بحث امالة يا من يا سين انهم قالوا يا زيد في النداء فاما لوا
وان كان حرفا فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف لاجل الياء فلان يميلوا الاسم الذي هو يا سين اجدر واما قوله عم
لا اقول الم حرف ولكن اقول الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به المعنى اللغوي لا المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيص
الحرف به اصطلاح جديد ولعله سماه باسم مدلوله وهي ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز موقوفة خالية عن الاعراب لفقد
المقتضي والعامل الا انها صالحة له لانها من اسماء معربة دون مبنية اذ لو بنيت لكان وزانها وزان اين وهولاء ولم يقل صاد ق
مفتقرا فيهما التقاء الساكنين ولما كثر استعمالها موقوفة اشتبهت المبنيات التي اجتمع في آخرها ساكنان فعوملت تارة معاملة
هولاء واخرى معاملة اين فمن قرأ صاد وقاف ونون بالكسر راعى ما هو اصل حركة الساكن كهولاء ومن قرأ بالفتح حركه للخفة
كاين والآن والاحسن ان يقال ذلك نصب وليس بفتح وعدم دخول التنوين انما هو لامتناع الصرف للتعريف والتأنيث
لكونها بمعنى السورة وقد عرفها من قرأ صاد بالجر والتأويل على اول الكتاب مثلا قالوا انتصابها اما بفعل مضمر نحو اقرأ
او بحذف حرف الجر واعمال فعل القسم والاول هو الوجه لان من قرأ بالفتح لو جعل منصوبا على حذف حرف الجر واعماله لزم
العدول عن الوجه المستحسن الى الوجه المستكره بلا ضرورة لوجهين الاول ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح مقسم بهما
فلو جعلت منصوبة على ذلك التقدير لكانت ايضا مقسما بها فاجتمع قسمان على مقسم عليه واحد وانه لمستكره ولهذا
قال الخليل الواو الثانية والثالثة في قوله والليل اذا يغشى واو العطف فقال سيبويه قلت له لم لا يكونان واو القسم قال

انما اقسم بهذه الاشياء على شي فاشتركت في مقسم عليه واحد فلا بد من حرف التشريك وهو واو العطف لان استعمال
كلام آخر بدون حرف التشريك انما يجوز اذا كان انقضى قسمه الاول على شي كقولك بالله لافعلن كذا بالله لاخرجن اليوم
واما اذا لم يكن كذلك بل كان القسم الاول متوجها الى ما توجه اليه الثاني كقولك وحقك وحق زيد فجعل الواو الثانية للقسم
دون العطف ليس بقوي لما فيه من قصد التشريك بلا دلالة عليه ولا يخفى ان في هذا الكلام اشارة الى ان ذلك غير ممتنع
لكنه يجوز على استكراه الثاني انه لو وقع موقع الواو الفاء وثم كقوله والذاريات ذروا فالحاملات وقرا وكما يقال وحياتك
ثم حياتك لافعلن كان المعنى على حاله فانه كما ان الفاء وثم للعطف كذا الواو لكن ما بعد الواو ههنا مجرور وما قبلها منصوب
فلا يجعل للعطف فتعين القسم الاول ولزم الاستكراه فلم يصح حمل انتصابها على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم فحمل على الانتصاب
بفعل مضمر ثم ان سيما انها لما كانت بسائط الكلم واصولها التي ركبت منها افتتحت السور بطائفة من الاسماء ووردت مسرودة
على نمط التعديد ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم من عين ما ينظمون
منه كلامهم فلو كان كلام البشر لم يرتق في البلاغة الى ان يخرج عن طوقهم ولم تتظاهر معجزتهم عن الاتيان بمثله ولم تتساقط مقدرتهم
دون معارضته على انهم كانوا الحراص على التسابق في رهان المفاخر والمتهالكين على ركوب الشطط في افتنان القصيد والخطب
وامتحان المفاخر وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية
الاقدام بخلاف النطق باسماء الحروف فانه مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق
للعادة استبعاد الكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما عجز عنه مصاقع الخطباء من اقرانهم وابكم شقاشق العرباء
باسرهم وهو انه اورد في هذه الفواتح منها اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد الالف والهمزة حرفا واحدا
كما هو راي البعض في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وتلك الالف والميم واللام والصاد والراء والكاف
والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون مشتملة على انصاف اجناس الحروف وذلك انها من
المهموسة المجموعة في قولك ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن المجهورة نصفها يقطع
امر ومن الشديدة المجموعة في اجدك قطبت نصفها اقطك الالف والقاف والطاء والكاف ومن المنفتحة وهي
ما عداها نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون
ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة
وهي ما عداها نصفها احد عشر ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها مجموعة في قد طبج نصفها القاف
والطاء وقال الاكثرون من اتباع الحروف التسعة والعشرين ستة عشر على هذا النهج ومن حروف البدل وهي احد عشر
نصفها الستة المشهورة المجموعة في اهطمين فانهم عدوا ثمانية من حروف الزيادة وهو عدا السين واللام وزادوا ثلثة
اخرى وهي الجيم والطاء والدال وقيل اثنى عشر بزيادة اللام وقيل اربعة عشر بزيادة الصاد والزاء وقيل ثمانية عشر بزيد
بالثلثة المذكورة وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط وزراط وباربعة اخرى هي الفاء في اجداف والعين
في عن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك وعلى هذا الراي نصفها تسعة المذكورة واللام والصاد والعين والنون

والقول الاول هو الشايع المشهور مما ذهب اليه سيبويه وابن جني ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر
الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والظاء والسين والواو والزاء والفاء
نصفها الاول ومما يدغم فيهما وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام
والنون لما في الادغام من الفصاحة والخفة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما تقاربها وتدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاء
والسين والفاء نصفها واما الحروف الحلقية الست والذولقية الست المجموعة في رب منفل فلكثرة استعمالها في الكلام ورد
ثلثيهما وقد اورد من الحروف الزايدة التي يشملها قولك سالتمونيها او السمان هويتا او اتاه سليما او اليوم تنساه سبعة
اشعارا بان ابنية المزيد لا يجاوز السباعية ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المذكورة الغالي والله ذكرها من كل
جنس من الاجناس المعدودة المكثورة بالمذكورة بناء على ان الحروف المذكورة كثيرة الدور والاعمال في السنة العرب وتراكيب كلامهم
وغير المذكورة قليل الاستعمال فقامت المذكورة مقام الكل تنزيلا لمعظم الشي والعدد الكثير منه منزلة كله فكانه قد عدد
عليهم بهذه الاسماء القايمة مقام الكل جميع الحروف التي منها تراكيب كلامهم ايقاظا لهم وتبكيتا ومما يويد انه تحدى بالذكر من
حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما في التراكيب جاءا مكررين لفظا ومعنى في معظم
هذه الفواتح وهي ثلثة عشر سورة ثم ايرادها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية تنبيه على ان المتلو عليهم مما نزل
بلسانهم مصبوبا في اساليب كلامهم واستعمالاتهم فان العرب كان ابنية كلماتهم على كلمة وكلمتين الى خمس كلمات لم يجاوز
ذلك المسلك فانه قد جاءت ثلث مفردات في ثلث سور واربع ثنائيات في تسع سور طه وطس ويس وحواميم ما عدا
حم عسق وثلث ثلاثيات في ثلثة عشر سورة الم في سورة الست والر في سورها الخمس وطسم في سورتيهما ورباعيتين المص
المر وخماسيتين كهيعص وحم عسق فان قلت اذا كان المقصود من تعديدها الايقاظ والتبكيت فهلا عددت جملة الحروف
باساميها في اول القرآن قلت لانها اسماء السور وعليه اطباق الاكثر ومن ثم جاءت مفرقة على السور وقيل لان عادة التنبيه
على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر في الاسماع والقلوب من ان يفرد
ذكره مرة وفي التسمية تنبيه على انها كلم عربية معروفة التركيب فلو كان من عند غير الله لم يعجزوا عن آخرهم عن الاتيان
بمثل اقصر سورة منها لا يقال القول بانها اسماء السور خروج عن كلام العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم
بل تعود الى ما ليس في لغتهم لانا نقول التسمية بثلثة فصاعدا انما تستنكر اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة معدي كرب
فاما اذا جعلت غير مركبة ونثرت نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بالجمل
نحو ذري حبا مثلا وكما لو سمي ببيت شعر وان قلت لو كان اسماء لها لزم اتحاد الاسم والمسمى قلت لا نسلم انه يلزم ذلك لان الاسم هو جزء
السورة والمسمى كلها فلا اتحاد فان قيل جزء الشي متقدم عليه واسم الشي متاخر عنه فجزء الشي لا يكون اسمه قلنا في لا زمنا انما اجيب
بان الجزء متقدم من حيث ذاته ومتاخر باعتبار كونه اسما فلا اشكال فان قيل هذه الفواتح التي جعلت اسماء السور هي الاسامي
للحروف لا المسميات التي هي نفس الحروف وقاعدة الخط ان يكتب بصورة طاسين لا بصورة طس فاذا خولفت القاعدة وكتبت في
المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور اسمائها فان ذلك يدل على انها ليست اسماء للسور اجيب بانه لا شك ان جميع الكلم

مركبة من الحروف فاستمرت العادة اذا تهجيت وقيل للكاتب اكتب الف با تا مثلا ان يلفظ بالاسماء ويكتب بالحروف عمل في كتابة
هذه الفواتح على تلك الشاكلة المألوفة واتى يلفظ بالاسماء وهي الف لام ميم ويكتب بالحروف وهي الم وايضا لا يلتبس
في هذه الفواتح ان المقصود هو التلفظ بالاسماء او ثبت في الكتابة ما هو اوجز واخف وهو صور الحروف وذلك لوجود
شهرة امر هذه الفواتح فانها تمنع الالتباس وان ليست الفائدة في التلفظ بها اذا لم يكن متحراة فان اللافظ لو لم يتهج بها
ولا يقول الف لام ميم بل يقول الم لا يخلو بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال احد الا مورده الذي هو عليه وهو ان
يتلفظ بالاسم مثل ص وق اذ لو كان ق مثلا امرا لكتب بالهاء وايضا فقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن قياس
علم الخط والهجاء واتباع خط سنة لا تخالف وقيل استدل على انها اسماء للسور بانها لو لم تكن مفهمة لكان الخطاب بها
كالخطاب بالمهمل والتكلم مع الزنجي بالعربي ولم يكن القرآن بأسرها بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كان مفهمة واما ان
يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب
وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم
لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي
منها اقتصر عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روي عن ابن عباس رض انه قال الالف آلاء الله واللام
لطف الله والميم ملكه وعنه الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان
الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد صلعم اي القرآن العظيم نزل من الله تعالى بلسان جبريل على محمد صلعم والى مدد اقوام
واجال بحساب الجمل كما قال ابو العالية متمسكا بما روي انه عم لما اتاه اليهود وتلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل
في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلعم ثم قالوا هل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري
بايها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية
لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقرطاس او دلالة على الحروف المبسوطة
مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى
ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم ويودي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تأخر
الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع
والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم يستعمل للاختصار
في كل كلمة معينة في لغتهم واما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي
الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا يرى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير ولا تخصيص بهذه المعاني دون غيرها
اذ لا تخصيص لفظا ومعنى وقد قصد لا تفسير فيه نظر كما لا يخفى فان قصد الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك لهو تصريح
وتفسير ولا حساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل عليه لجواز انه عليه الصلوة والسلام تبسم تعجبا من جهلهم
وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه محوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها وهذا ليس بمرضي عندنا بل الحق

بل الحق ان كلا من هذه الوجوه ونحوها مما يأتي محتمل غير ممتنع وانما الممتنع التخصيص ببعضها وقد قال
ابن عباس رضي الله عنه والكلبي والاخفش وغيرهم من اكابر الائمة انها مقسم بها حيث قالوا اقسم الله بهذه الحروف
لشرفها وفضلها اذ هي مباني اسمائه الحسنى وقد تقدم الجواب عن الاخيرين التسمية والاتحاد وعن التأخر بانه لا مزيد عليه
الا ان الوجه الاول للتحقيق واوفق للطائف التنزيل واختصارا انه واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك
في الاعلام من واضع واحد فانه واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل هي اسماء الله ويدل عليه
ان عليا رض كان يدعو اذا اصعب عليه امر يا كهيعص يا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل اسماء القرآن ولذلك
اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها سر الله كما هو مذهب اصحاب النبي عم وغيرهم قال داود بن ابي هند كنت اسئل الشعبي
عن فواتح السور فقال يا داود ان لكل كتاب سرا وان سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك وفي بعض الكتب
قال الشعبي ان لله سرا جعل في كتبه وان سره في القرآن هو الحروف المقطعة ولا يخفى ان قولهم انها اسرار الله استأثر
الله بعلمها يدفع ما قيل لعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله صلعم ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد
الخطاب بما لا يفيد على ان عدم علمهم بمعانيها لا يقتضي ان لا يفيد شيئا وان لا يكون لذكرها معنى في حيزها لما مر من
انه قد ذكر اسماء هذه الحروف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز وايضا يجوز ان يكون تنبيها على
انها اسما للسور التي اعجزت العرب وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها
والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه ووسطه وآخره ذكر الله تعالى
فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم فانك اذا جعلتها اسماء الله او السور او القرآن او حروف المعجم كان لها
محل من الاعراب رفعا ونصبا وجرا لمشابهتها الاسماء الاعلام اما الرفع فعلى الابتداء او الخبر واما النصب فعلى حذف حرف
القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب او على اضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع
الصرف للتأنيث والتعريف على ما ذكرت ويجوز ان يكون انتصابها بفعل مضمر نحو اذكر او اقرأ وقد اجاز سيبويه مثل ذلك
في طس ويس وحم لو قرئ به واما الجر فباضمارها بالقسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن بالجر ونظيره قوله لاه ابوك
ويؤيده ما روينا عنهم انهم قالوا اقسم الله بهذه الحروف لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه ومباني
كتبه المنزلة ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كان اسما مفردا نحو صاد وقاف ونون او موازنا للمفرد نحو حم وطس فانهما كـ
هابيل والحكاية فيما عدا ذلك نحو الم وكهيعص واما ان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة حروف التنبيه فلا حظ لها
من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويرد على الاول انه ينبغي ان يتعين الاعراب ولا يسوغ الحكاية كسائر الاعلام
المنقولة من المفردات او المركبات من كلمتين ليست بينهما نسبة وانما الحكاية فيما وقع علما للنفس في ذلك مثل ضرب فعل ماض وفي حرف جر
اشعارا بانه لم ينقل عن الاصل بالكلية او كانت جملة واما اذا جعل مثل ضرب من اعتبار الضمير اسم رجل فلا وجه للحكاية واجيب
بان ذلك في هذه الاسماء خاصة اذا جعلت اعلاما للسور خاصة اما اذا جعل صاد مثلا علما للرجل والفاتحة علما للسورة
فلا حكاية وذلك لانها قد استمرت ساكنة الاعجاز وكثر استعمالها كذلك فكانها نقلت على تلك الهيئة سيما وفيها سمة

ملاحظة الاصل من جهة ان مسمياتها مركبة من الحروف المبسوطة فعليها سعة من قولك ضرب فعل ماضي ومن حرف جر والحكاية
ان أتى بعد نقلها استبقا صورتها الاولى كقولك قرأت الرحمن علم القرآن وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت
لصيدح انتجي بلالا وقال الآخر وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وكقوله تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي
وروي منصوبا على انه مفعول به او مصدر والظرف متعلق به ومجرورا على هذا لا حكاية وقال سيبويه سمعت من العرب لا من ان
بانتي ابي عني عن هذا السؤال واساله ما هو الاهم فادخل لا على كلام السائل وحكاه على حاله ويوقف عليها وقف التمام ان ذات جملت
على معنى مستقل بحيث لا يحتاج الى ما بعده وذلك اذا رفعت على الابتداء او الخبر او نصبت بفعل مضمر او القسم محذوف الجواب
وكذا اذا جعلت بمنزلة الاصوات وجعل كل حرف منها من كلمة والوقف قطع الكلمة عما بعدها فان كان على كلام مفيد فحسن
وان كان على كلام غير مفيد فناقص ثم ان كان ما بعده متعلق بما قبله في الاعراب فهو الكافي والا فهو التام والكوفيون
على ان الم في سورها الست والمص وكهيعص وطه وطسم وطس ويس وحم آية وحم عسق آيتان والبواقي ليس باية وهذا توقيف
لا مجال للقياس فيه يروى انها عندهم في السور كلها آية وقيل في آل عمران ليس باية واما غيرهم فلم يعدوا شيئا منها آية
ذلك الكتاب ذا اسم الاشارة واللام جئ بها مزيدة وقيل للدلالة على البعيد وعليه الاكثر وكذا في هنالك والكاف للخطاب
يتصرف مع المخاطب في احواله من التذكير والتأنيث والتثنية والجمع والكل مما نطق به التنزيل وفرق بين ذا وذاك وذلك بان الاول
للقريب والثاني للمتوسط والثالث للبعيد وربما جعل البعد ذريعة الى التعظيم ومنه قوله تعالى الم ذلك الكتاب تنزيلا
لبعد درجته ورفعة محله منزلة بعد المسافة وقوله فذلكن الذي لمتنني فيه حكاية عن امرأة العزيز حيث لم يقل فهذا
وهو حاضر وكثيرا ما يذكر المعنى السابق بلفظ ذلك لان المعنى غير مدرك بالحس فكانه بعيد فذلك اشارة الى الم ان اول المؤلف
من هذه الحروف وفسر بالسورة او التنزيل او القرآن فانه لما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد او وصل
من المرسل الى المرسل اليه كانه وقع في حد البعد اشير اليه بما اشار الى البعد وتذكير اسم الاشارة اذا تعلق بالم السورة لتذكير
الكتاب لكونه خبره لتا وصفته فاجري حكم الخبر على المخبر في التذكير كما اجري عليه في التانيث في قولهم من كانت امك فان الضمير
عايد الى لفظ من وهو مذكر لكنه انث بالنظر الى امك او الى الكتاب فيكون الكتاب صفته والمراد به الكتاب الموعود بدعوة
ابراهيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم فانه لما دعا قيل له قد استجيب لك وهو
في آخر الزمان فبعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم وعلمه الكتاب وهو القرآن العظيم الذي نزل عليه وقيل بقوله
سنلقي عليك قولا ثقيلا وقيل الموعود على لسان موسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام ولفظ ذلك صالح للاشارة
الى كل غايب عيانا كان او معنى لكن الاصل في اسماء الاشارة ان تستعمل في المحسوسات وان كان استعمالها في غير المحسوسات
اكثر فان يحمى تنزيلا لغير المحسوس منزلة المحسوس والاشارة العقلية منزلة للاشارة الحسية وانما صار الاصل
فيها ذلك لان معرفة مدلول اسم الاشارة في اصل الوضع بالعين والقلب وما عداه بالقلب فقط ولهذا ذهب كثير من
المحققين الى انه اعرف المعارف وقيل ان ما لا يحس بالبصر فالاشارة اليه بلفظ ذلك وهذا سواء كما اذا دخل
دخل الامير البلد فقال السامع سمعت هذا ذلك كان صحيحا ايضا لانه اشارة الى الاخبار مما لا يحس عن دخول الامير

الامير والاخبار مما لا يحس بالبصر فمن حيث بالبصر اشبه المحسوسات الغايب ومن حيث هو مدرك بحاسة السمع اشبه الظاهر
المحسوس الحاضر ومن ثم قال مجاهد ومقاتل وعكرمه وابن جريج والكسائي والاخفش وابو عبيده ان معنى ذلك الكتاب
هذا الكتاب وفي رواية البخاري وقال معمر ذلك الكتاب هذا القرآن هدى للمتقين وما قيل من ان ذلك اشارة الى ما في التورية
والانجيل والم اسم القرآن او اسم اشارة الى التورية والانجيل كليهما والمعنى الم ذلك الكتاب او اشارة الى اللوح المحفوظ او
اشارة الى الوعد وهو انه تعالى قد كان وعد اهل الكتاب ان ينزل على محمد صلعم كتابا فذلك اشارة الى ذلك الوعد
وان معنى الكتاب اي الكتاب الذي كتبت على الخلائق بالسعادة والشقاوة والاجل والرزق او اي الكتاب الذي كتبت
على نفسي في الازل ان رحمتي سبقت غضبي فالكل من التاويلات البعيدة الا ان الم اسم القرآن وقال المبرد المعنى هذا
القرآن ذلك الكتاب الذي كنتم تستفتحون به على الذين كفروا وروي عن الكسائي انه قال ذلك اشارة الى القرآن
الذي في السماء لم ينزل بعد ومن عمل بظاهر لفظ ذلك جعله اشارة الى ما هو غايب عن النبي عليه السلام ومن جعل عبارة
عن هذا اشارة الى الكتاب الحاضر عنده وان كان بعضهم غير موجود تغليبا للموجود على ما لم يوجد والكتاب مصدر سمي به
المكتوب غلب في عرف الشرع على الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المنقول عنه البنا بين دفتي المصاحف تواترا والقرآن
في اللغة مصدر بمعنى القراءة وهي الجمع غلب في العرف العام على المجموع المتلو المعين من كلام المنزل على الرسول المنقول
نقلا متواترا ثم كل من الكتاب والقرآن يطلق تارة على الكل وتارة على الكلي الشامل للكل والبعض وقيل هو فعال بمعنى المفعول
كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه ان القرآن
ليس محلا للريب ومظنة لثبوته ولا ينبغي ان يرتاب في انه وحي من عند الله وليس معناه ان لا احد لا يرتاب فيه لقوله
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد الريب عنهم وانما ارشدهم وعرفهم الطريق الى ازالة ما ثبت لهم من الريب
وهو ان يستفرغوا مجهودهم في معارضة نجم من نجومه سورة من اصغر سورة ليسودهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتضار
المعارضة دونها ولم تظهر معجزتهم عن ان ياتوا بمثلها الا انه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر فيتحققوا عند
تساقط مقدرتهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور
والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي وانما لم يقدم الظرف على المسند اليه لئلا يفيد معنى هو بعيد عن المرام عن لا في
بالمقام وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه لان المقصود من ايلاء الريب حرف النفي نفي كونه محلا للريب واثبات انه حق
وصدق لا باطل وليس المقصود نفي الريب عنه واثباته في كتاب آخر وقيل لو قدم الظرف لافاد ثبوت الريب في سائر كتب الله
بناء على اختصاص عدم الريب بالقرآن وذلك باطل والريب مصدر رابه شككه والريبة الشك والتهمة ومنه الحديث
دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة اي دع ما يشككك ويحصل فيك الريبة وهي في الاصل
قلق النفس واضطرابها الا يرى كيف قابلها بالطمانينة وهي السكون وذلك لان النفس لا تستقر اذا شكت في امر ومتى
ايقنت سكنت ومنه ريب الزمان لنوائبه التي تقلق النفوس ومنه توهم عدم لا ريبه احد بشيء حين مر بظبي خائف اي لا يقلقه
ولا يحركه وكان ذلك في الاحرام وقرئ لا ريب فيه بالرفع وقراءة المشهورة بالفتح والفرق ان المشهورة توجب الاستغراق

وهذه تجوزه وذلك لان النكرة في سياق النفي اذا لم يقصد بها الواحد بصفة الوحدة او كانت مع من ظاهرة او مقدرة
نحو ما من رجل في الدار او لا رجل في الدار فهي للعموم قطعا لا تحتمل عدمه لكونه لنفي الجنس بالكلية فقوله لا ريب فيه في المشهورة
مبني لتضمنه معنى من الاستغراقية منصوب المحل على انه اسم لا التي لنفي الجنس العاملة عمل ان من حيث انها نقيضها ولازمة للاسماء
لزومها وفي غير المشهورة مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال والخبر محذوف
كما في لا ضير ولا باس والدليل على عموم النكرة المنفية النص والاجماع الاول قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى
في جواب ما انزل الله على بشر من شيء وجه الاستدلال انهم قالوا ما انزل الله على بشر من شيء فلو لم يكن هذا الكلام للسلب
الكلي لم ينتقض في الرد عليهم الايجاب الجزئي وهو قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الثاني كلمة التوحيد وذلك ان
قولنا لا اله الا الله كلمة توحيد اجماعا فلو لم يكن صدر الكلام نفيا لكل معبود بحق لما كان اثبات الواحد الحق تعالى توحيدا
والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب
فيه فيه هدى وقرأ الزهري فيه بضم الهاء حيث وقع والحسن فيهو مضمومة مشبعة وقرأ ابو عمرو فيه هدى بالادغام
وروى عنه عبد الوارث لا ريب فيه مدغما وفي حرف عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه منونا وذكر بعضهم ههنا
كلاما لا يخلو عن فايدة وهو ان الم اما ان يقدر بالمؤلف من هذه الحروف ويكون اسم السورة او القرآن او اسم الله او صفته
او فعل فهذه ستة اوجه فعلى الاول اما مرفوع بانه مبتدأ او خبر مبتدأ محذوفا ومنصوب بتقدير اقسم او اذكر
او نزع الخافض ومجرور بتقدير الحرف على تقدير ان يكون مبتدأ اما ان يكون ذلك خبرا عنه والكتاب خبرها او مبتدأ
ثانيا وما بعده خبر او عطف بيان وما بعده خبره والجملة خبر المبتدأ الاول او يكون ذلك بدلا عنه والكتاب خبره او يكون ذلك الكتاب
بدلا عنه وما بعده خبره او عطف بيان وما بعده خبره او جملة معترضة وما بعده خبره فهذه سبعة اقسام وعلى تقدير كل
قسم اما ان يكون لا في الريب بمعنى الجنس او بمعنى ليس وعلى التقديرين اما ان يكون خبره فيه او للمتقين او محذوفا فيصير
وعلى تقدير كل واحد اما ان يكون لا ريب فيه خبرا بعد خبر او بدلا او جملة مستانفة فيبلغ اربعة وعشرين ثم يضرب السبعة
في تلك الجملة يحصل مائة وثمانية وسبعين قسما وعلى تقدير كل قسم اما ان يكون هدى مرفوعا بكونه بدلا او خبرا بعد خبر
او خبر مبتدأ محذوف والجملة اما ان يكون بدلا او خبرا بعد خبر ومدحا او مستانفا او منصوبا على الحال والمدح فهذه
ثمانية اقسام واذا ضرب في مائة وثمانية وستين قسما حصلت الف وثلثمائة واربعة واربعون قسما وعلى تقدير ان
يكون خبرا فيصير الفين وستمائة وثمانية وثمانين قسما واما على تقدير ان يكون منصوبا لا يتمشى الاقسام السبعة
في ذلك الكتاب بل قسمان وهو ان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره او المجموع مبتدأ وما بعده خبره واما ان يكون
ذلك خبرا او بدلا او ذلك الكتاب مبتدأ او بدلا او خبرا بعد خبر ومدحا او استينافا او منصوبا على انه حال
فسا قط واذا كان كذلك فيضرب ذينك القسمين في اربعة وعشرين ثم لا ريب فيه يحصل ثمانية واربعون قسما
ويضرب تلك الاقسام في هدى للمتقين وهي ثمانية يحصل ثلثمائة واربعة وثمانون قسما وكذا اذا كان منصوبا بتقدير
اذكر او نزع الخافض او مجرورا بتقدير الحرف فيصير المجموع الفا وخمسمائة وستة وثلثين قسما واذا ضم هذا المجموع

الحاصل من كونه مبتدأ الم منصوبا بتقدير اقسم او اذكر او بنزع الخافض او مجرورا بتقدير الحرف الى ذلك المجموع الحاصل من كونه
مبتدأ او خبر مبتدأ محذوف يحصل اربعة آلاف ومائتان واربعة وعشرون قسما هذا على تقدير ان يكون الم مقدرا بالمؤلف
من هذه الحروف وكذا على التقدير الثاني والثالث فالمجموع يبلغ الى اثني عشر الفا وستمائة واثنين واما على تقدير الرابع فمبتدأ
او خبر مبتدأ محذوف وذلك الكتاب مبتدأ وخبر وذلك الكتاب مبتدأ وما بعده خبره فتضرب الاولين وهو كون الم
مبتدأ او خبر مبتدأ محذوف في الاقسام الحاصلة من ضرب هذين القسمين وهي ثلثمائة وستون قسما واذا ضم هذه الاقسام
الى الاقسام الحاصلة من كونه منصوبا بتقدير القسم او اذكر او بنزع الخافض او مجرورا وهي الف وخمسمائة وستة وثلثون قسما
يحصل الفان وثلثمائة واربعة اقسام واذا ضمت هذه الاقسام الى الاقسام السابقة يصير المجموع اربعة عشر الفا وتسعمائة
وستة وسبعين قسما هكذا يقال والاحسن ان يقال ان الآية يحتمل وجوها من الاعراب وهو الم على وجوهه الاربع والست
اما مرفوع على الابتداء او الخبرية او منصوب باضمار الفعل او حذف حرف القسم او مجرور باضماره وعلى تقدير الاول اما ان
يكون ذلك خبره والكتاب صفة ذلك ومعناه هو ذلك الكتاب المدعو او يكون ذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره على معنى
ان ذلك هو الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص ليس بكتاب كما تقول هو الرجل
اي الكامل في الرجولية كان من سواه بالنسبة اليه ليس برجل وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد او صفته وما بعده خبره
والجملة خبر المبتدأ الاول وعلى الثاني وهو ان الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ذلك يكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب
صفته ويجوز ان يجعل الم بمنزلة الصوت وذلك مبتدأ خبره الكتاب او الكتاب صفته والخبر ما بعده او ذلك خبر مبتدأ محذوف
اي هو المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب لا يمكن ان يعرب عن هذه المحال التي هي مجرد محتملات اللفظ صفحا وان يقال انها
جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولهذا لم يدخل العاطف بينهما فالم طائفة من حروف المعجم مستقلة وذلك الكتاب
جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة فترى كيف ترتيب الجمل من غير حرف العطف وذلك لمجيئها متآخذة
بعضها بحجزة بعض فالم جملة لبيان التحدي بالقرآن سواء كانت مسرودة للتعديد او اسما للسورة تنبيها على ان المتحدى به
مؤلف من الفاظ التي منها تراكيب كلامهم ثم قرر جهة التحدي بالجملة الثانية الدالة على انه الكتاب المنعوت بغاية الكمال
ثم قرر جهة الكمال بنفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين ثم قرر جهة نفي الريب بانه
هدى للمتقين فانه يؤكد كونه حقا لا ياتيه الباطل ويقينا لا يحوم الشك حوله او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع
البدل للمبدل او البيان للمبين والتاكيد المعنوي او استتباع التاكيد اللفظي اما الاولى والثانية فلما بينهما من كمال
الاتصال لما مر من كون ذلك الكتاب بدلا او تقريرا وبيانا للتحدي به واما الثانية والثالثة فلما بينهما من كمال الاتصال
ايضا لكون الثانية بدلا عنها او بيانا لها او مؤكدة لها تاكيدا معنويا لدفع توهم تجوز او غلط وذلك انه لما بولغ في وصف
الكتاب بانه بلغ الدرجة القصوى في الكمال حيث جعل المبتدأ ذلك وعرف الخبر باللام جاز ان يتوهم السامع قبل التامل ان
ذلك الكتاب مما يرمى به جزافا من غير صادر عن روية وايقان فاتبعه لا ريب فيه نفيا لذلك التوهم وقد اجيب به المخبر ابتاعه
نفسه زيدا انا الماعسى يتوهم السامع انك في قولك نفسه زيدا متجوزا او ساه وكذلك الرابعة مؤكد للذي قبله

ومقررة لمضمونه لان قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه مسوق لوصف القرآن بكماله لكونه هاديا وقوله
هدى للمتقين تاكيد وتحقيق لقوله لا ريب فيه وزيادة تثبيت له كانه قيل لا ريب فيه هو لا ريب كما ان لا ريب
فيه تاكيد وتحقيق لذلك الكتاب تاكيدا لفظيا على راى فانه ذكر في دلائل الاعجاز انه بمنزلة التاكيد اللفظي
حيث قال لا ريب فيه بيان وتحقيق لقوله ذلك الكتاب وزيادة تثبيت له وبمنزلة ان يقول هو ذلك
الكتاب هو ذلك الكتاب فتعيده مرة ثانية لتثبته وقيل تستتبعها استتباع الدليل للمدلول وبيانه
انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه
انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك
والشبهة وما كان كذلك لا محالة هدى للمتقين ثم في كل واحد من الاربع بعد ان نظمت هذا النظم الرشيق
نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز باحسن وجه
والطفه وفي الثانية ما في جعل المبتدا لفظ ذلك وتعريف الخبر من المبالغة والفخامة بشهادة الاصول البيانية
من ان ذلك اسم الاشارة للبعيد اذا استعمل في القريب يفيد بحسب المقام التعظيم وبعد الدرجة وعلو المرتبة وان الخبر
اذا عرف بلام الجنس يفيد الحصر في المسند اليه وان الحصر اذا لم يكن حقيقيا كان مبالغة في كماله ونقصا ما عداه حتى التحق
بالعدم فصار الجنس منحصرا فيه لذلك فيؤول المعنى الى المبالغة كانه قيل هو الكتاب البالغ اعلى درجات الكمال لا غير كان
ما عداه لا يستحق ان يسمى كتابا او هذا الكتاب البالغ في كماله اعلى درجات الكتب هو الذي يستحق ان يسمى كتابا لا غيره
وفي الثالثة ما في تاخير الظرف عن الريب حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر مبالغة والكناية
المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف على ما سياتي بيانه وايراده منكرا للتعظيم والايجاز في ذكر المتقين فان معنى
هدى للمتقين ان الكتاب في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها لما في تنكير هدى من الابهام والتفخيم حتى كانه هداية
محضة حيث وضع المصدر موضع الوصف الذي هو هاد هدى للمتقين يهديهم الى الحق والى طريق مستقيم والهدى
مصدر كالسرى والبكى ومعناه الحقيقي خلق الاهتداء قالوا ان مثل هداه فلم يهتد مجاز عن الارشاد والتنبيه
والدلالة والدعوة الى الاهتداء وقد يجيء بمعنى التوفيق وخلق الايمان في القلب وافاضة اسباب الهداية كقوله
ولكن الله يهدي من يشاء واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى لكن الاصل في الاطلاق الحقيقة وعند
المعتزلة بيان طريق الصواب وهو باطل كقوله انك لا تهدي من احببت مع انه بين الطريق ودعاهم الى الاهتداء
ولما كان يكون الهدى مما لا سبيل لاحد الى طلب الفضائل الا به فهو مبدا الخيرات كما قال واعطى كل شيء خلقه
ثم هدى ولعلماء البيان في كون القرآن هدى للمتقين مع ان المتقي هاد وجهان احدهما ان المراد بالهدى
زيادة الهدى والثبات عليه وثانيهما ان المراد بالمتقين المشارفون للتقوى والصائرون اليه وتخصيص
الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه قالوا ووجه حسن هذا
الايجاز امران احدهما المجاز المستفيض اي المشهور نوعه وهو وصف الشيء بما يؤول اليه كما في قوله تعالى انى

انى ارانى اعصر خمرا وقوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ومنه قوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وقول ابن عباس اذا اراد
احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكف الحاجة فان هذا النوع من المجاز شائع كثير في الكلام وان لم يستفض
هذا الفرد وهو التعبير عن الضلال الصائر الى التقوى بالمتقي وقيل المراد انه مجاز مستفيض النوع فجاز ان يقصد
بخلاف ما ليس كذلك مما يحتاج الى السماع كنخلة لانسان طويلة فانه لا يجري في كل مورد دونه ولا يسمى كل طويل
نخلة وفيه نظر لانه لا محالة لعلاقة كالمشابهة في المثال المذكور وكل علاقة بنوعها مستفيض وثانيهما التوصل
الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده وهم
المتقون اي باللفظ الذي هو مدلول الحقيقي ذلك والا فالضالون الصائرون الى التقوى ليسوا اولياء الله ما لم يحصل
لهم التقوى بالفعل والظاهر ان الحصول بالفعل ليس بلازم في المجاز باعتبار ما يؤول بل يكفي توهم الحصول كما في عصرت خمرا
فاريقت في الحال فانه مجاز باعتبار ما يؤول مع عدم حصول حقيقة الخمر المسمى بالفعل اصلا وتسمية البقرة وال
عمران بالزهراوين لاضائتهما واشراقهما من زهرت النار اضاءت او لتشبيههما بالشمس والقمر المسميين بالازهرين
ثم التقوى يصدق على من تبرا عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعتقادا او تنزه عنه وخص المتقون بالهدى لانهم
هم المنتفعون به وهم على مراتب واجلهم من يتقي ويتنزه عما يشغل سره عن الله تعالى حقا اذا قال قال لله واذا عمل
عمل لله وسال عمر بن الخطاب ابيا رضي عن التقوى فقال هل اخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال فما عملت فيه قال
تشمرت وحذرت قال فذاك التقوى يعني التقوى الحذر عن الذنوب كلها صغيرها وكبيرها هذا ومعلوم ان
ذلك انما هو بحسب الاعتقاد والا فالمؤمن لا يخلو عن افراط وتفريط بل لا بد له من ذلك لوجوب ظهور ما كتب عليه
في اللوح المحفوظ لان ذلك مظهر الرحمة والمغفرة وقيل الصحيح انه لا يشمل الصغائر لانها مكفرة عن مجتنب الكبائر
وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر
وبالجملة مما يدخل الناس الجنة ويقربهم الى الله قال النبي عليه السلام تدرون ما اكثر ما يدخل الناس الجنة ان اكثر
ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق الذين يؤمنون بالغيب فيه ثلاثة اوجه الاول انه موصول
بالمتقين مجرور على انه صفة كاشفة لان اركان الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة عبارة عن فعل جميع
الطاعات وترك المنكرات باسرها او صفة مادحة وفيه غناء عن ذلك فان مجرد اقامة الصلوة مدح للمتقين
او مخصصة وهذا بناء على ان المراد بالمتقي تارك المنهيات سواء اتى بالاوامر ام لا او منصوب او مرفوع للاختصاص
اي اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون والموصول الثاني وهو والذين يؤمنون بما انزل اليك عطف
عليه واولئك على هدى استئناف الثاني ان الموصول الاول مبتدا والثاني عطف عليه واولئك على هدى
خبره والجملة استئناف وهو من الوجوه لجهات فتاملها الثالث ان الموصول الاول صفة المتقين او نصب
او رفع على الاختصاص والثاني مبتدا خبره اولئك على هدى وعلى هذا يكون الاية خارجة من الاستئناف فاذا كان
موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان مفصولا عن المتقين وهو الوجه الثاني كان وقفا تاما

قالوا وفي اختصاص الصفة بالموصوف في قوله تعالى هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب اشارة بطريق
الكناية الى نفي كون الكتاب هدى للمنافقين الذين اذا لقوا الذين قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم
انما نحن مستهزؤن وهم غير المتقين المؤمنين عن اخلاص والباء في بالغيب للملابسة والمصاحبة على معناه المصدري
اي يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي عليه السلام او عن جماعة المسلمين واما اذا كان الباء صلة يؤمنون فالغيب بمعنى
الغائب ويحتمل ان يراد به ما هو الغائب عن الحواس من الله والملائكة واحوال الحشر ونحو ذلك ولا تعريض والجار والمجرور
على الاول في موضع الحال كقوله تعالى تنبت بالدهن اي مع الدهن يعني تنبت ودهنها فيها ومنه قوله تدوس بنا الجماجم
والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهوره والايمان في اللغة التصديق مطلقا اي اذعان حكم وقبوله وجعله صادقا
افعال من الامن كالمصدق آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وعدي بالباء على تضمين معنى الاعتراف وذلك بان يجعل
الفعل المذكور حالا مثل يعترفون بالغيب مؤمنين او يعكس مثل يؤمنون بالغيب معترفين واياما كان يكون الفعل المذكور
في معناه الحقيقي فان حقيقة التضمين ان يقصد بالفعل معناه الحقيقي مع فعل آخر يناسبه وقد يطلق بمعنى الوثوق
من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت والمعنى يثقون بان الغيب حق واما في
الشرع فتصديق الرسول في جميع ما علم مجيئه به ضرورة وهو اختيار الشيخ ابي منصور رض وقيل التصديق والاقرار
باللسان وقال كثير من السلف مجموع التصديق والاقرار والعمل فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار
فهو كافر ومن اخل بالعمل ففاسق واليه ذهب اصحاب الاثار وكثير من المعتزلة والخوارج الا ان السلف يجعلون
الاعمال اي الطاعات ركنا من الايمان الكامل بحيث لا يخرج تاركها عن حقيقة الايمان بخلاف المعتزلة والخوارج
فانهم يجعلونها ركنا من حقيقة الايمان بحيث ان تاركها لا يكون مؤمنا وقال الجبائيان واكثر المعتزلة الطاعات
المفترضة دون النوافل وقال العلاف وعبد الجبار وعليه كثير من الخوارج انه مجموع الطاعات وقال الكرامية
الاقرار باللسان فحسب اي كلمتا الشهادة وقيل المعرفة فقوم بالله وهو مذهب جهم بن صفوان وقوم بالله
وبما جاء به الرسول اجمالا وهو مذهب بعض الفقهاء وقال قوم انه اعمال الجوارح وهذه ثمانية اقوال تدل على
ان الايمان في الشرع تصديق خاص والقول الاول هو المختار لوجوه الاول ان الايمان جاء مقرونا بالعمل الصالح
في مواضع من الكتاب والسنة كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فدل على التغاير وان العمل ليس داخلا فيه لان الشيء
لا يعطف على نفسه ولا الجزء على كله الثاني انه قرن بضد العمل الصالح نحو وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فانه اثبت
الايمان مع وجود القتال ومعلوم ان الشيء لا يمكن اجتماعه مع ضده ولا مع ضد جزئه الثالث انه جعل الايمان
شرط صحة الاعمال في قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن والمشروط لا يدخل في الشرط قطعا لاستحالة اشتراط الشيء
بنفسه ولا يخفى ان هذه الوجوه وغيرها انما تقوم حجة على من يجعل الاعمال ركنا من حقيقة الايمان ان تاركها لا يكون
مؤمنا كما هو مذهب المعتزلة والخوارج لا على من ذهب الى انها ركن من الايمان الكامل لا يخرج تاركها عن حقيقة الايمان
كما هو مذهب كثير من السلف كالشافعي وغيره ولنا ايضا النصوص الدالة على محلية القلب للايمان فانها تدل على ان الايمان

هو التصديق كقوله عز وجل وقلبه مطمئن بالايمان وقوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقوله تعالى
اخبارا عن الكفار قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وقوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم ومنه الآيات في الختم
والطبع على القلوب لورودها بيانا لامتناع الايمان منهم ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم اللهم ثبت قلبي على دينك
وقوله لاسامة حين قتل من قال لا اله الا الله هلا شققت قلبه فثبت ان الايمان هو التصديق القلبي غير مغير عن وضعه
اللغوي والا لتبين للامة بالتوقيف كما تبين تغيير الصلوة والزكوة وليس فعل الجوارح ولا امرا كلامية ولا المعرفة لانه
خلاف الاصل لاستلزامه التغيير والنقل المذكور ولا التصديق اللساني لقوله جل من قائل ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
الآخر وما هم بمؤمنين وقوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فانه اثبت في الآيتين التصديق اللساني
ونفى الايمان فعلم ان المراد به هو التصديق القلبي دون التصديق باللسان وقد انعقد الاجماع على ايمان من صدق بقلبه
وقصد الاقرار باللسان ومنعه مانع واختلف في ان مجرد التصديق القلبي كاف لانه المقصود او لا بد مع انضمام الاقرار
به للمتمكن منه والحق هو الثاني انه من شعاره ولكونه شرطا لاجراء احكام الدنيا فان تصديق القلب امر باطن لا بد له
من علامة فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو عند الله مؤمن وان لم يكن مؤمنا في احكام الدنيا والغيب مصدر
بمعنى الغائب وصف به مبالغة كالعدل او فيعل بمعنى الفاعل خفف كقيل في قيل وقد عرفت ان المراد ما لا يدرك الا بنصب
الدليل عليه او الاعلام من الصانع والنبوة الى غير ذلك هذا اذا جعلت بالغيب صلة الايمان واقعا موقع المفعول به
وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة اي يؤمنون غائبين عنكم او عن المؤمن به وتحقيقه متلبسين بالغيب ويؤيده ما روي
عن عبد الله انه قال والذي لا اله غيره ما من احد افضل من الايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقول النبي عليه السلام افضل
اهل الايمان ايمانا اقوام في اصلاب يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني يصدقون بي ولم يروني يجدون
الورق المعلق فيعملون بما فيه وقيل المراد به القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم فالباء على هذا للآلة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا والخمصة التي في موضع الكلية غيبا ويقيمون
الصلوة يعدلون اركانها ويحفظونها من وقوع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها كقوله
تعالى على صلوتهم دائمون على صلوتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها اذا جعلها نافقة عن كاسدة
قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميصا فانها اذا حوفظ عليها كان كالنافق الذي يتنافس
فيه المتنافسون واذا عطلت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم
قامت الحرب على ساقها وقام بالامر اذا جد فيه وتجلد وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس
وتثبط او يؤدونها فعبر عن ادائها بالاقامة اي فعل القيام تسمية للكل باسم جزئه كما عبر عنه بالقنوت
والركوع والسجود وهذه اربعة اوجه الاول المتبادر على الفهم من اطلاقها ليس الا ادائها وايقاعها
في الخارج والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سميت الهيئة
المخصوصة بها لاشتمالها على الدعاء فهي في اللغة حقيقة في الدعاء مجاز في الاركان المخصوصة وفي الشرع

بالعكس وقيل الصلوة حقيقة في تحريك الصلوين لان المصلي يفعله في الركوع والسجود مجاز لغوي في الاركان
المخصوصة استعارة في الدعاء تشبيها للداعي في تخشعه بالراكع والساجد ونظيره كفر اليهودي اذا طاطا
راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل اشتقاقها من الصلا
وهو العظم الذي عليه الاليتان لان المصلي يحرك صلويه في الركوع والسجود ولا يخفى ان ورود الصلوة
بمعنى الدعاء في كلام العرب قبل شرعية الصلوة وفي كلام من لا يعرف بالهيئة المخصوصة دليل المشهور على ان
الاشتقاق من غير الحدث قليل ومما رزقناهم ينفقون الرزق عندنا كل ما ينتفع به حي بالتغذي او غيره
مباحا او حراما مملوكا او غير مملوك والرازق هو الله تعالى اذ الرزق مخلوق ولا خالق سواه ولا يجب عليه
بلا رزق فبفضله وان منع فبعدله وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لانهم فسروه تارة بالحلال وتارة بمملوك
ياكله المالك وكل منهما باطل لقصوره عن قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فانه اثبت ان للبهائم رزقا
مع انه لا يتصور في حقها حل ولا ملك وتارة بما لا يمنع من الانتفاع به فيلزم على الوجهين ان من اكل من الحرام طول عمره
لم يرزقه الله اصلا وهو خلاف الاجماع من الامة قبل ظهور المعتزلة وايا ما كان ليس المراد بما رزقناهم الا الحلال
وفاقا اما عندنا فلانه تعالى وصفهم بالتقوى ومدحهم بالانفاق من الرزق وهذا انما يكون في الانفاق من الحلال
خصوصا اذا اسند الرزق الى الله تعالى فانه يختص بالافضل الاكمل واما عندهم فلما مر ان الحرام ليس برزق سيما
عند التصريح باسناد الرزق الى نفسه فانه يعلم بانهم لا ينفقون الا الحلال لان القبايح لا تسند الى الله فالاسناد للتعظيم
والتحريض للانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم وقيل للاعلام بانهم ينفقون من الحلال ما هو من عظايم المنايح وادخل من
التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه وقدم المفعول للاهتمام ووجه التخصيص كانه قال ويخصون بعض المال
الحلال بالتصدق ويجعلونه منفردا به والمراد بذلك البعض الزكوة المفروضة وعليه ابن عباس لاقترانه بالصلوة
التي هي اختها وشقيقتها وقيل نفقة الرجل على اهله وهو قول ابن مسعود لانها افضل النفقات واعظمها اجرا
لقول النبي صلى الله عليه وسلم افضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله
رواه ثوبان وقوله عم دينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها
اجرا الذي انفقته على اهلك رواه مسلم عن ابي هريرة وقيل صدقة التطوع نظرا الى ان الزكوة انما تاتي بلفظها المختص بها
وهو الزكوة فاذا جاءت بلفظ غير الزكوة احتملت الفرض والتطوع فاذا جاءت بلفظ الانفاق لم يكن الا التطوع
وهو قول الضحاك قال كانت النفقة قربانا يتقربون بها الى الله على قدر جدتهم حتى نزلت فرايض الصدقات
والناسخات في براءة وقيل مطلقا ما ينفق في سبيل الله فرضا كان او نفلا نظرا الى اطلاق اللفظ من غير قرينة
الخصوص والجملة معناه وبعض ما رزقناهم ينفقون وحقيقته بعضا مما رزقناهم على انها وقع موصوف
محذوف ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع النعم ظاهرة وباطنة واليه ذهب من قال في تاويله ومما علمناهم
يعلمون ومن قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون وذلك ان من العلوم قطعا ان اجل جلايل النعم العلم

والمعرفة لانهما مبدا كل فوز وسعادة وايضا يقال بهما تعظيم الله تعالى وكرامته والكرامة اعظم اصناف
النعم واشرافها ولانهما باقيان لا يفنيان ابدا فهما احق الاشياء بالبذل بل بذلهما الجود كل الجود والرزق في
الاصل الحظ والنصيب قال عز من قائل وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي حظكم وانفق الشيء وانفده اخوان سيان
في اصل المعنى واكثر الحروف فاذا استقريت الكلم وابنيتها رايت كلما فاؤه نون وعينه فاء كنفق ونفر ونفح ونفس
ونفي دالا على معنى الخروج والذهاب فبينها التناسب والاشتراك في اشتقاق الاكبر والذين يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه ممن اشتمل ايمانهم على كل حق انزل من عند الله
وايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما اعتقدوه من محض الباطل مثل انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة ومن خلط الحق بالباطل مثل اقرارهم بالمعاد واعادة الارواح الى الاجسام
ثم اختلافهم في كيفية تلك الاحوال وكمية الازمان فمنهم من قال بنعيم الجنة من جنس نعيم الدنيا فان التلذذ بها بالمطاعم
والمشارب والمناكح ودفعه آخرون زاعمين ان ذلك انما هو لمكان الحاجة واهل الجنة مستغنون عنه فلا تلذذ
فيها الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور دون المطاعم والمشارب والمناكح وكذا
اختلافهم في دوام الجنة وانقطاعها فيكون المعطوف غير المعطوف عليه سواء كان المعطوف عليه المتقين
فيكون التقدير هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك او الذين يؤمنون بالغيب فيدخلان في
المتقين دخول اخص تحت اعم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ويحتمل
ان يراد بهم الاولون ووسط العاطف كما يتوسط بين الصفات في قولك هو الكريم الشجاع والنحرير وفي قوله
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب
على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات من الايمان بالغيب الى سابقها وبين هذه الصفات من الايمان بالكتب
المنزلة والايقان بالآخرة لكن اعادة الموصول يرجح جانب التغاير فان تكرير الموصول وعدم الاكتفاء بعطف الصلة
دليل على مزية هذه الصفات حتى كان الموصوف بها غير الموصوف بما تقدم ولذلك ذهب بعضهم الى ان المراد طائفة منهم
وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة ذكر جبرئيل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم
والانزال التحريك من الاعلى الى الاسفل والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي
مع ان بعضه لم ينزل تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمرتقب منزلة المحقق ونظيره قوله انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى دلالة قاطعة على ذلك فان الجن لم يسمعوا جميع الكتاب ولم يكن كله منزلا حينئذ لكن لما كان بعضه نازلا
وبعضه مترقب النزول جعل غير المحقق بمنزلة المحقق حتى كان الكتاب قد نزل كله وسمعوه فان قيل الكلام من
الاعراض المتزايلة التي لا استقرار لاجزائها فكيف يتصور انزاله اجيب بانه يجعل انزال المحل الذي يقوم به الحروف
الملفوظة المسموعة في الجملة ولو عند الاداء الى المنزل اليه او صورها المحفوظة والمكتوبة انزال الكلام مجازا
كما في وصف الكتاب صاحبه او حامله فيكون كل من الانزال والقرآن على حقيقته والقرآن لفظ مشترك بين

بين الكلام الازلي كما في قوله عم القران كلام الله غير مخلوق الحديث وهو صفة قديمة منافية للسكوت والآفة
ليست من جنس الحروف والاصوات لا يتكثر الى الامر والنهي والخبر ولا يتعلق بالازمنة الثلثة الا بحسب المتعلقات والاضافات
كسائر الصفات القديمة وبين الكلام اللفظي الحادث المؤلف من الاصوات والحروف القائمة بمحالها الدال على ذلك
المعنى القديم وقيل هو مستعمل في معنى مجازي فمن قال القران معنى قايم بذات الله تعالى فانزاله ان يوجد الكلمات والحروف
الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ ومن قال القران هو الالفاظ فانزاله مجرد اثباته في اللوح المحفوظ
لان الانزال انما يكون بعد الوجود ويحتمل ان يراد بانزال القران اظهاره وايجاده في السماء الدنيا بعد الاظهار والايجاد
في اللوح المحفوظ فانه قد روي ان الله تعالى انزل القران جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا
واملاه جبرئيل على السفرة فحفظه الحفظة او كتبه الكتبة في الصحف ثم كان ينزل منها الى النبي عم منجما على حسب المصالح وكفاء
الحوادث في ثلث وعشرين سنة والمراد بما انزل من قبلك ما عدا القران من الكتب السماوية المنزلة على الانبياء عم والايمان
بهما فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية لان وجوبه على كل واحد
يوجب الحرج وقالوا المراد بانزال الكتب السماوية على الرسل ان يتلقفها الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظها
من اللوح المحفوظ وينزل بها ويلقنها عليهم وفي الآية دلالة على ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء لا نبي بعده
حيث قال وما انزل من قبلك غير مخبر عن الايمان بما انزل من بعده ولا امارته كما في حق سائر الانبياء عم وقرأ ابن قطب
بما انزل اليك وما انزل مبنيا للفاعل فيهما وهو الله وعبيدة بن عمير بما انزل ليك بحذف الهمزة وادغام اللام في اللام
وبالاخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من محض الباطل وخلطة الحق بالباطل وههنا
تخصيصان احدهما من تقديم بالاخرة فان تقديم الظرف للتخصيص كما في قوله الى الله المصير وقوله له الحق والا
اي المؤمنون يوقنون بحقيقة الاخرة لا بشيء هو غيرها كما هو حال الكفرة من اهل الكتاب وهذا قصر غير حقيقي قصد به
التعريض بان الاخرة التي عليها اهل الكتاب فيما يقولون انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وغير ذلك
ليست بالحقيقة بل محض باطل وثانيهما من تقديم هم وبناء يوقنون عليه فان التقديم المسند اليه سيما الضمير وبناء
الفعل عليه ايضا للتخصيص والحصر كما في قولك انا كفيت مهمك والمعنى ان الايقان بالاخرة مقصور على المؤمنين
لا يتجاوزهم الى اهل الكتاب الذين كفروا بالقران فان قولهم صادر عن جهل دربته لا عن علم ويقين وهو ايضا قصر غير
حقيقي اريد به التعريض بان ايقان اهل الكتاب بها ليس بالحقيقة ايقانا فحصل من هذين القصرين التعريضان
تعريض باهل الكتاب وتعريض بان اعتقادهم وقولهم في امر الاخرة ليس بمطابقة ولا صادر عن ايقان اعني
الاماليتين امالة الكلام من عرض الى الدلالة على ان ما يزعمونه الآخرة ليس باخرة بل وهم لا حقيقة له وامالة
من جانب الى الدلالة على ان ما يعتقدونه اليقين ليس بيقين بل محض جهالة وانما الآخرة ما يعتقده المؤمنون
واليقين ما عليه المسلمون والقصر افادة تعلق شيء لشيء مع نفيه عن غيره والايقان اتقان العلم بنفي الشك
والشبهة عنه ولذلك لا يوصف به علم الله تعالى ولا العلوم الضرورية لا يقال تيقنت ان الانسان ناطق

ناطق وان الماء بارد وهو مبدأ كل خير كما ان الريبة مبدأ كل شر وشعار الايمان قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا سلك في قلبه اليقين والتصديق واذا اراد الله بعبد شرا سلك في قلبه
الريبة والتكذيب وقال عليه الصلوة والسلام ان للاسلام علامة وعلامته الايمان وللايمان علامة وعلامته
اليقين ولليقين علامة وعلامته الاخلاص وللاخلاص علامة وعلامته الورع وعلامة الورع الزهد في الدنيا
فمن تمسك بالورع والزهد بلغاه كل درجة رفيعة ومن تخلى منهما لقي يوم القيمة على غير ملتي والاخرة تانيث الآخر الذي هو
نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة فغلبت على تلك كالدنيا على هذه وكثيرا ما يترك موصوفهما اجرا
لهما مجرى الاسماء حتى كانهما اسمان قبيل الصفات وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام كقوله
دابة الارض وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى واو وجوه ووقتت ونحوه لحب المؤقدان
الي مؤسى وجعدة اذا اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم وقد عرفت ان هذه الجملة في محل الرفع ان كان
احد الموصولين منقطعا عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بها والا فلا محل لها مفصولة عما قبلها بطريق الاستئناف
كانه قيل ما للمتقين الموصوفين بهذه الصفات اختصوا بهدى لا يدرك كنهه ولا يقادر قدره مقولا في
حقهم هدى للمتقين الذين والذين بتنكير هدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون من
سواهم بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا ونظيره احسن الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة
ههنا كاعادة الموصوف بصفات المذكورة لانه اشارة الى الموصوف بالصفات لا الى نفس الذات والاوجه
ان يجعل جزاء من الموصول الاول نظرا الى ان الاستيناف الذين يؤمنون بالغيب ادخل في البلاغة من استيناف اولئك
على هدى لانطوائه على بيان سبب اختصاصهم بالهدى المذكور وهو اتصافهم بالصفات المذكورة وكانه لما قيل
هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقة الكلام ومن هم المفلحون
ولك ان تجعله من توابع المتقين وتجعل الموصول الثاني مبتدأ واولئك خبره مرادا به التعريض باهل الكتاب
الذين لم يؤمنوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم مفلحون عند الله تعالى
اعني امالة الكلام من عرض وجانب الى الدلالة على ان ظنهم ذلك فاسد وطمعهم خايب وليسوا من اهل الهدى والفلاح
وانما يكونان لمن آمن بالكتب المنزلة كلها لا بالتورية وحدها ولمن ايقن بالاخرة على وجهها لا كما يزعم اليهود من
انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان الملاذ فيها ليس الا بالنسيم والارواح العبقة ونحو ذلك مما هو
معتقدهم في الاخرة والفصل من هذه الوجوه لاستيناف الذين يؤمنون بالغيب لجهات عدة منها الانطواء المذكور
فتاملها وفي اسم الاشارة اعني اولئك تنبيه على ان المشار اليه احقاء بما يرد بعده من كونهم على الهدى عاجلا
والفوز بالفلاح اجلا لاتصافهم بتلك الخصال السالفة كقول حاتم الطائي ولله صعلوك يساور همه ثم عدى
خصالا فاضلة من الصبر على الاحداث مقدما على الم الجوع والانفة من ان يعد لشبعة مغنما وشيم كرى المكرمات والتأهب
للحرب بادواتها ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما وافادته

حقيقيا تصافه بما ذكر بعده ومعنى الاستعلاء في على هدى من ربهم تمثيل وتصوير لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم
به بحال من اعتلى الشيء وركبه فيكون الصفة بمنزلة المركوب وقد صرحوا بذلك التمثيل والتشبيه في قولهم امتطى الجهل
والغوى واقتعد غارب الهوى وجعل الغواية مركبا وتنكير هدى للتعظيم وافادة نوع لا يمكنه كنهه كما مر آنفا كانه قيل
على اي هدى كقولك لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا واي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم
واكد تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت نون من ربهم في الراء بغنة وبغير غنة واولئك هم المفلحون
وفي تكرير اسم الاشارة تنبيه على اتصافهم بتلك الصفات يقتضي من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم
وانما وسط العاطف لاختلاف الجملتين في التعقل والوجود اذ الهدى حاصل في الدنيا وانما الفلاح في الآخرة بخلاف
قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت
الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل فيه ثلث فوايد يفصل الخبر عن الصفة ولهذا سمي ضمير الفصل
ويؤكد الحكم والنسبة لما فيه من زيادة الربط ويفيد قصر المسند على المسند اليه دون العكس بشهادة النقل والاستعمال
في مثل ان الله هو الرزاق وكنت انت الرقيب عليهم او مبتداء والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والتعريف في المفلحون
للعهد على معنى ان المتقين هم الناس الذين سمعت انهم المفلحون في الآخرة كما اذا سمعت ان شخصا قد اتى عليك
ثم استخبرت من هو فقيل زيد المتنبي اي هو الذي قد اخبرت بشانه عليك ويجوز ان يكون اشارة الى انهم الذين ان
حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول
لصاحبك هل سمعت بالاسد وهل تعرف حقيقته فان كنت تعرفها فزيد هو هو بعينه فانظر كيف نبه الله تعالى
على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله كل احد على وجوه شتى من ايراد اسم الاشارة وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل اظهارا لقدرتهم وترغيبا لاقتفاء آثارهم ووجه التنبيه على الاختصاص بتوسيط الفصل وتعريف
المفلحين بلام العهد ظاهر واما بالمعنى الآخر فلانهم هم لا يعدون الحقيقة اي انهم عينها فضلا عن الحصر والاختصاص
هذا هو حصر الفلاح واما حصر الهدى فانه يستفاد من اولئك على هدى نظرا الى انه جواب عن السؤال عن سبب اختصاصهم
بالهدى المستفاد من هدى للمتقين ونظر الى ذلك السبب اجمالا فيكون من ترتيب الحكم على الوصف المناسب المختص فيكون
مختصا ايضا وقيل من المقام ومقارنة الفلاح وقد يستدل المعتزلة على خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب
بناء على ان لا هداية ولا فلاح لغير المتقين ورد بان المراد كمال الهدى والفلاح اي الكاملون في الهدى والكاملون
في الفلاح ويلزمه عدم الكمال فيهما لمن ليس على صفتهم لا عدمهما له راسا ولا يخفى فيه تقوية لكون اللام في
المفلحون للجنس دون العهد حيث قيل معناه الكاملون في الفلاح كقوله تعالى كما آمن الناس اي كما من الكاملون
في الانسانية والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالبغية والمطلوب كانه الذي فتحت له وجوه الظفر واللطف ومنه
استفلح امرك بهما ومثل هذا التركيب مما فاؤه والفاء والعين نحو فلق وفلذ يدل على الشق والفتح ان الذين كفروا
لما ذكر خاصة عباده من المصطفين الاخيار وخالصة اوليائه من الابرار بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح

والفلاح نعقبهم بذكر اضدادهم العتاة المردة الذين لا يجدي عليهم الهدى ولا يؤثر فيهم الآيات والنذر فانه سواء
سواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته وانما قطع عما قبله لامتناع عطفه عليه لجهات عديدة انه
كلام في شان الكفرة وتصميمهم في كفرهم وما قبله في شان الكتاب وانه هدى للمتقين فبين الجملتين تباين في الغرض
والاسلوب بحيث من العطف بمعزل واما امتناع العطف على الذين يؤمنون بالغيب فلانه استيناف مبني على تقدير سؤال ناش
عن قوله هدى للمتقين فذلك كالدراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتداء في اللفظ فهو في الحقيقة
كالجاري عليه لان الجواب مبني على السؤال والسؤال على منشائه وكذلك الجملة بعده اعني الموصول الثاني مع خبره فان جملة
والذين يؤمنون بما انزل اليك مع خبره تمامها من لوازم هدى للمتقين بحسب المعنى وتوابعه فيؤول الى الوجه الثاني
والواو فيها للحال والفصل لازم للانقطاع اذ العطف في مثله برزخ في معرض التوخي للجمع بين الضب والنون
وان مما يؤكد مضمون الجملة وكذا ان بالفتح الا ان الجملة المكسورة على استقلالها لفايدتها والمفتوحة تقلبها الى حكم
المفرد وهي من حروف المشبهة بالفعل في لزوم الاسماء وعدد الحروف والبناء على الفتح واعطاء معانيه سيما المتعدي
في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني تنبيها على انها فرع في العمل وقال
الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف ورد بان
اقتضاء الخبرية الرفع مشروطا بالتجرد لتخلفه منها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وتعريف الموصول
مثل تعريف ذي اللام في العهدية والجنسية والاستغراق والبعضية فلفظ الذين اما للجنس شاملا لمن صمم واصر على الكفر
وغيرهم الا ان الحديث عنهم باستواء الانذار وعدمه دليل على ان المراد بالذين كفروا المصرون منهم دون غيرهم من الذين
لم يتمردوا في الكفر ولم يتهمكوا في الضلال فهم الذين آمنوا من الكفار كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة
قروء فان الحكم فيه بالتربص بثلثة قروء دال على ان المراد بالمطلقات ذوات الاقراء خاصة او للعهد مرادا به ناس
باعيانهم كابي جهل وابي لهب والوليد بن مغيرة واضرابهم وقرينته ان هؤلاء ائمة الكفر ورؤس الكفرة بحيث يتبادر الفهم
اليهم عند الاطلاق والكفر في اللغة الستر وفي الشرع عدم تصديق الرسول في بعض ما علم مجيئه به ضرورة فان قيل
اطفال المؤمنين لا تصديق لهم فيلزم ان يكونوا كفارا لا مؤمنين وهو باطل قلنا هم مصدقون حكما لما علم من الدين ضرورة
انه عم كان يجعل ايمان احد الابوين ايمانا للاولاد فان قلت ما قولك في الصبي العاقل وشاهق الجبل هما مكلفان ام لا
قلت قيل نعم هما مكلفان بالايمان حتى انهما يعذبان اذا لم يعتقد كفرا ولا ايمانا وعند الاشعري يعذبان ولم يعتبر ايمان الصبي
ولا كفره اما هو الجبل فيضمن قاتله هكذا يقال والصحيح عندنا ان الصبي العاقل لا يكلف به بمجرد عقله ولا يضمن قاتله
على ان العصمة لا تثبت بدون دار الاسلام حتى لو اسلم في دار الحرب لم يهاجر الينا فقتل لم يضمن قاتله وكذا الصبي
والمجنون اذا قتلا فيها والكفر عند كل طائفة مقابل بما فسروا به الايمان فقالت الخوارج كل معصية كفر والمعتزلة
على ان المعاصي منها ما يدل على الجهل بالله وبرسالة رسوله فهو كفر ومنها لا وهو قسمان قسم يخرج مرتكبه الى
منزلة بين المنزلتين اي الايمان والكفر ويعبر عنها بالكبائر اي عن تلك المعاصي المخرجة الى تلك المنزلة كقتل العمد

العدوان والزنا ونظايرهما ويحكم على صاحبها بالفسق وقسم لا يخرج ككشف العورة والسفه ويسمى بالصغاير ولا يوصف
صاحبها بالكفر ولا بالفسق بل يوصف بالايمان ومن ههنا اختلف في مرتكب الكبيرة من اهل القبلة فالجمهور على انه
مومن وهو الحق والحسن البصري على انه منافق وذهب الخوارج الى انه كافر والمعتزلة الى انه لا مومن ولا كافر وطوايف
الكفار الدهرية والمشركة والصابية واليهودية والنصارى والمجوس والبراهمة ومنكرا لقطعيات من علم واياك ان
تكفر احدا من اهل القبلة الا اذا ثبت انه صدر عنه علما واختيارا شيء من امارات التكذيب متفقا عليه فان في التكفير
خطرا والسكوت لا خطر فيه وانما عد شد الزنار ولبس الغيار كفرا لدلالتهما على التكذيب فان من ضرورة المصدق
ان لا يجترى على مثلهما ظاهرا لا لانها كفر في نفسها حتى لو علم انه لم يشد الزنار لتعظيم دين النصارى واعتقاد حقيقته
بل شده وقلبه مطمئن بالايمان لم يحكم بكفره ديانة وفيما بينه وبين الله تعالى وان اجري عليه حكم الكفر ظاهرا وقالوا
هكذا سجود الشمس فانه لم يحكم بكفره الا قضاء واحتجت المعتزلة بما جاء في القران بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه
سابقة مخبر عنه وقد اسلفنا ما هو جواب عنه وهو ان القران لا يتصف بالامر والنهي والخبر ولا يتعلق بالماضي
والحال والاستقبال الا بحسب التعلقات والاضافات كالعلم والقدرة وساير الصفات القديمة وايضا انما يقوم
مثله حجة على الحنابلة لا علينا لانا قائلون بحدوث النظم وانما الكلام في المعنى القديم سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم
لا يومنون وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما وصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية رفع بانه خبر ان لما بعده في محل الرفع على الفاعلية كانه قيل
ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر ان
والفعل انما يصح ان يخبر عنه اذا اريد به اللفظ ومطلق الحدث دون معناه فقوله أأنذرتهم ام لم تنذرهم وان كان
جملة فعلية استفهامية لكنه في المعنى مصدر مضاف الى الفاعل فيصح الاخبار عنه ومما جر فيه جانب اللفظ الى المعنى
قوله تعالى يوم ينفع الصادقين اي نفعهم ومنه تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن
وتقديره ان نصب تشرب باضمار ان وهي مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان يكون عطفا على لا تاكل لانه يلزم عطف
الاسم على الفعل فلا بد ان يمال لا تاكل الى معناه حتى يحصل عطف الاسم على الاسم اي لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن
على معنى ان المصدر عطف على مصدر ماخوذ من مضمون الجملة السابقة لان الفعل وحده في تاويل المصدر فالهمزة
وام لمجرد معنى الاستواء منسلخا عنهما معنى الاستفهام راسا كما جردت حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولك
اللهم اغفر لنا ايتها العصابة ومنه قولهم انا اكرم الضيف ايها الرجل ونحن نفعل كذا ايتها القوم ومعناه اللهم اغفر
لنا مخصوصين من بين العصائب وانا اكرم الضيف مخصصا بذلك من بين الرجال فكما ان هذا جرى على صورة النداء
وليس بنداء كذلك أأنذرتهم ام لم تنذرهم على صورة الاستفهام وليس باستفهام ومعنى الاستواء الذي تجردت الهمزة
وام له هو استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كاين اما الانذار واما عدمه لكن لا بعينه
فكلاهما معلوم بعلم غير معين ويجوز ان يكون الهمزة بمعنى ان الشرطية لاستعمالهما فيما لم يتيقن حصوله وام بمعنى او لاشتراكهما

لاشتراكهما في افادة احد الامرين وسواء عليهم في موضع الجزاء والجملة الشرطية خبر ان والمعنى ان الذين كفروا
ان انذرت او لم تنذر فهما سواء عليهم وقرا الخليل سوء عليهم وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وبتخفيف
الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحرك لا يقلب ولانه يلزم الساكنين على غير حده وبتوسيط الالف
بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله
كما قرئ قد افلح هكذا يقال واعلم ان هذه القراة وكذا القراة عليهم نذرتهم بفتح الميم وسكون النون من غير همزة
اصلا مما لم يوجد والانذار التخويف اريد به التخويف من عذاب الله تعالى قيل وانما اقتصر عليه لانه اوقع في
القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينتفع فيهم كانت البشارة بعدم
النفع اولى وقوله لا يومنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها مما فيه الاستواء فلا محل لها او موكدة او بدل عنها او خبر
لان والجملة قبلها اعتراض واحتج بقوله لا يومنون من جوز تكليف ما لا يطاق فانه تعالى اخبر عن عدم ايمان
الكفار فيجب عدمه لامتناع الكذب على الله تعالى وامرهم بالايمان والايمان منهم محال لافضائه الى انقلاب خبره
كذبا اجيب بان الخبر تابع للمخبر عنه فلا يكون موجبا له ومؤثرا فيه وهو غير واقع في الممتنع لذاته اتفاقا وواقع
عند الاشعري في غيره كايمان ابي لهب عنده ومشايخنا ليس هذا تكليفا بما لا يطاق بناء على ان لقدرة العبد تاثيرا في
افعاله توسطا بين الجبر والقدر ولان الله تعالى علم في الازل ان ابا لهب لا يومن اصلا فان آمن ينقلب علم الله تعالى
جهلا وهو محال فايمانه محال فالامر بالايمان يكون تكليفا بالمحال واجابوا بان الله تعالى علم كل شيء على ما هو عليه
والعلم تابع للمعلوم فعلمه بانه لا يومن باختياره لا يخرجه عن حيز الامكان اي عن ان يكون مقدورا ومختارا له وعنده
لا تاثير لقدرة العبد في افعاله بل هو مجبور ثم عندهم عدم جواز التكليف بما لا يطاق ليس بناء على ان الاصلح واجب
على الله تعالى خلافا للمعتزلة بل بناء على انه لا يليق من حكمته وفضله وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد
بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ومما ينبه ههنا ان قطع لا يومنون وختم الله لكمال الاتصال لان لا يومنون
يقرر لما افاده قوله سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم من ترك اجابتهم الى الايمان فان المقصود بالتسوية ترك
الاجابة فلا يومنون بمنزلة التاكيد اللفظي لما قبله وختم الله يقرر لما دل لا يومنون عليه من انه ليس لهم قلب يصل اليه
حق وسمع يدرك حجة وبصر يثبت عبرة فان قلت هلا جعل ختم الله تاكيدا لا يومنون قلت لعدم دلالة لا يومنون على
مضمون ختم الله لا يقال فاذا كانا تاكيدين لعدم التفاوت بين الانذار وعدم الانذار كان الاولى عطف احد التاكيدين
على الآخر لانا نقول التاكيد الاول من تتمة المؤكد والثاني على قياس ما تقدم ويجوز ان يكون ختم الله استينافا على ما يجي بيانه صح
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة اتفق اهل الحق قاطبة قبل ظهور اهل البدع والاهواء على
ان الختم والطبع ونحوهما مما صرح به القران العظيم عبارة عن خلق الضلال في القلب وانما سميت بذلك لمكان التناسب
فان هذه الامور لغة موانع في الحقيقة وخلق الضلال في القلب مانع من الهدى فصح تسميته بهذه الاسماء حتى كانها
استعملت في موضعها الاصلي على ان هذه الآيات اعني ختم الله على قلوبهم الآية بل طبع الله عليها وجعلنا على قلوبهم

الكنة ان يفقهوه الى غير ذلك نصوص فان الله تعالى ذكر هذه الاشياء في موضع امتناع الايمان منهم لاجل ذلك
حيث سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم اى لا يؤمنون لاجل الختم وهى مما ذكروا لا يصلح
لكونه سببا لامتناع الايمان فان مجرد الوصف بالختم والطبع وجعل الاكنة على قلوبهم لا يمنع من الايمان وكذا الوسم
بعلامة مميزة ومنع اللطف والاخلاص لا يقتضى امتناعه فلا يصح الحمل عليها وقد اخبر الله تعالى بها عن اقتدار
عن ضمائرهم واسرارهم وبين ان القلوب بحكمه يمر فيها بالختم والطبع عن سواء السبيل وسنن الرشاد كما قال ونقلب
افئدتهم وابصارهم فكيف يستجاز حملها على التسمية والتقليب ونحو ذلك والختم والكتم اخوان في اصل المعنى واكثر
الحروف وهو معنى الاشتقاق الاكبر فان في الختم وهو ضرب الخاتم على الشئ معنى الكتم والمختوم المكتوم بحيث لا يتوصل اليه
كل احد ولا يطلع والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة ولا ختم
ولا تغشية ههنا على الحقيقة وانما المراد بهما ان يوجد في قلوبهم الظلمة والضيق والزيغ والامتناع عن اذعان
الحق وقبوله والتمرن على استحباب الكفر والمعاصى وشرح الصدر بها بسبب اعراضهم عن الحق واستكبارهم عن امتثاله
وانهماكهم في التقليد فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق ولا يخلص الى ضمائرها واسماعهم تنبو عن الاصغاء وتمجه
وتعاف عن الاستماع كانها استوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلى الآيات المنصوبة في الآفاق والانفس كما تجتليها
اعين المستبصرين كانما غطى عليها وحيل بينها وبين الادراك وسماها على الاستعارة ختما وتغشية او مثل
القلوب والاسماع والابصار المؤوفة باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية بجامع عدم
الانتفاع وقد عبر عن الايجاد المذكور بالطبع في قوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاثم
في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وبالاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وهى من حيث ان الممكنات بتمامها
افعال العباد من الكفر والايمان والطاعة والعصيان مسندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه تعالى
ومن حيث انها مسببة مما اكتسبوه بدليل بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على
قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم بشناعة صفتهم وسماجة حالهم وسوء عاقبتهم فلا اشكال على هذا واما الاشكال
على اصل المعتزلة وقاعدتهم الباطلة وهو ان منع الايمان وخلق الضلال قبيح فكيف يجوز اسناد الختم الى الله تعالى
على الوجهين المذكورين الاستعارة والتمثيل اجابوا بانه مجاز وذكروا فيه وجوها الاول انه كناية ايمانية عن فرط
تمكن الصفة المعبر عنها بالختم في الكفار لان هذا المعنى ملزوم لكون الفعل مخلوقا لله تعالى كقولهم فلان مجبول
على الشر كناية عن فرط تمكن الشر فيه حتى صار كالطبيعة له فيقصد مدلول اللفظ لينتقل منه الى ملزومه الثانى ان
الجملة كما هى استعارة تمثيلية مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من الاستلاع والتجافى عن الحق بحال قلوب البهائم التى
خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها بان خلقها عديمة الامتناع بالآيات
حولا تعى شيئا منها ولا تفقه ونظيره سال به الوادى اذا هلك وطارت منه العنقاء اذا طالت غيبته فكما انه
ليس هناك عن الوادى والعنقاء عمل في هلاكه وفى طول غيبته فكذا ههنا ليس من الله فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عنها

واسناعها عن قبوله وهو متعال عن ذلك الثالث ان اسناد الختم الى الله اسناد مجازى من باب اسناد الفعل الى
السبب مثل بنى الامير المدينة وهو لغيره حقيقة فان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر نفسه لكن لما كان
صدوره عنه باقدار الله تعالى اياه اسند اليه الختم اسناد الفعل الى المسبب الرابع انهم لما بلغوا في الكفر غاية لا تغنى
عنهم الآيات والنذر ورسخوا فيه واستحكموا بحيث لم يبق طريق الى ايمانهم سوى القسر والالجاء ثم لم يقسرهم
ولم يلجئهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم اشعارا على تماديهم في التصميم والاصرار على الكفر وتناهى
انهماكهم في الغى والضلال الخامس ان يكون حكاية لكلام الكفرة بعبارة اخرى فان قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب هو معنى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة والقصد من هذه
الحكاية التهكم والاستهزاء ونظيره في الحكاية والاستهزاء قوله عز من قائل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين حتى تأتيهم البينة السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه بدليل ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمات تعلمها الملائكة فتميزت قلوبهم به عن قلوب الكفار من افئدة الابرار
ولا يخفى على المتأمل المنصف بطلان الخمسة الاخيرة فان الاول يجوز منها اسناد انواع الكفر والمعاصى بل جميع
افعال الاجسام الى الله تعالى على ان الفعل انما يسند حقيقة الى من قام به لا الى من خلقه واوجده والله تعالى عندنا
خالق الافعال لا محل لها فالكافر والقاعد انما يصح حقيقة لمن قام به الكفر والقعود لا لمن خلقهما والثانى مما لا اثر
عليه والثالث مما لا يأباه سوق الكلام ونظمه لكونه تقريرا للكلام السابق وتأكيدا له والرابع لا تم ان ذلك في الآخرة بل
هو في الدنيا والآخرة فهو قوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون وقوله لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم
اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل ونظائر ذلك مما اخبر الله تعالى فيه عما فعل
بهم مطلقا غير مقيد باحدهما من سلب العلم عن جميع الجهات بحيث لم يبق لهم ادراك من جهة اصلا وايضا مما علم بالضرورة
ان حال اهل المحشر تجرى في هذه الاوصاف على حسب مجراها في الدنيا وقوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا الآية تصريح بهذا وكذا قوله عم كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون وكما تبعثون تحشرون والخامس
بما قدمنا وجه بطلانه والمعتزلة قد اطنبوا الكلام في هذا المقام لانه اول ما ورد من اسناد القبيح عقلا الى الله تعالى
ونحن نقول بان القبح لا يسند اليه لكن لا قبح بالنسبة الى خلقه وايجاده والصدور عنه وانما القبح في قيامه بالعبد
وكسبه وصرف قدرته وارادته مطلقا وعلى سمعهم عطف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة والوفاق على الوقف على سمعهم دون قلوبهم والمناسب فانهما لما تناسبا في ادراكهما من جميع الجوانب جعل المانع
عن ذلك الختم الذى يمنع من جميع الجهات حتى لا يكون لهما ادراك من جهة اصلا ولما كان ادراك البصر من جهة
المقابلة وهى جهة واحدة جعل المانع عنه مما يكون كذلك لظهور ان الغشاء يكون بين الرائى والمرئى وكرر الجار
في قوله وعلى سمعهم ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما في الحكم ووحد السمع للامن عن اللبس
كما وحد البطن لذلك في قوله تعالى كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولكنه في الاصل مصدر والمصادر لا تجمع ويجوز ان

يقدر مضافاً محذوفاً اي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم والمراد بالقلب مضغة في الجسد اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله وهي محل العلم والايمان ومما يدل على محلية القلب للايمان بعد ايات دالة على
الختم والطبع على القلوب كونها في اكنة قول النبي عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله بعبد خيرا فتح له قفل قلبه وجعل
فيه اليقين والصدق وجعل قلبه وعاء واعيا لما سلك فيه وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا وخليقته مستقيمة
وجعل اذنه سميعة وعينه بصيرة وقد ضرب عم له ثلثة امثلة فقال مثل القلب كمثل ريشة في فلاة يقلبها الريح
ظهرا لبطن وقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليا
ولكمال اطلاعه على عظم صنع الله في تصريف القلب تقليبها كان يدعو بها ويحلف فيقول اللهم مصرف القلوب صرف
قلوبنا على طاعتك ويقول ومقلب القلوب وقال ان قلوب بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد
يصرفها كيف يشاء وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا وتخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني
والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان
يزيغه ازاغه قيل وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب واياك
ان تذهب الى هذا لان المراد بالاية الحث على النظر والتوبيخ على تركه فان اراد هذا المفسر تفسيره ان المعنى كان له
عقل مطلقا فهو ظاهر الفساد وان اراد ان المعنى لمن كان له عقل ينتفع به ويعمله فيما خلق له من النظر فتفسير القلب بالعقل
ثم تقييد العقل بما قيده عري عن الفايدة لصحة وصف القلب بذلك ابتداء بدليل قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون
بها ولذلك ترى العبد القاصر قد شدد النكير على من فسر بهذا التفسير وبالجملة هو سلطان الجسد والقوى الظاهرة
والباطنة باسرها والاعضاء من آخرها خدامه وجنوده والبصر نور العين وهي قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين
المتلاقيان في مقدم الدماغ فيفترقان الى العينين يدرك بها المرئيات من الالوان والاشكال والحركات وغير
ذلك مما يخلق الله تعالى ادراكها في النفس عند استعمال تلك القوة وقد يطلق على العضو والسمع ادراك الاذن
كما ان البصر ادراك العين وهي قوة مرتبة في العصب المفروش على سطح باطن الصماخ يدرك بها الاصوات وقلما
يطلق على العضو وهما اعظم جنود القلب خلق كل منهما مجبولا على طاعته لا يستطيع له خلافا فان العين انما خلقت
للقلب ليهتدي بها في الظلمات وينظر الى عجايب ملكوت الارض والسموات والاذن انما خلقت ليتوسل بها الى
الاستماع والعمل بكلام الله وسنة عم وحكم اوليائه واذا امرهما بالانفتاح انفتحا وبالانقباض انقبضا
وكذلك حكم ساير الاعضاء الظاهرة والباطنة وهولاء الكفرة لما استعانوا بتلك النعم العظام على معصية
الله تعالى وهو غاية الكفران وخانوا في امانته وهو غاية الطغيان فكانوا لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون وانما جاز امالة الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من
التكرير كان فيها كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند
الاخفش ويعضده العطف على الفعلية اي واستقر على ابصارهم غشاوة وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم

على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسها اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ غشاوة
بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من
العشى مصدر الاعشى ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما هو اهله قيل والظاهر انه عطف على جملة ان الذين كفروا
او على خبر ان فخبرها اما مفرد او جملة لا على احد التاكيدين لان ثبوت العذاب العظيم لا يتبادر منه تقرير التسوية في التاكيدين
السابقين وقيل قوله ولهم عذاب عظيم ايضا داخل في تقرير السابق اذا جعل عطفا على لا يؤمنون او ختم الله ووجهه ان
اثبات خاصة الشيء وهو العذاب العظيم لعدم الاجابة الى الايمان تاكيد وتقرير لثبوته وان عطف على جملة ان الذين كفروا فلا
والعذاب كالنكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه
بخلاف الملح فانه يزيده ولذلك يسمى نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب فيكون [illegible] ثم اتسع
فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي
هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير والعذاب لما وصف به التعظيم كان المعنى نوع
عظيم منه وليس تنكيره للتعظيم كما يسبق الى بعض الاوهام بخلاف تنكير غشاوة فانه للتعظيم اي غشاوة عظيمة تحجب ابصارهم
بالكلية وتحول بينها وبين الادراك اذ المقصود بيان بعدهم عن الادراك والتعظيم ادل عليه ويجوز ان يكون للتنويع والقصد
الى نوع منه كما في العذاب والمعنى ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن الايات ولهم
من الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى قال ابن عمر رض قال رسول الله عم ان الله عز وجل لا يعذب من خلقه الا المارد
المتمرد على الله بقول لا اله الا الله ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر لما افتتح سبحانه بذكر اوليائه وخالصة عباده
وثنى بذكر اعدائه المتمردين في الكفر ظاهرا وباطنا المصرين عليه قلوبا والسنة ثلث بالمذبذبين الذين امنوا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم الى الله تعالى لانهم موهوا الكفر وخلطوا به تدليسا والشرك
خداعا واستهزاء ولذلك اطنب سبحانه في وصف حالهم وانزل ثلث عشرة اية نعى عليهم فيها خبثهم وجهلهم واستهزا بهم
وتهكم بافعالهم وسجل على طغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها عطف على قصة المصرين ولفظ من يشعر بالتقسيم واقسام الناس بحسب القسمة العقلية كما هو الواقع
ثلثة والايات استوعبت الاقسام الثلثة لانهم اما مؤمنون او كافرون والكافرون اما غير متظاهرين بالايمان او متظاهرون وهم
المنافقون واصل ناس اناس لقولهم انسان واناسي وانس فحذفت همزته حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف وحذفها
مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يجمع بينهما واما قلنا كاللازم لانه قد جاء الاناس الآمنينا وهو من اسماء الجمع كرجال لا من ابنية الجمع
اذ لم يثبت فعال في الابنية ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او انس لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون ولذلك سمي بشرا كما
سمي الجن لاجتنانهم والقياس في تصغيره انيس واما نويس فعلى خلاف القياس كرويجل في رجل وانيسيان في انسان فان القياس فيهما
رجيل وانيسين وقد يقال ان مخالفة القياس في قلب الالف واوا مع انها ثالثة لا رابعة وليس بشيء لانها مخالفة بصورة
ولان قبلها واوا اولى من الياء لاجتماع اليائين واللام فيه للجنس ومن على هذا التقدير موصوفة اذ لا عهد كانه قيل ومن الناس

ناس يقولون والجار مع المجرور في محل الرفع على الابتداء بمعنى وبعض الناس او بعض من الناس من يقول كقوله تعالى ومنا دون ذلك
اى بعضنا وبعض منا دون ذلك او على الاخبار فان قيل لو كان من الناس خبرا من يقول واللام فيه للجنس كان المعنى من يقول من الناس
نظاهر انه لا يتصور لمثل هذا الاخبار فايدة اجيب بانه للاخبار بالبعضية او للتعجب واستعظام ان يختص بعض من الناس بتلك
الصفات بانها تنافى الانسانية بحيث كان ينبغى ان لا يحل المتصف بها من جنس الناس قيل وهذا الجواب ضعيف لان مثل هذا
التركيب شايع ذايع في مواضع لا يتاتى فيها مثل هذه الاعتبارات ولا يقصد فيها الا الاخبار بان من هذا الجنس طايفة يتصف
بكذا فالوجه ما تقدم فيكون مناط الفايدة تلك الاوصاف ووقوع الظرف في موقع المبتدا ليس بمستبعد كقوله وما منا الا له
مقام معلوم اى وما احد منا الا له مقام معلوم ونظايره كثيرة او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة كانه قيل
من هؤلاء المصرين على الكفر القوم المصممون على النفاق وهم عبد الله بن ابى واصحابه ونظراؤهم ممن صمموا على النفاق فانهم من هذه
الجهة دخلوا في عداد الكفرة المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يمنع دخولهم تحت هذا الجنس فان
الاجناس انما تنوعت بزيادات يختلف فيها ابعاضها واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود
الاعظم من الايمان وكشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة والفسوق وتنبيه على انهم منافقون فيما يظنون انهم
مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله وباليوم الاخر ليس بايمان لاعتقاد
التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وغير ذلك وايضا اروا المؤمنين انهم امنوا مثل ايمانهم فكان قولهم امنا
بالله وباليوم الاخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والبغاة وعقيدتهم عقيدتهم
لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم وايضا قد اوهموا في هذا المقال انهم احتازوا الايمان
من جانبيه واحاطوا بقطريه وامنوا بالمبدا والمعاد على ما هما عليه وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد منهما على
الاصالة والصحة والاستحكام وتوضيح ذلك على ما قرر ان قولهم امنا بالله ايمان بالمبدا على ما هو عليه فيتضمن الايمان به تعالى
ذاتا وصفة وفعلا ويندرج الايمان بالنبوات لا محالة لانه لا قايل بالفرق ويندرج من وجه اخر في الايمان باليوم الاخر لان
الطريق اليه السمع لا جماع وقولهم امنا باليوم الاخر اخبار عن الايمان بالمعاد فيتناول الايمان كله فهو تفصيل من وجه مع
الاجمال والاختصار وفيه من الحسن ما لا يخفى على اولى البصاير فان قلت لم جعلت من في ومن يقول موصوفة على تقدير الجنس
وموصولة على تقدير العهد وهلا عممت انها بالعكس قلت هذا بناء على المناسبة والاستعمال ولو عممت غير ذلك لركبت
شططا فان الموصوفة لتنكرها يناسب الجنس لابهامه والموصولة لتعرفها يناسب العهد لتعينه واما الاستعمال فلان الشايع
في مثل هذا المقام هو النكرة الموصوفة اذا جعل بعضا الجنس كقوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا فان اللام في المؤمنين
للجنس وارد بعده نكرة موصوفة وهى رجال صدقوا والموصول مع الصلة اذا كان بعضا من المعهود كقوله تعالى
ومنهم الذين يؤذون النبي فان الضمير في منهم عايد الى القوم المتقدم المذكور في قوله ولكنكم كنتم قوما فاسقين وقوله ولكنهم قوم
يفرقون وقد ذكر سبحانه منهم طايفتين فقال ومنهم من يلمزك في الصدقات الاية ومنهم الذين يؤذون النبي الاية والمعهود قد يكون
مذكورا بلفظ اخر او اعتبار اخر قوله وباليوم الاخر يوم القيمة لكونه اخر الايام وقيل المراد به من وقت الحشر الى ما لا يتناهى او الى

او الى ان يدخل الجنة والنار اهلهما لانه اخر الاوقات المحدودة لا حد للوقت بعده واما توحيد الضمير في يقول
وجمعه في هم فللحمل على لفظ من ومعناه وما هم بمؤمنين وما للنفي وزيادة الباء لزيادة التاكيد فان الجملة الاسمية
المنفية تفيد تاكيد النفي ودوامه لا نفي التاكيد والدوام واذا دخلت عليها الباء ازداد ذلك التاكيد كما ان الاسمية
المثبتة تفيد تاكيد الثبوت ودوامه فاذا دخلت عليها اللام افادت زيادة التاكيد ولذلك ترى ايمة علم المعاني
يقولون ان قوله تعالى وما هم بمؤمنين رد لقولهم انا امنا على ابلغ وجه واكده وان قولنا ما زيد مررت للاختصاص
النفي لا النفي للاختصاص مع انه بدون حرف النفي يفيد الاختصاص ثم ان قوله تعالى وما هم بمؤمنين مثل قوله
تعالى حكاية عن قوم شعيب وما انت علينا بعزيز قصدا لاختصاص النفي بمعنى ان عدم الايمان مقصور عليهم لا يتجاوز
الى غيرهم وعدم العزة مقصور عليك لا يتجاوز الى رهطك لا بمعنى الاختصاص بمعنى ليسوا منفردين بالايمان ولست منفردا
بالعزة وذهب كثير من المحققين الى الحصر والاختصاص في مثل وما انت علينا بعزيز وما انت عليهم بوكيل وما انا عليكم بحفيظ
وما انا بطارد المؤمنين مما يلى الضمير حرف النفي بناء على ان تقديم الضمير وايلاءه حرف النفي للحصر وان كان الخبر صفة
لا فعلا ومنه قوله وما هم بمؤمنين لا يقال ان قوله وما هم بمؤمنين وقوله وما انت علينا بعزيز من باب انا عارف
وهو لا يفيد الحصر وانما يفيده التقديم على الفعل نحو انا عرفت وكون المشتقات قريبة من الافعال لا يقتضي كونها
كالافعال في الحصر والاختصاص لانا نقول ان الضمير في مثل عارف انا مبتدا لا غير كما في انا عارف فلا تقديم ولا حصر
واما في ما عارف انا فهو فاعل واقع موقع الخبر والصفة في معنى الفعل حتى كان مع الفاعل كلاما تاما كتصريح الفعل
فكان ما انا عارفا وبعارف بزيادة الباء من قبيل انا عرفت في اعتبار التقديم وافادة الاختصاص بخلاف انا عارف
فيكون قوله وما هم بمؤمنين وما انت علينا بعزيز من باب ما انا بعارف لا من باب انا عارف بلا حرف النفي وترك الباء
وقيل هذا ليس من باب التقديم لافادة الاختصاص وانما جعل الكلام في شان المنافقين انه كذا وليس كذا من باب العدول
الى الجملة الاسمية لرد كلامهم على ابلغ وجه كانه قيل انهم ليسوا في شيء من الايمان ولا يصدق هذا الوصف عليهم البتة
فان قيل الاسمية تدل على الثبات فنفيها يفيد نفي الثبات لا ثبات النفي وتاكده اجيب بان ذلك اذا اعتبر اثبات ثم نفي
التاكيد والدوام ونحو ذلك ثم نفي وههنا اعتبر النفي اولا ثم اكد وجعل بحيث تفيد الثبات والدوام وذلك كما ان
ما انا سعيت في حاجتك لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص وتحقيقه انه اذا اعتبر الثبات والتاكيد اولا ثم نفي
رجع النفي اليهما ولو اعتبر النفي ثم اكد وجعل بحيث يفيد الثبات رجع التاكيد والثبات الى النفي الا ان هذا مخالف
لقولهم الجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام والتاكيد فاذا دخلت عليها حرف النفي تكون لتاكيد النفي وثباته لا لنفي
التاكيد والثبات والاية تدل على ان الايمان ليس فعل اللسان بل فعل القلب لانه اثبت فيها التصديق باللسان
ونفى الايمان فمن ادعى الايمان لا من صميم القلب وخلوص الاعتقاد ليس بمؤمن لان من تفوه بالشهادتين
فارغ القلب عما يوافقه وينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا يقوم حجة عليهم يخادعون
الله والذين امنوا وانما قطع عما قبله لكونه موضحا ومبينا من حيث انهم حين كانوا يوهمون بالسنتهم انهم امنوا وما كانوا

مؤمنين بقلوبهم قد كانوا في حكم المخادعين وقيل لانه استيناف كانه قيل لم يدعون الايمان كاذبين وما رفعهم
في ذلك فقيل يخادعون والحمل على البيان اولى لانه ايضاح لما سبق وتقرير بان قولهم هذا مجرد خداع وانما قلنا في حكم
المخادعين لان مخادعة الله والمؤمنين مما لا يصح لان علام الغيوب لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون
والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا يرى الى قوله واستنبطوا من قوله كل مخدع وقول النبي صلى الله
عليه وسلم المؤمن غر كريم والمنافق خب لئيم الغر الكريم الذي يخدع بسهولة لقلة تجاربه والخب بالفتح الخداع الخبيث
وقد جاء النعت لا انخداع ولم يات بالخدع وانما قيل يخادعون وصيغة المفاعلة يقتضي كونه من الجانبين لوجوه الاول
ان المراد بالخداع المعاملة الشبيهة به فيكون استعارة تبعية تمثيلية وذلك ان صورة صنعهم مع الله والمؤمنين حيث
يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة المخادعين وكذا صورة صنع الله والمؤمنين معهم حيث اجروا عليهم احكام المسلمين
مع كونهم عندهم في عداد اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع المخادعين ايضا الثاني ان المراد حقيقة
الخداع بزعمهم الفاسد وظنهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم الثالث ان المراد بخدع الله خدع رسوله
لانه الناطق باوامره ونواهيه كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فالمجاز في النسبة الايقاعية
لا في الاطلاق على ان لفظ الله لا يطلق على غيره لا حقيقة ولا مجازا الرابع ان المراد يخدعون الذين آمنوا وذكر الله لمجرد التوطية
والتمهيد لا لتعليق الخدع به وفائدة هذه الطريقة اعني تعلق الفعل الى شيء والمقصود تعلقه بما عطف عليه قوة اختصاص
المعطوف بالمعطوف عليه دلالة على ان التابع من المتبوع بمكان يصح ان تنسب افعاله واحواله اليه قصدا كانه بمنزلته ومنه
والله ورسوله احق ان يرضوه فان في افراد الضمير دلالة على ان المقصود رضاء الرسول عم وانما ذكر الله لافادة قوة
اختصاص النبي عم به وكونه بمكان منه ومنه يؤذون الله ورسوله فانهم لا يؤذون حقيقة الا الرسول وحده ويخادع
في الوجهين الاخيرين بمعنى يخدع اذ لا خدع من الرسول والمؤمنين ولا وجه لكونه حقيقة من احد الجانبين مجازا من الجانب
الآخر مع اتحاد اللفظ ووجه العدول عن يخدع الى يخادع قصد المبالغة لان المفاعلة في الاصل للمبالغة والمباراة والفاعل
اذا غولب في الفعل ازداد قوة الداعي اليه واجتهاده في تحصيله فجاء ابلغ واحكم ويؤيده قراءة ابي حيوة يخدعون
الله والذين آمنوا وعلى هذا فالمنافقون في حكم المخادعين او خادعون حقيقة ولهم في ذلك اغراض عديدة منها اختلاطهم
بالمؤمنين ليطلعوا على اسرارهم التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم ومنها ان يفعل بهم ما يفعل بالمسلمين
من الاحسان والاعطاء والاكرام ومنها ان يعفوا عن المحاربة ويدفعوا انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة الى
غير ذلك من المقاصد ولولا ان الله يستر على المنافقين لما احاط به علما من المصالح التي اطلع على حالهم المؤمنين
لانقلبت مفاسد ومتاركة ابليس وذريته وما هم عليه من تلقين النفاق والاغواء اكثر واشد من ذلك لكن له
فيه المصالح بل خداع النفس في غرورها اشد من ذلك كله كما قال النبي عليه الصلوة والسلام ادنى لا تدرك
غايتها غرور النفس وخداع ابليس الحديث وما يخدعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو رحمة الله
عليهم اجمعين وفيه وجوه الاول ان الخداع مجاز عن المعاملة الشبيهة به ومعنى قصره على انفسهم ان ضرره

انما يلحقهم ومكره انما يحيق بهم مجازا باعتبار المال فههنا مجاز على المجاز الثاني ان يراد حقيقة المخادعة
لما يجري بين الرجل ونفسه من تمنية كل واحد منهما بالاباطيل وتحديثه بالاكاذيب والمعنى انهم في ذلك يخدعون
انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويحدثونها بالاكاذيب وخدعتهم انفسهم حيث تمنيهم وتحدثهم بالاماني
الفارغة ومخادعة من لا يخفى عليه خافية الثالث ان يراد وما يخدعون وانما جيء به على لفظ يفاعلون
للمبالغة فلا يحتاج الى اعتبار الخدع من جانب الانفس ولا الى جعله مجازا وعلى الوجه الاول وهو كون
المخادعة استعارة للمعاملة الشبيهة بالخداع يراد بانفسهم ذواتهم والمراد بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع
لاحق بهم لا يتجاوزهم الى غيرهم وعلى الآخرين حقيقة المخادعة ويخادعون بمعنى يخدعون يراد القلوب
والدواعي والحاصل ان الخداع اما اشارة الى الخداع الاول المستعار للمعاملة الشبيهة بالمخادعة فالكلام مجاز
او كناية عن انحصار ضررها على انفسهم او خداع آخر جار فيما بين اثنين اعني فيما بينهم وبين انفسهم من الجانبين
بمعنى انهم في تلك المعاملة مع المؤمنين يوهمون انفسهم الاباطيل وانفسهم توهم الاماني والاكاذيب فانه يتفرع
على ذلك اغراض ويقتصر على واحد ويراد وما يخدعون وبعبارة اخرى ان اريد بالانفس الذوات تعين التجوز
او الكناية عن لحوق الضرر وان اريد الدواعي فلا وقرئ وما يخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء
بمعنى يختدعون ويُخدّعون ويخادعون على البناء للمفعول فيكون انفسهم فيمن لم يجوز تعريف التمييز نصبا
بنزع الخافض اي عن انفسهم والنفس في الاصل ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به
وللقلب لان النفس به الا يرى الى قولهم المرء باصغريه وقيل لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوام
النفس به وللماء لفرط حاجتها اليه قال الله تبارك وتعالى وجعلنا كل شيء حي وللرأي في قولهم فلان يؤامر
نفسه اذا تردد في الامر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على ايهما لا يعزم كانهم ارادوا داعي النفس وهاجس النفس
فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس وعلى هذا وجه التجوز بالنفس عن الرأي اطلاق السبب على المسبب واما لكونهما
شبيهين بذاتين تأمرانه وتشيرانه وعلى هذا وجه اطلاق اسم المشبه به على المشبه وما يشعرون والشعور
الاحساس وعلم الشيء علم حس من الشعار وهي العلامة ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر المخادعة
بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له فهو ابلغ وانسب من لا يعلمون لاستلزام نفي العلم مطلقا
نفي علم الخاص فان من لا يشعر بالضروريات سيما المحسوسات منها اولى ان لا يعلم غيرها وفيه تنبيه على انحطاط
رتبتهم عن رتبة البهائم في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة في الالم مجاز في الاعراض النفسانية المخلة
بكمال الشخص كسوء الاعتقاد مثلا وليس المراد في الآية حقيقة المرض بل المراد به ما في قلوبهم مما هو فساد وآفة ونقصان
كالجهل وسوء العقيدة والكفر والغل والحسد وحب المعاصي والبغض لان صدورهم كانت تغلي على
المسلمين غلا وضغنا ويبغضونهم اشد البغضاء ويحترقون حسدا على ما يرون من ثبات شأنهم واستعلائهم
يوما فيوما واشارة ذكرهم واعلاء امرهم ساعة فساعة سيما شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره وناهيك

بما كان من ابن ابي وقوله سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا العفو والصفح وذلك ما روى
اسامة ان رسول الله صلعم اردفه على حماره يعود سعد بن عبادة قبل وقعة بدر فسار حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن
ابي بن سلول قبل اسلامه وفي المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت
المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي بردائه وقال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فنزل
فدعاهم الى الله تعالى وقرا عليهم القرآن فقال عبد الله بن ابي ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان فلا تؤذينا به
في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به
في مجالسنا فانا نحب ذلك وتساب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتقاتلون فلم يزل النبي عليه الصلوة والسلام
يخفضهم حتى سكتوا فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال يا سعد الم تسمع الى ما قال ابو حباب يريد عبد الله بن ابي
فقال يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح على اهل البحرة ان
يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاك شرق بذلك اي لم يقدر على اساغته والصبر عليه لتعاظمه
فكانه اعترض في حلقه فغص كما يغص الشارب بالماء والمقصود من اتيان القصة اثبات الحسد والغل والبغضاء
للمنافقين بناء على ثبوت السبب قبل اظهارهم الاسلام ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور
والضعف حين شاهدوا نصر الله وامداده بالملائكة واظهار دين الحق على الدين كله وقذف الرعب في قلوبهم
وشوكة المسلمين ومزيد التضعيف بما زاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم تبسطا في البلاد وتسلطا على العباد
ولكن يسلط رسله على من يشاء والمراد بزيادة المرض زيادة الكفر والحسد والضعف فانه كما انزل على النبي عليه السلام
الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم وكلما زاد له نصرة وفتح البلاد وازدادوا غلا وحسدا وازدادت
قلوبهم ضعفا وجبنا ويجوز اسناد زيادة الاخيرين الى الله تعالى حقيقة دون الاول عند المعتزلة لكونه قبيحا
واما عندنا فهو ايضا حقيقة ولك ان تجعل الاسناد مجازا على التقادير ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع والمجاز
في المسند والاسناد مثله في ختم الله على قلوبهم ولا فرق بين الختم والطبع وقيل هو اعم لان الطبع هو الرين الذي
يكون في المعاصي ايضا والختم لا يكون الا في الكفر الاصلي وبما قيل من ان تنكير مرضا للمغايرة الاول ضرورة مغايرة
المزيد للمزيد عليه فميل الى ما اشتهر ان النكرة اذا اعيدت نكرة فالثاني غير الاول والمعرفة بالعكس بناء على ان هذا
هو الاصل عند الاطلاق وخلو المقام عن القرائن والا فقد تعاد النكرة نكرة مع عدم المغايرة كقوله تعالى
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
يعني قوة الشباب ومنه باب التاكيد اللفظي والزيادة ههنا تعدى الى مفعولين ويجيء لازما والازدياد بمعناه الا انه لا يتعدى
الى مفعولين وقرا ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء ولهم عذاب اليم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع
وصف العذاب به وصف الضرب بالوجيع مجازا في قوله تحية بينهم ضرب وجيع اذ الوجيع والاليم حقيقة هو المعذب والمضروب
وقيل انه من قبيل الاسناد الى المصدر مثل جد جده وليس بذاك لانه ليس مصدر الفعل المسند وانما يكون كذلك لو قيل

الم اليم ووجع وجيع ومن ههنا قد تكلف بعضهم ويقول العذاب هو الالم الفادح والضرب الى المضروب هو
الوجع وقيل الاليم بمعنى مؤلم كالسميع بمعنى المسمع وفيه نظر لانه ليس يثبت هكذا قال كثير من العلماء من غلط الخاصة لان
المفسرين قالوا ان البشير والنذير بمعنى المبشر والمنذر في نحو قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا كما سيجيء عليك في
مواضع
بما كانوا يكذبون بسبب كذبهم او بدله والمراد به قولهم آمنا بالله وباليوم الاخر وهو قراءة عاصم وحمزة والكسائي وانما خص
الكذب بالذكر مع انهم اخبث الكفرة وجهات استحقاقهم للعذاب كثيرة استعظاما له وتنفيرا عن ارتكابه وفي
ترتيب العذاب على كذبهم رمز واشارة خفية الى قبح الكذب وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم لاجل كذبهم حيث
علل بها استحقاق العذاب ونظيره قوله مما خطيئاتهم وانما قلنا تخييل لان السامع يعرف ان للمنافقين جهات
يستحقون بها العذاب ادناه الكذب وان الغرض من ذكر الرمز الى قبحه وسماجته زجرا عنه وتنفيرا عن ارتكابه
كما خصت الخطيئات بالذكر استعظاما لها وتصويرا لقبحها وسماجتها في نظر السامعين حتى يزجروا عنها كل الانزجار
والكذب الاخبار عن الشيء بخلاف الواقع اي الاعلام بالنسبة على الوجه الذي هو متحققة بمعنى ان كل حكم بين امرين فهو
في الواقع اما الاثبات او النفي فالاخبار عنه ان كان على الوجه الذي هو به من الاثبات والنفي وان كان على
خلاف ذلك بان يكون في الواقع بالاثبات وانت تخبر بالنفي او بالعكس فكذب قيل الكذب حرام كله وقيل قبيح كله
وفي القولين نظر لانه قد تعين لعصمة دم نبي او دم ولي قال النبي عم لا يحل الكذب الا في ثلث تحدث الرجل امرأته ليرضيها
والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس وقال ابو سعيد الخدري قال عليه السلام في حديث الشفاعة اذهبوا الى
ابراهيم فياتون ابراهيم عم فيقول اني كذبت ثلث كذبات ثم قال النبي عم ما منها كذبة الا ما حل بها عن دين الله تعالى
وفي بعضها لا يكذب ابراهيم الا ثلث كذبات بما حل به عن دين الله فهذا كذب حلال وعن ابن سيرين عن ابي هريرة
قال لم يكذب ابراهيم غير ثلث قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وبينما هو يسير اذ نزل في ارض جبار فاتى الجبار
فقيل قد نزل ههنا رجل معه امرأة من احسن الناس فارسل اليه فاتاه فقال ما هذه المرأة منك قال اختي قال
اذهب فارسل بها فاتى سارة فقال ان هذا سالني عنك فاخبرته انها اختي فلا تكذبيني عنده فانك اختي في كتاب
الله تعالى وليس في الارض مسلم غيرك وغيري هذا كله لفظ حديث ابي هريرة فمعنى قوله عم لم يكذب ابراهيم الا ثلث كذبات
اي لم يتكلم على صورة الكذب الا هذه الثلث فانها في الظاهر وعلى التوهم من السامع اخبار على خلاف الواقع وان لم تكن
في الحقيقة كذلك لانها في التحقيق تعريض بما هو المقصود بالذات واشارات الى ما هو الغرض الاصلي وذلك ان الغرض من قوله
اني سقيم انه سيسقم لما علم ذلك بامارة النجوم وانه سقيم لما يجد من الغيظ باتخاذهم النجوم آلهة والغرض من قوله بل فعله
كبيرهم التنبيه على ان من لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه كيف يقدر عليه عن غيره فكيف يصلح الها ومن قوله هذه اختي
الاخوة في الدين تخليصا من يد الجبار فانه كان من طريقة السياسة التعرض لذات الازواج دون غيرهن لانها
اذا اختارت الزوج فالسلطان احق بها من زوجها واما اللاتي لا ازواج لهن فلا سبيل له عليهن الا اذا رضين
وبهذا يظهر ضعف ما قيل الكذبات الثلث قوله ثلث مرات هذا ربي في الكواكب وقيل الثالث قوله هذا ربي لا قوله

هذا اخفى وعلى هذا فالمرض من قوله هذا في حكاية قولهم فانه من باب مجاراة الخصم وارخاء العنان اليه ليوث حيث يراد تبكيته لا الاعتقاد الالهية او المرض والتقدير تنبيها على خطايهم وارشادا الى انه لا يصلح للالهية لقيام دليل الحدوث وقيل يجوز ان يكون ذلك كذبا الا انها لما كانت في دفع عن الدين لا يكون ذلك معصية بل كانت مباحة بدليل قوله عم لا يحل الكذب الا في ثلث الحديث وقد علم مما ذكرنا ان كل كذب لم يكن للحرب واصلاح بين الناس وبين المرأة وزوجها والدفع عن الدين حرام لا ينبغي لاحد ان يقرب وهو المراد بما نقل عن الصديق الاكبر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرأ الحرميان ابو عمرو وابن عامر يكذبون بالتشديد على انه للتعدية بمعنى يكذبون النبي عليه السلام اي يجعلونه كاذبا بمعنى نصفونه بذلك ويعتقدونه كذلك وهو نقيض صدقه بالتشديد او للمبالغة اي الزيادة في الكيفية كابولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وتقلص بمعنى يكذبون كذبا عظيما او للتكثير اي الزيادة في الكمية من جهة كثرة الفاعلين كقولك موت البهايم وبركت الابل اي كثر موت البهايم وبروك الابل او على انه من كذب الوحشي اذا وقف وتردد لان المنافق موقف متردد في امره وهو مجاز عن الذي للتعدية كانه يكذب رايه وظنه فيتردد وكذلك قيل مذبذبين وقال النبي عم المنافق كمثل شاة العايرة بين الغنمين يقرالى هذه والى هذه مرة اي المترددين ثلثين واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على كانوا الا انك اذا قلت لهم عذاب اليم بما اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون كان صحيحا وكذا اذا عطف على يكذبون او يقولون امنا واياما كانت فهو في عطف الجملة الشرطية على غير الشرطية والثاني اوجه لانه اقرب وليكون اشارة الى قبح الفساد ووجوب الاحتراز عنه كالكذب الى غير ذلك وقد يقال بل الثالث اوجه لانه اذا عطف على يقول امنا يكون الايات على سنن تقدير قبايحهم فيفيد صفة اخرى لهم على الاستقلال ولان قوله واذا قيل لهم امنوا وقوله واذا لقوا الذين معطوفات على واذا قيل لهم لا تفسدوا فلو عطف على يكذبون كان ايضا معطوفين عليه فيدخلان في حيز سبب العذاب فتنتفي فايدة اختصاص الكذب بالذكر بالكلية فان قيل العطف على جملة من الناس من يقول او في زيادته هذه الاحوال فلم لم يعتد به اجيب بانه لا يفيد دخول هذه الاحوال في ذكر المنافقين وبيان قصتهم وحالهم ولان عود الضماير اليهم عند من له معرفة باساليب الكلام والافساد جعل الشيء فاسدا ولم يكن صنيعهم ذلك بل مؤديا اليه فانهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم واغرائهم عليهم ويهينون بالدين وذلك يؤدي الى هيج الفتن والاخلال بنظام العالم والاعراض عن الشرايع فالكلام محمول على المجاز باعتبار المال والانتهاء اي لا تفعلوا ما يؤدي الى الفساد وهذا اولى مما قال بعضهم في هذا المقام كان المنافقين انهم كانوا يمايلون الكفار لان ما يلهم الى الكفار ومعاونتهم اياهم على المسلمين افساد لا افساد ولانهم انما نهوا عن الافساد ومما يجب التنبه له ان معنى الافساد ليس الاتيان بالفساد وفعله ليصح الكلام على الحقيقة ثم ان الفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض من الناس والنعم والزروع والمنافع الدينية والدنيوية يقال هاج الشيء يهيج واهاج وتهيج اذا ثار وهاجه غيره يتعدى ولا يتعدى والانسب ان يحمل ههنا على غير المتعدي لان المتعدي افساد وانما ثبت

حرب كانت بين طي حرب الفساد لانهم جدعوا فيها الانوف وصلموا الاذان وقطعوا الايدي والارجل وحقيقة الفساد خروج الشيء عن حال استقامته واعتداله وكونه منتفعا به والصلاح نقيضه وهو الحصول على الحالة المعتدلة النافعة وهما يشملان كل ضار ونافع وعلى الجملة في حمل الفساد على هيج الحروب والفتن دون تغيير الملة وتحريف الكتاب دعوة الكفار في السر الى تكذيب المسلمين على ما قال بعض المفسرين زيادة بيان لفايدة قوله في الارض وقال قتادة نزلت في حق اليهود وفسادهم كفرهم بالقرآن وتغييرهم نعت محمد عم بالرشوة البسيرة والاصح هو الاول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فقيل لعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والقايل هو الله تعالى او النبي عم او بعض المؤمنين قالوا انما نحن مصلحون ان لتاكيد اثبات المسند للمسند اليه ثم لحقتها ما الكافة لا النافية على ما توهم بعضهم فزاد تاكيدها وعزلها عن العمل ولهذا ابتدا بعدها الكلام قال الله تعالى انما الله اله واحد وقال انما ينهيكم الله فناسب ان يتضمن معنى القصر لان قصر الموصوف على الصفة وبالعكس ليس الا تاكيدا للحكم على تاكيد فان قولك زيد انطلق لا عمرو لمن يردد الانطلاق بينهما يفيد اثبات الانطلاق لزيد صريحا في قولك زيد انطلق وضمنا في قولك لا عمرو ولان نفس الانطلاق لما كان مسلم الثبوت لاحدهما فاذا نفيت عن عمرو ثبت لزيد ضرورة على ان كلام الاثبات تاكيد والدليل على انها انما يفيد القصر لكونها متضمنة معنى ما والا قول المفسرين انما حرم عليكم الميتة والدم بالنصب معناه ما حرم عليكم الا الميتة وهو المطابق لقراءة الرفع المقتضية لانحصار التحريم على الميتة والدم ولقول النحاة انما لاثبات ما يذكر بعده ونفي ما سواه نحو انما زيد قايم انما يقوم زيد ولصحة انفصال الضمير معه اي مع انما كقولك انما يكتب انا كما تقول ما يكتب الا انا قال الفرزدق انا الذايد الحامي الذمار وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي وقال عمرو بن معدي كرب قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس الا انا اي القاه على احد قطريه وهما جانباه ومما يدل على انها متضمنة معنى ما والا ان النكرة الواقعة في سياق انما تعم كالواقعة في حيز النفي مثل انما لا امر ما نوى اي ليس لاحد من الرجال الا ما نوى سوى ما يكون الجزء الاخير مثل انما جاءني رجل فانه لا يعم لكونه كالواقع بعد الا وهو اثبات فتقول في قصر الموصوف على الصفة افرادا انما زيد جاء لمن يتردد بين المجيء والذهاب من غير ترجيح لاحدهما او قلبا لمن يقول زيد ذاهب لا جاء وفي قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين انما جاء زيد واصل انما ان يستعمل في حكم لا يعرف المخاطب تحقيقه لوضوحه حقيقته كقوله تعالى انما انت منذر من يخشيها فان كل احد ممن به مسكة يعلم ان الانذار انما يكون انذارا او يكون له تاثير اذا كان مع من يؤمن بالله وباليوم الاخر ويخشى عقاب الاخرة وقوله انما يستجيب الذين يسمعون وقولهم انما يعجل من يخشى الفوت وقولك انما هو اخوك وانما هو صاحبك القديم لمن يعلم ذلك ويقر به مصبوب في هذا القالب وعليه قوله انما انت والد والاب القاطع اجفى من واصل الاولاد او ادعاء كقوله تعالى حكاية عن المنافقين انما نحن مصلحون ادعوا على مجرى عادتهم في الكذب ان كونهم مصلحين امر ظاهر جلي لا ستره به فلذلك جاء الا انهم هم المفسدون للرد عليهم مؤكدا بما ترى من ايراد الجملة الاسمية الدالة على الثبات وتعريف الخبر الدال على الحصر

وتوسيط الفصل المؤكد لذلك وتصدير الكلام بحرف التنبيه الدال على ان مضمون الكلام مما له خطر وبه عناية ثم تعقيبه
بما يدل على التقريع والتوبيخ وهو قوله ولكن لا يشعرون فانه يدل على ان كونهم مفسدين مما ظهر ظهور المحسوس
لكن لا احساس لهم ليدركوه ومثله قول الشاعر انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء ادعى ان كون
مصعب كما ذكر جلي معلوم لكل احد على عادة الشعراء اذا مدحوا ان يدعوا في كل ما يصفون به ممدوحيهم الجلاء
وانهم قد شهروا به حتى انه لا يدفعه احد كما قال الآخر ويعذلني ابناء سعد عليهم وما قلت الا بالتي علمت سعد
كما قال البحتري لا ادعي لابي العلاء فضيلة حتى يسلمها اليه عداه والحاصل ان انما نحن مصلحون قصر افراد لا قصر
قلب على ما يظنه بعضهم لان نهيهم عن الافساد يشعر بان فيهم افسادا فنفوا ذلك بادعاء انهم مقصورون على الاصلاح
من غير شائبة وجه من وجوه الافساد واتوا بانما دلالة على ان ذلك امر ظاهر جلي من شانه ان لا يجهله المخاطب
ولا ينكره فاكد الامر جل وعلا في تكذيبهم ورد عليهم ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد واكده
بقوله الا انهم هم المفسدون قصر قلب اي هم مقصورون على الافساد لا ينتظمون في جملة المصلحين اصلا
والمبالغة فيه من جهة الاستيناف المقصود به تمكن الحكم في ذهن السامع فضل تمكن والتاكيدين في كلتا الجملتين
الا وان الى غير ذلك كما قلناه ومما يجب التنبيه له ان فائدة ضمير الفصل في التحقيق عايد الى المسند اليه
والمسند جميعا لانه يجعل احدهما مخصصا به ومقصورا والآخر مخصصا به مقصورا عليه ومن ههنا نقول
انه تاكيد الحكم الى النسبة التي بين الطرفين لما فيه من زيادة الربط حتى ان معنى قولنا زيد هو القايم زيد است
كه قايم است وقد يتوهم انه لتاكيد المسند اليه لانه بمنزلة زيد نفسه القايم وفساده بين واشترطوا كون الخبر
معرفا باللام او اسم تفضيل افعل وغيره او فعلا مضارعا والاظهر انه اذا كان في الكلام ما يفيد القصر وهو الخبر
المعرف باللام فضمير الفصل انما يفيد تاكيد القصر اذ القصر حاصل بدونه سواء كان قصر المسند على المسند اليه نحو زيد
هو القايم ومنه ان الله هو الرزاق اي لا رازق الا هو او بالعكس نحو الكرم هو التقوى والحسب هو المال اي لا كرم
الا بالتقوى ولا حسب الا بالمال قال ابو الطيب رحمة الله عليه اذا كان الشباب السكر والمشيب هما فالحيوة هي الحمام
اي لا حيوة الا بالحمام ومعنى التعريف في المفسدون الدلالة على ان المنافقين هم الناس الذين بلغك عنهم انهم
يفسدون في الارض كما اذا بلغك ان شخصا قد فسق من جيرانك ثم سمعت من هو فقيل زيد الفاسق اي هو الذي قد
اخبرت بفسقه او على انهم الذين ان حصلت صفة المفسدين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقة
فالمنافقون لا يعدون تلك الحقيقة الهمزة في الا للاستفهام بطريق الانكار ولا للنفي وانكار النفي
نفي له ونفي النفي اثبات وتحقيق هذا معنى قولهم الاستفهام اذا دخل على النفي افاد التحقيق والاثبات
كقوله تعالى اليس الله بكاف عبده اي ان الله لكاف عبده ولذلك لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة
بمثل ما يتلقى به القسم واختها اما التي تقع في مقدمات القسم وطلايعه اما والذي لا يعلم الغيب غيره
لكنها بعد التركيب صارت كلمة تنبيه تدخل على ما لا تدخل عليه كلمة لا نحو الا ان زيدا قايم ولا تقول لا ان

ان زيدا عالم ولا تقول لا والاكثرون على ان الا واما حرفان موضوعان لا تركيب فيهما لتوهم في الفصيحة
من جهتين احدهما النهي عن الافساد تخلية عما لا ينبغي حيث قيل واذا قيل لهم لا تفسدوا والثاني الامر بالايمان
تحلية بما ينبغي حيث قيل واذا قيل لهم آمنوا فكان من جواب المنافقين ان سفهوا المسلمين بقول بعضهم لبعض
انؤمن كما آمن السفهاء وذلك لفرط سفههم وتمادي جهلهم بقيل وفي هذا الكلام اشكال وهو ان فيه
اشارة الى ان القايل الآمر بالايمان هم المؤمنون لا المنافقون بعضهم لبعض فيما بينهم على ما يقال لكن
لا ينبغي ان يكون قولهم انؤمن كما آمن السفهاء مقولا فيما بينهم لا في وجوه المؤمنين والا لكانوا مجاهرين
لا منافقين وظاهر عبارة فكان من جوابهم ان سفهوهم اي نسبوهم الى السفه ربما يشعر بان القول
كان في وجوه المؤمنين فيتاكد الاشكال واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان
بمجموع الامرين احدهما التخلية والاعراض عما لا ينبغي وهو المطلوب بقوله لا تفسدوا وثانيهما التحلية الاسم
هو اللفظ الموضوع للمعنى على ما يعم انواع الكلمة وقد يقيد بالاستقلال والتجرد عن الزمان فيقابل
الفعل والحرف على ما هو مصطلح النحاة والاتيان بما ينبغي وهو المقصود بقوله آمنوا واسناد قيل
لا تفسدوا وآمنوا اسناد الفعل الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو مثل
قولك الف ضرب من ثلثة احرف وهو ليس بممتنع لانه في الحقيقة اسناد الى الاسم وانما الممتنع هو الاسناد
الى معنى الفعل معبرا عنه بمجرد لفظه على ان القول متعد والمحكي وهي الجملة الواقعة بعده مفعول به
واطلاق القول عليه من قبيل ضرب الامير مضروبه ومنه زعموا مطية الكذب فان الوارد بعد الزعم كلام غير
موثوق به لان الزعم هو القول بغير تبين وتثبت وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا كما آمن
الناس وما في كما كافة او مصدرية او موصولة اي كالذي آمن الناس وحقيقته مثل الايمان الذي من الناس
على انه واقع موقع موصوف محذوف واللام في الناس للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية او هم الناس
في الحقيقة فان من عداهم كالبهايم بل اضل من البهايم والاحسن ان يكون للعهد اي كما آمن النبي عليه الصلوة والسلام
والمؤمنون وهم ناس معهودون على الاطلاق او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدة المنافقين وهم معهودون
عندهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم الذين كانوا منكم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان
ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار اي لا يكون ذلك واللام
مشار بها الى الناس اي الكاملين او الذين من عداهم في حكم العدم او المعهودين وهذا عهد بلفظ آخر
وباعتبار وصف آخر او الى جنس السفيه على ما يراه بعض الاصوليين من بطلان الجمعية وتعين الجنسية
او جنس السفهاء الذين جرى ذكرهم من الناس الكاملين او احد الاخرين لان جنس السفيه اعم من
ذلك بحسب دلالة اللفظ وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد واعتقادهم الباطل لانهم عند المنافقين
اصلا في السفه واعرق الناس فيه وانما سفهوهم واشركوا عقولهم مع انهم العقلاء المراجيح لاعتقادهم

فساد رأيهم وان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها او لتحقير شانهم
فان المنافقين كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسارون اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال رضي الله عنهم
او التجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم كعبد الله بن سلام واشياعه توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل
والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله فان السفه واخواته من النفس والحلم
واخواته من الروح عن وهب بن منبه انه وجد في التورية في صفة آدم عليه الصلوة والسلام ان الله تبارك وتعالى
قال جعلت فيه نفسا وروحا ومن النفس حرارته ومن الروح برودته فمن النفس حرصه وخفته وشهوته
ولعبه وضحكه وسفهه ومن الروح حلمه ووقاره وعفافه وحياؤه وفقهه وكرمه وصدقه الا انهم
هم السفهاء ولكن لا يعلمون اعلم ان من صور القطع للوجوب قوله الا انهم هم السفهاء لم يعطف لمانع من العطف
وذلك لانه لو عطف لعطف اما على جملة انما نحن مصلحون واما على جملة قالوا وكلاهما لا يصح لانه لو عطف عليهما لكان
من مقول المنافقين وليس منه وكذلك قوله الا انهم هم المفسدون فيما تقدم وقوله الله يستهزئ بهم فيما تأخر فانه
لو عطف على انا معكم او على انما نحن مستهزؤن لكان من مقولهم وليس منه ولو عطف على قالوا لشاركه في الاختصاص
بالظرف المقدم واعترض عليه بانه يجوز ان يكون المقطوع في ثلث اي في المواضع الثلثة معطوفا على الجملة المصدرة
بالظرف سواء جملة الشرطية وان الفعلية مقيدة بظرف مثل خرجت يوم الجمعة ودخلت يوم السبت لانه اذا الشرطية
ليست الا الظرفية استعملت استعمال الشرط وما قيل من انه ليس في الكلام عطف غير الشرطية على الشرطية فظاهر
الفساد بدليل عطف ولا يستقدمون على مجموع اذا مع الجزاء لا على الجزاء اذ لا معنى لقولك اذا جاء اجلهم لا يستقدمون
وكذا يجوز العكس اي عطف الشرطية على غيرها كما في قوله تعالى ولو انزلنا ملكا لقضي الامر عطف على قالوا
لولا انزل عليه ملك بل وفي هذه الآيات الشرطيات المصدرة بالواو على كانوا ويكذبون في قوله ولهم عذاب
اليم بما كانوا يكذبون او على يقول آمنا بالله كما من تقريره وبهذا يمكن دفع ما اورد من الاعتراض لظهور
انه لا وجه لعطف الا انهم هم المفسدون والا انهم هم السفهاء والله يستهزئ بهم على ما كانوا يكذبون
ولك ان تحمل ترك العطف في الآيات الثلث على الاستيناف فنقول ترك العطف في الا انهم هم المفسدون
للاستيناف ليطابق مقتضى الحال فان ادعاءهم الاصلاح لانفسهم مع توغلهم في الافساد مما يشوق السامع ان
يعرف ما حكم الله عليهم فكان وروده الا انهم هم المفسدون بدون الواو هو المطابق كما ترى وكذلك الا انهم
هم السفهاء للاستيناف ايضا ليطابق مقتضى الحال بعين ما تقدم وكذا ترك العطف في الله يستهزئ بهم على
الاستيناف من حيث ان حكاية حال المنافقين فيما تقدم لما كانت تشوق السامع وتحركه ان يسأل لما مصير
امرهم وعقبى حالهم وكيف معاملته اياهم لم يكن من البلاغة ان يودي الكلام عن الجواب فلزم المصير الى الاستيناف
ومنه قول الشاعر زعم العواذل انني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي فانه لما ابدا الشكاية على جماعات العذال
زعم العواذل انني في غمرة كان ذلك مما يحرك السامع ليسأل اصدقوا في ذلك ام كذبوا صار هذا السؤال مقتضى

مقتضى الحال فبني عليه تاركا للعطف على ما عليه ايراد الجواب عقيب السؤال ومنه قول جندب بن عمار
زعم العواذل ان ناقة جندب بجنوب خبت عريت واجمت كذب العواذل لو رأين مناخنا بالقادسية
قلن لج وذلت فصل كذب العواذل فلم يعطفه ليقع جوابا لسؤال اقتضاه الحال عند شكواه عن النساء العاذلات
بقوله زعم العواذل ان ناقة جندب وهو اكذبت العواذل في ذلك ام صدقن وانما فصلت هذه الآية بلا يعلمون
والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين وان المؤمنين على الحق وهم
على الباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واستدلال حتى يكسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك
بالتأمل الادنى فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار
وذلك ان المنافقين اذا استقبلهم المؤمنون تكذبوا لهم واستهزؤا بهم ولقوهم بوجوه الصادقين واوهموهم
انهم معهم واذا فارقوهم الى شطارهم وحلفاء دينهم صدقوهم ما في ضمائرهم روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم
نفر من الصحابة رضي الله عنهم فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم
وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين
الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول
الله صلعم ثم افترقوا فقال للاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت وتقول القيته ولاقيته اي استقبلته
واعلم ان مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير وقد يتوهم تكراره نظرا الى
مجرد الشرطية اعني واذا لقوا الذين آه لكن يظهر بالتأمل ان واذا خلوا الى شياطينهم قالوا عطف عليها حتى انهما
بمنزلة كلام واحد وسوق قصة واحدة وليست بشرطية مستقلة معطوفة على ما سبق مسوقة سوق الشرطيتين
السابقتين واذا قيل لهم لا تفسدوا واذا قيل لهم آمنوا وقرأ ابو حنيفة واذا لاقوا ونسبها صاحب غرائب القرآن
الى ابن السميفع ويحيى بن يعمر وزيد بن علي وابن عمر وهو من الملاقات ومنه قوله ملاقوا ربهم الا ان يحيى لكسر الواو
فيقرأ لاقوا الذين آمنوا وذلك مذهبه في الواو الساكنة اذا استقبلها ساكن واذا خلوا الى شياطينهم اذا هذه
ظرفية قدمت على عاملها وهو قالوا لقصد الاختصاص فيلزم ان يكون قولهم انا معكم مختصا بحال خلوهم الى شياطينهم
وخلوا من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الماضية
او من خلوت اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان يعبث به وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمعنى
اذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما في احمد اليك فلانا اي انهي حمده اليك وهذا
بيان المعنى واما التقدير فسخروا منهين اليهم واحمده منهيا اليك على ما هو قاعدة العربية فان حقيقة
التضمين يرجع الى ان يكون الفعل في معناه الحقيقي مع حذف حال ماخوذ من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية
وقيل التضمين ان يراد بالفعل معناه الاصلي مع فعل آخر بحيث يقع احدهما قيدا للآخر يعني سواء كان الفعل المذكور في معناه
الحقيقي والمتروك قيدا له كالمثال السابق وكقولك يقلب كفيه على كذا اي يقلب كفيه نادما على كذا او بالعكس كقوله تعالى

يوصفون بالغيب اي يعترفون به مؤمنين بناء على ان تعدية الايمان بالباء لتضمنه معنى اقر واعترف كما مر وقد
جعل ههنا الفعل المذكور قيدا للمتروك وحالا عنه كما ترى وقد يقال ان ذكر صلة المتروك يدل على زيادة القصد
اليه فجعله اصلا والمذكور حالا وتبعا ويجاب بان ذكر صلته دلالة على اعتباره في الجملة لا على زيادة القصد
اليه اذ لا دلالة بدونه فتعين جعل الاصل اصلا والتبع حالا واما ما ذكرنا فيدل على انه يجعل كذلك تارة وبالعكس
اخرى وهو الصحيح وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليه
للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان اصلية من شطن اذا بعد
لبعده من الصلاح والخير ويدل عليه قولهم تشيطن واخرى زائدة من شاط اذا بطل من اسمائه الباطل قالوا انا معكم
اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية كلام مع المنكر بدون التاكيد وشياطينهم بالاسمية
محققة بان كلام مع غير المنكر وقانون البلاغة يقتضي عكس ذلك والجواب انهم قصدوا بالاولى دعوى احداث
الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه وايضا ترك التاكيد كما يكون لعدم الانكار فكذا يكون لعدم
الباعث من جهة المتكلم ولعدم الرواج والقبول من السامع وهكذا التاكيد كما يكون لازالة الشك ونفي الانكار
فكذا يكون لصدق الرغبة ووفور النشاط من المتكلم ونيل الرواج والقبول من السامع الا ترى الى حكاية
قول المؤمنين ربنا اننا امنا ولما لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا طمع
رواج ادعاء الكمال في الايمان عليهم علما منهم انه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التاكيد والمبالغة وكيف
يطمعون فيه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التورية والانجيل بخلاف ما خاطبوا به الكفار
كلام امنا بالجملة الفعلية بدون التاكيد وانا معكم بالاسمية وحرف التاكيد انما نحن مستهزءون تاكيد لقوله انا معكم
لان معناه الثبات على اليهودية وقوله انما مستهزءون نفي ورد للاسلام ونفي نقيض الشيء تاكيد لثباته
وذلك ان الاستهزاء بالاسلام والاستخفاف به اثبات وقبول للكفر واصرار عليه وقيل لما كان المراد بانا معكم
هو انا معكم قلوبا وكان معناه انا نوهم اصحاب محمد صلعم الايمان وقع قوله انما نحن مستهزءون تقريرا وتاكيدا
لذلك او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر ثم الاشبه ان يجعل بمنزلة بدل الكل والاحسن ان
يحمل على الاستيناف لانه جواب انا معكم وهو قول المنافقين لشياطينهم الى ان يقولوا لهم فما بالكم ان صح
انكم معنا توافقون المؤمنين فاجابوا بقولهم انما نحن مستهزءون وانما كان احسن من البدل لان علماء
البيان لا يقولون به في المحال التي لا محل لها ويعنون بما لا محل له ما لا يكون خبرا او صفة او حالا وان كان في
موقع المفعول للقول ولظهور مظنة السؤال والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصله الخفة من الهزء
وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم
ومعنى استهزاء الله بهم انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو الخفة والزراية
بمن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة فيكون مجازا عما هو بمنزلة الغاية للاستهزاء فيكون من اطلاق

المسبب

المسبب على السبب نظرا الى التصور وبالعكس نظرا الى الوجود او المراد بالاستهزاء ههنا المعاملة الشبيهة به فان صورة
صنعهم مع الله والمؤمنين حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الساخر وصورة صنع الله
معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد خبث الكفرة واهل الدرك الاسفل صورة صنع
المستهزئ والساخر فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم فيكون استعارة تمثيلية حيث اطلق الاستهزاء
على ما تشبه صورته صورة الاستهزاء وقيل سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما
لمقابلة اللفظ باللفظ ولكونه مماثلا له في القدر فيكون مشاكلة وتسمية لجزاء الشيء باسمه وهو كثير في الكلام
الا انه مشكل من جهة المعنى وانما لم يعطف الله يستهزئ بهم على قالوا لئلا يشاركه في الاختصاص بالظرف
المقدم وهو قوله واذا خلوا الى شياطينهم فان استهزاء الله بهم وهو ان خذلهم وخلاهم وما سولت
لهم انفسهم مستدرجا اياهم من حيث لا يشعرون متصل لا ينقطع بكل حال سواء خلوا الى شياطينهم او لا
وانما لم يعطف على انا معكم لاستلزامه ان يكون من مقول المنافقين وليس منه وقيل انما فصل عما قبله لكونه
استينافا في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي يضمحل
استهزاؤهم في جنبه كصورة عمن يضمحل في جنب علمه وقدرته علمهم وقدرتهم وان الله تو يتولى مجازاتهم
ويكفي مؤنة المؤمنين انتقاما لهم ولا يحوجهم الى معارضة المنافقين باستهزاء مثله الذي هو بحد سخرية
واستخفاف وفيه تعظيم لشان المؤمنين وفيه اشعار بالحصر المستفاد من بناء الفعل على المبتداء بمعنى ان الله المستهزئ
بهم لا المؤمنون ومعنى الحصر ههنا ان الله تعالى هو الذي يتولى الاستهزاء بهم بالمعنى الذي يليق به ولا يتولاه
المؤمنون بالمعنى الذي يليق بهم ويماثل استهزاء المنافقين وفيما ذكرناه دلالة على هذا وانما قال الله يستهزئ بهم
بالمضارع دون اسم الفاعل قصدا الى استمرار الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله في المنافقين
وبلاياهم النازلة بهم وتجدده وقتا فوقتا وتجددت حالا فحالا اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
وما قد سبق الى بعض الخواطر من ان هذا المعنى مستفاد من تقديم المسند اليه حتى يحصل التجدد من الفعل والاستمرار
من كون الجملة الاسمية فلا معرج عليه الا ترى ان قوله وويل لهم مما يكسبون وقوله لو يطيعكم في كثير وغير ذلك قد دل الخارج
على التجدد والاستمرار من غير تقديم للمسند اليه وينبغي ان يعلم ان هذا غير ما يستفاد من الجملة الاسمية فانه ثبات واستقرار
لا استمرار بمعنى الحدوث حالا فحالا ومرة بعد اخرى ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه
وكذلك مد الدواة وامدها زادها وما يصلحها ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتها بالزيت والسماد
لا من المد في الدليل على انه من المد في الحبل بمعنى الامداد واعطاء المدد وقراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم بضم
الياء وكسر الميم من الامداد بمعنى اعطاء المدد وليس من المد في العمر والامهال في الشيء ولان المد في العمر يعدى
باللام كاملى لهم لا بنفسه فلا يقال مده بل مد له والحذف خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل ولما تعذر على المعتزلة
اجراء الكلام على ظاهره باعتبار ان المد بمعنى اعطاء المدد واذا كان في القبائح والتمرد كالطغيان لم يصح اسناده الى الله

قالوا وجهها الاول ان المراد باعطاء الله تعالى اياهم مددا في الطغيان ما تزايد من الرين والظلمة في قلوبهم بسبب منعه الالطاف
وخذلانه اياهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه فسمي ذلك اي ما به التزايد مددا واسند اعطاؤه الى الله سبحانه لانه مسبب عن
فعله بسبب كفرهم اسناد الفعل الى سببه البعيد الثاني ان المراد بالمد في الطغيان منع ترك القسر والالجاء الى الايمان وهو
فعل الله حقيقة الثالث على حقيقته لكن اسناده اليه تعالى وان كان فعل الشيطان لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه و بين
اغواء عباده فالمجاز على الوجه الاول في المسند والاسناد جميعا وعلى الثاني في المسند خاصة وعلى الثالث في الاسناد خاصة
ويؤيد ما قيل وهو انه من مد الجيش وامده بالمعنى الذي ذكر تفسير الحسن يمدهم بقوله في ضلالتهم يتمادون وكون
هؤلاء ممن طبع الله على قلوبهم لان التمادي في الضلال والطبع على القلوب يناسب تزايد الظلمة والضلال لا امداد العمر
والامهال ولذا احتج بعض المفسرين الى تفسير المد في الطغيان بالامهال خوفا من الاقدام على ان يسندوا الى الله سبحانه وتعالى
ما اسندوا الى الشيطان ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد بصحته والا كان المعنى من اللفظ بمنزلة الاروي
من النعام ومن حق المفسر ان يتعهد اوضاع اللغة ليقع نظم القران على حسنه وبلاغته على كمالها والا فهو من تعهدها
على مراحل ولا يخفى ما في كلامهم من التعريض باهل السنة والطغيان بالضم والكسر كلقيان وغنيان ضما وكسرا الغلو في الكفر
وجاوز الحد في العتو و في اضافته اليهم اشارة الى ان الطغيان مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم فحقيق ان يضاف
اليهم ويختص بهم لا الى الله اذ الاصل ان ينسب الفعل الى من قام به لا الى من خلقه واوجده سيما المعاصي فانها انما
تضاف الى من قامت به واتصف بها والله تعالى خالق الافعال لا محل لها فالطغيان الذي يتمادون فيه فعلهم بطريق
المحلية والاتصاف كسائر الاوصاف المخلوقة لله تعالى القائمة بالعباد المضافة اليهم اضافة المحلية وليس في هذه الاضافة
دلالة على انه بايجاد العبد لا بايجاد الله تعالى وارادته والعمه مثل العمى لكن العمى في البصر والعمه في البصيرة وهو شدة التحير
في الامر بحيث لا يدري اين يتوجه يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها ومنه قوله بالجاهلين العمه الى الذين
لا دراية لهم بما طرق لدروس الاعلام وعدم المنار بها اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى استعير الاشتراء
للاختيار والاستبدال ثم قفى بالربح والتجارة الذين هما من متعلقات الاشتراء والمعنى اختاروا الضلالة على الهدى
واستبدلوها به فان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدردرا وبالطويل العمر عمرا حيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا والمسلم الذي اشترى النصرانية بالاسلام جبلة بن
الايهم من ملوك غسان وقصته انه كان نصرانيا واسلم في عهد امير المؤمنين عمر رضي الله عنه بعد ما قدم مكة
في احسن زي وكان يطوف بالكعبة فوطئ ثوبه رجل من بني فزارة فلطمه جبلة لطمة هشم بها انفه وكسر ثناياه
فمضى الفزاري الى عمر فحكم اما العفو واما القصاص فقال جبلة ايقتص مني وانا ملك وهو سوقي فاجتهد غاية
الاجتهاد فلما عجز سال التاخير الى الغد فلما كان من الليل ركب في بني عمه ولحق بالشام مرتدا وتنصر ثم
ندم على ما فعل وقال في ذلك تنصرت بعد الحق عار اللطمة ولم يكن فيها لو صبرت لها ضرر وادركني فيها لجاج
حمية فبعت لها العين الصحيحة بالعور فيا ليت امي لم تلدني و ليتني صبرت على القول الذي قال عمر عن وهب قال الله تعالى

فيما

فيما يعيب به بني اسرائيل يفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويبتاعون الدنيا بعمل الاخرة وجعل تمكنهم
من الهدى واعراضه لهم بعد التكليف به بمنزلة تملكهم اياه تجوز في نفس الهدى حيث اريد به التمكن منه
او في نسبته اليهم حيث استعير ثبوته لتمكنهم منه واذا اريد الهدى المجعول لهم بالفطرة فلا مجاز اصلا
او هو في الهدى فقط ان كان وقرا يحيى بن يعمر وابن ابي اسحاق اشتروا الضلالة بكسر الواو وكذلك فتمنوا
الموت وعصوا الرسول ولا تنسوا الفضل وجعلوا ذلك مذهبا في الواو الساكنة التي بعدها ساكن قال
ابو حاتم هي لغة غير فاشية وقال غيره على ان بنية هذه الواو السكون وقرا ابو السماك كلها بفتح الواو
اتباعا لحركة ما بعدها وتحريكا لها باخف الحركات فما ربحت تجارتهم والربح الفضل على راس المال ولذلك
يسمى شفا والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء وعدم الربح ههنا مجاز عن الخسران كانه قيل خسرت تجارتهم
وهذا بناء على ان التجارة فاعل مثبت يتضمنه حرف النفي مع فعله كقولك ما نام ليله اي سهر وما صام
نهاره اي افطر وتحقيقه انه اعتبر نفي الفعل اولا ثم اسند لا العكس فانه لو اسند الفعل ثم نفي لم يكن من المجاز
في شيء كقولك ما نام الليل وما صام النهار قصدا الى نفي النوم عن الليل والصوم عن النهار والحاصل
انه لو اعتبر نفي الفعل ثم اسند فمجاز ولو اعتبر اسناد الفعل ثم نفي فحقيقة فاسناد الخسران الى التجارة
وهو لاربابها من الاسناد الى السبب لكونها سببا للربح وعدمه وقيل ذلك لملابستها بالفاعل فان
التجارة ملابسة للتاجر فاسند فعله الى ملابسه بطريق المجاز فان قيل فعلى هذا ينبغي ان يصح ربح عبدك
وخسرت جاريتك مجازا لكونه متلبسا بالرابح وقد ذكر على الربعي وهو من اكابر ائمة النحو انه لا يصح اجيب بانه
يصح اذا دلت الحال وقامت القرينة على ان العبد والجارية راس المال وكذلك الشرط في صحة سائر المجازات
نحو رايت اسدا وانت تريد المقدام فانه لا يشترط السماع في افراد المجاز وان لم تقم قرينة دالة لم يصح
واذ قد عرفت ان ذكر الربح والتجارة بعد استعارة الاشتراء للاستبدال ترشيح فاعلم ان معناه عند
علماء البيان ان يقرن بالمجاز صفة او تفريع كلام يلائم المعنى الحقيقي واكثر ما يكون في الاستعارة
نحو جاوزت بحرا يتلاطم امواجه وقد يكون في المجاز المرسل كقولهم له اليد الطولى اي القدرة الكاملة
وانه انما يكون بعد تمام الاستعارة بالقرينة في التصريحية وبالتخييل في المكنية وانه قد يكون مجازا عن
شيء كالوكر والتنفق في الابيات الآتية بعيد هذا وقد لا يكون كالحنظل والحبل التوام وتلاطم الامواج
وذلك نحو قوله فلما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري فانه لما استعار النسر
للشيب وابن داية وهو الغراب للشعر الفاحم اتبعه ذكر التعشيش عن الوكر وهو ترشيح عز غلب
جاش اضطرب والوكران مجاز عن اللحية والراس وعن الفودين اي جانبي الراس والتعشيش عن الحلول او النزول
وقد علم من هذا ان الترشيح قد يكون مجازا ونحوه قول بعض فتاكهم في امة فما ام الردين وان ادلت بعالمة باخلاق
الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التوام اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه

من ناقة ايد بالحبل المثني المحكم يعني اذا اخذت واساءت الخلق وغضبت اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء

من خلقها استعارا للتفصيح اولا ثم ضم اليه الشنق ثم الحبل التوام ومنه قولكم جاء بي رجل كان اذني قلبه خطلا وان

قصد الي جعله كالحمار واثبات الاذن والخطل ترشيح ويحتمل ان يكون القلب استعارة بالمكنية والاذنان استعارة

تخييلية والخطل ترشيحا يقال اذن خطلاء اي مسترخية طويلة ومما يجب التنبه له ان الاوصاف الملايمة قد تكون

بطريق الجزم وقد تكون بطريق الظن والادعاء والتشبيه وقرا ابن ابي عبلة تجاراتهم وما كانوا مهتدين

هذا ايضا يرجع الي الترشيح فانهم لما اضاعوا راس المال الذي هو الهدي حيث اخذوا الضلالة التي هي عدم له

واعتقدوها ونبذ لكم ما يلايمه من عدم اتصافهم باصابة الربح وعدم اهتدايهم لطرق التجارة فبقوا خاسرين

ضالين فاقدين للاصل فقد علمت بهذا وجه الجمع بين العدمين بالواو وترتبها على شراء الضلالة بالهدي

وان هذا ليس بتكرار كما يسبق الي بعض الاوهام وايضا هو تحقيق وكشف بحيث يتجلي به حقيقة صفتهم فان

الضلالة تجعل صاحبها كمن يخبط في الظلمات فلا يهتدي الي الطريق ولا يفصل البيء من غيره فلا يزال بين سقوط

على الوجه وبين وقوع في مهلكة والهدي بعكس ذلك على ما سياتي تحقيقه مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء

بحقيقة صفتهم قفي على اثرها بضرب المثل قصدا به زيادة الايضاح والتحقيق فانه اوقع في القلوب واقمع للخصم

الالد فابرز خفيات المعاني ابرازا ويكشف القناع عن وجه الحقايق كشفا بحيث يريك المخيل محققا والمتوهم

متيقنا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء عم والحكماء قال الله تع وتلك

الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وفي الانجيل سورة تسمى سورة الامثال فالامثال مصابيح الاقوال

يهتدي بها المهتدون والمثل في الاصل كلام بمعنى المثل وهو النظير يقال مِثل ومَثل ومثيل كشِبه وشَبَه وشبيه

ثم قيل للقول السائر مثل مضربه بمورده والمراد بالمورد الحالة الواردة فيها الكلام وبالمضرب الحال المشبهة بها

قال المبرد المثل ماخوذ من المثال وهو قول سائر شبه به حال الثاني بالاول وهذا معنى قولهم التشبيه التمثيلي متى فشى

استعماله على سبيل الاستعارة تسمى مثلا ولكون المثل تمثيلا فشا استعماله على الاستعارة لا تغير الامثال عن لفظها

الذي ورد في الاصل تذكيرا او تانيثا افرادا او غير ذلك لان الاستعارة استعمال لفظ المشبه به في المشبه فلو غير

لفظ المثل عما ورد عليه لم يكن لفظ المشبه به بعينه فلا يكون استعارة فلا يكون مثلا فقولهم لو ذات سوار

لطمتني لا يغير عن طريق التانيث وان استعمل في حق المذكر وكذا اذا طلب رجل شيا ضيعه قبل ذلك تقول له

بالصيف ضيعتِ اللبن بكسر تاء الخطاب لان المثل قد ورد في امراة والحاصل ان المحافظة على الامثال وعدم تغييرها

من جهة ان المثل استعارة فيجب ان يكون هو اللفظ الدال على المشبه به ولا يغير عن حال المورد المشبه به الي حال

المضرب المشبه ليصح انه استعارة وهذا لا ينافي ما قيل من ان ذلك من جهة اشتماله على غرابة من بعض الوجوه

ولكون المثل مما فيه غرابة استعير لفظ الحال والصفة او القصة اذا كان لها شان عجيب ونوع غرابة كقوله عز وجل

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا اي حال المنافقين وقصتهم العجيبة الشان كحال الجنس او القادح الذي

استوقد

استوقد نارا عظيمة اي طلب وقودها وسعي في تحصيلها ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها وقرا ابن السميفع

اوقد نارا وكقوله ولله المثل الاعلي اي الصفة العجيبة وكقوله مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل اي صفتهم وشان

المتعجب منه وكقوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليكم من العجايب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان

عجايبها وما في المثل من معني القرابة قالوا فلان مثلة مستعملين هذا اللفظ في الخير والشر ومعناه العجيب الشان

والذي بمعني الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القايم موضع القايمين لوجوه

الاول ان اللام وان كان اسما موصولا كالذي لكنه في صورة التعريف حتى ذهب بعضهم الي انه حرف اجري مجراه

في وجوب مطابقة الصفة بعد الموصوف به وليس كذلك الذي فجاز افراد الضمير في صلته نظرا الي ظاهر اللفظ

الثاني انه جعل ذلك على طريق الحذف والتخفيف فان الذي لكونه وصلة الي وصف المعرفة ولتكاثر وقوعه في كلامهم

ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولاستحقاقه التخفيف جري هذا النوع من التخفيف في صيغة جمعه

ولم يجز في جميع الصفات ومن ثم نقصوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء

الفاعلين والمفعولين حيث قالوا اللذِ بكسر الذال واللذْ بسكونه والضارب بحذف ما سوي اللام والثالث انه

قصد جنس المستوقدين فلا يختص بالواحد ليلزم المحذور والرابع انه جعل موصوفه لفظا مفردا دالا على معني

الجماعة كالجمع والفوج قال الجوهري الذي اصله لذي فادخل عليه الالف واللام ولا يجوز ان ينزعا عنه للتنكير

وفيه اربع لغات الذي واللذِ بكسر الذال واللذْ باسكانها واللذيّ بتشديد الياء وكثير من المحققين على ان

الذي بكماله اسم موضوع معرفة وبعضهم على ان الموصول هو لذي واللام مزيدة لتحسين اللفظ حتى

لا يكون الموصوف به المعرفة يوصف بالنكرة وجعلت لازمة لانها لو دخلت تارة ونزعت اخري لاوهم انها للتعريف

ثم الجمهور على ان اللام التي هي من الموصولات ليست منقوصة الذي بل اسم موضوع براسه الا انه لزم دخوله الاسم

لكونه في صورة حرف التعريف وظهر اعرابه في ذلك الاسم فهو اسم في صورة الحرف وصلته فعل في صورة الاسم والنار

جوهر لطيف مضئ حار محرق وفي قوله كلما اضاءت ما حوله دلالة ظاهرة على ان النار من قبيل المضئ لذاته كالشمس

وما سوي القمر من الكواكب فانها مستضئة لذواتها غير مستفيدة ضوءها من مضئ آخر والقايم بالمضئ لذاته

هو الضوء والقايم بالمضئ بالغيره نور كما في القمر ووجه الارض المستضئين بضوء الشمس قال الله تع هو الذي

جعل الشمس ضياء والقمر نورا فانه اذا قوبل الضوء بالنور اريد بهما هذان المعنيان وفيه تنبيه على انهما من الاعراض

لا الاجسام على ما زعم بعضهم هذا على اصطلاح المتكلمين وقال الامام الغزالي رحمه الله النور ما يبصر بنفسه

ويبصر به غيره كالشمس والقمر والسراج والنيران المشتعلة ثم يطلق تارة على ما يفيض من هذه الاجسام

على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال استنارت الارض ووقع نور الشمس على الارض ونور السراج على الحايط

والثوب وتارة يطلق على نفس هذه الاجسام المشرقة لانها ايضا في انفسها مستنيرة هذا كلامه واما

عند علماء العربية والنور ضوء كل نير حتى قالوا اطلاق النور على الضوء من اطلاق الاعم على الاخص لصدق

النور على النور الكامل فان قلت هب انهما من الاعراض ومحلها النير لكن الانتقال عليها مجاز فما معنى قولهم
ان في النور حركة واضطرابا كان ثمه انتقالا قلت معنى حركة العرض حركته بتبعية المحل من حيز الي اخر فانه اذا تحرك
الجسم تحرك ما فيه من الاعراض وليس ذلك من الانتقال المستحيل في شي وزعم قوم ان النور جسم لانه متحرك بحركة
المنير كما في الشمس والمراة والحركة من خواص الجسم ورد بانه مقابل المنير يتكيف بكيفية النور لا انه انتقل النور
من الموضع الاول الي الموضع الثاني وقيل الضوء اجسام صغار تنفصل عن المضي وتتصل بالمستضي ورد بوجهين
الاول لانها اما غير محسوسة بالبصر فلا يكون الضوء محسوسا به والضرورة يكذبها او محسوسة فتستر ما تحتها
فيكون الاكثر ضوءا اكثر استتارا والمشاهد عكسه فان ما هو اكثر ضوءا يكون اكثر ظهورا وفيه نظر فان ذلك
شان الاجسام الملونة فانها تستر ما وراءها لعدم نفوذ شعاع البصر فيها لا شان الاجسام الشفافة
التي تنفذ نور البصر فيها ويتصل ما وراءها فان صفح البلور والزجاج الشفاف يزيد ما خلفهما ظهورا
يستعين الطاعنون في السن على قراءة الخطوط الدقيقة الثاني لو كان الضوء جسما لكان حركته بالطبع فكانت حركته
الطبيعية الي جهة واحدة فلم يقع الضوء من كل جهة والثاني باطل لان الضوء يقع الاجسام من جهات متعددة
مختلفة ومما يقوي عدم كونه جسما ان النور اذا دخل في البيت من الكوة ثم سد دها دفعة واحدة فانه لا يخرج
من البيت لا قبل السد ولا بعده ولا يعدم ذاته بل كيفيته ان كانت مبصرة وهو مرادنا وايضا فالشمس اذا طلعت
من الافق استنارت الدنيا في اللحظة وحركته لا تعقل في تلك اللحظة اللطيفة اي حركة النور الفايض على الدنيا
من الفلك الرابع واما اشتقاق النار فمن نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها لما بينهما من
المناسبة وهو ان الحركة والاضطراب يظهر في النار اولا وبالذات وبالنور ثانيا وبالعرض فلما اضاءت ما حوله
ولما ظرف بمعنى اذ يستعمل استعمال الشرط يليه فعل ماض لفظا او معنى وهو لثبوت الثاني لثبوت الاول
واضاء يجي لازما بمعنى صار ذا ضوء ومتعديا بمعنى جعله مضيا فعلى الاول ما حوله ظرف لغو لاضاءت بزيادة ما
او ظرف في موقع الصلة بكون ما موصولة في معنى الامكنة والموصول مع الصلة مفعول فيه وضمير اضاءت
للنار او لما حوله اي اضاءت الاماكن التي حول المستوقد وعلى الثاني ما حوله مفعول به وضمير اضاءت للنار
اي جعلت النار مضيا فان قيل يرد على الظرفية ان النار لا توجد فيما حول المستوقد فكيف تشرق فيه وذلك
ان معنى الاية على تقدير الظرفية اضاءت النار فيما حوله لكن اضاءة النار فيما حوله انما تكون لو وجدت النار
فيما حوله وليس كذلك اجيب بان النار وان لم توجد فيما حوله لكن ضوء النار موجود حوله فيجعل اشراق ضوء
النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها اسنادا للفعل الي السبب كما يقال بنى الامير المدينة فان النار سبب
لاشراق ضوء ما حول المستوقد كما ان الامير سبب لبناء المدينة ويرد على الاخير خاصة انه لا بد من اظهار
في لانهم انما جوزوا حذفها من لفظ مكان حملا على الظروف المكانية المبهمة لكثرة استعماله ولا كثرة في الموضوع
المعبر عن المكان بل هو قليل جدا فيجاب بكونه من قبيل عسل الطريق الثعلب وتاليف حروف حول الدوران

والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور وحال الانسان عوارضه التي تدور وبعتري عليه يقال حال الشي واستحال اي تغير
وحال عن العهد انقلب وحال وتحول الي مكان آخر تحرك وقراءة ابن ابي عبلة فلما اضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم اعلم ان الظاهر بالنظر الي المعنى ان هذا جواب لما وبالنظر الي اللفظ استيناف لاختلاف الضمير في حوله
وبنورهم ولكون الانسب ذهب الله بضوئهم وايضا اشتراك حال المنافقين في المعاني التي اعتبرت في حال المستوقد
ليس بظاهر كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفيت ناره اعترض سايل فقال ما بالهم قد اشبهت
حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب بنورهم او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان وجواب لما على هذين الوجهين
محذوف اي خمدت النار وكان من حالهم ما كان وتركهم في ظلمات فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين
على فوت الضوء خايبين ونحو ذلك مما لا يحيط به الوصف وحذف الجواب اولي من الثبات لوجوه الاول ان جملة
ذهب الله لا يصلح لذلك ظاهرا لما فيها من الموانع المفتقرة الي التاويل والصرف من الظاهر الثاني ان في الحذف
وجازة وتوصلا بتقليل اللفظ الي تكثير المعنى الثالث ان الحذف يعرب عن صفة المستوقد وسوء حاله
بما هو مبالغة فيه من جهة الاشارة الى انه بحيث لا يحيط به العبارة كقوله حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها
حذف جواب اذا لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على شي لا يحيط به الوصف واما تقدير الجواب بما قدر
فليس المراد ان الجواب مقتصر عليه وانما الغرض منه التنبيه على حسبه واذا كان الحذف ابلغ كانت المبالغة في
المشبه به المستلزمة للمبالغة في المشبه اكثر وكان هذا التمثيل بالتمثيل الآتي اوفق لما فيه من المبالغات
سيما والاستيناف المذكور من حيث المعنى ادراج في ذلك فيحصل غاية المبالغة والموافقة وميل صاحب المفتاح
الي ان ذهب الله بنورهم جواب لما والا فلا دخل له في التمثيل اذا جعل استينافا وقال وجه تشبيه المنافقين
بالمستوقدين الذين شبهوا بهم في الاية هو رفع المطمع الي تسني المطلوب وتسهله بسبب مباشرة اسباب
القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة بسبب انقلاب الاسباب الي ما يوجب عدم حصوله كما ذهب الله بنورهم و
تركهم في ظلمات لكن البدل اوفي بتادية المقصود الذي هو حالهم وتمثيلهم ببيان حال المستوقد لدلالته على
اعتبار اوصاف في جانبهم مثل ما اعتبرت في جانب المستوقد لان قوله وتركهم في ظلمات الي قوله لا يرجعون
من جملة هذا البيان وقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في معنى كان لهم نور فزال فبقوا متحيرين خايبين
واسناد الاذهاب حقيقة لان الكل بخلقه وبفعله او من الاسناد الي السبب فانه اذا طفيت النار بسبب خفي او امر سماوي ريح
او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد قد اذهب السبب في الريح والمطر وقرا اليماني اذهب الله نورهم ومعنى اذهبه ازاله
وجعله ذاهبا وكان الثاني اولي من المزيد لما فيه من المبالغة يقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به وذهب السلطان
بماله اخذه فلما ذهب به ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم فامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو
ابلغ من الاذهاب لما فيه من الاخذ والامساك وانما قال بنورهم ولم يقل بضوئهم مع انه مقتضى اللفظ لان ذكر النور
ابلغ فان صدق النور على النور الكامل على ما قيل صدق الاعم على الاخص ونفيه يستلزم نفي الاعم بخلاف العكس فلو قيل

ذهب الله ضوءهم لاحتمال الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا وليس بمراد وانما الغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا
الا يرى كيف اوضحه وبينه بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها
ونكرها واتبعها ما يدل على انها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وهو لا يبصرون فان قيل هلا انارت ما حوله ولم وصفت
النار مع ضعفها وسرعة خمودها بالاضاءة التي هي ابلغ من الانارة اجيب بان هذا على طريقة قولهم للباطل صولة ثم يضمحل
ولريح الضلالة عصفة تخبت يعني تظهر بقوة وتخمد بسرعة وهذا ادل على تخبطهم وتحيرهم وخيبتهم ونار العرفج مثل
للنزوة كالطماع والعرفج شوكة تنبت في السهل والنزوة الطفرة والوثبة وفي الصحاح رجل طماع شرة ففي قوله تعالى فلما اضاءت
دلالة على قوة ظهور النار لان الاضاءة فوق الانارة وفي قوله ذهب الله بنورهم وتركهم على انعدامها وسرعة خمودها
كنار العرفج فانها تشتعل وتظهر قوة ثم تخمد بسرعة اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي من غير توقف وتركهم في ظلمات
لا يبصرون وترك يجيء مفعولا بواحد بمعنى طرح وخلى كقولهم تركه ترك ظبي ظله وفي ظلمات لا يبصرون حالين مترادفين
او متداخلين واذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقوله فتركته جزر السباع ينشنه والاشبه
ان الآية من هذا لان الاصل هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين ولا يبصرون حال او استيناف او مفعول ثان
بمنزلة الخبر بعد الخبر واختلف في ظلمات وجودا وعدما وتعريفا والمحققون على انها امر عدمي ثم اختلف
هؤلاء قال بعضهم هي عدم الضوء عما من شانه ان يكون مضيئا وقيل هو عدم النور عما من شانه فعلى القولين
بين النور والظلمة تقابل الملكة والعدم وقيل عرض ينافي النور فبينهما تقابل التضاد وقيل هي عدم النور
ولو اريد عدم النور على الطلاقة لكان بينهما تقابل الايجاب والسلب والدليل على كونها عدمية رؤية الجالس
في الغار المظلم الخارج عنه ولا عكس وليس ذلك الا لانه ليس الظلام امرا حقيقيا قائما بالهواء مانعا من الابصار
اذ لو كان كذلك لم ير احدهما الآخر اصلا لوجود العائق عن الرؤية بينهما فتعين انها عدم النور وعدم
الضوء اشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وتنكيرها
للتهويل والتكثير اي ظلمات هائلة متكثرة وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد ومفعول
لا يبصرون من قبيل المطرح المتروك كالفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون فانه غير متعد في اصله فيكون في ظلمات لا يبصرون
بمنزلة ويذرهم في طغيانهم يعمهون نظما ومعنى فان قلت اي يناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف
قلت ذلك لوجوه الاول ان النور امر وجودي والظلمة امر عدمي وبينهما تناسب من حيث التقابل الثاني ان النور
والظلمة لا تزالان تذكران قرينتين كالارض والسماء كقوله وجعل الظلمات والنور يخرجهم من الظلمات الى النور
ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل الثالث ان ترك الله اياهم في الظلمات من جنس حذف لان الله اياهم فهو مناسب
لذهابه بنورهم الرابع ان الجملتين قد وردتا من اوصاف في جانب واحد مثل ما اعتبرت في جانب آخر عليها من
ان ذهب الله بنورهم وتركهم في معنى كان لهم نور فزال وبقوا متحيرين خائبين وقوله في ظلمات اي
ظلمات بعضها فوق بعض وهي شهواتهم المظلمة ولا ظلمة اشد من الهوى ولذلك قال تعالى ومن اضل ممن اتبع

هواه وقد ارعم الهوى ابغض اله عبد في الارض واعتقادهم الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات المظلمة الفاسدة
التي صادت من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا وحجابا بعد حجاب بين الكفر وبين الايمان ومعرفة الحق والاستضاءة
بنور القرآن والايمان والعقل فان خاصية الظلمات تسد البصر وتحجب اشراق النور وهذه المذكورة ظلمات تحجب
عن معرفة الاشياء القريبة فضلا عن البعيدة ولذلك حجب قلوبهم عن معرفة لطائف صنع انفسهم مما نعم
الله بهم وعن معرفة عجائب احوال رسول الله صلعم مع قرب متناوله وظهوره بادنى تامل واذا كانت هذه كلها ظلمة
كانوا في ظلمات بعضها فوق بعض وثم شغلوا بانفسهم وعاشوا عيش البهائم فحجبوا عن الله بالظلمة المحضة وقد
علمت من ههنا ان اعظم السعادات ادراك الاشياء على ما هي عليها لا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة ولا شقاوة
الا بالجهل ثم لما كانت الضلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها في حكم من يخبط في الظلمات فلا يهتدي الى الطريق فلا يزال
بين عثور على آفة وبين تردي في مهواة مهلكة شبهها بالظلمة ولما كان الهدى وكل ما هو علم تصير صاحبها
كمن يمشي في ضوء الشمس فيهتدي الى الطريق المعبد فلا يتعسف شبهت بالنور وابن يتجلى انوار الايمان لقوم الهتهم
هواهم ومعبودهم دنياهم واشربوا في قلوبهم حبهما واعلم ان الآية مشتملة على تشبيهات فانه قد شبه فيها الحال
بالحال وهداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب
الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات او شبه المنافق على ما قيل بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة او
او انتفاعه بالكلمة المجراة على لسانه بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار والصحيح الذي عليه المحققون
ان التمثيل من التمثيلات المركبة دون المفرقة وكذا التمثيل الآتي اعني او كصيب الآية فان قيل في اي معنى قصد اشتراك
المشبه والمشبه به وما حال المنافقين وحال المستوقد اجيب بان وجه الشبه هو انهم عقب الاضاءة خبطوا في ظلمة
وتورطوا في خيبة وحيرة وضمير انهم للمنافقين او للمستوقد والمنافقين جميعا يعني وقعوا عقيب مباشرة
اسباب المطلوب وملاحظة خيال المحبوب في خيبة وحيرة وحسرة وحرمان ووجه ان يشبه حالهم بحال المستوقد
في انهم عقب الانتفاع المشبه بالاضاءة وقعوا في ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى السخط والعقاب السرمد
او ظلمة الافتضاح بين المؤمنين بالاطلاع على اسرارهم او ظلمة الطبع الحاصل من عقائد الخبيثة وذنوبهم
المتراكمة لان قلوبهم المنكوسة وعقولهم منتكسة وكذلك سائر ادراكاتهم ولذلك قال جل من قائل صم
بكم عمي فهم لا يعقلون قال النبي عم قلب المؤمن اجرد وفيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس ولذلك
تعاونت على الضلالة وانصرفت عن طريق الهدى وذلك ظلمة ازدى بل اشد من الظلمة لان الظلمة لا يهتدى
الى الباطل كما لا يهتدي الى الحق والتعاون على الضلالة والصرف عن الهدى بالصرف وظلمة محضة
تهيج ظلمات كثيرة هائلة حتى لا يبقى للقلب امكان الاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي
عن الفهم وصم عن السمع وهاجت القوى والجوارح على وفق الهوى والى مثل هذا القلب الاشارة
بقوله افرايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم

الا كالانعام بل هم اضل سبيلا صم بكم عمي فهم لا يرجعون اعلم ان بدن الانسان كالمدينة وعقله كملك مدبر لها وحواسه
الظاهرة كجنود واعوانه واعضائه كرعية فهو باصل فطرته مركوز فيه التدبير وما خاصيته الا العلم بحقايق
الاشياء والاحاطة بدقايق الامور على ما هي عليها والقلب بالجملة صالح لقبول اثار الملايكة ولقبول اثار الشيطان
متساويا من غير ترجيح وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى او بمخالفتها فمن جاهد هواه واستعمل جميع
قواه واعضائه استعانة بها على العلم والعمل فقد صار من الفائزين المهتدين وتشبه الملايكة المقربين
فحري بان يلحق بهم وحقيق بان سمي ملكا وربانيا ومن صرفها الى ضد ذلك فقد انحط الى حضيض افق البهايم
ورضي بالهوى في اسفل السافلين فجدير بان يسمى اضل من الانعام وجعل في الدارين ملزوزا في قرن الشيطان
فانه متى استعملها في مراعاة اعداء الله ورسوله وهي المعصية كل المعصية كان مخذولا شقيا كافرا لنعم الله
سبحانه مضيعا لجنود الله ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله كانه قد عد مهاجلة ومهما تراكمت المعاصي
وتتابعت الذنوب يسود القلب ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله سبحانه وهو الطبع والرين قال ميمون
بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو
قلبه فهو الران وبالجملة المعاصي مسودات للقلب ولا يزال تتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يتزايد الرين ويطبع
على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وتفسد الحواس والاعضاء بتبعيته فينتكس جملة حتى يبقى صاحبها
مثل البهيمة قال الله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب فان الكفار من فرط جهلهم وتمادي سخافة رايهم كالبهايم فطمع النظر
منهم كطمعه منها ولذلك تسمع الله تعالى يشبههم تارة بالانعام واخرى بما هو اصم وابكم واعمى ويقول مثل الفريقين
كالاعمى والاصم والبصير والسميع الاية صم بكم عمي فهم مع ان حواسهم كانت سليمة لكن لما سدوا اسماعهم
عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان يتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت
مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وكقوله اصم
عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد فاصممت عمرا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار و
اسلوب صم بكم عمي من اسلوب حمل المشبه به على المشبه بحذف اداة التشبيه والمشبه جميعا اي هم صم بكم فان المحققين
على انه تشبيه بليغ لا استعارة لان المستعار له وهو المشبه مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق
حيث يطوى ذكر المشبه بالكلية بان لا يكون مذكورا ولا في حكم المذكور نحو رايت اسدا يرمي ويكون الكلام خلوا
عنه صالحا لان يراد باسم المشبه به معناه الحقيقي والمجازي لولا دلالة الحال والمقال على ان المراد هو المعنى المجازي
كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم اي تام السلاح وكذا شاكي السلاح وشاك
السلاح بالقلب والحذف مقذف اي رجل شجاع قذف به كثيرا الى الوقايع والحروب فالاسد ههنا مستعار
للرجل الشجاع والبيت مما اجتمع فيه التجريد والترجيح ولاجل ان الاستعارة مبنية على طي ذكر المستعار له
ترى المفلقين السحرة يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا كقول ابي تمام في مدح يزيد الشيباني

وذكر علوه ويصعد لظن الجهول بان له حاجة في السماء استعار الصعود لعلو القدر والارتفاع في مدارج الكمال ثم بنى عليه
ما يبنى على علو المكان والارتفاع الى السماء وفي لفظ الجهول زيادة مبالغة في المدح فلولا انه قصد ان يتناسى التشبيه ويصمم
على انكاره فيجعله صاعدا في السماء من حيث المسافة لما كان لهذا الكلام وجه وليس المراد بطي ذكر المشبه ان لا يكون
له ذكر في الكلام اصلا بل ان لا يذكر المشبه به بوجه ينبئ عن التشبيه ولهذا اطبقوا على ان الشمس في قوله قامت
تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس استعارة وكذا القمر في قوله لا تعجبوا من بلا غلالته قد زر ازراره على
القمر والتعجب في البيت الاول والنهي عنه في الثاني للبناء على تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة اذ لو لم يقصد
تناسي التشبيه وانكاره لما كان للتعجب والنهي عنه جهة فجعله شمسا على الحقيقة فجعله قمرا حقيقيا ولولاه
لما كان لهما معنى ونظيره في طي ذكر المشبه وانه في حكم المنطوق قول من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب
نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر والمعنى انت كاسد فهو في حكم المنطوق فتخاء اي لينة المفاصل مسترخية
الجناح وقيل في التمثيل بهذا البيت اشارة الى ان اسم المشبه به وان ذكر بعده ما يشعر بانه ليس في معناه كلفظ
علي فالكلام تشبيه لكنا نقول النزاع في هذا المقام ليس لفظيا بل مبنيا على ان اسم المشبه به ههنا في معناه
الحقيقي حتى لا يستقيم الكلام الا بتقدير الكاف ويكون تشبيها او في معنى المشبه كالرجل الشجاع مثلا ليكون استعارة
بمعنى اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلي فيصح الحمل على غير تقدير الكلام وهذا هو المختار عندي وقد
شهد استعمال فان معنى اسد علي مجترئ صائل ومعنى نعامة في الحروب جبان هارب وقرئ تلشها بالنصب
على الحال من مفعول تركهم وهذا قراءة عبد الله الضحاك وابن عمر والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء
ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن
الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من
شانه ان يكون بصيرا وقد يقال لعدم البصيرة وقوله لا يرجعون اي لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه
وضيعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الواقفين
في مكانهم الذين لا يهتدون للرجوع الى حيث ابتدوا منه كالحمار في الطين والفاء في فهم للدلالة
على ان اتصافهم بالصفات السابقة سبب لعدم رجوعهم وتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء او
في الاصل للتساوي في الشك استعملت في مطلق التساوي والمعنى ان القصتين سواء في صحة التشبيه بهما
فانت مخير بايتهما شبهت اصبت والاصل في الكاف ونحوها من الفاظ التشبيه ان يليه المشبه به لفظا
نحو زيد كالاسد وكزيد الاسد وقولهم مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فان المشبه به هو مثل المستوقد
اي حاله وقصته العجيبة او تقديرا كقوله تعالى او كصيب من السماء فان التقدير او كمثل ذوي صيب فحذف
ذوي لدلالة يجعلون اصابعهم في اذانهم لان هذه الضمائر لا بد لها من مرجع وحذف مثل لقيام القرينة
وهو عطف على قوله كمثل الذي استوقد نارا اذ لا يخفى ان التشبيه ليس بين مثل المستوقد وبين

ذوات الصيب انما التشبيه بين مثل اوليك وبين مثل هولاء فالمثل المشبه به فدوطي الكاف لان المقدر في حكم
الملفوظ ثم التشبيه متى كان وجهه وصفا منتزعا من امرين او امور كما في تشبيه الثريا بالعنقود والمنور
وتشبيه الشمس بالمراة في كف الاشل وتشبيه الحب بالبدوي المصطلي والتشبيه في قوله مثل الذين حملوا التورية
الاية وغير ذلك يسمى باسم التمثيل قال عبد القاهر في اسرار البلاغة التمثيل التشبيه المنتزع من عدة امور
واذا لم يكن التشبيه عقليا يقال انه يتضمن التشبيه ولا يقال ان فيه تمثيلا وضرب مثل وان كان عقليا جاز
اطلاق اسم التمثيل عليه وان يقال ضرب الاسم مثلا لكذا يقال ضرب النور مثلا للقران والحيوة للعلم وقيده
السكاكي بكونه غير حقيقي حيث قال التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور
خص باسم التمثيل كما في تشبيه مثل اليهود بمثل الحمار فان وجه الشبه هو حرمان الانتفاع بابلغ نافع مع
الكد والتعب في استصحابه فهو وصف مركب من متعدد وليس بحقيقي بل هو عايد الى التوهم فالتمثيل بتفسير
السكاكي اخص منه بتفسير الجمهور واما الزمخشري فيجري التمثيل مرادفا للتشبيه من غير فرق فمعنى التشبيه
المركب ان ينتزع كيفية من امور متعددة بكيفية اخرى كذلك فيقع في كل من الطرفين عدة امور وكلما
كان التركيب من امور اكثر كان التشبيه ابعد وابلغ كقوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا الى قوله بالامس فانها عشر
جمل اذا فصلت والمتشبه منتزع من مجموعها من غير ان يمكن فصل بعضها من بعض حتى لو حذف منها جملة
اخل ذلك بالمغزى من التشبيه وذلك لان المراد تشبيه حال العجيبة في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها
بعد اقبالها واغترار الناس بها بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما غض والتف وتزين
الارض بخضرته حتى طمع فيه اهله وظنوا انه سلم من الجوايح ولا حاجة الى تقدير كمثل ماء لان المعتبر هي
الكيفية الحاصلة من مضمون الكلام المذكور بعد الكاف واعتبارها مغن عن هذا التقدير فليس الغرض تشبيه
حال الدنيا بالماء ولا بمفرد اخر يتمحل تقديره انما الغرض تشبيه حالها في نضرتها وما يتعقبها من الهلاك
بحال النبات الحاصل من الماء يكون اخضر وارقا ثم ييبس فتطيره الرياح وكان لم يكن وكذلك هاهنا فانه
لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حالهم بحال من استوقد
نارا او بحال من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق واعلم ان مجرد كون التشبيه
مركبا وتشبيها للحال والقصة بالحال والقصة لا يوجب ان يكون ما يلي الكاف هو المشبه به ولهذا لا يقدر
في انما مثل الحيوة الدنيا الاية كمثل ماء وكذا في قول لبيد وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا
بلاقع لم يشبه الناس بالديار وانما شبه حالهم في حلولهم الدنيا وسرعة رحيلهم عنها بحال اهل المنازل
في نزولهم بها وسرعة نهوضهم عنها وتركها خالية خاوية وكذلك هاهنا لولا طلب الضماير مرجعا والعطف
على كمثل الذي استوقد نارا لم يحتج الى تقدير مثل ذوي وكان قوله او كصيب مفيدا تشبيه الحال بالحال
والحاصل ان نفس التشبيه لا يقتضي تقدير شيء والضماير لا يقتضي الا تقدير ذوي واما تقدير مثل فليكون على

وفق

وفق المعطوف عليه وحذف المضافات من الكلام عند الدلالة سائغ من ذلك قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى
تقديره فكان مقدار مسافة قرب جبريل قاب قوسين والصيب فيعل من صاب المطر نزل يجوز ان يراد به المطر
وفيه ظلمة تكاثفه تتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل والرعد والبرق في اعلاه ومصبه متلبسين به
وان يراد السحاب وفيه ظلمة سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل قال الشماخ واسحم وان صادق صيب وتنكيره
لانه اريد به نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصايب والصيب ابلغ لان فيعل
من صيغ صفة المشبهة وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق
منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به المبالغة في صيب ففي صيب مبالغات
من جهات فتاملها ويجعلون اصابعهم استيناف جواب كيف حالهم مع ذلك الصيب اي يجعلون انامل فاذا نهم
من اجل الصواعق حذرا من الموت فيه ظلمات ورعد وبرق وارتفاع ظلمات بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف
واختلف فيما لم يعتمد كما اذا قلت ابتداء فيه ظلمات فسيبويه لا يجعله مرفوعا بالظرف بل بالابتداء ويجوز ان يكون
معنى فيه ظلمات من فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة ومن بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة
فهو في وسط الظلمات لكن جعل الصيب ظرفا للظلمات على المجاز كقولهم ادخلت القلنسوة في الراس والخاتم في الاصبع
وعرضت الناقة على الحوض والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها
اذا حدتها الريح من الرعدة وقيل من الارتعاد كالنور من التنور والوجه من المواجهة والبرق ما يلمع من السحاب
من البريق يقال برق الشيء بريقا اذا لمع وهما مصدران في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا ولذلك لم يجمعا
وقد يجمع كما في قول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده هذا قيل اذا اريد بالصيب السحاب
فمعنى ظرفيته للرعد والبرق ظاهر لكن ما اذا اريد به المطر فما وجه ظرفيته لهما وهما ليسا في المطر بل في السحاب قلنا
قد مر الجواب في الوجه الاول من وجهيه وهو انهما لما كانا في اعلى المطر ومصبه اي الموضع الذي ينصب منه المطر وهو
السحاب جعلا كانهما فيه بطريق استعارة كلمة في للتلبس المخصوص تشبيها بتلبس الظرفية الحقيقية كقولك فلان في البلد
تشبيها لكونه في بعض اجزائه بالكون فيه نفسه لا باعتبار كون المراد من البلد جزئه الذي فيه فلان ومعنى الظرفية
التي يستفاد من كلمة في اعم من ان يكون على وجه التمكن في المكان او على وجه الحلول في المحل او على وجه الاختصاص بالزمان
وتنكيرها للنوعية كانه قيل ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف او للتعظيم والتهويل لان المقام مقام المبالغة
والتعظيم ادل عليه واوفي بتاديته وكذا في صيب كانه قيل حالهم كحال قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة وهي
ان يكون هناك مطر عظيم فيه ظلمات عظيمة هائلة ورعد عظيم هائل وبرق عظيم وصواعق يخافون فيها غاية الخوف
فلقوا منها ما لقوا من الخبط والضلال والحيرة والدهشة يجعلون اصابعهم في اذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو
وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه الا يرى ان حسان كيف عول على بقاء معناه
في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى ولا محل

لهذه الجملة للاستياف وهو وان من لكن نذكره بوجه آخر وهو انه لما ذكر الصيب بما يوذن بالعظمة والهول فكان قال
فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد العظيم والبرق الهائل فقيل يكاد البرق يخطف
ابصارهم والقران مشحون بالمجاز وانواعه ومن مجاز المرسل تسمية الشئ باسم كله كالاصابع المستعمل في الانامل
التي هي اجزاء من الاصابع في قوله يجعلون اصابعهم في اذانهم اراد انا ملهم وكذا قوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم
فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الي المرافق والذي الي الرسغ وفي ذكر الاصابع من المبالغة ليس في ذكر الانامل
لابذانه بشدة الرعد والبرق حتى كانهم من شدتها يدخلون جميع اصابعهم في اذانهم ليلا يسمع شيئا من الصاعقة
قيل انما ذكر الاسم العام دون الخاص لان السبابة فعالة من السب فاجتنابها اولي باداب القران وفيه نظر
لانها من السب لاغير وذلك لان الله لما اعطا آدم عم نور محمد صلعم وادخله الجنة تنورت الجنة بنوره حتى
انه دا هامن اولها الى اخرها ببركته فتعجب من ذلك النور واراد ان يبصره وكان في جبهته فامر الله تعالى اياه بان ينتقل
من جبهته الي كتفه الايمن فانتقل حتى انتهى الي راس اصبع الذي بين الابهام والوسطى فرفع آدم ذلك الاصبع
وراي ذلك فلما نظر فيه راي ارواح جميع الخلايق والعرش والكرسي من بركته فسمي سبابة لانها سبب رويته ذلك
النور وسبب قطع وسوسة الشيطان ودفعها لما نطق به الحديث فالوجه ان يقال انما ذكر الاصابع لانها اخصر
من جمع السبابة والمسبحة او المهللة والدعاة واعذب واسلس واخف ولو كان ترك ذكرها من الاداب لما
ذكر في الحديث فان حديث النبي صلعم احق بما يجب رعايته وقد قال عم اذا وجدت ذلك فارفع اصبعك
السبابة اليمنى فاطعن فخذك اليسرى وقل بسم الله فانها سكين الشيطان قال الرجل قال اشكو اليك يا رسول الله
وسوسة اجدها في صدري ان ادخل في الصلوة فادري على شفع اشتملت ام على وتر ولما كان يذكر اصحابه قال
ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على
ركبته اليمنى وعقد ثلثة وخمسين واشار بالسبابة ومثله عن عبد الله بن الزبير حتى قال واشار باصبعه السبابة
من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون اصابعهم كقولهم سقاه من العيمة هي شهوة اللبن اي من اجلها
بمعنى انها الباعث فان من ههنا يغني غناء اللام في المفعول له فقد يكون باعثا لتقدم وجوده وقد يكون غاية
يقصد حصوله والصاعقة قصفة رعد هايل معها نار لا تمر بشئ الا اتت عليه وكثيرا ما يقع على الجبل
فتدكه كما يحكى ان صبيا كان في صحراء فاصاب ساقيه صاعقة فسقط رجلاه ولم يخرج منه دم لحصول الكي بحرارتها
الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفيت وهي من الايات التي
يرسل الله ويخوف عباده فيجب على كل احد عند روية شئ من ذلك ان يفزع الى ذكره تعالى وتقدس ودعائه
واستغفاره عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا
بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن عايشة قالت كان النبي عليه السلام اذا ابصر نا شيا
من السماء يعني السحاب ترك عمله واستقبله وقال اللهم اني اعوذ بك من شر ما فيه فان كشفه الله حمد الله

فان مطرت قال اللهم سقيا نافعا وعن ابن عباس الله قال ما هبت ريح قط الا جثا النبي صلى الله عليه وسلم
على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها ريحا وذلك ان الريح للعذاب والرياح للرحمة قال الله عز
من قائل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا ارسلنا عليهم الريح العقيم وقال ارسلنا الرياح لواقح ان يرسل
الرياح مبشرات واشتقاقها من الصعق وهو شدة استعير لكل هايل مسموع ومشاهد ويقال صعقته
الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا اي
اي مغشيا عليه بمنزلة الميت وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف
يقال صقعه على راسه وصقع الديك وصقعته الصاقعة ونظيره جبذ في جذب لاستوائهما في الاشتقاق
وكون الصاعقة صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية والعلامة او مصدر كالعافية
والكاذبة انما هو بحسب الاصل والا فهو اسم كما ذكرها وعلى كل تقدير لا شذوذ في جمعها على صواعق حذر الموت
نصب على العلة اي على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما اغفر
اشتر والعوراء الكلمة القبيحة ادخاره مفعول له معرف بالاضافة مثل حذر الموت وقرا الضحاك وابن عمير
وابو السماك حذار الموت وروي ايضا حذار بفتح الحاء والموت عدم الحيوة عما اتصف بها وقيل عدم الحيوة
عما من شانه ان يكون حيا وعلى التفسيرين فالتقابل بينهما تقابل العدم والملكة وقيل الموت كيفية وجودية
يخلقها في الحي فهو ضدها كقوله خلق الموت والحيوة بمعنى الايجاد لا يتصور الا فيما له وجود ورد بان الخلق
ههنا بمعنى التقدير دون الايجاد وتقدير الامور العدمية جائز كتقدير الوجوديات والحيوة قوة تتبع
اعتدال النوع ويفيض منها سائر القوى الحيوانية كقوى الحس والحركة والتصرف في الاغذية فالحياة
تابعة للاعتدال النوعي ومتبوعة لما عداها من الوجود في الحيوان والله محيط بالكافرين والمعنى
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخدع والجملة اعتراضية لا محل لها وهي ان يوتى في اثناء الكلام
او بين كلامين متصلين معنى بجملة او اكثر لا محل لها من الاعراب لنكتة سوى دفع الايهام وقيل قد يكون
الاعتراض لدفع الايهام وقيل قد يكون في آخر الكلام واما اشتراط كونه للتاكيد فمما لم يسمع والنكتة في
الاعتراض التنبيه على ان الحذر من الموت لا يفيد وفي وضع الكافرين موضع المضمر دلالة على ان عذاب الله
وشدة الامر وتفاقمه انما لحقتهم لكفرهم ويجوز ان يكون هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان
المراد بالكافرين المنافقون وانهم من عذاب الله في الآخرة واهلاكه اياهم في الدنيا بحيث لا مدفع له ووسط
بين احوال المشبه به تنبيها على شدة الاتصال وفرط التناسب يكاد البرق يخطف ابصارهم كاد من افعال
المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لوجود مانع تقول
كادت الشمس تغرب تريد ان قربها من الغروب قد حصل وعسى لمقاربة الخبر على سبيل الرجاء والطمع تقول
عسى الله ان يشفي مريضك تريد ان قرب شفائه مرجو من عند الله مطموع فيه وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا

مضارعا مثبتا وقلا باسم فاعل منصوب لان كان لتقريب الفعل من الحال واسم الفاعل غير مختص بالحال بدليل مررت
برجل ضارب امس او ضارب غدا ويفعل موضوع للحال ولهذا اشترطوا ان يكون خبرها فعلا مضارعا حتى يكون
الدلالة على الغرض تامة ولا يجوز تشبيه احدهما بالآخر الا عند ضرورة الشعر كما شبه عسى بكاد وقوله عسى الكرب الذي
امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وبالعكس في قوله قد كاد من طول البلى ان يمصحا عن ابي ليلى تكاد البرق
بالتاء لعله اراد الجمع واحدها برقة مثل سحاب وسحابة والخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح
افصح وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء اصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما
على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يُخطِّف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم
كلما اضاء لهم مشوا فيه استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا
اعني كلما اضاء لهم تمثيل لشدة الامر على المنافقين وما هم فيه من فرط التحير بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه
من غاية التحير فهو في التحقيق من جملة تفاصيل الاحوال واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم
ممشى ومسلكا اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره ويؤيده قراءة ابي عبلة كلما ضاء لهم
وكلما منصوب فيه بمنزلة يوم الجمعة لانه كل اضيف الى ما المصدرية مع الفعل بتقدير الزمان اي في كل وقت وقيل
ما نكرة موصوفة بمعنى الوقت والعائد محذوف اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابها اي مشوا
والفرق بين كل وكلما ان كلمة كل تعم الاسماء وكلما تعم الافعال ولو قال كلما كلمت فلانا يوما فلله على ان اتصدق
بدرهم كلما كلمته يومين فلله على أن اتصدق بدرهمين كلما كلمته ثلثة ايام فلله على ان اتصدق بثلثة
كلما كلمته اربعا فلله على ان اتصدق باربعة كلما كلمته خمسة فلله على ان اتصدق بخمسة فكلمه في الرابع
والخامس لزمه ان يتصدق بثلثين لان اليوم الرابع هو الدور والرابع في اليمين الاولى وهو اليوم الثاني
من الدور الثاني من اليمين الثانية وهو الاول من الدور الثاني في الثالثة وهو الاخير من الاول في الرابعة
وهو الرابع من الاول في الخامسة فلزمه خمسة عشر وقد كلمه في اليوم الخامس فيلزمه مثل ذلك لان الدور
وان تكرر غير ان اليمين معقودة بلفظ كلما وهذا وان كان يدخل على الفعل لكن الاسم مقترن به عمّ بعمومه
كما لو قال كلما تزوجت امراة فهي طالق فتزوج امراة مرتين طلقت ثنتين ولو قال كل يوم اكلم فيه فلانا فلله
على ان اتصدق بدرهم هكذا الى خمسة ايام على ما ذكرنا فكلم في الرابع والخامس تصدق باثنين وعشرين
درهما لان اليمين معقودة بكلمة كل وانه لتعميم الاسم لا غير فلا دور حنث فيه مرة لا يحنث ثانيا وقد حنث
في الدور الثالث والخامس مرة فلا يحنث ثانيا وكلما كلما عند المنطقيين علم في الشرطية حتى ان قولنا كلما كلمت
فلانا فلله على ان اتصدق بدرهم موجبة كلية احد طرفيها كلمت فلانا فالآخر لله على ان اتصدق بدرهم
ويجعلون كلا من الطرفين خارجا عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب ويعتبرون بينهما بلزوم الثاني للاول واما
عند اهل العربية فالجملة الشرطية الا جملة خبرية هي مضمون الجزاء مقيدة بقيد مخصوص هو مضمون الشرط والمثنى

حس

جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو وقرا عبد الله مضوا فيه وابي مروا فيه ومعنى فيه
ما ذكرنا وقيل في ضوئه والمعنى بضوئه واذا اظلم عليهم قاموا واظلم لازم ويحتمل ان يكون متعديا منقولا من ظلم
الليل ويشهد له قراءة اظلم على بناء المفعول وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثم اجليا ظلاميهما عن وجه امرد
اشيب ونقل عن الازهري ان اضاء واظلم يكونان لازما ومتعديا وعن الليث اظلم فلان علينا اذا اسمعك ما تكره
وفي الصحاح ظلم الليل واظلم بمعنى حكاه الفراء وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي
فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف وقد ترد الشهادة المذكورة بانه يجوز ان يكون الفعل
مسندا الى عليهم اجيب بان عليهم ظرف مستقر كانهم في اضاء لهم ولو جعلناها صلة على تضمين معنى الضرورة
والنفع فعطف اذا اظلم على كلما اضاء لهم ووقوعها جوابا للسؤال عن صنيعهم حالتي خفوق البرق وخفقيه
يستدعي اسناد اظلم الى ضمير البرق يعني كلما نفعهم البرق باضاءته اغتنموه واذا ضرهم باظلاله تحيروا ومعنى
البلاغة رعاية المناسبات على ان في صلوحه لاقامة مقام الفاعل تعلقه باظلم باعتبار التضمين نظرا واما الجواب بان
اظلم المتعدي اكثر وان بناء المجهول من المتعدي اكثر فلا يخفى ما فيه والشعراء طبقات الجاهليون كامرئ القيس وزهير
والمخضرمون اي الذين ادركوا الجاهلية والاسلام مثل حسان ولبيد والمتقدمون من الاسلاميين نحو فرزدق وجرير
ويستشهد بهم باشعارهم ثم المحدثون كابن تمام والبحتري ولا يستشهد بشعرهم في اللغة لكن لا يبعد ان يجعل
ما يقولون بمنزلة ما يرونه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت اي سكنت
وكسدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لاعدم سمعهم ولو هنا لمجرد الشرط بمنزلة
ان لا بمعناه الاصلي من انتفاء الشيء لانتفاء غيره وفيه نظر ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه والمعنى لو شاء
ان ذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بهما ولقد تكاثر حذف المفعول في شاء واراد ونحوهما اذا وقع شرطا لان الجواب
يدل عليه ويبينه لكنه انما يحذف ما لم يكن تعلق فعل المشية به غريبا نحو فلو شاء لهديكم اجمعين اي هدايتكم اجمعين
واما اذا كان تعلقه به غريبا فانه لا يحذف ح ولو شئت ان ابكي دما لبكيته فان تعلق المشية ببكاء الدم غريب فذكره
ليتقرر في نفس السامع ويانس به ومنه قوله عز من قائل لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا ولبيد من هذا
فلم يبق فيه الشوق غير التفكر فلو شئت ان ابكي بكيت تفكرا لان المراد بالاول البكاء الحقيقي لا التفكري والتحقيق ولو شاء
الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء
كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه
والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروطة بمشية الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته
ان الله على كل شيء قدير والشيء عندنا يختص بالموجود والوجود والثبوت والتحقق والكون والحصول الفاظ مترادفة معناها بديهي
التصور ولفظ الشيء مع انه مذكر يطلق على ما يخبر عنه مذكرا كان او مؤنثا والخلاف بيننا وبين المعتزلة في الشيئية اعني الثبوت والتقرر
في الخارج لا في اطلاق لفظ الشيء فانه بحث لغوي مرجعه الى النقل ولا بد من تقرير هذا المقام فنقول لفظ الشيء

عندنا يطلق على الموجود فقط فكل شيء موجود وكل موجود شيء قال بعض المعتزلة منهم الجاحظ هو المعلوم ف
يلزمهم اطلاقه على المستحيل لانه معلوم وقال ابو العباس هو القديم و الحادث مجاز وقالت الجهمية هو
الحادث وقال هشام هو الجسم وقال ابو الحسين والنصيبيني من معتزلة البصرة هو حقيقة في الوجود ومجاز في
المعدوم والنزاع لفظي ما ساعد عليه اللغة والنقل اذ لا مجال للعقل في اثبات اللغات والظاهر معناه فان اهل
اللغة في كل عصر يطلقون لفظ الشيء على الموجود حتى لو قيل عندهم الموجود شيء تلقوه بالقبول ولو قيل ليس بشيء
قابلوه بالانكار ونحو خلقتك من قبل ولم تك شيئا ينفي اطلاقه حقيقة على المعدوم لان الحقيقة لا يصح نفيها فيبطل
به قول الجاحظ وقوله والله على كل شيء قدير ينفي اختصاصه بالقديم لان القدرة انما تتعلق بالحادث دون القديم
والاصل الحقيقة فيبطل به قول ابي العباس وقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك ينفي اختصاصه فيبطل به قول
هشام بن الحكم وقول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل ينفي اختصاصه بالحادث لان الاصل في الاستثناء ان
يكون متصلا فيبطل به قول الجهمية والقدير والقادر معناهما ذو القدرة لكن القدير اكثر مبالغة والقدرة
صفة تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها على وفق الارادة فخرج من هذا التعريف العلم اذ لا تاثير له
وان توقف تاثير القدرة عليه وقيل القدرة ما هو مبدأ قريب للافعال المختلفة وخرج عن التعريف
القدرة الحادثة عندنا لانها لا تؤثر في فعل اصلا فلا تدخل في التفسير الاول وليست مبدأ الاثر قطعا فلا
تدخل في التفسير الثاني وان كان لها عندنا تعلق بالفعل يسمى ذلك التعلق كسبا والدليل على انها ليست مؤثرة
انه لو كان فعل العبد بقدرته وتاثيرها فيه والحال انه واقع بقدرة الله لما سيبرهن على انه قادر على جميع الممكنات
والدليل على ان قدرة الله تعم جميع الممكنات ان المقتضي للقدرة هو الذات والمصحح للمقدورية هو الامكان لان الوجوب
والامتناع الذاتيين يحيلان المقدورية ونسبة الذات الى كل الممكنات سواء فاذا ثبت قدرته على
بعضها ثبت على كلها فمعنى على كل شيء قدير على كل ممكن اذ لا قدرة على الواجب والمستحيل وهذا
الاستدلال بناء على ما ذهب اليه اهل الحق من ان المعدوم ليس بشيء وانما هو نفي محض لا امتياز فيه
اصلا ولا تخصص خلافا للمعتزلة والحكماء وهذا الاصل اي عموم قدرته تعالى للممكنات كلها هو من اعظم
اصول الكلامية واعلم انه انكر هذا الاصل فرق متعددة الاولى الالهيون من الفلاسفة فانهم قالوا
انه تعالى واحد حقيقي فلا يصدر عنه اثنان والصادر عنه ابتداء هو العقل الاول والبواقي صادرة
عنه بالوسائط والجواب منع قولهم الواحد لا يصدر عنه الا الواحد الفرقة الثانية المنجمون
ومنهم الصابئة قالوا الكواكب هي المدبرات امر العالم وان الحوادث السفلية مع مواضعها واوضاعها
الى بعض والى السفليات واظهرها ما يشاهد من اختلاف الفصول والطوالع والجواب ان
الدوران لا يفيد العلية سيما اذا تحقق التخلف كما في توأمين احدهما في غاية السعادة والآخر
في غاية الشقاوة واذا قام البرهان على نقيضه فان البراهين العقلية والنقلية شاهدة بان المؤثر

في الوجود الا الله الثالث الثنوية ومنهم المجوس فانهم قالوا انه تعالى لا يقدر على الشر والا لكان خيرا شريرا
معا والجواب انا نلتزم الثاني فانه تعالى خالق للخير والشر وكليهما وانما لا يطلق لفظ الشرير عليه لانه يوهم
ان يكون الشر غالبا في فعله او لعدم التوقيف من الشرع واسماء الله تعالى توقيفية الرابعة النظام ومتبعوه
قالوا لا يقدر على الفعل القبيح لانه مع العلم بقبحه سفه ودونه جهل وكلاهما نقص يجب تنزيهه تعالى عنه والجواب انه
لا قبح بالنسبة اليه فان الكل ملكه فله ان يتصرف فيه اي وجه اراد وان سلم فغايته عدم الفعل لوجود الصارف
وهو القبح وذلك لا ينافي القدرة عليه الخامسة ابو القاسم البلخي ومتابعوه قالوا لا يقدر على مثل فعل العبد لانه
اما طاعة او معصية او سفه خال عنهما او مشتمل على متساويين منهما والكل محال منه تعالى والجواب انما ذكرتموه
من صفات الافعال اعتبارات تعرض للفعل بالنسبة الينا واما فعله تعالى فمنزه عن هذه الاعتبارات فيجاز
ان يصدر عنه تعالى مثل فعل العبد مجردا عنها فان الاختلاف بالعوارض لا ينافي التماثل في الماهية وذلك
مثل الصادر عنه خال عن الغرض كسائر افعاله المنزهة عن الاغراض ولا يلزم العبث السادسة الجبائية
قالوا لا يقدر على عين فعل العبد بدليل التمانع وهو انه لو اراد الله فعلا من افعال العبد واراد العبد
عدمه لزم اما وقوعهما معا فيجتمع النقيضان او لا وقوعهما معا فيرتفع النقيضان او وقوع احدهما فلا قدرة للآخر
على مراده والقدرة خلافه لا يقال يقع مقدور الله لان قدرته اتم من قدرة العبد الا يرى انها اعم منها لتعلقها بما لا يتصور
تعلق قدرة العبد بها لانا نقول معنى كون قدرته تعالى اعم تعلقها بغير هذا المقدور ولا اثر له في هذا المقدور فهما
في هذا المقدور سواء فيتنافيان فيه والجواب انه مبني على تاثير القدرة الحادثة وقد تقرر بطلانه وقيل قدرة الانسان
هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه وبالجملة فمعنى القادر هو الذي ان شاء فعل وان لم
يشأ لم يفعل وهذا مما اتفق عليه المليون والحكماء والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك لم يوصف غير الله تعالى
واما المقدور بين قادرين فجوزه ابو الحسين المعتزلي مطلقا واهل السنة لا مطلقا بل بين قادرين خالق وقادر كاسب
بناء على انه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره ايجادا بل متعلقة به تعلقا كسب وان جميع الممكنات مستندة الى قدرة
الله تعالى فيكون العبد كسبا مقدور الله تاثيرا وانما الممتنع تعلق القادرين تاثيرا وايجادا ومنع المعتزلة جوازه
مطلقا بناء على امتناع قدرة غير مؤثرة على رأيهم بل لا تكون القدرة عندهم الا مؤثرة فيلزم على تقدير كون
مقدور بين قادرين وقد مر بيانه وقد يتوهم ان مسئلة المقدور بين قادرين هو نفس مسئلة تعلق قدرة الله تعالى
بمثل فعل العبد او بعينه وليس كذلك كما قد بيناه وينبغي انك تعرف ان القوي والمتين والقهار راجعة الى القدرة
مع زيادة اضافة فان القوة هي تمام القدرة والمتانة شدتها والقهر تاثير في المقدور بالغلبة واشتقاقها
من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه ارادته وقيل من التقدير كالتنوير
من التنوير والوجه من المواجهة والانسب ان يكون المجرد الا ان بعضهم لا يبالي بجعل المجرد من المزيد قصدا الى
الحاق الاخفى بالاشهر في المعنى المشترك يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد الله تعالى فرق المكلفين وذكر

خواصهم ومعارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزاً للسامع وتنشيطاً له واهتماماً
بامر العبادة وتفخيماً لشانها وروى عن علقمة والحسن ان كل شئ نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي
ويا ايها الذين فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب مختص بمشركي مكة واعترض بان سورة
البقرة مدنية فكيف هذه الاية مكية ولو سلم فكونها مكية لا يوجب قصد الخطاب على مشركي مكة كما ان كونها مدنية
لا يوجب اختصاصها بكفار مدينة اجيب بان مدلول ما نقل ان كل حكم وخطاب نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي سواء
نزلت الاية بمكة او بالمدينة والظاهر ان الخطاب لجميع الناس لانه لما وصف كل فرقة من الناس خاطبهم جميعاً كانه قال
ايها المومنون استمروا على العبادة وازدادوا فيها وايها الكافرون انتهوا عن الكفر واحدثوا العبادة وايها المنافقون
اجتنبوا النفاق واخلصوا العبادة وانما قال ربكم تنبيهاً على ان الموجب للعبادة هي الربوبية ويا حرف وضع لنداء البعيد
صوت يهتف به الرجل بمن يناديه ثم استعمل في مناداة من سهى وغفل وان قرب يا فلان تشبيهاً له بالبعيد
باعتبار امر راجع الى احدهما واذا نودى به القريب المفاطن فذاك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه
معنى به جداً وقول الداعي يا رب ويا الله استقصار منه لنفسه وهضم لها واستبعاد عن مظان القبول والاستماع
واظهار للرغبة في الاستجابة بالجوار مع فرط التهالك عليها واجتهاد في طلب الاقبال والاذن للابتهال واذا نودى
المعرف باللام نحو الرجل مثلاً توصل في ندائه الى الاسم المبهم فيقال يا ايها الرجل ويا ايهذا الرجل ويا هذا الرجل
وانما احتيج الى التوصل بالمبهمات في ندائه لانهم استكرهوا اجتماع التي التعريف وهما اللام وحرف النداء
في كلمة واحدة ففصلوا بينهما باسم مبهم يحتاج الى ما يزيل ابهامه وادخلوا حرف النداء عليه وجعلوا الاسم المعرف
تابعاً له اصلاحاً للفظ فيصير المنادى في الظاهر ذلك المبهم وفي التحقيق ذلك المخصص الذي يزيل الابهام وتعيين
الماهية فيكون المنادى متميز الماهية معلوم الذات واتفقوا على ان المنادى المبهم شيئان اي واسم الاشارة
فاي يوصف بشيئين بما فيه الالف واللام مقحمة بينهما كلمة التنبيه وباسم الاشارة نحو يا ايها الرجل ويا ايهذا قال
ذو الرمة الا ايهذا الباخع الوجد نفسه واما اسم الاشارة فلا يوصف الا بما فيه الالف واللام كقولك يا هذا الرجل
ويا هؤلاء الرجال وكلمة التنبيه لفائدتين معاضدة حرف النداء ومعاونة بتاكيد معناه لان النداء والتنبيه
من وادٍ واحد وهو وقوعها عوضاً عما يستحقه اي من الاضافة لان اي لم يكن يخلو عن المضاف اليه او تنوين يقوم
مقامه اذ وضع في اصله لتعميم ما يضاف اليه عاقلاً ام لا فهو معرب يقع مبتدأ نحو ايهم يا تيني اكرمه ومفعولاً نحو ايهم
يضرب اضرب ومصدراً نحو اي ضرب يضرب اضرب وظرفاً نحو اي يوم تخرج اخرج ومجروراً نحو بايهم تمر امرر وليس
هذا موضع التنوين وكلمة التنبيه تناسب النداء فجعلت عوضاً عن المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه
الطريقة في القرآن استقلالاً له باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله به عباده من اوامره ونواهيه وغير ذلك
امور عظام وخطوب جسام من حقها ان يتفطنوا لها وتقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق
بان ينادوا بالاكد الابلغ واعلم ان الله عز وجل جمع الخير كله ووضعه في العبادة ولم يرد من الناس

وغيرهم

وغيرهم الا اياها وفيه من حسن الرافة والرحمة والشفقة ما لا يخفى فانهم اذا عبدوه حق العبادة ساقهم ذلك
الى طلب رضايه واجتناب سخطه ودعاهم الى قبول النظر الى وجه الكريم ومن رافته بعباده ان امرهم بعبادة
نفسه ولن يحصل العبادة للعبد الا بعد اتصافه بالمعرفة والمعرفة على ثلثة اوجه اولها نفي تشبيه ذات الله
وتعطيل صفاته وذلك بان الله اله قديم واحد لا شريك له ولا قديم سواه وانه احدث العالم واخرجه من العدم
الى الوجود وارسل الرسل وانزل الكتب وما اجهل من شبهه بخلقه تعالى عن ذلك علواً كبيراً وما اعظم كفر من عطل
صفاته فلم يصفه بما وصف به نفسه فنفاه من حيث اراد اثباته وعطله من قصد توحيده الثاني معرفة الاء الله
ونعمائه فالاؤه النعم الظاهرة ومادق من النعم واللطف ونعماؤه جلايل النعم وعظايمها واصولها وكلاهما مما لا
يدخل تحت العبادة ولا يحيط به الا علم الله واجل النعماء واعظمها الهداية الى الايمان وشرح الصدر له والرسول
الذي ارسله والكتاب الذي انزله قال الله تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمومنين قل بفضل الله وبرحمته الاية ومن النعماء وما اعطى من مصالح الابدان قال الله تعالى الم تروا
ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الثالث معرفة نظره للعبد فيما
امر ونهى وفيما حكم وقضى واوامر الله تعالى فرايض ونوافل الفرض راس المال وبه اصل النجاة والنفل هو الربح
وبه الفوز بالدرجات وبالجملة اوامره لدينك كالاغذية لبدنك فكما لا يصلح جسدك الا بالاغذية كذلك لا يسلم ايمانك
ولا يصلح دينك الا باقامة الاوامر واداء الفرايض ويشهد له قوله عليه السلام الصلوة قربان كل تقي وقوله الصوم جنة
وقوله الصدقة تطفي غضب الرب عن عبد الرحمن بن سمرة رض قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مسجد المدينة
فقال رايت البارحة عجباً رايت رجلاً من امتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه ورايت
رجلاً من امتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ورايت رجلاً من امتي يلهث عطشاً كلما
ورد حوضاً منع فجاءه رمضان فاستنقذه فسقاه وارواه ورايت رجلاً من امتي والنبيون قعود حلقاً حلقاً
كلما جاء حلقة طرد عنها فجاءه غسله من الجنابة فاخذ بيده فاقعده الى جانبي ورايت رجلاً من امتي بين يديه
ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير في الظلمات
فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وادخلاه النور ورايت رجلاً من امتي ما يكلم المومنين ولا يكلمونه فجاءه
صلة الرحم فقال يا معشر المسلمين كلموه فانه كان يصل رحمه فكلمه المؤمنون وصافحوه وكان معهم ورايت رجلاً من
امتي يتقي وهج النار فجاءت صدقته فصارت ستراً على وجهه واما المناهي فارتكابها تخرج ايمانك ويفسد جسدك
ويورث غضب الرب تعالى وسخطه فانه كثير منها مما يجعل صاحبه من اهل النار مخلداً كالشرك والكفر والنفاق قال الله تعالى
ومن يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة وماويه النار ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
قالوا ان الله حرمهما على الكافرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء
بنفسه وعنه عليه السلام ثلثة لا يرضى الله عنهم يوم القيمة الرجل يموت وهو مدمن الخمر والرجل يموت وهو قاطع الرحم

والرجل يموت وهو فاتك في الارض وعنه عليه السلام الزنا يورث الفقر وفي الخبر اليمين الغموس الكاذبة
تذر الديار بلاقع وعنه صلى الله عليه وسلم لا يلج جنان الفردوس مدمن خمر ولا العاق لوالدين ولا المنان عطاءه
قال الله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون واياك ثم اياك
ان تكون من الفسقة فتهلك هلاكا لا يرجى فلاحك ولا ينتظر صلاحك وكن من المتقين والتقوى عبارة عن امتثال
اوامر الله واجتناب نواهيه الذى خلقكم وفى قوله ربكم الذى خلقكم اشارة الى الناس اذا سلكوا الطريق الذى
بين الصانع بايجاده لما اوجد وتقديره اياه على ما قدروا تبعوا فيه الحزينة الماهر وهو العقل الهادى عن الضلال
لزمهم الاعتراف بكونه ربا وان لا رب سواه وان العبادة له منهم ومن الخلق اجمع حق فقوله الذى خلقكم صفة جرت
عليه مدحا وتعظيما ان كان الخطاب للفرق جميعا ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد
بالرب اعم لان المشركين كانوا يعتقدون ربوبيتين ربوبية الله وربوبية الهتهم فكان قوله الذى خلقكم صفة
موضحة مخصصة والتوضيح والتخصيص هو الاصل في الصفة والخلق ايجاد الشى على تقدير واستواء واصله التقدير
يقال خلق النعل اذا قدرها وسويها بالمقياس وقراء ابو عمرو خلقكم بالادغام والذين من قبلكم وقرا ابو السميفع
وخلق من قبلكم وفى قراءة زيد بن على والذين من قبلكم وهى قراءة مشكلة اقحم الموصول الثانى بين الاول وصلته
تاكيدا كما اقحم جرير فى قوله يا تيم تيم عدى لا ابا لكم تيما الثانى بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين
المضاف والمضاف اليه فى لا اباك والاولى ان يقال كلمة من مزيدة على ما هو مذهب الكسائى او موصوفة او موصولة
واقعة خبر مبتداء محذوف والجملة صلة الذين اى الذين هم من قبلكم وذلك لانه يمهد التاكيد اللفظى الا باعادت
اللفظ ومع ذلك فقد خرج وابا متناعه قبل الصلة لعلكم تتقون ولعل للتوقع مرجوا ومخوف تقول لعل زيدا
يكرمنى ولعله يهيننى وقوله عز من قائل لعل الساعة قريب ولعلكم تفلحون ترجح للعباد واستحيل تصور الترجى من
الله تعالى لانه انما يكون فيما جهلت عاقبته فهو مستحيل فى حقه ولهذا صرف عنه الى العباد وكذلك قوله لعله يتذكر
او يخشى معناه اذهبا انتما على رجائكما ذلك من فرعون وقد جاء لعله فى مواضع من القران للاطماع لانه
كلام الكريم الذى لا فرق بين اطماعه وجزمه بحصول المطموع فيه او لانه كلام العظيم الذى يناسبه الاقتصار
فى المواعيد المقطوع بانجازها على التكلم بكلمة لعل وعسى كما هو دأب العظماء او لان فيه التنبيه على انه لا ينبغى ان يتكل العباد
ومن هذا ما روى عن معاذ رضى الله عنه قال كنت رديف النبى عم على حمار فقال يا معاذ ما حق الله على عباده وما حق العباد
على الله قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا
يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله افلا ابشر به الناس قال لا فيتكلوا اى يتكلوا ويتركوا الاجتهاد فى العبادة
واعلم ان الظاهر ان قوله لعلكم تتقون متعلق بخلقكم والرجاء على عالم الغيب والشهادة محال فيحمل لعل على الاستعارة بان يشبه
حال خلقه العباد فى ان فوض اليهم الامر ومكنهم من الفعل والترك ووضع زمام الاختيار فى ايديهم مع ارادة التقوى

بحال

بحال من يرتجى منه التقوى ثم استعير هذه الحالة لحالة مع العباد واستعمل فيه لعل فالمشبه محذوف والمستعار له
هى الحالة المخصوصة الشبيهة بالترجى لا العباد انفسهم والحاصل ان لعل موضوعة لحقيقة الترجى واستعير ههنا لتلك
الحالة التى حاصلها ارادة الخير والتقوى منهم مع تفويض الاختيار اليهم استعارة تبعية والحالة المشبه بها حاصل
معناها ترجى الخير والتقوى من المخاطبين وما نقل عن سيبويه وغيره ان معنى لعلكم تتقون ونحوه لكى تتقوا اخذ
بحاصل معنى الاستعارة لان خلقهم مع ارادة التقوى فى معنى خلقهم لاجل التقوى والقول بان الترجى من العباد ولعل متعلق
باعبدوا اى اعبدوه راجين ان يصلوا الى اقصى غايات العبادات او بخلقكم معنى خلقكم مقدرا رجاءكم التقوى فالتقدير من الله
خالق الخلق والرجاء من العباد ولو بعد حين ليس بسديد اما الاول فلانه لا وجه لتعليقه عن الاقرب الى الابعد واما
الثانى فلان المقدر حال الخلق هو التقوى لا رجاءها بدليل قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى وما
خلقتهما الا لاجل العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها وليست التقوى غير العبادات على ان الاستعارة اكثر
واوضح وغلب المخاطبون فى قوله لعلكم تتقون على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهما جميعا لما مر من ان لعل
متعلقة بخلقكم لا باعبدوا حتى يختص بالناس المخاطبين اذ لا معنى لقولنا اعبدوه لعلكم تتقون الذى جعل
لكم الارض فراشا صفة ثانية او منصوب او مرفوع على المدح او مبتداء خبره فلا تجعلوا وجعل يجىء لازما بمعنى
صار وطفق ومتعديا الى مفعول كقوله وجعل الظلمات اى خلق والى مفعولين بمعنى صير ومنه جعل لكم الارض
فراشا والتصيير تارة بالفعل وتارة بالقول او العقد وقراء يزيد الشامى بساطا وقراء طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا
وبساطا ومهادا ان ابرز بعض جوانبها عن الماء مع ما فى طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة
واللين حتى صارت مهيأة لان يقعدوا عليها وينامو ويتقلبوا كالفراش المبسوطة الذى يتقلب احدهم عليه وبساطه
ومهاده وذلك لا يقتضى كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها لا تأبى الافتراش عليها
والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة
والبناء مصدر سمى به المبنى بيتا كان او قبة او طرافا او خباء وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم
كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا والبيت من الطين واللبن والشعر وغير ذلك والقبة مثل
الخيمة والطراف من الاديم والخباء من الصوف والوبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته لكن جعل الماء سببا فى خروجها ومادة لها
كماء الفحل فى خلق الولد بان اجرى عادته بافاضة الصور والكيفيات على المادة الممتزجة منه
او ابدع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة يتولد بامتزاجهما انواع الثمار كقوله ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد
كما اوجد نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى انشائها مدرجا من حال الى حال صنايع وحكم يجدد فيها لاولى
الابصار عبرا وسكونا الى عظم قدرته ليس فى ايجادها دفعة ومن فى السماء للابتداء سواء اريد بالسماء

السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما
دلت عليه الظواهر ومن اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو الهوا اذ لا وجه
للبيان لانه لم يسبق مبهم يكون هذا بيانا منه واما ثانيا فلاكتفاء المنكرين له اعني ماء ورزقا فان
المخرج بعض الماء لاجل بعض الرزق لا يكون الا بعض الثمرات فمعنى البعضية مراد في الثلثة واما
ثالثا فلمطابقة المعنى في الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء بل بعضه ولا اخرج بالمطر كل الثمرات
ولا جعل كل المرزوق وعلى هذا يكون من الثمرات مفعولا به اى بعض الثمرات وحقيقته شيئا
من الثمرات لان من حرف لا اسم ويكون رزقا مستعملا في معناه المصدرى مفعولا له ولكم مفعول رزقا
اى اخرج بعض الثمرات لاجل ان يرزقكم او للتبيين من رزقا وهو مفعول به لاخرج بمعنى المرزوق ولكم
صفة له ومن الثمرات حال منه اى اخرج مرزوقا لكم من الثمرات كقولك انفقت الفا من الدراهم وانما ورد
الثمرات جمع قلة على الثمر والثمار لان الثمرات جمع الثمرة التي هي في معنى الكثرة لا الواحدة اذ المراد بالثمرة
ههنا الثمار اذ الا صفت واجتمعت يطلق عليها الثمرة ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته
وانما القصيدة كلمات متلاحقة فالكثرة المستفادة من الثمرات اكثر من الكثرة المستفادة من الثمار
او لان الثمرات واقعة موقع جمع الثمرة كما في قوله كم تركوا من جنات لان كم للتكثير كما يقع جمع الكثرة موقع
جمع القلة مثل قروء ولان مميز الثلثة لا يكون الا جمع قلة او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة
ويؤيد الوجه الاول قراءة من قرا من الثمرة على التوحيد لكن الحق ان جمع الصحيح انما يكون للقلة اذا لم
يعرف باللام فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا متعلق باعبدوا على معنى اذا امرتم بعبادة ربكم فلا تشركوا
به شيئا ليكون عبادتكم على التوحيد الذى هو اصل العبادة واساسها وهذا اولى من جعله عطفا على
اعبدوا لان الانسب هو الواو كقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به وعلى ما ذكرنا يمتنع ان يكون
نفيا منصوبا باضمار ان كما ذهب اليه في فاكرمك لان التقدير اصالة التوحيد للعبادة يأبى كون العبادة
سببا له على ما هو شرط انتصاب المضارع بعد الاشياء الستة او متعلق بلعل فينتصب باضمار ان
تشبيها له بليت وقد لمح في لعل معنى ليت من قرا فاطلع بالنصب وهي في حرف عاصم اى خلقكم لكي تتقوا
عقابه فلا تشبهوا بخلقه وهذا اخذ بحاصل معنى الاستعارة كما ذكرنا فالمعنى خلقكم في صورة من
ترجى منه التقوى اى الخوف من العقاب ليكون سببا لعدم اشراككم او بالذى جعل لكم اذا رفعته
على الاخبار بناء على انه نهى مرتب على مضمون الجملة اى هو الذى نصب لكم دلايل التوحيد فلا تشركوا
والند المثل المخالف المناوى قال جرير اتيما تجعلون الى ندا وما تيم لذى حسب نديدا اى تجعلون تيما ندا
الى وهو لا يصلح ندا لمن هو دونى من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته ونافرته وتسمية الاصنام
اندادا لان المشركين لما تقربوا اليها وعظموها حتى تركوا عبادة الله تعالى الى عبادتها وسموها آلهة اثبتت

حالهم

مالهم كالمن يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على مخالفته ومضادته فتهكم بهم بلفظ الند وشنع عليهم
بان جعلوا اندادا لله الذي يستحيل ان يكون له ند وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل
ارباً واحداً ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى كذلك يفعل الرجل البصير
وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا اي وحالكم وصفتكم انكم من صحة التمييز بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقايق
الامور وغوامض الاحوال بمنزلة لا تدفعون عنه ومفعول تعلمون مطرح متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة واصابة الراى
والتوبيخ في الشرك اكد اي انتم العارفون المميزون والمصيبون في التدابير فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد
للممكنات منزه عن الامثال والاكفاء متوحد بالقدم والبقاء متفرد بوجوب الذات وشتان بين الافعال واحد بين الاسماء
وان ما انتم عليه من عبادة الاصنام وجعلها اندادا هو فرط الجهل ونهاية سخافة العقل فان وجود الممكنات واتقانها
وحدوث كل شئ في وقته كما يدل على ان في الواقع موجدا اهتدى منه كذلك يدل على توحيده وهذه مقدمة
يشهد بها كل فطرة ويحكم بها كل ذى فطنة وانتم تعلمون ان الله لا يماثل او وانتم تعلمون ان الاصنام لا تفعل ولا تقدر
على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت
مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله والنهى عن اتخاذ الشريك والاشارة الى ما هو العلة والمقتضى وبيانه ان
الحكم اذا اقترن بصفات متناسبة كان ذلك الحكم مضافا الى تلك الصفات وبطريق الايماء فلما رتب سبحانه الامر
بالعبادة في قوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم على صفة ربوبيته اشعر بانها العلة لوجوبها فان شكر المنعم واجب ثم بين
ربوبيته بان خلقهم احياء قادرين اولا لان جميع النعم موقوف على ذلك فهو سابق اصول النعم والسبب في التمكن من العبادة
والشكر وخلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وخلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة
المطنبة على هذا القرار وساير ما يحتاجون اليه في المعاش من المطاعم والملابس فان الثمرات اعم من المطعوم والرزق اعم
من الماكول والمشروب وهذا ليتفكروا في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات لا يقدر
على ايجاد شئ منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثله شئ حتى لا يجعلوا شيئا له ندا ولما شهدت
هذه الامور على وحدانيته رتب عليها النهى عن الاشراك به قيل لعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر
وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل
البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضايل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال
العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة
والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وبالجملة ففي الايتين دلايل
خمس اثنان من الانفس وثلثة من الافاق اما دلايل الانفس فاولها خلقكم وثانيها خلق من قبلكم من الاصول والنعام
على الاصول انعام على الفروع واما دلايل الافاق فخلق الارض وخلق السماء واخراج الثمرات ثم في كل منها ايات تدل
على الصانع وتوحيده وقدرته وحكمته وتدبيره اما النفس ففي ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها و

ظواهرها ما يتحير فيه الافهام من بدايع الفطر تيها القلوب وما ركز من العقول التي حصت باجناس الاحوال واصناف المعاني
فانها ايات ناطقة على موجدها وتوحيده وقدرته وحكمته من الانس والاسماع والابصار وسائر الجوارح وما تبعها
لما خلقت له وما خلق في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فاذا اجسا شيئا منها كاد العجز واذا استرخى اناخ الذل
فتبارك الله احسن الخالقين واما الافاق فسياتي بيان كل منها في موضعه باذن الله تعالى وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لما اثبت الوحدانية وابطل الاشراك وبين الطريق الموصل الى العلم بذلك وهو
النظر والافاق وعرضهم ان من اشرك فقد كابر عقله واستبد لخلاف الفطرة ذكر عقيبه ما هو الحجة على
اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران العظيم الذي اعجز بفصاحته مصاقع الخطباء واخرس شقاشق
العرب العرباء مع كونهم الحراص على التساجل والتسابق في رهان المفاخر والمتهالكين على الافتنان وركوب الشطط
في افتنان المفاخر وارشدهم الطريق الى مزيل الريب وما يعرف اعجازه ويتيقنانه من عند الله كما يدعي وهو ان يجهدوا
انفسهم ويبرزوا قواهم في البلاغة هل يتم للمعارضة ام تتضاءل فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة
ولا مدخل للريبة واعلم ان ان واذا للشرط في الاستقبال لكن اصل ان عدم القطع بوقوع الشرط كقول القائل
لصاحبه ان تكرمني اكرمك وهو لا يعلم اتكرمه ام لا ولهذا لا تقع في كلام الله تعالى على الاصل الا حكاية واصل
اذا القطع بوقوعه كقولك اذا زالت الشمس اتيتك فاذا استعملت ان في مقام القطع والجزم لم يخل عن نكتة كالتجاهل
لاستدعاء المقام اياه وكعدم جزم المخاطب وكتنزيله منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم وكالتوبيخ
على الشرط وتصوير ان المقام لاشتماله على ما يقلع الشرط عن اصله لا يصلح الا لمجرد فرضه كما يفرض المحال لغرض كقوله
افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين فيمن قرا ان بالكسر فكونهم مسرفين امر مقطوع به لكن جيء بلفظ ان
لقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب الاسراف وتصوير ان الاسراف من العاقل يجب ان لا يكون الا على
سبيل الفرض والتقدير وكتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به ويجيء قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا يحتملهما وكذا قوله وان كنتم في ريب من البعث وبيانه ان قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا مع المخاطبين المرتابين في حقية القران وكونه من عند الله وقوله وان كنتم في ريب من البعث مع المرتابين
في المعاد وحشر الاجساد لقصد توبيخ المخاطبين على الارتياب لما يشتمل المقام على ما يدل على حقيته وزوال الارتياب
به بالكلية وهو الاعجاز المشار اليه بقوله فاتوا بسورة من مثله وابتداء الخلق المشار اليه بقوله وانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ولتصوير ان الارتياب في مثل هذا المقام على ما يدل على ان الارتياب مما لا
ينبغي ان يصدر عن عاقل اصلا كما بينا فهو بمنزلة المحال والمحال وان كان مقطوعا بعدم وقوعه لكنهم يستعملون
فيه ان لتنزيله منزلة ما لا قطع بعدمه على سبيل المساهلة وارخاء العنان لقصد التبكيت ومثله قوله تعالى
فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وقوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين فان قيل الشرط هو
الارتياب والاسراف في الاستقبال وذلك مما لا قطع بوجوده ولا بعدمه فلا حاجة الى تاويل اجيب بان الظاهر

من حال المرتاب والمسرف بقاؤه على حاله ومثل هذا بعيد في الوقوف قطعا لا يجزمها والصواب ان ليس المراد الارتياب
والاسراف المستقبل بل الماضي المتحقق في الحال ومن ثم قال الكوفيون ان ان ههنا بمعنى اذ وعند المبرد
والزجاج كلمة ان لا تقلب كان الى معنى الاستقبال وذهب كثير من النحاة الى انه اذا اريد بقاء الماضي
بمحضه للزمان لان الحدث المطلق الذي هو مدلوله يستفاد منه الا الزمان الماضي وهذا
اي كون القولين للتوبيخ والتصوير المذكور احد الاحتمالين والاحتمال الثاني هو ان يكون استعمال
ان فيهما لتغليب غير المرتابين من المخاطبين اذا كان فيهم من لا يرتاب على المرتابين وجعل الكل بمنزلة غير المرتابين
فان قيل اذا جعل الجميع بمنزلة غير المرتابين كان الشرط قطعي اللاوقوع والانتفاء فلا يصح استعمال ان فيه
كما اذا كان قطعي الوقوع والثبوت لانها انما تستعمل في المعاني المشكوكة قلنا المراد تغليب غير المقطوع بارتيابهم
على المقطوع بارتيابهم وقيل لما غلب صار الكل بمنزلة غير المرتابين وصار الشرط قطعي الانتفاء فاستعمل ان فيه
على سبيل الفرض والتقدير للتبكيت والالزام كقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به وقل ان كان للرحمن ولد الاية
واما ما يقال ان البعض مرتاب قطعا والبعض غير مرتاب قطعا فجعل الجميع كانه لا قطع بارتيابهم ولا بعدم
ارتيابهم فيصح نكتة اخرى في استعمال ان في هذا المقام وليس من التغليب في شيء وانما قيل نزلنا دون انزلنا
لما فيه من الدلالة على التدريج والتوزيع والتكثير لان نزوله نجما نجما بحسب المصالح وكفاء الحوادث
على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم وهو من مخارج لمكان التحدي وذلك انا طلب ارتياب لطعنهم وارتيابهم
في القران وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فقيل لهم ان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا التدريج نجما فهاتوا انتم نجما واحدا فاتوا بسورة من سوره ونجم من نجومه فانه اسهل من ان ينزل
القران جملة ويتحدى بها فما الحادث ابنت شفة وارجعوا في مقام تلاوة الاية عليهم عن موصوف كالسورة
ولا صفة كالفصاحة والبلاغة المشار اليهما بقوله من مثله على انهم كانوا امراء الكلام وزعماء الحوار وفي
لهم العصبية لا بد غضب مفاخرهم لهاما وان لا يقصد حطب بمطاعنهم جزما ولم يبض منهم عرق مع كثرتهم وتوفرهم
في المضارع والمصانع وتهالكهم على المعارضة والمعازة وهل غايات التبكيت والالزام ومنتهى ازاحة العلل
والشبه واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ على عبادنا يريد
رسول الله وامته والسورة الطائفة من القران المترجمة التي اقلها ثلث ايات ومعنى المترجمة المسماة باسم
كسورة الكوثر وسورة الاخلاص ونحو ذلك وبه يقع الاحتراز عن العشر والربع ونحوهما مما هو عدة
ايات من سورة وقولنا التي اقلها ثلث ايات تنبيه على ان اقل ما يتالف منه السورة ثلث ايات لا قيد في
اذ لا يصدق على شيء من السور انها طائفة مترجمة اقلها ثلث ايات كما يظهر بادنى تامل وهي ان كانت واوها
اصلية منقولة من سور المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القران محدودة محوزة على حيالها او نفس
كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوايد احتواء سور المدينة على ما فيها

اومن السورة التي هي الرتبة قال ... وجمع سورة في المجلس ... لان السورة كالمنازل والمراتب
يترقى فيها القارئ وهي مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت واوها بدلة من الهمزة
فمن السورة التي هي البقية او القطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال
وتجاوب النظم وتسهيل الحفظ والترغيب فيه وتنشيط القارئ فانه اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ
في اخر كان انشط له واهز لعطفه ونفس منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او بريدا انشط للسير
ونفس ذلك منه ومن ثم جزء القرآن وغير ذلك من الفوائد فأتوا بسورة من مثله جزاء الشرط فالجزاء ان
كان امرا او نهيا او ماضيا صحيحا او مبتدأ وخبرا فلا بد من الفاء لكونه دليلا على تعلق هذه الجملة
الواقعة جزاء للشرط فانه انما يؤتى بالفاء حيث لم يقدر على الجزم فيه والاية تثبت النبوة وعجز الكفرة و
المتكلمون لهم مسالك في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها انه عم ادعى النبوة واظهر النبوة
المعجزة على يده اما الاول فمتواتر من لحقه بالعيان واما الثاني فمعجزة القرآن فانه تحدى به ولم يعارض
فكان معجزا اما انه تحدى به فقد تواتر بحيث لم يبق فيه شبهة وآيات التحدي كثيرة كقوله تعالى فأتوا
بحديث مثله وقوله فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وقوله فأتوا بسورة من مثله تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة
كما تقول لصاحبك اكتب عشرة اسطر مثل ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطك تقول قد اقتصرت
منك على سطر واحد واما انه لم يعارض فلانه لو عورض لتواتر لانه مما تتوفر الدواعي الى نقله سيما والخصوم كثير
من فصحاء البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء واحرص الناس على اشاعة ما يبطل دعواه واختلفوا في جهة
اعجازه مع الاتفاق على كونه معجزا فالمحققون على انه بكونه غاية البلاغة ونهاية الفصاحة وقيل
باخباره عن المغيبات وقيل باسلوبه الغريب وقيل بصرف العقول عن المعارضة والصحيح ما عليه المحققون
ومنها الاستدلال باحواله قبل النبوة وحال الدعوة وبعد تمامها واخلاقه العظيمة واحكامه الحكيمة المفصلة
في الكتب الفقهية واقدامه حيث تحجم الابطال فانه عم لم يفر قط من اعدائه وان اعظم الخوف مثل يوم الاحزاب
ويوم احد وذلك يدل على قوة قلبه وثبات جنانه ولولا ثقته بعصمة الله اياه من الناس لامتنع ذلك عادة وهذا المسلك
مما ارتضاه حجة الاسلام رحمه الله والجاحظ ومنها اخبار الانبياء المتقدمين عن نبوته في التوراة والانجيل ومنها انه عم ادعى
بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة فيهم اني بعثت من عند الله بالكتاب المنير والحكمة الباهرة لاتمم مكارم الاخلاق واكمل الناس في
قوتهم العلمية بالعقائد الحقة والعملية بالاعمال الصالحة ونور العالم بالايمان والعمل الصالح ففعل ذلك واظهر دينه على الدين
كله كما وعده الله حتى اضمحلت تلك الاديان الزائغة وزالت المقالات الفاسدة واشرقت شموس التوحيد واقمار التنزيه
في اقطار الآفاق ولا معنى للنبوة الا ذلك فان النبي عم هو الذي يكمل النفوس البشرية ويعالج الامراض القلبية التي هي
غالبة على اكثر النفوس فلا بد لهم من طبيب يعالجهم ولما كان تأثير دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في علاج القلوب

المريضة وازالة ظلماتها واتم وجب القطع بكونه هو افضل الانبياء والرسل وهذا مما ارتضاه الامام الرازي
رحمه الله وقال برهان ظاهر من باب برهان اللم فانا بحثنا عن حقيقة النبوة وبينا ان تلك الماهية لم يحصل
لاحد كما حصلت له عم فيكون افضل مما عداه واما اثباتها بالمعجزة فمن برهان الان وذلك ان تقرير هذا المقام
بهذا على كل تقدير فان الاية مما يتعلق بالعقائد الدينية واعلم ان العلماء اتفقوا قاطبة على ان
صيغته ههنا ليست مستعملة لطلب الفعل استعلاء كما هو معناه الحقيقي بل للتعجيز اذ ليس المراد طلب اتيانهم بسورة
من مثله لكونه محالا من مثله ظرف متعلق بفأتوا والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من القرآن شبيهة به في البلاغة
وحسن النظم او لعبدنا اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم فان
قيل لم لا يجوز على الاول ان يكون الضمير لما نزلنا كما يجوز على الثاني اجيب بانه يقتضي ثبوت مثل القرآن
في البلاغة وعلو الطبقة بشهادة الذوق اذ التعجيز انما يكون عن المأتي به ومرجع التعجيز الى ان يؤتى
منه بشيء ومثل النبي عم في البشرية والعربية موجود بخلاف مثل القرآن في البلاغة وحسن النظم واما اذا كان
وصفا للسورة فالمعجوز عنه هو الاتيان بالسورة الموصوفة ولا يقتضي وجود المثل بل ربما يقتضي انتفاءه
حيث تعلق به امر التعجيز وحاصله ان قولنا ائت من مثل الحماسة ببيت يقتضي وجود المثل بخلاف قولنا ائت ببيت
من مثل الحماسة وقد يجاب بوجوه الاول انه اذا تعلق بفأتوا فمن للابتداء قطعا اذ لا مبهم يتبين ولا سبيل
الى البعضية لانه لا معنى لاتيان البعض ولا مجال لتقدير الباء مع من كيف وقد ذكر المأتي به صريحا وهو السورة و
اذا كانت من للابتداء تعين كون الضمير للعبد لانه المبدأ للاتيان لا مثل القرآن وفيه نظر لان المبدأ
الذي يقتضيه من الابتداء فيه ليس هو الفاعل حتى يختص بمبدأ الاتيان بالكلام في المتكلم الثاني انه اذا كان
الضمير لما نزلنا ومن مثله فأتوا كان المعنى فأتوا من مثل المنزل بسورة وكان مماثلة ذلك المنزل هو المطلوب
لا مماثلة سورة واحدة منه بسورة من هذا وظاهر ان المقصود خلافه كما نطقت به الآي الاخر وفيه
نظر لان اضافة المثل الى المنزل لا يقتضي ان يعتبر موصوفه من الامرين انه اذا جعل صفة سورة لم تكن سورة
من المنزل مثل القرآن بل من كلام وكيف يتوهم ذلك والمقصود تعجيزهم عن ان يأتوا من عند انفسهم بكلام مثل
القرآن ولو سلم ادعاه من لزوم خلاف المقصود غير بين ولا مبين الثالث انها اذا كانت صلة فأتوا كان المعنى
فأتوا من عند المثل كما يقال ائتوا من زيد بكتاب اي من عنده ولا يصح ائتوا من عند مثل القرآن بخلاف مثل العبد
وهذا ايضا بين الفساد اذ لا قصد الى مثل ونظر هنا كطلب الاتيان بسورة منه بل المراد بالمثل
ما هو على صفة القرآن في نهاية البلاغة او من هو مثل محمد صلى الله عليه وسلم في كونه عربيا اميا وهو
وان كان محققا لكن ليس القصد هذا بل القصد انه لم يقصد احد بكون مثلا له كقول القبعثرى للحجاج وقد
قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير في السلطان
وبسطة اليد ولم يقصد احد بجعل مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فأتوا بسورة

مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان الكلام في المنزل لا في
المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب الاول ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من
عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو رد الضمير الى النبي ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا
منزل عليه فهاتوا قرانا من مثله ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى واحد من ابناء جنسهم واهل جلدتهم
ابلغ في التحدي من ان يقال لهم لياتي واحد اخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان رده الى عبدنا يوهم امكان
صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله لانه امر بان يستعينوا بكل من ينفعهم
ويستظهروا بهم حقيقة او تهكما وادعوا شهداءكم الشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة
او الناصر او الامام فكانه سمى به لانه يحضر النوادي ويبرم بحضرته الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات
او بالتصور ومنه للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه من دون الله
ومعنى دون في الاصل مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها
لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم
استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز
حد الى حد وتخطي حكم الى حكم اي استعمل لكل تجاوز من غير اعتبار التفاوت والانحطاط قال الله تعالى لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية
يا نفس مالك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى تجاوزوا
المؤمنين وادعوا رؤساكم يشهدوا انكم اتيتم بمثل القران يعني انهم ايضا لا يشهدون بذلك لوضوح بطلانه
او ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت
العاجز عن اقامة الحجة او ادعوا من دون الله شهداءكم وكل من يحضركم وترجون معونته من جنكم وانسكم الا الله
تعالى يعني لا تدعون الله تعالى فانه القادر وحده على ان ياتي بمثل القران او متعلق بشهداءكم وفيه ثلثة اوجه
ايضا فان المعنى ما هذا ادعوا للاستظهار في معارضة الذين اتخذوهم الهة من دون الله وزعمتم انها تشهد لكم
يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه
وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القران غاية التبكيت والتهكم بهم او ادعوا شهداءكم الى اشرافكم ورو
ساءكم ليشهدوا انكم اتيتم بمثله مجاوزين اولياء الله المؤمنين اذ لا شهادة لهم في ذلك يعني ان اشرافكم ايضا
لا يشهدون انكم اتيتم بمثله مجاوزين اولياء الله المؤمنين اذ لا شهادة لهم في ذلك بذلك بطلانه وهذه
ستة اوجه والامر على الاول للاستظهار وعلى الثاني والثالث للتبكيت والتعجيز وعلى الرابع والخامس للاستظهار
تهكما وعلى السادس للاستظهار راسا كالاول والظرف على الخامس لغو معمول لشهداءكم لانه مما يكفيه رائحة
الفعل ولا يشترط الاعتماد او محذوف اي اشهدوا وعلى البواقي مستقر في موضع وقيل كلمة من الداخلة

على دون

دون انما هي بمعنى في كما في سائر الظروف غير المتصرفة وهي التي تكون منصوبة على الظرفية ابدا لا بمعنى الابتدا
خاصة وقد يقال انها اذا تعلقت بادعوا فلابتداء الغاية اذ الدعاء قد ابتدا من دون الله واذا تعلق
على معنى يشهدون بين يدي الله فللتبعيض كما يجيء في قوله تعالى لاتينهم من بين ايديهم انهم قالوا الجلوس
بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين
كما تقول جئته من الليل اي بعض الليل ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله
فاتوا والصدق هو الخبر عن الشيء على ما هو به كما ذكرنا قبل والصدق والكذب يوصف بهما الكلام والمتكلم وقد يستعمل
ان في غير الاستقبال قياسا مطردا اذا كان الشرط لفظ كان نحو ان كنتم في ريب ان كنتم قوما مسرفين وغير ذلك مما نطق به
التنزيل وكذا يجيء بها في مقام التاكيد بعد واو الحال لمجرد الوصل والربط دون الشرط ولا يذكر له جزاء كقولنا منكر النبوة
وان صام وصلى كافر فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما عرفهم الطريق
الى مزيل الريب وما يدحض الشبهة في كون القران معجزة دالة على صدق النبي عم ويميز لهم الحق عن الباطل قال لهم
فاذا لم يتضح ولم يات منكم ذلك فقد حصحص الحق وظهر انه معجز ووجب التصديق فامنوا واتقوا العذاب
المعد لمن كذب فوضع ان موضع اذا مرادا به الاستمرار دون مجرد الاستقبال وعبر عن الاتيان بالفعل ايجازا فانه لو
لم يعدل عنه الى الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله ونزل لازم الجزاء
منزلة على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد فان قوله فاتقوا كناية عن التصديق والاقرار
وترك العناد وقيل النار مجاز عن العناد فقوله فاتقوا النار اي العناد المستلزم للنار والاقرب ان يكون
اتقاء النار مجازا عن ترك العناد لكونه ضمن وصف من حيث انه من نتايجه تعبيرا بالملزوم عن اللازم واطلاق
الكناية عليه شايع وقد يفرق بينهما بان ذلك مجاز وعكسه كناية فان المستفيض فيما بين القوم ان علماء
البيان يجعلون مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم ومبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم
ويعنون باللازم ما هو بمنزلة التابع والرديف لا ما يمتنع انفكاكه عن الشيء على ما هو مصطلح اهل الحكمة وبالملزوم
ما هو بمنزلة المتبوع والمردوف وبالجملة ففيه فايدتان احدهما الايجاز حيث طوي ذكر الوسايط
وهي اذا لم تفعلوا فقد صح عندكم صدقه واذا صح كان لزومكم العناد وترككم الايمان والاذعان سببا لا
ستحقاقكم العذاب بالنار فاتركوا ذلك واتقوا النار وليس المراد ان فان لم تفعلوا محذوف وان فاتقوا
جزاء لشرط محذوف بل ان المعنى يرجع الى ذلك وثانيهما تهويل شان العناد باقامة النار مقامه بناء على انابة
اتقاء النار مناب ترك العناد وابرازه في صورة اتقاء النار مع ذلك بالوعيد وتشييعه بتهويل صفة النار وتقطيع
امرها ففي قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا دليلان على صحة النبوة احدهما ثبوت كون القران معجزا وثانيهما
الاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله علام الغيوب ولم لقلب معنى المضارع الى الماضي
ونفيه وكذا لما والفرق بينهما ان لم يفعل نفي فعل ولما يفعل نفي قد فعل واعلم ان لا ولن لنفي المستقبل الا انه

بينهما فرقا وهو ان في لن تاكيدا وتشديدا بخلاف اخته تقول لا ابرح اليوم مكاني فاذا اكدت وشددت قلت لن ابرح
اليوم مكاني قال الخليل اصل لن لا ان خففت بالحذف وقال الفراء نونها بدل من الف لا واما عند سيبويه فهي
حرف برأسه وهو الصحيح فان الاصل عدم التركيب والتغيير والوقود بالفتح ما يوقد ويرفع به النار وبالضم المصدر وقد
جاء المصدر بالفتح قال سيبويه سمعت من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر
الهمداني بالضم تسمية بالمصدر فان قلت الوقود قد يكون مجازا عن ما يتوقد به كقولهم فلان فخر قومه اي ما يفتخر به قومه
ويجوز ان يكون على حقيقته والمجاز في الاسناد كما في قولك حيوة المصباح في السليط وهو الزيت الجيد حيث جعلته حيوة
لكونها لا يتحقق الا بالسليط كانها نفس السليط فصح الاسناد وقال عبد القاهر في قولنا فانما هي اقبال
وادبار لا مجاز في شيء من الطرفين وانما المجاز في الاسناد نفسه حيث جعلت بجملتها من الاقبال والادبار والغرض
من الوصف بالمصدر هو المبالغة حتى يكون المعنى في رجل عدل انه كان مجسم من العدل ولو جعلناه بمعنى
اسم الفاعل وحملناه على حذف المضاف اي ذو عدل وذو فخر وذو اقبال وادبار لفات ذلك وخرجنا الى شيء
مغسول وكلام عامي مردول والحجارة جمع حجر نحو جمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس واختلف فيهما فقيل
اراد بها اصناما نحتوها وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه ليقربهم الى الله زلفى قال الله جل من قائل وتعالى
عما يقول كل ظالم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فان قوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس
والحجارة والحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقدوا في حجارتهم المعبودة انها الشفعاء الى الله عذبهم
وعذبهم بما هو منشأ جرمهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم كما عذب الكانزون بما كنزوه ابلاغا في ابلائهم
واغراقا في تحسيرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونهما ويمنعونهما من الحقوق فيحمى عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وقيل حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها
واسرعها وقودا وابطؤها خمودا والصق بالبدن وانتن رائحة وهو مما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما واعترض
عليه بانه تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود وذهاب عما هو المراد الجنس وتعديد قوله انكم وما تعبدون الاية
ان الحجارة التي منها الاصنام وقود جهنم فيكون الواقع المشهود له هذا المعنى واما انه ابطال للمقصود
فلان الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت يتقد بكل نار وان
ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله اراد به ان الحجارة قبل ان يصيرها الله كذلك وقيل معناه ان كل
انسان من اهلها حجر يتعلق في عنقه حتى اذا اطفئت النار … الى الاسفل ولما كانت الاية مدنية نزلت
بعد ما نزل بمكة قوله في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة
صلة بازائها فان صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فان قيل انار جهنم كلها
موقودة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة اجيب بانها نيران شتى منها نار توقد
بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل الكفار

وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان الكفرة الانس نارا وقودها الناس جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب
اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة صلة بعد صلة
وقيل استيناف او حال باضمار قد من النار في القسم الذي في وقودها وان كان مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفيه دليل
على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات قد يتوهم ان وبشر عطف على اعدت
بتضمين احدهما معنى يوافق الاخر كما يشهد له قراءة زيد بن علي وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت وليس
كذلك بل هو عند جماعة عطف على صريح الامر وهو فاتقوا النار على طريقة قوله يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم
وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم واعترض عليهم اولا بان الجملة الجامعة بينهما وان كانت موجودة باعتبار التقابل
بين المسندين والمسند اليهما لكن العطف بين الامرين لمخاطبين مختلفين من غير التصريح بالنداء مثل قم يا زيد واقعد
يا عمرو مستقبح عندهم بل صرح بعضهم بعدم جوازه وثانيا بان فاتقوا جزاء لقوله فان لم تفعلوا وليس قوله وبشر مسببا
عن ذلك الشرط فلا يصح عطفه على جزائه واجيب عن الثاني بان المعنى فان لم تفعلوا فاتقوا النار واتقوا ما يغيظكم
من حسن حال اعدائكم فانتم وبشرهم لان التبشير مقصود في نفسه ايضا مع غيظهم وهذا القدر من الارتباط كاف
وقيل هو من عطف القصة على القصة لان المعتمد بالعطف هو مجموع وصف ثواب المؤمنين فهو معطوف على
مجموع عقاب الكافرين وقيل الاقرب ان يكون الامر ههنا وفي سورة الصف وبشر المؤمنين معطوفا على مقدر
يدل عليه ما قبله وهو ههنا فانذر ونحوه اي فانذرهم وبشر الذين امنوا وفي ذلك فابشر يا محمد وبشر المؤمنين
واختار السكاكي انهما معطوفان على قل مقدرا قبل يا ايها الناس اعبدوا ويا ايها الذين امنوا لان ارادة القول
وتقديره بواسطة انصباب الكلام الى معناه كثير في القران والكلام فيما نحن فيه منصب الى معناه لانه تعالى
يامرهم وينهاهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وذكر صورا كثيرة منها قوله وانزلنا عليكم المن والسلوى
كلوا اي وقلنا او قائلين كلوا وقوله قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا وقوله ورفعنا فوقكم الطور
خذوا وكان الجواب ان يتعرض لدفع ما بقي من مانع قوي وهو ان قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا الى اخره ان لم يكن داخلا في حيز القول المقدر اختل نظم الكلام وان دخل كان النبي صلى مامورا
بان يقول ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وهو ظاهر الفساد ووجه الدفع انه داخل فيه بمعنى انه مامور
بتادية معنى الكلام بعبارة يليق به كانه يقول وان كنتم في ريب مما نزل علي او مامور بتبليغ هذه العبارة
على طريق الحكاية عن الله تعالى فلا اشكال ونظيره قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم اي اد
اليهم هذا الكلام بطريق الخطاب او بطريق الحكاية فكما ان هنا يعدل عند التادية عن طريق الغيبة الى الخطاب
كذلك ههنا يعدل عن طريق التكلم الى الغيبة وعن طريق الغيبة الى التكلم فيقال وان كنتم في ريب مما نزل
الله علي والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر سروره في البشرة ومن ثم قال العلماء رحمهم الله البشارة
هو الخبر الاول حتى اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم ولو قال

مكان بشرى اخبرني عنقو اجميعًا انهم جميعًا اجزوع ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر في اوايل ضوءه واما
قوله فبشرهم بعذاب اليم فما استعمل في ضد معناه بتنزيل التضاد منزلة التناسب بواسطة تهكم ان قصد التهكم والسخرية
وتمليح ان قصد مجرد الظرافة والاتيان بشيء فيه ملاحة وذكر العذاب قرينة على ان بشر استعارة تبعية تهكمية
يقصد به الاستهزاء بالكفار الزايد في غيظ المستهزء به وتالمه واغتمامه وتحقيق ذلك ان فبشرهم اي فانذرهم استعير
البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء واما قولك رايت اسدا وانت تريد جبانا فعلى سبيل التمليح والظرافة ولا يخفى
امتناع اجتماع التبشير والانذار من جهة واحدة وكذا الشجاعة والجبن والصالحة نحو حسنة في جريها
مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني والصالحات من الاعمال
ما سوغه الشرع وحسنه واللام للجنس وفي عطف العمل على الايمان دليل بيّن على انه غير داخل في الايمان
للقطع بان العطف يقتضي المغايرة وعدم دخول المعطوف عليه وان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل
اليه او مجرور باضمار والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل لالتفاف اغصانه قال تسقي جنة سحقا
اي نخلا طويلا ومدار التركيب على الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من جنّ وهو مصدر
جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان وقيل سمي بذلك
لانه ستر في الدنيا ما اعدها للبشر من افنان النعم كما قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها او
تنكيرها لان الجنان على ذكر ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة
الماوى ودار السلام وعليون وفيه نظر بل الصحيح انها ثمانية كما سيجيء تقريره وفي كل واحدة منها مراتب
ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال فاللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما يترتب عليه
من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل
الشارع ومقتضى وعده لا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك
وما اشبه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيد ههنا استغناء بها فان قلت الجنة والنار هل هما مخلوقتان
الآن او لا قلت نعم انهما مخلوقتان عند اهل الحق باسرهم واليه ذهب الجبائي وابن المعتمر وابو الحسين
البصري وانكره اكثر المعتزلة وقالوا انهما تخلقان يوم الجزاء لنا وجوه الاول قصة ادم وحوا واسكانهما الجنة
واخراجهما من الجنة على ما نطق به القرآن العظيم واذا كانت الجنة مخلوقة فكذا النار اذ لا قايل بالفصل
الثاني قوله تعالى في صفتهما اعدت للمتقين اعدت للكافرين بلفظ الماضي وهو صريح في وجودهما ومن
استقرى الاحاديث الصحيحة وجد فيها شيئا كثيرا مما يدل على وجودهما اذ لا دلالة بينة الثالث تجيئهما في القرآن
على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحو ذلك وانما شبهت بهذه
الاسماء اشعارا بانها لم تزل علما لما انها قد تعرف وقد تنكر وقد تجمع وقد توصف بها اسماء الاشارة نحو تلك

الجنة ولحوقها بالاعلام ان اطلاقها ينصرف الى المعين وان كان المفهوم كليا لكن غلبة الكتاب مع اللام في
عرف الاصول على كتاب الله وفي عرف العربية على كتاب سيبويه من قبيل الاعلام واما المنكرون فتمسك عباد
الصيمري في استحالة كونهما مخلوقتين الآن بدليل العقل وابو الهاشم بدليل السمع قال عباد لو وجدتا فاما في عالم الافلاك
او العناصر او في عالم آخر والثلاثة باطلة اما الاول فلان الافلاك لا تقبل الخرق والالتيام فلا يخالطها شيء من الكائنات الفاسدات
وهما على الوجه الذي يثبتونه من قبيل ما يتكون ويفسد واما الثاني فلانه قول بالتناسخ لان النفوس تتعلق بابدان
موجودة في العناصر بعد ان فارقت ابدانها وانتم لا تقولون به وقد ابطل بدليله واما الثالث فلان الفلك بسيط و
شكله الكرة ولو وجد عالم آخر لكان كرويا ايضا فيتعرض بينهما خلاء وانه محال واجاب اهل الحق بانا لا نسلم امتناع
الخرق على الافلاك ولا انه في عالم العناصر قول بالتناسخ وانما يكون ذلك لو قلنا باعادتها في ابدان آخر
ولا نم ان وجود عالم آخر محال واستدل ابو هاشم بوجهين الاول بقوله تعالى في وصف الجنة اكلها
اي ما كولها دايم مع قوله كل شيء اي موجود هالك الا وجهه فلو كانت الجنة مخلوقة وجب هلاك اكلها فلم يكن اي
ما كولها دايما وهو باطل بدليل الآية الاولى فلم تثبت مخلوقة الآن وكذا النار والجواب اكلها دايم بدلا اي كلما فني منه شيء
جيء ببدله فان دوام اكل بعينه غير متصور ودوام اكله على سبيل البدل لا ينافي هلاكه على انا نقول ان كل شيء هالك
في حد ذاته يعني ان الوجود الامكاني بالنظر الى الوجود الواجبي بمنزلة العدم وايضا انهما بعد ما بتفريق الاجزاء
دون اعدامها ثم يعاد ان بجمعها وذلك كاف في هلاكهما فتكونان دايمتين الثاني قوله تعالى في وصف الجنة
عرضها السموات والارض ولا يتصور ذلك الا بعد فناء السموات والارض لامتناع تداخل الاجسام اجيب بان المراد
عرضها كعرض السموات والارض لامتناع ان يكون عرضها عرضها بعينه لا حال البقاء ولا بعد الفناء او يمتنع
قيام عرض واحد شخصي بمحلين موجودين او احدهما موجود والآخر معدوم وللتصريح في آية اخرى بان عرضها
كعرض السموات والارض فيحمل على ذلك كما قال ابو يوسف ابو حنيفة اي مثله تجري من تحتها الانهار اي من تحت
اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطيها فانه لا خفاء في ان الانهار انما تجري
تحت الاشجار فتكون على حذف المضاف وقيل من اسافل ارضها وقيل من تحت غرفها وقيل من تحت
ما علا منها من القصور والغرف ما تحت الارض كقوله عم تحت كل شجرة جناية اي ما علا لا تحت الجلد وقيل
اي حيث تقع ابصارهم وهم في العلو وذلك انزه عند الناس واعلى واطيب ولا نذهب الى الجنة نفس
الاشجار الملتفة او الارض التي فيها ذلك بل الى انها عبارة عن مجموع الشيئين ومن سروق انهار الجنة
تجري في غير اخدود والاحد ود شق في الارض مستطيل وفي الاعراف انهار ايضا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب وليسوا من اهل الجنة مع امة محمد صلى الله عليه وسلم هم
على الاعراف حايط الجنة تجري فيها الانهار وتنبت فيه الاشجار والثمار هذا كله لفظ الحديث واللام في الانهار
للجنس والاحسن ان يكون للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء

فلاكل

غرس الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والسيحون
والجيحون كما طوي به الخبر والتركيب للسعة والمراد بها ماوها على الاضمار او على المجاز او الجاري
انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها اي ما فيها من الدفاين والخزاين
نسب الاخراج الى المكان وهو الله تعالى حقيقة فان قلت اخبرنا عن اهل الجنة قلت قال رسول الله صلى الله عليه
الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل
النار كل عتل جواظ مستكبر وقال انس قال عم الا اخبركم باهل الجنة من لا يشغله عن الجمعة حر شديد ولا برد شديد
ولا رداع وعن بريدة الاسلمي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون
منها امتي واخبرنا عن صفة اهل الجنة قلت قال رسول الله اهل الجنة جرد مرد مكحلون لا يبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم
قال رسول الله صلم اهل الجنة مرد الا موسى بن عمران فان لحيته الى سرته ومن اعلم صفاتهم واجل اماراتهم في الدنيا
حسن الخلق قال رسول الله صلم اوحى الله تعالى الى ابراهيم الخليل ان يا خليل حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل
مدخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله في ظل عرشي وان اسقيه من حظيرة قدسي وان
ادنيه من جواري وفي هذا الحديث كثير وقال عم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم
الذين يلونهم كاشد كوكب دري في السماء اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض
لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن وراء العظم من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يبولون
ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم
المسك على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم ستون ذراعا في السماء وقال عم اذا دخل اهل الجنة الجنة
يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال
فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله تعالى فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا للذين احسنوا الحسنى
وزيادة وعنه عم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة
واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة كلما رزقوا منها من
ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف اي هم او جملة استينافية لعدم العايد
وان اريد ان الجملة خبر عن ضمير الشأن فلا يكون المحذوف شأنها بل هي بمعنى القصة والشأن او جملة مستأنفة
كأنه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل
ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله وههنا بحث
وهو ان الجملة المحذوفة المبتدأ اما ان يجعل صفة او استينافا فاعتبار الضمير لغو واما ان يكون كلاما مبتدأ
غير صفة ولا استيناف فليكن بدون اعتبار الحذف لذلك وكلما نصب على الظرف مفعول فيه بمنزلة يوم الجمعة
كلمات بيانه اي في كل حين رزقوا منها ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية لابتداء الغاية لان الرزق

قد ابتداء من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم
جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وعلى هذا المراد بالثمرة النوع لا الفرد اذ لا معنى لابتداء
الرزق من الجنات من تفاحة واحدة او رمانة فذة فانه يوجب ان يكون المرزوق قطعة منها لتكون من الابتداء
دون البيان ويحتمل ان من ثمرة بيانا كما في قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة
النوع والفرد اي رزقا هو نوع من الثمرة وفرد من النوع ورزقا على الوجهين ثاني مفعولي رزقوا ومن ثمرة
على الاول لغو وعلى الثاني حال من رزقا فان قيل هلا يجعل من ههنا للتبعيض اجيب بان الابتداء والبيان
اصل لا يعدل عنه الا بقرينة كما في قوله تعالى فاخرج به من الثمرات رزقا مفعولا مطلقا الا يقيد الا التكيد والتأسيس
اولى من التاكيد وهذا اشارة الى ما رزقوا نوعا كان او فردا والمشار اليه المرزوق في الاخرة فالمعنى
هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها ولكن لما استحكم الشبه بينهما
جعل ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمار الدنيا لان الانسان
بالمالوف انس والى المعهود اميل فاذا رأى شيئا لم يالفه تنفر عنه طبعه وعافته نفسه هكذا يقال ولا يخفى ان هذا خلاف
لما قد قيل ان نعم الجنة والدار الاخرة مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد صح عن ابن عباس
وغيره من اجل العلماء انهم قالوا ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا الا الاسماء فالوجه ان يقال في هذا من قبيل
هذا في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى
فيقول هذا الذي اوتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف ويعضده ما روي عن النبي عم
انه قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة يتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها
مثلها فاذا ابصروها والهيئة الاولى قالوا ذلك لكن الاول اظهر لانه يفوت على الثاني الفوايد كتشابه ثمرة في
الدنيا والاخرة والاستغراب وعموم كلما اذ لا يصح قولهم هذا الذي رزقنا من قبل في المرة الاولى اذ لم يرزقوا
قبلها في الجنة واتوا به متشابها اعتراض للتقرير والضمير في به راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله
هذا الذي رزقنا من قبل لان المبتدأ يعني هذا اشارة الى المرزوق في الاخرة والخبر الى الذي رزقنا اشارة
الى المرزوق في الدنيا وهما متحدان جنسا فافراد الضمير العايد اليهما نظرا الى الوحدة الجنسية وصح جعل تشابهها
حالا نظرا الى التعدد النوعي او الشخصي واندفع اشكال التدافع بين افراد الضمير وايقاع متشابها حالا عنه ونظيره
قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على
الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد وكذلك ثنى الضمير في بهما مع ان المرجع احد
الامرين وهو غنيا او فقيرا لان الضمير في الشرط وهو ان يكون مفرد نظرا الى تعدد الجنس فان المانع
من الشهادة على الاغنياء غالبا الخوف منهم ان كانوا فقراء فقال اشهدوا عليهم ولا يمنعكم
عن الشهادة عليهم غناهم ونحوهم ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا فالله اولى بجنسي

نها

الغني والفقير فترك افراد الضمير لئلا يتوهم ان اولوية الله تعالى بالنسبة الى ذات المشهود عليه
تنبيه على انها باعتبار الوصفين بيم المشهود عليه وغرم ونجا وتوبه افراد الضمير مع ان ظاهر المرجع
اثنان وفي النظر وهو اولى بهما تثنية الضمير مع ان ظاهر المرجع واحد وقد يعترض بان
الماتيه في الاخرة ليس هو المرزوق في الدنيا والاخرة بل في الاخرة فقط واجيب بان اداء
لالة لقوله تعالى واتوا به متشابها على ان الاتيان في الاخرة خاصة بل يجوز ان يراد واتوا به
في الدارين ويجوز ان يرجع الضمير في به الرزق المذكور في قوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا واتينه
اتوا بمرزوق الجنة متشابه الافراد والاصناف والتغير الاول هو الكامل المعول عليه على ما قررناه وقيل للاية
محمل اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة
بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابهما تماثلهما في الشرف
والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة
ومعنى تطهيرهن ان نزههن مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والاستحاضة وكدنس
الطباع وطبع الاخلاق الى غير ذلك من العيوب واعراق السوء فان التطهير يستعمل في الاجسام والافعال والاخلاق
وفي المطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهي فاعلة وفواعل ومنه بيت الحماسة واذا العذارى
بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة فالمعنى وجماعة ازواج
مطهرة وقرا عبيد بن عمر مطهرة بتشديد الطاء والهاء بمعنى متطهرة والماضي اطهر اصله تطهر ادغم التاء في الطاء
وزيد همزة الوصل والمصدر اطهرة بفتح الطاء وضم الهاء المشددتين والاصل تطهرة ادغمت وجيء بهمزة
الوصل ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس الا الله عز وجل والزوج يقال
للذكر والانثى وهو في الاصل لماله قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فايدة المطعوم هو التغذي ودفع
ضرر الجوع وفايدة المنكوح التولد وحفظ النوع وهو مستغني عنها في الجنة اجيب بان مطاعم الجنة
ومناكحها وساير احوالها انما تشارك نظايرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات ويسمى باسمائها على
سبيل الاستعارة والتمثيل ولا يشاركها في تمام حقيقتها حتى يستلزم جميع ما يلزمها ويفيد عين فايدتها وهم فيها خالدون
دايمون والخلد والخلود في الاصل المكث الطويل دام او لم يدم لقوله تعالى خالدين فيها ابدا ولو كان التابيد داخلا
في مفهوم الخلد لكان ذلك تكرارا فان قلت لعل الخلود حقيقة في الدوام لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
مع انه تعالى قد جعل لكثير منهم المكث الطويل فلو حمل الخلود على المكث الطويل كما ذهب اهل السنة لم يصدق
هذه الاية والجواب ان ما ذكرتم من الاستدلال على انه حقيقة في الدوام معارض بما ورد في الاستعمال الشايع يحي
تملد ووقف مخلد وخلد الله ملكه والمراد طول المدة بلا شك فالاولى ح ان يجعل حقيقة في المكث الطويل
بل سواء كان معه دوام او لا احترازا عن لزوم المجاز والاشتراك والاية حملناها على الدوام الذي

من قبيل استعمال اللفظ في بعض افراد معناه فان المكث الطويل اعم من ان يكون بصفة الدوام وذلك شايع ذايع
فان قيل الابدان مركب من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المودية للانفكاك والانحلال فكيف يعقل
خلودها في الجنان اجيب بانه تعالى يعيدها بحيث لا يعورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية
متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا
وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة ولما ذكر سبحانه ما اعد للمومنين في ذلك
العالم من المساكن والمطاعم والمناكح كمله بقوله وهم فيها خالدون وهذا التمليك في نهاية الحسن لان النعمة وان كثرت وعظمت
منغصة بخوف الزوال والانقطاع واذا تبين منها وعلم عدم انقطاعها كمل التنعم بها وزاد الابتهاج والاغتباط وصارت صافية
من شوايب الالم وفيه دليل على كمالهم في السرور والنعم ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما تضمنت
الايات المتقدمة من ضروبا من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والحكمة فيه وهو ان التمثيل لبيان حال
الممثل له فينبغي ان يكون على وفق الممثل له فيختلف باختلاف حاله فان كان الممثل له عظيما لزم ان يكون التمثيل بالمعظمات
وان كان حقيرا وجب ان يكون بالمحقرات فاذا ليس العظم والحقارة في الامر المستدعي كحال الممثل له ولما في التمثيل
من كشف المعنى المتمثل له ورفع الحجاب عنه وادنا المتوهم من المتيقن وابراز المتخيل في صورة المحقق والمعقول
محسوسا والغايب مشاهدا شاع الامثال في الكتب السماوية والاحاديث الالهية وفشت في كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكلام الانبيا ومقالات الحكما وعبارات البلغا ومن الاحاديث الالهية ما اخبره النبي عليه السلام اوحى الله عز
وجل الى داود يا داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها افتحب ان تكون كلبا منهم مثلهم فيجرونهم
يا داود طيب الطعام ولين اللسان والصيت في الناس وفي الاخرة الجنة لا يجتمع ابدا ولقد مثل في الانجيل غل الصدر
بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفها باثارة الزنابير فما استكره الكفار واستغربوه من كون
المحقرات مضروبا بها المثل ليس بموضع له بل ذلك من اعجب العجاب فان الناس لم يزالوا يضربون واجمع
من ذرة واحرد من جرادة واجرا من الذباب واضعف من بعوضة واكل من السوس واعز من مخ البعوض
ولما كان حال الصنم في الضعف والحقارة بحيث لا حال احقر منها واذل واضعف ومن ثم بيت العنكبوت
مثلها في الضعف وجعلت اقل من الذباب وضربت لها البعوضة فالذي مثلا لم يستنكروا ولم يستغربوا
ولم يقل للممثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لما فيه من اصابة المحنة وتطبيق المفصل وعن الحسن وقتادة
لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه كلام
الله تعالى فانزل الله هذه الاية وايضا لما اراهم الجهة التي منها يتعرفون امر النبي عليه السلام وارشدهم
الى ما يدل على صحة نبوته وكون المتحدى به وحيا معجزا منزلا من عند الله ورتب عليه وعيد
من انكره وكذبه ووعد من آمن وصدق بعد ما تبين حاله وظهر امره اخذ في جواب ما طعنوا به
فيه فقال ان الله لا يستحيي ان لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي ان يمثل بها لحقارتها والحياء تغير

والانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حي الرجل كما يقال نسي وخشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا اوصف به الباري تعالى كما ورد في الخبر ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فهو على طريق الاستعارة التمثيلية فانه مثل تركه تخييب العبد بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه ولذلك معنى الاية ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل حياء من اعدائه فان قيل اثبات الاستحياء لله يحتاج الى تاويل واما نفيه فلا يحتاج اليه كما في قوله الله ليس بجوهر مثلا وقوله لا تاخذه سنة ولا نوم ولم يلد ولم يولد فاي حاجة الى جعل لا يستحيي من قبيل التمثيل او المشاكلة اجيب بانه اذا انفيت امثال ذلك على الاطلاق بمعنى انها ليست بشانه وانه لا يتصف كما في الامثلة المذكورة لم يحتج الى تاويل واما اذا انفيت على التقييد فقد يرجع النفي الى القيد وافاد ثبوت اصل الفعل وامكانه لا اقل فاحتاج كما اذا قيل لم يلد ذكرا ولم ياخذه نوم في هذه الليلة وليس بعرض قار الذات واما بيانه على سبيل المشاكلة فهو انه يحتمل ان يكون في كلام الكفار فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالعنكبوت والذباب فجاء قوله ان الله لا يستحيي على المقابلة واطباق الجواب على السوال وهو فن بديع وطراز عجيب وامثال هذه اللطايف لا يتغلغل فيها الا الاذهان الراضية من علما البلاغة وقد استعير الحيا فيما لا يصح فيه اذ اما استحيين الما يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وقرا ابن كثير بيا واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقال استحييت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا قال الخليل ان بصلته المحفوظ المحل باضمار من وقال سيبويه منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الخبر اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب اي صنع واتخذ لنفسه ومعنى مثلا ما اي وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا كقولك كتابا ما تريد اي كتاب كان وتبرع على الابهام الحقارة مثل اعطه شيا ما والفخامة مثل قولنا ولامر ما الكثر الله في كتب الامثال او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا والبتة هذا اذا انصب بعوضة فاذا رفعتها فهي موصولة وصلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما في تماما على الذي احسن ووجه اخر وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الاصنام بالمحقرات ورد استبعادهم اياه قال بعضهم ما البعوضة فما فوقها لا يضرب بالمثل بل الله ان يمثل للاصنام وحقارة شانها بما هو احقر من ذلك واصغر واقل كالوتمثل بالجزء الذي لا يتجزى او بالمعدوم كقولهم فلان اقل من لا شي في العدد وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال من النكرة متقدمة عليه او هما مفعولات لتضمنه معنى الجعل وقراة الرفع تعزى الى روبة بن العجاج قلت لا اليه وحده بل قراة الضحاك وابان تغلب ورؤبة ما بعوضة قال بعضهم ما موصوله اي الذي هو بعوضة وفي حرف ابن مسعود مثلا بعوضة برفع بعوضة بحذف ما وهذه القراة حجة لمن جعل ما صلة والبعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعوضة البعوض منه بعض الشي لانه قطعة منه والبعوض في اصل صفة على فعول كالقطوع ثم غلبت على هذا النوع كالخموش وهي لغة هذيل يريدون بها البعوض فما فوقها عطف على بعوضة ان جعلت اسما فمعناه فما جاوزها وزاد عليها

في

في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه رد ما استنكروه واستغربوه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فما هو اكبر منه او في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو الحقارة والقلة كجناحها فانه عليه السلام ضرب مثلا في الدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عايشة رض اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عم ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضها وبالجملة فكل ما يطلق عليه اذا كما قال عم ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله به سياته كما تحط الشجرة ورقها ولك ان تقول بل هو اعم كما قال عم ما يصيب المومن وصب ولا نصب ولا سقم ولا اذى ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر الله به من خطاياه فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما تضمنت معنى الابتدا او الفعل الذي هو الشرط فلتضمنها معنى الابتدا لم يلاصقها الا الاسم اللازم للمبتدا ولتضمنها معنى الشرط لا يجاب الا بالفا اللازمة للشرط غالبا وقد جات في الاخبار القدسية من كلام رب العزة مجردة عن الفا وهو ما اخبره النبي عم انتسب رجلان على عهد موسى فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى بلغ تسعة ابا وقال الاخر انا فلان بن فلان بن سلام فاوحى الله عز وجل الى موسى ان ايت هذين المنتسبين وقل اما انت ايها المنتسب الى تسعة منهم في النار وانت عاشرهم في النار واما انت ايها المنتسب الى اثنين هما في الجنة وانت ثالثهما في الجنة وفايدة اما في الكلام ان تدليه فضل توكيد تقول زيد منطلق فاذا اردت توكيده قلت اما زيد فمنطلق ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شي فزيد منطلق وهذا التفسير يفيد فايدتين بيان كونها تاكيدا وانها في معنى الشرط واستعمالها على وجهين الاول ان تستعملها المتكلم لتفصيل ما اجمله استينافا كما اذا جاني القوم اما زيد فاحسنت اليه واما بكر فضربته واما خالد فتجاوزت عنه الثاني ان يستعملها اخذا في كلام مستانف بحيث لا يتقدمها كلام ومنه ما جاء في اوايل الكتب وهو قولهم اما بعد واطبقوا على ان العامل في بعد اما لانها النيابة عن الفعل تعمل في الظروف خاصة وفي تصدير الجملتين بها احماد لامر المومنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقا والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصايبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق اي محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان وماذا يحتمل وجهين ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون ماذا كلمة واحدة بمعنى اي شي فهو على الاول مرفوع المحل على الابتدا وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاصوب في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني

ليطابق الجواب السؤال وقد جوز عكس ذلك كما تقول في جواب ما رايت خيرا اي المري خير وفي جواب ما الذي
رايت خير اي رايت خيرا وقري قوله يسالونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين فان قيل
فيكون احد القرايتين على غير الاصوب اجيب بانه لا بل يكون احد القرايتين على تقدير والاخرى على تقدير اخر
وانما يلزم ذلك لو كانت القراتان على تقدير واحد وليس بلازم فقولنا على التقديرين دفع لهذا السؤال
والارادة صفة تخصص احد المقدورين بالوقوع في احد الاوقات مع استوا نسبة القدرة الى الكل وتلك الصفة غير
الميل ولا مشروطة به ولا باعتقاد النفع وفيما ذكر تنبيه على الرد على من زعم ان معنى ارادة الله تعالى فعله انه غير
ساه ولا مكره ولا مغلوب ومعنى ارادته فعل غيره انه امر به وطلبه واما عند الفلاسفة فارادته هو العلم باشتماله
الامر على النظام الاحل والوجه الاصلح ويسمونه العناية والطبق المليون والحكما على ارادته تعالى اذا تعلقت
بفعل من افعال نفسه لزم وجود ذلك الفعل وامتنع تخلفه عنه واذا تعلقت بفعل غيره ففيه خلاف المعتزلة
القائلين بان معنى الامر هو الارادة فان لا يوجب وجود المامور به كما في العصاة ثم الارادة الحادثة كارادة احدنا
اذا تعلقت بفعل لا توجب وجوده اتفاقا من اهل السنة وان كانت له مقارنة عندهم ووافقنا في ذلك الجبائيان
وكثير من متاخر المعتزلة خلافا للنظام والعلاف وابن حرب فانهم جوزوا ايجابها للمراد اذا كان قصدا الى الفعل
وهو ما نجده من انفسنا حال الايجاد لا عزما عليه فانه قد يتقدم على الفعل وعند ارادة الله تعالى قديمة لانها لو كانت
حادثة لاحتاجت الى ارادة اخرى وهلم جرا ولزم التسلسل في الارادات الموجوم وقالت المعتزلة انها حادثة
قايمة بذاتها لا بذاته تعالى وقالت الكرامية انها حادثة قايمة بذاته تعالى ويعرف بطلانهما بما ذكرنا من لزوم التسلسل
في الارادات وايضا قيام الصفة بذاتها غير معقول ولا يخفى بطلان قيام الحادث بذاته تعالى وذكر الامام في الا
ربعين انكونه تعالى مريدا اما ان يكون نفس ذاته وهو قول ضرار واما امرا سلبيا وهو قول البخاري كما مر انفا من
كونه غير ساه ولا مكره ولا مغلوب واما امرا ثبوتيا اما معللا لا بذاته تعالى وهو قول الاخر له واما معللا بغير
ذاته وح اما يعلل بمعنى قديم قايم بذاته تعالى وهو قول اصحابنا واما بمعنى حادث اما قايم بذاته وهو قول
الكرامية او موجود لا في محل وهو قول الجبائية او قايم بذات غير الله تعالى ولم ار احدا ذهب اليه والابطل الاول
انا نعلمه ولسك في كونه مريدا ويبطل الثاني لزوم كون الجماد مريدا لانه غير مغلوب ويبطل الخامس والسادس
لزوم التسلسل في الارادات والخامس خاصة انه لا يقوم الحادث بذاته تعالى والسادس خاصة انه يلزم عرض
لا في محل وان نسبة ما لا محل له الى جميع الذوات سواء وكون ذاته تعالى لا في محل لا يوجب اختصاصه به لان
كونه لا في محل امر سلبي فلا يكون علة الثبوت وفي هذا اختصار واستدلال كما قالت عايشة رضي الله عنها
في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك ما اردت بهذا جوابا او على
الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية وقوله هذا بعلي شيخا فان العامل في الحال فيما نحن بصدده اسم الاشارة
كالامثال الثاني واما التمثيل بالاول ففي مجرد ان الحال اسم جامد يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا تفسير وبيان

للجملتين المصدرتين باما كقوله تعالى بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم بعد قوله ان الذين
كفروا الى اخره وان الذين امنوا الى اخره وكل من الفريقين موصوف بالكثرة فان قيل لم وصف بالكثرة والقلة
صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله
اجيب بانهم كثير في انفسهم وانما يوصفون بالقلة بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من اهل الهدى
كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا وتحقيقه ان كلا من القلة والكثرة قد
يعتبر بحسب الذات وقد يعتبر بحسب الاضافة ثم انه وان فرض قلتهم في انفسهم ايضا فهو باعتبار الصورة فقط
اما باعتبار المعنى والحقيقة فهم كثير جدا لقيام الواحد منهم مقام الالوف من غيرهم وهذا الثاني على تقدير تسليم
قلتهم في انفسهم نظرا الى الصورة وبالكثرة من حيث المعنى والحقيقة وغير الكرام بالعكس او سبيل ابان العلم بكونه حقا
هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده ضلال وفسق ويجوز ان يكون جواب ماذا اي
اضلال كثير واهدا كثير ووضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد واسناد الاضلال الى الله حقيقة
وقيل مجاز من اسناد الفعل الى السبب ولا يخفى ان قوله تعالى به وهو الصريح بذكر السبب يابى هذا التاويل وقرا
زيد بن علي وعبيد بن عمير يضل به كثير ويهدي به كثير وما يضل به الا الفاسقين الخارجين من حد الايمان كقوله
تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج قال روبة
فواسقا عن قصدها جوايرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي
وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها الثالثة الجحود وهو
ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتجاوز خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما
دام هو في درجة الاول والثاني فلا يسلب عنه اسم المومن لاتصافه بحقيقة الايمان وهو التصديق ولقوله وان
طايفتان من المومنين اقتتلوا وبهذا يرد ما قالت الخوارج من ان كل معصية كفر وقالت المعتزلة المعاصي اقسام
ثلثة اذ منها ما يدل على الجهل ووحدته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه وبرسالة الرسول كالقا المصحف في القاذورات
والتلفظ بكلمات دالة على ذلك فهو كفر ومنها ما لا يدل على ذلك وهو قسمان قسم يخرج مرتكبه الى منزلة بين
المنزلتين اي الايمان والكفر على معنى لا يحكم على صاحبها بالكفر من اعمال الصالحة ولا بالايمان لانه عدم
التصديق بل يحكم عليه بالفسق ويعبر عنها بالكباير كقتل النفس العدوان والزنا وما اشبه ذلك واول من
احدث القول بهذا الاخراج واصل بن عطا وعمرو بن عبيد وقسم لا يخرج ككشف العورة والغيبة ويسمى
بالصغاير ولا يوصف صاحبها بالكفر ولا بالفسق بل بالايمان وقد اسلفنا نبذا من هذا الكلام التي اذا تقرر في
الاسماع والقلوب وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال
وادى بهم الى الضلال به وذلك لان الكفر واذ زادت ضلالتهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت
وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم فانكروه واستهزوا به وقرا النخعي وزيد

ابن علي وابن ابي عبلة ويحيى بن وثاب وما يضل به الا الفاسقون الذين ينقضون عهد الله اي امر الله واصل
صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب وفكه واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال
العهد من جهة تشبيه العهد بالحبل على طريق الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن
التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك
ان ترجع الى قومك ومعنى الاستعارة بالكناية في كلام السلف هو ان لا يصرح بذكر المستعار بل بذكر رديفه ولازمه
الدال عليه فالمقصود بقولنا اظفار المنية استعارة السبع للمنية كاستعارة الاسد للرجل الشجاع في قولنا
رايت اسدا الا انا لم نصرح بذكر المستعار وهو السبع الغير المصرح به وهو المستعار منه هو الحيوان
المفترس والمستعار له هو المنية ومن اسرار البلاغة ولطايفها ان يسكتوا عن ذكر الشي المستعار ثم يرمز
اليه بذكر الشي من روادفه فينبهوا بذلك الرمز على مكانه نحو شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه
الناس ففيه تنبيه على ان الشجاع اسد والعالم بحر والحاصل ان المستعار هو المشبه به المتروك صريحا المرموز اليه
بذكر لوازمه وان قرينة الاستعارة هو المشبه به المتروك صريحا المرموز اليه بذكر لوازمه وان قرينة الاستعارة
بالكناية لا يجب ان يكون استعارة تخييلية بل قد يكون تحقيقية كاستعارة النقض لابطال العهد التيهان بتشديد
اليا وكسرها ومثله التيجان للمريض المقدم وذكر المعري انه يروي بكسر اليا وفتحها وقال المرزوقي هو فعلان بفتح العين
ولا يجوز ان يكون يروي بكسرها لان فيعلا لم يجز في الصحيح فيبنى المعتل عليه قياسا وهكذا نقل عن سيبويه القول المشتهر
لاستعارة الحبل للعهد من كان القطع لنقضه وبيعة العقبة هي البيعة الثانية للانصار قبل الهجرة في سنة ثلث من الهجرة
والبيعة الاولى في سنة احدى عشر منها والعهد الموثق هو الميثاق من عهد اليه كذا اذا وصاه ووثقه عليه واستعماله
اذا اشترط عليه واستوثق منه وقد يقال للعهد لليمين والذمة والامان والحفاظ والوصية والمراد هولا المنافقين
بعهد الله الكفار جميعا وهو الاظهر او احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم والمراد بالعهد اما ما ركز في عقولهم
من الحجة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو
معنى قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او واخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل
هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله
الى خلقه ثلثة عهود عهد اخذه على جميع ذرية ادم عليه السلام بان يقروا بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك
وعهد اخذه على النبيين بان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
وعهد خص به العلما وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ٥
ويحتمل ان يكون المراد بالعهد ان لا تعبدوا الشيطان وان يتخذوه لقوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم
ان لا تعبدوا الشيطان الايه من بعد ميثاقه الضمير للعهد او لله والميثاق في الاصل الموثق اي للعهد بما

بما وثق به العهد على انه اسم آلة او بالوثيقة والاحكام على انه مصدر كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة اما على
تقدير عود الضمير فلانه ليس العهد كثير معنى واما على تقدير عوده الى الله تعالى فلانه لا معنى لقولنا ينقضون عهد الله
من بعد ميثاقه فالمعنى الاول من بعد ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم او من بعد موثقته وعلى الثاني
من بعد توثيق الله عليهم او من ما وثق به عهده من اياته وكتبه وانذار رسله فجعل التوثيق على الاول من جهة الناقضين
بالقبول لانه ادخل في تعريبهم وتقبيح حالهم حيث نقضوه بعد ما احكموه بانفسهم وعلى الثاني من جهة الله بالتاييد
بالادلة السمعية لاضافة الميثاق اليه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل قبل معنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم
الارحام وموالاة المومنين وقيل قطعهم ما بين الانبيا من الوصلة والاتحاد والاجتماع عن الحق في
ايمانهم وكفرهم ببعض وقيل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المومنين
والتفرقة بين الانبيا والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي
شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل فصل ووصل وقرا الخليل ويقطعون ٥
بالتشديد والامر قول القايل استعلا افعل والنهي قوله استعلا لا تفعل والامر حقيقة في هذا القول اتفاقا ومجاز
عن الفعل عند الجمهور وعند البعض حقيقة وذهب ابو الحسين الى ان لفظ الامر مشترك بين القول المخصوص والشي
والفعل والصفة والشان لتردد الذهن عند اطلاقه الى هذه الامور ورد بالمنع بل يتبادر الى القول المخصوص والشي
هو حقيقة للقدر المشترك بين القول والفعل اعني مفهوم واحد منهما دفعا للمجاز والاشتراك وهو قول حادث مخالف للاجماع
فلم يلتفت اليه والامر بمعنى القول الطالب للفعل مع العلو كان او مع الاستعلا واحد الاوامر وقد يطلق على واحد
الامور اطلاق المصدر بمعنى المفعول به لانه مامور به من جهة تشبيه الداعي اليه بالامر به بمعنى مدعو عليه كما قيل
له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده والتشبيه بتسمية شانا اي مشونا انما
هو كونه مصدرا بمعنى المفعول اذ هو مقصود احقيقة وليس بمامور به الا على طريق التشبيه وان يوصل يحتمل
النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض اي يعبدون
غير الله ويستهزون باياته ويعدون في الافعال حتى كانهم صاروا افساد ما في الارض بحقيقته ويفعلون ما يودي
الى الفساد مستمرين عليه اوليك هم الخاسرون حيث اهملوا الحزبيت الماهر وهو العقل الهادي عن النظر
واستبدلوا النقض بالوفا والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بالثواب اي عقابها النقض والقطع
والفساد بثواب ما يقابلها كيف تكفرون بالله كيف في الاصل للسوال عن الحال اذا قيل كيف
زيد فجوابه صحيح او سقيم او مشغول او فارغ او شح او حذلان ينتظم الاحوال كلها واما قولك لمن يوذي
اباه كيف توذي اباك فللانكار والتعجب والتوبيخ وعليه قوله جل من قايل كيف تكفرون بالله وتحقيق ذلك
على ما قيل ان الكفار في حين صدور الكفر منهم لا بد من ان يكونوا على احدى الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين به
فلا ثالثة فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله وقد علمت ان كيف للسوال عن الحال وللكفر مزيد اختصاص

بالعلم بالصانع وبالجهل به انساق الي ذلك فافاد في حال العلم بالله تكفرون ام في حال الجهل به ثم اذ قيد كيف
تكفرون بالله بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وصار المعني كيف تكفرون بالله والحال
انكم عالمون بهذه القصة وهي ان كنتم امواتا فصرتم احيا وسيكون كذا وكذا اصير الكفر ابعد شي عن العاقل
فصار وجوده منه مظنة التعجب ووجه بعده عنه هو ان هذه الحالة تابي ان لا يكون للعاقل علم
بان له صانعا وقادرا عالما حيا سميعا بصيرا موجودا غنيا في جميع ذلك عن سوا قديم غير جسم
ولا عرض حكيما خالقا منعما مكلفا باعثا للرسل مثيبا معاقبا وعلمه بان له هذا الصانع يابي ان يكفر
وصدور الفعل عن العاقل مع الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ فصح ان يكون قوله
كيف تكفرون الي اخر الايه تعجبا وتعجيبا وانكارا وتوبيخا وصار المعني في اي حال يكفرون حال العلم ٥
بالصارف القوي للعاقل عن الكفر والتعجب بمعني ان كل عاقل ناظر في هذه القصة يتعجب والتعجيب بمعني
اسمعوا ايها السامعون وانظروا ايها الناظرون وتعجبوا من كفر الجلي مع هذا الصارف القوي والتوبيخ
بمعني اليس لكم حيا ايها الكفرة من ارتكاب هذا الامر الشنيع القبيح في نفسه المقترون بصارف قوي
من الخارج والخطاب مع الكفر فانه لما اثبت الوحدانية وابطل الشرك وهدمه وعلم الطريق الي
اثبات ذلك اعني اثبات الوحدانية وعدم الشرك وهو النظر في الافاق والانفس المشتملة علي خمس دلايل
علي وجود الصانع وتوحيده علي احوال انفسهم اذ لا بد لهم من وجود وبقاء وكال وكل ذلك من الله
وحده لا شريك له واحوال ابائهم واسلافهم واحوال الارض واحوال السما وانبات الانبات
منهما ثم وصفهم بالكفر وسو المقال وخبث الفعال خاطبهم علي طريقة الالتفات ووبخهم علي
كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعني اخبروني علي اي حال تكفرون وكنتم امواتا وقد عرفت
ان الواو للحال وهي داخلة علي الجملة الي قوله ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم
انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة
فجعلكم احيا ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت في القبور ويوم يقوم الناس لرب العالمين
وفي التحقيق الحال هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بها وباولها واخرها والاموات
جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطف بالفا لانه متصل بما عطف
عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم نفخ الصور ٥
او للسوال في القبور ثم اليه تحشرون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم
للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل انهم علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم واليه
ترجعون اجيب بان تمكنهم من العلم لما نصب لهم من الدلايل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر وكثير منهم علموا ثم
عاندوا ولقد عدد الله تعالي عليهم في هذه القصة ايات عظاما ونعما جساما حقها ان تشكر ولا تكفر ولهذا انكر اجتماع

الكفر واستقبح صدوره منهم واستبعد عنهم اما الايات العظام فهي الاحيا ثم الاماتة ثم الاحيا ثم الحساب واما
النعم الجسام فهي الحياة في الدنيا والاخرة وكون الله مرجعا وعظم الايات وكبر النعم يوجب شكر المنعم وزيادة
الايمان والاذعان دون المعصية والكفران انا عاذنا الله تعالي واياكم من المعصية والكفران نعم ورزقنا
الثبات علي الايمان والنظر الي وجهه بمنه وكرمه ومحمد سيد البشر وعترته وقرا يعقوب ترجعون بفتح التا
في جميع القران وقد برهن علي صحة الحشر بقوله وكنتم امواتا فاحياكم الايه الي اخره هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا بيان اية اخري مع نعم اخري مرتبة علي تلك الايات العظام والنعم الجسام فانها فيما يتوقف عليه
وجودهم وكمالهم وهذه فيما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم وقوله لكم اي لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم
باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط او دينكم بالاستدلال والنظر بما فيها من عجايب علي ذات
الصانع وصفاته والتذكير بالاخرة وثوابها وعقابها لاشتمالها في الارض علي اسباب اللذة والانس
التي هي نظاير الثواب واسباب المشقة والوحشة من انواع المكاره التي نظيره العقاب وهو يقتضي
اباحة الاشيا النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل علي ان الكل
للكل لا ان كل واحد لكل واحد ثم انهم قالوا اللام في لكم تدل علي ان الغرض من خلق ما في الارض انتفاع
الناس به ومن ذهب الي ان افعال الله تعالي ليست معللة بالاغراض بمعني انه لا يفعل فعلا لغرض
اول اللام هنا وفي قوله الا ليعبدون وقال تعالي انه لو فعل فعلا يترتب عليه شي لو فعله غيره كان
ذلك الشي غرضا لفعله اطلق عليه الغرض بسبب هذه المناسبة فان قيل لا شك ان هذا اللام للتعليل فيكون
مدخوله علة لكن لا يلزم ان يكون كل علة غرضا اجيب بان ما لاجله الفعل ان كان متقدما في الوجود
علي الفعل فهو لا يكون غرضا بل مجرد علة كما في تعدت عن الحرب للجبن وان كان متاخرا فيه عن الفعل فهو غرض
مطلوب من الفعل والانتفاع متاخر عنه فيكون غرضا والناس في هذه المسلة علي ثلثة مذاهب الاول
ان افعاله تعالي ليست معللة بالاغراض وعليه كثير من اهل السنة ووافقهم جماعة من الحكما وطوايف ٥
الالهيين الثاني وهو مذهب المعتزلة انه وجب تعليلها الثالث عدم ذلك وهو مذهب الفقها
فانهم قالوا لا يجب تعليلها لكن افعاله تابعة لمصالح العباد تفضلا واحسانا ولهم وجهان يبطلان المذهبين
وجوب التعليل ووقوعه تفضلا الاول لو كان فعله تعالي لغرض من تحصيل مصلحة او دفع مضرة لكان ناقصا
لذاته مستكملا بتحصيل ذلك الغرض لانه لا يصلح غرضا للفاعل الا ما هو اصلح له من عدمه وهو معني الكمال فان قيل
لا نم الملازمة لان الغرض قد يكون عايدا الا غيره فليس كل من يفعل لغرض يفعل الغرض نفسه فيجوز ان يكون
غرضه راجعا الي العباد وهو الاحسان اليهم بتحصيل مصالحهم ودفع مفاسدهم ولا محذور فيه اجيب
بان نفع غيره والاحسان اليه ان كان اولي بالنسبة اليه تعالي من عدمه جا الالزام لانه تعالي يستفيد ح
بذلك النفع والاحسان ما هو اولي به واصلح له وان لم يكن له اولي بل كان مساويا او مرجوحا لم يصلح

غرضا كيف وانا نعلم ان خلود اهل النار فيها من فعل الله ولا نفع فيه لهم ولا لغيرهم ضرورة الثاني ان غرض
الفعل امر خارج عنه يحصل تبعا للفعل وبتوسطه اي يكون للفعل مدخل في الوجود وهذا انما يتصور في افعاله
لانه تعالى فاعل لجميع الاشياء ابتدا فلا يكون شي من الكاينات الا معللا له صادرا عنه بتاثير قدرته
فيه ابتدا بلا واسطة لا غرضا الفعل اخر بحيث لا يحصل ذلك الشي الا به ليصلح غرضا لذلك الفعل وليس جعل
البعض غرضا اولى من البعض وايضا اذا عللت افعاله بالاغراض فلا بد من الانتها الى ما هو الغرض في نفسه
والا تسلسلت الاغراض الى ما لا نهاية لها ولا يكون ذلك لغرض اخر لانه خلاف ما فرض واذا جاز ذلك بطل القول
بوجوب الغرض اذ قد انتهى افعاله الى فعل لا غرض له وهو الذي كان مقصودا في نفسه ولبعض اصحابنا في
هذا البحث كلام لطيف اوردته في سورة آل عمران عند قوله تعالى وليعلم الذين امنوا ويتخذ منكم شهدا الاية وقوله
ما في الارض وما يتناول الكل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد به جهة السفل كما يراد بالسما جهة العلو
وتحقيق ذلك ان ما من الفاظ العام وفاقا لكن اختلف فيه فقيل ما في غير العقلا وهو قول بعض ايمة
اللغة والاكثرون على انه يعم العقلا وغيرهم وقد يستعار لمن ومن ثم قال العلما رحمه الله ان قال ان كان في بطنك
غلاما فانت حرة فولدت غلاما وجارية لم تعتق لان المراد الكل وان قال طلق نفسك من ثلث ما شيت تطلق
ما دونها وعندهما ثلثا اما وجه قول ابي حنيفة رضي الله عنه فهو ان ما وان كان عاما لكن من للتبعيض فيجب
ان يكون ما شات بعض الثلث واما وجه صاحبيه فهو ان ما عام ومن للبيانية والثلث جمع عدد الطلاق
المشروع فان قيل قوله تعالى فاقروا ما تيسر يجب قراة جميع ما تيسر عملا بالعموم كما في قوله ان كان ما في بطنك غلاما
فانت حرة اجيب بان مبنا الامر على التيسر فيدل على ان المراد ما تيسر بصفة الانفراد دون الاجتماع لانه عند
الاجتماع ينقلب متعسرا وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني ثم استوى الى السما قصد اليها بارادته من قولهم
استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شي ومنه قولك استوى الى مكان
كذا واصل الاستوا طلب السوا واطلاقه على الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره
اذا قام واعتدل لما فيه من تسوية وضع الاجزا ولا يمكن حمله عليه لانه من صفات الاجسام وخواصها
تعالى الله عن صفات المحدثين وقيل استوى اي استولى وملك قال فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر
وطاير اي استولينا وقال الاخر قد استوى عمرو على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل و
الصلة المتعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفا فانه لو كان هذا المعدي بعلى كالاستيلاد ون الي
والمراد بالسما الهيكل العلوي او جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق وثم لعله لتفاوت ما بين
الخلقين وفضل خلق السما على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه
يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على ما خلق فيها
عن خلق السما وتسويتها الا ان يستانف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا اخر دل عليه انتم اشد

خلقا ام السما بناها مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك الا انه خلاف الظاهر قال الحسن خلق الله الارض
في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك
الفهر في موضعها وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وقيل كان عرشه قبل خلق السموات
والارض على الما فاخرج من الما دخانا فارتفع فوق الما وعلا عليه فايبس الما فجعله ارضا واحدا ثم فتق
الارض فجعلها ارضين ثم خلق السما من الدخان المرتفع فسويهن عدلهن وخلقهن غير ذات عوج
فارجع البصر هل ترى من فطور وهن ضمير السما والسما في معنى الجنس وقيل جمع سماه والاول هو الوجه
او ضمير مبهم تفسيره سبع سموات كقولهم ربه رجلا ونعم رجلا وبالها قصة وقيل هو بدل سبع سموات
هي افلاك الكواكب السبعة فان الفلكين الاخرين سميان كرسيا وعرشا وهو بكل شي عليم وههنا ابحاث
البحث الاول في تعريف العلم وهي صفة ازلية تنكشف المعلومات عند تعلقها بها ثم انه تعالى عالم بالعلم قادر بقدرة
مريد بارادة وعلى هذا القياس وهذا انما اتفق عليه اهل الحق البحث الثاني في اثبات كونه تعالى عالما وهو
متفق عليه بيننا وبين الحكما لكن المسالك فيه مختلف اما المتكلمون فلهم مسلكان الاول ان فعله تعالى متقن
اي محكم خال عن وجوه الخلل على حكم ومصالح متكثرة وكل من فعله متقن فهو عالم اما الاول وهو اتقان فعله
فظاهر لمن في الافاق والانفس وتامل ارتباط العلويات بالسفليات سيما في الحيوانات وما هديت اليه من
مصالحها واعطيت من الالات المناسبة لها ويعين على ذلك علم التشريح ومنافع خلقة الانسان واعضائه
التي قد كثرت عليها المجلدات على ما سنذكر كثيرا منها في الكتاب ان شا الله تعالى واما الثاني وهو من كان
متقنا عالما فضروري وينبه عليه ان من راى خطا حسنا يتضمن الفاظا عذبة رشيقة تدل على معان دقيقة
موفقة علم بالضرورة ان كاتبه عالم وكذا من يسمع خطابا منتظما مناسبا للمقام من شخص يضطرب الى ان يجزم
بانه عالم على ان المراد بالمتقن ما نشاهده من الصنع الغريب والترتيب العجيب الذي يتحير فيه العقول ولا شك
في دلالته على علم الصانع المسلك الثاني انه تعالى قادر لما مر تحقيقه وكل قادر هو عالم ممنوع اذ قد يصدر على
النايم والغافل فعل قليل متقن اتفاقا واذا جاز ذلك جاز صدور الكثير عنه لان حكم الشي حكم مثله قلنا لا نم
الملازمة اذ الضرورة فارقة فانها تجوز صدور قليل من المتقن عن قادر غير عالم ولا تجوز صدور كثير عنه
واما الحكما فلهم في ذلك مسلكان الاول انه مجرد اي ليس جسما ولا جسمانيا وكل مجرد فهو عاقل لجميع الكليات
الثاني انه تعالى يعقل ذاته واذا عقل ذاته عقل ما عداه اما الاول فلان التعقل حصول الما
هية المجردة عن العلايق وهو حاصل في شانه لان ذاته مجردة غير غايبة عن ذاته فيكون عالما
بذاته واما الثاني فلانه مبدا لما سواه والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون
عالما بذاته وبجميع معلوماته ويرد على المسلك الاول منع الكبرى القايلة بان كل مجرد
عاقل للمفهومات الكلية ويرد على الثاني انا لا نم ان التعقل ما ذكرتم وتوفيقه بذلك لا يوجب الجزم بان حقيقته

ذلك مما لم يقم عليه برهان اذ غايته انهم يعنون بالتعقل ذلك المعنى ولكن من اين لهم ان الحالة التي نجدها من
انفسنا وتسمية العلم حقيقة ذلك الذي ذكروه ولابد له من دليل سلمنا ان حقيقة العلم ما ذكرتموه لكن لم لا يجوز ان
يشترط فيه التغاير سلمنا ان عدم اشتراطه لكن لا نسلم ان العلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول والالزام من العلم
بالشيء العلم بجميع لوازمه القريبة والبعيدة نعم يلزم ذلك اذا علم الشيء الذي هو علة وعلم انه علة للشيء الاخر
الذي هو معلول وعلم انه يلزم من وجود العلة وجود المعلول فلم قلتم ان ذلك كله حاصل له حتى يتم مطلوبكم
ثم مسلك المتكلمين يفيد ان العلم بالجزئيات كما يفيد ان العلم بالكليات وذلك لان الجزئيات كالكليات صادرة
عنه على صفة الاتقان ومقدورة له فيكون عالما بهما معا بخلاف مسلك الحكما فانهما لا يوجبان الا علما
كليا لان ما علم بماهيته المجردة او علم بماهية المجردة او علم بعلته يعلم علما كليا فان المعلوم ماهية كذا او مع كونها معللة
بكذا والماهية كلية وكونها معللة بكذا كلية ايضا وتقيد الكل بالكل لا يفيد الجزئية

البحث الثالث

ان علمه تعالى يعم المفهومات كلها الممكنة والواجبة والممتنعة فهو اعم من القدرة لاختصاصها كما سبق وانما قلنا بعمومه
للمفهومات لمثل ما مر في القدرة وهو ان الموجب للعلم ذاته والمقتضي للمعلومية ذوات الاربع المعلومات
ومفهوماتها ونسبة الذات الى الكل سوا فان كان عالما ببعضها كان عالما بكلها والمخالف في هذا
الاصل ايضا فرق ست ولكون كلها قصر من الجهالات الصرفة والخيالات الفاسدة لا طايل تحتها اعرضنا
عنها وبالجملة فكل من علم ان الله تعالى عالم بالكليات والجزئيات فاعل بالاختيار قادر على كل شيء
وعلم انه عز نعم الله في ان كل آن وحسن ثم مع ذلك كله ينسب من الصفات والافعال ما يعتقد انه
في غاية القبح والشناعة اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا فقد سجل على غباوته وبرهن على سخافة عقله
واعوجاجه واستخف بفكره ورايه دع الذي ينسب اليه شيا من عدم العلم بشيء فانه في الجهل وقلة
العقل وكمال الغباوة والغواية في حد لا يكتنه كنهه ولا يدرك غايته ومن ثم لم يرانه يتساهل بذلك
مذمة ولم يكد انه في معرض سخط عظيم وعذاب واعلم ان الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين
والعلما اجمعوا على انه تعالى منزه عن النقايص كلها لا يتطرق الى سرادقات قدسه وساحات
عزته شايبة نقصان وانه جامع لجهات علو الشان ومخالفة اجماعهم كفر وضلال ولا يتجرى
لها الا من اراد خر من السما ورضي باشد عذاب النار ومن المعلوم عند كل احد ممن به ادنى مسكة
ان الجهل شيء من صفات النقص كالصمم والعمى فامتنع اتصافه تعالى به واستحال ان يقرب ساحة عزته
فوجب اتصافه بالعلم في كل شيء قطعا وجزما فنقول المفهومات كلها من الازل الى الابد معلومة
لله تعالى وتقدس ولا تغير صفة من صفاته ولا نقصان لما قد علمت انفا ان المقتضي لعلمه خصوصية
والمصحح للمعلومية ذوات المفهومات ولا شك ان نسبة ذاته الى جميعها على سوا فوجب عموم علمه
اياها فالقول بان الله يعلم الكليات دون الجزئيات كفر صريح وقايله ومعتقده كافر بل الحق

انه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السما ولا في العرش ولا في الكرسي ولا اصغر من
ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين وقس على هذا اقوال ساير الفرق الجهلة اللغوية على ان وجود العالم
ونظامه على وجه الاوفق الاصلح دليل على ان صانعه عالم قادر مختار فقوله عز قايلا وهو بكل شيء عليم فيه تعليل
كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشيا كلها خلق ما خلق على هذا الترتيب الاكمل الاصلح والوجه الاوفق الانفع
واستدلال بان من كان فعله على هذا الصنع الغريب والنسق العجيب والترتيب الانيق كان عالما فان
اتقان الافعال واحكامها سيما اذا كان على وجه يتحير فيه العقول ولا تهتدي الى كمال ما فيه من المصالح
والمنافع لا يتصور الا من عالم حكيم خبير وازاحة لما يختلج في بعض الصدور من الشك والاعادة وذلك
لما يسبق الى وهمهم من ان النظام رميمة متعفنة واختلاط اجزا الابدان والاعضا ببعض فكيف
يميز اجزاء بدن عن اجزا بدن اخر واجزا عضو عن اجزا ساير الاعضا حتى يتصور الاعادة فقوله
بكل شيء عليم اشارة الى جواب هذا فانه عز وجل عالم بالاشيا كلها فيمكنه تمييز اجزا الابدان والاعضا
قادر على جمعها والى احيائها وهذه الاية تمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك
من دقايق علمه ولطايف حكمته وقد برهن على صحة الحشر بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
الاية فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة يدل على انها قابلة لها لذاتها وما بالذات لا يزول
وهذه المسئلة من المسايل الكلامية ولها فضل حاجة الى تقرير واف وتحرير شاف اعلم ان اهل الملل
والشرايع باسرهم اجمعوا على جواز حشر الاجساد ووقوعه وانكرهما الفلاسفة اما الجواز فلان جمع الاجزا
على ما كانت عليه واعادة التاليف المخصوص فيها امر ممكن لذاته لان الاجزا المتفرقة المختلطة بغيرها قابلة
للجمع بلا ريبة والله تعالى عالم بتلك الاجزا وانها لاي بدن من الابدان قادر على جمعها وتاليفها لما قد
ذكرنا انفا من عموم علمه لجميع المعلومات والمفهومات وعموم قدرته لجميع الممكنات وصحة القبول
من القابل والفعل من الفاعل يوجب الجواز والوقوع قطعا اما الوقوع فلان الصادق الذي علم صدقه
بادلة قاطعة اخبر عنه في مواضع لا تحصى بعبارات لا تقبل التاويل حتى صار معلوما بالضرورة كونه من الدين
القويم والصراط المستقيم وكل ما اخبر به الصادق فهو حق واما انكار الفلاسفة فبنا على امتناع اعادة المعدوم
بعينه وهو مع انه لا دليل لهم عليه يعتد به غير مضر بالمقصود لان مرادنا ان الله تعالى يجمع الاجزا الاصلية للانسان
ويعيد روحه اليه سوا سمي ذلك اعادة المعدوم بعينه او لم يسم وبهذا سقط ما قالوا انه لو اكل انسان انسانا بحيث
صار الماكول جزاء منه فلو اعاد الله ذينك الانسانين بعينهما فتلك الاجزا اما ان يعاد فيهما وهو محال لاستحالة
ان يكون جزء واحد بعينه في آن واحد في شخصين متباينين او يعاد في احدهما وحده فلا يكون الاخر معادا بجميع
اجزائه وذلك لان المعاد انما هو الاجزا الاصلية الباقية من اول العمر الى اخره والاجزا الماكولة فضلة في الاكل الاصلية فان
قلت هل يعدم الله الاجزا البدنية ثم يعيدها او يفرقها ويعيد فيها التاليف قلنا الحق انه لم يثبت

ذلك ولا جزم فيه نفيا ولا اثباتا لعدم الدليل على شئ من الطرفين ومما يحتج به على الاعدام من قوله تعالى كل
شئ هالك الا وجهه ضعيف في الدلالة عليه فان التفريق هلاك كالاعدام فان هلاك كل شئ خروجه عن صفاته المطلوبة
منه وزوال التاليف الذي به يتم منافع الاجزاء والتفريق كذلك فانهما خروج الشئ عن صفاته المطلوبة منه فيكون
اهلاكا ومثله يسمى فناء عرفا قال الامام الرازي رحمه الله مسئلة المعاد مبنية على اركان اربعة وذلك ان الانسان
هو العالم الصغير وهذا العالم هو العالم الكبير والبحث عن كل منهما اما عن تخريبه او تعميره بعد تخريبه
فهذه مطالب اربعة الاول كيفية تخريب العالم الصغير وهو بالموت والثاني انه كيف يعمر بعدما خربه وهو
انه يعيده كما كان حيا عاقلا ويوصل اليه الثواب والعقاب والثالث انه كيف تخرب هو العلم الكبير اخربه
بتفريق الاجزاء والاعدام او الافنا والرابع انه كيف يعمره بعد تخريبه وقال ايضا اما القائلون بالمعاد الروحاني
والجسماني فقد ارادوا ان يجمعوا بين الحكمة والشريعة فقالوا دل العقل على ان سعادة الارواح بمعرفة الله ومحبته وان سعادة
الاجسام في ادراك المحسوسات والجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحيوة غير ممكن لان الانسان مع استغراقه في تجلي
انوار عالم الغيب لا يمكنه الالتفات الى شئ من اللذات الجسمانية ومع استغراقه استيفاء هذه اللذات لا يمكنه ان
يلتفت الى اللذات الروحانية وانما تعذر هذا الجمع لكون الارواح البشرية ضعيفة في هذا العالم فاذا فارقت بالموت
واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وكملت فاذا اعيدت الى الابدان مرة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع
بين الامرين ولا شبهة في ان هذه الحالة الغاية القصوى من مراتب السعادة واما المنكرون للمعاد مطلقا فهم الذين قالوا
ان النفس هو المزاج فاذا مات الانسان فقد عدمت النفس واعادة المعدوم عندهم محال هذا كلامهم ونحن نقول
وجوده الثاني لذاته ولا للوازمه واللا لم يوجد ابتداء بل كان من قبيل الممتنعات لا مقتضى ذات الشئ او الاختلاف الازمنة واذا لم يمتنع جواز اعادة
المعدوم كما ورد في الكتاب والسنة فان الاعادة على الله اهون من الابتداء وله المثل الاعلى ولنا ايضا في جوازها انه لا يمتنع كذلك
كان ممكنا بالنظر الى ذاته وهو المطلوب على ان منكر الاعادة لما سلم كونه تعالى خالق العالم الكبير والعالم الصغير لزمه ان يسلم كونه قادرا
فان ما صح عليه العدم في وقت صح عليه في كل الاوقات وان كونه قادرا على الايجاد عالم احرى ان القادر على شئ قادر لا محالة على مثله وقرا نافع
والكسائي وابو عمرو وهو بجزم الهاء تشبيها له بالعضد وقرا الباقون بضم الهاء وهكذا في جميع القران واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة واذ نصب باضمار اذكر كانه قال على اثر اخذ من اثار علمه وحكمته قصة وربك الملائكة ومن ثم
قال الزجاج معناه واذكر اذ قال ربك ويحتمل ان يكون منتصبا بقالوا وقال ابو عبيدة معناه قال ربك
واذ زيادة وقال معاملا معناه وقد قال ربك واذا من الظروف الان انه لما مضى من الدهر واذا لما
يستقبل وهما مضافتان ابدا وايضا اذ تضاف الى كلمتا الجملتين بخلاف اذا فانها لا تضاف الا الى الفعلية
تقول اتيتك اذ زيد واذ جلس زيد واذ زيد يجلس وتقول اذا قعد زيد واذ يقعد زيد فقالوا وعلة بناهما ان
وضعهما للزمان منسوب الى النسبة فهما محتاجان الى جملة تبين معناهما كاحتياج الحرف الى جملة معه والملائكة
جمع ملاك على الاصل كالشمائل جمع شمال والحاق التاء لتانيث الجمع واعلم انه قد اختلف في عصمة الملائكة فالمنافي

فالمنافي وجهان الاول ما حكى الله تعالى عنهم من قولهم في هذه الاية اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ولا يخفى ما فيه من وجوه المعصية وهي اربعة اذ فيه غيبة لمن يجعل الله خليفة
بذكر مثالبه وفيه العجب وتزكية النفس بذكر مناقبها وفيه انهم قالوا ما قالوا من نسبة الافساد والسفك رجما بالظن
والتباعد وهذا غير جائز لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وفيه انكار على الله تعالى فيما يفعله وهو اكبر المعاصي
الثاني ابليس عليه اللعنة عاص بترك السجود حتى صار مطرودا ملعونا وهو من الملائكة بدليل استثنائه منهم في
قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس واجيب عن الوجه الاول بان قولهم اتجعل استفسار عن الحكمة الداعية
الى خلقهم لا انكار في خلقهم والغيبة اظهار مثالب المغتاب وذلك انما يتصور لمن يعلمه والله عالم بكل الاشياء ما ظهر منها وما
بطن فلا غيبة هناك والتزكية اظهار مناقب النفس فلا يتصور بالنسبة الى الله تعالى ولا رجم بالظن وقد علموا ذلك بتعليم
الله تعالى او بغيره كقراءتهم ذلك من اللوح المحفوظ وعن الوجه الثاني بان ابليس كان من الجن بدليل قوله تعالى
كان من الجن ففسق عن امر ربه وصح الاستثناء وتناوله الامر للغلبة وكون طائفة من الملائكة مسمين بالجن
خلاف الظاهر مع ان ذكر كونه من الجن في معرض التعليل لاستكباره وعصيانه يأباه والمثبت الايات الدالة
على عصمتهم نحو قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وقوله يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واجيب بان الاستدلال بتلك الايات انما يتم اذا ثبت عموم
اعيانا وازمانا ومعاصي حتى يثبت ان كلهم مبرؤون عن جميع المعاصي وجميع الازمنة ولا قاطع فيه لا نفيا
ولا اثباتا بل ادلة طرفيه ظنية والظن لا يغني في مثله من المسالك اليقينية عن الحق شيئا ثم جمهور
المسلمين على ان الملائكة اجسام لطيفة يظهر مختلفة وتقوى على افعال شاقة هم عباد مكرمون
يواظبون على الطاعة ولا يوصفون بالذكورة والانوثة وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس
الناطقة حقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق تعالى والتنزه عن الاشتغال بغيره
جل وعلا كما وصفه القران العظيم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم الملائكة المقربون وقسم يدبر الامر
من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية والعلوية اعني السماوية افضل على السفلية الارضية
والانبياء على كل الملائكة باسرهم لما ياتي والمقول لهم في الاية الكريمة كلهم لعموم اللفظ وعدم التخصيص
وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان في محاربة الجن في الارض فعبدوه دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد
والبغي وافسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم ابليس في جند من الملائكة فطردوهم عنها والحقوهم بشعب الجبال
وجزائر البحور وسكنوا مكانهم وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة عمل فيهما لانه
بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ومعناه مصير في الارض خليفة ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة
من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لان الملائكة كانوا سكان الارض فخلفهم فيها ادم وذريته تعالى هذا ٥

المراد بالخليفة الكل باعتبار موصوف مفرد اللفظ مجموع المعنى اي من يخلفكم او خلفا يخلفكم فانه عليه السلام
كان خليفة الله في ارضه ولذلك كل نبي ومن ناب منابه كالخلفا الاربعة لنبينا صلى الله عليه وسلم وعد الله
الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية ويجوز ان
يريد بالخليفة ادم وحده والمعنى على جعله مع ذريته خلفا في الارض استغنا بذكره عن ذكر بنيه عليه السلام
كما يستغنى بذكر من هو الاصل في القبيلة عمن يتفرع عليه في قولك مضر وهاشم فكانه قال خليفة وخلفاءهم
ذريته كما تقول الخلافة في قريش اي فيه وفي اولاده بالنظر الى الاصل وان صار قريش ومضر مثلا اسما
للقبيلة ولم يصر الخليفة عبارة عن الكل وقرا ابن قطب بالقاف وقرا ابن السميع اني جاعل في الارض
خليفة باضافة جاعل الى خليفة اي اني جاعل خليفة في الارض قالوا وفايدة قوله تعالى للملايكة تعليم
المشاورة وتعليم شان المجعول بان بشر سبحانه بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه
واظهار فضل الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره
فان ترك الخير الكثير لاجل القليل شر كثير الى غير ذلك قال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اول من لبى الملايكة قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فرادوه فاعرض عنهم فطافوا بالعرش ست سنين يقولون لبيك لبيك اعتذارا اليك
لبيك لبيك نستغفرك ونتوب اليك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما استفسارا عن الحكمة بطريق
التعجب من ان يستخلف لعمارة الارض من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية لا انكارا لانه
لا يتصور من الملايكة والاعتراض على الله تعالى وتقدس لكن ظاهر الحديث يدل على انه صدر منهم نوع
يتبادر الى الفهم ويشهد به الكتاب والسنة والعرف وقرى يسفكون مجهولا فيكون العايد الى من في اجعل
موصولا او موصوفا او محذوفا اي يسفك الدما فيهم وقرا يسفك بضم الفا ويسفك ويسفك من سفك
والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب والسفك يقال في الدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح
في الصب من اعلا والشن في الصب عن فم القربة ونحوها ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك والواو في ونحن للحال
كقولك اتحسن الى اعدايك وانا الصديق المحتاج والمعنى استخلف عصاة ونحن معصومون احقا بذلك والغرض
الاستفسار عن الحكمة الداعية الى خلقهم لا تزكية النفس بذكر مناقبها كما ذكرنا والتسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء
يعدى بنفسه وباللام ولذلك التقديس من سبح في الارض وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد فاللام في لك
في المعنى متعلق بالفعلين وكذلك الحال اعني بحمدك اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك
ووفقنا لتسبيحك وفايدة الجمع بينهما ان التسبيح بالطاعات والعبادات والتقديس بالمعارف والاعتقادات
يريدون ان مجرد وجود المانع فيهم او المرجح فينا كاف في ان لا تجعلهم مكاننا وخلايف منا فكيف وقد اجتمع الامران
ان قوة المانع وكمال المراجح فينا وذلك انهم علموا ان للانسان ثلث قوى عليها مدار امره

قوة شهوية منشا الفساد وقوة غضبية هي منشا سفك الدما وقوة عقلية هي مظهر المعرفة
والصلاح ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تلك القوتين
لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم بما
يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وذهلوا عن فضيلة كل واحد من
من القوتين اذا صارت مهذبة مطاوعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة
الهوى والانصاف ولم يعلموا جهة الكمال فنبههم الله تعالى ذلك بقوله اني اعلم ما لا تعلمون ثم اطلعهم على
جهة الفضيلة بقوله وعلم ادم الاسما كلها قال اني اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من الحكم في ذلك ما هو خفي عليكم
وقوله قال استيناف وكذا قالوا اذا لم يجعل عاملا في اذ قال مجاهد علم من ابليس المعصية ومن ادم الحزنة
والطاعة ولو تعلم الملايكة بذلك وقال ابن عباس قد علم انه سيكون من بني ادم من يسبح بحمده ويقدس له ويطيع
امره ويقال قد علم انه سيكون في ولده من الانبيا والصالحين والابرار وعلم ادم الاسما كلها ما خلق علم
ضروري فيه والقاني روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل وقد بين الله تعالى به للملايكة بعض الحكم
على وجه يرشد لكونه اصل الفوايد وعلم عطف على قال وقيل على محذوف يكون المجموع بمنزلة التفسير لما لا تعلمون
ولا دلالة عليه والتعليم جعل الشخص عالما بالكليات والتعريف مختص بالجزئيات هذا بالنظر الى الاصل
وانما اوثر التعليم على التعريف لكون كل ما يحتاج اليه كليا من كليات الاشيا وذلك لان الله اراد الاجناس
التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه كذا وكذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع
الدينية والدنيوية وتعليم الخالق لا يخطي اصلا وقطعا وان كان المتكلم نبيا بخلاف تعليم المخلوق
فانه قد لا يترتب عليه العلم وما قيل من ان التعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم فانما
العلم الثاني وتفسير التعليم في الاية به بعيد جدا على ما لا يخفى وقد يقال التعليم والتعلم بالذات واحد وبالاعتبار
اثنان فان شيا واحدا وهو اشتياق ما الى اكتساب مجهول بمعلوم يسمى بالقياس الى الذي يحصل فيه تعلما
وبالقياس الى الذي يحصل عنه وهو العلة الفاعلية تعليما كالتحريك والتحرك وادم اعجمي كشالخ وازر ونحوها
مثلا واشتقاقه من الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تعالى
قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها ادم فلذلك ياتي بنوه اصيافا او من الادم
والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس
وذلك لان كون الاسما الاعجمية مشتقة من الالفاظ العربية ليس بمستقيم واما انه يجوز اجرى الاشتقاق في
ساير اللغات وان توافق لغاتهم لغات العرب في ماخذ هذه الاشتقاق وان ادم كان يتكلم بالعربية
فذلك بحث اخر وظاهر قوله صلى الله عليه وسلم اول من فتق لسانه بهذه العربية المبينة اسمعيل وهو ابن اربع
عشرة سنة يدل على ان اول من تكلم بالعربية اسمعيل عليه السلام واما الرد بان الاعلام القصدية يعني

يعني غير الغالبة والمنقولة لامعنى لاشتقاقها فليس شي لانه اذا ابين بين اللفظين تناسب في المعنى
والتركيب فهو معنى الاشتقاق وكذا الرد بان ادم كان في غاية الجمال والادمة والادم لا يناسب ذلك وقيل
الاسم بحسب الاشتقاق ما يكون علامة لشي واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مطلقا واصطلاحا في المفرد
الدال على معنى غير مقترن باحد الازمنة الثلثة والمراد في الاية اما الاول او الثاني وهو يستلزم
الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلق ادم من
اجزا مختلفة وقوي متباينة مستعد الادراك انواع المدركات واجناسها من المحسوسات والمعقولات
والمخيلات والموهومات وعلمه حقايق الاشيا واحوالها واسماها واصول العلم وقوانين الصناعات وما
يتعلق بها وقوله الاسما كلها اي اسما المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام
كقوله واشتعل الراس شيبا وانما احتج الى اعتبار هذا الحذف ليتحقق ضمير عرضهم وينتظم انبئوني
باسما هولا ولم يقدر المحذوف مضافا الي مسميات الاسما لينتظم تعليق الانبا بالاسما فيما ذكر بعد التعليم
والكلام في الاسم تدمر فلا يفيد هاثم عرضهم على الملايكة اي عرض المسميات وانما ذكر الضمير لان في المسميات
العقلا فغلبهم ثم العرض للسوال عن اسما المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسما وقري عرضهن
وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسما هولا وانما استنباهم وقد علم عجزهم
عن الانبا على سبيل التبكيت والالزام ان كنتم صادقين فيما زعمتم من اني استخلف من غالب حاله الافساد
وسفك الدما من غير ان يكون فيه ما يصلح لان يستخلف لان ذلك انما يصلح ما نعا من الاستخلاف
اذا لم يكن معه طلب التعجب ومنافع راجحة على هذا المظنة ومصالح زايدة على هذه المفسدة
وانما قال هذا ارادة لرد مقالتهم ودلالة على ان فيمن يستخلف فضايل العلم التي هي اصول
اصول الفضايل كلها وهم لاجلها احقا بالخلافة ولا يخفى ما في هذا الكلام من الدلالة على جلالة العلم
ورفعة محله والاشعار بشرف اهله قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز واقرار بالتقصير
وايذان بان سوالهم كان استفسارا الى انكارا واعتراضا وانه قد تبين لهم ما كان مخفيا عليهم من الحكمة في خلقه
الانسان واستخلافه وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره اي نسبحك
سبحان بمعنى تسبيحا ثم نزل منزلة فعله فسد مسده ودل على التنزيه البليغ عن كل السو وجميع ما لا يليق
بكبريائه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الذي تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق وقرا
لا علم لنا بالرفع والتنوين وقرا زيد بن علي الا ما اعلمتنا انك انت العليم الحكيم وضمير الفصل ههنا
لمجرد التاكيد فان التخصيص حاصل بدونه وذلك باعتبار تعريف الطرفين اي لا عليم الا انت وهذا
في افادة قصر المسند على المسند اليه مثل قوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين اي لا رازق الا الله وقد
يكون بالعكس اعني قصر المسند اليه على المسند نحو الكرم هو التقوي اي لا كرم الا التقوي والاية من قبيل

من قبيل الاول دون الثاني فكانهم قالوا لا علم لنا الى جنب علمك وعلمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك انت
العليم الذي لا يخفى عليه السر واخفى ومن علم الخفيات كلها لم يخف عليه الاوساط التي منها حال ادم عليه السلام
وذريته وقوله الحكيم اي المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وهذا منهم تفويض للامر الى علم سلطانه
واتكال على علو شانه في اتقان افعاله واظهار الشكر لنعمته بما عرفهم من فضل احسانه وقولهم هذا سبحانك الى قولهم
الحكيم من احاسن الكلام فان اوله تسبيح واوسطه اقرار واخره تفويض قال يا ادم انبئهم باسمائهم
اي اخبرهم واعلمهم وقرا انبيهم بقلب الهمزة يا وانبهم بحذف اليا والها مكسورة فيهما وقرا الاعمش انبهم بغيرهم
ولايا فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون لكنه جا به على وجه ابسط من ذلك واشرح حيث تعرض
للتفاصيل وان كان ما لا تعلمون اوجز واشمل الا ان الاخص بما خفي من مصالح الاستخلاف فيكون هذا اشمل واكمل
والهمزة للانكار وقد مر انها اذا دخلت على النفي افادت التقرير والتحقيق والغيب مصدر واضافت
المصدر يفيد الحصر والاختصاص كما يقال ضرب زيد اي الدار وهذا في التحقيق مثل قوله قل لا يعلم من في السموا
والارض الغيب الا الله واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ما تعلنون وما تسرون اي جميعهما الدلالة لفظها
على العموم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم احقا بالخلافة وانه تعالى
لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية وفي الخبر لما اراد الله ان
يخلق ادم بعث جبريل ليجمع التراب من وجه الارض فلما نزل واراد ان يجمعه قالت الارض بحق الله عليك
الا تفعل فاني اخشى ان يخلق مني ذلك خلقا يعصي الله تعالى فاستحى من ربه فصعد جبريل وقال لو امرني بالرجوع
اليها لفعلت ثم بعث ميكايل فتضرعت اليه مثل ذلك فرجع ثم بعث الى عزرايل فتضرعت اليه فقال عزرايل امر الله او
جمع التراب من وجه الارض الطيبة والسبخة والاحمر والاصفر وغير ذلك ثم صعد الى السما فقال الله تعالى له اما رحمت
الارض حين تضرعت اليك فقال يا رب رايت امرك اوجب من قولها فقال انت تصلح لقبض الارواح ولم فصار
ذلك التراب طينا اربعين سنة ثم كان صلصالا وكان ابليس اذا مر عليه مع الملايكة فقال ارايتم هذا الذي خلق لم
تروا شيئا من الخلايق يشبهه ان فضل عليكم وامرتم بطاعته فما انتم فاعلون قالوا نطيع امر ربنا فاسر ابليس في نفسه
وقال لين فضل علي فلا اطيع وان فضلت عليه لاهلكنه لاهلكنه فلما سواه ونفخ فيه من روحه علمه اسما الاشيا كلها
وامره بان ينبيهم باسمائهم واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على
وجه التكرمة كما سجدت الملايكة لادم وابو يوسف واخوته له مع ما في السجود من طرح الكبريا وخفض الجناح ويجوز
ان يختلف الاحوال والاوقات فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم اول من عانق خليل الله ابرهيم وكان قبل ذلك
السجود فهذا يسجد لهذا وهذا يسجد لهذا انجا الاسلام بالمصافحة وحقيقة السجود وضع الجبهة
على الارض لا على وضع الراس حتى لو وضع الراس من جانب احد العذارين او من جانب القفا لم يكن

وقد يطلق على الانقياد الاول والخضوع وهو المراد بسجود الجمادات من الحجر والمدر والليل
والنهار وغير ذلك لله سبحانه دون الاول لاستحالته منها وهذا ليس باعتبار ان ليس ذلك في قدرة الله
باعتبار انه ليس لها وجوه واجباه كما حكم عليها باستحالة النظر بالاعين والمشي بالارجل وقيل لما انبا بالاسما
وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به
قبل ان يسوي خلقه لقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا
لفضله واعلم انه اجمع جماهير العلما على ان الانبيا افضل من الملايكة ليس النزاع في انهم افضل
من الملائكة السفلية انما النزاع في الملايكة العلوية واما انهم افضل من الملائكة فلوجوه الاول قوله تعالى
واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فانه تعالى امرهم بالسجود تعظيما وتكريما بدليل قوله تعالى حكاية ارايتك هذا
الذي كرمت علي وامر الادنى بالسجود للافضل هو السابق الى الفهم وعكسه على خلاف الحكمة لان السجود اعظم
انواع الخدمة واخدام الافضل للمفضول مما لا يقبله العقول واذا كان ادم افضل منهم كان غيره
من الانبيا كذلك اذ لا قايل بالفصل الثاني قوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها الى قوله سبحانك لا علم لنا الا ما
علمتنا فانه يدل على ان ادم علم الاسما كلها ولم يعلموها والعالم افضل من غيره اذ الاية سيقت لذلك حيث قصد
منها الى تفضيل ادم على الملايكة وبيان زيادة علمه واستحقاقه التعظيم والتكريم ولقوله تعالى قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون والثالث ان البشر تحصل الفضايل والكمالات العلمية والعملية مع وجود
العوايق من الشهوة والغضب وحاجاته الشاغلة عن اكتساب الكمالات وليس للملايكة شي من ذلك ولا شك
ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والموانع اشق وادخل في الاخلاص فيكون افضل لقوله عليه السلام افضل الاعمال احمزها
اي اشقها الرابع ان الانسان ركب تركيبا بين الملك الذي له عقل بلا شهوة والبهيمة التي لها شهوة بلا عقل
فبعقله له حظ من الملائكة وبطبيعته له حظ من البهيمة ثم ان من غلب طبيعته عقله فهو شر من البهايم لقوله تعالى
اولئك كالانعام بل هم اضل ان شر الدواب عند الله الاية وذلك يقتضي بطريق قياس احد الجانبين
على الاخر ان يكون من غلب عقله طبيعته خيرا من الملايكة وذهب المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة
كالقاضي ابي بكر وابي عبد الحكيم الى ان الملايكة افضل وذهب المعتزلة وتمسكوا بوجوه عقلية ونقلية اما العقلية
فستة الاول ان الملايكة ارواح مجردة عن علايق المادة وتوابعها فليس شي من وصافها بالقوة بل كمالاتها كلها
بالفعل في مبدا الفطرة بخلاف النفوس الناطقة الانسانية فانها في ابتدا فطرتها خالية عن كمالاتها وانما تحصل
على التدريج والانتقال من القوة الى الفعل والتام اكمل من غيره الثاني الروحانية متعلقة بالهياكل العلوية
المبراة عن الفساد والنفوس الانسانية متعلقة بالاجسام السفلية الكاينة الفاسدة ونسبة
النفوس كنسبة الاجساد الثالث انها مبراة عن مبادي الشرور والافات كالشهوة والغضب فانهما اصل
الشرور والاخلاق الذميمة كلها وفاقا الرابع ان الروحانيات نورانية لطيفة لا احتجاب فيها عن الانوار القدسية

فهي

القدسية فهي ابدا مستغرقة في مشاهدات الانوار الربانية والجسمانية مركبة من المادة والصورة و
المادة ظلمانية تمنع عن تلك المشاهدة المستمرة الخامس انها قوية على افعال شاقة عجيبة كالزلازل
والسحاب يلحقها بذلك فتفوق بخلاف الجسمانيات السادس انها اي الروحانيات اعلم لاحاطتها
بالكواين ما ضيها واتيها وعلومهم كلية فعلية فطرية امنة من الغلط والجسمانيات بخلافه والجواب ان ذلك
كله مبني على اصول الفلسفة دون الاسلامية فلا نسلمها ولا نقول بها واما النقلية فسبعة الاول انهم معلمو الانبياء
مع كونهم افضل البشر يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله علمه شديد القوى وقوله نزل به الروح الامين
ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم والجواب ان التعليم من الله والملايكة انما هو المبلغون الثاني الملايكة
رسل الله الى الانبياء والرسول اقرب الى المرسل من المرسل اليه كالنبي بالنسبة الى امته والجواب انما ذكرتم قاعدة
كلية فيجب ان يكون واحد من احاد الناس اذا ارسله ملك الى ملك افضل من الملك المرسل اليه وهو باطل قطعا
الثالث قد اطرد في الكتاب والسنة تقدم ذكرهم على ذكر الانبياء وما ذاك الا لتقدمهم في الشرف والرتبة
والجواب ان ذلك انما هو بحسب ترتيب الوجود فان الملايكة يتقدمون في الوجود اللفظي مطابقا للوجود الحقيقي
او بحسب ترتيب الايمان فان وجودهم اخفى فالايمان به اقوى فيكون تقدم ذكرهم اولى الرابع قوله تعالى
ولا اقول لكم اني ملك فانه كلام في معرض التواضع ونفي التعظيم والترفع والجواب لو نسلم انه في معرض التواضع
بل لما نزل ما قبل هذه الاية وهو قوله والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون والمراد قريش
استعجلوا العذاب من خزائن الله يفتحها ولا نعلم ايضا متى ينزل بهم العذاب منها ولا هو ملك فيقدر
على انزال العذاب عليهم كما يحكي جبريل عم قلب باحد جناحيه المؤتفكات فقد دلت الاية على ان الملك اقدر
واقوى فاين حديث الافضلية التي هي الكثرة الثواب فان النزاع من المتكلمين في الافضلية بمعنى
كثرة الثواب الخامس قوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون فان اهل اللسان يفهمون
من ذلك افضلية الملايكة من عيسى عم في مثله الترقي من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف الوزير
من هذا الامر ولا السلطان ولا يقال ولا الوزير ثم لا قايل بالفصل بين عيسى عم وغيره من الانبياء
والجواب ان النصارى استعظموا المسيح لما راوه قادرا على احياء الموتى ولكونه بلا اب والملايكة فوقه
فيهما فانهم قادرون على ما لا يقدر هو عليه ولكونهم بلا اب وام فاذا لم يستنكفوا من العبودية ولم يصر ذلك
سببا لادعائهم الالوهية والمسيح اولى بذلك وليس ذلك من الافضلية التي نحن بصددها في شي السادس
قوله ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين اذ يفهم حرصهما على الاكل من الشجرة لما سمعاه بان المقصود
بالمنع قصورهما عن درجة الملايكة فكل منهما يحصل كمالا ذلك الشرف فقبلا منها بما اقدما عليه والجواب انما راه
الملايكة احسن صورة واعظم خلقا واكمل منهما تمنيا مثل ذلك وخيل اليهما انه الكمال الحقيقي والفضيلة المطلوبة
السابع في قوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته والمراد بكونهم عنده ليس القرب المكاني اذ لا مكان له

تعالى بل قرب الشرف والرتبة وايضاً جعل عدم استكبارهم عن عبادته دليلاً وهو انهم اذا لم يستكبروا فغيرهم
الى ان يستكبر اولى وفي ذلك دليل افضليتهم اذ مع التنادي او المفضولية لا يحسن ذلك للاستدلال والجواب المعارضة
بقوله تعالى في حق البشر في مقعد صدق عند مليك مقتدر وبقول الرسول عم حكاية عن الله تعالى انا عند
المنكسرة قلوبهم وكم بين من يكون عند الله ومن يكون الله عنده كما يشهد به الذوق السليم واما الاستدلال
بعدم الاستكبار فيكونهم اقوى واقدر على الاقوال لا بكونهم افضل وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم
التاء للاتباع ويجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله
بكسر الدال فسجدوا الا ابليس اي فسجد الملائكة كلهم امتثالاً لامر ربهم واجلالاً لخطابه وتكريماً لادم
الا ابليس اي فانه توقف واستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وعد ابليس من الملائكة
عند الاستثناء من المذكور وقوله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنياً واحداً بين اظهر الالوف من
الملائكة لا للاوصاف خاصة قال بعضهم واما عد ابليس من الملائكة حتى تناوله امرهم بالسجود وصح
استثناؤه منهم في الاخبار بالسجود فمن تغليب الكثير على القليل والجماعة على الواحد في اطلاق
الاسم مثل التغليب في اسناد الفعل او انه يعد الاستثناء من الذكور من جهة انه اطلق الاسم الموضوع
لجوهر معروف للملائكة خاصة على الملائكة وابليس من غير اشتراك له في مدلول الاسم اصلاً كما اطلق الاسم
الموضوع بمثله للذكور خاصة على الذكور والاناث بالمشاركة لهم في مدلول جوهر الحروف اعني القنوت في قوله
كانت من القانتين ويجوز ان يكون استثناء منقطعاً ووجه الانقطاع ان ابليس لم يك فلا يتناوله اسم الملائكة
لكن الاباء والاستكبار يدل على انه مأمور بالسجود وان لم يتناوله لفظ الملائكة ابى واستكبر جملة مستأنفة وقعت
جواباً لقائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر لقوله ابى مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا
وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط وقيل امتنع مما امر به واستكبر عنه والتكبر ان يرى الشخص نفسه
اكبر من غيره والاستكبار ويروى ان ابليس لقي موسى عم فقال يا موسى انت النبي اصطفاك الله تعالى
برسالته وكلمك تكليماً وانا من خلق الله اذنبت وانا اريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي
قال موسى نعم فدعا موسى ربه عز وجل فقال يا موسى قد قضيت فلقي موسى ابليس وقال امرت ان تسجد لقبر
ادم ثم يتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حياً ااسجد له ميتاً ثم قال ابليس يا موسى ان لك
حقاً علي بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان وحيي في
قلبك وعيني وعينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني اتي ابن ادم حين
تلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى يتولى واياك ان تجالس امرأة ليست بذات
محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار اللعين في هذا الى ان سبب ابائه
وامتناعه من سجود ادم هو الحسد والحرص فان الفار من الزحف حرص الدنيا وهما اعظم مداخله

مداخله وبالحسد لعن وبالحرص اصاب من ادم حاجته على ما نقل عنه وهو ما روي ان نوحاً عم لما ركب
البحر وحمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما امر فرأى في السفينة شيخاً لم يعرفه فقال نوح اخرج منها يا عدو
الله فانك رجيم فقال خمس اهلك بهن الناس وساحدثك الحسد والحرص وبالحسد لعنت وجعلت مهيناً بالبلية
ولا احدثك بالثنتين فقال ما الثنتان فقال هما لا يكذباني هما لا يخلفاني بهما اهلك الناس الحسد والحرص
فبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً وقد ابيحت الجنة كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص ولاجل الحسد و
الحرص والكبر والغضب من مداخل الشيطان نهى النبي صم علياً عنها فقال له يا علي انهاك عن اربع الحسد و
الحرص والكبر والغضب فان الحاسد متسخط قضاء الله وقدره ومعترض عليه تعالى فيما عذر له فيه واما الحاسد
متسخطاً على الله واعتراضاً عليه لانه تعالى منزه عن فعل السفه والعبث وانما يضع الشيء موضعه والحاسد كانه
يرى انه وضع الشيء غير موضعه لانه يريد زوال النعمة عنه فهو كانه ينسبه الى السفه او العبث او الجهل
والله عز وجل عن هذه الصفات وعن ساير النقايص كلها علواً كبيراً قال عليه السلام روايته عن الله تعالى
من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب رباً سواي وقال عم اياك والحسد فان الحسد يأكل
الحسنات كما تأكل النار الحطب واما الحرص فهو مسابقة قدر الله ومن سابق القدر سبق ومن غالبه الله تعالى
ومن غالبه غلب قال النبي عم لكعب يا كعب انت القائل جانب سيخسنني لي ثعالبها وليغلبن مغالب الغلاب
قال نعم قال ما نسيه للاديب واما كان الحرص مغالبة الله لان الحريص يريد ان ينال ما لم يقدر الله
واما الكبر فهو عد الشخص نفسه كبيراً عظيماً وهو منازعة الله في صفة مختصة به فمن نازع الله صفة فالنار
مأويه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
واحداً منهما القيته في النار وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يجاء بالجبارين والمتكبرين رجال
في صور الذر يطأهم الناس من هوانهم على الله تعالى حتى يقضى بين الناس ثم يذهب بهم الى نار الانيار
قال يا رسول الله وما نار الانيار قال عصارة اهل النار وعقوبة المتكبر في الدنيا المقت والذلة
بين عباد الله تعالى وروي انه عم قال لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال لما منعه الا الكبر فقيل ما رفعها
بعد ذلك واعتلت يده فاني الكبر على الخلق عظيم سيدعوه الى التكبر على امر الله نعوذ بالله من ذلك و
اما منع ابليس مثل هذا وما احواله الا ليعتبر به قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك
على ان امتنع من السجود الذي امر الله تعالى وكان مبدأ الكبر على ادم والحسد له فجره ذلك الى التكبر
على امر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه ابد الابدين ومقابله التواضع قال النبي عليه السلام ما من احد
الا وفي رأسه سلسلتان احدهما في السماء السابعة والاخرى في الارض السابعة فاذا تواضع العبد
رفعه الله في السلسلة التي في السماء اليه واذا اراد ان يرفع نفسه وضعه الله تعالى فهذه عقوبته في
الدنيا وفي الاخرة نار الانيار اي عصارة اهل النار واما الغضب فقدم تفسيره قال النبي عليه الصلوة

والسلام لنهي عليا كرم الله وجهه عن تسخط قضاء الله والاعراض عليه وعن مسابقة قدره ومغالبة بطنه
وعن منازعة صفته التي لا يستحقها غيره ولا يليق باحد سواه وعن الغضب فقد بين له جميع خصال الشر
ومبادي الاخلاق الذميمة ودواعي الهلاك فدله على اسباب النجاة اعاذنا الله من جميع مناهيه ووفقنا
لاوامره التي ترضيه فهو اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وعلى ما يشاء قدير وكان من الكافرين اريد
وجوه كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلقا في جنس الاوقات الماضية فهو صالح لايهما
ثبت او اريد وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله ويجوز ان يراد وكان في الكتاب مذكورا بانه
من الكافرين موصوفا به او صار منهم بامتناعه عما امر به واستكباره عنه والاحسن ان يقال هذه الجملة تذييل
للتعليل كما يفصح الفاء في قوله تعالى ففسق عن امر ربه عن خروجه عن الطاعة وانقياد امر السجود بسبب كونه من
كفرة الجن بمعنى قوله وكان من الكافرين اي من جنس كفرة الجن وشياطينهم فالاباء والاستكبار ههنا معلولان
لكونه من كفرة الجن وقيل لما استثنى ابليس من الساجدين وكان يحتمل ان يظن انه كان معذورا في ترك السجود
بين سبحانه وتعالى انه لم يسجد مع وجود القدرة وعدم العذر بقوله ابى لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ثم
انه قد يجوز ان يكون كذلك بدون الكفر فبين ان ذلك الاباء مع الاستكبار ثم جاز ان يكون الاباء والاستكبار
مع عدم الكفر فبين انه كفر وعلى هذا لا يكون قوله وكان من الكافرين تذييلا بل عطفا للتقييد ثم الجمهور على ان جميع
الملائكة كانوا مامورين بالسجود لادم لان لفظ الملائكة يفيد العموم سيما وقد اكد في قوله تعالى فسجد الملائكة
كلهم اجمعون ولان استثنى منهم ابليس واستثناء الشخص الواحد دال على ما عداه داخل في الحكم ومنهم من انكر ذلك
وقال المامورون بالسجود هم الملائكة السفلية دون العلوية واما الحكماء الذين احالوا انقياد الارواح
السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المراد بالملائكة المامورين بالسجود القوى الجسمانية البشرية المطيقة
للنفوس الناطقة فقد سجلوا على انفسهم بالكفر حيث خالفوا الكتاب والسنة واجماع القرون الثلث
اولئك هم العادون وائمة النار الغاوون وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة اسكن
امر من السكنى الى السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد لضمير اسكن ليصح العطف عليه
فان العطف على المرفوع المتصل بلا فصل ممتنع في فصيح الكلام وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه
المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له وتوضيحه انه قيل اسكن ولم يقل اسكنا اشعارا بالاصالة
والتبعية ومخاطبته الغائب بصيغة افعل للتغليب مثل انا وزيد فعلنا والجنة دار الثواب
كما ان اللام للعهد ولا معهود سواها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين
او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لادم وحمل الهبوط على الانتقال منه الى ارض الهند كما
في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا اي اكلا رغدا واسعا رافها يقال عيش رغد ورغد و
رغيد اي واسع وفلان في رغد من العيش ورغد بالكسر رغدا وقرا نخعي رغدا بسكون الغين

[illegible]

العين وقال لغة عنهم حيث شئتما وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اما كونه للابهام
وتفسيره للعموم فلدلالته لحال وعدم الحرج واما كونه غير متعلقا باسكن مع انه الظاهر من جهة المعنى
فلوقوع الفاصل وانما وسع الامر عليهما واطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة ازاحة للعلة و
والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب
الاجتناب عن الاكل منها وجعل قربهما سببا للظلم فان القرب من الشيء يوجب داعية وميلا ياخذ بمجامع
القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما قال عليه السلام حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول
ما حرم الله عليهما مخافة ان يقعا فيه والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة والتاء فيها للوحدة والظاهر
الاولى لمقام التوسعة الوحدة الشخصية ويحتمل النوعية واياما كان فاللام في وصف اسم الاشارة للجنس
او قيل للعهد وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين و
الياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها والبرابر جمع بربر جيل من الناس
يسكنون ما بين الحبشة واليمن والسودان منهم سموا بذلك لان ابا بلقيس لما غزاهم قال ما
اكثر بربرتهم وهي الصوت وكلام في غضب وقد يقال انما كان النهي عن الاكل من الشجرة للمحنة لان
الدنيا دار محنة وقد خلق من الارض ليسكن فيها فامتحن بذلك كما امتحن اولاده في الدنيا
بالحلال والحرام فتكونا جزم على تقربا او نصب جواب للنهي وقوله من الظالمين جعل الاكل سببا لان يكونا
من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله وارتكاب المناهي فان الفاء يفيد السببية فازلهما الشيطان
عنها اي حملهما الشيطان على الزلة بسبب الشجرة وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عن الشجرة ومثل عن
هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري فان معناه ما اصدرت فعله وفي قول الشاعر ينهون عن اكل وعن شرب
والمعنى يصدر تناهيهم في السمن عن الاكل والشرب وقيل فازالهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما
كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى
غير ان زل يقتضي عثرة مع الزوال وازالة قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين و
قرأ ابن مسعود فوسوس لهما واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على سبيل الوسوسة وانه
كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول فيها على جهة
التقريب والتكرمة كما يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل على الوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل كان
يدنو من السماء فكلمهما وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة و
قيل كان لما اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية فدخلت به ابليس وهم لا يشعرون وقيل ارسل بعض اتباعه

فازلهما والله اعلم فاخرجهما مما كانا فيه اي من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير في عنها للشجرة اذ
لو كان للجنة لكان الاخراج قبل الازلال ومعه فلا يصح بالفاء الا بتاويل وقرا عبد الله فوسوس لهما الشيطان
عنها قيل هذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها وقيل يجوز ان يكون الضمير للجنة على تضمين
الوسوسة معنى التبعيد والازالة وقلنا اهبطوا خطاب لادم وحوا وابليس وقيل والحية والصحيح لادم
وحوا لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما لما كانا اصل الانس جعلا كانهما الانس كلهم بعضكم لبعض
عدو وما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والدليل على ان المراد التعادي والتباغي
فيما بين ادم لا فيما بينهما وبين ابليس قوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا
باياتنا الخ فانه قسمهم الى المومنين والكافرين وبين جزا كل من الفريقين من الجزا والجملة استيناف بتقدير السوال
وكذا قوله ولكم في الارض مستقر يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا والحال لا تعتد لان لا تعاديهم
وتفرقهم ليس في حال الهبوط والهبوط النزول الى الارض ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار
ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يوم القيامة لانه متعلق بالظرف الواقع خبرا عن مستقر ومتاع والاستقرار
ثابت الى يوم القيامة لكان الفرق وقيل الى الموت نظرا الى تعلقه بمتاع اذ لا تمتع بعد الموت بكى ادم عليه السلام
على تفريطه حتى جرت الاودية من دموعه كان كلما ذكر الجنة قلق وكلما راى الملائكة تحرق ابلغ المراهم
لجراح جرائم الندم واوطار وتبر للعبد القلق قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى ادم وموسى
فقال موسى يا ادم انت ابونا خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته خيبتنا واخرجتنا من
الجنة فقال ادم انت موسى كلمك الله تكليما وخط لك التورية بيده واصطفاك برسالته فبكم وجدت في كتاب الله
وعصى ادم ربه فغوى قال باربعين سنة قال فتلومني على شي قدره الله علي قبل ان يخلقني باربعين سنة قال
فحج ادم ثلثا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ادم الى الارض ابيضا مسيرة الشمس
الشمس فيها ثلثون يوما في مثل ايام الدنيا ثلثون مرة شجرة فلقا لا يعلمون ان الله لا يعصى في الارض
ولا يعلمون ان الله خلق ادم ولا ابليس فتلقى ادم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين
علمها وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته واتصلت به وتلك الكلمات قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت
نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال
يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك
قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي الى الجنة قال نعم وقوله اراجع انت اسم فاعل اضيف
الى المفعول وانت فاعله لاعتماده على الاستفهام ويجوز ان يكون مبتدا وبالجملة فوقوع الجملة
الاستفهامية جزا الشرط محل بحث فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء

على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه من حيث هو مع عزم ان لا يعود
اليه اذا قدر عليه وقولنا الندم توبة وقولنا عليه اي على الذنب لان الندم على فعل لا يكون معصية
بل مباحا او طاعة لا يسمى توبة وقولنا من حيث هو ذنب لان من ندم على شرب الخمر لما فيه من الصداع وخرق
العقل والاخلال بالمال والعرض لم يكن تائبا وقولنا مع عزم ان لا يعود اليه زيادة تقرير لان النادم على
الامر لا يكون الا كذلك ولذلك ورد في الحديث الندم على التوبة على ان الندم على الذنب من حيث هو ذنب
يستلزم ذلك العزم كما لا يخفى وقولنا اذا قدر لان من سلب قدرته على الزنا وانقطع طمعه عن عود القدرة
اليه اذا عزم على تركه لم يكن ذلك توبة منه وفي هذا بحث فتامل وانما ذكر سبحانه توبة ادم مع ان الامر لادم
وحوا لان حوا تبع لادم في الاحكام ولذلك طوي ذكر النسا في اكثر القران والسنة وقيل قال ادم بحق محمد ان
تقبل توبتي قال الله تعالى انى عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله
فعلمت انه اكرم خلقك فغفر لك فتاب الله عليه انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة وقبول التوبة او الذي
يكثر اعانتهم على التوبة والتوبة في اللغة الرجوع قال الله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا اي رجع عليهم بالفضل
والانعام ليرجعوا الى الطاعة والانقياد فالتوبة في حق العبد عبارة عن الرجوع الى الخدمة والعبودية
وفي وصف الباري الرجوع عن العقوبة الى الفضل والاحسان اللائق بالربوبية قال الخطابي يجي لازما
ومتعديا فقال تاب الله على عبده وفقه الله للتوبة حتى تاب فيكون تعالى توابا معناه المبالغة في توفيقه عباده
للطاعات وقيل توبة الله على العبد عبارة عن قبول توبة العبد وهو من باب تسمية الشي باسم بعض لوازمه
من قبيل قصر المسند على المسند اليه بخلاف الذي هو الرزاق وتمام الرحيم البالغ في الرحمة وفي الجمع بين الصفتين
وعد للتائب بما بذله كله من الفضل والانعام قال علي كرم الله وجهه قال النبي عليه السلام
اوحى الله الى داود قل للعاصين لئن يسمعوني ضجيج اصواتهم فاني احب ان اسمع ضجيج العاصين اذا
تابوا الي يا داود ولن يتضرع المتضرعون الى من هو اكرم مني ولا يسال السائلون اعظم مني جودا
وان العبد ليعصيني كانه لا يعرفني ثم يقبل علي فاقبله على ما كان منه وانا ارحم الراحمين وعنه عليه السلام
اوحى الله تعالى الى موسى انك لن تتقرب الي بشي احب من الرضا بقضائي ولم تعمل عملا احبط لحسناتك من
الكبر يا موسى لا تتضرع الى اهل الدنيا فاسخط عليك ولا تخف بدينك لدنياهم فاغلق عليك ابواب
رحمتي يا موسى قل للمذنبين النادمين ابشروا وقل للعاملين المعجبين اخسروا وقرا الحسن ويعقوب
ومجاهد والزهري انه اي لانه قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم
مني هدى فان قيل على الاول لم قدم ذكر تلقي الكلمات عليه وعلى الثاني انما ذكره لا يصلح علة للتكرار
اذ يمكن ان يناط الزيادة بالاول من غير تكرير والجواب على ما قيل اما الاول فلفرط الاهتمام بصلاح حاله
وفراغ باله والاخبار بقبول توبته والتجاوز عن هفوته وازاحة ما يخشى يتشبث به الملائكة

بما زعموا في جنة وقد فضله عليهم وامرهم بالسجود له واما الثاني فليكونوا بين حالي في بعض المؤمنين
الكافرين كالمذكور في قوله حيث استوقف لذكر الامر بالهبوط لترتب عليه الابتلاء بالتكليف وفي اشارة
الى الرد على من زعم ان الهبوط الاول من جنة الى السماء والثاني من السماء الى الارض كيف وقد
جعل الاستقرار في الارض والتمتع حالا من الاول وان كانت حالا مقدرة وقيل كرر للتاكيد اولاختلاف
المقصود فان الاول على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم
اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن
باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه
نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منها كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى
كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا فاما
ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول
وجيء ان مع زيادة ما في اخرها للتاكيد ومعناه تاكيد الشاعر فاما ترني اليوم ازجي ظعينتي ولذلك حسن تاكيد
الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال وارسال فمن تبعه منكم
نجا وفاز وحيث كتب الله الامن من كل غم فلم يفزع ابدا وانما جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا انه
يحتمل في نفسه غير واجب عقلا فلا قطع بالوقوع بل ان شاء هدى وان شاء ترك لكن لنا علم من فضله
ورحمته التكفل ان ... العقل بالنوشيا ... الحجاج جهة حيثية الوقوع وكرر لفظ الهدى ولم يضمر
لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه
ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف
على المتوقع والحزن على الواقع فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع
وحصول ضار وقيل المعنى فاما ياتينكم مني هدى رسول ابعثه اليكم وكتاب انزله اليكم بدليل قوله
والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي يعني جعل متابعة الهدى في
مقابلة الكفر والتكذيب بالايات المنزلة على لسان الرسل فيكون متابعة الهدى عبارة عن الايمان و
التصديق بتلك الايات وهذا توطئة لما ذكره في تصحيح حرف الشك في قوله فاما ياتينكم يعني ان اتيان
الهدى بطريق الرسول والكتاب ليس بواجب فسواء ياتيهم الكتاب والرسول او لم يات فالايمان بالله
وتوحيده واجب لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فلو
لم يكن طريق العقل كافيا لكان اتيان الكتاب والرسول واجبا فلم يكن يصح الاتيان بحرف الشك
فلما اتى به اشعر انه ليس بواجب فتعين للوجوب طريق العقل واما على اصلنا وهو انه لا وجوب
على الله فوجه كلمة الشك ظاهر كما ذكر فان قيل الخطيئة التي اهبط بها ادم عليه السلام ان كانت كبيرة

كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى من نزع اللباس والاخراج
والاهباط كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة
واجيب بانها انما كانت صغيرة عن نسيان لكن عوتب لترك التحفظ وفرط الاحتياط ولهذا نسب الى الغواية
والعصيان ونحو ذلك وفي هذا تعظيم لهم وترهيب لامتهم واعلم ان اهل الملل والشرائع كلها على وجوب
عصمة الانبياء عليهم السلام عن تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم القاطع فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه
من الله الى الخلق وفي جواز صدوره عنهم على السهو والنسيان خلاف والصحيح انه يمتنع صدور الكذب
عنهم لدلالة المعجزة على صدقهم واما سائر الذنوب فهي اما كفر او غيره اما الكفر فاجمعت الامة على عصمتهم عنه
قبل النبوة وبعدها ولم يخالف في ذلك مخالف غير ان الازارقة من الخوارج جوزوا عليهم الذنب وكل ذنب
عندهم كفر فلزمهم تجويز الكفر وجوز الشيعة اظهاره تقية عند خوف الهلاك وذلك باطل قطعا لانه يفضي الى
اخفاء الدعوة بالكلية وترك التبليغ اذ اولى الاوقات بالتقية وقت الدعوة للضعف وكثرة المخالفين و
ايضا ما ذكروه منقوض بدعوة ابراهيم وموسى عليهما السلام في زمن نمرود وفرعون مع شدة الهلاك واما غير
الكفر فاما كبائر او صغائر وكل منهما اما ان يصدر عمدا او سهوا فالاقسام اربعة اما الكبائر فيمتنع صدورها
عنهم عمدا عند الجمهور سمعا عندنا وعقلا عند اهل الاعتزال وتجوز سهوا عند الاكثرين والمختار عندنا خلافه
واما الصغائر عمدا فتجوز الا عند الجبائي واما سهوا فهو جائز اتفاقا الا الصغائر الخسيسة كسرقة لقمة والتطفيف
بحبة فانها لا تجوز اصلا لا عمدا ولا سهوا والاتفاق المذكور انما هو فيما ليس منها كنظرة وكلمة سفه بادرة في
خصام كل هذا بعد الوحي والاتصاف بالنبوة واما قبله فقال الاكثر لا يمتنع ان يصدر عنهم كبيرة اذ لا دلالة
للمعجزة عليه ولا حكم للعقل بامتناعها ولا دلالة سمعية عليه ايضا واحتج المخالف المجوز صدور الكبائر عنهم بعد
البعثة سهوا والصغائر عمدا ايضا بقصص الانبياء توهم صدور الذنب عليهم في زمان النبوة والجواب عنها
اجمالا ان ما كان منها منقولا بالاحاد وجب رده لان نسبة الخطاء الى الرواة اهون من نسبة المعاصي الى الانبياء
وما ثبت منها تواترا فما دام محتملا لخلاف ظاهره حملناه عليه ونصرفه عن ظاهره لدلائل العصمة وما لم نجد له محملا حملناه
على انه كان قبل البعثة او من قبيل ترك الاولى او من صغائر صدرت عنهم سهوا وتنفيره ولا الاستغفار عنه
ولا الاعتراف بكونه ظلما منهم كما في قصة آدم عليه السلام اذ لعل ذلك لعظمة عنهم او عدهم سهوا [illegible] الابرار ان
حسنات الابرار سيئات المقربين او لانه قصدوا به هضما عن انفسهم ومن جوز الصغائر عمدا فله زيادة
فسحة في الجواب اذ يزداد له وجه آخر وهو ان يقول جاز ان يكون الصادر عنهم صغيرة عمدا لا كبيرة و
لنورد منها ما استدل لانه بالقصص على ما هو المناسب لما نحن بصدده فنقول احتج المخالف بقصة آدم و
ونقرر في التمسك بها من ستة اوجه الاول قوله وعصى آدم ربه موكدا بقوله فغوى والعصيان من
الكبائر بقوله ومن يعص [illegible] الثالث مخالفة النهي عن اكل الشجرة وارتكاب المنهي عنه ذنب الخامس قوله حكاية ربنا ظلمنا

ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين لولا المغفرة دليل كونه كبيرة الثاني قوله
فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه واستحقاق الاخراج بسبب ازلال الشيطان يدل على كون الصادر عنهما
كبيرة والجواب بعد تسليم انه في الجنة ولا امة له هناك كان نبيا وهل كان الاجتباء بالنبوة الا بعد تلك القصة
كما يدل عليه قوله تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه فان كلمة ثم للتراخي فالمعصية بهذه القصة كانت قبل النبوة
وليس الوقوع في الانبياء بمثل هذا التمسك الظاهر فعرا الا للتعمق في الضلال والجهل المفرط في الغواية وقس
على هذا سائر تمسكاتهم ويسير عليك رميها واحدا واحدا والحمد لله رب العالمين وقرأ فمن تبع
هدي على لغة هذيل وهي ان تقلب الالف المقصورة ياء وتدغم في ياء الاضافة ليكون قبلها حرف الكسرة
ولا خوف بالفتح وعن نافع والاعرج والاعمش هداي بالياء الساكنة وكذلك مثواي وعصاي وبشراي
وما اشبه ذلك والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على من تبع
هداي الخ قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل الذين كفروا بالله ورسوله وكذبوا باياته او كفروا بالايات
جنانا وكذبوا بها لسانا فيتوجه الفعلان الى شيء واحد وهو قوله باياتنا والايات ها هنا كتاب الله والاصحاب
جمع صاحب او صحب بالسكون كناصر وانصار وشاهد واشهاد ونهر وانهار وطهر واطهار ورب وارباب
او جمع صحب بالكسر مخفف صاحب كنمر وانمار واما ذكرنا يظهر ضعف ما قيل ان جمع فاعل على افعال لم يثبت وسيجيء هذا
في بابه باذن الله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له لكونه يشبه
يمدح بحسب الاصل فان معناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وكذا نحو عبد الله علي اذا اريد به الاشعار
بانه عبد الله تشريفا وهو كابراهيم واسمعيل غير منصرف للعجمة والعلمية وقرأ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما
واسرئيل بقلب الهمزة ياء واعلم ان الذكر باللسان وبالجنان وبالاركان اما الذكر باللسان فهو اللفظ الدال على التحميد
والتسبيح والتمجيد واما الذكر بالقلب فعلى ثلثة اضرب ان يتفكر في دلائل ذات الله وصفاته وتوحيده وحدوث
ما سواه وان يتفكر في دلائل التكاليف من الامر والنهي والوعد والوعيد وان يتفكر في صنع المخلوقات واسرارها
اما الاول فيزيد باليقين وشرح الصدر لما في جبلته الانشراح بنور البينات والى الاشارة بقوله فاما الذين
امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته
زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون فان الايمان هو اليقين والنور الذي يقر في قلوب اوليائه و
فالصفة عبادة حتى قيل بل اجمع على انه النعمة كل النعم واما الثاني اعني التفكر في دلائل التكاليف فيسهل على
المتفكر فعل الطاعات واجتناب المنهيات واما الثالث وهو التفكر في المخلوقات واسرارها فيفتح البصيرة للنظر
والاستدلال والاعتبار حتى لا ينظر اليها نظر البهائم ويصير تلك الذات كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم الغيب
فانه اذا نظر العبد بعين عقله اليها وقع اشعة بصر الروحانية منها الى عالم الجلال وهذا اعظم المقامات
واجل العبادات واسلم من المفسدات قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وعنه عم اذا ذكر

ذكر العبد ربه كتب الله ذلك في صحيفته ثم يعارض الملائكة يوم الخميس فيقول الله ذكر عبدي بقلبه فيقول
الملائكة ربنا كل عمل هذا العبد احصيناه اما هذا فلا نعرفه فيقول تعالى ان عبدي ذكرني بقلبه فاثبته في صحيفته
وذلك قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون واما ذكر الله بالجوارح فهي ان تصير الاركان مستغرقة بالعبادات مشغولة
في الطاعات تاركة للمعاصي غائبة عن المنهيات اذا تمهد هذا فنقول قوله جل من قائل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
يتضمن الامر بجميع ما انعم الله به عليهم فان قوله نعمتي وان كان موحد اللفظ لكنه جمع في المعنى كقوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها والمعنى اذكروا واشكروا واحفظوا الالاء فان الشكر ذكر وفي الكشاف انما قال ذكر النعمة شكرها
وشكر النعمة ذكرها وقيل اراد بها ما انعم به على ابائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل
وغير ذلك وعليهم من ادراكهم محمدا عم المبشر في التورية والانجيل وقد جمع بين الحقيقة والمجاز حيث
جعل عليكم مرادا به ما انعم الله عليهم وعلى ابائهم فينبغي ان يحمل على حذف واعتبار معنى جامع بان يجعل الخطاب
لجميع بني اسرائيل الحاضرين والغائبين ما انعم به اشارة الى حذف العائد الى الموصول وقرأ اذكروا في الوصل
افتعلوا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا
بعهدي بالايمان والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله وقرئ بعهدي بفتح الياء اوف بعهدكم
بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد لانه حقيقة بينهما غير انه مصدر يضاف تارة الى الفاعل و
تارة الى المفعول ولا خفاء في ان الفاعل هو الموفي فان اضيف الى الموفي مثل اوفيت بعهدي ومن اوفى
بعهده فهو مضاف الى الفاعل وان اضيف الى غيره مثل اوفيت بعهدك فالى المفعول فمعنى اوفوا بعهدي
اوف بعهدكم يكون الاضافة الى المفعول في كليهما فان معناه اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان والطاعة اوف
بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم ولا يستقيم غير هذا اذ لا معنى لقولك اوفيت بما عاهدت عليه
غيرك وقيل لعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح
بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول
مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله حقن الدماء والمال واخرها منا الاستغراق في
بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله الفوز باللقاء الدائم وعما روي عن ابن عباس
اوفوا بعهدي في اتباع محمد عم اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض
وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم
فبالنظر الى الوسائط وتفصيل العهد قوله ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها اوف بالتشديد للمبالغة واياي فارهبون الفاء للعطف على المفسر المحذوف
هو ارهبوا والمفسر هو فارهبون اي واياي ارهبوا فارهبون قيل وفيه نظر لانه لا بد في العطف من
مغايرة ولا مغايرة واجيب بان الاول هو الاختصاص وفي الثاني تغاير وانما لم يعتبر في الثاني التخصيص

لان الغرض منه مجرد تقوية الفعل من غير قصد الى كيفية تعلقه بالمفعول واعترض بانه لا بد من التعقيب
لا تعقيب واجيب بانه باعتبار التفسير فانه بمنزلة المفسر اذ يقع عقيب المفسر كالتفصيل بعد الاجمال نحو قوله
فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم على ما هو المشهور وقيل في وجه التغاير انه عطف المفسر على المفسر بالفاء لان محصول
الكلام ارهبوني رهبة بعد رهبة وصح كون المفسر معطوفا عليه باعتبار الاتحاد النوعي فالرهبة المستفادة من ارهبوني
بعد الرهبة المستفادة من ايّاي ارهبوني فصح ايراد هذا على تقدير كون الفاء عاطفة ومن الجائز وقال بعضهم
ان هذا كلام ذاهب عن قصد السبيل اذ ليس معنى ايّاي فارهبون على تعدد الرهبة ولو كان فمثله ليس من تاكيد الاختصاص
في شيء واجتماع حرفي العطف في مثل وربك فكبر لازم فالاوجه ان يقال لا وجه لجعل الفاء عاطفة مفتقرة الى
تعسفات كثيرة مع ظهور الجزائية الموافقة لمقصود الكلام ونقل التفتازاني نعم لما حذف الواقع موقع الجزاء حقيقة رجعت
الفاء الى المذكور المفسر به تحقيقا للمطابقة ودلالة على الجزائية واقامة للمذكور مقام ما لزم حذفه فانه كان بعد
الفاء كانه قيل ان كنتم ترهبون شيئا فايّاي ارهبوا فايّاي فارهبون وكذا قوله فايّاي فاعبدون اصله فان لم
يتأت ان تخلصوا العبادة لي في ارض فايّاي في غيرها اعبدوا فاعبدون اي فاخلصوها لي في غيرها فحذف
الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع ارادة الاختصاص بالتقديم فحصل من تقديمه فائدتان التعويض والتخصيص
وتقدير الشرط لقرائن الاحوال غير ممتنع والقرآن مشحون بذلك واما عطف وايّاي ارهبوا بالواو وفعل مذكور
متقدم هو اذكروا نعمتي واوفوا بعهدي وقيل في ايّاي فارهبون وجوه من التاكيد تقديم الضمير المنفصل وتأخير
المتصل والفاء الموجبة معطوفا عليه ومعطوفا تقديره ايّاي ارهبوا فارهبون احدهما مضمر والثاني ظاهر وما
ذلك من تكرار الرهبة وما فيه من معنى الشرط بدلالة الفاء كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهب
الخوف قال الجوهري رهب بالكسر يرهب رهبة ورهبا بالضم ورهبا بالتحريك اي خاف والاية متضمنة للوعد والوعيد
ومشيرة على وجوب الوفاء بالعهد ودالة على ان المؤمن من شأنه ان لا يخاف احدا الا الله تعالى قوله وخافون ان
كنتم مؤمنين وقوله ولا يخشون احدا الا الله قوله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث
عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهد وتقييد المنزل وهو القرآن العظيم بانه مصدق لما معهم من سائر الكتب
السماوية تنبيه على ان اتباعه لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به فان
الواجب ان تكونوا اول من آمن به لمكان علمهم به وبصفته ولانهم كانوا مبشرين بزمانه والمستفتحين به على
الكافرين وكانوا يعدون اتباع محمد عليه السلام اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين
كفروا الى قوله ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقوله اول كافر به خبر عن ضمير الجمع بتقدير اول
من كفر به او فوج او فريق او فرج كافر به او بتأويل لا يكن كل احد منكم اول كافر به لان الحكم على المجموع يجوز ان يكون
حكما على كل واحد واحد وهو المقصود بقولهم كسانا حلة اي كل واحد منا ويجوز ان يكون من قبيل حذف
اداة التشبيه اي لا تكونوا مثل اول من كفر به وهم المشركون من اهل مكة والمعنى لا تكونوا في الكفر والعناد

والفساد مثل المشركين والحال انكم من المعرفة والكتاب ما ليس لهم واول افعل التفضيل بدليل الاولى والاوائل
كالفضلى والفاضل وقيل اصله اوأل فابدلت الهمزة واوا وادغمت وقيل اأول وافعل التفضيل اذا اضيف الى
النكرة كان لتفضيل الموصوف على المضاف اليه بالتفضيل الى ما هو عليه من العدد فيجب مطابقته له مثل هو افضل رجل
وهما افضل رجلين وهم افضل رجال وهاهنا الموصوف جمع والمضاف اليه مفرد فوجب تاويل المضاف اليه بجعله
جمعا في المعنى او في الموصوف بان يجعل مفردا ليحصل التطابق وكلاهما ظاهر وقيل الضمير في به لما معكم او لما انزلت
لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا والاشتراء استعارة تحقيقية مبنية على تشبيه
الاستبدال الرياسة التي كانت لهم بآيات الله تعالى بالاشتراء ووجه في الفعل بالتبعية كما في قوله اشتروا الضلالة
بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا فاني شريت الحلم بعدك بالجهل اي فاني لا تستبدلوا باياتي ثمنا قليلا وانما يكون
الاشتراء استعارة للاستبدال لم ينضم لان الثمن لا يصلح مشترى وانما هو يشترى به في الاستبدال الحقيقي وقد علمت من
هذا ان الثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا للنبي عليه السلام فاستبدلوها
وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل
من التفريع والتحصيل ما لا يخفى وقيل كانوا ياخذون الرشى على التحريف والتسهيل فيحرفون الحق فيكتمونه وايّاي
فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الباطل كانه قيل ان كنتم تتقون شيئا فايّاي اتقون او ان
كنتم متقين شيئا فاتقون فتامل وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام لا للاختصاص لقوله فاتقوا النار التي
وقوله واتقوا يوما الاية وقيل للاختصاص كما في قوله وايّاي فارهبون اي فاخصوني بالرهبة
وبالاتقاء وقيل لما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة
التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم او المقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك
والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف
على ما قبله واللبس الخلط ويجيء بمعنى الالتباس يقال لبس الحق بالباطل من باب ضرب اي خلط ولبست عليه
عليه الامر ولبسته بالتشديد والتلبس عليه الامور وفي امره لبس ولبسة بالضم اذا لم يكن واضحا
والباء على الاول لصلة والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بينهما فانهم كانوا
يكتبون في التوراة على ما ليس منها وعلى الثاني للاستعانة كما في قولك كتبت بالقلم والمعنى لا تجعلوا
ملتبسا مشتبها غير واضح بسبب باطلكم الذي تكتبونه والاول ارجح لانه اظهر واكثر وقرأ زيد بن علي
ولا تلبسوا الحق وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او نصب باضمار ان والواو بمعنى
الجمع اي لا يجتمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن على ان المراد بلبس
الحق بالباطل كتبتهم وزيادتهم في التوراة ما ليس منها وبكتمان الحق اخفاء بعض ما فيها او نقصه ومحوه
عنها او تحريفه وتبديله الى خلاف ما هو عليه فيها واعادة صريح لفظ الحق دون ضميره ربما يشعر بذلك

وفي مصحف عبد الله ويكتمون بمعنى كاتمين فان قيل المضارع المثبت اذا وقع حالا لا يجوز معه الواو قلنا
بأول بحذف المبتدا اي وانتم تكتمون حتى تكون جملة اسمية فيصح مع الواو وانتم تعلمون في حال علمكم
انكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلوة
المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع لهم في صلوتهم فاللام في الصلوة والزكوة و
الراكعين للمعلوم العهدي ويحتمل ان يكون للجنس والدلالة على ان صلوة غير المسلمين ليست بصلوة وامرهم
بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل الركوع
الخضوع والانقياد بما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة مع المصلين لا منفردين
وتمسك القائل بوجوب الجماعة ان يتمسك بهذا الوجه والجواب انه للمنع عما كانوا عليه من عادة الانفراد فيكفي
كونها سنة مؤكدة يمنع اعتقادهم لها ولتقابلهم على الاضرار وبالجملة فصلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع
وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس ومزيد القبول اتأمرون الناس بالبر الهمزة للتقرير مع التوبيخ
والتعجب من حالهم ويشترط فيها ان يليها المقرر به سواء كان فعلا اي ما يحمل المخاطب على الاقرار به فعلا
او فاعلا او غير ذلك وتحقيق المقام ان التقرير عند علماء المعاني يقال بمعنى التحقيق والتثبيت وبمعنى
حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه والجائه اليه كقولك افعلت هذا او ضربت زيدا اذا اردت ان تحمله على
الاقرار بالفعل وكذا اانت ضربت زيدا فان تقرير الفعل يجيء في الماضي والمضارع وكقولك اانت ضربت
اذا اردت ان تقرره بانه الفاعل وذهب كثير من المحققين الى ان قوله تعالى اانت فعلت هذا بالهتنا يا
ابرهيم من هذا الضرب اي مما حمل الاقرار فيه لتقرير المخاطب بالفاعل اذ ليس مراد الكفار حمله على الاقرار بان
كسر الاصنام قد كان بل على الاقرار بانه منه كان كيف وقد اشاروا الى الفعل في قولهم اانت فعلت هذا
وقال عم بل فعله كبيرهم هذا ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت او لم افعل كذا في دلايل الاعجاز
فاعترض بانه يجوز ان يكون هذه الاستفهام على اصلها اذ ليس في السياق ما لم يدل على انهم كانوا عالمين
بان ابرهيم عم هو الذي كسر الاصنام حتى يمتنع حملها على حقيقة الاستفهام واجيب بانه يدل عليه
ما قبل الاية وهو انه عم قد حلق بقوله تالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين ثم لما راوا
كسر الاصنام قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم
فالظاهر انهم قد علموا انه لكن من حلفه ومن فعله الاصنام وذكر في قوله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين
فاقبلوا اليه يزفون ان البعض منهم قد ابصروا وشاهدوا انه يكسر الاصنام فاقبلوا اليه يسرعون ليكفوه
واما نظير التقرير بمعنى التحقيق والتثبيت فكقولك اضربت زيدا بمعنى انك ضربته البتة وكقولك اضربت
زيدا بمعنى انك تضربه البتة وكلام ما سبق قوله اتأمرون بالبر اما هذا اي التقرير للتحقيق
والتثبيت فظاهر فان الاية نزلت في احبار المدينة وهم كما قال ابن عباس كانوا يأمرون بالصدقة

بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا
من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا
كنا نأمركم بها ونخالف الى غيرها واما الثاني فظاهر ايضا فانه تعالى يقررهم بانهم فاعلون اي يحملهم على الاقرار
بما يوضحه من امرهم للناس بالبر وتركهم انفسهم عن الخير واما قوله حكاية عن عيسى اانت قلت للناس فتقرير
بالمعنى الثاني اي يقرر بانه لم يقل ذلك والبر اسم للخير ولكل فعل مرضي يفضي بصاحبه الى الجنة قال عم البر
ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما لا تسكن اليه النفس ولم يطمئن اليه القلب وفي وجه آخر
البر ما انشرح به صدرك والاثم ما حاك في نفسك وان افتاك الناس وتنسون انفسكم وتتركونها من البر
كالمنسيات وفيه ايماء الى ان تنسون استعارة تبعية مبنية على تشبيه تركهم انفسهم عن الخير وتحيرهم بالنسيان
في الغفلة والاهمال فلا يجوز ان يكون المراد بالنسيان ههنا معناه الحقيقي وهو زوال الصورة بالكلية بحيث
يحتاج الى كسب جديد لان احدا لا ينسى نفسه وهو اشد من السهو والخطاء فان قلت ما معنى الترك في الاصطلاح
قلت اختلف فيه فقيل هو عدم فعل المقدور سواء كان هناك قصد من التارك اولا وقيل ان كان قصدا
اي عدم فعل المقدور وانما سمي تركا اذا كان حاصلا بالقصد فلا يقال ترك النائم الكتابة ولذلك يتعلق
به المدح والذم والثواب والعقاب فلولا انه اعتبر فيه القصد لم يكن كذلك قطعا وقيل انه من افعال القلوب
لانه انصراف القلب عن الفعل وكف النفس عن ارتباده وقيل الترك فعل الضد لانه مقدور وعدم الفعل
مستمر من الازل فلا يصلح اثرا للقدرة الحادثة والمراد بالفعل ههنا الايقاع على ما هو المعنى المصدري
وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها نعت محمد عم او فيها الوعيد
على الخيانة وترك البر ومخالفة القول والعمل افلا تعقلون انحج فيتبعون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون
لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا العقول لان العقول
تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون فان قيل هذا القبح دليل على
ان قبح هذه الاشياء عقلي قلنا بل على انه شرعي حيث رتب التوبيخ على ما صدر عنهم بعد تلاوة الكتاب والعلم
ان العقل مأخوذ من عقال البعير فانه يذكره فلا يطيق الشروط سمي به الادراك الانساني لانه يمنع
صاحبه الوقوع في المهالك ويعقله على ما يحسن ثم يقال للقوة المتهيئة التي بها يدرك هذا الادراك وهو العلم
المستفاد بتلك القوة قيل والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه
وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها
حث الواعظ تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد
الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا واستعينوا

على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على اداء الصلوة متحملين لتكاليفها
وما يجب وتناسب فيها من اخلاص النية بالقلب والطهارة وستر العورة والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة
ومجاهدة النفس والهوى والشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن واظهار الخشوع بالجوارح الى غير ذلك حتى مسّ
الارض بالكفين فيما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر في صلوة عبد لا يباشر بكفيه الارض رواه ابن مسعود رضي
ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وقيل استعينوا بالصبر على نصرة النبي عم وقال مجاهد استعينوا
بالصوم والصلوة وسمي الصوم صبرا لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصوم وقيل استعينوا على
البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان النبي عم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة
وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم
قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وان يستعان على البلايا
بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه للبلايا والاوفق ان المخاطبين بهذا الامر بنو اسرائيل
لا المسلمون لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك النظم فانهم لما امروا بما يشق عليهم لما فيه من الكلفة وترك
الرياسة والاعراض عن المال عالج الله هذا المرض بامرهم بالصبر والصلوة وانها اي وان الاستعانة بهما
او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امرها بنو اسرائيل
ونهوا عنها من قوله واذكروا نعمتي التي الى قوله واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم
اليه وقيل استعينوا بالصبر وانه لكبيرة وبالصلوة وانها لكبيرة فحذف احدهما اختصارا الا على الخاشعين اي
المخبتين والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ومنه خضعت
بقولها اذا لينت القول قال الله تعالى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول
وقيل الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب والصحيح انه فعل السادس القلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله والرجوع اليه او يتيقنون ويعضده قراءة يعلمون وهي انما ثبتت
في مصحف عبد الله وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم انكم ملاقوا الله تعالى حفاة عراة مشاة غرلا
كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا ولا نزاع في امتناع ملاقات الله على الحقيقة لكن القائلين بجواز الرؤية جعلوها
مجازا عنها حيث قالوا ان لقاء الله لا معنى له الا الوصول الى الله ومن وصل الى الله فقد رآه لا محالة حيث
لا مانع كما في حق الكفار والمنافقين ومن لم يجوز الرؤية كالمعتزلة فسر الملاقات بما يناسب المقام كلقاء
ثواب الله خاصة او لقاء الجزاء او العلم المحقق الذي كانه المعاينة والمشاهدة فان كان الظن بمعنى التوقع والطمع
فمعنى ملاقاته لقاء الثواب ونيل ما عند الله من الكرامة لظهور ان لا قطع بذلك وان كان الظن بمعنى اليقين او كان
يعلمون مكان يظنون فمعناها لقاء الجزاء ينبغي ان يكون مقطوعا به عند المؤمن لكن التردد في يوم الجزاء كقوله

لا يصلح ان يذكر في معرض المدح كما في هذا المقام لكن عطف قوله وانهم اليه راجعون على انهم ملاقوا ربهم يوجب
تفسير الظن باليقين البتة فان الرجوع الى الله المفسر بالنشور والمصير الى الجزاء مما لا يكفي فيه الظن بل يجب
القطع اذ عدم القطع يشبه منها كفر فان قلت لم لم يقدر للمعطوف عامل اي ويعلمون انهم اليه راجعون قلت
لا امتناع في ذلك الا انه خلاف الظاهر وانما لم تثقل على الخاشعين ثقلها على غيرهم كالمنافقين والمرائين
باعمالهم لان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها لا يستحق لاجل مشاقها وتستلذ بسببه متاعبها و
من ثم قال النبي عم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول ارحنا بالصلوة يا بلال ارحنا بها اي اذن
بالصلوة نستريح باداتها من شغل القلب بغير الله وقيل كان اشتغاله بالصلوة راحة له فانه كان يعد غيرها
من الاعمال الدنيوية تعبا وكان يستريح بالصلوة لما فيها من مناجاة الله تعالى وهذا الوجه وهو من اخترته في كتابه
في راحة واستراح واماد وجئنا كما في بعض الروايات لقيناه ارحنا بالاذان والاقامة يقال روحوا اي
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرر للتاكيد وتذكر التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربط
بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني فضلتكم على العالمين اي عالمي زمانهم يريد بهم
تفضيل ابائهم ممن كان في عهد موسى عم وبعده حيث جعل منهم انبياء وملوكا وانهم ما لم يؤت احدا
من العالمين فليس المراد بالعالمين ههنا جميع ما سوى الله ليستلزم تفضيلهم على الملائكة ولا جميع الناس ليستلزم
تفضيلهم على نبينا وامته بل المراد عالمي زمانهم او الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رايت
عالما من الناس يراد الكثرة وذكرت ان العالم اسم لكل موجود سوى الله فيحمل على الموجود بالفعل فلا يتناول
من مضى او من يوجد بعدهم على انه لو سلم العموم في العالمين فلا دلالة على التفضيل من كل جهة عموما
ولا من جهة القرب والمكانة عند الله تعالى خصوصا واتقوا يوما لا تجزي يوم القيمة والتنكير للتعظيم وقد
نطق القرآن بعظمته صريحا في عدة مواضع لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها من الحقوق ومنه
الحديث ولن تجزي عن احد بعدك اي لا تؤدي عنه الواجب ولا تقضيه وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون
مصدرا اي قليلا من الجزاء كقوله ولا تظلمون شيئا وقرئ لا تجزئ من اجزا عنه اذا اغنى عنه وعلى هذا
تعين ان يكون مصدرا وذلك لان اجزا عنه بالهمزة لا يتعدى خلاف الثلاثي فانه متعدي وايراد منكرا مع
تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي وقرا ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة وهذه الجملة منصوبة
المحل صفة ليوما والعائد الى الموصوف محذوف اي لا تجزي فيه ونحوه قوله تعالى احد ان تقبل
اي ما احد بان تقبل فيه واعتبار الضمير في ان تقبل فلا بد من تقدير العائد الى الموصوف للربط المعنوي
والا فالمشكل في احدهما عائد الى موصوف المقدر وقد يتوهم لا ان لا ضمير فيه واما فاعله ان تقبل فلا بد
من تقدير العائد الى الموصوف لكن اعمال افعل في الاسم الظاهر في هذا الموضع عن القاعدة ومن لم يجوز حذف
العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او مال اصابوا

اى صابوه قال السيد السمرقندي اما لنه قد يحذف العايد المجرور مع الجار كما في هذه الاية واختلف النحاة في هذا
الحذف فقال الكسائي لا يجوز الا ان يكون قد حذف الجار اولا ثم العايد ثانيا وقال بعضهم لا يجوز الا ان يكون
المحذوف جملة الجار والمجرور معا وقال اهل الكثر العربية منهم سيبويه والاخفش يجوز الامران ولا يقبل منها
شفاعة ولا يوخذ منها عدل اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب
احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره
والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه بدلا و
الشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية لانها
تعادل المفدي ومما ورد فيه العدل قول النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب
الناس لم يقبل الله تعالى منه يوم القيمة صرفا ولا عدلا اى توبة ولا فدية وسميت التوبة صرفا لانها تصرف
من حال الذميمة الى حال الحميدة وقيل العدل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدي
وقرا قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله تعالى ونصب الشفاعة وقيل كانت
اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون فاويسوا ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله تعالى والضمير
عايد الى ما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي كما
تقول ثلثة انفس باعتبار تانيث النفس وذلك لتاول الانفس بالاشخاص والرجال والنصرة اخص من
المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد اطنب عز وعلا في قوله واتقوا يوما لا تجزي نفس الاية فاصاب
واضاف ولم يوثر الجائز وهو قوله واتقوا يوما الخلاص عن العقاب فيه لكل من طاب مذنبا اذا كان كاملا
مع الايمان تنقش صورة ذلك الوعيد في خاطرهم وفي الامة الجاهل والعالم والمخوف والجاهد والمسترشد
والمعاند والفهم والبليد فلا يخلص المطلوب من الحمية فيهم احد دون احد والا يكون بحيث يناسب
قوة سامع انه يخلص الى ضمير بعض دون بعض فان الناس مختلفون في الاستعداد والادراك
وحصول الاسباب وارتفاع الموانع فربما ينتقش صورة المطلوب في ضمير البعض ببعض دون خواصه
ومعانيه وفي ضمير البعض الاخر بخواص ومعان اخر فلا بد من الاطناب في ذلك على ان الاطناب ربما
يكون فيه ما يردع الجاحد والمعاند ويفيد بالنسبة اليهما لكونه مما لا يبقى لهما معه الى العناد والجحود
سبيل ثم المعتزلة قد استدلوا بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكباير والجواب بعد تسليم دلالتها على
العموم في الاشخاص والازمان والاحوال انه يجب تخصيصها بالكفار جمعا بين الادلة وهي الايات و
الاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت فيهم ردا لزعمهم الباطل وقوله
صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكباير من امتي وهو مشهور بل الاحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى
واذ نجيناكم من ال فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبرئيل

جبرئيل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل ال اهل بدليل اهيل فابدلت هاؤه الفا خص استعماله
في الاشراف واولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون علم لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملوك الفرس و
الروم ولفرط ظلم وليد بن المصعب من الفراعنة وتجبره اشتقوا منه تفرعن فلان بمعنى تجبر وظلم وقيل كان فرعون
موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة وقرئ
انجيناكم انجيتكم يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله من سام السلعة اذا طلبها سوء العذاب
اشده وافظعه فانه قبيح بالاضافة الى ما سواه من العذاب والسوء مصدر ساء يسوء يقال اعوذ بالله من سوء
الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في انجيناكم او من ال
فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما وقيل استيناف يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
بيان لقوله يسومونكم ولذلك لم يعطف كقوله يضاهئون قول الذين كفروا وقرئ يذبحون بالتخفيف والذبح
قطعه الثياب وقطعها وقرا عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او انذره
الكهنة بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يرد اجتهادهم في التحفظ من قدر الله شيئا وفي
ذلكم بلاء والبلاء هو الاختبار ويكون بالشر ليصبر او يكون محنة وهو اذا اشير بذلكم الى صنيع فرعون
ويكون بالخير ليشكر او ليكون نعمة اذا اشير الى الانجاء ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان
الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم منه او بهما عظيم صفة بلاء واذ فرقنا
بكم البحر فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت مسالك لكم وقرئ فرقنا بالتشديد بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين
وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط وبكم اى بسببكم او هي للاستعانة و
التشبيه بالالة فيكون استعارة تبعية في معنى باء الاستعانة وذلك انهم لما سلكوه وانفرق الماء عند
سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما توسط بينهما او ثالثها السببية النائبة منزلة اللام اى فرقنا
بسببكم وسبب انجائكم ورابعها المصاحبة فيكون الظرف مستقرا في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا اى تدوسها ونحن راكبوها روي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا
لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة
فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم فانجيناكم و
اغرقنا ال فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي
ان الحسن كان يقول اللهم صل على ال محمد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك من
غرقهم واطباق البحر عليهم وانفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة اى انتم تشاهدون ولا تشكون فيه او ينظر
بعضكم بعضا وهذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق
موسى عليه السلام قال الخليل في ذكر قصة فرعون وغيره دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاقاصيص المذكورة

في القرآن لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة لها فلم تعرف تلك الا بالوحي فلما اخبرهم بها
من غير قراءة كتاب ولا مخالطة اهله ولا تعلم منهم علم انه ليس الا بالوحي واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عاد
بنو اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وانما قال اربعين ليلة وخص الليل بالذكر مع ان الميقات ذو القعدة وعشر ذي الحجة بايامها
ولياليها لان غرر الشهور تكون بالليالي حين ترى الهلال وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا وهو من المفاعلة
التي تكون من الواحد نحو طارقت النعل وعاقبت اللص وعافاك الله فيكون القراءتان بمعنى واحد وقيل من المفاعلة التي على انه
وعد الوحي ووعده موسى المجيء للطور للميقات وقد نظر فيه لان جعل متعلق المفاعلة بالنسبة الى كل من المشاركين شيئا اخر محل بحث
وبتقدير صحته فاربعين ليلة اما مفعول فيه او مفعول به لا سبيل الى الاول لان المواعدة لم يقع فيها وانما الكلام في المناجاة
في انها كانت فيها كلها او في اولها او في العشر الاخير او بعد انقضائها على ما ذكر المفسرون في سورة الاعراف ولا الى الثاني
اما بدون تقدير مضاف فلانه لا معنى لمواعدة نفس الزمان واما مع تقدير المضاف فلانه اما ان يقدر الامران المذكوران
اي الوحي والمجيء وهو باطل لامتناع تقدير مضافين بمحذوف لشيء واحد مثل لقيت زيدا بمعنى تولده وفرسا او تقدر واحدا منهما
وليس يصح تعلق المواعدة به لان الوحي موعود من الله تعالى لا من موسى والمجيء بالعكس وانما يصح ذلك في قراءة وعدنا اي وعدنا
موسى وحي اربعين ليلة اجيب بوجهين احدهما انه على حذف مضاف يكون من الجانبين وينقسم الى الفاعل والمفعول اي واعدناه لقاء
اربعين ليلة واللقاء الموعود من الله لاجل الوحي ومن موسى لاجل الاستماع وثانيهما انه على اعتبار التفكيك في الفعل يعني
يفكك واعدنا الى فعلين يتعلق بكل منهما واحد من الامرين واعدنا الحق وحي اربعين ووعد موسى مجيء اربعين كما تقول بايع
زيد عمرا يعني باع زيد من عمرو وباع صاحبه ايضا من عمرو وان لم يكن هناك مفاعلة صدر منهما دفعة وللقوم
ههنا اعتراضات واجوبة حاصلها التطويل فالاولى ان لا نخوض فيها والتحقيق على ما قيل ان اربعين ليلة في موقع المفعول به
باعتبار ما يتعلق بها من الاحوال والافعال الصالحة لتعلق المواعدة ويكون من الطرفين وعد يتعلق به الواقع
من الله تعالى الوحي وارسال التوراة ومن موسى المجيء والاستماع والقبول وكذا الكلام في كل موضع بين اختلاف الطرفين
في باب المفاعلة واما ان يذكر المفعول الثاني مثل جاذبته الثوب ونازعته الحديث ويراد تعلق الفعل في كل من
الطرفين بشيء اخر او يطلق فاعل ويراد من طرف اصل الفعل ومن طرف مقابله فانا بوي من عهدنا ثم اتخذتم
العجل الها ومعبودا من بعده والضمير لموسى بدون تقدير مضاف او مع تقدير اي من بعد مضيه الى الطور وانتم
ظالمون باشراككم والواو حالية واعتراضية كما في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وقول امرئ القيس الا هل اتاها
والحوادث جمة وليست بعاطفة ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك من بعد
ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل وعظمه من لفظ ذلك مع قرب المشار اليه لعلكم تشكرون والمعتزلة
يستعملون لعل في معنى الارادة مجازا لان الترجي ارادة شيء منتظر وهو على علم الغيب والشهادة
محال فجعلوه مجازا عن مطلق الارادة وان جاز ان لا يشكروا لان مراد الله تعالى قد لا يقع

قد لا يقع على مذهبهم واما عندنا فلا يصح هذا لان الارادة يستلزم الوقوع ولم يقع فيحمل على كي يشكروا المغفرة
في العفو عنكم او على كونهم في صورة من يرجى منه الشكر وان لم يتعلق به الارادة واذ اتينا موسى الكتاب
والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل كقولك رايت الغيث والليث
تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا
يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرى والوجه الاخر انهما متغايران فالكتاب التوراة وفي الفرقان
وجوه فقيل اراد بالفرقان البرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من معجزاته الفارقة
بين الحق والباطل وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان
يريد يوم بدر وقيل الفرقان انفراق البحر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الايات واذ قال
موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم واصله يا قومي بحذف الياء واكتفاء بالكسر
بدلا عنها وقد كثر هذا في القرآن باتخاذكم العجل اي بعبادتكم العجل وفي الخبر ان البقر حين عبد العجل ما رفعت رؤوسها
الى السماء حياء من الله عز وجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى خالقكم الذي براكم بريا على حكمته على
الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت فاقتلوا انفسكم حمل هذا على الظاهر هو البخع وهو ان يقتل نفسه وقيل لما قال
لهم توبوا اليه قالوا كيف لنا التوبة امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة
وروي ان الرجل يرى ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة
سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم
اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون امين فقتلوهم من الغداة
الى العشي حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة
وسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة
والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم فا
فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل شهيدا و
من بقي مكفرا عنه ذنوبه وذلك قوله فتاب عليكم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا
التوبة القتل تتمة لتوبتكم ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة للحيوة الابدية و
البهجة السرمدية وانما اختص هذا الموضع ذكر البارئ لما فيه من التقريع بما صدر منهم من ترك عبادة العالم
الحكيم الذي خلقهم بريا من التفاوت ومميزا بعضها عن بعض بصور وهيئات مختلفة الى عبادة البقر التي هي مثل
في الغباوة والبلادة حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزل امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم
من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وعظموها بعبادة من لا يقدر على شيء منها و
فيه تنبيه على ان من لم يعرف نعمة حقيقة بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب فتاب عليكم
والفاء هذه يحتمل الوجهين احدهما ان يتعلق بمحذوف على انه جزاء شرط محذوف تقديره ان فعلتم ما امرتم فقد
تاب عليكم وانما ينتظم ان جعلته من كلام موسى لهم اذ لا معنى لان يقول الله لهم ان فعلتم فقد تاب

عليكم وثانيهما ان يكون عطفاً على محذوف اى ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم ويكون خطاباً منه تعالى
لهم على طريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب حيث عبر عنهم بطريق الغيبة بلفظ قوم انه هو التواب الرحيم
الرجاع على العباد بالعفو وقبول التوبة وتوفيقها الا الله وهو الذى يبالغ فى التفضل والانعام عليهم واذ
قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك ان لن نراك حتى نرى الله جهرة اى عياناً وهى مصدر من قولك جهرت بالقراءة
وبالدعاء استعيرت للمعاينة لتحقيقه الجهر فى الصوت ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية فانتصبت بفعلها
كما تنتصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال من الرائى او المرئى وقرئ جهرة بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة
او جمع اى جمع جاهر كالكتبة فيكون حالاً والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة
آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذى اعطاك التورية وكلمك او انك نبى وذلك ان الله تعالى امر موسى ان
يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلاً من قومه من خيارهم وقال
صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا فخرج بهم موسى الى طور سينا لميقات ربه فقالوا لموسى ادع لنا ربك نسمع
كلام ربنا فقال افعل فدنا موسى الى الطور فوقع عليه عمود الغمام وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا فى الغمام
ووقعوا سجداً وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد ان ينظر اليه فضرب دونه الحجاب
فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه واسمعهم الله تعالى انى انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من مصر بيد شديدة
فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ موسى انكشف الغمام فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة معاينة فاخذتهم
الصاعقة وهلكوا فجعل موسى يبكى ويقول ماذا اقول لبنى اسرائيل وقد اهلكت خيارهم ولو شئت اهلكتهم من قبل و
اياى فلم يزل يناشد الله تعالى حتى احياهم واحداً بعد واحد ماتوا يوماً وليلة ينظر بعضهم الى بعض فذلك قوله
ثم بعثناكم من بعد موتكم اى احييناكم لتستوفوا بقية آجالكم وارزاقكم والبعث اثارة الشئ عن محله من بعثت البعير
والنائم ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا الى يوم القيمة واعلم انه اجمع اهل الحق على ان رؤية الله تعالى فى الدنيا والآخرة جائزة
عقلاً واختلفوا فى جوازها سمعاً فى الدنيا فاثبته بعضهم ونفاه آخرون والمعتزلة حكموا بامتناعها وبين عقلاً
لذى الحواس واستدلوا بان الآيات الواردة فى سؤال الرؤية مقرونة بالاستعظام والاستكبار فانه تعالى لم يذكر
ما ذكر سؤال الرؤية فى موضع من كتابه الا وقد استعظمه وذلك ثلث آيات الاولى قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ولو امكنت الرؤية لما عاقبهم بسؤالها فى الحال الثانية
قوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله
جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم سمى الله ذلك السؤال ظلماً وجازيهم فى الحال باخذ الصاعقة ولو جاز كونه مرئياً لكان
سؤالهم هذا سؤال معجزة زائدة ولم يكن سبباً للعقاب الثالثة قوله عز وجل وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل
علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتوا عتواً كبيراً ولو كانت الرؤية ممكنة لما كان
طالبها عاتياً اى متجاوزاً مستكبراً فانه الحرية لا يليق بها بل كان ذلك نازلاً منزلة طلب سائر
المعجزات والجواب ان الاستعظام انما كان لطلبهم الرؤية تعنتاً وعناداً لا لامتناعها ولذلك استعظم
انزال الملائكة واستكبروا انزال الكتب مع امكانها بلا خلاف ولو كان لاجل الامتناع لمنعهم موسى

عن ذلك كما فعل حين طلبوا امراً ممتنعاً وهو ان يجعل لهم الهاً فقال بل انتم قوم تجهلون وهذا اشعار بامكان الرؤية
فى الدنيا ولهذا اختلف الصحابة رضى الله عنهم فى ان النبى عم هل رأى ربه فى ليلة المعراج والاختلاف
فى الوقوع دليل الامكان كيف وقد قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال عليه الصلوة
والسلام انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وهو مشهور رواه احد وعشرون من اكابر الصحابة
وقد اجمع الامة على وقوع الرؤية فى الآخرة قبل ما ظهرت مقالة المخالفين وشاعت شبههم وتأويلاتهم
وسيجئ لهذا زيادة تقرير فى سورة الاعراف ان شاء الله فاخذتكم الصاعقة لفرط التعنت والعناد و
طلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والاحياز
المقابلة للرائى وهو محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة ولافراد من
الانبياء وبعض الاحوال فى الدنيا والصاعقة ما صعقهم اى اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل
صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنوداً سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوماً وليلة وموسى لم
تكن صعقته موتاً ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون
وقرئ على رضى الله عنه فاخذتكم الصعقة وقال الخليل الصاعقة هى ان يغشى على الانسان من هول او فزع و
انتم تنظرون اى ينظر بعضكم الى بعض حين اخذكم الموت او تعلمون ويكون النظر بمعنى العلم وقيل تقرير الكلام
فاخذتكم الصاعقة ثم بعثناكم من بعد موتكم وانتم تنظرون لعلكم تشكرون وظاهرهم ما حل بهم لان
سؤالهم كان تكذيباً واجتراء بخلاف موسى عم كان سؤاله انقياداً واشتياقاً لعلكم تشكرون نعمة البعث
بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله تعالى لهم السحاب
يظلهم من الشمس حين كانوا فى التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن
مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى فيذبح
منها ما يكفيه وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه فكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم
على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فحذف لدلالة عليه
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتجاوزهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يريد بيت المقدس
وقيل بلقا وقال مقاتل ايليا وقال ابن كيسان الشام وقال الضحاك الرملة والاردن وفلسطين
وتدمر وقيل اريحا امروا ان يدخلوها بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغداً واسعاً ونصبه على
المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اى باب القرية وقيل هو باب القبة التى كانوا يصلون
اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حيوة موسى سجداً امروا عند الانتهاء الى الباب شكراً لله
تعالى وتواضعاً اى فاذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله تعالى وسجود الشكر عند الامامين والشافعى خلافاً
لابى حنيفة على تجديد النعم ودفع النقم لاحاديث وردت وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين
ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها فدخلوا متزحفين
على اوراكهم وقولوا حطة اى مسئلتنا حطة او امرك حطة اى ان تحط عنا ذنوبنا وهى فعلة من

الحط كالجلسة والركبة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اى قولوا هذه
الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اى ان نحط فى هذه القرية ونقيم بها واما رفعها فلافادة معنى الثبات كقوله
صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرئ يغفر لكم على
البناء للمفعول بالياء والتاء وخطايا اصله خطايى كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء همزة لوقوعها بعد
الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند
الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وقرأ الجحدري والاعمش خطاياتكم وقرأ الاعرج وقتادة
يغفر لكم خطيئاتكم وعن الحسن نغفر لكم خطيئاتكم وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب
زيادة الثواب للمحسن وهو عطف على قوله نغفر لكم ولم يجزم لوجود السابق واورده هذا الطريق ليدل على
انه يفعل ذلك البتة وعن عمرو وثاب والنخعي وسيزيد بالياء فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم
اى وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعنى الهدامروا بقول معناه التوبة والاستغفار خالفوه الى قول ليس معناه
معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وهو قولهم حنطة في شعرة على ما روى ابو هريرة في صحيح البخاري وصحيح مسلم
وهو قول النبي عم قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون
على استاههم وقالوا حبة في شعرة وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اى
حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا
على الذين ظلموا وفي وضع المظهر موضع المضمر ههنا مبالغة في تقبيح امرهم وايذان بان الانزال الرجز
عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها
وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا
من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بضم الراء والمراد به
الطاعون في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا وقرأ الاعمش وابراهيم
يفسقون بكسر السين على لغة هذيل واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فدعا الله موسى بالسقيا
فقيل حمله معه وكان له اضرب بعصاك الحجر واللام في الحجر اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم على ما روى انه كان
حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلث اعين لكل سبط
تسيل كل عين في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنى عشر ميلا وقيل
اهبط ادم من الجنة ووقع الى شعيب عم مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه لما وضعه عليه ليغتسل
وبراه الله به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله فحمله في مخلاته واما للجنس اى اضرب الشيء
الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في
القدرة وروى انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث
ما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينبجس ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه
متنا عطشا فاوحى الله تعالى لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام و

رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى و
له شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار قوله آس الجنة اى اساسها قيل هذا بعيد جدا والجواب
من آس الجنة من شجر آس الجنة وهذه صفة العصا فهما قبله القائل فالحمل على الحمار ولئن لو يحسن في العصا
ففي حجر طوله عشرة اذرع ابعد فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا الفاء متعلقة بمحذوف اى فضرب فانفجرت او
فان ضربت فقد انفجرت كما في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة
بكسر الشين وفتحها وهما لغتان قد علم كل اناس كل سبط وما ذكر من شذوذ اثبات الهاء انما هو مع اللام كالا
الاسناد اما بدونها فشائع فصيح مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق
الله يريد ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويوكل مما ينبت منه ولا تعثوا
في الارض مفسدين وقيل لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في التعدي في الفساد الا انه قد
يكون ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه
السفينة ونحوه العيث الا انه يغلب فيما يدرك حسا وقرأ الاعمش ولا تعثوا بكسر التاء على لغة تميم ولا تعثوا
بضم التاء من عثا يعثو واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى
ارادوا بالوحدة ما لا يتبدل ولا يختلف كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انها لا يتغير الوانه وكذلك
اجمعوا او كرهوا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم و
اصلهم واشتهوا ما الفوه من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك فادع لنا ربك سله بدعائك
اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب الامر وقرئ يخرج بضم الياء وكسر الراء مما تنبت الارض
ومن للتبعيض تسبب الانبات لا مكانه وهو لله تعالى حقيقة وقرأ الخليل تنبت وزيد عن علي تنبت بفتح التاء
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل
ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والطرخون وما
اشبه ذلك والفوم الحنطة ويقال للخبز وفوموا لنا اى اختبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله و
ثومها وهو للعدس والبصل اوفق اذ يجمع مع العدس في الطبخ والا كل الثوم لا الحنطة وان كانت من الحبوب
كالعدس وقرئ وقثائها بالضم وهو لغة فيه قال اى الله تعالى او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب
منزلة وادون مقدارا واخس وارذل واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد
في الرفعة والشرف فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرأ زهير الفرقبي ادنأ بالهمزة من الدناءة وهي الخسة والرذالة
اما الحنطة فلانه كثيف غليظ نفاخ وكذا العدس واما الثوم فلانه كريه الرائحة يتاذى منه كل طيب لطيف الطبع
وكذا البصل في الاكثر قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا
فان الملائكة تتاذى مما يتاذى منه بنو آدم اخرجه مسلم وقال ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اكل ثوما او بصلا فليعتزلنا او ليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته اتفق هو والبخاري عليه بالذي هو خير
يعني المن والسلوى فانه خير في اللذة والطعم والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا على ارادة

السؤال اي فدعا موسى فاستجبنا وقلنا اهبطوا مصرا اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به
وهبط منه اذا خرج وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وبلاد التيه ما بين بيت المقدس
الى قنسرين وهي اثنى عشر فرسخا في ثمانية فراسخ وقيل اراد به العلم واسماء المواضع قد يعتبر من حيث المكانية فيذكر
وقد يعتبر من حيث الارضية فيؤنث واما صرفه مع اجتماع سببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله
ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف واما باعتبار كونه بلدا فلا تانيث وان جعل اسم جنس واريد مصرا من
الامصار فلا سببية وفي مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وان جعل معرب
مصرايم فاما جاز الانصراف لعدم الاعتداد بالعجمة لوجود التعريف والتصرف او لعدم التانيث قال الجوهري
مصر هي المدينة المعروفة تذكر وتؤنث وعن ابن سراج المصر احد الامصار فان لكم ما سالتم وضربت عليهم
الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة لمن ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب من ضرب
الطين على الحائط فالذلة استعارة بالكناية حيث شبهت بالقبة او بالطين وضربت استعارة تبعية لتحقيقه
بمعنى الاحاطة والشمول لهم او بمعنى اللصوق واللزوم بهم حتى لزمتهم ولا تخييلية وعلى الوجهين فالكلام
كناية عن كونهم اذلاء متصاغرين فان اليهود في غالب الامر اهل ذلة ومسكنة ومدقعة اما على
الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف عليهم الجزية وباؤا بغضب من الله اي صاروا احقاء بغضبه
يقال باء فلان بفلان اذا صار كفؤا له وحقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى
ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب واطلاقه به بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالايات وقتلهم الانبياء فان اليهود قتلوا شعيبا وزكريا ويحيى وغيرهم
بغير الحق عندهم ايضا واللام للجنس والمعنى انه باطل محض وظلم صرف في اعتقادهم ايضا كما في الواقع ويحتمل
الجنس بعيد النوم كالنكرة في قوله بغير حق على ما في آل عمران ويحتمل اللام للعهد اشارة الى ما عندهم من
الحق الذي يتدينون ويعتقدون ولذا لم يروا منهم ما يعتقدونه جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى
وقرأ علي كرم الله وجهه ويقتلون بالتشديد ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون تكرار الاشارة قصدا الى بيان
سبب آخر وانما اعاد اسم الاشارة ولم يكتف بعطف احد السببين على الآخر لئلا يتوهم ان سبب اجتماع الامرين
بل كل منهما مستقل فالسبب الاول هو الكفر والقتل والثاني هو العصيان والاعتداء حدود الله تعالى في كل
شيء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الثاني الى الكفر والقتل والباء للسببية فيكون
بيانا لسبب السبب مبالغة في وجوب اجتناب العصيان والاعتداء فانهما يجران الى الكفر بالايات
وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يفضي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب
مفضية الى تحري كبارها او للمصاحبة وبمعنى مع اي ذلك الكفر والقتل كائن مع العصيان والاعتداء وقد
كان كاملا في السببية فكيف وقد انضم اليه ذلك ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب
وهم المنافقون وقيل بذلك ليدخلوا في عداد وينتظموا لعمهم فيصح الابدال والاخبار بان من آمن
ايمانا خالصا فله كذا والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي
والجمع هود وقيل ان اليهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب
يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران وفي الصحاح جمع نصرانة ايضا قال
شاعر نصرانة لم تحنف والياء في نصراني واحمري للمبالغة وذلك للدلالة على انه منسوب الى ذلك عريق فيه بحيث
موصوف بالجزء وقيل سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا
باسمها او من اسمها والصابئين هم قوم من النصارى وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه وقيل هم عبدة الكواكب
وهو قول الامامين قال ابو حنيفة الصابئة تحل بالنكاح وقالا لا تحل وعلى هذا الخلاف حل ذبيحتها وقال
عمر بن عباس الصابئة قوم من اهل الكتاب الا ان عمر قال ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب وقال ابن عباس لا
تحل ذبائحهم ولا مناكحهم قالوا وهذا بناء على اشتباه مذهبهم فعنده هم قوم من النصارى يعظمون الكواكب
وكانوا كعبدة الاوثان وقيل هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام
وقال قتادة هم يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون على الكعبة اخذوا من كل دين شيئا وقيل
انقرضوا فما بقي منهم احد وقيل هم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة وهو ان كان عربيا
فمن صبا اذا خرج من الدين وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من
سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا قيل من آمن منهم
الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا اصليا وقيل من كان منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ
والمعاد بمقتضى شرعه ومحل من آمن الرفع ان جعل مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعل بدلا من اسم
ان والمعطوف عليه هو بدل البعض لان من آمن حقيقة من هؤلاء الكفرة بعض منهم فان قيل كيف يكون المؤمن
الخالص بعضا من المنافقين والكافرين المجاهدين واجيب بان المراد ان هذه الذوات بعض من ذلك
ولا يلزم بعد احداث الايمان ان يصدق عليهم ذلك الوصف فلهم اجرهم عند ربهم جملة خبر ان على تقدير
الثاني وهو من آمن في محل النصب وعلى الاول الجملة كما هي وقعت خبرا والفاء لتضمن من معنى الشرط سواء
جعل بدلا ومبتدأ وذلك لان اسم ان والمعطوف عليه لا يتضمن معنى الشرط لفقد السببية للاخر فاعتبر
التضمن في البدل الذي هو المقصود ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون
على تضييع العمر وتفويت الثواب واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم
الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى لما جاءهم بالالواح ورأوا ما فيها من الآصار والتكاليف
الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور من اصله فرفعه وظلله فوقهم وقال موسى ان قبلتم
والا القي عليكم حتى قبلوا وقرأ عبيد بن عمير ورفعنا بتشديد الفاء خذوا على ارادة القول اي قلنا او قيل
خذوا ما آتيناكم من الكتاب وفي حرف ابن مسعود ما آتيتكم بقوة واذكروا ما فيه وكذلك في الاعراف
وعن النخعي واذكروا ما فيه بتشديد الذال والكاف بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه وقد فسر الذكر
باللسان والجنان والاركان والمراد به الكل ههنا بدليل قوله لعلكم تتقون اي ادرسوا ما في الكتاب واحفظوه
واعملوا ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين قال لعل اذا

فعلق بخذوا او فكروا فالترجي على حقيقته لكونه من العباد وان تعلق بالقول المحذوف كما هو رأي المعتزلة
فمجاز عن الارادة على ما تقدم اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا لاستحالة حقيقته على الله تعالى
ونجوز على هذا ان يتعلق بخذوا على ان يكون قيد الطلب لا المطلوب ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن
الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عليه افضل الصلوة والسلام
يدعوكم الى الحق ويهديكم لكنتم من الخاسرين المغبونين بالعقوبة وذهاب الدنيا والاخرة بالانهماك في المعاصي
وبالخبط والضلال في فترة من الرسل وقيل المعذبين في الحال كانه رحمهم بالامهال ولو في الاصل لامتناع الثاني
لوجود الاول نحو لولا علي لهلك عمر معناه ان وجود علي سبب لعدم هلاك عمر لا ان وجوده دليل على ان عمر
لم يهلك وفي خذوا ما اتيناكم وتذكروا واذكروا ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت واللام توطئة
القسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم
في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق
حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت كما قال الله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا و
يوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم
السبت فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم اي تجاوزه ما حد لهم من التجرد للعبادة
وتعظيم السبت وفي مصحف ابن مسعود عدوا منكم يقال عدوت اذا جاوزت الحق وكذلك اعتديت وقوله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
الله عدوا معناه اعتداء فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار
والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يهلك قوما او لم يمسخ قوما فيجعل لهم نسلا ولا عاقبة وان القردة والخنازير
كانت قبل ذلك وصيغة الامر هنا للتسخير لا لطلب الفعل اذ ليس الغرض ان يطلب منهم كونهم قردة لعدم قدرتهم على
ذلك وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اي المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل من اعتبر
بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها من الامم وهما مستعاران للزمان واقع ما موقع من تحقيرا
لشأنهم في مقام العظمة والكبرياء والمعنى لمن قبلها من السابقين الذين مضوا وكان في كتبهم انه يكون تلك المسخة
فاعتبروا بها واعتبروا بها من يلحقهم من الحاضرين وارباب بما اعتبر بهم من بعدهم او ما يحضرها من القرى و
ما يتباعد عنها وقيل نكالا وعقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من الذنوب وما تأخر منها اي جعلها
المسخة عقوبة لاجل ذنوبهم المتقدمة على المسخ والمتأخرة عنها يعني السيئات الباقية اثارها والا فلا
ذنب منهم بعد المسخ والحاصل ان المراد بما يكون بعد المسخ بحسب الثبات والبقاء لا الصدور والحدوث
ولا يخفى ان قوله وموعظة للمتقين لا يلائم هذا المعنى فالاولى على هذا الوجه التعليل وما على اصلها و
النكال بمعنى العقوبة لا العبرة وعلى الوجهين السابقين للصلة وما بمعنى من والنكال بمعنى العبرة لا غير وهو
موعظة للمتقين من قومهم وهم الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحيهم او لكل متق سمعها وخص المتقين
بالموعظة وان كانت العظة للكل لانهم هم المنتفعون بها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة

بقرة قالوا اتتخذنا هزوا ان هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلالها
بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال و
قصته انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو عمه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا
يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا مكان
هزؤ او اهله او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرئ هزؤا بضمتين
وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بسكون الزاي نحو كفؤا وكفؤا وحفص عن عاصم هزوا بضمتين والواو وكذلك
بمعنى عن نفسه وقرأ علي وابن مسعود رحمهما الله هزا بغير همزة ولا واو وقال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لان الهزء في مثل ذلك اي مقام التبليغ والارشاد والجواب جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على سبيل البرهان
واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له والعياذ واللياذ مرادف واحد قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي سؤال عن حالها وصفتها لان ما للسؤال عن مدلول الاسم او حقيقة المسمى او صفته والاولان
معلومان فتعين الثالث وذلك انهم سمعوا البقرة صفة ليست من شأن جنس البقرة وهي ان يحيى الميت بضرب
بعضها فتعجبوا منها وسألوا عن حالها وصفتها اما انها عن بقرة معينة فظاهر لانه استفاد وبيان للمجمل واما
انها عن بقرة من جنس البقرة فلمكان التعجب وتوهم ان مثل هذه البقرة لا تكون الا معينة ومثل ما ههنا في
مقام كيف او اي فان السؤال عن الصفة انما يكون بأحدهما قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اي
لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها اي قطعتها و
بلغت آخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال تواعم بين ابكار وعوان
وقد عونت اي صارت عوانا بين ذلك اي ما ذكر من الفارض والبكر ولذا اضيف اليه بين فانه لا يضاف
الا الى المتعدد ونشار باسم الاشارة الى اشياء متعددة متكثرة على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في
الكلام كما ينوب فعل عن افعال متعددة سابقة كقولك للرجل نعم ما فعلت بعد ما ذكرت افعالا كثيرة
وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد يقع مثله في الضمير لا انه في اسم الاشارة اكثر واشهر قال
ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل
كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك وتلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة
تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ومن ثمة جاء الذي بمعنى الجمع فافعلوا ما
تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قولك امرتك الخير فافعل ما امرت به واما جعل ما مصدرية
والمصدر بمعنى المفعول اي المأمور بمعنى المأمور به فقليل جدا وانما كثر في صفة الصلة قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه
ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وكذا كل ما وقع في موقع التأكيد معناه المبالغة
في ذلك اللون نحو ابيض يقق ولهق واحمر قاني وذريحي واخضر ناضر ومدهام ولو دق حطبا نيه
ونارمك رواني وفاقع صفة سببية ولونها فاعل لا مبتدأ مقدم خبره لما فيه من مخالفة الاصل بلا

بلا داع فيكون صفرا فاقعة وصفرا فاقع لونها سواء في كونهما من باب الوصف للتاكيد وان كان الثانية
اوكد كانه قيل شديد الصفرة صفرتها كما في قيل جدّ جدّه وجن جنونه وتوضيح ذلك ان في صفراء
فاقع تاكيدا ولونها تاكيد ثاني فان لونها هي صفرتها يعني ان شدة صفرتها ازدادت بحيث شملت ساير صفاتها
كما في قول الشاعر جنونك مجنون ولست بواجد يعني ازداد جنونك وصار من الكمال بحيث سرى الى ساير صفاتك
حتى الجنون وتحقيقه ما ذكره المرزوقي وهو ان من شان العرب ان يشتقوا من لفظ الشي الذي يريدون المبالغة
في وصفه ما يتبعونه به تاكيدا وتنبيها على تناهيه من ذلك قولهم ظل ظليل وداهية دهياء وليل لايل وشعر
شاعر وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر
اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته اولان سواد الابل تعلوه صفرة قيل وفيه نظر
لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع وقرا الضحاك ما لونها بالنصب على ان ما صلة ولونها مفعول يبين وقرار الجليل
فاقع لونها بالاضافة وتسر الناظرين بالياء تسر الناظرين اي تعجبهم في السرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه
وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين والسواد لا يسر على ما روي ايا كم وهذه السود
فانه تورث الهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول وهو السؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زايد
ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي عم لو اعترضوا في بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء
شوم وفي تجدد ولالة على منع السؤال عما ليس محلا للسؤال وان سؤالهم كان كذلك فان المامور به اولا ذبح بقرة
مطلقة وانما نسخ الى ذبح المعينة بشوم سؤالهم ومن شوم السؤال ما كان من امر الخوارج حين اعترضوا على علي
كرم الله وجهه في امر الحكمين فلم ينقادوا للامر مع طواعيتهم له وكونه معهم ومعرفتهم بانه على الحق وانه المطاع
فيهم ولو لا ذلك لما قاتلوا مع خالفه ولا اتبعوه عن ليوه فلما امرهم بالحكمين ولم يدركوا ما فيه اعترضوا عليه
بارائهم فاقضيهم شوم الاعتراض الى ان خرجوا عليه وشهدوا على انفسهم بالكفر حيث كفروا خليفة الحق
والصحابة وقتلوا اخيار الناس وفارقوا المسلمين ومرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وصاروا كلاب
النار وشر قتلي تحت اديم السماء قال ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن شوم السؤال والاعتراض
كان ابليس من الكافرين فانه لما امر الله تعالى بالسجود لادم عم اعترض على الله تعالى تابيا ونظر الى نفسه
تحكما فقال اسجد لمن خلقت طينا وقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال الله تعالى واستكبر و
كان من الكافرين وهذا ابتليت الملائكة حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الاية وقيل لما قالوا هذا ارسل
الله على طائفة منهم نارا فاحرقتهم وفي قصة هاروت وماروت وما اصابهما باعتراضهما في شان بني ادم بيان
جلي على شوم الاعتراض وناهيك قوله صلى الله عليه وسلم لعكاشة لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ثم تركتموها
لضللتم اسكتوا عني ما سكت عنكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيائهم فانزل
الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم الاية وقوله ان البقر تشابه
علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقراء محمد
ذو الشامة يعني ان البقر تشابه بالياء لتشابه في العلوم اي تتجاوز وتوسعه ان الباقر تشابه بالياء والتشديد

التشديد وفي مصحف ابيّ ان الباقر تشابهت بالتخفيف وقرا يشبه على تتشابه بالتاءين وقرى تشابه بمعنى
تتشابه بطرح التاء او ادغامها في الشين وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه و
متشابهة ومتشبه ومتشبهة وقرا يحيى بن يعمر تشابه بالياء والرفع وابي عتبة وانا ان شاء الله لمهتدون الى
البقرة المراد ذبحها او الى القاتل وفي الخبر لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله
واستدل به على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى
واحتجت به المعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق واعلم ان ارادة الله
تعالى ومشيته عندنا عبارة عن شيء واحد وما يجري من الخير والشر كله بارادة الله تعالى ومشيته وحكمه
وقضائه وتقديره لان الكل بخلق الله تعالى وانكرت المعتزلة ارادة الله تعالى للشر والقبائح حتى انه اراد من
الفاسق والكافر طاعته وايمانه لا فسقه وكفره زعما منهم ان ارادة القبيح قبيحة كخلقه وايجاده ونحن نقول
لا قبح بالنسبة الى خلقه وايجاده والصدور عنه وانما القبح في قيامه بالعبد وكسبه ومن قدرته و
ارادته فالقبح كسب القبيح والاتصاف به فعندهم يكون اكثر ما يقع من افعال العباد على خلاف ارادة الله
تعالى وهذا بعيد سخيف شنيع جدا حكي ان القاضي عبد الجبار الهمداني دخل على الصاحب وعنده الاستاذ
فلما راه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ على الفور سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء و
والمعتزلة اعتقدوا ان الامر يستلزم الارادة والنهي عدم الارادة فجعلوا ايمان الكافر مرادا وكفره غير
مراد ونحن نقول انه تعالى مريد لجميع الكائنات غير مريد لما لا يكون فكل كاين مراد له وما ليس بكاين ليس
مرادا له هذا مذهب اهل الحق فانهم اتفقوا على ان جميع الكائنات مراد الله تعالى حيث جوزوا اسناد الكل اليه
جملة اما الاول وهو انه مريد للكائنات كلها فلانه خالق الاشياء باسرها وخالق الشيء بلا اكراه مريد له با
بالضرورة واما الثاني اعني انه غير مريد لما لا يكون فلانه تعالى علم ان الكافر مثلا انه لا يؤمن فكان الايمان
منه محالا لامتناع ان ينقلب العلم جهلا والله عالم باستحالته والعالم باستحالة الشيء لا يريده بالضرورة و
يؤيد هذا اجماع السلف والخلف في جميع الاعصار والامصار على اطلاق قولهم ما شاء الله كان وما لم
يشأ لم يكن والاول اي ما شاء الله كان دليل المطلب الثاني وهو انه تعالى مريد لما لا يكون لانعكاسه بعكس
النقيض والثاني دليل مريد الاول كذلك وهو انه مريد الكائنات قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض
ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا لسقي الحرث ولا ذلول صفة البقرة بمعنى لا غير ذلول
ولا بمعنى غير كما في لا فارض وكانها اسم كما ذهب اليه بعضهم لكن كونها في صورة الحرف ظهر اعرابها فيما بعدها وجوزه
يكون حرفا كما يحمل الا بمعنى غير في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا قيل بامتناعها ولا الثانية مزيدة
لتاكيد النفي والتاكيد لا ينافي الزيادة على انه يفيد التصريح بعموم النفي اوبد فيها دفعا لحمل اللفظ على نفي الاجتماع
ولانه ايضا المؤكد المنفي والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية فان تثير منفي لكونه صفة
للمنفي فيصح في العطف عليه لا المزيدة لتاكيد النفي وفيه دفع لما قال صاحب الكشاف من ان تثير نصب على الحال وقرا
عبد الرحمن السلمي وهو من صحب عليا رضي الله عنه وسمع عنه لا ذلول بفتح اللام على ان لا لنفي الجنس في الخبر محذوف بمعنى لا ذلول

هناك اي حيث هي بقرة والجملة صفة ذلول كناية عن نفي الذل عنه كما قال الذليل حيث هو كناية عن اثارة الذل ونحو
قولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وقرئ ايضا بشير الياء نظرا الى لفظ ذلول اي السلم وقرئ بفتح التاء تسقي
مسلمة سلمها الله من العيوب واهلها من العمل كقوله اومعبر الظهر ينبئ عن وليته ماحج ربه في الدنيا ولا اعتمروا
اخلص من سلم له كذا اذا اخلص له لم يشب صفرتها شئ من الالوان لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها فهي
صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشى
القوائم قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحقيقتها لنا وما بقي اشكال في امرها وقرئ الآن بالمد على الاستفهام
والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه ايجاز فان الفاء الفصيحة عاطفة على محذوف
والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم
المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل
وما كادوا يذبحونها لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقيل لغلاء ثمنها اذ روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال
اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها
ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة وكاد لمقاربة الامر على سبيل الوجود والحصول
فاذا دخل عليه النفي نفى مقاربة الفعل ومن ثم نقول قوله عز من قائل اذا اخرج يده لم يكد يراها على نفي مقاربة الرؤية ولا ينافي قوله
وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم ففعلوا
كالمضطر الملجأ الى الفعل وقرأ ابن ابي سحق وما كادوا بالامالة واختلف في التخصيص بالكلام المستقل فعند الشافعي يصح متراخيا
وعندنا لا يكون المتراخي تخصيصا بل يكون نسخا لقصة البقرة فان قوله تعالى ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة يعم الصفراء وغيرها
ثم خص متراخيا وعلم ان المراد بقرة مخصوصة فلنا في قصة البقرة نسخ المطلق او ان في الاول يجوز ذبح اي بقرة شاؤا ثم نسخ
هنا كذا في التوضيح واذ قتلتم نفسا وطلب الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها مجاز عن الاختلاف والاختصام اي اختلفتم
وخصمتم في شأنها او المتخاصمان يدارأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او كانوا نوعا لان معناه الحقيقي وهو التدارؤ اي التدافع
من روادف الاختصام ولوازمه او هو في معناه الحقيقي اي فتدافعتم بمعنى طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه فكل من الفريقين طارح
ومطروح وكل منهما مطروح عليه يدفع الآخر من حيث انه طارح او كل منهما يدفع الآخر عن البراءة الى التهمة فكل منهما دافع ومدفوع
فهو معنى التدافع وقيل هنا وجه آخر وهو ان طرح القتل في نفسه دفع له فكل من المتطارحين دافع فقط وحصل التدافع من
غير احتياج الى ان يعتبر بعد التطارح دفع المطروح عليه الطارح ورد بان هذا لا يكون تدافعا لان معناه دفع كل منهما
الآخر لا دفع كل منهما القتل مثلا وانما يصح مثل هذا في التفاعل مثل تطارحا الكلام وتطارحاه وادارأتم فادغمت في الدال
واجتلبت همزة الوصل لئلا يبتدأ بالساكن وبالاصل قرأ ابن مسعود وابو صالح وانس وفي حرف ابي فتدارأتم
والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة بدلالة العدول الى الجملة الاسمية واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه
لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم والجملة الواقعة بينهما اعتراض والضمير في اضربوه للنفس
والتذكير على تأويل الشخص والانسان او للقتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلف
فيه فقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بعجبها وهو اصل الذنب

وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن والغضروف [illegible] من العظم وقيل البضعة بين الكتفين
وهي قطعة لحم والمعنى فضربوه فحيي وهذا المجموع اي فضربوه المعطوف على فقلنا والفاء الفصيحة مع المعطوف
كذلك قوله كذلك يحيي الله الموتى مع الاشارة الى ان صورة القتيل كانت بمحض قدرة الله وخلقه غير تأثير للضرب
بالبعض روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط
ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى وهذا اما خطاب مع الذين حضروا حياة
القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة وضميركم ولعلكم راجع اليهم لا حرف الخطاب في كذلك
واما خطاب لمن يبلغ الكلام اياه الى ان الاحياء امر عظيم يجب ان يخاطب به كل من يتأتى له الخطاب
لمنكر البعث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم
وتعلمون ان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث
على قضيته وهذا بناء على ان كونهم يعقلون محقق لا في صورة المرجو فان القوم كانوا عقلاء فاذا لم يستقم ان يقال
اريكم آياتي لكي تصيروا عاقلين ولو قيل لعلكم تعقلون الآيات بتقدير المفعول ولم ينزل منزلة اللازم لم يحتج الى
هذا التأويل ولعله سبحانه انما لم يحييه ابتداء وشرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها لما في ذلك من الحكم والفوائد
العملية والعلمية من التقرب الى الله بذبحها واداء الواجب ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة
التوكل والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه من كلام الحكماء والتنبيه على ان من حق الطالب
ان يقدم قربة والمتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به ويتحرى الاحسن وان يغالي بثمنه كما روي
عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار فان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات
لا اثر لها فان المعنيين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد حيوة من مس احدهما بالآخر وضربه ثم قست قلوبكم
والقساوة عبارة عن الغلظ وثم لاستبعاد القسوة بعد ذكر اسباب اللين والرقة والخشية والخشوع في الدين
كفروا بربهم يعدلون فان معناه استبعد ان يعدلوا بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم به تمترون
استبعاد لان يمتروا فيه بعدما ثبت انه تعالى محييهم ومميتهم وباعثهم بمعنى ان الامتراء ينبغي ان لا يقع لثبوت
وقوع الضد وكذلك القساوة والعدل ولفظ قست استعارة تبعية تمثيلية تشبيها لحال القلوب في نبوها
عن الاعتبار وعدم اتعاظها بالقسوة ولذا احسن التفريع بقوله فهي كالحجارة اي ثم صارت قلوبكم غليظة يابسة
تنبو عن قبول الحق ولا تعيه ولا تنتفع عنها الآيات والنذر والمواعظ والزواجر او ردية مغشوشة
بالباطل والغي والجهل لا تعمل بالحق ولا تلين به ومنه درهم قسي وهو الردئ من الدراهم مشتق من القسوة
لان في الخالص لينا وفي المغشوش يبسا وصلابة وخشونة وقسي وقست من واد واحد وقيل لو قلنا
في قلوبكم استعارة بالكناية والقسوة قرينتها كان انسب بقوله فهي كالحجارة ورد بانه لا يحسن ان يقال
في قوله ينقضون عهد الله فهو كالحبل او اوثق وذلك لان استعارة الحبل اصل والنقض تبع على ما هو الواجب
في الاستعارة بالكناية وفيما نحن فيه الامر بالعكس كما في تقريب الرياح الرياض من بعد ذلك اشارة الى
احياء القتيل او الى جميع ما ذكر من الآيات المعدودة نحو مسخ القردة ورفع الجبل وتفجر الانهار وغير ذلك فانها

فهي كالحجارة

مما يوجب لين القلب ويورث الرقة والخشية وقيل معنى قوله قست قلوبكم الى يبست ويبس القلبان
يبس ما فيه من خشية الله والشفقة على خلقه وكل قلب خال عنهما فهو كالحجارة في قسوتها مثل الحجارة
او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او ازيد عليها او انها مثلها او اشد منها قسوة كالحديد فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويؤيده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة قال ابن الفضل كان في مصحف
ابن مسعود فكانت كالحجارة او اشد قسوة وقرا ابو حيوة قساوة وزيد بن علي وابن عمر ثم قسا قلوبكم ولبس الكلام
ان او هنا للشك بل للتخيير يعني ان شئتم شبهتم قسوتها بالحجارة او بما هو اشد قسوة فانتم مصيبون كقوله
او كصيب من السماء وانما لم يقل اقسى مع انه احصر لكونه اشد قسوة ابين وادل على شدة القسوة لدلالته عليها
بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للشدة فيها ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف
القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة والوجه السابق لكونه انسب الفعل
بقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ولكونه مثل اشد وابلغ اكثر استعمالا في التوصل وقرا قساوة وترك ضمير
عليه لعدم الالتباس كقولك زيد فاضل وعمرو افضل وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان للتفضيل وتقرير لقوله
او اشد قسوة بحسب المعنى واما بحسب اللفظ فعطف على جملة هي كالحجارة او اشد وقرى ان بالتخفيف على انها المخففة من المثقلة
التي تلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ومنها قوله وان كل لما جميع لدينا والتفجر التفتح بسعة وكثرة وقراءة
مالك بن دينار ينفجر وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء اى يتشقق وبه قراءة الاعمش وفي حرف ابي لما ينفجر منها فجرى
منها الماء على ان الضمير للحجارة وهذا من باب الميل الى المعنى كما لا يخفى وان منها لما يهبط من خشية الله والمعنى ان من
الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا فينبع من الماء وتنفجر منه الانهار ومنها
ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لارادة الله تعالى وقلوب هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن ارادته تعالى وقرى يهبط بضم
الباء وقيل قلوبهم انما يمتنع عن الانقياد لامر التكليف بطريق القصد والاختيار ولا يمتنع عما يراد بها على طريق التسخير
والالجاء كما في الحجارة وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرا ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالتاء ضما
اليها بعده والباقون بالياء **افتطمعون** الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم
وتابعين مستجيبين لكم كقوله فامن له لوط فاللام للتعليل والاعتبار معنى الاستجابة وانما لم يحملوها على الصلوة كما في
يؤمنون بالله اى يصدق لان ذلك لا يوجب في الفعل وحملوا من قوله فامن له لوط على معنى احدث الايمان لاجل دعوة ابراهيم والتجانة له
والضمير في يؤمنوا لليهود وقيل لجنس اليهود فيصح جعل السالفين فريقا منهم وان كان اهل الايمان لم يصونوا عن المعاصرين
وقد كان فريق منهم طائفة من سلفهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية واطلاق الكلام على الجملة
والمركب التام ايضا في الملوق اهل الميزان وبعضهم يفرق بين الكلم والجملة بان الكلم قد يطلق على الكثير
والجملة لا تطلق الا على واحدة وبانه يقال كلم الله ولا يقال جمل الله وبان الجملة اذا عرض لها ما يسلم السكوت عنها
كالجملة التي وقعت شرطا او صلة يقال لها جملة ولا يقال لها كلم وقرا الضحاك بن مزاحم كلم الله ثم يحرفونه كما حرفوا نعت محمد واية الرجم
او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين يسمعون كلام الله حين كلم موسى بالطور
وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم لا تفعلوا

تفعلوا فلا باس فعلى الاول سماع كلام الله ممن يتلوه كما يسمع كل احد منا القران وعلى الثاني اسمعه تعالى بلا واسطة احد من
موسى عم والتحريف على الاول التغيير وعلى الثاني الزيادة فيه افتراء وقال بعض المحققين لا يخفى ان فيما افتروا نظرا ما
حيث علقوا الامر بالاستطاعة والنهي بالمشية مع الاتيان به فكانهم ارادوا بالامر غير الوجوب على معنى افعلوا ان
شئتم فلا تفعلوا ثم قال ولقائل ان يقول على الوجه الاول المختار لا حاجة الى جعل ضمير يؤمنوا المطلق اليهود وجعل
السامعين المحرفين السالفين وقرى كلم الله من بعد ما عقلوه اى فهموه بعقولهم ولم يبق شبهة في صحته وهم يعلمون
انهم كاذبون مفترون ومعنى الاية ان اخبار هؤلاء ورؤسائهم كانوا على هذه الحالة فكيف يطمع بل الطمع فيهم
وسفلتهم الايمان وتركه التحريف فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين امنوا قيل ضمير لقوا الجنس اليهود كما في ان يؤمنوا
وقيل منافقيهم قالوا امنا بانكم على الحق ورسولكم المبشر به في التورية وضمير قالوا للذين لم ينافقوا او لهذا كان جمع
بعض هو فاعل خلا على غير المنافقين احسن فيها وفق لمراعاة النظر حيث الحذف فاعل فعلي الشرط والجزاء واذا خلا بعضهم
الى بعض قالوا اى الذين لم ينافقوا عاتبين لمن نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم
او قال المنافقون لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية نفاقا مع اليهود ايضا فانهم نافقوا اليهود فالاستفهام
في الحد توهم على الاول للعتاب والانكار على ما كان يصدر عن المنافقين من التحديث بمعنى ما كان ينبغي ان يقع منكم
ذلك وعلى الثاني للانكار ان يصدر عن الاعقاب تحديث فيما يستقبل من الزمان بمعنى لا ينبغي ان يقع منكم ليحاجوكم به
عند ربكم ليحتجوا بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا ترى قولنا
هو في كتاب الله كذا او عند الله كذا واحد معناه في حكم الله تعالى وقيل عند ذكر ربكم او عند ربكم او بما عند ربكم
او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعه افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين
وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون
حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم وقرا محمد بن عبد الله بن محيصن افلا يعقلون بالياء اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين
او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اى جميع ما يسرون وما يعلنون من جملة
ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم
اميون لا يعلمون الكتاب عطف على جملة الحالية وهي قوله وقد كان فريق منهم يعني ان بعضهم عالمون معاندون ومنهم
بعضهم جاهلون لا يعرفون الكتاب فيطالعون التورية ويحققوا فيها الامي منسوب الى امة العرب الذين لا يكتبون
ولا يقرؤون او الى الام بمعنى انه كما ولدته امه فمعناه انه لا يقرأ من الكتاب ولا يعلم الخط واما على الاخير فالمعنى
وكثيرا ما يقرؤون من غير علم بالمعاني ولا تصور للحروف وقيل الامي من لا يحسن الفاتحة حرفا معنى الاساءة في حروفها قبل
من لا يحسن الكتبة والقراءة وهذا لا ينافي ان يكتب ويقرأ في الجملة الا اماني استثناء منقطع لان ما هم عليه من الاباطيل
قليلا او سمعوه من الاكاذيب ليس من الكتاب وكذا ما يقرؤون تلقفا من علمائهم لما فيه من التحريف والافتراء والا
ليس من جنس المعلوم والمعنى لكنهم يعلمون ذلك ويعتقدونه جهلا او يظنونه تقليدا وهي جمع امنية والا
منية في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ومن ثم يقال على الكذب وعلى ما يتمنى قال اعرابي لابن دأب في شيء حدث به
اهذا شيء رويته ام شيء تمنيته اى خلقته وعلى ما يقرأ او الا اما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله

تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل اي على تؤدة وهنا يذكر قصة عثمان رضي الله عنه وهذا لا يناسب
وصفهم بانهم اميون وقرئ اماني بالتخفيف وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون ولا علم لهم ذكر سبحانه وتعالى
علمائهم الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء حيث
بين ان العلماء يعلمون ويقولون على خلاف ما يعلمونه والعوام لا يتحققون وهذا انباء على انه قد يطلق الظن
بازاء العلم على كل راي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل كلمة
دعاء بالهلاك والعذاب وهي في الاصل مصدر ولم يستعمل له فعل وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء ومن قال انه واد
او جبل فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيها من جعل له الويل وسماه بذلك مجازا للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله
اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كقولك كتبته بيميني وهذا لمن ينكر من
ما كتبه وقرا عبد الله بايمانهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه
وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العذاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون [illegible]
اي فويل لهم مما اسلفت ايديهم من كتبة ما لم يكن يحل لهم وويل لهم مما يكسبون بذلك بعد من اخذ الرشى وفي
قوله مما اسلفت بيان ان كتبة للزمان السالف اي الماضي وفي قوله بعد ان يكسبون لزمان الحال نحو قوله بعد اي بعد ما مضى
فيكون للحال ولا فعل بعد اي بعد ما نحن فيه فيكون للاستقبال وفي قوله من كتبة ما لم يكن يحل وقوله من اخذ الرشى اشعار
بان ما في مما كتبت ومما يكسبون موصولة بينة مما يحل لهم وباخذ الرشى بناء على ان مكسوب العبد يكون افعاله من افعال التي
ربما يكون خيرا وعبادة فيثاب عليه او شرا او معصية فيعاقب عليه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وكذا افعال العبد
يتناول افعال الحسنة والسيئة والكل مخلوقة لله تعالى بدليل قوله والله خلقكم وما تعملون سواء كانت ما مصدرية
او موصولة وقيل ما فيها مصدرية وهو ارجح لفظا ومعنى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث
تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ومن ثم يقال المس فلا اجده الا اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل
وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما وفي حرف ابن مسعود
معدودات قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وفي الجزء اذا امسكت عليهم في النار تلك المدة قال
لهم الخزنة يا اعداء الله ذهب الاجل وبقي الابد فايقنوا بالخلود وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه
فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان كنتم اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده او ليس المعنى على الاستقبال فانه قيل فلو صح جعل
فلن يخلف الله جزاء لامتناع السببية والترتيب لكونه محض الاستقبال واجيب بان ذلك ليس بلازم في الفاء الفصيحة فقد جئنا خراسانا
وكونه تعدد رتب على اتخاذ العهد الحكم بانه لا يخلف العهد فيما يستقبل من الزمان قطعا كما في قوله وبالكرم من نحو ... ام تقولون
على الله ما لا تعلمون ام اما معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير اي الحمل على الاقرار لانتفاء حقيقة الاستفهام وذلك
لان علم المتكلم وهو الله تعالى حاصل بان المتحقق احد الامرين على التعيين وهو قولهم على الله اي افتراؤهم عليه او منقطعة وعلى هذا
فالاستفهام في اتخذتم للانكار اي لا يكون في كل منكم وفي ام تقولون للتقرير بمعنى التحقيق والتثبيت اي انكم تقولون على الله
وتفترون عليه ما لا تعلمونه او بمعنى الحمل على الاقرار بلى اثبات لما نفوه من مس النار زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه
اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد يقال

فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطاء والكسب يستعمل بالنفع وتعليقه بالسيئة على نحو قوله فبشرهم
بعذاب اليم واحاطت به خطيئته والمعتزلة قد فسروا السيئة بالكبيرة لان احاطة الصغيرة لا يوجب الخلود في النار وفسروا
الاحاطة بعدم التفصي والخروج من الكبيرة بالتوبة لان ذلك كاف عندهم في الخلود وعندنا المراد بالاحاطة جميع جوانب القلب
واللسان والجوارح وهو بمعنى الكفر ولذلك ولو فسرها السلف به وقرا نافع خطيئاته وقرئ خطياته وخطيته على القلب والادغام
فيهما وقيل احاطة الخطيئة عبارة عن عدم التوبة وقيل من غلبته على الطاعة وفسر الحسن بكونها كبيرة لان الكبيرة
هي التي اوعد الله بالنار عليها وذلك انه سال رجل عنها فقال يا سبحان الله الا اراكم ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر
انظر في المصحف فكل اية نهى فيها الله عنها واخبركم انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة والاحاطة حقيقة في احاطة
جسم بجسم آخر كاحاطة السور البلد فاولئك اصحاب النار ملازموها في الاخرة كما انهم يلازمون اسبابها في الدنيا هم فيها
خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا فالاية لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذلك التي قبلها فلا بد للتابيد من
الدليل والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون من عادته عز وجل في كتابه الكريم وفرقانه
العظيم ان يشفع الوعد بالوعيد ويذكر الترهيب والترغيب لترجى رحمته ويخشى عذابه وفي عطف العمل على الايمان دلالة
ظاهرة على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي اي لا تعبدوا به قرا عبد الله
وابي ونحو قولك تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كان سورع الى الامتثال
والانتهاء فهو يخبر عنه ولا بد من ارادة القول قبل ليرتبط بما قبله ويستقيم المعنى تقديره واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل قلنا
لا تعبدون الا تعبد ما الا الله ويدل على ذلك اي على انه بمعنى الانشاء عطف وقولوا عليه لا تعبدوا حسن انحل فيهما لفظا
وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت
مخلدي ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان يكون ان مفسرة لما في اخذنا ميثاق بني اسرائيل من معنى القول
وان يكون ان مع الفعل بدلا من الميثاق او معمولا بحرف الجار اي اخذنا ميثاقهم بان لا تعبدوا وعلى ان لا تعبدوا
وبهذا يعلم ان لا تعبدون في قراءة العامة ان كان في معنى ان لا تعبدوا كان بدلا من الميثاق او معمولا على حذف حرف الجر
وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرا ابو عمرو وعاصم ونافع وابن عامر ويعقوب بالتاء
خطابا والباقون بالياء لانهم غيب قال صاحب الغرايب القراءات ذكر عن ورش عن نافع اسرايل مثل اسراعيل وابو
وعن الحسن والاعمش وعيسى اسرايل بغير همزة وبالوالدين احسانا لا بد له من فعل فاما ان يقدر خبرا في معنى الطلب اي وتحسنون
بالوالدين بمعنى احسنوا فيكون الجملتان خبرا لفظا وانشاء معنى والواو عاطفة تقدير الخبر في جمله بمعنى الانشاء
انا لفظا والملايمة مع قوله لا تعبدون وانا معنى فالمبالغة باعتبار ان المخاطب كانه سارع الى الامتثال وهو يخبر عنه
او تقدير من اول الامر صريح الطلب على ما هو الظاهر اي واحسنوا احسانا فيكونان انشائين معنى مع لفظ الاولى
اخبار ولفظ الثانية انشاء وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه
فانفرد عنه واليتم الانفراد وذكروا في جمع اليتيم على يتامى وجهين احدهما انه جمع على يتيم كاسرى لان اليتم من وادي
الافات والاوجاع ثم جمع فعلى على فعالى كاسارى والثاني انه جمع على فعايل لجري اليتيم مجرى الاسماء كصفايح ثم
فيقال يتايم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغير والكبير لبقاء معنى الانفراد عن الاب لكن غلب

به قبل البلوغ مبلغ الرجل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا قولا حسنا
فيه لا فراط حسنه وقرئ حَسَنا بفتحتين وحُسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى وزعيا
الزجاج حيث منع هذه القراءة مع ما مر ان حسنى تانيث الاحسن فلا يستعمل بدون اللام واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
وذكر في الاصول ان الواو قد يدخل بين الجمل نظرا يوجب المشاركة في قوله هذه طالق وطالق الثانية واحدة وانما
يجب المشاركة اذا افتقر الاخر الى الاول فيشارك الاول فيما تم به الاول بعينه لا بتقدير مثله ان لم يستقيم تكرار
الاول متحد في المعطوف عليه نحو ان دخلت الدار فانت طالق وطالق ليس كتكرار قوله ان دخلت
الدار فانت طالق فلا يقع الثلث عند ابي حنيفة رضي الله عنه هنا بخلاف في التكرار او بتقدير مثله ان استقام الاتحاد
زيد وعمرو لابد ان يكون قيام زيد غير قيام عمرو وبعضهم اوجبوا الشركة في عطف الجمل ايضا حتى قالوا ان القرآن
يوجب القران في الحكم فقالوا في اقيموا الصلوة واتوا الزكوة على الصبي كما لا يجب الصلوة وهذا فاسد
لان الاصل في الواو الشركة بين المعطوف والمعطوف عليه انما تثبت اذا افتقرت الثانية وقد صححه
ان الواو للعطف والاصل في العطف الشركة فيحمل على الشركة ما امكن وهذا ان كان المعطوف مفتقرا الى ما قبلها حقيقة
كما في المفرد وحكما كالجمل التي تمكن اعتبارها في قوة المفرد فيحمل على الشركة لكون الواو جارية على اصلها بقدر الامكان واذا
لم يمكن حملها على الشركة فلا يحمل وهذا ان كان المعطوف جملة لا يكون في قوة المفرد فلا يكون مفتقرا الى ما قبلها
اصلا كما في اقيموا الصلوة واتوا الزكوة فالواو تكون لمجرد النسق والترتيب ثم توليتم على طريق الالتفات ولعل الخطاب
انما وقع بطريق الغيبة والخطابات انما هي في حيز القول ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
ومن قبلهم على التغليب اي ثم اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم من اسلم منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل في عهد موسى عليه السلام وقرئ الا قليلٌ منكم بالرفع على اضمار فعل كقولك خرج الناس الا عمرو كانك قلت عمرو لم
يخرج قال ابو معاذ وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الميثاق والطاعة والتولية انما هي جملة تذييل
لا محل لها من الاعراب كقولك فلان ينطق بالحق والحق ابلج وقيل انها مؤكدة كما في قوله ثم توليتم مدبرين واصل
الاعراض الذهاب عن المواجهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم
لا يفعل ذلك السفك والاخراج بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به نسبا او دينا اما في لا
تخرجون انفسكم فصريحا واما في لا تسفكون فدلالة وقيل غيره فكانما قتل نفسه لايجاب القصاص وقيل
معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة
الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي وقرأ طلحة
بن مصرف لا تسفكون بضم الفاء وعن ابي نهيك لا تسفكون ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون
على انفسكم تاكيد كقولك اقر فلان بكذا شاهدا على نفسه وقيل انتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم
بهذا الميثاق فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا وكذا افعالهم المتقدمة عليه وانها انما كانت من اسلافهم
وتقرير ذلك ان الله اخذ عليهم ثلثة مواثيق ترك الاخراج وهذا الاساءة واخذ هذه العهود
والاقرار والشهادة من اسلافهم الا انهم خوطبوا بها واسندت اليهم لكونهم على طريقتهم

ومتصلين بهم اصلا ودينا وقيل اخذ الميثاق والاقرار من اسلافهم والشهادة منهم وههنا قول اخر يجيء بيانه
ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق والاقرار به والشهادة
عليه فصار الخطاب بالموجودين والاسناد اليهم حقيقة وصح ذلك الاستبعاد وان كان الميثاق والاقرار والشهادة
من اسلافهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المنافقون يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين بالميثاق نزل تغير
الصفة منزلة تغير الذات كقولك رجعت بغير الوجه الذي خرجت به ودلالة قوله ثم انتم هؤلاء على اعتبار القطع
انما جاء من قبل البيان بقوله تقتلون انفسكم وبقوله تخرجون فريقا منكم ولكونهما في معرض البيان استغنيا على
ايضاح تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم واختلفت الاقوال ههنا فقيل قوله تقتلون الخ بيان
لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل حال والعامل فيها معنى الاشارة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل هؤلاء موصول
بمعنى الذين والجملة بعده صلة والمجموع هو الخبر وقرئ يقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان
حال من ضمير تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى
التائين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وقرأ ابو حيوة تظاهرون بالياء والتشديد بالظاء والهاء واصله
تتظاهرون والكل بمعنى التعاون وان ياتوكم اسارى تفادوهم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى وقتيل
قتلى واسارى جمع كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض
وهو ضمير الشان او مبهم يفسره اخراجهم وقيل راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان
افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء وذلك انهم اعرضوا عن المواثيق الا عن هذا وتكفرون ببعض اي بحرمة
القتال والاجلاء روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا
غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت
كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا
وقيل اخذ الله عليهم اربعة عهود ترك القتال وترك الاخراج وترك المظاهرة وفداء اسرائهم فاعرضوا عن
كل ما امروا به الا الفداء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا والخزي قتل بني قريظة
واسرهم واجلاء بني النضير وقيل ضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم
القيمة يردون الى اشد العذاب وانما رد من فعل منهم الى اشد العذاب لان عصيانه اشد حيث كفر بالبعض من
كتابه ايضا وفيه اشارة الى ان ليس المراد بالعذاب من عذاب الدنيا بل اشد انواع العذاب لان المفهوم من
الاضافة وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد وقرأ عاصم تردون بالتاء منكم وقرأ ابن كثير ويعقوب ونافع بالياء
على ان الضمير عائد الى من اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اي اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف
عنهم العذاب في الدنيا بنقص الجزية وكذلك عذاب الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب
التورية وقفينا من بعده بالرسل اي وارسلنا على اثره بالرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يعني بذلك
الجمع المعروف مع القطع بعدم الاستغراق وعن ابي عمرو وابن ابي اسحق بالرسل بسكون السين قيل كان بين موسى وعيسى

الابعة المراد بيته وقيل سبعة الف بينهم الانبياء على دين موسى عم فجاء عيسى ناسخا الشريعة فلذا اخصه بالذكر وقال
جل من قائل واتينا عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الاموات وابراء الاكمه والابرص
والاخبار بالمغيبات او الانجيل وقيل عيسى بالسريانية ايشوع معناه السيد ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية
من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة بن العجاج قلت لزيد لم تصله مريمه ضليل اهواء الصبي يندمه
الزير من الرجال الذي يكثر زيارة النساء والمريم من النساء التي تحب محادثة الرجال لفظ عربي مشتق من رام يريم والجمهور
اذا فارق وبرح ولا يستعمل الا في النفي فيكون مفعلا لا فعيلا اذ لم يثبت الصيغة اي فعيلا بفتح الياء والمادة
على انه مريم في الاصل اعجمي فلا يعتبر له اشتقاق وعلى التقدير يناسب في فن الصرف لسيبويه والاسباب واما في البيت فاسم
جنس ولذا اضيف وايدناه قويناه وقرئ وايدناه ومنه اجده اذا قواه يقال الحمد لله الذي اجدني بعد ضعف
واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال
وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب لكرامته على الله ولذا اضافها الى نفسه وقيل لطهارته عن مس الشيطان
وقيل لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل الانجيل كما قال في القران روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم
الذي كان يحيي الموتى بذكره وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القران افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم الفاء عاطفة
على الكلام السابق مع ما هو قوله ولقد اتينا الى اخره ووسطت الهمزة بين المعطوف والمعطوف عليه للتوبيخ والتعجيب شانهم بالنظر
الى المعطوف وبالتحقيق للتوبيخ والتعجيب ترتب مثل هذا الفعل على ما سبق والمعنى ولقد اتينا يا بني اسرائيل
انبياءكم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به ويجوز ان يكون استئنافا والفاء للعطف
على مقدر والمعنى ولقد اتيناهم ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك بما لا تهوى اي بما لا تحبه يقال هوى
بالكسر اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم اذا سقط استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل وهو جواب
كلما وعامله ففريقا كذبتم كموسى وعيسى وفريقا تقتلون اي فريقا كذبتموه على التمام وفرغتم عن تكذيبه
ما بقي منه غير مكذب وفريقا تقتلون اي ما تيسر لكم قتله على التمام وانما نزل لفظ جهلكم انه تم قتل
فتحومون حول قتل محمد فانه بعد على القتل كذا فسر السكاكي في المفتاح وقال شارح التلخيص بالماضي
الماضي اذ قد فرغتم منه بحيث لم يبق من ذلك الفريق واحد غير مكذب والقتل مخصوص بزمان الحال اذ الفريق
الذي هو محمد وقتله لم يحصل الفراغ عن قتله بالكلية لان قتل محمد عم لم يتيسر بعد ولا هو مستقبل محض اذ قتل
قتلوا البعض كزكريا وشعيبا وهم مشتغلون بالقتل في الحال فلذا اوثر لفظ المضارع وعبارة
يعني عبارة المفتاح صريحة في انه ليس المراد بالفريق الذي تقتلون محمد صلى الله عليه وسلم خاصة على ما وهم فليتدبر
وانما اذا اريد بالفريق من قتلوه من الانبياء والتعبير من المضارع لاستحضار تلك الصورة الشنيعة في ذلك
وجه اخر هذه عبارته والحاصل ان في ذكر القتل بلفظ المضارع دون الماضي وجهين ان يراد الحال الماضية
استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع مع ما فيه من رعاية الفواصل وان يراد فريقا تقتلونهم بعد لانكم
حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عم ما زالت اكلة خيبر تعاودني
فهذا اوان قطعت ابهري تعاودني اي تراجعني من عادة اللسعة اذا اتته لعداد والعداد الهيجان الوجع

لوقت معلوم كانه يحاسب صاحبها ايام الافاقة فاذا تم العدد اصابه وعداد السليم سبعة ايام ما دام فيها قيل
هو في عداده والابهر عرق مستبطن في القلب متصل به فاذا انقطع مات صاحبه والكلام على حذف المضاف
اي عادية اكلة خيبر وقالوا قلوبنا غلف جمع اغلف مثل احمر وحمراء اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يصل
اليها ما جاء به محمد ولا نفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل
اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن
مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا من كون قلوبهم مخلوقة كذلك وذلك انهم
ادعوا عدم تمكنهم من قبول الحق فرد الله عليهم بان الامر ليس كذلك بل انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول
الحق ولكن الله لعنهم وخذلهم بسبب انهم حرفوا القدرة والارادة الى الكفر فخلقه الله تعالى في قلوبهم
ولو حرفوهما الى الايمان والهدى لخلقهما على ما جرت به عادته فهم كاذبون فيما ادعوا من عدم الاستطاعة
فانه لا نزاع في قدرة العبد وانما النزاع في تاثيرها او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء
عنكم فقليلا ما يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في القلة وهو ايمانهم ببعض الكتاب وليست نافية لان ما في
حيزها لا يتقدم عليها ولانه وان كان بمعنى لا يؤمنون قليلا فضلا عن الكثير لكن ربما يوهم سيما مع التقديم
انهم لا يؤمنون قليلا بل كثيرا ولا مصدرية وهو ظاهر وقيل اراد بالقلة العدم ويجوز ان يكون نصبا على
الظرفية لانه من صفة الاحيان وما لتاكيد معنى القلة والعامل ما يليه كما في قليلا ما تشكرون اي في قليل
من الاحيان وقال بعضهم ايمانهم بالله تعالى لانهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ومنهم من لم يجوز
ذلك وقال انما لم يجعل قليلا من صفة الاحيان لانهم لم يؤمنوا قط وقال بعضهم لا يؤمن الا قليلا
منهم مثل عبد الله بن سلام واصحابه ولما جاءهم كتاب من عند الله اراد القران مصدق لما معهم
من كتابهم لا يخالفه يعني موافقا في التوحيد وما يتعلق بالنبوة وغير ذلك مما وافق فيه القران التورية
وقرئ مصدقا بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف يدل عليه جواب لما
الثانية وانما لم يجعل الثانية جوابا للاولى لم يجئ في فصيح الكلام جواب الا فعلا ماضيا بدون الفاء ولا يبعد ان
يكون تكرارا للاولى والفاء للاشعار بان مجيئه كان عقيب استفتاحهم به لان ما عرفوا حاصل الكتاب وكانوا
من قبل يستفتحون حال مما قبله واستقام النظم لما بين الكتاب والنبي المستفتح به من الاتصال حتى ان الاستفتاح
به استفتاح به وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي لا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم ويقولون
اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية ويقولون لاعدائهم من المشركين
قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم
ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب اوانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن
نفسه اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر وقال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم
فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم وضع
المظهر موضع المضمر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد اشارة الى اهل الكتاب ويجوز ان يكون للجنس

ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل بئس
المستكن اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم فـ اشتروا صفته و معناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم
خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا او موصولة بمعنى الذي وهو اسم بئس وعلى الوجهين قوله ان يكفروا بما انزل الله
هو المخصوص بالذم وما قيل من ان ما نكرة غير موصوفة منصوبة على التمييز واشتروا صفة لمحذوف هو المخصوص تقديره
شيء او كفر وفاعل بئس مضمر فيه وان يكفروا خبر مبتداء محذوف اي هو ان يكفروا في موقع جر بدلا من الهاء في به
او هو مبتداء و بئس ما بعده خبر عنه ففيه من التمحل ما لا يخفى وكذا ما قيل من كون ما مصدرية اي بئس شراؤهم
وفاعل بئس مضمر لان المصدر ههنا مخصوص ليس بجنس بغيا نصب على المصدر لان ما سبق يدل على انهم بغوا بغيا
او المفعول له اي طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو في الاصل الطلب ويجوز ان يكون من البغي بمعنى الظلم وهو علة اشتروا
لبغيهم و قيل هو علة ان يكفروا دون اشتروا للفصل يعني ان المخصوص بالذم وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم
وفاعله لكن لا خفاء في انه اجنبي بالنسبة الى الفعل وصف به تمييز الفاعل والقول بان المعنى على ذم ما باعوا به
انفسهم حسدا وهو الكفر لا على ذم ما باعوا به انفسهم وهو الكفر حسدا تحكم و قيل جعل المخصوص بالذم ان يكفروا
انما يصح لو قال كفروا بلفظ الماضي ليظهر ان ما باعوا به انفسهم واستبدلوا به في الماضي ليس هو ان يكفروا في
المستقبل والجواب ان ان يكفروا بمعنى ان كفروا بدليل قوله كفروا به فيقدر ما عليه واحدة ان ينزل الله لان ينزل الله
او حسدا وعلى ان ينزل الله و مفعول ينزل محذوف اي شيئا ومن فضله بيان له واذا كانت تبعيضية تكون هي مفعوله
اي بعض فضله من فضله من وصيه على من يشاء من عباده من نكرة موصوفة على رجل او موصولة و مفعول يشاء
محذوف اي على الذي يشاء نزوله اليه وجوز ان يشاء بمعنى يختار على من يختار للرسالة ومن عباده حال من الضمير
المحذوف او في موقع جر صفة اخرى لمن فباؤا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا
بنبي الحق و بغوا عليه وقد دل على الاستحقاق العطف بالفاء على اشتروا الى ساقته واستحقاق ترادف الغضب بتضاعف
الجريمة على ما يدل عليه قوله بغيا وهذا بحسب المعنى يناسب قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها كانه قيل وبكفرهم على
كفرهم صاروا احقاء بغضب على غضب و قيل كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عم و قيل بعد قولهم عزير ابن الله
وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم و قوله بغضب حال و على غضب صفة له وللكافرين عذاب مهين
يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه نعوذ بالله من عذابه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله
و لفظ ما يتناول الكتب المنزلة كلها قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتورية ويكفرون بما وراءه حال
اما على حذف المبتداء او تجويز الواو في المضارع المثبت وانما لم يجعل عطفا على قالوا لقصد الاستحضار والاستمرار
لان الحال ادخل في ذلك مقالتهم اي قالوا ذلك مقارنا بما شاهد على بطلانه ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا
ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولهذا عد
من الاضداد وهو الحق حال مما وراءه والمراد به القرآن وتعريف الخبر لزيادة التوبيخ والتجهيل بمعنى انه خاصة
هو الحق الذي يفارق تصديق كتابهم ولولا الحال اي مصدقا لم يستقم الحصر لانه في مقابلة كتابهم وهو حق
ايضا مصدقا لما معهم من التورية غير مخالف له وهو حال مؤكدة تتضمن رد مقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق

التورية

التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض بقتلهم الانبياء مع ادعائهم
الايمان بالتوبيخ والتورية لا تسوغه والقتل هذا انما كان من اسلافهم لكن اسند اليهم لانهم على طريقتهم
ومتصلون بهم حيث رضوا به وعزموا عليه و لم استفهام اصلها لما فحذف الفه مع حرف الجر للفرق بين
الاستفهامية والخبرية و نظيرها عم يتساءلون وفيم انت وممّ خلق وقرأ الحسن والزهري تقتلون و لقد
جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات الواضحات المبينة في قوله تعالى و لقد آتينا موسى تسع آيات بينات
ثم اتخذتم العجل من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه به الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل وانتم ظالمون
في هذا الاتخاذ من اتخذ خاتما صنعه وعمله او بمعنى عبدتم العجل وانتم ظالمون بعبادته وعلى هذا فائدة الحال زيادة
التوبيخ والتقبيح او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم وفائدته ظاهرة حيث لم يقيد ظلمهم بكونه في العبادة
بل مطلقا وعلى سبيل العادة وانما قيد في الحال ليحسن تقييد الفعل به وارتباطه بالفعل فان الحال يجب ان تكون مقيدة
النوع للفعل واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم
به في التورية بجد وعزيمة واسمعوا سمع طاعة وكرر رفع الطور اي حديثه لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى
مع ما فيه من التاكيد وذلك انه قال اولا واذ اخذنا ميثاقكم و رفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا
ما فيه الى آخره وههنا مكان اذكروا ما فيه اسمعوا ومكان ثم توليتم قالوا سمعنا وعصينا والزيادة التي ليست في الآية
الاولى هي قوله واشربوا في قلوبهم العجل قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قيل لما قال الله اسمعوا فكان الجواب
المطابق ان يقولوا سمعنا او لا نسمع من غير ذكر شيء آخر فلم زادوا وعصينا وليس هذا الا مستدركا واجيب
بان هذا انما يكون اذا امروا بمطلق السماع وههنا قد امروا بسماع مقيد فاجابوا بنفيه باعتبار انتفاء القيد فهو
مطابق وذلك انه تعالى قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع طاعة فقالوا سمعنا لا سمع طاعة فلا استدراك
واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حب العجل والحرص على عبادته يقال اشرب الثوب الصبغ اذا دخل الصبغ في
اعماقه واجزائه ولا يخفى ما في حذف المضاف واسناد الاشراب الى انفسهم من المبالغة كانهم اشربوا بجملتهم العجل
نفسه وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا وفي القصص ان موسى عم امر ان يبرد
العجل بالمبرد ثم نذر في النهر وامرهم بالشرب منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه
وهو استئناف او حال بتقدير قد وعامله قالوا اي قالوا ذلك وقد اشربوا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا
مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما يامركم به ايمانكم اي
بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجاجيل التي هي غاية في البلادة واسناد الامر اليكم تحقيرا واستهزاء الا
على ان مثل هذا لا يليق ان يسمى ايمانا الا بالاضافة اليكم وليس المراد انه استعارة تهكمية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر
او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين واستعمال ان ههنا على سبيل الفرض
والتقدير للتبكيت والالزام كقوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا
وهذا اولى مما يقال ان استعمال ان ههنا تشكيك في ايمانهم لاستحالة الشك على المتكلم على ما هو اصل ان اذ لم يعهد استعمال
ان لتشكيك السامعين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة اي خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق كما قلتم لن يدخل

الجنة الا من كان هودا او نصارى وانتصاب خالصة على الحال من الدار الاخرة لان الخبر هو الظرف وهو لكم ومن لم يجوز الحال عن
اسم كان بناء على انه ليس بفاعل جعلها حالا من الضمير المستكن في لكم لكن اللايق بالنظر النحوي انه فاعل اذ قد اسند اليه الفعل
على طريقة القيام وان لم يكن قائما به ولذا لم تعدوه بالملحقات بالفاعل ويحتمل ان تكون خالصة خبر كان ولكم ظرفا لغوا
متعلقا بكان او بخالصة قدم للاهتمام كقوله تعالى ولم يكن له كفوا احد لكن حمله على المستقر اولى اذ لا يحسن الفصل بالظرف
بين الاسم والخبر وكذا تقديم لكم على خالصة واما عند الله فمتعلق بكان او بخبره ثم تقديم الخبر ان كان لمجرد الاهتمام فذاك
وان كان للاختصاص فغاية الحال التاكيد والتبيين من دون الناس سائر الناس واللام للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب
لما روي عن علي كرم الله وجهه انه كان يطوف بين الصفين في غلالة وهي ثوب رقيق يلبس تحت الدرع فقال له ابنه الحسن
ما هذا زي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا
وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه
فيها غيره وكان كل من العشرة المبشرة يحب الموت ويشتاق اليه وعن ابي السماك فتمنوا الموت بفتح الواو وعن يحيى وابن
ابي اسحق بكسرها وقد مر تقريرهما ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم لن ليس للتابيد بل للنفي المؤكد في المستقبل فقط وابدا ظرف
بمعنى الزمان المتطاول والمعنى لن يتمنوا الموت ابدا ما داموا في الدنيا بسبب ما قدموا من الكفر ولكنهم يتمنونه في الآخرة
تخلصا عن العذاب الابدي الى قوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وما موصولة او موصوفة او مصدرية حذف ضميرها
اي بما اسلفوه من موجبات النار كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف التوراة واليد تستعمل تارة في القدرة وهو الاغلب اذ اكثر
ما يظهر سلطانها في اليد وبها يكون البطش والضرب والقتل والقطع والوضع والرفع وغير ذلك من الافعال التي تنبئ عن وجوه
القدرة ومكانها واما اليد في قوله ع م المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم فهي استعارة
والمعنى ان مثلهم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة فكما لا يتصور ان يخذل بعض اجزاء اليد بعضا وان
يختلف بها الجهة في التصرف كذلك سبيل المؤمنين في تعاونهم على المشركين لان كلمة التوحيد جامعة لهم قيل وفيه نظر لان قوله
ع م وهم يد تشبيه لا استعارة لان ذكر طرفي التشبيه ينافي الاستعارة وهذه الجملة اعني ولن يتمنوه ابدا اخبار بالغيب وكان
كما اخبر كقوله ولن تفعلوا لانهم لو تمنوا لنقل ذلك واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو الانسان بلسانه ليت لي كذا
وان كان بالقلب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك وعن النبي ع م لو تمنوا الموت لغص كل انسان
بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتقرير لكونهم ظالمين في دعوى ما ليس
لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى المفعولين ومفعولاه هم واحرص
بنصب احرص اذ لفظ هم حكاية للضمير المتصل المنصوب من لتجدنهم وتنكير حيوة لانه اريد نوع من الحيوة مخصوص
وهو الحيوة الزائدة اي ولتجدنهم احرص الناس وان عاشوا ما عاشوا على ان يزدادوا الى حيوتهم في الماضي والحاضر حيوة في
المستقبل فان الانسان لا يوصف بالحرص على شيء الا اذا لم يكن ذلك الشيء موجودا له حال وصفه بالحرص عليه وقرئ
على الحيوة باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس كذا قال كثير من المحققين والاصوب
ان يقال احرص من باقي الناس فانه بعض من المضاف اليه بخلاف بدليل صحة قولنا زيد اعلم من الحسن ولا يصح اعلم الحسن

واو ادهم

وازادهم بالذكر للمبالغة لان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة وللزيادة في التوبيخ لان اليهود مقرون بالجزاء والمشركون
ينكرونه وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فلا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد على حرصهم حرص من له كتاب وهو معترف بالعاقبة
كان جديرا باعظم التوبيخ ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف
صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم فحذف الموصوف
كما في قوله وما منا الا له مقام معلوم فانهم اتفقوا في هذا وفي قوله ومنا دون ذلك ونظايرهما على ان الظرف الثاني في
موقع المبتدا على حذف الموصوف والظرف الاول الخبر مع ان العكس اوفق بالمعنى وهو على الوجهين الاولين بيان لزيادة
حرصهم على طريق الاستيناف وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان
وعن ابن عباس رض هو قول الاعاجم ذي هزار سال لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان القياس لو اعمر
فاجري على الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن والف سنة ظرف وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير
في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدر
وان يعمر بدل منه او هو مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته
وتسنهت النخلة اذا اتت عليه السنون والزحزحة التبعيد والانجاء تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وعن ابي عمرو بمزحزحه
بسكون الهاء وفي حرف عبد الله بمزحزحهم والله بصير بما تعملون فيجازيهم والبصير ذو بصر والبصر قوة يتعلق بالمبصرات
فتدركها ادراكا تاما لا على سبيل التخييل والتوهم ولا على طريق تأثر حاسة ولا يلزم من قدمها قدم المبصرات كالعلم
والقدرة فانه من قدمها لا يلزم قدم المعلومات والمقدورات والحدوث انما هو في التعلقات وسيأتي لهذا زيادة تقرير
في تفسير السميع وقرأ الحسن والاعرج تعملون بالتاء قل من كان عدوا لجبريل من شرطية حذف جوابها تقديره فليمت غيظا
فانه نزله نزل في عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلعم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال
ذلك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا
من يقتله من اقوياء بني اسرائيل فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم
عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امر الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وقيل دخل عمر مدارس اليهود
يوما فسألهم عن جبريل فقالوا هو عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام
فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال عمر لئن كانا كما تقولون فليسا
بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد
جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي ع م لقد وافقك ربك يا عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقوله لانتم اكفر من الحمير
اي اجهل وابلد لان الكفر نتيجة الجهل والبلادة فالحمار مثل فيها وقال الميداني في قولهم اكفر من حمار هو رجل من عاد يقال له
حمار بن مويلع كان له واد طوله مسيرة يوم وعرضه اربعة فراسخ لم يكن ببلاد العرب اخصب منه فخرج بنوه يتصيدون
فاصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر وقال لا اعبد من فعل هذا ودعا قومه الى الكفر فمن عصاه قتله فاهلكه الله واخرب واديه وضرب
به المثل فيجوز ان يكون الحمير عبارة عنه وعن قومه الذين كفروا وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهور جبريل
بوزن سلسبيل وهو في حرف حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة وهو قراءة ابن كثير وجبريل بوزن جحمرش

قراءة عاصم وجبريل بوزن قنديل قراءة الباقون واربع في الشواذ جبرائل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل وجبرال بلام شديدة

وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم جبرائيل عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله

واسم اسرافيل عبد الرحمن وعنه عم ان اقرب الخلق الى الله تعالى جبرائيل وميكائيل واسرافيل عند ذي العرش مكينون وانهم من الله

بمسيرة خمسين الف سنة وعنه عم قال لجبرئيل هل رايت ربك فانتفض جبرئيل وقال يا محمد بيني وبينه سبعون حجابا من نور

لو دنوت من بعضها لاحترقت وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم خلق الله اسرافيل منذ خلقه صافا قدميه لا يرفع بصره

بينه وبين الله تعالى سبعون نورا ما منها من نور يدنو منه الا احترق فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني للقران

اي بالضمير قبل الذكر دلالة على فخامة شان صاحبه واشارة الى ان القران متعين لتعلق التنزيل اليه لا يحتاج الى التصريح

بذكره ولا يذهب الوهم الى غيره فاكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظ اياك وفهمك فان معنى

التنزيل المسند الى جبرائيل هو التحفيظ والتفهيم كانه جعله نازلا بالقلب حالا فيه والا فالمنزل حقيقة هو الله وكان حق

الكلام ان يقال على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تع كانه قال قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله

على قلبك باذن الله بامره وتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين والمنصوبات

احوال من مفعوله والظاهر ان قوله فانه نزله جزاء للشرط والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر

بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي فلا وجه لمعاداته لانه نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فحذف الجزاء

واقيم علته مقامه او من عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القران مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون

للقران ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له وقيل التقدير لمن كان عدوا لجبريل فليمت غيظا

فانه نزله على قلبك او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو

للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وفي افراد الملكين بالذكر دلالة على فضلهما وانهما بلغا في الفضائل حتى كانهما من جنس آخر غير جنس الملائكة فان التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في الذات

كما قال ابو الطيب فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال اي المسك لا يعد من الدماء للخصلة التي لا توجد

في الدماء وقرا نافع ميكائل بوزن ميكاعيل وابو عمرو وعاصم ويعقوب ميكال بوزن قنطار وقرئ ميكائيل كميكاعيل وميكئل

كميكعل وميكئيل كميكعيل وميكال وانما وضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان الله تعالى انما عاداهم لكفرهم وتنبيها على

ان من عادى احدهم فقد كفر فان عداوة الملائكة والانبياء كفر والمعنى من عادى احدا من الملائكة والرسل فقد عاداه

الله وعاقبه العقاب الذي اعد للكافرين ولقد انزلنا اليك آيات بينات موضحات للحق من الباطل وما يكفر بها الا

الفاسقون اي المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره

نزلت في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلعم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها واللام في الفاسقون

للجنس والاحسن كونه للعهد اشارة الى اهل الكتاب لان الآية نزلت فيهم وطرفها كلام في شانهم والوصف بالتمرد انسب

بحالهم او كلما عاهدوا عهدا همزة الهمزة للاستفهام مرادا بها الانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا

بالآيات البينات وكلما عاهدوا ولا يخفى ان المعطوف هو الفعل العامل في كلما وهو نبذه وكلما مفعول فيه اي كل وقت

عاهدوا وقد جعل هذا ومثله من قبيل العطف على الكلام السابق المذكور وقرا ابو السماك بسكون الواو على ان الفاسقين

بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة واو في مثل هذه المواضع يفيد

تساوي الامرين في الوقوع مع ان الثاني ابعد واليق بان لا يقع فيحمل على انها بمعنى بل كما في قوله تع وارسلناه الى مائة الف

او يزيدون وقول الشاعر بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها او انت في العين املح وقد دلت عليها ههنا

القرينة وهي قوله بل اكثرهم لا يؤمنون ترقيا الى الاغلظ فالاغلظ وقرئ عهدوا وعوهدوا واليهود موسومون بنقض

العهود والغدر وقيل اليهود عاهدوا لئن خرج محمد لنؤمنن به فلما خرج كفروا به ولما ذكر رسول الله صلعم ما اخذ الله عليهم

من الميثاق وعهد اليهم في محمد صلعم ان يؤمنوا به قال مالك بن الضيف والله ما عهد الينا محمد شيئا فانزل الله تع هذه الآية

يدل على ذلك قراءة عوهدوا اي نوعلوا من المعاهدين جعلوهم مفعولين نبذه فريق منهم نقضه وبه قرا عبد الله في

اصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون والقران المنزل عليه او بالتورية

وليس من الدين في شيء فلا يعدون نقض العهد ذنبا ولا يبالون به وهذا رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ

جهارا فهم يؤمنون خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عم نبذ فريق من الذين اوتوا

الكتاب كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسل المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان

بالرسل المؤيدين بالمعجزات وقيل كتاب الله القران نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله

لا يدخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا او نبذوا وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه شبه

حال كتاب الله في تركهم اياه واعراضهم عنه وقلة التفاتهم اليه بحال ما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه

ثم استعير له ما كان مستعملا هناك وهو النبذ وراء الظهر وعن الشعبي كتاب الله بين ايديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به

وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب فلم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه وتفسير النبذ على القولين

الاخيرين فيما اذا اريد بكتاب الله التورية وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين

وقد دل على رصانة علمهم وضع المظهر موضع المضمر حيث قال من الذين اوتوا الكتاب ولم يقل منهم اهل الكتاب وقال

بعضهم ان الله تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقها كمؤمني اهل الكتاب وهم

الاقلون المدلول عليهم بقوله واكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتعدي حدودها تمردا او فسوقا وهم المعنيون

بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها

حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون المراد بقوله كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ

اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعبذة التي تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن والانس وقرا الحسن

والضحاك وابن يعمر الشياطون قال ابو معاذ يتوهم على هجائه مثل المسلمين والمسلمون لانه يوجد جمعا قبل يائه كسرة

ومثله الدهاقين والمساكين يتوهمون في كل هذا اجماعا على هجائين وقال ابن مقسم هذا مما تذهب به العرب الى حمله

على نظائره وما يقاربه في الشكل توهما ان الاسم في الاصل شياط فاذا جمع قيل الشياطون كما جمع رباح هو اسم رجل

رباحون ورباحين ولو جمع على هذا الوجه على انه ملوفة لقيل شيطانون على تمام بنية عثمانون وحمدانون

وذبيانون على ملك سليمان اي على عهد ملكه على حذف المضاف من قولهم كان هذا على عهد فلان اي في وقته

وزمانه وتتلوا حكاية حال ماضية قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب

للفقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها فى الكتب ويعلمونها الناس وفشا ذلك فى زمن سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب
وانما ملك سليمان تم بهذا العلم وانه به سخر الجن والانس والريح التى تجرى بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما
بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وانما عبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن
الشياطين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم والجملة حال عن الضمير قيل المراد
بالسحر ما يستعان فى تحصيله بالتقرب الى الشياطين مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه فى الشرارة و
خبث النفس فان التناسب شرط فى التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبى والولى واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب
الحيل بمعونة الالات او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز لما فيه من الدقة لانه فى الاصل لما خفى سببه
وفى الصحاح السحر الاخذ وقيل كل ما لطف ماخذه ودق فهو سحر وقيل هو عبارة عن التمويه والتخييل ولوجوده حقيقة عند
اهل السنة وعليه اكثر الامم ولكن العمل به كفر وعن الشافعى رض انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص
على من قتل به فهو من عمل الشيطان يتلقاه الساحر منه بتعليمه اياه وقيل انه يوثر فى قلب الاعيان فيجعل الادمى فى صورة
الحمار ويجعل الحمار فى صورة الكلب والاصح ان ذلك تخييل لقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى يوثر فى الابدان والامراض
والموت والجنون والقران العظيم ناطق بتاثيره وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار
او به نوع اقوى منه اى ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل عطف على ما تتلوا اى واتبعوا ما انزل وقيل ما انزل نفى معطوف
على ما كفر تكذيب لليهود فى هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير فى انزل قال ابن مسعود بابل ارض الكوفة
وقيل جبل دنباوند وقيل انه بلد من سواد الكوفة وقيل هى بابل العراق سميت بابل لتبلبل الالسن بها عند صرح نمرود اى
تفرقها هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما منع صرفهما للتعريف والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت
بمعنى الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ تا
بالرفع على انهما خبر مبتداء محذوف اى هاروت وماروت والذى انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله تعالى
للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مومنا عرفت
الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه وقيل هما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا
بينه وبين المعجزة ولم يصدر عنهما كفر ولا كبيرة وتعذيبهما انما هو على وجه المعاتبة كما يعاتب الانبياء على الزلة والسهو
وكانا يعظان الناس ويقولان انما نحن فتنة ولا كفر فى تعليم السحر بل فى اعتقاده والعمل به وما روى انهما مثلا بشرين
وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكى عن
اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوى البصائر وقيل هما رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده
قراءة الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وعلم السحر هو مزاولة النفوس
من الخبيثة لافعال واقوال يترتب عليها امور خارقة للعادة ولا يروى خلاف فى كون العمل به كفرا والكفر جنس الاشراك
والسحر كالحيوان جنس الانسان والفرس وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر والمعنى ما يعلم الملكان احدا
حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء واختبار من الله فمن تعلم منا السحر وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت
على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به اى فلا تتعلم معتقدا انه حق والعمل به جائز فتكفر وفيه دليل على ان

تعلم

تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه العمل به وما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن مفتنون فلا
تكن مثلنا وقرا طلحة ما يعلمان من اعلم فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد وهو الناس اى فيتعلم الناس من الملكين
ما يفرقون به بين المرء وزوجه اى علم السحر الذى يكون سبب تفريقهما وليس احد ههنا فى معنى الجماعة حتى يصير
عود الضمير فى يتعلمون اليه للحمولة فلا تكفر بالافراد وقد يتوهم صحة عود ضمير الجمع الى المفرد الواقع فى سياق
نكرة وليس بذلك وقرئ بين المرء بضم الميم وكسره مع الهمزة والمرء بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف
كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وما هم بضارين به من احد الا باذن الله فانه لا تاثير له ولغيره من الاسباب
بالذات الا بتيسير الله وقرا الاعمش وما هم بضارى بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بالظرف قال ابن جنى ان هذا
من ابعد الشواذ وذلك لانه فصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف الذى هو به ثم جعل المضاف اليه هو الجار والمجرور
جميعا ولم يصلح ان يكون من مقحمة لتاكيد معنى الاضافة كاللام فى لا ابا له لان هذه الاضافة لفظية الى المفعول ليس بمعنى من
ويتعلمون ما يضرهم اى الذى يضرهم فى الدنيا لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا وقرا زيد بن على وعبيد
ما يضرهم ولا ينفعهم اذ مجرد العلم غير مقصود ولا نافع فى الدارين وفيه ان اجتنابه اولى كتعلم الفلسفة التى لا يومن ان
تجر الى الغواية ولقد علموا هؤلاء اليهود لمن اشتراه اى من اشترى ما تتلوا الشياطين وهو كتاب السحر والشعوذة ماله فى
الاخرة من خلاق ليس له فى الاخرة نصيب من الثواب واللام فى ولقد علموا جواب قسم محذوف وفى لمن اشتراه لام الابتداء مثلها
فى علمت لزيد فاضل ومن اشترى مبتداء خبره ما له فى الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما تقدم
اى باعوا او اشتروا واللام جواب قسم محذوف والجملة عطف على لقد علموا وحينئذ تكون من عطف الانشاء على الاخبار لو كانوا يعلمون
وهذه الاية من قبيل تنزيل العالم بالشئ منزلة الخالى عن العلم فان صدرها يدل على ان اهل الكتاب قد علموا ان من استبدل
كتاب السحر من كتاب الله ليس له فى الجنة من نصيب واخرها يدل على انهم لم يعلموا ذلك لان لو لانتفاء الشئ لانتفاء غيره
فمعنى لو كانوا يعلمون انهم لم يكونوا يعلمون ومتعلق يعلمون هو متعلق علموا بدلالة السياق لا يقال متعلق العلم فى موضع الاثبات
والنفى متعدد غير واحد فان المثبت هو العلم بسوء ما فعلوه من استبدال كتب السحر وايثارها على انفسهم وايضا السياق يدل
على ان متعلق هو بيس ما شروا به انفسهم لانا نقول لو سلم فمؤداهما واحد وهو رداءة ما اشتروا وعدم تعلق نفع به فى الاخرة
وترتب عليه وجواب لو محذوف اى لما منعوا عن تعلم السحر وايثار كتبه او لرجعوا او لكان خيرا لهم ومن الغريب ما يقال ان
قوله يعلمون جواب لو وخبر كان محذوف اى لو كانوا يعلمون بعلمهم ونظيره فى الاثبات والنفى قوله وما رميت اذ رميت حيث اثبت له الرمى
اولا بمعنى صدوره عنه ظاهرا ونفاه عنه ثانيا حيث بلغ من التاثير حدا لا يبلغه رمى البشر ولذا قال ولكن الله رمى وقوله
وان نكثوا ايمانهم الاية حيث اثبت لهم الايمان بدلالة الاضافة اليهم وايقاع النكث عليها ثم نفاها بقوله انهم لا ايمان لهم
من جهة عدم الاعتداد بها على عدم وفائهم بها وقيل الاية الاولى التى نحن فى صددها من امثلة تنزيل العالم بفائدة الخبر
ولازمها منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم بناء على ان قوله لو كانوا يعلمون معناه لو كان فيهم علم بذلك الشراء
لامتنعوا لكن ليس لهم علم به فلا يمتنعون وهذا هو الخبر الملقى اليهم لان هذا الكلام يلوح عليه اثر الاهمال او على
ان قوله ولقد علموا الاية خبر القى اليهم مع علمهم به لان هذا الخطاب للنبى عم واصحابه ولا دليل على كونهم عالمين
وفيه نظر لان كونها من الامثلة غلط وليس فى الكلام القاء هذا الخبر اليهم وانما القصد الى اثبات العلم لاهل الكتاب

وجعلهم حين لم يعملوا كانهم منسلخون عنه وقيل المثبت لهم اولا على التاكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل
وترتب العقاب من غير تحقيق ولو انهم امنوا بالرسول والكتاب واتقوا الله بترك المعاصي التي هم عليها من نبذ كتاب الله تع واتباع
كتب السحر وايثارها على انفسهم لمثوبة من عند الله خير وليست الاسمية جواب لو كما زعم بعضهم اما لفظا فلاتفاق النحاة
على انه لا تكون الا فعلية ماضوية واما معنى فلان الخبرية المثوبة لا تقيد بايمانهم واتقائهم ولا ينتفي بانتفائهما فالاولى
ان يقال ان الجواب محذوف اي لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما اشتروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية
ليدل على ثبات المثوبة ويدل عليه قراءة ابن السماك لمثوبة بالنصب ولم يقل لمثوبة الله خير لان المعنى لشيء من الثواب
خير كقوله ورضوان من الله اكبر وقيل لو ههنا ليس للشرط بل للتمني على سبيل المجاز عن ارادة الله تع ايمانهم لان التمني
على الله محال لخلاف ارادة ما لا يقع واما نحن القائلون باستحالتهما فلا يجوز عندنا حملها على التمني الا حكاية على معنى
انهم بحال يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وحينئذ لمثوبة كلام مبتدا وقرئ لمثوبة لمشورة ومشورة
وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه ولقد علموا لكنه
جهلهم لترك العمل بالعلم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي ارقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نحفظه ونفهمه وكانت
لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا فترصوا وخاطبوا به
النبي عم وهم يعنون به تلك المسبة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو
في معناها وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرأ ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا لنحفظ وقرأ
عبد الله راعونا على لفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي الحماقة على اعمال القول فيه
اي لا تقولوا حمقا ولا تقولوا هوجا كذا قال الاخفش ولا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن وتامر
اي ذو درع وذو لبن وانما كانت تلك الكلمة ذو رعن اي حماقة لانها صارت سببا للسب ولاستهزاء سب النبي عم
حماقة وفيه ان اللغة علمت بالتعريف لها والتوقيف عليها وفيه المنع من ان يتجاوز شيء منها موضعه الذي وضع
بها واسمعوا واحسنوا سماع ما يلقي الرسول عليكم من العلم باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة
او واسمعوا سماع قبول وطاعة لا كما سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما
نهيتم عنه ومعنى الثالث اعني اسمعوا ما امرتم به من قوله تع قولوا انظرنا وقوله لا تقولوا راعنا فانه امر بترك تلك الكلمة وروي
ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله لعنة الله عليكم والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين عذاب اليم ولليهود الذين
تهاونوا بالرسول عم وسبوه عذاب اليم ووصف العذاب بالاليم مجازا ذا الاليم حقيقة هو المعذب وقيل انه من قبيل
الاسناد الى المصدر مثل جد جده وليس كذلك وانما يكون مثله لو قيل الم اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود ويظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة
الشيء مع تمنيه ومن تستعمل في كل منهما ومن للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون
كما في قوله تع لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين وقرأ الاعمش وابن ابي عبلة ولا المشركون عطفا على الذين

كفروا

كفروا ان ينزل عليكم من خير من ربكم ومن في من خير مزيدة لاستغراق الخير لان خيرا نكرة في سياق النفي بالواسطة حيث وقع
فاعلا لان ينزل وهو مفعول يود الداخل عليه ما النافية فيعم فتفيده من الاستغراقية زيادة في العموم وتاكيدا وليست
من هذه صلة محضة ومن في من ربكم لابتداء الغاية وفسر الخير بالوحي وكذلك الرحمة والمعنى انهم يرون انفسهم احق
بان يوحى اليهم فيحسدونكم بالوحي وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم والنصرة ويجوز ان يراد ما يعم ذلك
والله يختص برحمته بالنبوة من يشاء اي يجعله منفردا بالرحمة لا يرحم بها سواه فيستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره
لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده
ليس لضيق فضله بل لمشيته وما عرف فيه من حكمته وفي وضع المظهر موضع المضمر في قوله والله يختص حيث وضع لفظ الله
موضع ربكم اشعار بان تخصيص بعض الناس بالنبوة دون بعض مناسب للالوهية كما ان انزال الخير على العموم ملايم للربوبية
ما ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه
ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا والنسخ في اللغة الازالة يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته والنقل يقال نسخت الكتاب
اي نقلت ما فيه الى آخر ونسخت النحل نقلتها من موضع الى موضع ومنه المناسخات في المواريث وفي الشرع عبارة عن ان
يرد دليل شرعي متراخيا عن دليل شرعي مقتضيا خلاف حكمه وقد يطلق بمعنى الناسخ وقد يطلق على فعل الشارع وبالجملة
فالنسخ بيان للمدة بالنظر الى علم الله تع وتبديل بالنظر الى علمنا حيث ارتفع بقاء ما كان بقاؤه الاصلي عندنا كالقتل بيان للاجل
في حقه تع اذا المقتول ميت باجله وفي حقنا تبديل وهو جائز في احكام الشرع عندنا خلافا لليهود فعند بعضهم باطل
نقلا وعند بعضهم عقلا ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها
اذهابها عن القلوب ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة على المفعولية
وقرئ ما ننسخ من آية وقرئ ما ننسخ بضم النون من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها وقرأ ابن كثير وابو عمرو او
ننساها اي نؤخرها من النساء وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله
ما ننسك من آية او ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها باظهار المفعولين وعن ابي حيوة او ننساها بالتاء
وتشديد السين وعن عمر بن عباس او تنساها بالتاء مهموزة وعن ابن عمر او ننساها بالنون غير مهموزة وعن مجاهد
ننسها بفتح النون نات بخير منها او مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو
بقلب الهمزة الفا وقد يستدل بالآية على ان نسخ الكتاب لا يجوز شرعا الا بالكتاب ليكون ذلك اتيانا بالخير او المثل وهو انما
يتم لو اريد بالخير او المثل آية اخرى على ما فسره بعضهم حيث قال نات بآية خير منها للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب
او مثلها في ذلك اما لو اريد امر آخر وحكم سواء كان بطريق الوحي المتلو او لا فلا يتم وفي ذلك اي النسخ مطلقا انه قد نسخ الحبس
في البيوت للزيادة الى الجلد والرجم وصوم عاشوراء الى صوم رمضان وكانت الصلوة ركعتين فنسخت الى الاربع في الحضر
والى الاخف كنسخ العدة من حول الى اربعة اشهر وعشر ونسخ صلوة الليل من الوجوب الى التخيير والى المثل في تحويل القبلة
وكل ما نسخ الى الايسر فهو اسهل في العمل وما نسخ الى الاشق فهو في الثواب اكثر الم تعلم ان الله على كل شيء قدير اي
بليغ القدرة على كل مقدور فهو يقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والاية دلت على جواز النسخ
وتاخير الانزال اما الاول فلان الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة واما الثاني فلان الايات نزلت

والاحكام شرعت لمصالح العباد و تكميل نفوسهم فضلا من الله و رحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب
المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واستدلت به المعتزلة على حدوث القران حيث قالوا النسخ هو رفع
او انتهاء ولا شئ منهما متصور في القديم لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه وبقوله واذ قال ربك للملائكة واذ ظرف زمان
ماض فيكون قوله الواقع في هذا الظرف مختصا بزمان معين والمختص بزمان معين محدث و بقوله حتى يسمع كلام الله
و بقوله انا انزلناه الى غير ذلك مما يدل على الحدوث والجواب عن هذه الوجوه انها تدل على حدوث اللفظ وهو
غير المتنازع فيه الم تعلم الخطاب للنبي عم والمراد هو وامته لقوله ومالكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبداء علمهم
ان الله له ملك السموات والارض لا لغيره اي قد علمت قطعا و يقينا بالعقل والوحي ان الله يختص به ملك العالم
خلقا وعلما فيتصرف في ملكه كيف يشاء وهذا بمنزلة الدليل على قوله ان الله على كل شئ قدير وعلى جواز النسخ
ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فهو يملك اموركم و يجريها على ما يصلح لكم وهو اعلم
بما يتعبدكم به من ناسخ و منسوخ الولي قيل معناه الحافظ للولاية اي النصرة فمعناه المحب الناصر وقيل المتولي
للامر والقايم به والنصير مبالغة في النصرة و معنى نصرته انه يقمع اعداء الله و ينصر اولياءه قال الله تعالى
فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقيل الفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن
النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه وهذا ليس بمناسب للمقام جدا لان الكلام
في ولاية الله ونصرته ولا يتصور الضعف هنا كما لا فادته التغير ولا تغير في ذات الله وصفاته ام تريدون ان
تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل واعلم انه تعالى لما بين انه هو مالك الامور كلها و لا مدبر سواه ورد على اليهود
طعنهم في النسخ وعمم الخطاب للكل بقوله الم تعلم اراد ان يوصي المسلمين بالثقة بالله فيما ينزل عليهم من الايات
والاحكام وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم
ارنا الله جهرة اجعل لنا الها وغير ذلك وانما ذكر التوصية بلفظ ام المنقطعة بمعنى بل والهمزة الانكارية مبالغة
في النهي حتى كانهم كانوا بصدد الارادة فنهوا عن الارادة فضلا عن السؤال يعني ان من شان العاقل ان لا يتصدى
للارادة مثل ذلك و قوله كما سئل موسى بلفظ المجهول ترشيح لهذا المعنى بمعنى ان من يسال مثل هذا السؤال حقيق بان
يصان عن ارادة المقال والا فالمناسب ان يشبه سؤالهم بسؤال قوم او سؤال بني اسرائيل موسى عم على المصدر
المبني للمفعول ويحتمل ان تكون ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا ان الله مالك الامور قادر على الاشياء كلها
يامر و ينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى قيل نزلت في اهل الكتاب
حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقراه
وعن الضحاك انه قال دخل جماعة من كفار قريش فيهم ابو جهل فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت
نبيا فاكشف عنا الغطاء حتى نرى الله جهرة فنزلت ام تريدون وعن الزهري ان تسالوا رسولكم كما
سيل موسى وعن ابي جعفر والاعمش كما سيل بضم السين وكسر الياء غير مهموز ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد
ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى
وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تسالوا رسولكم كالاشياء التي يسالها موسى عم ولا تقترحوا

فقد ضل سواء السبيل و يؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبدل الكفر بالايمان وقد عرفت مما ذكرنا ان ما في كما سئل
على وجهين احدهما ان تكون مصدرية في موضع المفعول المطلق والثاني ان تكون موصولة وكما في موضع المفعول لتسالوا
اي مثل الاشياء التي يسالها موسى عم وقرئ و من يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب روي ان فنحاص بن عازورا
وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم
على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدي منكم سبيلا فقال عمار بن كيف نقض العهد فيكم قالوا
شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود واما هذا فقد صبا وقال
حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين
اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت ود كثير لو يردونكم من
بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم متعلق بود على معنى انه
كثيرا منهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل
مع الحق او متعلق بحسدا و وجه ان يكون مستقرا صفة له اي حسدا كائنا من عند انفسهم بمعنى متبالغا منبعثا
من اصل نفوسهم والفرق بين الحسد والغبط ظاهر فان الاول ارادة العدم والثاني ارادة الوجود من بعد ما تبين
لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التورية وقرا زيد بن علي ما تبين لهم فاعفوا واصفحوا العفو ترك
عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره الذي هو الاذن في قتل بني قريظة واجلاء بني النضير
واذلالهم بضرب الجزية عليهم وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف قيل وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله
على كل شئ قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر
والمخالفة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير من حسنة صلوة او صدقة او
غيرهما وقرئ يقدم من اقدم و قرا زيد بن علي فما تقدموا بالفاء تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله
بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا البصير هو الذي يشاهد و يرى حتى لا يعزب عنه ما تحت
الثرى وابصاره منعال عن ان يكون بالة وانطباع وفيه تحقيق سيتلى عليك ان شاء الله تعالى وقالوا عطف على ود الضمير
لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ذكر الفريقان على الاجمال بالضمير
العائد اليهما وهو في قالوا ثم ذكر ما لكل منهما اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى
لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين الفريقين او القولين اجمالا لعدم الالتباس والثقة بان السامع يرد
الى كل فريق قوله او كل قول مقوله للعلم بتضليل كل فريق صاحبه واعتقاده ان داخل الجنة هو لا صاحبه ونحو قوله تعالى
وقالوا كونوا هودا او نصارى فان اللف بطريق الجمع وكان المناسب ان تكون النشر كذلك لان رد السامع مقول كل
فريق الى صاحبه فيما اذا كان الامران مقولين وكلمة او لا تفيد الا مقولية احدهما واجيب بان مقول المجموع لم يكن
دخول الفريقين بل دخول احدهما لكن بعضهم هذا بالتعيين و بعضهم ذلك بالتعيين وهود جمع هائد كعوذ وعائذ
وبزل وبازل وتوحيد الاسم المضمر في كان وجمع خبره بالنظر الى لفظ من و معناها كقراءة الحسن الا من هو صال الجحيم
وقوله فان له نار جهنم خالدين فيها وقرا ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا وقرا عبيد بن عمير و زيد لن يدخلوا

الجنة بواو الجمع وعن الخليل لن يدخل بضم الياء تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير
من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم وقيل اشارة الى ما في الاية على حذف مضاف اي امثال تلك الامنية
امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة وعن الحسن وابي جعفر امانيهم باسكان الياء قل
هاتوا برهانكم البرهان في الاصل بيان الحجة وايضاحها وهو مشتق من البرهرهة وهي البيضاء من الجواري كما اشتق السلطان
من السليط لاضاءته ثم قيل للحجة برهان اي هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى من جهة المعنى لان طلب البرهان يكون متعلقا بالدعوى والدعوى ليست الا هذا فالاعتراض يكون بين كلامين
متصلين معنى ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى احضر بلى
اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة اي بلى يدخل الجنة غيركم فهو رد لما قالوا من اسلم وجهه لله اي جعل وجهه سالما لله خالصا
واصله الجزء وكثيرا ما يطلق على النفس والذات وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا عند ربه
لا يضيع عمل عامل وهذه الجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون بلى
وحده ردا لقولهم ويحسن الوقف عليه ويحتمل ان يكون من فاعل فعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره
كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في النزع والقبر والاخرة فيبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي على امر يصح ويعتد به قالوا هذا عظيمة
لان المحال يقع عليه اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشيء على ما هم عليه فقد ترك الاعتداد به الى حد ليس بعده حد وهذا
كقولهم اقل من لا شيء واطلاق لفظ الشيء على المحال مبني على تفسيره المنقول عن سيبويه وهو ما يصح ان يعلم ويخبر عنه نزلت
لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم وتقاولوا بذلك فكفرت
اليهود بعيسى والانجيل وكفرت النصارى بموسى والتورية وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك
والحال انهم اهل العلم والكتاب كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به مثل قولهم قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اي قال الجهلة الذين
لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة وهم الذين لا يثبتون الصانع وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل
لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء اجيب بانهم لم يقصدوا ذلك وانما قصدوا به كل فريق ابطال
دين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين اليهود
والنصارى يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق بما يليق به من العذاب والعقاب وعن الحسن حكم الله
بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله من عامة لكل من خرب مسجدا او يسعى في تعطيل مكان
مرشح للصلوة وان نزلت في الروم لما غزوا اهل بيت المقدس وخربوه ومنعوا الناس ان يصلوا فيه وقتلوا وسبوا واحرقوا
التورية او في المشركين لما منعوا رسول الله صلعم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان خصوص السبب لا يستلزم خصوص
الحكم والحديبية بتخفيف الياء الاخيرة وقد تشدد موضع قريب من مكة ونحوه قوله عز من قائل ويل لكل همزة لمزة والمنزول في
الاخنس بن شريق وقرا الضحاك مسجد الله كانه اراد بيت الله ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع يقال منعته الشيء و
منعته عنه ومنه ويجوز ان تحذف حرف الجر مع ان قياسا مطردا وذلك ان تجعله مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر فيها
اسمه قيل اذا جعل مفعولا له فالمفعول الثاني محذوف اي العمارة فيها او نحو ذلك وقيل حينئذ تكون مساجد الله ممنوعا عنها

والمفعول

والمفعول الاول محذوف اي منع الناس عن المساجد كراهة ان يذكر فيها ثم قال وعلى هذا لو جعل بدلا عن مساجد الله بدل الاشتمال
لكان اظهر وقال القايل المأول وقيل الاول محذوف اي منع الناس مساجد الله بلا تقدير عن ثم قال وليس تقدير الكراهة من جهة
ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل مقارنا له فيصح حذف اللام لانه جائز مع ان وان بدون ذلك بل من جهة ان المفعول له
اما غاية يقصد بالفعل حصوله او باعث يكون علة للاقدام على الفعل والذكر في المستقبل ليس واحدا منهما وانما الباعث
كراهة الذكر وقد يقال ان ذكر الارادة او الكراهة في امثال هذه المواضع بيان للمعنى لا تحقيق انها على حذف المضاف
فان قيل اليس المشرك اظلم ممن منع مساجد الله اجيب بان المانع من ذكر الله تم في خراب المساجد لا يكون الا كافرا متبالغا
في الكفر لا اظلم منه في الناس او المراد من المانعين الكفرة لان الكلام فيهم لكن يحمل على عموم الكافر المانع ولا يخص المانعين
الذين فيهم نزلت الاية لما صرح بعموم المساجد مع نزول الاية في مسجد خاص وهو بيت المقدس او المسجد الحرام وسعى
في خرابها بالهدم او التعطيل وانقطاع الذكر عنها اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما كان
ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا على حال التهيب
وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها والمعنى ما كان الواجب
الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في علم الله وقضائه يعني ان الله كتب في اللوح المحفوظ وحكم انه
ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز
وعده فانه لا يدخل بيت المقدس احد من اليهود والنصارى الا متنكرا مسارقة وقد وجدناه كذلك في زماننا هذا
وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريانا وقرا عبد الله
الا خيفا وهو مثل صيم وقيل ان اللفظ وان كان في صورة الخبر فهو في المعنى النهي عن تمكين الكفرة من الدخول والتخلية
بينهم وبين المسجد الحرام كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله واختلف الائمة في دخول الكافر المسجد فجوز ابو حنيفة
ومنعه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي وذلة بضرب الجزية وقيل
فتح مدائنهم قسطنطنية ورومية وعمورية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ومنعهم عن الخير ولله
المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب اي له الارض كلها لا يختص به بلد دون بلد فان منعتم ان تصلوا في المسجد
الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا وعن الضحاك ولله المشارق والمغارب فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم
التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة وذلك لان اين ظرف لا مفعول به فمفعول تولوا محذوف ولدلالة الكلام
على جواز التوجه الى اي جهة كانت فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها فان امكان التولية لا يختص بمسجد
او مكان او فثم ذاته التي هي قبلتكم الحقيقة اي عالم مطلع بما يفعل فيه وعن ابن عمر رض نزلت في صلوة المسافر
على الراحلة اينما توجهت وقال كان رسول الله يصلي على راحلته حيث توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم
فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا اخطاءهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة
ومن جعل الاية نازلة في صلوة الى اي جهة كانت او حملها على التولية للدعاء دون الصلوة لم يقدر التولية
مفعولا لكن لا يبقى لظرفية اينما كثير معنى ولا وجه لحمله على الجهة المتوجهة اليها بمعنى اي جهة توجهوا وجوههم
على ان يكون مفعولا به اذ هو لازم الظرفية لكن استعمال اينما توجهوا بمعنى الى اي جهة توجهوا شائع ذايع وقيل هي تولية

لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقرأ الحسن فاينما تَولّوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة
وفي حرف ابن مسعود ثم وجه الله بغير فاء ان الله واسع عليم واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على
عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والواسع من السعة وهي تضاف مرة الى العلم اذا اتسع واحاط بالمعلومات
واخرى الى الانعام اذا عم فالله احق باسم السعة اذ لا ساحل لبحر معلوماته ولا نهاية لنعمائه وآلائه فهو الواسع المطلق
الحقيقي وقالوا اتخذ الله ولدا الضمير لمن سبق ذكرهم من الكفرة فانها نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى
المسيح ابن الله والمشركون الملائكة بنات الله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهو ما عطف على قالت اليهود
او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد لا قتضائه التشبيه
والحاجة وسرعة الفناء الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم يتخذ ما يكون
لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوا واستدلال على فساده والمعنى
انه خالق جميع ما فيهما ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم عن تكوينه ومشيته
ومن كان بهذه الصفة لم يجانس فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس الوالد ويكون من جنسه وانما جاء بما الذي
لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
ونحوه سبحان ما سخركن لنا وقيل ان له ما في السموات والارض اشارة الى مقام الالوهية والعقلاء فيه بمنزلة الجمادات وكل
له قانتون اشارة الى مقام العبودية والجمادات فيه بمنزلة العقلاء فان قيل قد سبق ان ما يعم العقلاء وغيرهم فكيف قطع
القول بانه لغير العقلاء اجيب بان ذلك انما هو في موضع الابهام وانه اذا وقع التمييز فرق بين ما ومن وتنوين كل
عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما وانما لم يقدر المضاف اليه المحذوف كل واحد على ما هو الشائع في كل اذا كان منونا
لانه لا يناسب قانتون بلفظ الجمع ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون مقرون بالعبودية منكرون لما
اضافوا اليهم فيكون الزاما بعد اقامة الحجة قال بعضهم الاية مشتملة على فساد ما قالوا من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان
من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل مبدعهما وهو نظير بناء السميع في قول عمرو بن معديكرب امن ريحانة الداعي السميع
بمعنى المسمع وفيه نظر لانه لا يثبت لذلك والاستشهاد في البيت على ان الشاذ لا يصح القياس عليه ان ثبت واشتقاقه من بدع الشيء
فهو بديع نحو برع الرجل فهو بريع اي ظريف ذكي قيل وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال
مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون له ولد والابداع اختراع الشيء
لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير
وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اذا اراد شيئا كقوله
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والقضاء في التحقيق اتمام الشيء قولا كما في قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اي حكم
او فعلا كما في قوله تعالى فقضاهن سبع سموات اي خلقهن واتقن امرهن واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث
انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون ذهب اكثر المفسرين منهم الشيخ الامام علم الهدى ابو منصور رض الى ان هذا الكلام مجاز
عن سرعة الايجاد وسهولته على الله تعالى وكمال قدرته تمثيلا للغائب اعني تاثير قدرته في المراد بالشاهد اعني امر المطاع للمطيع

في حصول المامور به من غير امتناع ولا توقف ولا احتياج الى مزاولة عمل واستعمال آلة وليس ههنا قول ولا كلام وانما وجود الاشياء
بالخلق والتكوين مقرونا بالعلم والقدرة والارادة وذهب بعضهم الى انه حقيقة وان الله قد اجرى سنته في تكوين الاشياء
ان يكونها بهذه الكلمة وان لم يمتنع تكوينها بغيرها والمعنى يقول له احدث فيحدث عقيب هذا القول لكن المراد هو الكلام النفسي
المنزه عن الحروف والاصوات لا الكلام اللفظي المركب منهما لانه حادث فيحتاج الى خطاب آخر ويتسلسل لاستحالة قيام الصوت
والحروف بذات الله تعالى وعلى المذهبين اي سواء قوله كن فيكون مجازا او حقيقة يكون الوجود والحدوث مرادا من هذا الامر اعني
امر كن اما على المذهب الثاني فظاهر لان معناه احدث فيحدث اي كلما وجد الامر بالوجود تحقق الوجود عقيبه واما على المذهب
الاول فلانه جعل الامر قرينة الايجاد ومثل سرعة الايجاد بالتكلم بهذه الكلمة وترتب وجود المامور به عليها فلو لم يكن الوجود
مقصودا بامر كن لما صح هذا التمثيل لعدم الجامع اكد بهذا اعني بقوله فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون استبعاد الولادة المدلول
عليه بقوله سبحانه وفيه تقرير لمعنى الابداع واشارة الى حجة خامسة وهي ان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال
الاجسام في توالدها وقيل هو ان اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وقوله تعالى وفعله مستغن عن ذلك والسبب في هذه الضلالة
ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله
سبحانه وتعالى هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع
منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين والجهلة من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا
به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة وكلم موسى عم او يوحي الينا بانك رسوله استكبارا منهم وعتوا او تاتينا آية
حجة على صدقك جحودا لان يكون ما اتاهم من آيات الله تعالى آيات واستهانة بها وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم اي من
ابائهم السالفة مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم اي قلوب
هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد كقوله اتواصوا به وقرئ بتشديد الشين قال ابو حاتم لا يجوز لانه يصير تتشابهت ولا يجتمع
تاآن في اول فعل ماض قد بينا الآيات لقوم يوقنون ايقانا عن الانصاف انها آيات يجب قبولها واذعانها والاكتفاء بها عن
غيرها فان مجرد الايمان بدون اذعان وقبول بل مع استكبار واباء ليس بايمان وقيل يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون
الحقائق لا تعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا الخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عنادا
واستكبارا فانهم تيقنوا انها آيات واجبة القبول لكن لم يذعنوا عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق ملتبسا ومقترنا
بالقرآن او بالصدق او بالاسلام او بالعدل بشيرا ونذيرا اي مبشرا ومنذرا لا مكرها على الايمان فلا يضيق صدرك لاصرارهم
ومكابرتهم وتصميمهم على الكفر ولا يخفى ما فيه من التسلية والتسرية وقالوا كلاهما اي مبشرا للمؤمنين بالثواب ومنذرا
للكافرين والعصاة بالعذاب ولا يخفى ما فيه من الرد على من زعم ان فعيلا بمعنى مفعل ليس بثبت ولا تسال عن اصحاب
الجحيم ولا نسالك عنهم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت جهدك في دعوتهم كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب
وقرأ نافع ويعقوب لا تسال على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي اي ما فعل بهما والى اين انتهى امرهما فنهى
عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله تعالى وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف
فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو
فيه لفظاعته فلا تساله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره

فلا تسئل ويؤيده القراءة الاولى قراءة عبد الله لن تسئل وقراءة ابي وما تسئل لانهما جزان لكما انها خبر بخلاف القراءة الثانية
فانها نهي وتنصرها قراءة الاعرج ولا تسئل بضم التاء وجزم اللام والجحيم المتاجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى تتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا
مثل ذلك فحكى الله تعالى كلامهم عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو
الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه فانه انما هو الهوى بدليل قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع والهوى
راي تتبع الشهوة والهوى في الاصل ميل النفس الى الشيء ثم قيل ميلها الى الحرام ومن ثم قالوا هو الميل الى الشهوة والمستلذ
من غير داعية الشرع وصاحب الهوى هو المبتدع المايل الى ما يهواه في امر الدين وكثيرا ما يتادى الى الكفر والعياذ بالله ومن ثم قال
النبي عم الهوى ابغض اله عبد في الارض وقد سئل عم اي الجهاد افضل فقال جهادك هواك وفي الاية دلالة بينة على ان اتباع
الهوى يورث الخذلان من الله كما قال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ومن ههنا اتفقت كلمة اهل الحق قاطبة
على ان صاحب الهوى ان تادى هواه الى ان يجب اكفاره كغلاة الروافض والخوارج والمعتزلة والمجسمة فلا يقبل روايته في الحاديث
لانه كافر منشق عنه الاسلام واعلم ان الناس في الهوى على شعب ثلث منهم من يغلبه الهوى بحيث يملكه ولا يقدر ان يخالفه وهو
حال اكثرهم كما قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا الاية وهم الذين قال فيهم افرايت من اتخذ الهه هواه
اذ لا معنى للاله الا المعبود وهو المتمثل المتبوع امره واشارته فمن كان ميله في جميع اوقاته واطواره الى اغراضه البدنية واوطاره
فقد اتخذ الهه هواه ومنهم من يخالفه فتارة له وتارة عليه وان مات على هذه الحالة فهو من شهداء المجاهدين لكمال اشتغاله
بامتثال قوله عم جاهدوا اهواكم كما تجاهدوا اعداءكم والثالث من غلب هواه بحيث استولى عليه ولا يقهره بحال من الاحوال
وهذا هو افضل المراتب والخلاص عن الرق وبالجملة فالمراد بالهوى الشهوة المذمومة لا المحمودة وتمام تقريرهما في سورة مريم
بعد الذي جاءك من العلم من الوحي او الدين المعلوم صحته بالبراهين القاطعة لان الذي اوحي اليه هو المعلوم لا العلم نفسه
ما لك من الله من ولي ولا نصير ينفعك ويدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب يعني مومني اهل الكتاب
يتلونه حق تلاوته ولا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حال مقدرة والخبر ما بعده
قال عبد الله حق تلاوته ان يحلوا حلاله ويحرموا حرامه ويقراوه حق قراءته وقال مجاهد ان يتبعوه حق اتباعه اولئك يؤمنون به
اي بكتابهم دون المحرفين فان بناء الفعل على المبتدا وان كان اسما ظاهرا يفيد الاختصاص والحصر مثل الله يستهزئ بهم ومن يكفر به
من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الاية كرر ذكر النعم والقيام
بحقوقها تقريرا لها في النفوس ومبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة قصتهم والمقصود واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قيل كلفه
باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن
ترادفهما وقيل اخبره باوامر ونواه واختبار الله عبده لا يكون بطريق الحقيقة لان الاختبار حقيقة انما يصح فيمن خفي عليه
العواقب بل هو مجاز على طريق التمثيل شبه حال الله مع العبد في تمكينه من الامرين الطاعة والمعصية وارادة الطاعة
فيه بحال المختبر مع المختبر ثم عبر عنها بالاختبار كانه يمتحنه ليعلم اي شيء يفعل حتى يجازيه على حسب ذلك وقد يقال
انه مجاز باعتبار اطلاق الفعل على ارادة ما هو الغاية منه وهذا ما قال الراغب ان الابتلاء والبلاء يتضمن امرين
بعرف ما يجهل من حاله وظهر جودته ورداءته بعد وربما قصد الامران وربما قصد احدهما والى نسب الله تعالى فهو للامر الثاني

واذ فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل
ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون

وكانهم

وكانهم لم يجعلوه من ابتلاء الله تعالى بكذا اذا اصابه بما يكرهه ويشق عليه اما الان حمل الاوامر والنواهي على المحان وعدها
من البلايا اليس عتاب واما الانه ايضا اختبار فانه قد يكون بالخير وقد يكون بالشر والضمير في ربه لابراهيم والاضمار
قبل الذكر لفظا حسن صحيح واما تقدمه لفظا ومعنى كما لو قيل ابتلى ربه ابراهيم فلا سبيل الى صحته وقرا ابو حنيفة وهي
قراءة ابن عباس ابراهيم ربه برفع ابراهيم ونصب ربه على معنى انه دعا ربه بكلمات مثل كيف تحيي الموتى اجعل
هذا البلد امنا ليرى هل يجيبه اليه ام لا وقرا ابن عامر ابراهام فاتمهن المستكن فيه يجب ان يرجع الى مفعول ابتلى
لان الفعل الواقع في مقابلة الاختبار يجب ان يكون فعل المختبر اسم مفعول اي فاداهن كملا وقام بهن حق القيام
من غير تفريط وتوان كقوله وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي فاعطاه جميع ما دعاه وطلبه
لم ينقص منه شيئا ويؤيده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا امنا
واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا قال اني جاعلك للناس اماما استيناف على تقدير ان يكون عامل
اذ مضمرا سواء كان اذكر او غيره كانه قيل فماذا قال به ربه حين اتم الكلمات فاجيب بقوله اني جاعلك للناس اماما
واما اذا كان العامل في اذ قال اني جاعلك فانه يكون معمولا متاخرا والواو داخلة على قال عطفا على ما قبله عطف
القصة على القصة المشار اليها اجمالا بقوله يا بني اسرائيل اذكروا او بيان لقوله ابتلى وتفسير له فيراد بالكلمات
ما ذكره من الامور الاربعة لتحقق تعددها لا لمجرد القول باني جاعلك للناس اماما فانها واحدة لكن في دخول
الامور الاربعة وهي الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام في حيز قال خفاء لا يخفى وينبغي ان يعرف
ان هذا انما هو على الوجه الاول وعلى قراءة العامة وكذا الاستيناف ايضا انما هو عليها وقد يقال ان جواز البيان
يتاتى على الوجه الثاني ايضا فانه يجوز في تلك اعطاه حين اكرمه ان يكون اعطاؤه بيانا للاكرام فكذا في ذلك
قال له اني جاعلك حين ابتلاه وهذا وان استقام من حيث المعنى لكن لا يظهر به موقع قال سوى ان يكون
جملة معطوفة فلا يكون وجها اخر فلينا مل وقيل في الكلمات هن خمس في الراس الفرق وهو تفريق شعر الراس
الى الجانبين وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد وهو استعمال
الحديد لحلق العانة والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه من شرايع الاسلام بالخصال الثلثين
المحمودة المذكورة في القران عشر في البراءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر
في المؤمنون وسال سايل من قوله الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم على صلواتهم يحافظون فان قيل المذكور
في السورتين اربعة عشر ست في المؤمنون وثمانية في سال سايل واذا اسقط المكرر وجعل الدايمون على الصلوة
هم الحافظون عليها والذين هم في اموالهم حق معلوم غير الفاعلين للزكوة لشمول ما يوصل به الاقارب والاباعد
ليرجع ما في السورتين الى عشر لم يتحقق في كل من البراءة والاحزاب عشر لتكرر المؤمنين اجيب بانه يجوز ان يجعل
الدايمون ايضا غير الحافظين او يجعل الراعون للامانات والعهد اثنين ليتحقق في السورتين احد عشر وفي براءة
والاحزاب تسعة عشر فيصير المجموع ثلثين لكن لا يبقى ح من براءة والاحزاب عشر وقيل هي مناسك الحج كالطواف
والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر والختان وذبح ابنه والنار
والهجرة وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به اسم الالة فان فعالا من صيغ الالة كالازار

والرداء وغير ذلك وامامة ابراهيم ع م عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال
ومن ذريتي عطف على الكاف في جاعلك فان الاضافة اللفظية في تقدير الانفصال ومن تبعيضية كانه قال وجاعل بعض
ذريتي كما يقال ساكرمك فتقول وزيدا اي وتكرم زيدا وهذا يتم بعطف التلقين لانه يريد تلقينه ذلك والذرية
نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت واوها الثالثة ياء كما في تقضى من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت
همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ وذريتي بكسر الذال وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه
ولا يخفى ما فيه من التنبيه على ان منهم ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة الله وعهده والظالم لا يصلح
لها وانما ينالها من كان براء تقيا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر
قبل البعثة وعلى ان الفاسق لا يصلح للامامة ووجه دلالة الآية على ان الظالم لا يصلح للامامة والخلافة ابتداء ظاهرا
واما انه لا يصلح لذلك بحيث ينعزل بطريان الظلم فلانه قد ظهر الظلم وانتشر الفسق من الائمة والولاة والامراء بعد
الخلفاء الراشدين والسلف كانوا ينقادون لهم ويقيمون الجمع والاعياد باذنهم لان العصمة ليست بشرط للامامة ابتداء
فبقاء اولى وعن الشافعي ان الامام ينعزل بالفسق والجور وكذا كل قاض وامير فان الفاسق ليس من اهل الولاية عند
الشافعي لانه لا ينظر الى نفسه فكيف ينظر الى غيره وعند ابي حنيفة من اهل الولاية حتى يصح للاب الفاسق تزويج ابنته
الصغيرة والمسطور في كتب الشافعية ان القاضي ينعزل بالفسق بخلاف الامام والفرق ان في انعزاله ووجوب
نصب غيره اثارة الفتنة لما له من الشوكة بخلاف القاضي وفي النوادر عن العلماء الثلثة انه لا يجوز قضاء الفاسق
وقال بعض المشايخ اذا قلد الفاسق ابتداء يصح ولو قلد وهو عدل ينعزل بالفسق لان المقلد اعتمد عدالته فلم
يرض بقضائه بدونها واجمعوا على انه اذا اخذ القاضي القضاء بالرشوة لا يصير قاضيا ولو قضى لا ينفذ قضاؤه
وانه اذا ارتشى لا ينفذ قضاؤه فيما ارتشى وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت
والبيت اسم غلب على الكعبة كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار واشباههم فان الزوار
يثوبون اليه باعيانهم وانفسهم او باشباههم وانباههم ومن يقوم مقام انفسهم لظهور ان الزائر ربما
لا يثوب بل قلما يثوب لكن صح اسناد الثواب الى الكل لاتحادهم في الاسلام وقصد الحج والعمرة والناس للجنس ولا
دلالة على ان كل فرد يزور فضلا عن التوبة او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة لكل
من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد وامنا وموضع امن كقوله تعالى حرما آمنا ويتخطف الناس
من حولهم لانه يامن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يواخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج
ولا خفاء في ان وصف الحرم بكونه امنا اسم فاعل مجاز لان الامن هو الساكن والملتجئ وكذا اذا جعل قوله امنا على لفظ
المصدر بمعنى اسم الفاعل او جعل البيت لفرط الامن عنده كانه الامن نفسه نحو فانما هي اقبال وادبار اما على الاول
فلا مجاز واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم
وهو امر على وجه الاستحباب دون الوجوب بدليل الآتين على جواز الصلوة والتولية شطر المسجد الحرام في اي مكان
اتفق من غير تفرقة بين المكتوبة وغيرها ونزول الآية بعد سوال عمر رضه ربما يشعر بوجوب ان يوثر بالصلوة
فيه لكن الاجماع يدفعه وذلك ان النبي ع م اخذ بيد عمر رضه فقال يا عمر هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى

يريد

يريد افلا نوثره لفضله بالصلوة فيه تبركا وتيمنا بموطئ قدم ابراهيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم اومر بذلك
فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روي جابر انه ع م استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى
اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي
في وجوبهما قولان ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج
او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم وقيل مقام ابرهيم الحرم كله لانه كان اتخذه مقاما ومسكنا حيث كان اسكن فيه
ذريته فعلى هذا القول معنى الامر استحباب اداء العبادات فيه او وجوب التوجه اليه للافاقي كما في قراءة واتخذوا
بلفظ الماضي فانه ليس بمعنى ان الناس كانوا يصلون فيه بل اليه وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب
الى الله تعالى وقرأ الخليل مقام بضم الميم من الاقامة وقرأ مالك بن دينار ابرهيم بغير الف في سورة البقرة والجحدري
ابراهيم كلما في البقرة وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويحتمل ان تكون مفسرة لتضمين العهد
معنى القول يعني طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا تغشيه غيرهم
للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده وهم المجاورون اقاموا لا يبرحون او المعتكفين يقال عكف على الشيء اي اقام
مواظبا وكل من المجاور والمعتكف مقيم مواظب وفيه دلالة على جواز المجاورة وصحتها في المسجد الحرام او الواقفين يعني
القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع
والسجود هيئات المصلي قال بعضهم واما جعله بمعنى الواقفين فكانه عكفوا حول الشيء استداروا والا فالعكف انما
يكون بمعنى الوقف المتعدي يقال عكفه اي حبسه ووقفه فيه ومنه قوله تعالى والهدي معكوفا والركع السجود اي
المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا امنا ذا امن فيكون من باب
النسب كلابن وتامر وعيشة راضية فيمن جعلها بمعنى ذات رضى لا بمعنى مرضية اسناد المفعول الى الفاعل او امنا اهله
فيكون اسنادا الى المكان مجازا كما في ليل نائم الى الزمان وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر
ومن آمن بدل من اهله بدل البعض للتخصيص يعني وارزق المومنين من اهله خاصة قال ومن كفر عطف على من آمن
عطف تلقين كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك كانه قال قل وارزق من كفر ايضا فانه محل وما قيل من ان
المعنى وارزق من كفر بلفظ التكلم تقرير للمعنى لا تقرير للفظ والاحسن ان تكون عطفا على محذوف اي ارزق من آمن
ومن كفر بلفظ الخبر واجعلني اماما وبعض ذريتي بلفظ الامر فيحصل التناسب وتكون المعطوف والمعطوف عليه مقول
واحد او مبتدأ تضمن معنى الشرط وقوله فامتعه قليلا اي ومن كفر فانا امتعه قليلا وانما قدر المبتدأ ليصح الفاء وقليلا
فامتعه قليلا نصب على المصدر او الظرف والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب لتقليله بان يجعل مقصورا
بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر
الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه لكفره وتضييعه ما متعته من النعم وقرأ مجاهد امتعه بغير فاء وقرئ
فنمتعه على الدعاء وقرأ ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة على لغة يعلم
واعلم وهي فاشية وقرأ ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فهما على انه من دعاء ابراهيم عليه السلام
وضمير قال له اي قال ابرهيم بعد مسألته اختصاص المومنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره قال ابن جني

وحسن اعادة لطول الكلام وللانتقال من دعاء قوم الى دعاء اخرين و يجوز ان يكون ضمير قال لله اي فامتعه يا قادر
يا رزاق خطابا لنفسه على طريق التجريد فلم يشوش كثير منهم لبعده و قرأ ابن محيصن فاطّره بادغام الضاد في الطاء
كما قالوا اطّجع و هو ضعيف لان حروف ضمّ شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس و بئس المصير المخصوص بالذم محذوف
وهو عذاب النار واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية كانه قال اذ كان يرفع والقواعد جمع قاعدة
وهي الاساس والاصل لما فوقه و هي صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ومنه قعدك الله اي اسال الله ان يقعدك
اي يثبتك و رفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع و يجوز ان يراد بها ساقات البناء
اي الصفوف من اللبن والطين لان كل ساف قاعدة لما يوضع فوقه و برفعها بناؤها فانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد
رفع الساقات وقيل المراد رفعه مكانة واظهار شرفه بتعظيمه ودعا الناس الى حجه و في ابهام القواعد و تبيينها تفخيم
لشأنها وليس المراد بقوله و تبيينها ان من بيانية بل ابتدائية في موقع الحال من القواعد و يحتمل ان يكون المعنى واذ يرفع
ابرهيم ما قعد من البيت اي استوطأه جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء و روي انه كان موسسا
قبل ابرهيم فبنى على الاساس و روي ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء
فدحيت الارض من تحتها فلما هبط ادم عم الى الارض استوحش فشكى الى الله تعالى فانزل الله البيت ياقوتة من يواقيت الجنة
بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف به حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند
اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من ارض
الهند الى مكة على رجليه فكان ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله
امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد و لا تنقص
وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الاسود
من السماء و قيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وخبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما مسته الحيض
في الجاهلية اسود وعن ابن عباس رض انه نزل الحجر الاسود من الجنة و هو اشد بياضا فسودته خطايا ابن ادم واسمعيل
قيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة يشبه ان يكون تقديم القواعد على عطف اسمعيل اشارة الى هذا وقيل كانا
يبنيان في الطرفين او على التناوب ربنا تقبل اي يقولان ربنا و هذا الفعل في محل النصب على الحال و قد اظهره عبد الله
في قراءته و معناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع العليم لدعائنا العليم بنياتنا و فيه ارشاد الى ان الاصل
في العمل الفعل و في الحال المفرد انك انت السميع العليم و قد قيد كثير منهم السميع بدعائنا والعليم بضمائرنا و نياتنا
ليرتبطا بما قبله وكان الانسب ان يقال انت السميع فتسمع دعائنا والعليم فتعلم ضمائرنا و تكرير الضمير بعد ايقاعه
اسما لان تاكيد على تاكيد بمعنى اختصاص الله تعالى بالسمع المتضمن بمعنى الاجابة من سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به
و قبله ومنه سمع الله لمن حمده ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك وجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين
يقال اسلم له و سلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك طلب الزيادة فيهما لان
اصلهما حاصل وقرئ مسلمين بصيغة الجمع على ان المراد انفسهما وهاجرا وان التثنية في حكم الجمع و من مراتبه وذكر
في الاصول ان اطلاق الجمع على الاثنين مجاز بطريق اطلاق اسم الكل على البعض او تشبيه الواحد بالكثير في العظم والخطر

كما اطلق

١ كما اطلق الجمع على الواحد تعظيما في مثل قوله تعالى وانا له لحافظون مع ان الاتفاق على ان الجمع لا يطلق على الواحد حقيقة وقد
ذهب بعضهم الى ان اقل الجمع اثنان حتى لو حلف لا يتزوج نساء يحنث بتزوج امراتين وايضا في التثنية ضم شيء الى شيء وهو
١١ معنى الجمع لغة فجاز اطلاق صيغة الجمع عليها لهذه المناسبة ومن ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض اي واجعل بعض
ذريتنا امة مسلمة وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا لانهم اذا
صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير فان المقدمين سيما اولاد الانبياء اذا كانوا على السداد يتسببون لسداد
من وراءهم وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص
والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش المعاش ومن ثم قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله
عليه وسلم ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف
كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قيل ولما كان الانسب في مثل هذا الدعاء ان لا يقتصر على البعض من الذرية
جوز كون من للتبيين ولم يقطع به لان من البيانية مع المجرور يكون ابدا من تتمة المبين بمنزلة صفة او حال ولم يعهد
كونه خبرا عنه مثل الرجس من الاوثان بمعنى هي الاوثان فلا يختص سوى ان يقال المعنى امة مسلمة من ذريتنا على
التعدي الى مفعول واحد او على ان يكون امة مسلمة مفعول جعل و قرأ زيد بن ثابت ذريتنا ذرية بكسر الذال في جميع
القران وارنا مناسكنا منقول من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج
او عرفناها وقيل مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ يعقوب
وابن كثير ارنا بسكون الراء قياسا على فخذ من فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها
فاسقاطها اجحاف فان الاصل ارئينا كارعنا وقرأ ابو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا
استتابة لذريتهما على حذف المضاف اي تب على ذريتنا او تعبيرا عن الفروع والاتباع بالاصل او عما فرط منهما
سهوا او قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما ولغيرهم انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم
اي في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك و هو في اخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا
صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال عم انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي رات في المنام
انها وضعت نورا اضاء بها قصور الشام من بصرى يتلو عليهم اياتك يقرأ عليهم و يبلغهم ما يوحى اليه من دلائل
التوحيد وصدق ما نبعث فيهم ويعلمهم الكتاب القران والحكمة هي علم الشرائع و كل كلام وافق الحق و يزكيهم
و يطهرهم عن الشرك والمعاصي والارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث و قرأ زيد بن علي وعبيد
بن عمير و يعلمهم بجزم الميم و يزكهم بغير ياء ردا الى قوله وابعث فيهم و لم يذكروا في يتلو شيئا و يلزمهم ان
يقرؤا انك انت العزيز الحكيم قالوا في اشتقاق العزيز وجوه الاول انه بمعنى لا مثل له و لا نظير له من عز الشيء
يعز بكسر العين في المضارع و منه عز الطعام في البلد اذا تعذر وجوده كانه عز وامتنع وجدان مثله والله
تعالى هو الذي يمتنع عقلا ان يكون له مثل ونظير فهو احق بالعزة و قيل معنى العزيز الذي لا اب له ولا ام وقيل
لا يحط عن منزلته و يقرب من هذا تفسيره بالذي لا يرام او الذي لا يخالف او الذي لا يخوف بالتهديد و قيل ينفذ
من اراد و قيل عليه ثواب العاملين الثاني انه بمعنى الغالب فانه تعالى هو الغالب الذي يمتنع ان يقهر و يغلب على

مايريد من عزّ يعزُّ بضم العين في المضارع اي غلب يغلب الثالث انه بمعنى الشديد من عزّ يعَزّ بفتح العين اذا اشتدّ
وقوي ومنه قوله تع فعززنا بثالث اي شددنا وقوينا الرابع انه بمعنى المعز فعيل بمعنى مفعل كالاليم بمعنى المولم
والبديع بمعنى المبدع على ماهو راي البعض وقيل العزيز هو الذي يقلّ وجوده مثله ويشتدّ الحاجة اليه ويصعب الوصول
اليه فالم يجتمع هذه المعاني الثلثة لم يطلق اسم العزيز عليه واما من اجتمعت فيه فهو العزيز وليس ذلك الا الله تع
واما الحكيم فقيل معناه ذو الحكمة وهي العلم بالاشياء على ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغي وقيل بمعنى المحكم
من الاحكام وهو اتقان التدبير في الاشياء واحسان التقدير لها وقيل هو عبارة عن كونه تع مقدسا عن فعل ما لا ينبغي
قال الله تع وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا وقيل الحكيم هو الذي يكون مصيبا في التقدير مختارا في التدبير
وقيل الذي ليس عنه اعراض ولا على فعله اعتراض ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون احد
يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملته الغراء اي لا يرغب عن ملته الا من سفه نفسه الا من استهانها واذلها
واستخف بها والمستثنى في محل الرفع على انه بدل من ضمير يرغب لان من يرغب غير موجب اذ الاستفهام في معنى
النفي كقولك هل جاءك احد الا زيد وهذا على الوجه المختار والا فالنصب على الاستثناء قال المبرد وثعلب سفه
بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد به ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه
على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وبطر عيشه اذ يجوز تعريف التمييز بالاضافة على الشذوذ
كما جاز باللام في قوله اجب الظهر ليس له سنام وقوله ولا بفزارة الشعر الرقابا وقيل منصوب بنزع الخافض والمعنى
سفه في نفسه كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول نقلا وعقلا اما الاول فظاهر واما الثاني فلان
المقصود من الاية ان من رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد اذل نفسه وبالغ في اهانتها وتحقيرها وتعجيزها
لمخالفة كل نفس عاقلة وقرا الخليل سفه بتشديد الفاء ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة
وبيان لخطاء راي من رغب عن ملته لان من كان صفوة العباد وخيرتهم في الدنيا مشهودا له بالصلاح والاستقامة
على الخير يوم القيمة لم يكن احد احق بالاتباع منه لا يرغب عن طريقته الا سفيه مبالغ في امتهان نفسه او متسفه
يذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والجملة جواب القسم المحذوف فتكون الواو اعتراضية او عاطفة اذ قال له ربه
اسلم ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت وتوسيط وانه في الاخرة لمن الصالحين عطفا على لقد اصطفينا
لا يابى ذلك لفظا لانها تقرير وتاكيد له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الاخرة ولا حاجة
الى ان يجعل اعتراضا او حالا مقدرة او تعليل له او منصوب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر
ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح والمستحق للاتباع والتقدم والامام المخلص الذي لا يرغب عن ملته
وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص الترجين قال له ربه اسلم واخطر بباله النظر في الدلائل المودية
الى المعرفة الداعية الى الاسلام وانما لم يجعل الظرف متعلقا بقال اسلمت على ما هو الظاهر من مثل اذ جاء زيد قام
قام عمرو لان الانسب حينئذ هو العطف يكون من غط واذ ابتلى ابرهيم ربه فدل ترك العطف على انه من تتمة ومن
يرغب الى الاخرة قال اسلمت لرب العالمين اي نظر وعرف وقيل اسلم اي استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما
وقيل اذعن واطع وقال عطاء اسلم نفسك الى الله وفوض امورك اليه قال اسلمت اي فوضت قال ابن عباس

وقد حقق

وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين القي في النار وانما لم يحمل قال له اسلم واسلمت على الحقيقة اعني
احداث الاسلام والايمان لان الانبياء معصومون عن الكفر قبل النبوة وبعدها ولانه لا يتصور الوحي والاستنباء
قبل الاسلام روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى
قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يومن به فهو
ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت الاية اعني ومن يرغب الخ ووصى بها ابرهيم بنيه التوصية هي التقدم
الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله
بفعل الوصي وليس هذا بمراد ههنا بل القول الجزل ان وصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه والمعنى وصيهم بكلمة
التوحيد اي امرهم بها يقال وصيت زيدا بان يفعل كذا كما يقال امرته بان يفعل كذا ومنه بيت الاصلاح ذ سانية وصت
بنيها بان كذب القراطف والقروق وقرا نافع وابن عامر واوصى وهو في مصحف اهل الحجاز والشام وقرا الباقون
ووصى وهو ابلغ منه لانه انما يكون مرات كثيرة والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة او الجملة
وقيل الضمير للملة قيل وفيه نظر لان قوله ووصى عطف على قال اسلمت فالمعنى قال ذلك في حق نفسه ووصى بها بنيه
بان يذكروه حكاية عن انفسهم وكون قال اسلمت في معنى نظر وعرف لا ينافي تكلمه بهذه الكلمة ظاهرا وفي نفسه
ولو سلم فلا يمتنع عود الضمير الى اللفظ الحقيقي مع الاختلاف في المعنى حقيقة ومجازا بل يجوز ولو لم يقصد المعنى اصلا
هذا ولكن ترك المضمر الى المظهر اعني ابرهيم ربما يرجح العطف على الكلام الاسبق فيكون الضمير للملة وكذا عطف
ويعقوب على ابرهيم فليتامل وفي حرف عبد الله فوصى بالفاء ويعقوب وقال مقاتل ووصى بها ابرهيم بنيه
الاربع اسمعيل واسحق ومدين ومداين ثم وصى بها يعقوب بنيه وهم اثنا عشر ابنا روبيل وشمعون ويهودا و
مقيال ولاوي وزبالون ويشاخر ودان واستر قفا وحاد ويوسف وابن يامين وذلك حين دخل مصر ورآهم
يعبدون فوصى بنيه ان يثبتوا على الاسلام وقرئ ويعقوبَ بالنصب عطفا على بنيه على انه ممن وصاه ابرهيم
وقيل بنوه ثمانية وقيل اربعة وعشرون يا بني على اضمار القول عند البصريين واما الكوفيون على انه متعلق
بوصى لانه في معنى القول ونظيره قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو بتقدير
القول وقد يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني واعترض على ما ذهب اليه الكوفيون
من جعل وصى في معنى القول بان التوصية قول خاص فان اريد بها مطلق القول مجازا لم يكن لايراد الباء وجه
وان اريد بها معناها الخاص لم يتعلق به يا بني بشهادة المعنى اجيب بان المراد الخاص المقتضي لتلك الصلة وتعلق
به يا بني نظرا الى القول المطلق المندرج تحت ذلك الخاص فيه تكلف فالصواب تقدير القول ان الله اصطفى لكم الدين
اختار لكم الدين الذي صفوة الاديان وخيرتها وهو دين الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون معناه فلا يكن
موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن ان يكونوا على خلاف حال الاسلام اذا
ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فليس المقصود النهي عن الصلوة بل عن ترك الخشوع في حال الصلوة
وكذلك ههنا ليس المقصود النهي عن الموت في حال غير الاسلام لان الموت ليس الا بعقد ومع انه كائن البتة
بل المقصود النهي عن القيد وهو كونهم على خلاف حال الاسلام لكونه مقدورا والنكتة في النهي عن الموت ان موتهم

لا على الاسلام لانه لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم و نظيره في الامر مت وانت شهيد فانه ليس المقصود الامر بالموت
بل بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منكر بميتته واظهارا لفضلها على غيرها
وانها جديرة بان يحث عليها و روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب
اوصى بنيه باليهودية يوم الموت فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت عطف على قوله ووصى بها ابرهيم
بنيه و يعقوب وام منقطعة لانها واقعة في الخبر فهي بمعنى بل والهمزة و معنى بل الاضراب عن الكلام الاول
لا بمعنى نفيه والحكم ببطلانه بل بمعنى الاخذ فيما هو الاهم وهو التحريض على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بانبائه
بعض معجزاته وهو الاخبار عن احوال بعض الانبياء السابقين من غير سماع من احد و لا قراءة من كتاب و معنى
الهمزة الانكار بمعنى لم يكن اي ما كنتم حاضرين وقت احتضار يعقوب وما شاهدتم تلك الاحوال ولا سمعتم تلك
الاقوال وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي والخطاب للمؤمنين ولا شبهة في انهم ما كانوا حاضرين ذلك
وقيل الخطاب لليهود حيث قالوا ما مات نبي الا على اليهودية و قالوا للنبي عم الم تعلم ان يعقوب يوم مات
وصى بنيه باليهودية الا انهم لو شهدوا ذلك الوقت وسمعوا وصية اسحاق لظهر لهم كونه على ملة الاسلام ووصيته
لبنيه بذلك فالاية منافية لقولهم فكيف يقال في مقام الرد عليهم والانكار لقولهم اكنتم حاضرين حين وصى
يعقوب بما يناسب دعوتكم بل ينبغي ان يقال اكنتم حاضرين حين وصى باليهودية وبما يحقق دعوتكم فالوجه ان يكون
ام متصلة بمحذوف قبلها تقديره اكنتم غايبين ام كنتم شاهدين او اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء
اذ حضر يعقوب الموت اي كانت اوايلكم حاضرين حين وصى بنيه بملة الاسلام والتوحيد وانتم عالمون بذلك فما لكم
تدعون على الانبياء اليهودية التي هم براء منها و قرئ حضر بكسر الضاد اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ولا يجوز
ان يكون متعلقا بقالوا نعبد لاختلال النظم واختلال الربط ما تعبدون من بعدي و ما لتعميم الاشياء من اولي العلم
وغيرهم و لهذا قالوا من لما يعقل فاذا علم الحال بان هذا من اولي العلم وذلك من غيرهم فرق بما ومن والمعنى اي شئ
تعبدون او اي من في الوجود تؤثرونه للعبادة ويحتمل ان يكون سؤالا عن وصف المعبود كما تقول ما زيد تريد اكريم
ام فاضل مثلا قالوا نعبد الهك واله اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق والاعلام الثلث عطف بيان لاباءك وعد اسمعيل
وهو عمه من اباءه تغليبا للاب اولان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما
كقوله عم عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة كما قال في العباس رض هذا بقية
اباءي وقال ردوا على ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود قال ذلك حين بعث العباس
قبل عام الفتح الى مكة فابطاء عليه وقيل عام فتح مكة حيث قال له امض الى قومك فادعهم الى الهداية قبل القتال
فركب بغلة النبي عم وانطلق فلما ابعد قال لاصحابه ردوا على ابي وفي رواية لعلهم يصنعون ما صنعت ثقيف بعروة
بن مسعود دعاهم الى الله فقتلوه والله لا استبقي منهم احدا ثم جاء العباس ففرح به رسول الله صلى الله عليه
وسلم واما حديث عروة فهو انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم استاذن ان يرجع الى قومه فقال عم
اني اخاف ان يقتلوك قال لو وجدوني نايما ما ايقظوني فرجع الى الطايف فقدم عشيا فجاءته ثقيف بتحيته فدعاهم الى
الاسلام ونصح لهم فاتهموه وعصوه واسمعوه من الاذى ما لم يكن يخشاهم عليه فخرج من عنده حتى اذا اسحروا وطلع

الفجر

الفجر قام على غرفة له في داره فاذن بالصلوة وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله قال عم حين بلغه قتله مثل عروة
مثل صاحب ياسين دعا قومه الى الله فقتلوه يريد بصاحب ياسين حبيب النجار وقرء ابي واله ابرهيم بطرح اباءك
وقرء الحسن واله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال وفدينا بالابينا جمع اب والالف للاشباع وفي الاية قد
سقطت النون بالاضافة او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان له وقرء يحيى بن يعمر واله ابائك بالرفع على وهو اكثر
ابيك الها واحدا بدل من اله ابائك تحقيقا على الوحدانية ودفعا لما عسى يتوهم من قولهم الهك واله ابائك من التعدد
وانما الاعادة ليتاتي العطف على الضمير المجرور ونظيره قوله بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص اي نريد
بالاله ابائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما او عطف على نعبد والعدول الى
الاسمية للدوام والثبوت مع رعاية الفاصلة او اعتراض مؤكد اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد
او مذعنون تلك امة قد خلت اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم و يعقوب و بنوهما الموحدون والامة
اما بمعنى ماموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير و بمعنى مؤتم به كالنخبة والرحلة وما شاكل ذلك مما جاء
من فعلة بمعنى مفعول وقال الجوهري الامة الجماعة قال الاخفش هو في اللفظ واحد وفي المعنى جمع وكل جنس من الحيوان
امة والامة القامة قال الاعشى حسان الوجوه طوال الامم والامة الطريقة في الدين يقال فلان لا امة له اي لا دين
له ولا نحلة له وقوله تعالى كنتم خير امة قال الاخفش يريد خير اهل دين و يجئ بمعنى الحين ومنه قوله وادكر بعد امة لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم من قصر المسند على المسند اليه اي لها كسبها لا كسب غيرها ولكم كسبكم لا كسب غيركم والحاصل انه احدا
لا ينفعه كسب غيره و مجرد الانتساب الى الانبياء لا يوجب الانتفاع باعمالهم وانما ينتفع الشخص باتباعهم كما قال عم
لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم اي لا يكن من الناس الاتيان بالاعمال ومنكم بالانساب والجملة اما صفة
او حال او استيناف ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنتفعون بحسناتهم وذلك ان اليهود
والنصارى افتخروا باوايلهم وكانوا يقولون نحن على دينهم فقال لهم تلك امة الاية لا تقدرون عليهم حتى يشهدوا
لكم فلهم ما عملوا ولكم ما عملتم انما ينظر اليوم الى الاعمال ولا ينفعكم من اعمالهم شيا وقالوا كونوا هودا او نصارى
الضمير في قالوا لاهل الكتاب او للتنويع والمعنى قال كل منهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت
النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابرهيم اي بل نكون ملة اي اهل ملته كقول لعدي بن حاتم
اني من دين يعني من اهل دين او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او امرنا ملته او نحن
ملته بمعنى اهل ملته حنيفا حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا واعلم
انهم اتفقوا على صحة وقوع الحال من المضاف اليه اذا كان المضاف جزءا من المضاف اليه او بمنزلة الجزء بحيث يصح
قيامه مقامه نحو اتبعوا ابرهيم اذا اتبعوا ملته ومنه قولك رايت وجه هند قايمة فاختلف في مثل عامل هذا الحال
فقيل معنى الاضافة لما فيه من معنى الفعل المشعر به حرف الجر كانه قيل ملة ثبت لابرهيم حنيفا والمحققون على ان عامله
عامل المضاف لما بينهما من الاتحاد بالوجه المذكور والحنيف المائل عن الباطل الى الحق والحنف الميل في القدمين
بفتح العين فيهما وتحنف اذا مال ولكنا خلقنا او خلفنا حنيفا دينا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب
وغيرهم لانهم يدعون اتباعه وهم مشركون وهو عطف على المتصل به قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين كقوله

فان آمنوا بمثل ما امنتم او للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وعلى هذا فالمناسب ان يكونوا قوله بل ملة
ابرهيم بل اتبعوا ايها الكافرون ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته ليتلاءم الكلام وانما فصل قولوا لكونه كالبيان او التاكيد
لاتباعهم ملة ابرهيم وكونهم عليها وما انزل الينا وهو القران اذا كان الخطاب للمؤمنين قدم ذكره لانه اول بالاضافة
الينا سبب بالايمان بغيره او ما انزل اليهم لكونهم امة الدعوة وقد انزل الكتاب اليهم ايضا وما انزل الي ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط الصحف المنزلة الي ابرهيم والكل كلام الله تعالى وهو واحد وانما التعدد والتفاوت في
النظم المقروء المسموع والاسباط جمع سبط معناه الحافد وهم حفدة يعقوب وذراريه ابنائه الاثنى عشر او ابنائه
فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى وهو التورية والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة
الي موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع فيهما وما اوتي النبيون يريد سائر الانبياء والمقصود تعليم الايمان بجميع ما انزل
على النبيين من الكتب السماوية من ربهم منزلا من ربهم اليهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود والنصارى حين قالوا
نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذا لاصح دخول بين عليه وذلك
بالنظر الي اصل الوضع فانه اسم لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع ويشترط
ان يكون استعماله مع كل كلمة او في كلام غير موجب وهو غير الاحد الذي هو اول العدد في مثل قل هو الله احد وليس
جمعيته من حيث وقوعه نكرة في سياق النفي لحين اعيد ضمير جمع اليه او دخل بين عليه فالمراد به جمع من الجنس الذي
يدل الكلام عليه فمعنى قوله فما منكم من احد فما منكم من جماعة ومعنى قوله لا نفرق بين احد لا نفرق بين جمع من الانبياء
ومعنى لستن كاحد من النساء كجماعة من جماعات النساء وليس في معنى كامرأة منهن وقد سبق الي كثير من الاذهان
ههنا سهو فزعم ان معنى ذلك انه نكرة وقعت في حيز النفي فعمت فكانت بهذا الاعتبار في معنى الجمع كسائر النكرات
وقرأ الخليل لا نفرق بالثلاثي وعكرمة لا نفرق مجهولا ونحن له لله مسلمون حال من فاعل امنا او من مفعوله
تفريقا وجمعا ويجوز ان تكون جملة معطوفة على امنا والعدول الي الاسمية للدوام والثبوت مع رعاية الفاصلة
ويحتمل ان يكون جملة اعتراضية وعن جعفر بن محمد مسلّمون بتشديد اللام حنفا وقع فان امنوا بمثل ما امنتم به
فقد اهتدوا اي واخلصوا دينا مثل دينكم في الاستقامة والصحة وامنوا به فقد اهتدوا ولكن ذلك محال لان دين
الحق لا يوجد له مثل فلا طريق الي الاهتداء سوى هذا الدين فاستعمال ان فيه على سبيل الفرض والتقدير للتبكيت
والالزام كقوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين ويجوز ان يكون الباء للاستعانة دون التعدية وآمنوا
بمعنى اوجدوا الايمان الشرعي ودخلوا فيه من غير حاجة الي تقدير صلته والمعنى فان دخلوا في الايمان باستعانة
شهادة مثل شهادتكم قولا واعتقادا وهي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقد اهتدوا وقيل المعنى
على هذا التقدير ان تحروا الايمان بطريق يهدي الي الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تابي تعدد الطرق
وبالجملة فعلى الوجهين اعني سواء كانت الباء صلة آمنوا وللالة ما موصولة عبارة عن الدين او الشهادة وقرأ
ابن عباس وابن مسعود بما امنتم به بحذف لفظ المثل وفيه دلالة على زيادة المثل على ما قيل كقوله وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله اي عليه وقيل الباء مزيدة للتاكيد كقوله وجزاء سيئة سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا به
ايمانا مثل ايمانكم على ان ما مصدرية وضمير به لله تعالى او لجميع ما ذكر في قوله قولوا امنا بالله الآية بتاويل المذكور

اوللقران او لمحمد عليه الصلوة والسلام وقرأ ابي بالذي آمنتم به وقرأ ابن عباس بما امنتم به وكان يقول لا تقولوا
بمثل ما امنتم فانه ليس لله مثل وكذا في حرف ابن مسعود قلت هو ضعيف جدا يرده اجماع القراء وايمتهم العشر
وان تولوا فانما هم في شقاق اي وان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم ولم ينصفوا او عن الدين او الشهادة
فما هم الا في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من الاهتداء في شيء فسيكفيكهم الله ضمان من الله
لاظهار رسوله عليهم وتسليته وتسكين له ووعد بالنصرة على من ناواه وعانده وقد انجز وعده بقتل قريظة
وسبيهم واجلاء بني النضير والسين لتاكيد الاثبات كما ان لن لتاكيد النفي جاء بها ليكون الوعد على طريق التاكيد
والمعنى ان ذلك كاين لا محالة وان تاخر الي حين والضميران مفعولان يقال كفاه مؤنته وظهر عليه اي غلبه
واظهره الله وهو السميع العليم من تمام الوعد بمعنى انه يسمع قولكم وقوله ولم يخف عليه واعد له كفاءه من الجزاء
ويجوز ان يكون وعيدا للمعرضين بمعنى انه يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يسرون وهو معاقبهم عليه وعن عمرة بنت
ارطاة قالت خرجت مع عايشة رض سنة قتل عثمان الي مكة فمررنا بالمدينة ورأينا المصحف الذي قتل وهو في حجره
فكانت اول قطرة قطرت من دمه على هذه الاية فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم قالت عمرة فمات منهم رجل
سويا صبغة الله مصدر لانه فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي تقع عليها الصبغ مؤكد لامنا بالله
والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس فيكون آمنا متنا ولا لتطهير الله تعالى نفوس المؤمنين ودالا عليه فيكون
صبغة الله بمعنى تطهير الله مؤكدا لمضمون قوله امنا بالله والاصل فيه اعني في ذكر التطهير بلفظ الصبغ ان
النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون انه تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم
بولده ذلك قال الان صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا امنا بالله وصبغنا الله بالايمان
صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا هذا اذا كان الخطاب في قولوا امنا بالله للكافرين واما
اذا كان الخطاب للمسلمين فالمعنى ان المسلمين امروا بان يقولوا صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم
ايها النصارى فعبر عن الايمان بالله بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة الحالية كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس
كما تغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ويحسن اليهم فتعبر عن الاصطناع بلفظ الغرس للمشاكلة بقرينة الحال
وان لم يكن له ذكر في المقال وقيل يجوز استعارة الصبغ للايمان من غير اعتبار المشاكلة لكونه حلية للمؤمنين كما ان
الصبغ حلية المصبوغ او لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ ويداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب
وذلك تشبيه خلق الله عباده على استعداد الحق والايمان بصبغ الثوب لاتحادهما في الحلية او تشبيه هداية الله تعالى
او تطهير القلوب بصبغ الثوب والجامع اظهار الاثر على الظاهر واجرائه في الباطن ثم استعمل للمشبه ما كان مستعملا
في المشبه به وهذا الوجه مما هو الاليق بالمقام لان الكلام عام في اليهود والنصارى فتخصيصه بصبغ النصارى
لا وجه له واعلم ان اختصاص الغمس في المعمودية بالنصارى لا ينافي صحة اعتبار المشاكلة في ايمان الفريقين لان ذلك
الفعل كاين فيما بينهم في الجملة فان قيل خطاب قل بل نتبع للنبي عم فلا دلالة على ان المسلمين امروا بان يقولوا
للكافرين قولوا امنا اجيب بانه كذلك الا ان المراد به خطاب النبي عم وجميع المؤمنين بدليل انه في جواب قالوا
كونوا هودا او نصارى ولهذا قدر بل تكون بل نتبع بضمير الجماعة وقولوا امنا على تقدير كونه خطابا للكافرين
داخل في حيز المقولية لا مر قل وان ترك العطف على كونه او نتبع للاختلاف خبرا وانشاء فمع ما ذكر واما على تقدير كونه خطابا للمؤمنين

فالاحسن ان يكون قولوا امنا بمنزلة البدل والبيان لقوله بان يقولوا لانفسهم قولوا امنا وصبغنا وهذا اعني نصبها
على انها مصدر موكد ماذكر سيبويه وعليه الجمهور وقيل نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله وقيل على البدل من
ملة ابرهيم وقراء ابن ابي عبلة صبغة الله بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف ومن احسن من الله صبغة فانه تعالى
منزه عن القبايح كلها ومن الاشباه المشاركة له في صفاته متصف بصفات الجلال جامع لجهات الكمال فلا يتطرق
الي ساحات عزته وسرادقات قدسه شايبة قبح ونقصان فهو المنفرد باحاسن الافعال والاسماء ونحن له
عابدون تعريض لهم اي لا نشرك به شيا كشرككم وهو عطف على امنا بالله وهذا يرد ما قيل ان صبغة الله اي دين الله
او فطرة الله التي فطر الناس عليها بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء ومثل اخاك اي الزمه لما في القولين من فك
النظم لان في كل منهما فصلا بين المعطوف والمعطوف عليه بالاجنبي الذي لا يتعلق بما تعلقا به اذ لم يدخل البدل والاغراء
في حيز قولوا بخلاف ما اذا جعل مصدرا موكدا فانه ح داخل في مقوله فلا يكون اجنبيا بين المعطوف والمعطوف عليه مع ان
في الابدال شيا آخر وهو تخلل قوله قولوا امنا بالله بين المبدل والمبدل منه وليس له تعلق بعامله فان قيل على ما ذكرتم
ايضا فصل بينهما وكذا من الموكد والتاكيد بالاجنبي فان قوله فان آمنوا وقوله فسيكفيكهم الله لا يدخل شيء منهما
في مقول قولوا فالاولي ان يجعل عطفا على نقل الاغراء بتقدير القول اي الزموا صبغة الله وقوله ونحن له عابدون
لما فيه من التلاوم فلا يلزمهم فك لنظم الكلام واخراج له عن الالتيام قلنا لا نم ذلك اذ كل منهما ليس باجنبي
لا مرتب على ما قبله بشهادة الفاء على ان ارتكاب الاضمار بلا دليل مع ظهور الوجه الصحيح مما لا وجه له قل اتحاجوننا
اي اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت
نبيا لكنت منا فنزلت وقراء زيد بن علي اتحاجونا بادغام النون وهو ربنا وربكم خالق العرب والعجم لا اختصاص له
بقوم دون قوم بصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده وهم فوضى فذلكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي لنا اعمالنا
لا لكم وبالعكس او لنا اعمالنا لا اعمالكم وبالعكس من قصر المسند على المسند اليه وتحقيقه ان اعمالنا مقصور على الاتصاف
بلكم لا يتصف بلنا فهو من قصر الموصوف على الصفة تحقيقا دون العكس ونظيره قوله تع لكم دينكم ولي دين الا ان القصر
ههنا حقيقي وهناك ليس حقيقيا فتامل ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والاعمال تعريض باهل الكتاب وغيرهم
لان كلا منهم يدعي الايمان وهو على غير التوحيد قال سعيد بن جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله فلا يشرك
به في دينه ولا يرائي بعمله ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قراء
حمزة والكسائي وابن عامر ام تقولون بفتح التاء فعلى هذا يجوز ان تكون ام متصلة بهمزة الاستفهام في اتحاجوننا
بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة في حكم الله او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما
انكارهما معا اي كل من الامرين منكر ينبغي ان لا تكون والا فالعلم حاصل بثبوت الامرين وان تكون منقطعة بمعنى بل
اتقولون والهمزة للانكار ايضا واما على قراءة من يقراء بياء الغيبة فلا تكون ام الا منقطعة لما فيه من الاضراب عن
الخطاب في اتحاجوننا فان الضمير الغايب وان عاد الي اهل الكتاب لكن الغيبة بعد الخطاب انما يكون للاعراض عنهم
وهو مفهوم الاضراب فليست الا منقطعة عما قبلها قل ءانتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بالاسلام في قوله
ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده

ومن اظلم

ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية
وقوله شهادة عنده من الله اي شهادة كاينة من الله اي واصلة منه كاينة عند من كتم اي ثابتة متحققة عنده
معلومة له انه شهادة الله تع والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة على التحقيق او من
المسلمين لو كتموها على سبيل الفرض والتقدير فالفعل الماضي في الاول على اصله وفي الثاني للتعريض بكتمانهم شهادة الله
لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها كما في قوله لئن اشركت ليحبطن ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف كما في قوله براءة
من الله اي براءة واصلة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطبايع من الافتخار بالاباء
والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في السابقة
الانبياء وفي الاية اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خف احلامهم واستمهنوا
بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة وهم اليهود لكراهتهم التوجه الي الكعبة وانهم لا يرون
النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون لانهم قالوا رغب عن قبلة ابائه ثم رجع
اليها والله ليرجعن الي دينهم وفايدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب فان ذكر قبل الحاجة اليه
اقطع للخصم واردّ لشغبه وقيل الرمي يراش السهم ما ولّيهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وهي بيت المقدس
والقبلة في الاصل الحالة التي عليها الانسان عن الاستقبال ثم استعير للمكان المتوجه اليه للصلوة قل لله المشرق
والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لا يختص به مكان دون مكان لا عبرة بخصوص المكان وانما العبرة
بارتسام امره يهدي من يشاء من اهلها الي صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه
الي بيت المقدس تارة واخرى الي الكعبة روي ان الانصار قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين كانوا يصلون
الي بيت المقدس فلما قدم عليه السلام المدينة صلى الي بيت المقدس ثمانية عشر شهرا وسبعة عشر فقال
اهل مكة اذا حولت القبلة الي مكة رجع محمد الي قبلتنا فهو قريب الي ديننا فانزل الله تعالي قل لله المشرق
والمغرب يعني الصلوة اليهما لله وبامر الله يهدي من يشاء الي قبلة الكعبة ودين يرضاه وعن ابي العالية
رايت مسجد صالح عم وقبلته الي الكعبة قال وكان موسى عم يصلي الي الصخرة نحو الكعبة وهي قبلة الانبياء عم
وكذلك جعلناكم واعلم ان ذلك اشارة الي الجعل المدلول عليه بجعلناكم واتي بما يفيد البعد قصدا الي التفخيم
والمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا كما تشاهدونه والكاف في التحقيق مقحم للمبالغة وهذا
اقحام مطرد في كلام العرب وغيرهم لا يتركونه في لغتهم وليس اشارة الي جعل آخر يراد تشبيه هذا الجعل به
على ما يتوهم من ان المعنى ومثل جعل الكعبة قبلة جعلناكم امة وسطا امة وسطا اي خيارا جمع خير وهم
خلاف الاشرار وقد يكون الخيار اسما من الاختيار والوسط بالتحريك اسم لعين ما بين الجانب كمركز الدائرة و
بالسكون اسم مبهم لداخل الدائرة مثلا ولا يقع الا ظرفا فالاول يقع مبتداء وفاعلا ومفعولا ومدخولا
لحرف الجر بخلاف الثاني كقولك وسطه خير من طرفه واتسع طرفه وضربت وسطه وجلست في وسط الدار
اربعتها بالتحريك وتقول جلست وسط الدار بالسكون لا غير ويوصف بالاول مستويا فيه المذكر والمؤنث

والواحد والاثنان والجمع كسائر الاسماء التي توصف بها وقيل يبنى منه افعل التفضيل فيقال للمذكر الاوسط وللمؤنث الوسطى قال الله تعالى من اوسط ما تطعمون والصلوة الوسطى ونحو قوله عليه السلام وانطوي النجيمة يعني الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفايا لنتيج الذي هو وسط الظهراي ما بين الظهر الي الكاهل ولانتقال عن الاسمية الي الوصفية الحقت تاء التانيث كما هو حكم الصفات رعاية لجانب الوصفية العارضة وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قوله كانت هي الوسطى المحمى فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا اوعد ولا مزكين بتعديلنا او بتعديل نبيكم كما يدل عليه السباق او بالعلم والعمل على ما قيل وذلك لان الوساطة العدالة ومن قال اوسطهم وكل الفضائل قد انضبطت وانحصرت في التوسط بين الافراط والتفريط فان اصول الفضائل العدالة والحكمة والعفة والشجاعة والاوساط الثلثة الاخيرة اصول الفضائل الخلقية ومجموعها يسمى عدالة ومقابلها الجود وتقريره المقام ان الباري تعالى وتقدس لما براء الانسان ركب فيه ثلث قوي لاحتياج النفس الناطقة من حيث تعلقها بالبدن وتدبيرها اياه الي تلك القوي احديها القوة التي يعقل بها ما يحتاج اليه في تدبيره وتسمى القوة النطقية والعقلية والملكية والنفس المطمئنة وهي مبداء ادراك الحقائق والشوق الي النظر في العواقب والتمييز بين المصالح والمفاسد وثانيها القوة التي بها يجذب ما ينفع البدن ويلايمه ويطلب الملاذ من الماكل والمشارب وغير ذلك وتسمى القوة الشهوية والبهيمية والنفس الامارة وثالثها ما يدفع به ما يضر البدن ويولمه وهي مبداء الاقدام على الاهوال والشوق الي التسلط والترفع وتسمى القوة الغضبية والسبعية والنفس اللوامة ويحدث من اعتدال الحركة الاولي الحكمة فان الحكمة نتيجة تكميل القوة العقلية وهي متوسطة بين الجربزة والغباوة فان الجربزة افراطها والغباوة تفريطها ومن اعتدال الحركة الثانية العفة فانها نتيجة تهذيب القوة الغضبية وهي متوسطة بين التهور والجبن وانما يحمد فيها التوسط ثم التوسط في هذه الفضائل الثلثة هو العدالة فلذا فسر الوساطة بالعدالة وهي يقتضي الرسوخ والثبات على الحق والصراط المستقيم وتنفي الزيغ عن سواء السبيل لان العدالة الحقيقية الثابتة بتعديله تعالى بنا في الكذب والميل الي الباطل فالاطراف رذائل والاوساط فضائل واليه الاشارة بقوله عم خير الامور اوساطها وقد قالوا ان قوله تع وكذلك جعلناكم امة وسطا اثبات العدالة لمجموع الامة لا لكل منهم لظهور انها ليست ثابتة لكل واحد منهم وهو احد الادلة المشهورة على ان الاجماع حجة واما الاحتجاج به فلانه لو كان فيما اجمعوا عليه باطل لا تثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس وهي علة للجعل والشاهد حقيقة هو المخبر بالصدق واللفظ مطلق يشمل الشهادة في الدنيا والاخرة فيقتضي ان يكون قول الامة حقا وصدقا ليختارهم الله تع للشهادة على الناس اي لتكونوا مخبرين بالصدق وتعلموا بالتامل فيما انزل عليكم من الكتاب واوتيتم من الاثارة ونصب لكم من البراهين القاطعة ان الله ما ظلم وما بخل على احد بل انزل الكتب وارسل النذر واوضح السبل فبلغوا الرسالات وكل الذين كفروا واعرضوا عن الايات البينات فتشهدون بذلك على من خالفكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله تعالى بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم بهم اقامة للحجة على الجاحدين فيوتي بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق

على لسان

على لسان نبيه الصادق فيوتي بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال ابو سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعا نوح عم فيقال هل بلغت فيقول نعم فيدعا قومه فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير وما اتانا من احد فيقال من شهودك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم وامته قال فيوتي بكم فتشهدون انه قد بلغ فذلك قوله تع وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والوسط العدل وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا وانما لم يقل ويكون الرسول لكم شهيدا مع ان الشهادة لهم لا عليهم فما وجه تعديته بعلى والجواب ان ذكر بناء على المناسبة فان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له كنت انت الرقيب عليهم واما شهادتهم على الامم بان الانبياء قد بلغوهم فكلمة الاستعلاء على اصلها الذي هو المضرة وانما اخرت اولا وقدمت آخرا لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي قوله ويكون الرسول عليكم شهيدا اختصاصهم وتفردهم بكون الرسول شهيدا عليهم اي معدلا مزكيا لهم كانه قيل شهيد بالتعديل عليكم لا على غيركم من الامم فلا ينافي كونه شهيدا على شهداء الامم بالتعديل ولا على المكذبين بغير التعديل وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الموصول مع صلته انما هو ثاني مفعولي جعل على ان يقدر موصوف اقيم هو مقامه وهو الجهة اي وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهو الكعبة فانه عم كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الي صخرة بيت المقدس تألفا لليهود او الصخرة لقول الرئيس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ وعلى الاول معناه ما رددناك الي ما كنت عليها الا ابتلاء للناس لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه وعلى الثاني ان اصل امرك ان يستقبل القبلة اي الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وما جعلنا قبلتك بيت المقدس قبل وقتك هذا الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله فعلى الاول التي كنت عليها هي الكعبة والقبلة قبلة الاول وعلى الثاني بيت المقدس والقبلة قبلة ما مضى اي ما جعلنا في هذا الوقت او فيما مضى من الوقت فان قلت لم قضيت لها بالمفعولية وهلا زعمت انها صفة للقبلة وان المفعول الثاني محذوف اي ما جعلنا القبلة التي كنت عليها ثابتة لا تنسخ ابدا قلت ذكر مما لا سبيل اليه اذ لا قرينة عليه على ان حذف احد مفعولي باب علمت مما فيه نظر الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فان قيل قوله لنعلم ينبئ عن حدوث العلم في المستقبل مع انه لم يزل عالما بذلك اجيب بان المراد علم مقيد بالحادث فالحدوث راجع الي القيد لا الي المقيد لان علمه تع ليس علما زمانيا فلا يكون هناك حال وماض ومستقبل بناء على ان هذه صفات تعرض للزمان بالقياس الي ما يختص بجزء منه اذ الحال معناه زمان حكمي هذا والماضي هو زمان قبل زمان حكمي هذا والمستقبل زمان بعد زمان حكمي هذا فمن كان علمه ازليا محيطا بالزمان لا يتصور في حقه شيء منها فلا يلزم من علمه بالمتغيرات تغير في علمه وانما يلزم ذلك اذا دخل فيه

الزمان والمعنى لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا فهذا ونظائره باعتبار التعلق
الحالي الذي هو مناط الجزاء وقيل ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وانما اسند علمهم
الى نفسه لانهم خواصه فالتجوز تحقيقا يكون في الهيئة التركيبية والنسبة الايقاعية كما يقال الملك كذا
ورسم كذا وانما القائل والراسم بعض خواصه الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه تنبيها على كرامة القرب
في قوة الاختصاص وقيل معناه لنميز التابع الراسخ من الناكص المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب
فاريد بالعلم التمييز في الوجود العيني لان العلم سبب التمييز في الوجود العيني لا يكون الا بعد وجوده وحاصل
هذا التجوز باطلاق السبب وهو العلم على المسبب وهو التمييز ويجوز ان يكون ذكر على وجه التمثيل اي فعلنا
ذلك فعل من يريد ان يعلم وقرئ الا ليُعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة على القراءتين لانه لم يذكر
له الا مفعول واحد وهو من الموصولة ويجوز ان يكون من استفهامية موقع المبتدأ ويتبع موقع الخبر فيكون
العلم من المتعدي الى المفعولين معلقا بالاستفهام وممن ينقلب حال من فاعل يتبع اي لنعلم من يتبع
الرسول متميزا ممن ينقلب كقوله ومن اين تدري ما القرار من الرند وكذا على تقدير الموصولة ايضا ومما
يجب التنبه له ان العلم اذا كان بمعنى المعرفة فالمراد به الادراك الذي لا يتعدى الى المفعولين ثم ليس المراد
بهذا الادراك الادراك المسبوق بالعدم ولا الاخير من الادراكين لشيء اذا تخلل بينهما عدم بان ادركه اولا
ثم ذهل عنه ثم ادركه ثانيا بل الادراك المجرد من هذين الاعتبارين ومن ثم يقال الله عالم ولا يقال
عارف وقرأ زيد بن علي من يتبع الرسول بالثلاثي وقرأ ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف
وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية لا بينها وبين
المشددة على ما وقع في الكواشي سهوا منه او من غيره وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير
في كانت راجع الى ما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التحويلة او الردة
او الى القبلة ومعنى لكبيرة لثقيلة شاقة وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع قالوا وجه هذه القراءة ان يكون
كان زائدة كما في قول الفرزدق فكيف اذا مررت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام واورد بان كون
كانوا ههنا مزيدة مع اسمها محل نظر لجواز ان تكون ناقصة اعتراضا او صفة للدلالة على الخبر محذوفا
او مقدما يعني لنا ولو سلم فان ارادوا ان كانت مع اسمها زائدة كانت كبيرة خبرا بلا مبتدأ وان المخففة
واقعة بلا جملة ومثله خارج عن القياس والاستعمال وان ارادوا ان كانت وحدها مزيدة والضمير
باق بالابتداء فلا وجه لانفصاله واستكنانه وغاية ما يتمحل انه لما وقع بعد كانت وكان من جهة المعنى
في موقع اسم كان جعل متصلا مستكنا تشبيها بالاسم وان كان مبتدأ تحقيقا فالاوجه في هذه القراءة
ان يجعل في كانت ضمير القصة ويقدر بعد اللام مبتدأ اي وان كانت القصة لتحويلة كبيرة الا على الذين
هدى الله اي الا على الثابتين الصادقين في الايمان واتباع الرسول وانما فسر بهذا لان المراد بهم
من يتبع في مقابلة من ينقلب ولذا فسر ايمانكم في قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم بثباتكم على الايمان
وقيل بالقبلة المنسوخة وقيل المراد بقوله ايمانكم صلوتكم تجوزا ويجوز ان يكون عدم اضاعة الايمان

كناية

كناية عن عدم ترك التحويل لكون اضاعة الايمان من روادف ترك التحويل في علم الله تعالى فعلى هذا معناه وما
كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل
فصلاته غير ضايعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات
قبل التحويل من اخواننا فنزلت فنقل عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرأ قوله الا على
الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته
واقرب الناس واحبهم وابو تراب كنية امير المؤمنين علي كرم الله وجهه وهو اسم سماه به رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين دخل ذات يوم على فاطمة رضي الله عنها فقال اين ابن عمك فقالت هو ذاك مضطجع
في صحن المسجد فوجده قد سقط الرداء عن ظهره وخلص التراب اليه فجعل عليه السلام يمسح التراب عن ظهره
فيقول اجلس يا ابا تراب ومن ثم لم يكن اسم احب اليه منه لكن الحجاج ومثله من الظلمة الجفاة يقصدون
بذكره حط منزلته وقرأ ابن ابي عبلة يضيّع بتشديد الياء ان الله بالناس لرؤوف رحيم لا يضيع اجورهم
ولا يدع صلاحهم والرؤوف مشتق من الرأفة ومعناها شدة الرحمة وهي مبالغة فيها فاجتمع فيه المبالغتان
بناء ومعنى ولاجل هذه العلة قدم على الرحيم ذكر في كل موضع وردا من كتاب الله الكريم وقيل لعله قدم
الرؤوف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقيل الرؤوف المريد للتخفيف على العبيد وقيل هو الذي صرفا وليائه
عن مخالطة الاشكال وكفاهم بفضله مؤنة الاثقال وقيل الساتر للعيوب والعفو ما ستر من الذنوب
وقيل المنعطف على المذنبين بالتوبة وعلى اوليائه بالعصمة والرؤوف من عباد الله من يريد بالعبادة
الدارين ويصرفهم عن طريق الغفلة الى الله تعالى بالنصح والموعظة بالتي هي احسن وينظر الى العصاة
بعين الرحمة ولا بعين الازدراء ولا يذر رافة لاحد الا سترها بقدر وسعه ولا يريبه شيء مما ناله
من الاذى بل يزيد به اللطف والرافة والاحسان والشفقة كما قال حضرة الرسالة عليه افضل الصلوات
واكمل التحيات حين كسرت رباعيته وادمي وجهه اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ولم يمنعه سوء
صنيعهم عن الرافة والشفقة بل زاد فيها وكما امر عليه السلام عليا كرم الله وجهه حيث قال ان اردت
ان تسبق المقربين فصل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك والرافة هي هذه الخصال الثلث
فانه لن يقوم بها الا من البسه الله لباس الرافة والشفقة على خلق الله فهذه هذه وقرئ ليضيع بالتشديد
قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية فان اصل قد في المضارع للتقليل وقد استعير ههنا للتكثير للمجانسة
بين الضدين ويجوز ان يكون من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه اعني يجيئون
بلفظ التقليل ولا يقصدون التقليل ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه
معنى كم ونظيره قول الشاعر قد اترك القرن مصفرا انامله فانه اراد تكثير الترك بهذه الصفة الا انه
قصد اظهار براءته من التزيد فجاء بلفظ التقليل فيفهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين تقلب وجهك
في السماء تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان النبي عليه السلام يقع في روعه
ويتوقع ان يحوله الى الكعبة لانها اقدم القبلتين وقبلة ابيه ابرهيم واسمعيل واسحق وادعى للعرب الى الايمان

لكونها فخرهم ومزارهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبرئيل والوحي بالتحويل ولا يخفى ما فيه من الدلالة
على كمال الادب حيث انتظر ولم يسأل وقيل ان النبي عم قال يا جبرئيل وددت لو ان الله تعالى يصرفني عن قبلة
اليهود الى الكعبة فقال له جبرئيل انما انا عبد مثلك لا املك شيئا فاسأل ربك فجعل عم يديم النظر الى السماء فانزل الله
تعالى هذه الآية فلنولينك قبلة قيل فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قوله وليته كذا اذا صيرته واليا له
قوله فلنعطينك حاصل معنى فلنولينك والا فالشائع في الاعطاء هو الايلاء لا التولية او فلنجعلنك تلي جهتها
دون جهة بيت المقدس وهذا مبني على ان معنى وليته دنا منه واوليته اياه ووليته ادنيته منه وقيل
فلنحولنك ولنوجهنك قبلة ترضاها فانه عم كان يراعي نزول الوحي بالتحويل ترضاها تحبها وتميل اليها لمقاصد
دينية اضمرتها ووافقت ارادة الله وحكمته وفيه تنبيه على ان ميله الى الكعبة لم يكن من حيث هوى النفس
واجابة الله تعالى اياه لم يكن لمجرد ميله بل لما فيه مشيته وحكمته فول وجهك شطر المسجد الحرام احد مفعولي ولى
متروك وشطر المسجد الحرام منصوب على الظرفية والمعنى اجعل وجهك في جهة المسجد وسمته وليس مفعولا به
كما في قوله فلنولينك والآية ذكر شطر بلا قصر على المسجد وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة مع انها المقصودة
بالتوجه دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين مع ان القبلة اي ما يجب ان يستقبل هو الكعبة اذ لو
كان العين واجبا لكان المناسب ذكر الكعبة التي هي القبلة وايضا النبي عم كان في المدينة وفي استقبال عين القبلة
حرج عظيم على البعيد عن البراء بن عازب قدم النبي عم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا
ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين والنبي عم في مسجد بني سلمة وقد
صلى باصحابه ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي
المسجد مسجد القبلتين فان قيل التوجه الى عين المسجد توجه الى عين الكعبة لاحاطته بها احاطة الدائرة بالمركز
فانها لا تخرج عن المحاذات وان عظمت جدا اجيب بانه ربما يتوجه الى طرف من المسجد لا يحاذي عين الكعبة وهو ظاهر
بل في الدائرة المحيطة بالشيء يتوجه اليها بحيث يقع الخط من البصر على المحيط ولا يقع على المحاط فان قيل يرد على
وجوب العين صحة صلوة صف مستطيل جدا على الاستقامة وعلى وجوب السمت عدم صحة صلوة المصلي الى يمينه
قبله والى يساره فان الخط الخارج من بصره يقع على الخط المار بالكعبة ولا معنى للسمت سوى هذا اجيب بانه ليس
سمت الكعبة بذاك بل سمت الكعبة في وسط خطين يلتقيان في الدماغ فيخرجان الى العينين كساقي مثلث وشطر
المسجد الحرام اي نحوه قال واظعن بالقوم شطر الملوك فتخر برياسته وتقدمه اذا توجه القوم نحو الملوك واظعن
بالقوم اي سر بهم والباء للتعدية يعني اذهب بالقوم الى الملوك في زمن القحط الى ان يزول او اذهب بهم وادخل
على الملوك حين لا يدخل الا خواصهم وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور
منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع
من الظلمة ان يتعرضوه وقرأ ابي تلقاء المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وحيثما مثل اينما
فانه لتعميم الامكنة ولعل الجزم وما ابهامية ولم يقع حيث بدونها اداة شرط ومعنى حيثما كنتم في اي
مكان كنتم من الامكنة فاجعلوا وجوهكم تلي شطر المسجد الحرام ومحل حيثما النصب بالفعل بعد وكذا حكم سائر

الاسماء الشرطية التي كانت ظروفا نحو اين وايما ومتيما مثلا بخلاف ما كانت غير ظروف فان محلها قد يكون النصب بالفعل
وقد يكون الرفع بالابتداء وقد يكون الجر وشطره نصب على الظرف لا المفعول على ما مر خص النبي عم بالخطاب اولا
حيث قال فول وجهك تعظيما وايجابا لرغبته وطلبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتخصيصا
للامة على المتابعة فان قلت الكفار هل يخاطبون بالشرائع قلت ذكر الامام شمس الائمة السرخسي في اصوله لا خلاف
في ان الكفار يخاطبون بالايمان والعقوبات والمعاملات وبالعبادات في حق المواخذة في الآخرة لقوله ما سلككم
في سقر الآية اما في حق وجوب الاداء في الدنيا فكذا عند العراقيين من مشايخنا رحمهم الله تعالى لانه لو لم يجب
لا يواخذون على تركها ولان الكفر لا يصلح مخففا ولا يضر كونها غير معتد بها مع انه يجب عليه بشرط كالجنب يجب
عليه الصلوة بشرط الطهارة لا عند مشايخ ديارنا لقوله عم ادعهم الى شهادة ان لا اله الا الله فان هم
اجابوك فاعلمهم ان الله تعالى فرض خمس صلوات الحديث اذ يفهم منه ان فرضية الصلوات الخمس مخصصة
بتقدير الاجابة فعلى تقدير عدم الاجابة لا تفرض لعدم الدليل على الفرضية لا انه دليل على عدم الفرضية على ما
تقرر في بحث مفهوم المخالف ولان الامر بالعبادة لنيل الثواب والكافر ليس اهلا له وليس في سقوط العبادات
عنهم تخفيف بل تغليظ نظيره ان الطبيب لا يامر العليل بشرب الدواء عند اليأس لانه غير مفيد فكذا ههنا وقد
ذكر اعني الامام شمس الائمة ان علماءنا لم ينصوا في هذه المسئلة لكن بعض المتاخرين استدلوا من مسائلهم على هذا
وعلى الخلاف بينهم وبين الشافعي رض فاستدل البعض بان المرتد اذا اسلم لا يلزمه قضاء صلوات الردة خلافا
للشافعي فدل على ان المرتد غير مخاطب بالصلوة عندنا وعنده مخاطب بها والبعض بانه اذا صلى في اول الوقت
ثم ارتد ثم اسلم والوقت باق فعليه الاداء خلافا له بناء على ان الخطاب ينعدم بالردة وصحة ما مضى كانت
بناء عليه فاذا عدم صحة ما مضى فبطل ذلك الاداء فاذا اسلم في الوقت وجب ابتداء وعنده الخطاب باق فلا
يبطل الاداء والبعض فرعوه على ان الشرائع ليست من الايمان عندنا خلافا له وهم انما يخاطبون بالايمان فقط
فلا يخاطبون بها عندنا لانها غير داخلة في الايمان ويخاطبون بها عنده لكونها من الايمان عنده والاضعيف
اما ضعف الاستدلال الاول فلانه انما سقط القضاء عندنا لقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فسقوط
عندنا لا يدل على ان المرتد غير مخاطب بل يمكن ان يكون مخاطبا لكن سقط عنه بالآية المذكورة واما الثاني
فلان المؤدي انما يبطل بقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله فاذا اسلم في الوقت يجب لا محالة واحتج
على ضعف التفريع المذكور بانهم يخاطبون بالعقوبات والمعاملات عندنا مع انها ليست من الايمان فقوله
انما يخاطبون بالايمان فقط ممنوع ولما ابطل الامام استدلالات المذكورة قال والاستدلال الصحيح على المذهب
ان من نذر بصوم شهر ثم ارتد ثم اسلم لا يجب عليه فعلم ان الردة تبطل وجوب اداء العبادات وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم والضمير في انه الحق للتحويل اي يعلمون ان التحويل الى الكعبة هو الحق
لا ترك التحويل لاستلزامه الكذب في بشارة الانبياء فانه كان في بشارة انبيائهم برسول صلى الله عليه وسلم
انه يصلي الى القبلتين وقيل الضمير للتوجه وقرأ الحسن ليعلمون بضم الياء وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد
للفريقين وقرئ بالياء والتاء وروي انهم قالوا للنبي عم ائتنا بعلامة وحجة على تصديق مقالتك فنزل

قوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى الذين جحدوا التحويل الى الكعبة بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام في لئن توطية للقسم واللام الموطية للقسم هي التي تدخل على الشرط بعد تقدم القسم لفظا كقولك والله لئن اكرمتني لاكرمتك او تقديرا كالذي نحن بصدده ليوذن ان الجواب للقسم لا للشرط فهذا معنى توطيتها
ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المقدر ونايب مناب جواب الشرط والمعنى ما تركوا اتباعك لشبهة تزيلها بايراد البرهان وانما تركوك وخالفوك مكابرة وعنادا مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم اذ كانوا قد ماجوا في ذلك واضطربوا وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا وطمعا في رجوعه الى قبلتهم وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وهو عطف على مجموع الكلام السابق لا على ما وقع جواب القسم والشرط ولهذا عدل الى الاسمية وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فانهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لاستقبال اليهود الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه وقرا الخليل بتابع قبلة بعض بالاضافة ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ومجيء ان الشرطية ههنا بعد تقرير انتفاء الاتباع بقوله وما انت بتابع قبلتهم دليل على ان ليس استعمالها الا على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما تبين لك الحق بالبرهان القاطع وهو المعلوم الذي اوحي اليه انك اذا لمن الظالمين ولا يخفى ما في هذا الكلام من تاكيد التهديد والمبالغة فيه من ثمانية اوجه القسم واللام الموطية وان واللام في الخبر واسمية الجملة واذا الجزائية ومن البيانية وتعريف الظالمين تعظيما للحق المعلوم وزيادة لتقريعه وايثار طريقة من الظالمين على انك اذا ظالم او الظالم لافادتها ان ذلك مقرر لا شبهة فيه وفي اضافة الاهواء اليهم دلالة على ان ما هم فيه من الباطل الذي لا يعضده برهان ولا ينزل في شانه بيان وفي ذلك من التحريض على الاقتفاء بهدي الانبياء والتحذير عن متابعة الاهواء والاستفظاع لحال تارك الدليل والتهييج والالهاب للثبات على الحق على ما لا يخفى لان مثل هذا الخطاب له بعد الافصاح والاعلام عن حقيقة حاله معلومة عنده بانه عم لا يتبع اهواءهم ليس الا تهييجا له على الرسوخ على ترك اتباع الهوى او نقول هذا الخطاب وان كان للنبي عم لكن المراد به امته كانه قيل لئن صليتم الى قبلتهم واتبعتم مذهبهم من بعد ما جاءكم من العلم والبيان ان دين الاسلام هو الحق والكعبة هي القبلة انكم اذا لمن الظالمين اي لمن المرتكبين الظلم والفواحش الذين اتيناهم الكتاب قيل يعني علماءهم وفيه نظر يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق له ذكر في هذا الكلام لدلالة الكلام عليه او للعلم بمعنى المعلوم الذي اوحي اليه او للقران او لتحويل القبلة المدلول عليه بما سبق من الكلام كما يعرفون ابناءهم يشهد للوجه الاول ويعضده حديث ابن سلام اي يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم باوصافه المعينة المشخصة كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم يعني انهم يعرفونه من غير التباس انه ذلك النبي الموعود في التورية والانجيل لان المراد معرفة نبوته وانه نبي بالحق وعن عمر انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال عمر ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي واما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وقال وفقك الله يا ابن سلام قد صدقت وما روي عن مقاتل انه قال ان اليهود قالوا للنبي عم لم تطوفون بالبيت المبني من الحجارة فقال لهم انكم تعلمون ان الطواف بالبيت حق وانه هو القبلة المكتوبة في التورية فجحدوا ما انزل الله عز وجل الذين

اتيناهم

اتيناهم الكتاب يعرفونه الآية يعني يعرفون ان البيت قبلة كما يعرفون ابناءهم ففيه تقوية للوجه الاخير والوجه السابق هو السابق وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب فان قيل الجهال لا يدخلون في الذين يعرفونه فكيف استثناؤهم واخراجهم واجيب بان اختصاص حكم المعرفة في قوله ان الذين كفروا سواء عليهم فليتدبر وقريب منه ما يقال ان معنى يعرفونه انه يوجد منهم العرفان اسنادا للفعل البعض الى الكل لاختلاطهم وارتباطهم فعلى هذا تخصيص قوله الذين اتيناهم الكتاب بعلمائهم ممنوع على ما لا يخفى الحق من ربك استيناف والحق مبتدا خبره الظرف واللام للعهد اشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق المذكور في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك او للجنس كاللام في الحمد لله والائمة من قريش والتوكل على الله ومنه قولهم الكرم التقوى والنسب الى الاباء دلالة على القصر لان المبتدا نفس الجنس مع انتفاء قرينة البعضية والمعنى ان الحق كله ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب او خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك حال مؤكدة نحو هو الحق بينا او خبر بعد خبر فعلى هذا اي كونه خبر المبتدا اللام للجنس لا غير كما في ذلك الكتاب والمعنى ان ما جاءك من العلم او ما يكتمونه هو الحق لا ما يدعونه ويزعمون لاعتبار العهد حينئذ معنى وقرا علي كرم الله وجهه الحق من ربك بالنصب على انه بدل من الاول اي يكتمون الحق من ربك او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وهذا الخطاب ان كان للنبي عم فالغرض التهييج والالهاب للثبات على الحق الذي هو عليه للقطع بانه عم لا يمتري في ذلك فلا يكون الا تهييجا له على الثبات على الحق الثابت من الله ولا يخفى ما في ذلك من نهي امته عن الامتراء بالطريق بمعنى ان من كانت امة لك كان امتراؤه امتراءك واما على تقدير كونه عاما كما يسبق الى الذهن والغرض نهي كل احد عن الامتراء بمعنى لا ينبغي لاحد ان يمتري ويشك في ذلك ولكل وجهة اي ولكل من اهل الاديان المختلفة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة ولكل امة قبلة وفيه نظر على ما لا يخفى او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والمضاف اليه محذوف هو واحد بدليل قوله هو موليها اي كل واحد على ما هو الشايع في كل اذا كان منونا من غير قرينة الجمعية وفي حرف ابن مسعود ولكل جعلنا قبلة يرضونها وقرا الخليل وجهة بضم الواو وهو موليها بالتخفيف هو موليها وضمير المذكر اما لكل واحد المفعولين محذوف وهو وجهه اي هو موليها وجهه واما لله تعالى والمفعول ضمير عائد الى كل اي الله موليها اياه فانه تعالى مول القبلة كل واحد من اهل الاديان المختلفة واختار بعضهم الاول لظهور المرجع وقرئ ولكل وجهة بالاضافة وعلى هذه القراءة الضمير راجع الى الله قطعا اذ لا ذكر للغير والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها فاللام مزيدة في المفعول لتقدمه على العامل كما في لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه مع كون العامل اسم فاعل وقيل اللام مزيدة للتاكيد وجبر الضعف على ان العامل في التحقيق مقدر والمذكور تفسير له اي لكل وجهة الله مول موليها ولزيد ابوه ضارب ضاربه بحذف المفعول الآخر اي اهلها وبهذا استغني عما قيل ان الضمير للمصدر وان لكل وجهة انما هو المفعول الاول بحذف المضاف اي لكل صاحب وجهة وضمير موليها هو المفعول وقرا ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم اعني لكل من اهل الاديان وقال الكلبي موليها اي متبعها وراضيها وقال مجاهد مستقبلها

وابن عباس من جعلها نحو بيت المقدس مرة ونحو الكعبة مرة فاستبقوا الخيرات فاستبقوا انتم الخيرات واسبقوا اليها غيركم
من امر القبلة وغيرها من الطاعات التي تنال بها السعادات الدنيوية والاخروية ولا يخفى ما في هذا التاويل من
تخصيص الخطاب هذا بالمسلمين وهو غير ملايم لعموم الآية وعموم قوله اينما تكونوا وان كانت خاصة بامة
محمد صلى الله عليه وسلم يكون فاستبقوا الخيرات عاما في القبلة وغيرها ويجوز ان يكون تخصيص الخيرات بالجهات
الفاضلات والمعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت وعلى هذا التقدير لا
يكون قوله اينما تكونوا خاصا بامة محمد عم لئلا يلايم تخصيص الآية اي اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله
جمعا اي يجمعكم ويجعل صلوتكم مع اختلاف جهاتها وتقابلها في حكم متحدة الجهة كانها كلها مسامتة لعين
الكعبة في المسجد الحرام فان الافضل تحري التوجه الي عين الكعبة وسمتها اقرب ما يكون يمكن ومعناه على تقدير
العموم في اي مكان تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يجمعكم يوم القيمة ويحشركم للجزاء
وعلى هذا لا يخلو الكلام عن التهديد او اي مكان تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم ويجمعكم
جميعا الي ميقات يوم معلوم ومعنا استبقوا اطلبوا التسابق فيما بينكم من الخيرات او تسابقوا الي الخيرات
على حذف الجار وايصال الفعل نحو قوله واختار موسى قومه فان الافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامي
والارتهان والتراهن مثلا والسابق في الاصل المعارضة في السبق طلبا للغلبة ثم استعير للمسارعة والاقبال الي
الشئ اي سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الي الخيرات التي تفوزون بها السعادات الدينية
والدنياوية وقيل بادروا الامم بالطاعات ان الله على كل شئ قدير فيتصرف فيكم كيف يشاء من الموت والحيوة
وغيرهما لكن فيميتكم ويحييكم ويجمعكم وهو في التحقيق تقرير لما قبله وتاكيد ولهذا لم يعطف ومن حيث خرجت
اي من اي مكان خرجت للسفر ولم يصلح ان تكون من حيث متعلقا بفعل بعده لامتناع التقاء الحرفين فيتعلق بمحذوف عطف
عليه قوله اي افعل ما امرت به فول ويجوز ان يجعل من حيث خرجت في الشرط اي اينما كنت وتوجهت فالفاء للجزاء وقراء
زيد بن علي وابن عمر ومن حيث بفتح الثاء وهو لغة لبعض العرب يفتحون الثاء في الاحوال كلها قال سيبويه حيث بني
على الفتح كما بني اين وكيف فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر بتولية الوجه شطره للحق
من ربك وما الله بغافل عما تعملون قراء ابو عمرو بالياء غيبا والباقون بالتاء خطابا ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر الامر بتولية الوجه شطر المسجد الحرام
حيث ذكرها ثلث مرات لتاكيد امر القبلة وهو الذي يقتضيه المقام ولتعدد الفوائد حيث نيط بكل منها
ما لم ينط بالآخر فعلى الاولي تعظيم رسوله بابتغاء مرضاته واجابة دعائه وايتاد ما يحبه ويتمناه ثم
امر الكل باتباعه واظهار عناد اعدائه وعلى الثاني التصريح بتحقيق المامور به متصلا بالوعيد على تاركه
وعلى الثالث تشريف امته بتخصيص الخطاب وافراده وتعليق الحكم بما نيط به من الفوايد فذكر سبحانه وتعالي
للتحويل ثلث علل وقرن بكل معلول علته تنبيها لهم وتقريرا واعداما للشكوك والشبهة فقرن بالاول
قوله وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وبالثاني وانه للحق من ربك وبالثالث
قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة وقوله ولاتم نعمتي فتبين بالاولين حقيقة المامور به وبالاخير حكم ومصالحه

وانما فعل

وانما فعل ذلك التاكيد والتشديد لان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة والحاجة الي التفرقة
بينه وبين البدا فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخري ويكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا
لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا ولام التعريف للعهد وحجة اسم كان وللناس خبره وعليكم حال من حجة
لكونه في الاصل صفة لها او متعلق بالخبر وقوله الا الذين ظلموا منهم مجرور بدل من الناس لانه المختار في
كلام غير موجب او منصوب على الاستثناء منه والمعنى لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم
القائلين ما ترك محمد قبلتنا الي الكعبة الا ميلا الي دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء
وفيه تنبيه على ان حكم النفي متعلق بكل فرد لا بكل جمع وانه لعموم النفي لا لنفي العموم وسمي هذا حجة كقوله
حجتهم داحضة لانهم يساقونها مساق الحجة والبرهان ومعلوم ان ذلك ليس بحجة بل شبهة ظاهرة البطلان
وقيل اسم اطلق اسم الحجة عليها مبني على ان الاستثناء من النفي اثبات اي الا للظالمين ويرد عليه ان المذكور
في صدر الكلام ان تناول هذا لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز والا لم يصح الاستثناء لان الحكم ح بنفي الحجة
الحقيقية ولا محيص سوي ان يراد بالحجة المشترك حقا كان او باطلا ومن ههنا قيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة
راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم للعلم بان الظالم لا حجة له وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج او لئلا يكون للعرب
عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الي الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم
اهل مكة فانهم يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الي دينهم والفرق بين المعنيين ان المراد
بالناس في الاول اليهود وفي الثاني العرب وبحجتهم هناك ترك ما هو مذكور في نعته وههنا ترك قبلة ابي العرب
وقراء زيد بن علي الا الذين ظلموا منهم على انه استيناف بحرف التنبيه ووقف على حجة بناء على ان قوله
الذين ظلموا مبتدا وخبره فلا تخشوهم اي فلا تخافوهم فان مطاعنهم في قبلتكم لا تضركم كما انهم لا يضرونكم
واخشوني في ترك امري فلا تخالفوا ما امرتكم به وقراء نافع في رواية وورش ليلا بغير الهمزة تخفيفا والباقون
بالهمزة ابقاء على حالته الاصلية اذ اصله لان لا وقراء عمرو بن ميمون واخشون بغير ياء اجتزاء بكسر النون
ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لفعل محذوف وهو امرتكم بذلك اي بالتولية شطر المسجد الحرام وانما
قدر متاخرا للاختصاص والاهتمام فان الحذف دليل ان الاهتمام بالمذكور اكثر او عطف على علة مقدرة
مثل واخشوني لاكمل دينكم ولاتم نعمتي عليكم وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن جابر قال النبي عم
اوحي الله الي ان يا عبادي ان من اغنيته عن سلطان يستعديه وعن طبيب يستشفيه وعن ما بيد جاره وعن
ما في يدي اخيه فقد اتممت نعمتي عليه وعن علي كرم الله وجهه تمام النعمة الموت على الاسلام ولا يجوز ان يكون
عطفا على لئلا يكون على ما زعم بعضهم لبعد المناسبة ولان ارادة الاهتداء علة للامر بالتولية لا الفعل المامور به على
ما هو الظاهر في لئلا يكون كما ارسلنا متعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة بالثواب كما اتممتها في
الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني فهو على الوجهين في محل المصدر
ومن اقامة السبب مقام المسبب فان على الاول ارسال الرسول سبب لاتمام النعمة وعلى الثاني سبب للذكر
وما المشبهان فيكم رسولا منكم من جنسكم بشرا عربيا مثلكم او من ولد ابيكم ابرهيم ان كان الخطاب للمؤمنين

من اهل الكتاب والعرب معا لكونهما من ذرية ابرهيم او من ولد ابيكم اسمعيل ان كان الخطاب للعرب فقط لان هؤلاء
ليسوا من ولد ابراهيم اسحق وتنكير رسولا للتعظيم يتلو عليكم اياتنا بعد ما كنتم اهل جاهلية لم يطرق اسماعكم شئ
من الوحي ويزكيكم ويطهركم من تدنس القلوب بالكفر ونجاسة الاركان بارتكاب الخبائث والمحرمات او ياخذ منكم
الزكوة وقيل يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابرهيم باعتبار الفعل ويعلمكم
الكتاب والحكمة القران والسنة بعد ما كنتم اجهل الناس وابعدهم من اقتناص العلوم ودراسة الحكم ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون بالنظر والفكر اذ لا سبيل الى علمه بغير الوحي وكرر الفعل دلالة على انه جنس اخر فاذكروني اذكركم
والعلماء على طبقاتهم ذكروا في تفسيره وجوها افضلها ما يؤيده الكتاب ثم ما يعضده السنة اي اذكروني
بالشكر اذكركم بالزيادة لقوله لئن شكرتم لازيدنكم او اذكروني بالصبر اذكركم بوفاء الاجر لقوله انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب او اذكروني بالتوكل اذكركم بالكفاية بدليل قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه او اذكروني بالاحسان
اذكركم بالرحمة لقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين او اذكروني بالاستغفار اذكركم بالمغفرة والرحمة
ومن يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما او اذكروني بالمجاهدة اذكركم بالهداية والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا او اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
او اذكروني بالدعاء اذكركم بايلاء الالاء والنعماء دليله ادعوني استجب لكم او اذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب
عند الساعة او اذكروني في انفسكم اذكركم في نفسي لحديث ابي هريرة وانس رضي الله عنهما او اذكروني في الدنيا
اذكركم في العقبى او اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات او اذكروني بالتوبة والخوف والرجاء اذكركم بغسل
الحوبة وبالامن والعطاء او اذكروني بالصدق والاخلاص اذكركم بالخلاص ومزيد بالاختصاص وقيل بالصدق وبالرفق
وقيل بالطاعة وبالمعونة وقيل بالانابة وبالاجابة وقيل اذكروني بالندامة واشكروا بالسلامة اذكركم بالكرامة
يوم القيمة واحلكم دار المقامة وقيل اذكروني بالربوبية في الفاتحة اذكركم بالرحمة وبالمعونة في الخاتمة وقيل
بالتذلل وبالتطول وقيل في السراء وفي الضراء ثم الذكر في التحقيق التوجه الى حضرة القدس وجناب الجلال والاشتغال
بذلك وعلامة الكمال فيه للذاكر نسيان غير المذكور ظاهرا وباطنا وله فوائد منها عدم نقيض الشيطان بحيث لم يجعل
ملزوزا في قرن جنوده المفسدين ومنها سعة المعيشة في الدارين ومنها عدم الخسران وهذه ثلثتها مبنية على ما قيل
في امثال السائرة ان الاشياء تتبين باضدادها كما لا يخفى على من تاملها تاملا تاما ومنها كشف الحجبة المنعة وازالة
الظلمات البشرية على ما يدل قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون لان من المعلوم
قطعا ان ما سوى الواجب تعالى وتقدس ممكن لذاته والممكن لذاته اذا خلي ونفسه وترك من حيث هو هو بقي على القدم
بل عدم والعدم منبع الدجى والظلم فكل ما سواه تعالى مظلم في ذاته وليس نور شئ منه واشراقه الا منه بحضرة
منبع الانوار فلا جرم كان الاشتغال بحضرة القدس والكمال والتوجه الى جناب العز والجلال متوسل وصول
انوار عالم الربوبية الى القلب والجوارح باطنها وظاهرها فتزول ظلمات البشرية راسا واسبابها واشكروا لي ما
انعمت به عليكم ولا تكفرون بانكار الامر وعصيانه وجحد ساير النعم من ارسال الرسول وتعليم العلوم والحكم وغير
ذلك يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة اي استعينوا على سطاعن من خالفكم وساير المكاره بالصبر

عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها ومن ههنا كان عم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة او على حوايجكم الى الله بالصبر
والصلوة اي بالجمع بينهما اعني جمع المعية ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء على ما هو معناه الاصلي وقيل بالصبر عن المعاصي
وحظوظ النفس وبالصلوة التي هي العبادات هي معراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين وقال الضحاك استعينوا على
صوم شهر رمضان وعلى صلوات الخمس وقال مجاهد استعينوا بالصوم والصلوة مطلقا وقد تقدم وجه اطلاق الصبر
على الصوم ويجوز ان يكون التقدير واستعينوا على نصرة البخيهم واطاعته بالصبر والصلوة وباب التاويل في مثل
ذلك مفتوح فخم حولك كابك ان الله مع الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة ومعنى المعية ههنا ان الله ينصر الصابرين
ويصرف عنهم العوادي والخطوب ويكشف القوادح والكروب وفي الاية دلالة على ان من صام وصلى فهو
من الصابرين فيدخل تحت عموم الوعد في قوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولا تقولوا لمن يقتل في
سبيل الله اموات هم اموات بل احياء بل هم احياء وقرا ابن السميفع لمن قتل وقال العباس ابن الفضل في مصحف ابن
مسعود ولا تقولوا للذين يقتلون في سبيل الله انهم اموات بل هم احياء لو كنتم تعلمون ولكن لا تشعرون ما حالهم
وكيف هي في حيوتهم وفيه ايذان على ان حيوتهم ليست بالجسد لانعدامه واضمحلاله ولا بما يحس به من الحيوانات
وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل
اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون
ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع من اجزاء الشهداء جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم
وان كانت في حجم الذرة وقال الضحاك نزلت الاية في النفر الذين قتلوا عند بئر معاوية وقال الكلبي نزلت في شهداء
بدر وكانوا اربعة عشر حيث قال الناس مات فلان مات وفيها اشارة الى ان الارواح جواهر قائمة بانفسها وانها
تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والسنن ويدل تزايد ادراكها
اثبات الفرح والذوق بها ضرورة انه ملزوم لادراكها لم يكن تخصيص الحيوة واثباتها في الشهداء مع ثبوتها
في غيرهم لاختصاصهم بالقرب والزلفى ومزيد البهجة والكرامة وخصهم بها لان من ليس كذلك لم يكن حيوته
معتدا بها فكانه ليس بحي وقرا الاعرج لا يشعرون بالياء ولنبلونكم واللام جواب القسم اي والله لنصيبنكم بذلك
اصابة من يختبر احوالكم هل تصبرون على البلايا والنوايب وتثبتون على الطاعات وتستسلمون للقضاء او القدر
ام لا بشئ من الخوف والجوع بقليل من كل واحد من هذه البلايا وانما قلله بالنسبة الى ما عصمهم عنه تنبيها على ان
ما اصاب الانسان وان جل يقل نظرا الى ما فوقه او بالاضافة الى ما يصيب معانديهم في الاخرة فيخفف عنهم
ويريهم ان رحمته لا تفارقهم وانما اخبرهم بذلك قبل الوقوع لان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه
ابعد من الاضطراب اذا وقع لما تقدمه من توطينهم عليه انفسهم وقرا الضحاك باشياء من الخوف ونقص من الاموال
والانفس والثمرات عطف على شئ او الخوف بمعنى وشئ من نقص الاموال والاولى اوجه بناء على تنكير نقص وعن الشافعي
الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن
الثمرات موت الاولاد وعن النبي عليه السلام اذا مات ولد العبد قال تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك

واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وعنه عم اذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله ابتلاء في جسده او ماله او ولده ثم صبره حتى ينال المنزلة التي سبقت له عند الله تعالي
وقيل المراد بالخوف خوف العدو وبالجوع القحط وبالنقص من الاموال ذهاب اموالهم او موت الماشية ومن الانفس الموت والقتل والامراض ومن الثمرات نقصان الثمار لا تخرج على عجيرها او يصيبها الافة وقيل لما كان الخوف يتجدد بتجدد الانذار صح الابتلاء به وان كان منه ما هو حاصل عند نزول الاية وكذلك الكلام في المرض وموت الولد وهذا قبل ايجاب الزكوة وصيام شهر رمضان وهذا تقرير لما قاله الشافعي فليتامل وبشر الصابرين عطف على نبلونكم عطف المضمون على المضمون والخطاب للرسول عم او لكل من يتاتى منه البشارة الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون والمصيبة كل شئ يوذي الانسان لما روي عنه عم انه طفى سراجه فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شئ يوذي المؤمن فهو له مصيبة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان احدكم اذا انقطع شسع نعله فقال انا لله وانا اليه راجعون كان عليه من الله الرحمة والصلوة والهدي والمعني وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعنه عم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الي خالقه ويتذكر ما انعم عليه من النعماء والالاء ليري ما معه اضعاف ما استرد منه فهو على نفسه ويستسلم له وعنه عم من ذكر مصيبة او ذكرت عنده فاسترجع جدد الله ثوابها كيوم اصيب بها وعن ابن جبير لم يكن الاسترجاع الا لهذه الامة ولو اعطي احدا سواهم لاعطي يعقوب عم الا يري الي قوله عند فقد يوسف يا اسفى على يوسف وهو ماخوذ من قوله عم اعطيت امتي شيئا لم يعطها احد من الامم قال يعقوب يا اسفى على يوسف ان يقولوا عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون والمبشر به محذوف يدل عليه قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة اسم الاشارة مبتداء وخبره عليهم صلوات وهذه الجملة واقعة موقع الاستيناف والمراد بالصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة مثل قوله رافة ورحمة رؤف رحيم ومعناه عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة لجمع الصلوات للتكثير كالتثنية في سعديك بمعنى الانقطاع لرافته وكذا في الرحمة تنكير التفخيم لان حملها على عدة من ذلك نكتة وما فوقها ما ليس له كثير معنى وهما يرجعان الي ايصال المسار ودفع المضار وما يقال ان الصلوة من الله رحمة فهو اخذ بالحاصل وبان الرحمة ايضا تنبئ عن الرافة والانعطاف ومنه الرحم وقيل الصلوة من الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان ولا يخفى ما فيه ما ليس في استعمالات الاقدمين والمحدثين من المهرة المتقنين وان كان صحيحا بحسب المعنى واولئك هم المهتدون لسبيل الرشاد وطريق الصواب والسداد حيث صبروا واسترجعوا وسلموا لقضاء الله تعالي ان الصفا والمروة هما علم الجبلين بمكة كالمقطم والصمان لكونهما علمين مع اللام من شعائر الله من اعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهي العلامة قال الجوهري الشعائر اعمال الحج وكل ما جعل علما على طاعة الله تعالى قال الاصمعي الواحد شعيرة وقيل شعارة فاضافة الشعائر الي الله ههنا بمعنى اعلام مواضع العبادات وفي

عظم

عظم شعائر الله بمعنى اعمال الحج واذا قيل شعائر الشرع فالمراد ما هو بمنزلة الاعلام والعلامات كالاذان والاقامة وكثير من افعال الحج فمن حج البيت او اعتمر الحج في الاصل القصد والاعتمار الزيادة ثم غلب في الشرع على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين والفرق ظاهر للاطلاق والتقييد وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان فلا جناح عليه ان يطوف بهما اصله يتطوف فادغم التاء في الطاء وقرئ ان يطوف من طاف وقراء ابن عباس وانس ان لا يطوف بزيادة لا كان اساف على الصفا ونايلة على المروة وهما صنمان قال عم اساف ونايلة رجل وامراة كانا بمكة فمسخهما الله حجرين وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون الطواف بينهما لاجل ذلك ولان لا يكون لهم جناح فيه فنزلت رفعا للجناح عنهم ثم اجمعوا على انه مشروع في الحج والعمرة لكن اختلف في وجوبه فعن انس وابن عباس وابن الزبير انه سنة قيل وعليه احمد لقوله فلا جناح اذ الاباحة والتخيير هو المتبادر الي الفهم عرفا من رفع الجناح وهو ضعيف لان قرينة كونهما من شعائر الله ربما يدفع الاباحة المتبادرة ايضا نفي الجناح يدل على جواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة قيل وبه قال احمد انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعندهم لا شئ عليه وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي واعلم ان للمحققين مناهنا كلاما فيه فوائد جليلة وهو ان الواو لمطلق العطف اي جمع الامرين وتشريكهما في الثبوت او في حكم او في ذات بدليل النقل والاستقراء ولا يدل على المقارنة اي الاجتماع في الزمان كما نقل عن مالك ولا على الترتيب اي تاخر ما بعدها عما قبلها في الزمان كما نقل عن الشافعي فلهذا لا يجب الترتيب في الوضوء لئلا يلزم الزيادة على الكتاب من غير دليل على ان الغسل المذكور بعد الفاء لا يقتضي الا كونه عقيب القيام الي الصلوة وهو حاصل على تقدير عدم رعاية الترتيب فيما بين الاعضاء ولا نسلم دلالة الفاء الجزائية على لزوم تعقيب مضمون الجزاء بمضمون الشرط من غير تراخ وعلى وجوب تقديم ما بعدها على ما عطفت عليه بالواو للقطع بانه لا دلالة في اذا نودي للصلوة الاية على انه يجب السعي عقيب النداء بلا تراخ وانه لا يجوز تقديم ترك البيع على السعي واحتج على كونها للترتيب بقوله ان الصفا والمروة من شعائر الله فقال الصحابة رض بايهما نبداء فقال عليه السلام ابدوا بما بداء الله فهم عم منه الترتيب فامرهم به والجواب انا لا نسلم ثبوت وجوب الترتيب بالقران وفهمه عم ذلك منه بل ثبت وجوبه لنا بقوله عم ابدوا بما بداء الله تعالي وللنبي عم بما لاح له من وحي غير متلو فان الحكم المستفاد من القران هو كونهما من الشعائر وهذا لا يحتمل اذ لا معنى لتقدم احدهما على الاخر في ذلك والحديث لا يدل على ان بدايته تعالي موجبة لبدايتكم لكن تقديمه في القران لا يخلو عن نكتة كالتعظيم او الاهمية او غيرهما ولا يخفى ان هذا يقتضي الاولوية دون الوجوب وانما الوجوب حقيقة بما لاح له من وحي غير متلو ولنا بقوله ابدؤا ومن تطوع خيرا التطوع في اللغة التبرع وقيل لفعل الطاعة متنفلا فبهذا الاعتبار استدل به على التطوع والسنة الا ان تعديته بنفسه توذن بان المراد الاتيان بالفعل طوعا فلا ينافي الوجوب وفسره بعضهم بقوله اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا منصوب بانه صفة مصدر مقدر او من اسلوب واختار موسى قومه او بانه مفعول لتضمن تطوع معنى اتى او فعل وقراء يعقوب والحمزة والكسائي ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم على ما مر في يطوف وقراء عبد الله ومن يتطوع بخير بزيادة الباء

ان الله شاكر عليم مثيب على القليل من الطاعة الكثير من النعمة عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء والشكر مثل في الاثابة واعطاء
الثواب اذا قيل لله شاكر او شكور كما ان الكفران مثل في حرمان الثواب ان الذين يكتمون من احبار اليهود فانهم كتموا نعت محمد عم
وآية الرجم وغيرهما مما نطقت به التورية وشهدت على حقيتها ما انزلنا في التورية من البينات كالآيات الشاهدة على امر محمد
صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه ومن بعد متعلق
بما انزلنا وقيل القرآن وما فيه من الاحكام وعلى هذا متعلق بيكتمون للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال
ولا التباس على احد منهم وقد يقال في القرآن اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم
هم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقيل الهالكون ايضا يلعن بعضهم بعضا الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب
ان يتاب عليه واصلحوا ما افسدوا من اعمالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم ليتم توبتهم
او بينوا للناس ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم المفسدون فان قلت هلا
يجاب بالفاء في الخبر الذي هو اولئك يلعنهم قلت لئلا يحصر السبب في لعنهم وذلك خلاف المقصود وغير الواقع نظرا
الى ان له اسبابا غير ما ذكر فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة قال ابن عباس رض من تاب الله عليه لم يعذبه
ابدا وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة واضافة الرحمة لمن تاب ودعى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار يعني من لم يتب
من هؤلاء الكاتمين حتى ماتوا على ذلك اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولان للعنهم اسبابا جمة سوى
هذا لم يدخل الفاء في الخبر ومعنى لعنة الله عليهم التبرء عنهم وتبعيدهم عن المغفرة والثواب ومعنى لعنة الملائكة والناس
الدعاء عليهم بذلك والمعنى ثبت واستقر عليهم لعنة الله وخلقه وقيل يستفاد من قوله اولا يلعنهم انه في الحيوة ومن هذا
انه بعد الممات لان امر الدنيا على التجدد والحدوث وامر الآخرة على الثبات والاستقرار فاندفع التكرار وقرأ الحسن والملائكة
والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو لا في التحقيق او فاعلا لفعل مقدر
نحو وتلعنهم الملائكة قيل المراد بالناس المؤمنون وقيل بل هو عام يشمل الفريقين خالدين فيها اي في اللعنة وقيل في النار واضمارها
قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من الانظار اي
لا يمهلون ولا يؤخرون او من النظر اي لا ينظر اليهم نظر رحمة ومغفرة او لا ينتظرون ليعتذروا والهكم اله واحد خطاب
عام اي المستحق بالعبادة فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يعبد غيره وان يسمى الها ثم الواحد قد يراد به
نفي الضد وقد يراد به نفي الكثرة فهو بالمعنى الاول عرف بانه الذي ليس في الوجود موجود يساويه في الوجود الذاتي وفي
العلم بجميع المعلومات وفي القدرة على جميع الممكنات وقيل في القدم والوحدانية واما بالمعنى الثاني فقد ذكروا في تعريفه
وجوها الاول انه شيء لا ينقسم وقريب منه قول من قال معناه المتوحد المتعالي عن الانقسام الثاني الذي لا مثل له الثالث
الذي لا يصح فيه الوضع والرفع الرابع الذي لا يتجزأ ولا يثنى قال بعضهم الواحد ما لا يكون عددا والفرق بينه وبين الاحد
من وجوه احدها ان لفظ الواحد يمكن ان يجعل وصفا لاي شيء اريد بخلاف الاحد فانه لا يمكن وصف شيء في جانب الاثبات
له الا الله اذ لا يصح ان يقال ثوب احد ورجل احد مثلا وكذا بالتنوين اما في جانب النفي فقد يذكر فيما سواه تعالى فيقال
ما رأيت احدا وما ضربت احدا الثاني ان الواحد اسم لمفتتح العدد فيقال واحد اثنان ثلثة الثالث انه في النفي اعم من الواحد
يقال ما في الدار واحد بل اثنان ولو اقيم احد مقامه ههنا لكان خطأ ثم وصفا لكم بواحد بيانا لما هو المقصود من الوحدة

التي هي احد محتمليه وذلك ان اله يحتمل الجنسية والوحدة فان اصل النكرة ان يكون لواحد من الجنس فيقع القصد بها تارة
الى الجنس فقط وتارة الى الوحدة فقط فاذا قصد الدلالة على ان الغرض الذي يساق له الكلام هو الوحدة وصف لما بينهما تصريحا
به على ما هو الاصل في الغرض او تأكيدا لاحد محتمليه الذي هو المعنى المسوق له الكلام وبه قال الزمخشري في قوله لا تتخذوا الهين
اثنين انما هو اله واحد فليتمعن التطرفيه لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته فان هذه الكلمة نظرا الى مفهومها نفي لكل آلهة
سواه وباعتبار الاستثناء اثبات له ولالوهيته اذ الاستثناء من النفي اثبات اذا كان بدلا فانه يكون هو المقصود بالنسبة
وهذا على كون الاستثناء بدلا مذهب جمهور المحققين فانهم ذهبوا الى انه بدل من اسم لا وان الخبر محذوف تقديره لا اله
لنا الا هو او لا اله موجود او في الوجود الا هو وانما قدر الوجود دون الامكان لان التوحيد هو بيان وجوده ونفي غيره لا بيان امكان
وعدم امكان غيره ولان هذا الكلام رد لخطأ المشركين في اعتقاد تعدد الآلهة في الوجود وايضا القرينة وهي نفي الجنس دالة على
الوجود لا الامكان واورد على الاول بانه كيف يصح ان البدل هو المقصود والنسبة الى المبدل منه سلبية اجيب بانه انما وقعت النسبة
الى البدل بعد النقض بالا فالبدل هو المقصود بالنفي المعتبر في المبدل منه لكن بعد نقضه ونقض النفي اثبات واورد على الثاني وهو
ان الخبر محذوف تقديره الخ بوجهين اما اولا فلان التقدير لو كان لا اله لنا الا هو لم يكن هذا الكلام دالا على توحيد الحق
اذ يحتمل ان يقال هب انه لا اله لنا الا هو فلم قلتم انه لا اله لجميع المخلوقات الا هو ولهذا السبب قال تعالى والهكم اله واحد ثم
قال بعده لا اله الا هو وفائدة تكرار التوحيد انه لما قال والهكم اله واحد بقي لسائل ان يسأل ويقول هب ان الهنا واحد فلم قلتم
ان اله الكل واحد فلاجل ازالة هذا السؤال قال بعده لا اله الا هو واما ثانيا فلو لهم تقدير الكلام لا اله في الوجود الا هو فاي حامل
يحملكم على التزام هذا الاضمار بل اجراء الكلام على ظاهره اولى لانه لو التزم كان معناه لا اله في الوجود الا هو فكان هذا نفيا لوجود
الاله الثاني ولو اجري على ظاهره كان نفيا لماهية الاله الثاني ومعلوم ان نفي الماهية اولى واقوى في التوحيد من نفي الوجود فاجراء الكلام
على ظاهره اولى واعلم ان كثيرا من الناس ذهب الى ان الاسم الاعظم لله تعالى لفظ هو والقائلون بهذا القول اذا ارادوا المبالغة في
الدعاء قالوا يا هو يا من لا اله الا هو يا من به هوية كل هو واحتجوا على ذلك بوجوه الاول ان هو كناية عن فرد موجود على سبيل
الفردانية والوجود والغنية عن كل الممكنات اما الفردانية فالفرد المطلق من كل الوجوه ليس الا هو واما الوجود فله بذاته ولغيره
ليس الا منه واما الغنية عن كل الممكنات فلانه يستحيل ان يكون حالا في غيره ومحلا لغيره وحاصلا عن غيره فكانت هذه الكلمة
اخلص الاسماء لله تعالى الثاني ان افتقار الخلق الى الخالق مقدر في العقول وكانه بلغ في الظهور الى غاية درجات العلوم الضرورية
ومن ثم قال تعالى هو الحي لا اله الا هو بعد قوله الله الذي جعل لكم الارض قرارا الآية وقال هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو
بكل شيء عليم فلفظ هو اشارة الى ذلك الموجود الذي شهدت فطر الخلائق وعقولهم بافتقار الكل اليه الثالث ان فيه انباء
عن تبجيله واشعارا بتعظيمه ونسبته الى العظمة والكبرياء فانه اذا اريد ان يعبر عن ملك عظيم وان كان حاضرا فلا
يقال انت فعلت كذا ورسمت كذا بل يقال هو فعل كذا فكان اسماء الاعظم وقيل كلمة هو دالة على ما بعدها من الصفات
فانها تدل في الآية الثانية على انه تعالى هو الباطن بماهيته وحقيقة صمديته وانه هو الظاهر بحسب دلائله وقس عليه
سائر الآيات الرحمن الرحيم كالحجة على الوحدانية فانه لما كان المولى لجميع النعم اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة
او منعم عليه لم يستحق الالوهية والعبادة احد سواه اذ النعمة والمنعم عليه لا تكون الها لما فيهما من الاحتياج
المنافي للالوهية وهما خبران آخران لقوله الهكم او لمبتداء محذوف فان قلت هل يجوز اعتبار البدلية فيهما قلت

لا للاتباع بدلا لبدل وقيل بدل من هو ان كان خبر مبتداء ولا يجوز ان يكون صفة لان المضمر لا يوصف ولا خبرا لهو
لان المستثني ههنا ليس بجملة وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثماية وستون صنما فلما سمعوا بهذه الاية تعجبوا وقالوا
ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض واعلم انه وان امكن اثبات الوحدانية
بالدلايل النقلية لعدم توقف صحتها على التوحيد استدل المتكلمون بدلايل عقلية فقالوا يمتنع وجود الهين متجمعين
لشرايط الالهية لوجهين الاول انه لو وجد الهان قادران على الكمال لكان نسبة المقدورات اليهما سواء اذ المقتضي
للقدرة ذاتهما وللمقدورية الامكان فيستوي النسبة بين كل مقدور وبينهما فاذا يلزم وقوع هذا المقدور المعين
اما بهما وانه باطل لامتناع مقدور بين قادرين واما باحدهما فيلزم الترجيح بلا مرجح فلو تعدد الاله لم يوجد
شيء من الممكنات لاستلزامه احد المحالين المذكورين الثاني اذا اراد احدهما شيا فاما ان يمكن من الاخر ارادة ضده
او يمتنع وكلاهما محال لانه اما يحصل الامران فيلزم اجتماع الضدين اولا فيلزم عجز احدهما العدم حصول مراده
فهو امارة الحدوث والامكان لما فيه من شايبة الاحتياج وهذا هو برهان التمانع المشار اليه بقوله تعالى لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا فالتوحد حق والتعدد باطل لاستلزام امكان التمانع المستلزم للمحال فيكون محالا ثم
انهم قالوا انه لا مخالف في هذه المسئلة الا الثنوية دون الثنوية فان الثنوية قالوا نجد في العالم خيرا كثيرا وشرا
كثيرا وان الواحد لا يكون خيرا شريرا بالضرورة فلكل فاعل على حدة والجواب منع قولهم الواحد لا يكون خيرا ولا
شريرا اللهم الا ان يراد بالخير من يغلب خيره على شره وبالشرير من يغلب شره على خيره ثم يقال لهم الخير ان قدر على
دفع شر الشرير ولم يفعله فهو شرير وان لم يقدر عليه فهو عاجز عن بعض الممكنات فلا يصلح الها فلا يوجد الهان كما ذكرتم
وانما قالوا دون الثنوية لانهم لا يقولون بوجود الهين واجبي الوجود ولا يصفون الاوثان بصفات الالهية وان
اطلقوا عليها اسم الالهية بل اتخذوها على انها تماثيل الانبياء او الزهاد او الملائكة او الكواكب واشتغلوا بتعظيمها
على وجه العبادة توصلا بها الي ما هو اله حقيقة ان في خلق السموات والارض جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات
متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين ولقد احسن سبحانه وتعالي في ترك الجار في قوله اي في خلق السموات الخ
وذلك للايجاز وهو ان يقال في ترجح وقوع كل ممكن على لا وقوعه لايات للعقلاء اي علامات دالة على وجود الصانع
ووحدانيته وساير صفات كماله لان وجود الممكن لما لم يكن من ذاته كان من فاعل واجب لذاته او منتهي اليه قطعا
للدور والتسلسل وانما ترك ايجازه لكونه كلاما مع الانس والجن ومع اهالي الازمنة الي انقراض الدنيا لا مع الانس فقط
ولا مع اهل زمان واحد والحال ان فيهم من المقصرين في باب النظر والاستدلال وتحصيل العلم بالصانع وصفاته القديمة
فقلما ياتي مقام ادعي للاطناب من هذا المقام فلا يتصور ذلك واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل
والنهار خلفة وهو من اجل الايات وارفعها ولذلك قال عم تفكر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ثمانين
سنة رواه انس رضي الله عنه والفلك اي السفن التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما اما مصدرية او موصولة اي
بنفعهم او بالذي ينفعهم مما يحمل فيها وضمير الفاعل اما للبحر او للجري لا للفلك لكونه جمعا وقرئ الفلك بضمتين
على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولي ابتدائية
والثانية بيانية والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيى به الارض بعد موتها بيبوستها وبث فيها

من كل دابة

من كل دابة عطف على انزل بحذف العايد كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او
على احيا اي فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة به فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياء والاكثرون
على ان المانع من العطف على انزل وجود الفاصل الذي هو فاحيي به الارض والمحققون لا يرضونه اذ لا يتوهم كون
بعض اجزاء الصلة مانعا من العطف عليها ومن ههنا يجوز ان تكون بيانية وزايدة وتبعيضية نظرا الي ما الكل من
الافراد المقدرة الثابتة في علم الله تعالى بل الي ما زعم بعضهم من ان السماء ايضا دواب والبث النشر والتفرق
وما قيل من انهم ينمون بالخصب وكثرة الارزاق ويعيشون بالامطار المبني عليها امر النبات والاشجار والزروع
والثمار والمياه والانهار فيكثرون وهو معني البث فهو تقرير لما قلنا وتصريف الرياح اي تغييرها في مهابها
قبلا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة
بالعذاب والتصريف في الاصل التغيير ثم قيل لتحويل شيء من حال الي حال وقرا حمزة والكسائي بغير الف مفردا
والباقون بالالف جمعا واختار الاول ابو عبيدة عند ذكر العذاب والثاني عند ذكر الرحمة هكذا في جميع القران
استدلالا بالحديث ثم الرياح ثمان اربع عذاب واربع رحمة فاما الرحمة فالناشرات والذاريات والمرسلات
والمبشرات واما العذاب فالعاصف والقاصف وهما في البحر والصرصر والعقيم وهما في البر والسحاب المسخر بين
السماء والارض التسخير التذليل والتركيب يدل على الطاعة ومنه سفن سواخر اذا طاعت ايها الريح ومسخر للرياح
تقلبه في الجو بمشية يمطر حيث شاء واشتقاقه من لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون فان العقلاء وقليل
ما هم بدليل ما نطق به القران في غير موضع يتفكرون وينظرون اليها بعيون عقولهم ويستدلون بها على وجود صانعها
ووحدته وساير صفاته العظيم لكونها دلايل واثارا فلا بد لها من موثر واجب الوجود ثم وجوب الوجود يدل على
الوحدة والعلم والقدرة وغير ذلك على ما بين في علم الكلام وينساق اليه ثواقب الافهام والمشهور ان المتكلمين
استدلوا في اثبات الصانع باحوال خصوصيات الاثار على وجود الموثر فقالوا ان الاجسام والاعراض محدثة قطعا
فلا بد لها من صانع ولا يكون حادثا والا احتاج الي موثر اخر فيلزم الدور او التسلسل او الانتهاء الي قديم والاولان
باطل والثالث هو المطلوب وقيل لو لم يوجد الواجب لانحصرت الموجودات باسرها في الممكن ولو انحصرت فيه لاحتاج
الكل الي موجد مستقل يكون ارتفاع الكل بالكلية وذلك بان لا يوجد الكل ولا واحد من اجزايه اصلا ممتنعا بالنظر
الي وجود ذلك الموجد المستقل اذ ما لا يمنع جميع انحاء العدم لا يكون موجبا للوجود والشيء الذي اذا فرض عدم
جميع الاجزاء كان ذلك العدم ممتنعا نظرا الي وجوده يكون خارجا عن المجموع لا نفسه ولا داخلا فيه فيكون ذلك
الخارج واجبا هو المطلوب وقيل لو لم يوجد واجب لذاته لم يوجد واجب لغيره فيلزم ان لا يوجد موجود اصلا
لانحصار الموجود في الواجب والممكن اما الاول فلان ارتفاع الجميع مرة لا يكون على ذلك التقدير ممتنعا لا بالذات
ولا بالغير واما الثاني فلان ما لم يجب اما بالذات واما بالغير لا يوجد لما تقرر من ان الموجود اما واجب مسبوق
وجوده بوجوبه الذاتي واما ممكن مسبوق وجوده بوجوبه من علته وبمثل هذه الدلايل يحصل العلم القطعي
بالصانع الواجب الوجود الموجد للممكنات وفي الاية والدلايل المذكورة تنبيه عظيم على شرف علم الكلام
وعلمايه وحث على البحث والنظر فيه وعن النبي عم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يستدل

بها فان من تفكر فيها فكانه حفظها ولم يلتفت من فيه قوله لايات اي لادلة واضحة على الصانع الواجب الوجود الموجد لها وعلي
وحدته وعظم قدرته وباهر حكمته وقوله لقوم يعقلون اي لقوم يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال وتحصيل العلم والاعتبار
فيتفكرون في قدرة مقدرها وحكمة مدبرها ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجايب النظر ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا ولما ثبت انتهاء الموجودات الي واجب الوجود لذاته وامتنع طريان العدم على الواجب
لزم كونه تعالي احديا ازليا ابديا وان تكون ذاته مخالفة لساير الذوات كما ذهب اليه نفاة الاحوال حيث قالوا
المخالفة بينه وبينها لذاته المخصوصة لا لامر زايد عليه وهو مذهب الاشعري وابي الحسن البصري فانهما قالا
المخالفة بين كل موجودين من الموجودات انما هي بالذات وليس بين الحقايق اشتراك الا في الاسماء والاحكام دون
الاجزاء المقومة وعلى هذا فهو مقدس منزه عن المثل اي المشارك في تمام الماهية وعن الند الذي هو
المثل المناوي سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وفي مجيئه بالواو حيث قال ومن الناس رمزا الي نكتة لطيفة وهي
ان تلك السموات والارض وما فيهما قد امتثلت لامر الله وحكمه امتثالا يصح من الجماد واطاع اطاعة يليق بها
حيث لم تمتنع عن مشيته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة وكانت في ذلك
كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع وبعض الناس مع حيواته وكمال عقله وصلوحه للتكليف لم يكن حاله
فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الامتثال والقبول لاوامر الله ونواهيه مثل حال تلك الجمادات بل ابي وامتنع
ذاهبا يمينا وشمالا والتفت الى ما يسول له الشيطان من اتخاذ الانداد والشفعاء ولافادة هذه النكتة
جيء بالواو ولم تقطع عطفا على ما قبله قوله اندادا قيل اي امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين
كانوا يتبعونهم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بدليل الضمير في يحبونهم
وقد يستدل بقوله اذ تبرا الذين اتبعوا وجه الاستدلال ان التبرا لا يمكن من الاصنام واجيب انه
لا دلالة في الكلام على كون الذين اتبعوهم الانداد والاظهر عندنا ان المراد اعم منهما وهو كل ما يشغل
الشخص عن الله تعالى مؤثرا محبته على محبته مرجحا طاعته على طاعته يحبونهم اي يعظمونهم كحب الله
كتعظيم الله اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول اذ لا دلالة في الكلام على الفاعل اي المؤمنين
فالمعنى على تشبيه محبوبية الاصنام من جهة الكفار بمحبوبية الله من جهة المؤمنين من حببته بمعنى احببته
واما اذا اريد كحبهم الله فالمصدر من المبني للفاعل اضيف الي المفعول لدلالة الكلام على الفاعل فان قيل على
الوجه الاول كيف ينتظم قوله والذين امنوا اشد حبا لله وقد حكم اولا انهم يحبون الاصنام كحب الله
اجيب بان التشبيه انما وقع بين المحبوبين والترجيح بين المحبين واثر اشد حبا على احب لشيوعه
في الاشد محبوبية والمحبة ميل القلب من الحب لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ
فيها ومحبة العبد لله تعالي ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه
واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي وقد يقال محبة العبد لله كيفية روحانية مترتبة على
تصور الكمال المطلق الذي فيه على الاستمرار مقتضية للتوجه التام الي حضرة القدس بلا فتور وقرار
واما محبة العبد لغيره فكيفية يترتب على تخيل كمال فيه من لذة او منفعة او مشاكلة تخيلا مستمرا

لمحبة

كمحبة العاشق لمعشوقه والمنعم عليه لمنعمه والوالد لولده والصديق لصديقه وعن انس قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول علامة حب الله تعالي حب ذكر الله تعالي وعلامة بغض الله بغض ذكر الله تعالى ثم المحبة
لها بداية وهي الموافقة ونهاية وهي العشق والذين امنوا اشد حبا لله لانهم مستمرون ثابتون عليه ولا يزالون
يحبونه ولا يعرضون عنه بحال من الاحوال ولا يؤثرون عليه ما سواه بخلاف المشركين فانهم يعرضون عن الهتهم
في الشدائد ويقبلون على الله تعالى فيفزعون اليه ويخضعون له كما قال تعالى اخبارا عنهم فاذا ركبوا في الفلك
دعوا الله الاية ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الي غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس
عام المجاعة وهي قبيلة من قيس عيلان وقال سعيد بن جبير ان الله تعالي يامر يوم القيمة من احرق نفسه
على رؤية الاصنام في الدنيا ان يدخلوا جهنم مع اصنامهم فلا يدخلون لعلمهم ان عذابها على الدوام ثم يقول
للمؤمنين ان كنتم احبائي فادخلوا جهنم فيقتحمون فيها فينادي مناد من قبل العرش والذين امنوا اشد حبا
لله وقرا الخليل اشد حبا بنصب الدال ولو يري الذين ظلموا ودخول لو على المضارع في مثله لتنزيله منزلة
الماضي لصدوره عمن لا خلاف في اخباره او لاستحضار الصورة الهائلة وجواب لو محذوف والمعنى ان
حالهم العظيمة قد تحققت وانقضت ولو رايتها لرايت امرا عظيما وانما حذف ليدل على ان جوابه شيء لا يحيط
به الوصف وليذهب نفس السامع كل مذهب ممكن ويجوز ان يكون بمعنى ان كما ذهب اليه بعضهم ويري متعد
الي مفعولين لكونه بمعنى يعلم اي ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد فان الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد
فجيء بالظاهر ليدل على ان ما يرون من فظيع العذاب انما هو لفاحش ظلمهم الذي هو الشرك الدال على عظم
وبلوغه الغاية باطلاق الفعل وترك المتعلق نحو فلان يعطي اذ يرون العذاب ويرون متعد الي مفعول واحد
وهو العذاب فيكون بمعنى يبصر ويشاهد الا انهم يفتدون بعاينوا دون يعاينون لان اذ للماضي فنزل ما هو
للوقوع كالواقع اجراء للمستقبل مجري الماضي لتحققه كقوله ونادي اصحاب الجنة وقرا ابن عامر ونافع
ويعقوب ولو تري بالتاء على انه خطاب للنبي عم او لكل من يتاتى منه الرؤية فهو ايضا متعد الى واحد
وهو الذين ظلموا واذ يرون العذاب بدل منه وكذا اذ تبرا الذين اذ لا يبدل للبدل وان القوة في
موقع بدل الاشتمال من العذاب وفي مصحف ابي حين يرون العذاب ان القوة لله جميعا نايب مناب مفعولي
يري اي لو يعلمون ان القدرة كلها لله على كل شيء من الثواب والعقاب اذا عاينوا العذاب بعد الموت
لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يري الذين ظلموا اندادهم لا تنفع
لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وعلى هذا يكون معمول الجواب المحذوف وقيل هو علة للجواب المحذوف
لا معموله اي لرايت امرا عظيما لان القوة لله جميعا وانه شديد للكافرين وفيه فصل بالجواب ومتعلقه بين
البدل الذي هو اذ تبرا والمبدل منه وهو الذين ظلموا وقرا ابن عامر اذ يرون على البناء للمجهول ويعقوب
ان بالكسر وكذا وان الله شديد العقاب بالكسر على الاستيناف واضمار القول وروي حماد عن المسيبي عن
نافع ان القوة وان الله بالكسر وعن ابي جعفر ان القوة بتخفيف ان وبرفع القوة قيل على ترجمة العذاب اذ
يرون العذاب الذي هو قوة الله ولم ينقل عنه في وان الله شيء ويلزم منه ان يقرا وان الله بالتخفيف كذا

في كتاب غرائب القرآن والفعيل من صيغ صفة المشبهة وهي دالة على الثبوت والتقدير شديد عقابه اذ تبرأ الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا أي اذ تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب
الواو للحال وقد مضمرة والضمير للمتبوعين والاتباع جميعا اي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب وليست للعطف على ما زعم
بعضهم لتأديته الى ابداله من اذ يرون وليس فيه كثير فايدة ولان الجري بالاستعظام والاستفظاع هو تبرأهم في حال
رؤية العذاب لا هو نفسه وقرئ ورأوا العذاب بكسر الواو وتقطعت بهم الاسباب عطف على تبرأ وهو الاظهر وقيل
على رأوا او حال وضمير بهم للطائفتين جميعا كضمير رأوا العذاب فلا وجه لجعله المرجح للحال على العطف واما الباء
فللسببية اي تقطعت بسبب كفرهم الاسباب التي كانوا يقصدون بها النجاة وقيل للحال اي ملتبسة بهم الاسباب متصلة
وقيل اي موصولة بهم الاسباب وذهب بعضهم الى انها بمعنى عن كقوله تعالى فاسأل به خبيرا اي عنه والاسباب الوصل التي كانت بينهم
من الاتفاق على دين واحد ومن الاسباب والمحاب والاتباع والاستتباع وهذا كقوله تعالى لقد تقطع بينكم في قراءة الرفع
والنصب جميعا اذ لا تفاوت في حاصل المعنى اي الاسباب والوصل التي بينكم هذا على قراءة الرفع ومن قرأ بالنصب جعله
ظرفا اي فيما بينكم واصل السبب الحبل الذي يرتقى به النجد وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة
فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني اي ليت لنا كرة ورجعة الى الدنيا فنتبرأ
منهم او شرط حذف جوابه وهو لفعلنا كيت وكيت وقوله فنتبرأ عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر فنتبرأ منهم مثل
تبرئهم منا وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمر فنتبرأ بسكون الهمزة قيل لعلهما سكناها لكثرة الحركات وانما تمنوا
الرجعة الى الدنيا لما يرون المؤمنين ان لهم شفاعة من النبيين والمطيعين واصدقاء من المتقين وليس لهم
شيء من ذلك لانه لا يشفع ولا يصادق يوم القيمة الا المؤمنون واما اهل النار من الكفرة والمشركين فبينهم التعادي
والتباغض قال الله عز من قائل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقون كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع وهذا
مبني على ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى اراء آخر لقصد تشبيه هذه الاراء به على ما بينا في
كذلك جعلناكم امة وسطا وانما قدر المصدر الخالي عن التاء مع ان المشهور الاراءة لان العرب ربما تحذف التاء
كما في قوله تعالى واقام الصلوة وليلا يحتاج في تذكير اسم الاشارة الى تاويل يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات
وهي ثالث مفاعيل اري ان كان من رؤية القلب والا فحال والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات فلا يرون الا حسرات
مكان اعمالهم وقال ابو حاتم حسرات بسكون السين لغة مثل تمرة وتمرات وما هم بخارجين من النار تقديم
الضمير وايلاؤه حرف النفي كثيرا ما يفيد الحصر والاختصاص على انهم قد نصوا بان دلالة الجملة الاسمية الدالة على
الثبوت على القصر بالوضع وان لم يكن الخبر فعلا بل صفة كقوله تعالى وما انا بطارد المؤمنين وما انت علينا بعزيز
الى غير ذلك فالاقرب عندي ان الآية من هذا القبيل لعدم المانع كما في قوله وما هم بمؤمنين ولان المشركين كاليهود
والنصارى وامثالهم يعتقدون انهم يخرجون من النار على ما صرح به قوله تعالى حكاية عنهم وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة و
هذا عكس الحكم الذي اثبته الله في كتابه المبين وانزل في كتبه المنزلة على النبيين كما تقول ما زيد بقائم لمن اعتقد القيام فيه
بعكسه ونقيضه ردا عليه والمعنى ليس من شأنهم ان يخرجوا من النار كانه قيل ان خروجهم منها محال كالمحال كقولك
الفرس ليس من شأنه ان ينطق والحجر ليس من شأنه ان يأكل ويشرب تستحيل منهما ذلك استحالة على سبيل

القطع

القطع والغرض المبالغة في الخلود والاقناط عن نجاة العذاب والرجوع الى الدنيا وبهذا تفسير وما انا بطارد المؤمنين
يريد ليس من شأني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين يعني ان ذلك مستحيل وبما ذكرنا يظهر ضعف
ما قيل ان هذا ليس من باب التقديم لافادة الاختصاص بل من باب العدول الى الجملة الاسمية لرد كلامهم بابلغ وجه
واكده فكن الحاكم دون تمام المقام مقام المبالغة والتاكيد على التاكيد بشهادة الاسمية وتقديم المسند اليه
سيما اذا كان ضميرا وزيادة الباء المؤكدة لاستغراق النفي وذلك اعني المقام الخطابي المقتضي للمبالغة اقول
دليل واعدل شاهد على الحصر والاختصاص من هذا فالمعنى على اختصاص النفي وحصره فيما يلي حرف النفي بمعنى ان عدم
الخروج من النار مقصور على الكفار لا يتجاوزهم الى غيرهم كما يدعونه وكذلك قوله وما انت علينا بعزيز والمعنى ان عدم
العزة مقصور عليك لا يتجاوز الى رهطك وقوله وما انا بطارد المؤمنين اي عدم طرد المؤمنين مقصور علي لا يتخطاني
الى سواي من الكافرين وبهذا تبين تمحل ما قيل وبعده ان هم في الآية بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته
على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص يريد ان تقديم المضمر في الآية والبيت لمجرد التقوي دون الاختصاص
لعدم مناسبة المقام فانه ليس المقام مقام تردد ونزاع في ان الخارج هم او غيرهم على الشركة او الانفراد بل
اللائق مقام ارادة اعمالهم حسرات عليهم القطع والبتة بانهم لا يخرجون من النار البتة وكذا مراد الشاعر تحقيق
انهم يعدون كرام الخيل للاغاثة من يستغيثهم لكون ذلك مطمح نظرهم ومرمى غرضهم لا نفي الشركة او انفراد الغير
بذلك وان كان كلاما صحيحا من جهة المعنى بل الصحيح انما هو هذا اما في البيت فادعاء واما في الآية فبالنظر الى مقابل
هؤلاء الكفرة من اصحاب الكبائر الذين ليسوا بكفار سواء اطلق عليهم اسم المؤمن كما هو مذهب اهل الحق او لا
كما هو راي المعتزلة وقد دل على ذلك قوله والذين آمنوا اشد حبا لله اي صدقوا وقرأ حسين الجعفي بخارجين
بالامالة ورواها احمد عن ابي عمرو يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم العرب مثل مدلج وخزاعة
وبني عامر وغيرهم ممن حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وما احل عليهم من الحرث والانعام وحلالا
مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض على هذا التقدير اذ لو كان مفعولا فهي للابتداء
لان من التبعيضية في موقع المفعول اي كلوا بعض ما في الارض فان كل ما فيها ليس بماكول فان قيل هلا يجوز ان يكون
حالا من حلال قدم عليه لتنكيره اجيب بان كون البعضية ظرفا مستقرا او كون اللغو حالا مما لا يقول به النحاة
طيبا قيل اي طاهرا من كل شبهة لان الطهارة من الحرمة فدل عليه الحلال وفسره بعضهم بما يستطيبه الشرع او
الشهوة المستقيمة ورد على الاخيرين وجهه بان ما ليس كذلك اما حلال بلا شبهة فلا منع منه فخارج بقيد الحلال
والمعنى كلوا ما في الارض مما احل الله لكم وطاب ولذا روي انه عم كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء
والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن الحسن ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال لينفق
ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم ولا تتبعوا
خطوات الشيطان اي ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتحرموا الحلال وتحلوا الحرام
وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة خطوات بتسكين وقرئ بفتحتين وبضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها
على الواو والواو المضمومة قد تقلب همزة مثل احوه وافتت وبفتحة وسكون وبفتحتين على انه جمع خطوة

دهي المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالقبضة والقبضة والغرفة والغرفة الفتح المرة من الفعل والضم
بمعنى المفعول اي المقبوض والمغترف وقراء علي كرم الله وجهه خطوات مثقلة مهموزة يقال اتبع خطواته
ووطي على عقبه اذا اقتدي به واستن بسنته وقال الزجاج خطوات الشيطان اي طرقه والمعنى لا تسلكوا الطرق
التي يدعوكم اليها الشيطان انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا خفاء به عند اولي الالباب وقيل مظهر العداوة
انما يامركم بالسوء والفحشاء تقرير لعداوته ووجوب الحذر عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه
على التزيين تسفيها لرايهم وتحقيرا لشانهم وفيها الرمز الي انهم بمنزلة المامورين لطاعتهم له وقبولهم وساوسه
والسوء والفحشاء ما استقبحه الشرع وانكره العقل والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء باغتمام العاقل به
وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يتجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل السوء ما لا حد
فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كتحريم الطيبات وتحليل المحرمات وغير ذلك وفيه
دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادي اليه ظن مستند الي مدرك شرعي فوجوبه قطعي
والظن في طريقه كما بين في الاصول واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله ضمير لهم للناس وعدل عنهم الخطاب وذكر
بلفظ الغيبة لنداء الاخرين على ضلالتهم وانهم احقاء بان يصرف عنهم الخطاب لفرط جهلهم وانهما كهم
في الضلال كانه التفت الي العقلاء وقال لهم انظروا الي هؤلاء الحمقي ماذا يقولون في الجواب فالمراد بالناس
الذين يقال لهم هذا القول وقيل المشركون امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا
الي التقليد وقيل طائفة من اليهود ودعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الي الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا
عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا قوله ما انزل الله يعم التورية لانها تدعو ايضا الي الاسلام
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا والفينا معناه وجدنا وهذا غني عن الدليل اذ ليس له معنى اخر وقراء
مجاهد بل نتبع بالتخفيف اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة
للرد اي لا ينبغي ان يكون وقد دلت على فعل يعينه قوله بل نتبع ما الفينا والمعنى ايتبعون ما وجدوهم عليه
ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون الصواب يريد ان الاتباع مع استواء حال المتبوع في العقل
والاهتداء وعدمهما باطل منكر بل انما يصح اتباع الغير اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في
الاحكام وهذا ليس تقليد بل اتباع للدليل ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على
حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق ومثل الذين كفروا كمثل البهائم الذي ينعق والمعنى
ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الي ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما يقرر معهم فهم في
ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا يعرف معناه وتحس بالنداء ولا يفهم معناه ومثلهم في
دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع لكن قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه اذ لا دخل له في التشبيه
لان الاصنام لا تسمع شيا والتشبيه وان كان مركبا الا ان المذكور في الجانبين لابد ان يكون له دخل في التشبيه
وان يكون ما اعتبر في احد الجانبين مماله مناسب في الجانب الآخر وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم
على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فلذلك

لا يفقهون اهم على حق ام باطل ويجوز على الوجه الاول انما لا يسمع الاصم الاصلخ لانه بمنزلة غير العقلاء وان
يراد البهائم على ما هو الظاهر من كلمة ما ومن لفظ النعيق الشائع في تصويت البهائم وما ذكره بعضهم
من نعق المؤذن قليل جدا وقراء الخليل ينعق صم بكم عمي رفع على الذم اي هم صم وقراء الضحاك وابن عمر
صما وبكما وقد مر وجهه فهم لا يعقلون اي بالعقل للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم يعني ما طاب ولذ من الحلال قيل لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوي
ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما
رزقكم واحل لكم وفسر بعض المعتزلة الطيبات بالمستلذات وذلك ان الطيب على ما قيل له ثلث معان
الطاهر والحلال والمستلذ ففسرها بالمستلذات ردا على من فسرها بالحلال من الرزق لانه عندهم انما يكون
حلالا فان قيل هب ان ما رزقه انما يكون حلالا طيبا مع ان الحل فيه غير مذكور والحل فيما سبق صريح اجيب بان هذا
في مقام الامتنان وطلب الشكر وصيغة الجمع وذاك في مقام الامر بالاحتياط والتحرز عن الشبهات وعن اتباع
خطوات الشيطان ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولي النعم وعبادته لا تتم
الا بالشكر وعنه عم يقول الله تعالى اني والانس والجن في نباء عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري
انما والمحققون من ائمة التفسير سيما علماء المعاني على ان انما تستعمل في الكلام المفيد به للقصر لتضمنه معنى
ما والا وليس بمعنى ما والا حتى كانهما لفظان مترادفان اذ فرق بين ان يكون في الشيء معنى الشيء وان يكون هو هو
على الاطلاق حرم عليكم الميتة والدم قد يضاف الحرمة والحل الي الاعيان كحرمة الميتة والخمر والامهات مثلا
وعليه شمس الائمة وفخر الاسلام ومن تابعهما حيث قالوا ان الحكم يتعلق بالعين كما يتعلق بالفعل ومعنى حرمة
العين خروجها من ان يكون محلا للفعل شرعا كما ان حرمة الفعل ان العبد يمنع عن اكتسابه وتحصيله فالعبد
ممنوع والفعل ممنوع منه وهذا كما يقال لا تشرب هذا الماء وهو بين يديه ومعنى حرمة العين انها منعت عن
العبد تصرفا فيها فالعين ممنوع عنه وهو كما اذا صب الماء الذي بين يديه فهذا اوكد وابلغ وكثير من المحققين
على انه مجاز من باب اطلاق اسم المحل على الحال وهو مبني على حذف المضاف بقرينة دلالة العقل على ان الاحكام
انما يتعلق بالافعال دون الاعيان اي حرم اكل الميتة وشرب الخمر ونكاح الامهات ولما لاح على ما ذكر اثر
الضعف بناء على ان الحرمة في الشرع قد نقلت عن معناها اللغوي الي كون الفعل بحيث يعاقب فاعله او كونه
ممنوعا عنه شرعا وكان مع ذلك اضافة الحرمة الي بعض الاعيان مستحسنة جدا كحرمة الميتة والخمر دون البعض
كحرمة خبز الغير سلك بعضهم طريقة متوسطة وهو ان الفعل الحرام نوعان حرام لعينه اي منشاء الحرمة عين
ذلك المحل كحرمة اكل الميتة وشرب الخمر ونحوهما وحرام لغيره اي منشاء الحرمة غير ذلك المحل كحرمة اكل مال الغير
فانها ليست لنفس ذلك المال لكونه ملك الغير والحرمة ههنا ملاقية لنفس الفعل بمعنى ان الاكل حرام ممنوع لكن المحل
قابل له في الجملة بان ياكله مالكه وفي الاول قد خرج المحل عن قبول الفعل ولزم من ذلك عدم الفعل فعدمه لعدم المحل
نفي الحرام لعينه يكون المحل اصلا والفعل تبعا تقتضا فالحرمة الى المحل ليدل على عدم صلاحيته للفعل شرعا حتى كانه
الحرام نفسه لا انه اطلق المحل واريد الفعل الحال فيه كما في الحرام لغيره فان اضافة الحرمة فيه الي المحل على الحذف

او الاطلاق فاذا قيل الميتة حرام معناه انها منشاء لحرمة اكلها واذا قيل خبز الغير حرام معناه ان اكله حرام على انه مجاز
من باب اطلاق المحل وارادة الفعل الحال فيه او على حذف المضاف لدلالة العقل عليه كما في قوله تعالى واسال القرية اي
اهل القرية مجازا عن الاهل اطلاقا للمحل على الحال والميتة هي التي ماتت غير ذكاة والسمك والجراد اخرجهما العرف او
استثنى الشرع وحرم مبنيا للفاعل وحرم مبنيا للمفعول وحرم بوزن كرم وعلى الاول ما في انما كافة قطعا والا لم يبق
للكلام معنى اصلا واما على الاخيرين فهي اما كافة او موصولة وترجح الكافة باتباع سنة الكتابة والموصولة ببقاء ان
عاملة على ما هو اصلها وكل من انما ومن موصولية المسند اليه وتعريف المسند بلام الحقيقة يفيد حصر التحريم على
المذكورات وذلك بالاضافة الى ما حرم المؤمنون معها من الطيبات والكفار دونها من السائبة وغيرها
فيصح القصر افرادا او قلبا اضافة وان لم يصح حقيقة لتحقق محرمات اخر ولحم الخنزير وقد عرفت ان الميتة
والدم للعموم لعدم العهد واعلم ان الحاق شحم الخنزير بلحمه في الحكم وهو التحريم بدلالة النص اولى من جعله
داخلا في ذكر اللحم اذ لا يصح التبعية والوصفية في شحم البطن الا بتكلف وما اهل به لغير الله رفع به الصوت
للصنم وهو قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى عند الذبح والاهلال اصلا رؤية الهلال لكن لما جرت
العادة ان يرفع الصوت بالتكبير عند رؤيته سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره
فمن اضطر غير باغ ولا عاد اي فمن دعته الضرورة على اكل شيء من هذه المحرمات غير ظالم على مضطر
مثله تارك لمواساته ولا متجاوز قدر حاجته من اكله فلا يواخذه الله وقد تمسك الشافعي بقوله فمن اضطر
غير باغ الاية على عدم الرخصة لمن يسافر سفر المعصية فجعل قوله غير باغ حالا من قوله فمن اضطر فجعل
رخصة اكل الميتة المنوطة بالاضطرار حال كون المضطر غير باغ اي خارج على الامام ولا عاد اي ظالم على
المسلمين بقطع الطريق واجيب بان الاثم وعدمه لا يتعلق بنفس الاضطرار بل بالاكل فلا بد في الآية
من تقدير فعل اي فمن اضطر فاكل ثم يكون غير باغ حالا من ذلك الفعل اي فاكل حال كونه غير باغ ولا عاد
فيجب ان يعتبر البغي والعدا في الاكل الذي سيقت الآية لبيان حرمته وحله اي غير متجاوز في الاكل قدر الحاجة
على ان عاد مكرر للتاكيد او غير طالب للميتة وهو يجد غيرها ولا يجاوز قدر ما يسد الرمق ويدفع الهلاك
او غير متلذذ ولا متزود او غير باغ على مضطر آخر ولا يجاوز حد ما يسد جوعته وقرا ابو جعفر فمن اضطر بكسر الطاء
وادغم الضاد في الطاء ابن محيصن فلا اثم عليه في اكله ان الله غفور لما فعل رحيم فلا يواخذه بذلك والمعنى
ان المحرم عليكم او الذي حرمه الله عليكم الميتة والدم الى آخره اعني هذه الاعيان ما لم تضطروا اليها او اكل الميتة
والدم وايا ما كان ينبئ عن الاختصاص فان المنطلق زيد والذي ينطلق زيد سواء في افادة الحصر ان الذين يكتمون
ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا والاشتراء استعارة للاستبدال اي يستبدلون بكتاب الله ثمنا قليلا والا
فالثمن هو المشتري به والثمن القليل رياستهم التي كانت في قومهم وهي بدل قليل حقير ومتاع يسير اولئك ما ياكلون في بطونهم
الا النار اي ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا والظرف متعلق بما
ياكلون لبيان المبالغة كما في قوله واشربوا في قلوبهم العجل ومعنى ياكلون النار ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة فانهم
اذا اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليهم فكانهم اكلوا النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة يعني الدية التي

هي بدل الدم وكقوله ياكلن كل ليلة اكافا يريد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله يوم القيمة
لانهم لم يتحدثوا بالصواب في الدنيا بل حرفوا الكلم عن مواضعه وقد نطق الكتاب في مواضع بانه تعالى يسالهم والسؤال
كلام فينبغي ان يحمل نفي الكلام على التعريض بعدم اكرام الله تعالى اياهم او على انه عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه
فصرمه فقطع كلامه او على نوع من الكلام اي لا يكلمهم بكلام يحبونه من الرحمة بل يكلمهم بكلام العذاب قال اخسؤا
فيها ولا تكلمون فهو على الاولين كناية وعلى الثالث صريح ولا يزكيهم بالثناء عليهم اذ لم يصدر الثناء
منهم حيث ثبتوا واستمروا على الكفر والخيانة والمخالفة ولهم عذاب اليم بكتمانهم آيات الله التي فيها الوعيد
عليها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم والآية نزلت في رؤساء اليهود خافوا على رياستهم الفوات لو
اصبحوا تباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها بكتاب الله وبالحق الذي كل كبير اليه حقير فعمدوا الى
صفته عم فغيروها وقيل كل من يكتم علم النافع فمن اهلها كما قال عليه السلام من كتم علما اعطاه الله تعالى اياه
الجم يوم القيمة بلجام من نار اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة بكتمان الحق
للمطامع والاغراض الدنيوية فان عامتهم وملوكهم كانوا يهدون اليهم الهدايا ويدرون عليهم الاموال ليكتموا
ويسهلوا لهم ما صعب عليهم من الشرايع فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة
منهم قال الحسن وقتادة والله ما لهم على النار من صبر ولكن ما اجراهم على العمل الذي يقربهم الى النار وما تامة
مبتداءة مخصصة كقولهم شر اهر ذا ناب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يعني ان كلمة ما استفهامية دخلت
على الفعل المتعدي بالهمزة للتوبيخ وكون اصبر بمعنى صبره وجعله صابرا اصل معنى فعل التعجب وليس مراده ان ما
استفهامية نقلت الى التعجب كما توهم وقيل ما موصولة والفعل مع متعلقه صلته والخبر محذوف وما روي عن الكسائي
قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله تعالى
فمراده على عذاب الله بحذف المضاف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتب
بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس والمختلفون هم اليهود القائلون بان البعض من
هذا الجنس حق كالتورية والبعض باطل كغيرها او اليهود والنصارى حيث افترقوا في شان الكتب السماوية فرقا
وقالوا نكفر ببعض ونؤمن ببعض قال النبي عم اختلف بنو اسرائيل بعد موسى عم بخمسماية سنة حين كثرت فيهم
اولاد سبايا الامم وبعد عيسى عم بمايتي سنة رواه ابو هريرة رض ويجوز ان تكون ذلك اشارة الى كفر اليهود والكتاب
للعهد والمختلفون هم المشركون حيث افترقوا في شان القران فرقا فقال بعضهم هذا سحر وبعضهم شعر وبعضهم
اساطير اهل الكتاب اي كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القران بالحق كما يعلمون وان المشركين المفترقين لفي شقاق بعيد
يعني ان المشركين كانوا كبراء بالنسبة اليهم فهم لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر اهل الكتاب ان يكفروا فالاختلاف على الوجه
الاول عائد الى جنس الكتاب حيث جعلوه قسمين ووصف القوم به تجوز ثم السببية في الوجهين راجعة الى الحال لا الى معمول
الباء نفسه اي كفرهم ذلك بسبب ان الله نزله ملتبسا بالحق والحال لفي شقاق بعيد لفي خلاف عن الحق وليسوا
من طلبه في شيء ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب من اليهود
والنصارى فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وادعى كل فريق ان البر هو التوجه الى قبلته

فرد الله عليهم وقال ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينته واتبعه المؤمنون وقيل ليس خاصا بهم بل يعم المسلمين ايضا اي ليس البر مقصودا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امرها ولكن البر الذي يجب كل الاهتمام به بر من آمن وقام بهذه الاعمال فعلى الاول اسم ليس على اطلاقه وخبره مقدر فيه فى لانهم زعموا ان جنس البر فى ذلك لا هو هو فنفى وعلى الثاني حمل هو على الكامل والخبر على تقدير مضاف اي امر ان تولوا والبحث عن ذلك والنزاع فيه اذ لا يزعم المسلمون ان نفس توليهما بر حتى ننفي بل فى شان ذلك والبحث عنه وح لا يصح نفي البر راسا فتعين حمل البر على الكامل الذي كانه البر كله قراء حمزة وعاصم ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم على اسم ليس وهو ان تولوا والباقون بالرفع وقراء عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس الضارب بزيد هذا على الوجه الثاني ظاهر واما على الوجه الاول فالاظهر ان يجعل الظرف خبرا قال صاحب الغرايب فى مصحف ابن مسعود ولا تحسبوا ان البر ان تولوا وفى مصحف انس وابي صالح ليس البر ان تولوا وجوههم شطر المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين محمول على حذف المضاف اي بر من آمن بالله فاستغنى عن الثاني بذكر الاول او ولكن ذا البر من آمن بالله والاوجه ان يقدر شئ بان يكون البر على حقيقة المصدرية والمجاز فى الاسناد لما فى الوصف بالمصدر من المبالغة حتى يكون المعنى فى رجل عدل انه مجسم من العدل واذا حمل على حذف المضاف او جعل بمعنى اسم الفاعل كما فى قراءة ولكن البار من آمن فات ذلك فيجعل المؤمن كانه تجسد من البر كما قالت الخنساء فانما هي اقبال وادبار اذ لا مجاز فى شئ من الطرفين وانما المجاز فى الاسناد نفسه حيث جعلت الناقة كانها تجسمت من الاقبال والادبار ولو اريد ذات اقبال وادبار او مقبلة لم يكن شيا فى نظر البلغاء وقراء نافع وابن عامر ولكن البر بكسر النون تخفيفا وضم الراء وعن المبرد لو كنت ممن يقراء القران لقرات ولكن البر بفتح الباء والقصد منه التنبيه على ان المعنى على الوصفية والمراد بالكتاب جنس الكتب او القران على اسلوب ما ذكر فى قوله ذلك بان الله نزل الكتاب ليلتئم الكلام وينصره قراءة الخليل والكتب بالجمع واتى المال على حبه مع حب المال والشح به كما قال عم لما سئل اي صدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله تعالى او للمصدر اي على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه و الجار والمجرور فى موقع الحال ذوي القربى واليتامى يريد الفقراء منهم ولم يقيد لعدم الالتباس سواء حمل على ايتاء الواجب او غيره وذلك لان سوق الكلام وعد مصارف الزكوة يدل على ان المراد الخير والصدقة وايتاء الاغنياء هبة لا صدقة وقدم ذوي القربى لكونه اعظم المصارف اجرا قال عم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو الذي يضمر العداوة والقربى مصدر كالبشرى والحسنى والشورى من قرب خلاف بعد فاليتامى الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل اليتم فى الاناسي من قبل الاباء وفي البهائم من قبل الامهات وقالوا فى جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى وجهان قد تقدم الكلام فيه والمساكين جمع المسكين وهو الدائم السكون الى الناس لانه لا شئ له كالمسكير للدائم السكر وعند الشافعي

المسكين من يملك ما يقع موقعا من حاجته ولا يكفيه لقوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله وسمي به لملازمته السبيل كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل ترعف به اي تقدمه الى بيت المضيف والسائلين للطعام اغنياء او فقراء قال عليه السلام للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وقيل اراد الفقراء وقيل المساكين الذين يسالون فيعرف حاجتهم بسؤالهم واراد بما سبق المساكين الذين لا يسالون ويعرف حاجتهم بحالهم وفى الرقاب وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين وقيل فى فك الاسارى وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها واقام الصلوة المفروضة واتى الزكوة قيل يحتمل ان يكون المقصود منه ومن ايتاء المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها ومن الثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد نوافل الصدقات او حقوقا فى المال سوى الزكوة وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وعن الشعبي ان فى المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الآية والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن وقراء الجحدري بعهودهم والصابرين فى البأساء والضراء نصب على المدح وفيه اشارة الى فضل الصبر فى الشدائد على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وحين البأس وقت الحرب ومجاهدة العدو والبأس والبؤس هما الشدة ومنه البائس الفقير وفى مختصر الكرخي اوصى بثلث ماله للبائس والفقير والمسكين قال فهو على ثلثة اجزاء جزء للبائس وهو الذي به الزمانة اذا كان محتاجا والفقير المحتاج الذي لا يطوف بالابواب والمسكين الذي يسال ويطوف وعن ابي يوسف رض على جزئين والفقير والمسكين واحد اولئك الذين صدقوا فى الدين وطلب البر واتباع الحق يعني من آمن وبذل ماله لوجه الله وروح فهو الذي صدق فى الدين وطلب البر وقال الضحاك يعني صدقت نياتهم فاستقامت قلوبهم باعمالهم واولئك هم المتقون اي الفاعلون بالبر كله و المجتنبون عن المنكر افتتح سبحانه وتعالى بذكر الايمان اولا لانه اساس الخيرات والحسنات ومنبعها ولهذا الاوجود لها بدونه ثم اردفه بذكر ايتاء المال دلالة على نكتة لطيفة وفائدة جليلة وهي ان احب شئ الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فانفاقه اشق شئ على النفس فاذا بذله فى الله وذلك ادل له على الاخلاص واقوى دليل على ثباته وصدق نيته ونصوح طويته الا ترى الى قوله عز من قائل ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون من انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وايضا كان فى ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه فى مجاهدة العدو ومواساة فقراء اهل الاسلام الذين هم اولياء الله وخالصة عباده ثم ذيله بذكر الصلوة والزكوة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما فالاية جامعة لكمالات النفس الناطقة باسرها دلالة عليها صريحا او ضمنا فانها مع تكثرها منضبطة فى امور ثلثة صحة العقيدة المشار اليها بقوله من آمن الى والنبيين وحسن السيرة مع الخلق المدلول عليه بقوله واتى المال الى وفى الرقاب وتهذيب النفس المنبئ عنه قوله واقام الصلوة واتى الزكوة الخ ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق الذى هو الاخبار عن الشئ على ما هو به نظرا الى ايمانه الذي هو تصديق جناني وبالتقوى الذى هو فعل الطاعات وترك المنكرات اعتبارا بقطري البر واحدهما حسن المعاملة مع الحق المنبئ عن التعظيم

لامر الله والآخر حسن المعاشرة مع الخلق المتادي بالشفقة على خلق الله تعالى واليه اشار عليه السلام
بقوله من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد
بالعبد والانثى بالانثى اخبار الشارع مثل كتب عليكم القصاص وكتب عليكم الصيام والمطلقات يتربصن والوالدات
يرضعن واحل الله البيع وحرم الربوا آكد من الانشاء لانه ادل على الوجود فان المخبر به ان لم يوجد في الاخبار
يلزم كذب الشارع وهو محال بخلاف المامور به فانه ان لم يوجد في الامر لا يلزم ذلك فاذا اريد المبالغة في وجود
المامور به عدل عن لفظ الامر الى لفظ الاخبار تاكيد اللامر واشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى
امتثاله وروي ابن عباس رض انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر
فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فلما جاء الله بالاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت الآية وامرهم ان يتباوؤا وعن الحسن وابن عبد العزيز وعطاء وعكرمة ان الحر لا يقتل بالعبد ولا الذكر بالانثى
اخذا بهذه الآية وليس هذا بمذهب مالك والشافعي كما سبق الى بعض الاوهام اذ لا يوجد في كتبهما تردد في قتل الذكر بالانثى
وانما منعوا قتل الحر بالعبد مطلقا اي سواء عبده او غيره عبده لما روي على كرم الله وجهه ان رجلا قتل عبده فجلده النبي عم
ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه ان من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان عمر رض كانا لا
يقتلان الحر بالعبد من غير نكير وللقياس على الاطراف وقالوا هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك
واردة لحكاية ما كتب في التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب ما فيها ورد بان ما ذكر من كونها مفسرة
انما يتم لو كان النفس بالنفس مبهما ولا ابهام بل هو عام والتنصيص على بعض الافراد لا يدفع العموم سيما والخصم
يدعي تاخر العام بجعله ناسخا لكن يرد عليه انه ليس فيه رفع شيء من الحكم السابق بل اثبات زيادة حكم آخر اللهم
الا ان يقال ان في قوله الحر بالحر الآية دلالة على وجوب اعتبار المساوات في الحرية والذكورية دون الرق والانوثة
وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهما مذهب الامام الاعظم واصحابه انها منسوخة
بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والانثى واحتجوا بقوله عم المسلمون تتكافؤ دماؤهم
وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وايضا قالوا ان المحكي في كتابنا من شريعة
من قبلنا بمنزلة المنصوص المقرر فيصلح ناسخا وقرئ كتب مبنيا للفاعل وبنصب القصاص وكذا كل فعل جاء
في القرآن فمن عفي له من اخيه شيء اي فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو فان قوله شيء واقع
موقع المصدر المفيد الموصوف نحو ضرب ضرب شديد لدلالة تنكيره على ذلك وله مفعوله ومن اخيه متعلق بالفعل
او حال من شيء والحاصل ان العفو لازم وانما يتعدى الى المفعول بالواسطة وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعوله
وهو سهو اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه ومنه قوله عليه السلام اعفوا اللحى وعفى يتعدى
بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنها عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت
لفلان عما جنى كقولك غفرت له وتجاوزت له عنه وعليه ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة
اخيه وهو ولي المقتول واضافة الاخوة اليه متضمنة اعتبارا لطيفا منبيا الى المجاز فان معنى اخيه
اخ له باللام كما تقدم في مفتتح الكتاب وحقيقة الاضافة اللامية الاختصاص الكامل الذي

يصح

الذي يصح معه الاخبار بان المضاف للمضاف اليه فالاضافة بادنى الملابسة يكون مجازا حكميا مشعرا بجعل تلك الملابسة
الكاملة الاضافية وذلك ان ولي المقتول حين لابسه من قبل انه ولي الدم قبل الاخوة او ذكره بلفظ الاخوة ليكون
مطمح نظره ومقصد همته الاصلاح بين الطرفين كقوله فاصلحوا بين اخويكم ويعطف على صاحبه بذكر ما هو ثابت
بينهما من الجنسية والاسلام اذ غاية فعل القاتل ارتكاب الكبيرة ومرتكب الكبيرة اذا كان مسلما يستاهل النظر اليه
لان النظر واجب حفا له لدينه فان العفو عن صاحب الكبيرة حسن فان قلت لم قدر شيء من العفو قلت فائدته الاشعار
بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص فلم يجب الا الدية ثم استعمال عفا بمعنى محا وازال شائع فيما بين البلغاء
مذكور في كتب اللغة لكن المتبادر الى الفهم في هذا المقام هو العفو وترك المواخذة لا المحو والازالة فاتباع بالمعروف
واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع يريد به وصية الولي اذا عفي بان يتبع القاتل بالمعروف وهو ان لا يطالب
الدية الا مطالبة جميلة فلا يعنف به والقاتل اذا عفي عنه بان يؤديها اليه اداء باحسان وهو ان لا يمطلها ولا يبخسها
قال بعضهم فيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي قولان وقرء
ابن ابي عبلة فاتباعا اي فليلزم اتباعا ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من
التيسر والنفع فان اليهود كتب عليهم القصاص وحده وحرم عليهم العفو واخذ الدية وعلى النصارى العفو وحرم
القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والعفو والدية تيسيرا عليهم وتوسعة وفي ذلك
من اللطف والشفقة ما لا يخفى فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد التخفيف المذكور فتعدى ما شرع الله له من قتل غير
القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يومن القاتل بقبول الدية ثم يظفر به ويقتله فله عذاب اليم
في الآخرة والاليم فعيل من ابنية الصفة المشبهة اسند الى العذاب مجازا اي له نوع من العذاب شديد الالم
فيها وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية واحتج بما قال عم لا اعافي احدا قتل بعد اخذ دية وقول
قتادة يدل على ان العذاب في الدنيا ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة لاشتماله
على ما فيه من الغرايب التي هي نكت البلاغة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل محلا وظرفا لضده ولكونه
على غاية المطابقة لمقتضى الحال ومن اصابه قوله في القصاص حيوة البلاغة بانه زاد على اوجز كلامهم في هذا المعنى وهو قولهم
القتل انفى للقتل بوجوه من الحسن الاول قلة حروفه فانها عشرة وهناك اربعة عشر الثاني استغناؤه عن الحذف
بخلاف قولهم حيث يقدر من تركه الثالث انه مطرد اذ في كل قصاص حيوة وليس كل انفى للقتل بل القتل قصاصا واما
القتل ظلما فادعى للقتل الرابع انه خال عما في قولهم من تكرار اللفظ الذي هو عيب في نفسه وان كان حسنا بما فيه من
شبهة رد العجز على الصدر الخامس ان المقصود بالذات من القصاص وهو الحيوة منصوص فيه بخلاف قولهم السادس
انه مشتمل على صنعة الطباق حيث جمع بين القصاص والحيوة اللذين هما بمنزلة الضدين السابع انه مشتمل على ما
يفيده تعريف القصاص من غير شرعية الحكم وتنكير الحيوة من معنى النوعية او التعظيم لان المعنى ولكم في هذا
الجنس من شرعية الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا
وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع
بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي

ثم وان اصر عليها كالزنا والقذف والذي نحن فيه وهو القتل عمدا فان العفو عن القصاص فيه حسن ح ح ح ح ح

الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لمكان العلم بالاقتصاص من القاتل او ماترى العازم عليه اذا هم به فتذكر
الاقتصاص فاورثه ان يرتدع كيف يسلم صاحبه من القتل وهو من القود فيتسبب بذلك لحيوة نفسين وقيل المراد
بالحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يواخذ في الاخرة الثامن انه يشتمل مايفيده دخول كلمة في
على القصاص من جعلها هو اهلاً وكرّ للحيوة مكانا ومعدنا لها التاسع ان القتل انما ينفي القتل من حيث انه قصاص
لا من انه قتل وقد نص على الجهة فيه لا في قولهم العاشر انه افصح لفظا اي من جهة سلامة اللفظ وعذوبته حيث لم يشتمل
على مايشتمل عليه قولهم من توالي الاسباب الخفيفة بحيث لايلتقي فيه حرفان متحركان الا في موضع واحد وذلك ينقص من سلامة
اللفظ وجريانه على اللسان واعلم ان القصاص يجب ماحقن دمه ابدا عمدا وهو المسلم والذمي دون المستامن لان حقن
دمه موقت الى رجوعه وعند ابي حنيفة رضي الله عنه يقتص في جرح يثبت عيانا او بحجة وجعل المجروح ذا فراش حتى مات
وفي قتل بحد مر لا في قتل بظهره او عود او مثقل او خنق او تغريق او سوط والى في غرمه فات خلافا لهما والشافعي
فانه يجب عندهم فان المعنى الذي يفهم موجبا للجزاء الكامل عن انتهاك حرمة النفس الضرب بما لا يطيقه البدن وعند المعنى
الموجب جرح ينقض البنية ظاهرا وباطنا يعني انه يجب اذا جرح فانه يقع الجناية قصدا على النفس الحيوانية التي
هو سبب الحس والحركة وقوام الحيوة فتكون اكمل واذا كانت الجناية اكمل يترتب عليها الجزاء الاكمل ويختص بها ليقع
كمال الجزاء في مقابلة الجناية ولا في قتل مسلم مسلما ظنه مشركا في التقاء الصفين بل يكفر ويدي ويجب قتل من شهر سيفا
على المسلمين ولا شيء بقتله ولا فيمن شهر سلاحا على رجل ليلا او نهارا في مصر او غيره او شهر عصا ليلا في مصر
او نهارا في غيره فقتله المشهور عليه يعني لا شيء بقتلهما ولا من تبع سارقه المخرج سرقته ليلا فقتله وقتل بقتل من شهر
عصا نهارا في مصر وبقتل من شهر سيفا فضرب ولم يقتل فرجع وقتله آخر ويجب الدية بقتل مجنون او صبي شهر سيفا
على رجل فقتله المشهور عليه عمدا في ماله والقيمة في جمل صال عليه وانما لايجب القصاص فيهما لوجود المبيح وهو دفع
الشر وذكر في الاصول ان القصاص من وجه جزاء المحل ومن وجه جزاء الفعل اما الاول فلقوله تعالى ان النفس بالنفس
وكونه حقا للاولياء المقتول يدل على هذا واما الثاني فلانه شرع ليكون زاجرا عن هدم بنيان الرب والزواجر والاجر
كالحدود والكفارات انما هي اجزية الافعال ووجوب القصاص على الجماعة بالواحد يدل على كونه جزاء الفعل ولكم في القصاص
اما خبران لحيوة او احدهما خبر والاخر صلة له او حال عن ضمير المستكن فيه وقرء ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة
اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القران اي ولكم في القران حيوة للقلوب كقوله روحا
من امرنا ويحيى من حي عن بينة يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتامل والنظر في حكمة القصاص
من سلامة النفس الحيوانية التي بها الحيوة وحفظ الروح وتعمير الطبايع الاربع لعلكم تتقون تعقلون
عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به والقبول له او تتقون القتل مخافة القصاص وهو خطاب
له فضل اختصاص بالايمة لان الحكم بالقصاص والمحافظة على حدوده اليهم وان كان للناس
جميعا حيوة كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهرت اماراته ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا
لما روي عن علي كرم الله وجهه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك
خيرا والخير هو المال الكثير وليس لك مال يعني كثيرا وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته

كم مالك فقال ثلثة الاف اي من الدراهم لان المتعارف عند الاطلاق قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى
ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل
او على تاويل المصدر بمعنى الايصاء او ان مع الفعل وهذا وجه حسن التذكير والا فهو شايع في المونث الغير الحقيقي بلا
فصل ولذلك ذكر العايد في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه وقيل مبتداء خبره للوالدين والجملة جواب
الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر واحتج بعضهم على جواز
نسخ الكتاب بالسنة بانه نسخ قوله تعالى الوصية للوالدين والاقربين بقوله عم فلا وصية لوارث وهذا الاحتجاج فاسد
لان الوصية للوارث نسخت باية المواريث اذ في الاول فوضها الينا ثم تولى بنفسه بيان حق كل منهم لعلمه بجهل
العباد وعجزهم عن معرفة مقاديرها واليه اعني الى ان الايصاء الذي فوض الى العباد قد تولاه بنفسه اشار
بقوله يوصيكم الله فصار بيان المواريث كاية الايصاء واشعر الفاء في الحديث المذكور وهو قوله عم ان الله تعالى اعطى
كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث بان ارتفاع وصية الوارث انما هو بسبب شرعية الميراث كما قال الزاهدي فاكرمته
وقيل ان الثابت باية المواريث وجوب حق بطريق الارث وهو لاينافي ثبوت حق اخر بطريق اخر ولا رافع للوصية
الا السنة وذكر الامام شمس الايمة ان المنفي باية المواريث انما هو وجوب الوصية لا جوازها انما انتفى بقوله عليه السلام
فلا وصية لوارث ضرورة نفي الاصل الوصية لكن لايخفى ان جوازها ليس حكما شرعيا بل اباحة اصلية والثابت بالكتاب
انما هو الوجوب المرتفع باية المواريث فلا يكون هذا من نسخ الكتاب بالسنة وقيل الوصية واجبة على كل مسلم لقوله تعالى
كتب عليكم اي فرض عليكم الوصية ولقوله عم ماحق امرء مسلم يبيت ليلة وعنده مال يوصي فيه الا ووصيته مكتوبة عنده
وقيل هي مباحة وليست بواجبة وعن الشعبي الوصية ليست بواجبة فمن شاء اوصى ومن شاء لم يوص فليس عليه شيء
وعن ابراهيم النخعي مات رسول الله عم ولم يوص وقد اوصى ابو بكر رضي الله عنه فان اوصى فحسن والا فلا شيء عليه وقيل ان كان
عليه حج او شيء من الواجبات فالوصية واجبة والا فهو بالخيار وبه يقول كثير من العلماء ثم بين محلها بقوله الوصية
للوالدين والاقربين قال مجاهد كان الميراث للولد والوصية للوالدين والاقربين فصارت الوصية للوالدين منسوخة
وعن الضحاك نسخت الوصية لهما ممن يرث وثبت الوصية ممن لا يرث من القرابة وقد يقال في الاية تقديم وتاخير
والمعنى كتب عليكم الوصية للوالدين والاقربين اذا حضر احدكم الموت وكانوا يوصون للاجنبي ولم يجعلوا للقرابة
شيئا فامروا بها للوالدين والاقربين ثم نسخت الوصية للوالدين باية الميراث بالمعروف بالعدل وهو ان لا يفضل
الغني على الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر موكد اي حق ذلك حقا فمن بدله اي غير الوصية وتذكير الضمير
على تاويل ان يوصي او الايصاء كما مر بعد ماسمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء للتغير او التبديل
الا على مبدليه لحيفهم دون غيرهم من الموصي والموصى له لبرائتهما من الحيف ومخالفة الشرع وقوله على الذين يبدلونه
اراد به عليه او عليهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الاثم انما لحقهم لتبديلهم بما كان الحاء وحده خبرا فهو العايد
من الخبر وان كان الشرط والجزاء معا فالمستتر في بدل كاف وان الله سميع عليم باعمالهم فمجازي كلا من الموصي والمبدل
بحسب ماعملوا وهذا وعد للموصي بانه لا يضيع اجره ووعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص فمن توقع وعلم
من قولهم اخاف ان ترسل السماء يريدون ما يلزم الخوف من التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا

والطارح

كم مالك

ميلا عن الحق بالخطاء في الوصية او اثما تعمدا للحيف بان يقول اوصى لفلان وهو من الاباعد غير مستحق او لا اوصى لفلان
وهو من الاقارب المستحقين وازيد فلانا وهو غير مستحق للزيادة او انقص فلانا وهو مستحق قال رسول الله صلعم
ان الرجل ليعمل بعمل اهل الخير سبعين سنة فاذا اوصى حاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل
ليعمل بعمل اهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة رواه ابو هريرة وعنه عم اذا اراد الله
بعبد خيرا وفقه قبل موته لوصية عادلة واذا اراد به شرا وفقه قبل موته لوصية جائرة رواه انس فاصلح بينهم
بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لان تبديله للاصلاح
حيث بدل باطلا الى حق بخلاف الاول وقال مقاتل والكلبي فمن علم من الميت خطاء في الوصية واثما اي عمدا للجور في
وصيته بان زاد على الثلث فاصلح بينهم بان رد ما زاد على الثلث فلا اثم عليه وعن ابن عباس الاضرار في الوصية من
الكبائر وعن النبي عم ان الرجل ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فيجب لهما النار
رواه ابو هريرة ذكرا ولا من بدل الباطل ثم من بدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم قرء عاصم وحمزة والكسائي من موص بفتح
الواو
وتشديد الصاد والباقون بسكون الواو وتخفيف الصاد هل معناهما واحد وقيل لا بل المثقلة يراد به التكثير كقولك
وصاكم ووصيناكم ونحو ذلك بخلاف المخففة ان الله غفور رحيم وعد للمصلح فلا يواخذه بذلك يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام جمع صوم كصعب وصعاب ومصدر كالقتال وزنا والصوم في الاصل الامساك عن المفطرات الثلث من الصبح
الى المغرب مع النية فالوقت داخل في تعريف الصوم وهو في التحقيق حفظ الاعضاء السبع من المفطرات السبع
الاكل والجماع والكذب والغيبة الى اخر على ما نص عليه رسول الله عم كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم
من لدن آدم عم قال علي كرم الله وجهه اولهم آدم يريد ان الصوم عبادة قديمة ما كانت امة الا وقد فرض الله عليهم
لم يفرضها عليكم وحدكم وفيه توكيد للحكم وترغيب للفعل وما مصدرية اي مثل كتابته على من كان قبلكم لعلكم تتقون
بمعنى كي تتقوا على طريقة الاستعارة يعني كي تجتنبوا المعاصي فان الصوم يكسر القوة الشهوانية التي هي مبداها
قال عم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء وهو رض عروق الانثيين مع ابقائهما او لعلكم تعلون محل اهل التقوى
في المحافظة عليها وعدم الاخلال بادائها لاصالتها وقدمها ولا يحصل ذلك لاحد الا بحفظ الاعضاء السبع وكفها عن المحرمات كلها
فان اكل الحرام وتناوله سم يهلك الجوف لا بد به بحرمانه دخول الجنة قال حذيفة قال رسول الله صلعم تعاهدوا طرايب غلمانكم من اين
تاتون بها فانه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا من حرام والنار اولى به وقال ابو بكر الصديق رض سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وذلك لان الجنة دار المتقين واكل الحرام ليس بمتق بل هو عاص فاسق قال الله تعالى ولنعم
دار المتقين وقال تعالى والعاقبة للمتقين وقد قال عم خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة
والنظر بشهوة ومن ثم قال عليه السلام كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فروح الصوم
وقلبه حفظ الاعضاء السبع التي هي مفاتيح الابواب السبع لجهنم اجارنا الله تعالى بنبيه
محمد سيد المرسلين وامام المتقين او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين وتعدون من جملتهم لان الصوم
شعارهم فهذا تجوز بالانتقاء عن التشبيه بالانتقاء والتزي بزيهم وليس بكناية وقيل
معناه ان صومكم كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان

فزاد

فزاد واعشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وروى انه رمضان كتب على النصارى فوقع في البرد الشديد
والحر الشديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين يوما كفارة لتحويله وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا
المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الآية وهذه ثلثة
اقوال فالتشبيه على الاول في مجرد الفرضية وعلى الثاني في الكمية وعلى الثالث في الكيفية اياما معدودات
اي موقتا بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة فان القليل من المال يقدر بالعدد ويعد عدا والكثير يهال هيلا
ويحثى حثيا ونصب اياما بالصيام بناء على تجويز عمل المصدر في الظرف مع تخلل الفاصل وان لم يجز في غيره وقيل باضمار
صوموا لدلالة الصيام عليه او بكما كتب على الظرفية او على انه ثاني مفعولي كتب على السعة والمراد بها رمضان وقيل
عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر كتب على النبي عم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان فاتصل الناسخ بالمنسوخ
واحتج اي القائل بكون الايام المعدودات سوى رمضان بانها لو كانت نفسه لما كان لتكرير ذكر المريض والمسافر وجه
واجيب بان ايجاب رمضان اولا كان على التخيير بينه وبين الفدية فحين غير الى الايجاب على المقيمين اعيد ذكرهما
تنبيها على ان تخييرهما بحاله لم يطرء عليه تغير فمن كان منكم مريضا لا يقدر على الصوم لضرورة وهو اذا كان المرض
بحيث يعسر معه الصوم ويزيد فيه وقال الحسن والنخعي المرض المبيح للافطار هو الذي يجوز معه الصلوة قاعدا
وقيل كل مرض مبيح لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر وكما ان لكل مسافر ان يفطر
فكذلك كل مريض وقال ابن طريف دخلت على ابن سيرين في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك
عن الرجل يصيبه الرمد الشديد والصداع المفرط وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وعن الشافعي
لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل او للتوري من مذهبه ان الصوم احب ما لم يتضرر او على سفر او راكب سفر قيل وفيه ايماء بان
من سافر في اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه عدة اي صوم عدد ايام المرض او السفر من ايام آخر ان افطر
فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها والسفر لغة قطع المسافة وشرعا هو الخروج المديد وادناه ثلثة ايام على سير الابل
ومشي الاقدام وقرئ فعدة بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه
قال ابو هريرة رض اي وجب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر ويتضرر ما روى ابن عمر ان رسول الله عم قال ان الله تعالى تصدق
بافطار الصيام على مرضى امتي ومسافريهم ايحب احدكم ان يتصدق على احد بصدقة ثم يظل يردها عليه وعنه ايضا سمعت
رسول الله عم يقول من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الاثم مثل جبال عرفة وقال عم ليس من البر ان تصوموا الصوم في السفر و
واختلفوا ايضا في القضا فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو
يريد ان يشق عليكم في قضاءه ان شئت فواتر وان شئت فرق ومتواترة الصوم ان تصوم يوما وتفطر
يوما او يومين وتاتي به وترا ولا يراد به المواصلة فاراد التخيير بين الاتيان بهذه الطريقة وبين التوفيق كيف شاء
وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة فعدة من ايام اخر متتابعات فان قيل
هلا قيل فعدتها على التعريف بالاضافة ولم قيل بالتنكير اجيب بانه لما قيل فعدة وهي بمعنى المعدود فامر
بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤمر عدد على عددها اي عدد الايام المعدودات فاختير
تنكير عدة وتنوينها على التعريف بالاضافة مع ما فيه من الوجازة وليس المراد ان التنوين عوض من المضاف اليه

والحاصل ان المعنى على عدة ايام الافطار لا على مطلق عدة من ايام اخر والعقل يدل على ذلك لا التنكير وعلى الذين
يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع
من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز وكان في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم
فرخص لهم في الافطار والفدية وقال الشعبي لما نزلت هذه الاية كان الاغنياء يفطرون ويفتدون ولا يصومون
وصار الصوم على الفقراء فنسخها قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فوجب الصوم على الجميع وهو قول عبد الله بن عمر وسلمة
والكلبي والقتبي وغيرهم وذهب كثير منهم الى انها غير منسوخة معناه وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب فعجزوا
عنه بعد الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرى نافع وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرا الحسن
فدية طعام مساكين وابن جبير فدية طعامٌ بالنصب وقرا ابن عباس يطوقونه اي يكلفونه ويقلدونه تفعيل من الطوق
بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه ويتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه
واصلها يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو وبعدها ياء وفيه وجهان
اي فيما قرا ابن عباس الاول هو معنى يطيقونه لان معناه يكلفونه اذ الصوم في نفسه تكليف والمطيق مكلف به
ولا تكليف فوق الطاقة وعلى هذا الوجه منسوخ الثاني يتكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم ومشقة وهم الشيوخ
والعجائز وعلى هذا غير منسوخ لان حكم هولاء الافطار والفدية وقد اول به القراة المشهورة وهي يطيقونه اي يصومونه
جاهدين غاية جهدهم وطاقتهم ونهاية وسعهم فلا يكون منسوخا فمن تطوع خيرا فزاد
على مقدار الفدية فهو اي فالتطوع او الخير خير له اي اخير له فالخير الاول مصدر خرت يا رجل فانت خاير والثاني
اسم تفضيل بمعنى ازيد خيرا ومعنى تطوع بالشيء تبرع به وتطوع له تكلف استطاعته حتى يستطيعه فخيرا نصب
على انتزاع الخافض ويجوز ان يكون منصوبا على المفعولية لتضمن تطوع معنى اتى او فعل او على انه صفة
مصدر محذوف وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم والمرخصون في الافطار ليندرج
تحت الخطاب المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء وقرا ابي والصيام
خير لكم وقرء زيد بن علي وان تصوموا بكسر الالف على الشرط ان كنتم تعلمون فضايل الصوم وما فيه من
براءة الذمة وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والنظر علمتم ان الصوم
خير من ذلك شهر رمضان خبر مبتداء محذوف اي ذلكم شهر رمضان او مبتداء خبره ما بعده او بدل من الصيام على حذف
اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا او على
انتزاع الخافض اي في شهر رمضان او بدل من اياما معدودات مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل
المجموع علما ولام الجنس للاضافة اليه كما في شهر رجب وذلك لانهم اتفقوا قاطبة على ان العلم في ثلاثة اشهر هو
مجموع المضاف والمضاف اليه شهر رمضان وشهر ربيع الاول وشهر ربيع الاخر وفي البواقي لا يضاف شهر اليه وانما
منع الصرف للتعريف والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث واما قوله عم
من صام رمضان ايمانا واحتسابا اي حسبة لله غفر له ما تقدم من ذنبه من ادرك رمضان ولم يصم فيه
فلم يغفر له فعلى حذف المضاف لا من الالباس كما قال بما اعطى النطاسي حذيما اراد ابن حذيم وانما سموه

بذلك

بذلك لارتماضهم فيه من حر العطش والجوع او لارتماض الذنوب فيه وهو الاصح او لوقوعه ايام رمض الحر
حيث نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة فسموها بالازمنة التي وقعت فيها رعاية للمطابقة الذي
انزل فيه القران اي ابتدي فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر او انزل فيه القران جملة من اللوح الى السماء الدنيا
ثم نزل الى الارض منجما بحسب المصالح وكفاء الحوادث او انزل في شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام وانما
احتيج الى هذه التاويلات لنزول كثير من الايات في غير رمضان وعن رسول الله صم نزلت صحف ابراهيم اول
ليلة من شهر رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين والموصول
بصلته خبر المبتداء او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتداء بما تضمن معنى الشرط وفيه تنبيه على ان الانزال
له سبب اختصاصه بوجوب الصوم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القران اي انزل و
هو هداية للناس الى الحق وهو ايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل ببيان الحلال
والحرام والرخصة والعزيمة وقوله من الهدى اي من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من كتبه السماوية
الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقرء الحسن فليصمه بكسر اللام فمن حضر في الشهر
ولم يكن مسافرا فليصم فيه ولا يفطر فانتصاب الشهر على الظرف ولم يكن انتصابه على انه مفعول به كقولك شهدت
يوم الجمعة وشهدت عهد فلان اي ادركته لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر اي مدركان له مع ان المسافر لا يجب
عليه الصوم على ما يجب على المقيم وهو عدم الرخصة في الافطار واذا جعل الشهر ظرفا والشاهد بمعنى الحاضر المقيم
في الشهر فلا خفاء في ان تقليل التخصيص اولى وكذلك الضمير في فليصمه فانه ظرف على الاتساع كقوله شهدناه والقول بان
الشهر مفعول به قول كثير من النحاة اي فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ومن كان مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا اذ المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه لما نسخ قرينه واعلم
انهم استدلوا على ان وقت الصوم وهو الشهر اي رمضان سبب للوجوب بقوله عم فمن شهد منكم الشهر فليصمه فان الاخبار
عن الموصول مشعر بعلية الصلة للخبر عند صلوحها لذلك ومن قواعدهم ان الحكم على المشتق يدل على ان المشتق منه علة وهنا كذلك
لان قوله فمن شهد منكم الشهر معناه شاهد الشهر فالشهود علة وقيل الاظهر ان من ههنا شرطية فيكون على البتية اولى يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلهذا اباح الفطر للمرض والسفر ومن الناس من فرض الفطر على المريض
والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرى اليسر والعسر بضمتين وهو قراءة ابي جعفر ويحيى وثاب وزيد بن
القعقاع في جميع القران وعن ابي معاذ قراءات في بعض المصاحف اليسرى والعسرى على النعت والمصدر ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون علل للفعل المحذوف دل عليه ما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم
ولعلكم تشكرون شرع ذلك اي شرع جملة ما ذكرنا من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعات عدة ما افطر فيه
ومن الترخيص في اباحة الفطر لتكملوا العدة الى اخرها على طريق اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعات العدة
اي عدة ما افطر فيه ولتكبروا الله علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص
والتيسير اي لنا امرناكم بمراعات العدة بعد ايجاب صوم رمضان لتكملوا العدة وانما علمناكم كيفية القضاء والخروج
عن عهدة الفطر لتكبروا الله على ما هديكم وانما رخصناكم في الافطار لعلكم تشكرون اي لكي تشكرون على ذلك

من ترخيص اباحة الفطر في المرض والسفر وفيه اشكال وهو انه ذكر في تفصيل العلل ثلثة امور امر الشاهد بالصوم
وامر المرخص له بمراعات العدة والترخيص في الاباحة ولم يجعل شيء من العلل بازاء الامر الاول مع انه الاول من تفاصيل
المعللات ذكرا ولا معلل بازاء ولتكبروا مع انه جعل علة ما علم من كيفية القضاء وهو مما لم يذكر في تفاصيلها لما ذكر في
بيان تطبيق العلل غير مطابق لما ذكر من تقدير الكلام والجواب انه ذكر امر الشاهد بصوم الشهر في تفصيل المعللات
توطية لما فرع عليه من الترخيص ومراعات العدة وكيفية القضاء ولذلك لم يقل ومن امر المرخص باعادة لما ذكر كما
قلنا ومن الترخيص والحاصل ان المذكور فيما سبق بعد الامر بالصوم هو الترخيص وامر المرخص له بمراعات عدة
ما افطر وفي هذا اي في الامر بمراعات العدة دلالة بينة على تعليم كيفية القضاء لان معناه فليراع عدة ما افطر
ليصومها في ايام اخر فيخرج عن عهدة الفطر فصار المذكور بعد الامر الاول وهو امر الشاهد بصوم الشهر فوقع
كل من العلل بازاء واحدة من هذه الثلثة ولدقة هذا وخفائه على انظار كثير من الفضلاء قيل انه لطيف المسلك
بحيث لا يتهدى الى تبينه الا النقاب المحدث اي الكامل منهم اذ لا يحتجب عنه شيء من بدايع النكت في مكانها
مستخرجا للطايف السحر البياني عن معادنها ويجوز ان يكون ولتكملوا عطفا على علة مقدرة نحو ليسهل عليكم او لتعلموا
ما تعلمون ولتكملوا العدة او على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا لقوله يريدون ليطفئوا والمراد بالتكبير تعظيم الله
بالثناء عليه ولتضمنه معنى الحمد عدي بعلي وقيل تكبير يوم الفطر عند الاهلال وما ذكر من اللف انما يصح على التفسير الاول
دون تفسير التكبير بتكبير الفطر او الاهلال على انه تقييد من غير دليل وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني
فاني قريب اي فقل لهم اني قريب ولفظ قريب استعارة تبعية تمثيلية وذلك ان القرب حقيقة القرب
المكاني وقد استعمل ههنا في الحال لتشبيه بحال من قرب مكانه والمراد قرب علمه منهم وانه يتعلق بمعلومة
من افعالهم واقوالهم تعلقا لا يخفى عليه شيء فكان ذاته قريبة منهم كما تعالى الله في كل مكان وقد تعالى عن الامكنة
علوا كبيرا ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ومنه قوله عم هو بينكم وبين رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلعم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تحقيق للقرب ووعد للداعي بالاجابة
وقرا ابو عمرو ونافع دعوة الداعي اذا دعاني بالياء والباقون بحذف الياء فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة
كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم ومهماتهم وليؤمنوا بي اراد الثبات والدوام عليه قال ابن عباس الاستجابة
ان يقول بعد صلوتك لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك والايمان آمنت بالله
وكفرت بالطاغوت وان وعدك ولقاك حق واشهد انك حق احد فرد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
واشهد ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وروي عنه انه قال ما تركت هذا الكلمات
دبر كل صلوة منذ نزلت هذه الاية وعن الكلبي ما تركتها منذ اربعين سنة لعلهم يرشدون اي ارادة ان يرشدوا
وهو حاصل استعارة لعل على ما تقدم والمعنى لعلهم يصيرون من اهل الرشد والاهتداء ببركة الاستجابة والايمان
والمداومة عليه فانها تثمر او لعلهم يهتدون من الضلالة بارتكاب سبيل الرشاد او لعلهم ينتظمون
في زمرتهم لتدرعهم بلباسهم وقيل راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين
وكسرها وقرا ابن ابي عبلة يرشدون مبنيا للمفعول ثم انه تعالى لما امرهم بصيام شهر رمضان ونهى عنهم

الحرج في الترخيص في اباحة الافطار للمريض والمسافر علمهم كيفية القضاء والخروج عن العهدة واعلمهم بانه مطلع
على احوالهم وان علمه محيط باعمالهم وباخفى خفياتهم اقتضت حكمته ان يخفف عنهم ويبين احكام الصوم زيادة
للطف بهم في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان
المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم المفطرات الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا الا العشاء الاخيرة او يرقدوا
ثم ان عمر رض واقع اهله بعد العشاء فندم واتى النبي عم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة
واخبره بما فعل فقال عم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم
ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرا عبد الله الرفوث وليلة الصيام ليلة التي يصبح منها صايما والرفث كناية
عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد رفث الرجل وترفث
وانما لم يجعل مجازا لعدم المانع عن المعنى الاصلي وعدي الرفث بالى لتضمنه معنى الافضاء وهو ايضا كناية عنه وايثاره
ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق
الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت قال انما الرفث ما كان عند النساء اي القول الذي يجري معها عند الجماع وقال الله تعالى
فلا رفث ولا فسوق تنفيرا لهم عما نهوا عنه في الحج ولفظ النساء مما يعم بصيغته ومعناه بان يكون اللفظ جمعا والمعنى
مستوعبا لكن لم يوجد له مفرد من لفظه هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو قلة
الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة فلذلك رخص في مباشرتهن ولما كان الرجل والمراة
يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه شبه باللباس المشتمل عليه اي على صاحبه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها
تثنت وكانت عليه لباسا وقيل شبه به لذلك او لان كلا منهما يستر الاخر ويمنعه عن الفجور الضجيع المضاجع ثنى عطفها
امالها تثنت مالت ثم اتفقت كلمة علماء البيان على ان هذا من تشبيه مفرد بمفرد وهما غير مقيدين فان قيل اليس
قوله لكم ولهن قيدا في المشبه به قلنا لا اذ لا مدخل له في التشبيه لعدم توقف الاشتمال او الستر عليه علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم اي تظلمونها بتعريضها للمحظور المنوط عليه العقاب وتنقصونها حظها من الخير والثواب والاختيان
من الخيانة كالاكتساب من الكسب وفيه مبالغة وذلك ان الاختيان اعتمال والنفس لما كانت جارة الى الشر وامارة
به كانت في تحصيله اعمل فتاب عليكم حين تبتم مما فرط منكم من المحظور وقيل فعل مثل ما فعل عمر اربعون نفرا من اصحاب
النبي عم وعفا عنكم وعفى لازم يتعدى الى المفعول بعن لكن تعديته بعن قد يكون الى الجاني نحو عفا عنكم وعفا الله عنك
وقد يكون الى الجناية مثل عفى عن ذنبه اي اعرض عنه وتركه وعلى الاول الاية كما لا يخفى فالان باشروهن لما نسخ عليكم
التحريم قيل وفيه دليل على جواز النسخ السنة بالقران والمباشرة الصاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب
الله لكم واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد بالمباشرة والمعنى لا تباشروهن لقضاء الشهوة وحدها
ولكن لابتغاء النسل والولد فانه الغرض من شرع النكاح وخلق الشهوة وقيل هو نهي عن العزل لانه وارد في الحراير
بناء على كونهن الاصل في النكاح او كون الخطاب لجماعة كانت تحتهم الحراير لا الاماء والعزل في حقهن منهي فان
العزل ترك للتناسل فالامر بطلب النسل يكون نهيا عن العزل وقيل هو نهي عن غير الماتي والتقدير وابتغوا
المحل الذي كتبه الله لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرا ابن عباس واتبعوا

والاعمش وايتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وماكتب الله من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهذا وان كان
بعيدا لا يخلو عن مناسبة ما نظرا الى ان الكلام في ليالي الصيام وفيها ليلة القدر وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود من الفجر والامر كلوا واشربوا للاباحة كقوله تعالى فاصطادوا وابتغوا من فضل الله فقد اباح لكم الاكل
والشرب الى طلوع الفجر وكذلك باشروهن والاحسن ان يكون ثلثتها هنا للامتنان نحو كلوا مما رزقكم الله نظرا الى كون
المقام مقام مدح تضمنه الاباحة وحتى دخلت الفعل ظاهرا واما حقيقة فهي داخلة في الاسم اذ الفعل منصوب باضمار
ان وقالوا اذا دخلت الافعال فان احتمل المصدر اي ما قبلها الامتداد والآخر اي ما بعدها الانتهاء اليه فللغاية نحو
قوله تعالى حتى يعطوا الجزية وحتى تستانسوا فان القتال يحتمل الامتداد وقبول الجزية يصلح له منتهى له وكذا المنع
من دخول بيت العبد يحتمل الامتداد والاستيناس اي الاستيذان يصلح منتهى له والا فللسببية نحو اسلمت حتى
ادخل الجنة او للعطف المحض اي التشريك من غير اعتبار سببية وغاية نحو قولك عبدي حر ان لم آتك حتى تغد
عندك لتعذر الغاية والسببية فان فعل الشخص لا يصلح جزاء لفعله والاول هو الاصل فيحمل عليه ما امكن ومنه
قوله حتى يتبين لكم فان الاكل والشرب يحتمل الامتداد وطلوع الفجر يصلح منتهى له والخيط الابيض اول ما يبدو
من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض
واسود قال فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وذلك اي وانما شبه بالخيط الابيض ما يبدو من
الفجر المعترض فيه وبالخيط الاسود ما يمتد معه الى لبيان الخيطين بقوله من الفجر صريحا للابيض وضمنا للاسود لان
بيان الخيط الابيض بالفجر قرينة على ان الخيط الاسود ايضا مبين بسواد آخر الليل فان الابيض اذا كان
هو الفجر لم يكن الاسود الا ما اتصل به من الغبش الذي هو بقية الليل او ظلمة آخره ولان الفجر هو البياض المختلط
بالسواد فيدل عليه التزاما ولولا البيان بقوله من الفجر لكان الخيطين المذكورين من باب الاستعارة حيث ذكر المشبه
به واريد المشبه للقطع بان ليس المراد حقيقتهما وان فهمها بعض من عرض البيوم وساده كناية عن قلة فطانته
على ما روي ان عدي بن حاتم قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فكنت اقوم من الليل
فانظر اليهما فلا تبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله عم فاخبرته فضحك وقال ان كان
وسادك لعريضا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل وقيل كان ذلك مع البيان الا انه غفل عنه ولذلك عرض النبي
قفاه حيث قال له انك لعريض القفا كذا في رواية اخرى وانما اخرجا بهذا البيان من قبيل الاستعارة مع انها
ابلغ لما فيها من بعض الخفاء في مقام الحاجة الى البيان الواضح لكونه من الاحكام التي يحتاج اليها الكل من الذكي
وغيره فعدل عن الاستعارة الخفية التي ربما يخل بالغرض الى التشبيه البليغ الوافي به ويجوز ان يكون من
للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر واوله وروي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر
فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب
حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وفي هذه الرواية تاخير
البيان عن وقت الحاجة ولا يجوز هذا الا عند من يجوز تكليف المحال ولا اعتداد به لانه تكليف بما لا يطاق
وما روي فهو محمول على ان هذا الصنع كان في غير الفرض من الصوم ووقت الحاجة انما هو الصوم

الزمن ولا خلاف في امتناعه عند من لا يجوز ذلك وهل يجوز تاخيره عن وقت الخطاب فبيان التقرير والتفسير
عن وقت الخطاب يجوز موصولا ومتراخيا اتفاقا بيننا وبين الشافعي لقوله تعالى ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل عليك
من معانيه وبيان التغيير لا يصح متراخيا الا عند ابن عباس لقوله عم فليكفر عن يمينه فانه عم اوجب الكفارة
ولو جاز بيان التغيير متراخيا لما اوجب الكفارة اصلا لجواز ان يقول متراخيا ان شاء الله فيبطل يمينه فلا يجب الكفارة
ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على ثلثة اشياء الاول على جواز النية بالنهار في صوم رمضان لان كلمة
ثم للتراخي فاذا ابتداء الصوم بعد تبين الفجر حصلت النية بعد مضي جزء من النهار لان الاصل اقتران النية
بالعبادة وكان موجب ذلك وجوب النية بالنهار الا انه جاز بالليل اجماعا عملا بالسنة وصار افضل لما فيه
من المسارعة والاخذ بالاحتياط قال الشيخ ابو المعين ان ابا جعفر الخباز السمرقندي هو الذي استدل بالآية على
الوجه المذكور لكن للخصم ان يقول امر الله تعالى بالصيام بعد الانفجار وهو اسم للركن لا للشرط وايضا ينبغي ان يوجد
الامساك الذي هو الصوم الشرعي عقيب آخر جزء من الليل متصلا ليصير اتيا بالمامور ممتثلا ولا يكون الامساك
صوما شرعيا بدون النية فلا بد منها في اول جزء من اجزاء النهار حقيقة بان يتصل به او حكما بان تحصل
في الليل وتجعل باقية الى الآن الثاني على جواز تاخير الغسل الى الفجر لانه لما اباح المباشرة الى تبين الفجر تعين الغسل
فيما بعده وفيه نظر لان هذه الدلالة في فالآن باشروهن الى قوله حتى يتبين لا في قوله ثم اتموا الصيام الثالث
على نفي صوم الوصال لانه امر بالصيام المنتهي بالليل وذلك يقتضي ضده وهو الافطار بناء على ان الليل غاية
للصيام والى متعلق به لا بالايجاب واتموا عطف على كلوا مع قيد الغاية ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد
معتكفون فيها والاعتكاف من عكف اذا دام وعكف حبسه وسمي به هذا النوع من العبادة لانه اقامة في المسجد مع شرائط
والمراد بالمباشرة الوطي كناية او مجاز لما فيه من ملامسة البشرتين بدليل وروده هذا النهي عقيب الامر المراد به الوطي وقيل
معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل
يعتكف فيخرج امراته فيباشرها ثم يرجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك فقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في
مسجد وانه لا يختص به دون مسجد لانه نهي عن المباشرة في اعتكاف المساجد كلها وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي عم
وهو احد المساجد الثلثة لقوله عم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد وعن الزهري وابن المنذر انما يجوز في مسجد
جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وعن ابي حنيفة انما يجوز في مسجد له امام ومؤذن معلوم ويصلي فيه الصلوات الخمس
بالجماعة وعن خليل ولا تباشروهن بفتح التاء واسكان الباء تلك حدود الله اي تلك الاحكام الستة المذكورة حدود
الله اربعة باشروا وابتغوا وكلوا واشربوا للاباحة وواحدة للايجاب وهو اتموا وواحدة للتحريم وهو ولا تباشروهن
فلا تقربوها نهي عن القربان في تلك الحدود وهو في الحرام ظاهر واما في المباح والواجب فمشكل وهو ابلغ من قوله
فلا تعتدوها فان منع القربان مبالغة في منع التعدي اذ نهي ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني
الباطل فضلا ان يتخطاه ويتجاوزه كما قال عم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع
فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه والاحسن ان يراد هذا وامثاله
كذلك اي مثل ذلك التبيين العجيب يبين آياته للناس لعلهم يتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها او لعلهم يتقون

مسجد

هن

بحالنه الاوامر والنواهي ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهي كل عن اكل مال الاخر اى لا يأكل بعضكم مال بعض
بالوجه الذي لم يبحه الله وبالباطل متعلق بتأكلوا وكذا بينكم وقيل منكم حال من الاموال على حذف المضاف
اى شانها وحكومة فيها وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهى والادلاء الالقاء اى ولا تلقوا امر الاموال
والحكومة فيها الى الحكام مطلقا وقيل المراد القاء البعض منها الى حكام السوء بطريق الرشوة او نصب باضمار
ان كقوله ولا تكتموا الحق اى لا يكن منكم اكل الاموال والادلاء بها الى الحكام وان كان للنهى عن الجمع بينهما
لا ينافي كون كل من الامرين منهيا لتأكلوا بالتحاكم فريقا اى طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب
الاثم مثل شهادة الزور واليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضى له ظالم وعن النبي عم انه قال للخصمين
انما انا بشر وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له
بشيء من حق اخيه فلا يأخذ منه فانما اقضى له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقى لصاحبي
فقال عم اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون في حال
علمكم انكم على الباطل مبطلون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبها روي ان عيدان الحضرمي ادعى
على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم تكن له بينة فحكم النبي عم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عليه السلام
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عيدان فنزلت وهي دليل
على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويعضده الحديث المتقدم يسئلونك عن الاهلة سال عم معاذ وثعلبة بن غنم
فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون
على حالة واحدة فانزل الله الاية وفوض الخليل علهلة قل هي مواقيت للناس والحج فانهم سالوا عن السبب في
اختلاف القمر في زيادة النور ونقصانه فامر الله تعالى ان يجيب ببيان الغرض من هذا الاختلاف وهو ان الاهلة
بحسب ذلك الاختلاف معالم يوقت بها الناس امورهم من المزارع والمتاجر ومحال الديون وعدة النساء ومدة
الحمل وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته وفيه تنبيه على ان الاولى والاليق بحالهم ان يسالوا عن الغرض لا عن السبب
لانهم ليسوا ممن يطلعون بسهولة على دقايق علم الهيئة ولا يتعلق لهم به غرض واعلم ان في الاية دلالة ظاهرة
على جواز اطلاق الجمع على الاثنين حيث قال يسئلونك ولم يسال الا نكرح ان السائل شخصان معينان على ما
اتفق المحققون قاطبة قيل والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة
امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان
تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى قال الضحاك ان الكفار كانوا لا يدخلون البيت من بابه في اشهر الحج
بل من اعلاه فنزلت وعن ابن عباس ان الناس في الجاهلية واول الاسلام اذا احرم رجل منهم لم يدخل من باب
فان كان من اهل المدر يعني البيوت نقب في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يضع سلما يصعد فيه وان كان من
اهل الوبر والخيام دخل وخرج من خلف الخباء ويزعمون ذلك برا فنزلت ردا عليهم بان ليس البر فيما انتم عليه
فانه خارج من البر ولكن البر بر من اتقى المعاصي ووجه اتصاله بما قبله انه لما ذكر ان الاهلة مواقيت للحج وكان من جملة
افعالهم في الحج دخول البيت من ظهورها نهاهم الله عن ذلك وبين انه ليس ببر او انهم لما سألوا

عن السبب واجيبوا ببيان الحكمة والفائدة قيل لهم دعوا السؤال عن الحكمة والمصلحة في افعال الله تعالى وانظروا في واحدة
من افعالكم تحسبونها برا وليس ببر فان ذلك ما يليق بحالكم او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بان مثلهم
فيكمل من يترك باب البيت ويدخل من ورائه والمعنى ليس البر ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه
ولم تجر على مثله ثم قال وأتوا البيوت من ابوابها اى وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا
وهو امر عطف على هي مواقيت وليس البر وهما خبران كانه قيل لا تسألوا عن امثال هذا وانظروا في فعلة واحدة من
افعالكم وأتوا البيوت من ابوابها هذا اذا كان الكل مقول قل بطريق العطف واما اذا قدر قل في الاخيرين اى قل هي
مواقيت وقل ليس البر وقل أتوا البيوت فلا اشكال واتقوا الله يعني ارايتكم ما في فعل الله من الحكمة والفائدة و
اعتقدوا ان افعاله تعالى كلها حكم ومصالح واعملوا عمل اهل التقوى في المحافظة على احكامه وترك الاعتراض على
افعاله لعلكم تفلحون لكي تصيروا من المفلحين ببركة التقوى او لعلكم تنتظمون في زمرة المفلحين
لان التقوى شعارهم او لعلكم تظفرون بالبر والخير وقاتلوا في سبيل الله اى جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه
الذين يقاتلونكم اى الذين يناصبونكم القتال والحرب ويكون لهم قدرة ذلك دون من ليس له قوة ذلك من المستضعفين
من الرهابين والنساء والولدان والمشايخ الذين لا يتوقع منهم او الذين يقصدون قتالكم ويضادونكم وهم الكفرة
كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين دائما او الذين يناجزونكم القتال ويبارزون فيه دون المحاجزين الذين
يكفون عن قتالكم وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وقال الربيع بن انس هي اول اية
نزلت في القتال بالمدينة فكان النبي عم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يتعرضون لقتالكم في الحرم
وفي الشهر الحرام ويعضده ما روي ان المشركين صدوا رسول الله عم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من
قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم
في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت فرفع عنهم الجناح في قتال الذين يقاتلونهم في الحرم والشهر الحرام وانما
احتيج الى هذه التاويلات لان المقاتلة مفاعلة تكون من الجانبين وهو هنا مشكل فقد عرفت الضرورة الى تفسير
المقاتلين بالوجوه الاربعة التي ذكرناها ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من المستضعفين
والمعاهدين او بالمثلة او بالمفاجاة به من غير دعوة ان الله لا يحب المعتدين المعتدين حدود ما امر الله به او المرتدين
في القتال اى لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجدان على وجه
الاخذ والغلبة ثقفت العلم اسرعت اخذه ومنه رجل ثقف وثقف بالكسر والسكون اى سريع الاخذ لاقرانه قال
فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود اى من اثقفه ليس صائرا الى بقائه واخرجوهم من حيث
اخرجوكم اى من مكة وقد فعل عم ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اى المحنة والبلاء اشد منه
قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء عزير الى باب موسى عم ما محى اسمه من ديوان النبوة فحجب فرجع
وهو يقول مائة موتة اهون من ذل ساعة وعنه عم انه قال اثنتان يكرههما ابن ادم يكره الموت والموت خير للمؤمن
من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال اقل للحساب الحديث وحكي عن عمر بن عبد العزيز انه التمس من رجل
كان مشهورا باستجابة الدعوة ان يدعو له بالموت مخافة ان يقع في الفتنة فلما دعا عاش ثلثة

اي ام جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى فيها الموت تخلصًا عن الاشد ومنه قوله لقتل بحد
السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقول الاخر اظل ارعى وابيت اطحن والموت من بعض
الحيوة اهون وبما ذكرنا من تفسير الفتنة حيث لم يعين ولم يخصص يعلم ان اللام فيه ليس للعهد والاشارة
الى الخروج من الوطن نعم ينبئ ان لقوله والفتنة اشد من القتل تعلقا بقوله اخرجوهم من حيث اخرجوكم
وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل معناه الشرك اعظم من القتل في الحرم فانهم كانوا يستعظمون
القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه
وعلى هذا الفتنة للعهد حيث اشير به الى الشرك المعهود وكذا القتل وقيل فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام
اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم اي على التقديرين ولا
تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان
قاتلوكم فاقتلوهم فان بدؤكم بالقتال فلا تبالوا بقتالهم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرا
حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم اي حتى يقتلوا بعضكم كقولك قتلنا بنو ربيعة بجعل وقوع
القتل في بعضهم منزلة وقوعه فيهم حيث جعل الضمير الراجع اليهم غير مقيد بالبعض مع ان القتل لا يكون الا في البعض
خاصة ومنه قوله فان تقتلونا نقتلكم كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر
فان الله غفور لما قد سلف منهم رحيم بهم فلا يواخذهم بذلك بل يرجع اليهم بالقبول والرحمة وقاتلوهم حتى لا يكون فتنة
اي شرك يعني قاتلوا المشركين حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني الا الاسلام فان ابى قتل ويكون الدين لله خالصا ليس
للشيطان فيه نصيب ولا يبقى الا دين الاسلام وحده ويضمحل كل دين باطل فان انتهوا عن الشرك واسلموا فلا عدوان
الا على الظالمين هو مثل لا فتوة الا ابابة في وقوع الظرف موقع الجزاء لا عدوان كاين او ثابت على قوم الا على الظالمين
وذكروا له ثلثة معان احدها انه كناية عن النهي عن العدوان على المنتهين اي فلا تعدوا عليهم لان العدوان مختص
بالظالمين والمنتهون ليسوا بظالمين فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين الثاني انه من قبيل المشاكلة و
تسمية جزاء الظلم ظلما اي فلا تظلموا الا على الظالمين لا المنتهين يعني لا تفعلوا ما هو في صورة الظلم الا مع الظالمين
وهذا مثل قوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه الثالث ان المذكور سبب الجزاء اي ان انتهوا فلا تتعرضوا لهم
لئلا تكونوا ظالمين فيسلط عليكم من يعدوا عليكم لان العدوان لا يكون الا على الظالمين والمراد انه كناية على معنى ان انتهوا
يسلط عليكم من يعدو على تقدير تعرضكم لهم لصيرورتكم ظالمين بذلك والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام
بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة واتفق
خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه
يعني تهتكوا حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم وعن ابن عباس رد المشركين حتى ادخلوهم ديارهم والحرمات قصاص
احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليه يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا
بهم مثل ذلك ولا تبالوا وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فانه فذلكة التقرير وقرا الحسن والحرمات باسكان الراء والاعتداء هو

المجاوزة

المجاوزة عن الحد الذي له والاعتداء على المعتدي مجاز عن مجازاته التي هي عدل اطلاق لاسم احد الضدين
عن الاخر بجامع المجاوزة في التخييل لا تنزيل التضاد منزلة التناسب بواسطة تمليح او تهكم ليكون استعارة لانه
لا يناسب المقام اصلا وهكذا قال بعضهم وهو ضعيف والصحيح ان الاية من قبيل المشاكلة اعني التعبير عن الشيء بلفظ
غيره لوقوعه في صحبته مثل اطبخوا لي جبة وقميصا وتحقيق المجاز فيه صعب جدا وقرا ابن مسعود فمن اعتدى بكم فاعتدوا به وقرا
فمن تعدى عليكم فلا تعتدوا عليه الا بمثل ما تعدى عليكم واتقوا الله في الانتصار والانتقام ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا
الى ما لا يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين المجتنبين في الانتقام مخالفة امره او العاملين عمل اهل التقوى في
المحافظة على ما امر به واجتناب ما نهى عنه فينصرهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة نهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او ترك الغزو والانفاق فيه
لانه يقوي العدو ويسلطهم على الاهلاك وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده
الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الاية انما انزلت فينا صحبنا رسول الله صلعم فنصرناه وشهدنا
معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما اعز الله الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها
رجعنا الى اهالينا واموالنا واولادنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الغزو
والجهاد او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع وجه المعاش او عن الاخطار بالنفس وهو الايقاع
في الخطر والهلاك وعن الاستقتال وهو الاستسلام للقتل بالاشتمال وعدم المبالات في الحرب من الموت ويعضد الاول
ما روي عن الرئيس ان النبي عم لما امر الناس بالخروج الى الجهاد فقام اليه ناس من العرب حاضرين بالمدينة فقالوا
بماذا نتجهز والله ما لنا زاد ولا يطعمنا احد فنزل قوله تعالى وانفقوا في سبيل الله اي تصدقوا يا اهل الميسرة في طاعة
الله وعبادته ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة يعني لا تمسكوا بايديكم من الصدقة فتهلكوا فانكم ان امسكتم عن
النفقات والعون للضعفاء تخلفوا عنكم فيغلب عليكم العدو فتهلكوا وقيل لا تمسكوا فيرث منكم غيركم فتهلكوا
بحرمان منفعة اموالكم ولا تمسكوا فيذهب عنكم في الدنيا والثواب في الاخرة عن رسول الله صلعم ان لله املاكا خلقهم
كيف يشاء وصورهم على ما شاء تحت عرشه الهمهم ان ينادوا قبل طلوع الشمس وقبل الغروب في كل يوم مرتين
الا من وسع على عياله وجيرانه وسع الله عليه في الدنيا الا من ضيق ضيق الله عليه الا ان الله عز وجل قد اعطاكم للنفقة
درهم على عيالكم سبعين قنطارا والقنطار كجبل احد وزنا انفقوا ولا تخشوا ولا تضيقوا ولا تقتروا وليكن اكثر نفقتكم
يوم الجمعة رواه ابن عباس رض وعنه عليه السلام وعنه عليه السلام ان لله ملكا بباب من ابواب السماء يقول من يقرض اليوم يجازى غدا
وملك بباب اخر يقول اللهم اعط للمنفق خلفا وعجل للممسك تلفا رواه ابو هريرة وقال صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله
واحبهم اليه انفعهم لعياله فالانفاق من اشرف القربات واعظم العبادات ومما يجب التنبيه له ان قوله لا تلقوا ان
كان متعلقا بانفقوا وهو الاظهر فالنهي يرجع الى طرف الافراط والتفريط في الجود وان كان متعلقا
بقاتلوا فالى النهي التفريط والافراط في الشجاعة والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء
والباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد وقيل المراد بالايدي الانفس وقيل تقديره ولا
تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها وقال الزجاج التهلكة معناه

الخلف

الهلاك يعني ان لم تنفقوا عصيتم الله فهلكتم وعن ابي عبيدة التهلكة والهلاكة والهلاك والهلك واحد وفيه
دلالة على ان التهلكة مصدر كالتفرقة والتسرة بمعنى الضر والسرور ونحوها في الاعيان التحضبة والتنفلة اي
لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها اخذة بايديكم مالكة لكم وجوز بعضهم ان يكون اصلها
التهلكة بالكسر وهو قراءة الخليل كالتجربة والتبصرة ونحوها على انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء
الجوار في الجوار يقال جاورته مجاورة وجوارا وجوارا واحسنوا في اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج قيل احسنوا
الظن بالله تعالى فيما انفقتم ان يخلفكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة وقيل اخلصوا النية في النفقة ان الله
يحب المحسنين واتموا الحج الحج في اللغة القصد ثم غلب على قصد الكعبة للنسك المعروف والعمرة اسم من الاعتمار
واصلها القصد الى موضع عامر ثم غلبت والمعنى ايتوا بهما تامين كاملين باركانهما وشرايطهما
لوجه الله من غير توان يقع منكم فيهما قال ذو الرمة تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل
الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي عن علي وابن
عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وهذا اعني الاحرام من داره انما يصلح لو امكن المسير منها في اشهر الحج لقوله الحج اشهر معلومات
كاحرام الكوفي من الكوفة واما من بعد داره فانه قد لا يمكنه ذلك وقيل ان تفرد لكل منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية
وعمرة طوفية افضل وقيل ان تخلصوا للعبادة ولا تشوبهما بغرض دنيوي وقيل ان تكون النفقة حلالا واتفقت
كلمة اكثر الائمة على وجوب الحج دون العمرة فان ابا حنيفة ذهب الى انها ليست واجبة وقال الشعبي انها تطوع فلا
نجعلها واجبة خلافا للشافعي فانه ذهب الى وجوبها واحتج بقوله واتموا الحج والعمرة لله امر باتمامها مطلقا ومطلق
الامر للوجوب فيكونان واجبين اجيب بان هذا ليس الامر باتمامهما والامر باتمام الفعل لا يدل على وجوبه فقد
يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا على ان هاهنا دليل صارف عن الامر على الوجوب وهو تصريح الحديث بنفي الوجوب
اولا واثبات الافضلية اخرا وهو ما روي جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر
خير لك وعنه عم الحج جهاد والعمرة تطوع وفيه تصريح باثبات التطوع وهذا انما يصح لو ثبت سبق الحديث ليكون
دليله على عدم قصد الوجوب بخلاف ما اذا سبقت الاية ودلت على الوجوب كما هو الاصل فرفعه بالحديث
يكون نسخا للكتاب بخبر الواحد وانه غير جايز وربما يحتج بوجوه ثلثة على وجوب العمرة الاول قول ابن عباس ان العمرة
لقرينة الحج فتكون واجبة مثل الثاني تصديق عمر رض لرجل قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا
فقال هديت لسنة نبيك وفيه دلالة على انه انما اهل بهما لكونهما مكتوبين عليه من قبل الشارع فيكونان واجبين
الثالث ان العمرة قد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج وهذا الاحتجاج غير الاول لانه لم يتعرض فيه
الا لاتمام العمرة وهاهنا جانب الحج ملحوظ اجيب عن الاول بانا لا نعرف ان العمرة قرينة الحج في الوجوب بل في ان القارن
يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر يقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر وعن الثاني بانا لا نسلم
ان اهلاله بهما لكونهما مكتوبين عليه بالامر بالعكس فان الوجوب انما يكون بعد الشروع فيهما لا من جهة الشرع وعن الثالث
ان نظمها مع الحج في ذلك وان دل على وجوبها ظاهرا لكن الدليل المذكور من الحديث اخرجها عن صفة الوجوب فبقي الحج
وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في انك تامر بفرض وتطوع قيل وفي هذه الاجوبة نظر فان

في الاصل

ذكر من جواب الاول بنفيه الرواية المشهورة انها القرينة في كتاب الله وجواب الثاني ليس بسديد لان قوله وجدتهما مكتوبين
ظاهر في وجوبهما قبل الاهلال بهما على ان الرواية المشهورة فاهللت بهما وفي جواب الثالث جمع بين الحقيقة والمجاز فان الامر
حقيقة في الوجوب مجاز في غيره او بين معنى المشترك وان اريد انه دل على وجوبهما ثم دل الحديثان المذكوران على نفي الوجوب
كان ذلك نسخا للكتاب بخبر الواحد وقرا علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب
وقرا مطرف بن طلحة اقيموا الحج والعمرة وقرا الحسن وابن ابي اسحق الحج بكسر الحاء في جميع القران فان احصرتم يقال احصر الحاج اذا منعه
خوف او مرض من الوصول لاتمام حجة او عمرته واذا منعه سلطان او مانع قاهر في حبس او مدينه قيل حصر هذا اعني استعمال
الاحصار في المنع المذكور والحصر في منع يكون من جهة العدو او السجن هو المشهور وان كانا لمطلق المنع مثل صده
واصده فقال ابو حنيفة كل منع من عدو او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار فاعتبر مطلق اصل المنع
على ما هو الوضع وقال مالك والشافعي المنع من جهة العدو معتبر في ذلك لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول
ابن عباس وهو من اعرف بمواقع التنزيل لا احصر الا حصر العدو ولا يخفى ان هذا تقييد من غير دليل ووروده في حصر
العدو لا يصلح دليلا كما يقال في العام ان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب على ان مجرد قول الصحابي حجة حيث لا دليل
على خلافه بمطلق الكتاب وعن النبي عم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل وفيه تصريح باثبات حكم الاحصار
في المرض ويقال انه ضعيف ماول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عم لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم
محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي اي فاهدوا اما استيسر او فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر والمعنى ان منعتم من المضي
الى البيت واردتم التحلل تحللوا بذبح ما تيسر عليكم من بدنة او بقرة او شاة حيث احصرتم وهذا عند الشافعي لانه عم نحر هديه
حيث احصر وكان الاحصار بالحديبية واما عند ابي حنيفة فيبعث به ويجعل للمبعوث على يديه يوم امار فاذا جاء
اليوم فظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلقوا ايها المحصرون حتى تعلموا ان
الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه
وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رح دون مذهب الشافعي لانه قد يتكلف له بان المراد بمحله مكانه الذي عينه الشرع
وهو موضع الاحصار او بان المراد ببلوغه محله وصوله الى حيث يجب ان يستقر فيه بمعنى الفراغ عن نحره وخالف
ابا حنيفة صاحباه في الزمان لا في المكان مطلقا وعن الزهري ان النبي عم نحر هديه في الحرم وقال محمد بن اسحق
الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على سبعة اميال من مكة والمحل بالكسر مشترك بين الزمان والمكان والمراد به المكان
في الاية كما فسرنا وقال الكسائي النعم والهدي جمع هدية كجدي وجدية وهي شيء تحت دفتي السرج او الرحل
وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه
وهو الجراحة او القمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك اي من صيام ثلثة ايام
او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب
ابن عجرة ان النبي عم قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم
ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول في نزلت الاية وروي انه
مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل

[illegible]

حج نسكه وقرا الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة
الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب بالعمرة الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع
بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج اى من انتفع بالفراغ من عمرته ممتدا
الى الشروع في الحج والتمتع هو ان يحرم بالعمرة من الميقات في اشهر الحج وياتي بمناسكها ثم يحرم بالحج من جوف
مكة وياتي باعماله ويقابله القران وهو ان يحرم بهما معا وياتي بمناسك الحج فتدخل فيها مناسك العمرة
والافراد وهو ان يحرم بالحج وبعد الفراغ عنه بالعمرة والقران افضل مطلقا اى من التمتع والافراد
فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم نسك عند ابي حنيفة وياكل منه كالاضحية
واما عند الشافعي فهو دم جبران يجري مجرى الجنايات لاساءته بتاخير احرام الحج عن الميقات ولهذا
لم يوجبه على المكي ومن في حكمه ولا ياكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم
بالحج وقالوا المحرمون اربعة مفرد بالحج ومفرد بالعمرة والمتمتع والقارن فالاولان لا يجب عليهما
الهدي بخلاف من كان متمتعا او قارنا فانه وجب عليه الهدي وقرا الحسن والاعرج وجماعة من الهدي
بكسر الدال وتشديد الياء وروي عصمة عن عاصم انه يثقل الهدي في الرفع والجر ويخفف في النصب
مثل هديا بالغ الكعبة فمن لم يجد الهدي فصيام فوجب عليه صيام ثلثة ايام في الحج اى في وقته وهو
اشهر الحج عند ابي حنيفة حتى يصح قبل احرام الحج والافضل ان يصوم يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة
وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزيه الا الدم وعند الشافعي وقت الاتيان بافعال الحج وفي
اثناء افعاله فلا يصح الصيام الا بعد الاحرام بالحج لا قبله تمسكا بظاهر قوله في الحج لان معناه في وقت
الحج على التاويل المذكور وسبعة اذا رجعتم يعني اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة وهو احد
قولي الشافعي فاطلق المسبب واريد السبب مجازا لان النفر والفراغ من اعماله سبب الرجوع وذهب في قوله الاخر الى
ان المراد الرجوع الى الاهال والاوطان الا انه لو نوى الاقامة بمكة فهي بمنزلة الوطن فلو صام السبعة بعد الفراغ
وقبل الوصول الى بيته يجزيه عنده ولا يجزيه عند الشافعي وقرا ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل
ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وجوز ان يكون منصوبا
باضمار فعل يدل عليه فصيام مثل وليصم تلك عشرة كاملة فان قيل لا خفاء في ان الثلثة والسبعة
عشرة فما فايدة الفذلكة وهي قوله تلك عشرة اجيب بوجهين احدهما ان لا يتوهم ان الواو في قوله وسبعة
اذا رجعتم للاباحة وبمعنى او كما في قوله مثنى وثلث ورباع وكقولك جالس الحسن وابن سيرين ففذلكه
وذكر قوله عشرة لنفي هذا التوهم وقال بعضهم وهو من باب التكميل اعني الاتيان بما يدفع خلاف المقصود والثاني
فايدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من وجهين فيتاكد العلم وفي امثال العرب
علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد العشرة اى عشرة كاملة في كونها عشرة وفيه زيادة توصية بصيامها وان
لا ينقص من عددها ولا ينقصها ونهاكما تقول الله لا تشرك به شيئا وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي
وعلى هذا يكون مقيدا اي كاملة في البدلية من الهدي والقيام مقامه بحيث لا ينقص ثوابها عن ثوابه

كلام

لما هو حكم بعض الابدال وقيل كاملة موكدة او مقيدة كما ذكرنا او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي
الاحاد وتتم مراتبها ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه لانه الحكم المقصود من اصل الكلام وقد
وقع الاتفاق على ان لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لا ياكل منه واما
القارن والمتمتع من غيرهم فدمهما دم نسك ياكلان منه وعند الشافعي اشارة الى وجوب الهدي او الصيام
لانه اقرب ولم يوجب عليهم شيئا اذا قرنوا او تمتعوا ولفظ ذلك شايع في المعنى لكونها بعيدة عن الحس وان
كانت قريبة في الذكر لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت جمع الميقات وميقات المدينة
ذو الحليفة وميقات العراق ذات عرق والشام جحفة والنجد قرن واليمن يلملم فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة واهل
الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة عند الشافعي واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله
في ما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره او اجتنبوا مخالفة اوامره ونواهيه او واعملوا عمل اهل التقوى في المحافظة
على احكامه التي هي حدوده وعن النبي عم تقوى الله عز وجل راس كل حكمة قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وهو الورع رواه انس بن مالك رض واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ولم يتقه ليكفكم العلم
بشدة عقابه عن ترك التقوى ومخالفة حدوده الحج اشهر اى وقت الحج اشهر على حذف المضاف لان الحج ليس نفس
الاشهر كقولك البرد شهران معلومات معروفات والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة عند
ابي حنيفة وتسع من ذي الحجة بليلة النحر عند الشافعي وثمرة اختلافهما ان يوم النحر من اشهر الحج يجوز الاحرام بلا كراهة
عند ابي حنيفة واما عند الشافعي فليس يوم النحر من اشهر الحج فلا يجوز الاحرام يوم النحر عنده وذو الحجة كله عند مالك
وقيل بناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله او مناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك
مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صح الاحرام به عنده قبل شوال فقد استكرهه وانما جمع

الحج

شهران وبعض الثالث اشهرا اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وقد ذكر في الاصول ان اطلاقه على الاثنين مجاز بطريق
اطلاق اسم الكل على البعض او تشبيه الواحد بالكثير في العظم والخطر كما يطلق الجمع على الواحد تعظيما في مثل قوله
وانا له لحافظون مع ان الاتفاق على ان الجمع لا يطلق على الواحد حقيقة وقالوا ان في التثنية ضم شيء الى شيء وهو معنى
الجمع لغة فجاز اطلاق صيغة الجمع عليها لهذه المناسبة فمن فرض فيهن الحج فمن اوجب الحج على نفسه في اشهره بالتلبية
او بتقليد الهدي وسوقه عندنا واما عند الشافعي فبمجرد النية وتقريره للمقام لان الانسان اذا احرم حرم عليه الصيد
والنساء وغير ذلك وقبل الاحرام كان كل منها حلالا عليه ولاجل حرمتها عليه سمي محرما فلا بد له من فعل يصير
به محرما وحاجا قال ابو حنيفة نصلي لسنة الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيه بمجرد النية كالصلوة و
قال الشافعي رحمه الحج كف عن المحظورات فيصح الشروع فيه بالنية كالصوم فلا رفث ولا فسوق ولا جدال والرفث
الجماع كناية او الكلام الفاحش او ذكر الجماع بحضرة النساء فقد روي ان ابن عباس لما انشد وهن يمشين بنا هميسا ان
تصدق الطير ننك لميسا قيل له اترفث وانت محرم فقال انما الرفث ما خوطب به النساء وضمير هن للابل والهميس
صوت نقل اخفافها واللميس اسم جارية والمعنى نفعل بها ما نريد ان يصدق الفال وقيل الرفث بالفرج للجماع وباللسان
المواعدة للجماع وبالعين الغمزة للجماع والفسوق هي المعاصي وقيل الخروج عن حدود الشرع بالسباب

وارتكاب المحظورات والرزق ان الفسوق على الاول جمع مطلق وعلى الثاني مصدر مقيد والجدال ان يجادل
رفيقه وقيل مجادلة المشركين في تقديم الحج وتاخيره ومكان الوقوف فيه فان قريشا كانت تقدم الحج
سنة وتوخره اخرى وهو النسيء وكانت تقف بالمشعر الحرام فرد الحج الى وقت واحد ورد الوقوف الى
عرفة فاخبر الله تعالى انه ارتفع الخلاف الموجب للجدال في الحج حيث قال الحج اشهر معلومات فاذا افضتم من عرفات
في الحج في ايامه وروي عن مجاهد انه قال قد استقر الحج في ذي الحجة فلا جدال فيه ونفي الثلث على قصد النهي
للمبالغة والدلالة على انها جديرة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة و
التطريب في قراءة القران وقرئ الثلث بالنصب اعني الفتح وبالرفع والفتح نص في الاستغراق نحو قولك لا رجل في الدار
بالنصب بخلاف الرفع وذلك بدليل قولهم انك لا تبغي بها نفيا عاما في قولك لا رجل في الدار بالنصب وغير عام في
قولك لا رجل في الدار بالرفع لان من مقدرة في الاول دون الثاني لظهور ان لا فيه بمعنى ليس وصرح قلته
ثبت ومنه بيت الكتاب من صد عن نيرانها فانا ابن قيس لا براح فوجه الاول اعني فتح الثلثة ان الرفث مبني
لتضمنه معنى من الاستغراقية منصوب المحل على انه اسم لا التي لنفي الجنس وفسوق وجدال معطوفات عليه
وقد مر في الكلام ان النكرة اذا كانت مع من الاستغراقية لفظا نحو ما من رجل في الدار او تقديرا مثل لا رجل
في الدار فهي نص في الاستغراق لا يحتمل عدمه لكونه لنفي الجنس بالكلية وفي الحج خبره وقرا ابن كثير وابو عمرو برفع
الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق وبنصب الثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال
في الحج كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج ويعضده ما ذكرنا من ارتفاع الخلاف والجدال بين العرب في وقت الحج
ومكان الوقوف وروى يعقوب عن عاصم فلا رفوث ولا فسوق ولا جدال وقرا ابو جعفر ولا رفث ولا فسوق
ولا جدال واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عم من حج فلم يرفث ولم يفسق
خرج كهيئة يوم ولدته امه وانما لم يذكر الجدال اجيب بان ترك ذكره بناء على ان امر الجدال والمرا
اهون وان العمدة في النهي هي الرفث والفسوق وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقب
به النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه ومن يعمل الحسنات بفعل الخيرات والطاعات وترك
المنكرات المنهيات فانه يقبله ويجازيه على حسب فعله وقيل من ترك الفسوق والمراء والجدال يعلمه الله
فيجازيه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وفيه اشارة الى انه يجوز ان يراد بقوله من خير مطلق
الخير وهو ضبط النفس عن ارتكاب ما نهوا عنه فانه مفهوم التقوى وحقيقته والمعنى تزودوا لمعادكم
التقوى فانه خير زاد او تزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى
ويعضده ما روي ان اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله
افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم فعلى الاول المراد بالتزودوا تزودوا التقوى
وعلى الثاني تزودوا الطعام والاحسن ان يقال معناه تزودوا لسفر الدنيا بالطعام ولسفر الاخرة بالتقوى
فان خير الزاد التقوى اذ ترك الاول ربما يفضي الى النهب والغصب ونحو ذلك وفي ترك الثاني الفساد
كل الفساد والاخرة عند ربك للمتقين وانما كان احسن لاشتماله على المعنيين السابقين بحيث لا يشذ شيء منهما

والزاد اسم لما لا بد للمسافر واعلم ان الفاء ههنا للتعليل فصار كاللام فمعناه لان خير الزاد التقوى وكذلك
الفاء في قوله تعالى السارق والسارقة فاقطعوا وفي قوله عم لا تقربوه طيبا فانه يحشر يوم القيمة ملبيا
ثم اصل الفاء ان يدخل على المعلول لانها للتعقيب فالمعلول يتعقب العلة وانما يدخل على العلل نحو ابشر فقد اتاك
الغوث واذا كانت الفاء فانت خبير لان المعلول الذي هو الحكم السابق على الفاء كالابشار مثلا علة غائية للعلة
التي دخلت عليها الفاء كالاخبار باتيان الغوث فتصير العلة معلولا اي العلة الداخلة عليها الفاء معلولا بالنسبة
الى تلك العلة الغائية من ذلك قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقول الشاعر اذا ملك لم يكن ذا هبة
فدعه فدولته ذاهبة ونظيره اعبد ربك فالعبادة حق له هكذا يقال اجيب بان الابشار ليس علة غائية
لان اتيان الغوث والامر بالتزود علة غائية لكون خير الزاد التقوى والامر بتركه علة لذهاب دولته
والامر بالعبادة لكون العبادة حقا لله تعالى وانما هو علة غائية للاخبار بذلك وايضا علة الغائية انما تكون علة لعلية
العلة لا للعلة نفسها فكيف يكون ما دخل عليه الفاء معلولا والاقرب ما ذكره القوم من ان الفاء انما تدخل على العلل
باعتبار انها تدوم فيتراخى عن ابتداء الحكم فان الغوث ياتي بعد الابشار واتقون يا اولي الالباب
واجتنبوا مخالفة امري ونهيي مخالفة عقابي يا ذوي العقول السليمة فان قضيته خوف الله وضبط النفس
عن ارتكاب المنهيات والقبايح ومن لم يجتنب ذلك ولم يخفه فكانه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا
والابتغاء الطلب فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يعني الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة
وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام
تأثموا منه فنزلت الاية رافعة للجناح في ذلك وقيل كانوا اذا حجوا كفوا عن التجارة في العشر فلم يعم لهم
البيع والشراء حتى يمضي ايام حجهم ويسمون من يتجر الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج فنزلت
الاية مرخصة في ذلك والداج اتباع الحاج من الخدم والاجراء والمكارين والحمالين ووجه اخر ما روي
عن ابن عمر رض ان رجلا قال انا قوم نكري في هذا الوجه اي جهة الحج وطريقه وان قوما يزعمون
ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول الله عم عما سالت عنه فلم يجبه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به
فقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معاشنا الا من
التجارة في الحج وقرا ابن عباس وابن الزبير فضلا من ربكم في مواسم الحج فاذا افضتم من عرفات يقال
فاض الماء اذا انصب عن امتلاء وافاض الماء اذا صبه بكثرة ومنه افاضوا من عرفات اذا دفعوا واصله
افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعوا من الكوفة وصبوا ومنه حديث ابي بكر رض صب في دقران
وهو في بجوش بعره فجنه اي صب نفسه وذلك في مسيره الى البدر ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه
وعرفات علم للموقف سمي بجميع مثل اذرعات علم بلد بالشام ولا واحد لهما اذ لم يوجد اذرعة ولا
عرفة قال الفراء لا واحد له وقول الناس نزلنا عرفة شبيه بمولد وليس بعربي محض ولو سلم فعرفة وعرفات
مدلولهما واحد ليس ثم اماكن متعددة كل منها عرفة جمعت عرفات ولا نزاع في استعماله منونا وانما النزاع
في صرفه وعدم صرفه فذهب بعضهم الى انه غير منصرف للتعريف والتانيث وتنوين

الجمع تنوين مقابلة لا تنوين تمكن يعني جئ به ليكون في جمع المونث السالم مقابلا للنون في الجمع المذكر السالم
نحو مسلمون ومع هذا يكثر في موضع الجر للامن بهذا التنوين من تنوين التمكن كما باللام والاضافة وقيل
منصرف لعدم الاعتداد بالتانيث لفظا وتقديرا اما لفظا فلان التاء التي في لفظ عرفات ليست للتانيث
وانما هي مع الالف علامة جمع المونث واما تقديرا فلان اختصاصها بجمع المونث يمنع تقدير التاء لكونه بمنزلة
الجمع بين علامتي التانيث وهذه التاء مثل تاء بنت في انها ليست للتانيث واختصت بالتانيث فابت
تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم ءم فلما ابصرها عرفها وقيل لان جبريل يدور
به في المشاعر فلما اراه اياها قال قد عرفت وقال الضحاك ان آدم ءم لما اهبط وقع بالهند وحوا بجدة
فجعل كل منهما يطلب الاخر فالتقيا في عرفات فتعارفا فسميت بذلك وقيل لان الناس يتعارفون فيها
وهي من الاعلام المرتجلة لا من الاعلام المنقولة بان يقال عرفات جمع عرفة جمع عارف فنقلت وجعلت علما
لان ذلك لم يوجد في الاستعمال فلذا حكم بانه من المرتجل مع الحكم بانه لا يوجد عرفة الا جمع عارف وقيل
فيه دليل وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا يكون الا بعده ويؤيده قوله ءم الحج عرفة فمن ادرك العرفة
فقد ادرك الحج اذ لا معنى لكون الحج عرفة سوي ان الوقوف بها فوجوبه وجوبه واما بيان دلالة الاية على
ذلك فلانه ذكر الافاضة بكلمة اذا الدالة على القطع فهو في حكم الشرع الوجوب كانه قال الافاضة
واجبة فاذا اتيتم بها فاذكروا الله ثم انها مقتضى سابقة الكون والاستقرار بعرفات ليكون ابتداها منها
وهو معنى الوقوف بها والحضور فيها فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والثناء والدعاء وقيل بصلوة العشائين
عند المشعر الحرام وهو جبل بالمزدلفة واسمه قزح يقف عليه الامام وعليه الميقدة وهي موضع كان اهل الجاهلية
يوقدون النار عليه وقيل المشعر الحرام ما بين جبل المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان و
لا وادي محسر من المشعر الحرام ويترجح الاول بما روى جابر انه ءم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى
المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر فان هذه الرواية تدل على ان اتيان المشعر
الحرام كان بعد الركوب من المزدلفة وكان الدعاء والتكبير به وما ذاك الا بالجبل وانما سمي مشعرا لانه معلم
العبادات ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس نظر الى الناس ليلة جمع وقال لقد ادركت الناس هذه الليلة
لا ينامون وفيه تنبيه على حرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يلي المشعر الحرام ويقرب منه فانه افضل كالقرب
من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او المراد بما عند المشعر الحرام جميع اطراف المزدلفة لاتصالها
بالمشعر حتى ولكونها في حكمه شرعا وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان ادم ءم اجتمع فيها مع حوا وازدلف
اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين وقيل يجوز ان يقال وصفت بفعل
اهلها لانهم يزدلفون الى الله يتقربون بالوقوف فيها وقال ابو حاتم المشعر بكسر الميم لغة وقد سمعته
من فصيح وروي ذلك عن زيد ابن علي واذكروه كما هداكم ما مصدرية او كافة اي اذكروه ذكرا حسنا
كما هديكم هداية حسنة الى المناسك او اذكروه كما علمكم اي على الوجه الذي علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا
عن ذلك الوجه والطريق فعلى الاول كما هداكم في محل النصب على المصدر بحذف الموصوف وعلى الثاني الحال

له كالاعواد لانه لم يبق حرف جر بل بنفيه من جهة المعنى فقط وايضا الكاف على الاول لقصد التشبيه وعلى الثاني للتقييد
وان كنتم من قبله اي قبل الهدى والتعليم لمن الضالين الجاهلين بطرق الهداية وسبل العبادة ان هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كنتم من قبله
لمن الذين لا يعرفون كيف يذكرونه ويعبدونه وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن
الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس ثم لتكن افاضتكم من عرفات ولا تكن من المزدلفة لان الاول
صواب والثاني خطاء والخطاب مع الحمس قريش وكنانة كانوا يقفون بجمع وهو المزدلفة وساير الناس
بعرفات ويرون ذلك ترفعا على الناس وتعاليا عليهم فامروا بان يساووهم في الموقف وثم لتفاوت ما بين
الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة
الى منى بعد الافاضة من عرفات والخطاب عام واللام للعهد وثم على اصلها الذي هو التراخي وعلى الاول اللام للجنس لكن
المراد المومنون فيدل على الكمال وقرئ الناس بكسر السين اي الناس يعني ادم ءم من قوله تعالى فنسي فاكتفي بالكسر على الياء
وبه قرا ابو عيسى الاسود القاري ووجه ثم على هذه القراءة غير ظاهر ويمكن ان يكون اشارة الى بعد ما بين الافاضة
من عرفات والمخالفة عنها لان معنى ثم افيضوا ثم لا تخالفوا من الافاضة فانها شرع قديم واستغفروا الله من جهالتكم
الجاهلية ونحو ذلك من مخالفتكم في الموقف وتغيير المناسك ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر ويرجع
اليه بالتفضل والرحمة ويعطيه ثوابا جزيلا فاذا قضيتم مناسككم ومعنى القضاء التادية والاتمام ومنه قضيت الحج
والمناسك جمع منسك بمعنى النسك وهو في الاصل غاية العبادة وشاع استعماله في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وفيه نظر لان ذلك معناها الفرعي لا الاصلي بشهادة الثقات من ايمة اللغة حيث صرحوا بذلك وقالوا نسك لله
نسكا ومنسكا اذا ذبح لوجهه والنسيكة الذبيحة والمنسك بالكسر الموضع الذي يذبح فيه وقد تسمى الذبيحة نسكا يقال
من فعل هذا فعليه نسك اي دم يهريقه ثم قالوا لكل عبادة نسك ومنه ان صلوتي ونسكي والناسك العابد الزاهد ومناسك
الحج عباداته وهذا من الخواص الذي صار عاما هذه عبارتهم من غير تغيير وهي كما ترى صريحة في ان النسك في الاصل
بمعنى الذبح ثم استعير للعبادة ومعنى الاية اذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا
ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين مسجد الخيف
وبين الجبل فيعد دون فضايل ابائهم ويذكرون محاسن ايامهم التي فيها الوقايع والحروب فمحل قوله كذكركم النصب
على المصدر بحذف المضاف الموصوف اي ذكرا مثل ذكركم اباءكم وقرا محمد بن كعب القرظي اباءكم بالرفع اي كذكر الاباء الابناء
فان الاب لا يكاد ينسى ابنه كقول اخوة يوسف لابيهم تالله تفتؤا تذكر يوسف الاية او اشد ذكرا اما مجرور عطف على
مجرور اضيف اليه في قوله كذكركم والمعنى كذكركم اباءكم او قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب معطوف على اباءكم بمعنى
او اشد ذكرا من اباءكم على ان ذكرا من فعل المذكور بمعنى كذكركم اشد مذكورا من اباءكم وذلك لان الفعل المتعدي نسبة
بين الفاعل والمفعول وكذا ينسب تارة احدهما واخرى الى الاخر فالذكر مثلا باعتبار النسبة الى الفاعل ذاكرية و
وباعتبار النسبة الى المفعول مذكورية فان المصدر في معنى ان مع الفعل والفعل اما مبني للفاعل او للمفعول اي ان
ذكر وان ذكر فالمعنى على الاول كذكر قوم اشد ذاكرية لاباءهم وعلى الثاني كذكركم قوما اشد مذكورية وجوز

وجوز بعضهم ان يكون منصوبا بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم ويجوز ان يكون نصبا
عطفا على ذكركم والمعنى ذكرا اشد ذكرا على الاسناد المجازي وصفا للشيء بوصف صاحبه كما تقول جد جده وتشديد
القصعة صفرته وقد ذكر في شر مكانا واضل سبيلا انه من الاسناد المجازي لان التمييز فاعل في الحقيقة ولما اعترض ابن
الحاجب بان افعل للمفعول شاذ لا يرجع اليه الا بثبت تكلف بان هذا من عطف الجملتين اي اذكروا ذكرا مثل ذكر آبائكم
او اذكروا الله حال كونكم اشد ذكرا من ذكركم آباءكم وليس من المفرد ليلزم التشارك في العامل اجيب بان افعل هو لفظ
اشد وما هو الا للفاعل ولا يلزم من جعل تمييزه مصدرا من المبني للمفعول محذور كما اذا جعل من الالوان والعيوب
او من غير الثلاثي واذا اريد الدلالة على ان مضروبية زيد اشد من مضروبية عمرو فطريق سوي ان يقول هو اشد
مضروبية فهذا مثله وما ذكر من الوجه بعيد جدا الظهور كونه من عطف المفرد وعدم انسياق الذهن الى ما ذكر وقد وقع
ههنا في الكواشي ما لا ينبغي ان يقع لكن لكل جواد كبوة فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من
بين مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين فكونوا من المكثرين هكذا قال كثير منهم واعلم ان ههنا
بيانا آخر لم يصرحوا ولم يشيروا اليه وهو ان الناس على طبقات ثلث الذاكر اعني الذي لا يذكر مع الله غيره فان حقيقة الذكر
ان ينسى الذاكر ما سوى المذكور قال الله عز من قائل واذكر ربك اذا نسيت اي اذا نسيت ما سوى الله بعد ذلك الله تعالى
كانه يقول اذا نسيت ما سواه فقد ذكرته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيروا سبق المفردون قالوا يا رسول الله
وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات فاخبر عليه السلام ان الذاكر هو المفرد والمفرد الذي ليس معه غيره
فذاكر الله على الحقيقة من لا يذكر معه غيره وحوائجه غيره قال ابو سعيد الخراز بينا انا عشية عرفة قطعني قرب الله تعالى
عن سؤال الله ثم نازعتني نفسي بان اسأل الله تعالى فسمعت هاتفا يقول ابعد وجود الله تعالى تسأل الله غير الله
وعن عمر عنه عم يقول الله اذا شغل عبدي ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين اي اذا شغل عبدي
ذكره لي وثناؤه علي وتقديسه لي عن ان يسألني حوائج الدارين التذاذا بذكري واستيناسي حتى ينسيه ما يتراءى له
في ذكره لي من توفيقي وتيسيري له الذكر واطلاقي لسانه به وشرحي صدره به واشهادي فؤاده حتى كانه يراني
نسي العبد عند ذلك نفسه ودنياه فاعرض عنها ورفضها وشغل عن ما سوى الله تعالى واليه الاشارة بقوله او اشد
ذكرا اعليها مثل ثم الذاكر ذاكر بلسانه تهليلا وتسبيحا الى غير ذلك يدعوه باسمائه الحسنى وصفاته العليا انشرح صدره
بنوره واطمأن قلبه بذكره وشهد مذكوره بسره فذكره له انس وعما سواه ايس فشغل عن سؤاله والطلب اليه
ولذكر الله اكبر وذاكر بجنانه معظم لربه مشاهد بقربه لم يذكره عن نسيان حتى جرى بذكر اللسان اخرسته هيبته
وحشيه اجل الحق ان يذكره بلسانه ولم يغب عن ذكره لحظة بجنانه يرى ذكره من حيث هو غفلة وثناءه
عليه بصفة نفسه زلة قال الله تعالى ولذكر الله اكبر قال بعضهم ذكر الله اكبر من ان يجري به الالسن على ما يستحقه
او تبلغه الاوهام على ما يليق به او تحوي به العقول على قدر قدره قال النبي عم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك وآخر شاهد ذكر ربه له اذ لا حيث لا رسوم ولا فهوم ولا علم ولا معلوم كانوا موجودين
له علما اذ كانوا معدومين رسما فكانوا مذكورين ولا ذكر لهم ومعلومين ولا علم لهم ومرادين ولا ارادة لهم
ومطلوبين ولا طلب لهم لما شاهدوا هذه الاحوال استغنوا عن الطلب والسؤال والتمني والمكنة كما ذكرنا

فقدم

تقدم الاول حيث قال فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا لما فيه من التقدم والفضل على سواه
كما لا يخفى كانه قيل كونوا ممن يذكر الله ولا يطلب بذكره سواه فانه اعلى الطبقات وافضل الدرجات ولذا يعطيهم الله
افضل ما يعطي السائلين ومن المكثر الذي يطلب بذكره خير الدارين وهو الحسنة فيهما كما يجيء الآن وبين المرتبتين
بون بعيد ولذلك صار الاول حال الانبياء والصديقين ومن سلك سلوكهم بخلاف الثاني فانه مثل عوام المؤمنين
وفي طريقة من الناس كذا ومن الناس كذا اشارة الى انهم لم ينحصروا فيما دخل من القسمين بل كثيرا ما يشعر
مثل هذا بوجود قسم آخر ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة وفيه تنبيه بان المفعول الثاني متروك
لان همه الدنيا نفسها كما ان هم طالب الدارين على الحسنة وما له في الآخرة من خلاق اي ليس لهذا الداعي في حق الآخرة
وبالنسبة اليها طلب نصيب اصلا او ما لهذا الذي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور بالدنيا ومنهم من يقول ربنا
آتنا في الدنيا حسنة يعني التوفيق لما تحب وترضى والصحة والكفاف وقال الرئيس يعني المغفرة والشهادة والغنيمة
والحسن اي العبادة والعلم وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقيل الجنة وعن علي رض الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة
وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء ولقد صدق رضه وقنا عذاب النار واعصمنا من المعاصي المفضية الى النار
برحمتك الواسعة فانه لا عاصم ذلك اليوم منها الا من رحمه وقال النبي عم ان لله عبادا يحيون في عافية ويموتون في
عافية ويدخلون الجنة في عافية قيل من هم يا رسول الله قال يكثرون قولهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وعن انس كان اكثر دعاء النبي عم اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وعنه انه عم
عاد رجلا قد اضنى في مرضه حتى نحل جسمه وصار مثل الفرخ فقال هل دعوت بشيء قال نعم قلت اللهم ما كنت معاقبي
به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلعم سبحان الله لا طاقة لك بعذاب الله تلاوتا هلا قلت اللهم ربنا
آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وفي عبارة قتادة فقال النبي عم سبحان الله يا ابن آدم انك
لا تستطيع ان تقوم بعقوبة الله ولكن قل ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا بها الرجل
فبرأ اولئك اشارة الى فريق الثاني لهم نصيب مما كسبوا وعلى هذا قوله مما كسبوا ان كان عبارة عن ما عملوا من الحسنات فمن للتبعيض
على تقدير مضاف اي جزاء مما كسبوا او للسببية من غير احتياج الى اعتبار حذف فان ما اعطي الداعون بالحسنيين من المطالب
الدنيوية والاخروية بسبب اعمالهم الحسنة جزاء بما كانوا يعملون وحاصله انه من للابتداء والمبدأ بمنزلة المادة
الفاعلية وان كان عبارة عن دعائهم وطلبهم ايتاء الحسنتين اي لهم نصيب مما دعوا به فمن للبعضية بمعنى انهم لا يؤتون
الا البعض مما طلبوا وهو القدر الذي استوجبوه في الدنيا نظرا الى مصالحهم فيها وفي الآخرة نظرا الى استحقاقهم فان المولى
حكيم لا يفعل ما ليس بمصلحة ولا يولي ما ليس بمستحق ويسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال وقيل اشارة الى الفريقين جميعا ومن
للابتداء المادي على حذف المضاف دون السببي لان ما اعطي الفريق الاول من المطالب الدنيوية ليس بسبب اعمالهم
الردية والمعنى اولئك الفريقان لكل منهما نصيب من جنس ما كسبوا وقرأ ابن مسعود مما اكتسبوا ومما ورد في الاخبار
في مذمة الدنيا وترك طلبها الا للضرورة ما روي عن ابي هريرة انه قال جاء رسول الله صلعم وعليه عباءة شامية
فصعد المنبر وهو يومئذ ثلث عتبات قال الحمد لله تعالى واثنى عليه ثم قال اما بعد من طلب الدنيا حلالا استعفافا
عن المسألة وسعيا على العيال وتعطفا على الجار لقي الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا حلالا مفاخرا

من انسا مكاثرا لنفى انه تعالى وهو عليه غضبان والله سريع الحساب فيما قليل يحاسب العباد فى الاخرة فيجازيهم على
حسب اكسبوا من الحسنات والسيئات فبادروا الى اكتساب الحسنات وترك السيئات وعن معاذ ان النبى عم قال
ان الله تعالى ينادي يوم القيمة بصوت رفيع غير فظيع يا عبادي انا الله لا اله الا انا ارحم الراحمين واحكم الحاكمين
واسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فاحضروا حجتكم ويسروا جوابا فانكم مسؤلون
محاسبون يا ملائكتي اقيموا عبادي صفوفا على اطراف انامل اقدامهم للحساب ثم انه تعالى لا يحاسب كلهم ولا فى كل شئ لهم
قال النبى عم ثلثة لا حساب عليهم يوم القيمة المجذوم وصاحب الاكلة والذي تذهب عيناه وقال عم ثلثة ليس عليهم
حساب فيما طعموا اذا كان حلالا الصايم والمتسحر والمرابط فى سبيل الله وعنه عم ثلثة ليس على ابن ادم فيهن حساب
طعام يقيم صلبه وبيت يكنه وثوب يواري عورته فما فوق ذلك ففيه حساب وروي انه يحاسب
الخلق فى قدر حلب شاة وروي فى مقدار فواق ناقة والفواق بالضم والفتح ما بين الحلبتين من الوقت لانه
تحلب ثم تترك سريعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب وروي فى مقدار لمحة وهذه الروايات تدل على ان المراد بسرعة
الحساب قلة زمان الحساب اشعارا بكمال قدرته ووجوب الخدمة والخوف واضافته بمعنى فى او من اضافة فعيل الى فاعله
واصله سريع حسابه فعوض عن الضمير اللام كما فى قوله تعالى واشتعل الراس شيبا واذكروا الله فى ايام معدودات وهى ايام
التشريق اى كبروا ادبر كل صلوة وعند رمي الجمار فيها وعن عمر رض انه كان يكبر فى فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر
الناس فى الطريق وفى الطواف فمن تعجل فمن استعجل النفر فعجل فيه وهما يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل فى
الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجل والمطاوعة وهى جعل المستعجل من اللازم اوفق
بالنظم فى البيت لاجل المتاني فانه لازم وهو قوله قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون من
المستعجل الزلل فى يومين بعد يوم النحر يوم القر واليوم بعده اى بعد فمن نفر فى ثاني ايام التشريق بعد
رمي الجمار عند الشافعي وقبل طلوع الفجر عند ابي حنيفة واصحابه فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه
اى ومن تاخر فى النفر حتى رمى فى اليوم الثالث والرمي فى اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عندنا وعند الشافعي لا يجوز
الا رمي بعد الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخر التخيير بينهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا والتاخر افضل
ووقع التخيير بين الفاضل والافضل وهو جايز كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل والرد
على اهل الجاهلية فانهم كانوا فريقين منهم من اثم المتعجل ومنهم المتاخر فورد القرآن بنفي الماثم عنهما جميعا وروي
زمعة عن ابن كثير فلا اثم بالوصل فيهما وقرا الخليل فلا اثم بالتنوين كليهما لمن اتقى وهذه اللام كاللام فى قوله
هيت لك فى انها بيان اى هذا الخطاب لك فالظرف فى الحقيقة خبر مبتدا محذوف ولفظ من عام كما يقدم وانما خص
بالحاج المتقي لانه الحاج بالحقيقة ولانه الذي يعرض له ذلك ويلتفت اليه اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل
والمتاخر لاجل الحاج المتقي حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما وعن قتادة ان ابن مسعود قال انما جعلت المغفرة
لمن اتقى فى حجه وقيل لمن اتقى بعد انصرافه من الحج عن جميع المعاصي ويؤيده قوله واتقوا الله واحذروا معصية
الله او عقابه وانما حذرهم لانهم اذا رجعوا من الحج امنوا واجترؤا على الله بالمعصية فحذرهم عنه او اتقوا فى مجامع
اموركم ليعبا بكم ويجعلكم ممن له التخيير ومعه الخطاب واتقوا لتنتفعوا بذلك اى بما مر من احكام الحج وغيره لان المتقي

هو المنتفع به دون من سواه واعلموا انكم اليه تحشرون فيجازيكم على اعمالكم ويثيبكم على سلامة القلب والجوارح
من المعاصي واصل الحشر الضم وجمع المتفرق وقد دلت النصوص القاطعة على حشر الاجساد وانكره الفلاسفة بناء على
امتناع اعادة المعدوم بعينه وهو مع انه لا دليل لهم عليه يعتد به لا يضر بالمقصود لان مرادنا ان الله يجمع الاجزاء
الاصلية للانسان ويعيد روحه اليه سواء سمي ذلك اعادة المعدوم بعينه او لم يسم ومن الناس من يعجبك قوله اى يروقك ويعظم
فى نفسك ومنه الشئ العجيب الذي يعظم فى النفس والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بواسطة المتعجب منه وهو الاخنس ابن شريق
كان رجلا حسن المنظر حلو المنطق اذا لقي النبي عم الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق و
قيل هو عام فى المنافقين كانت تحلو لهم السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فى الحيوة الدنيا متعلق بالقول اى يعجبك ما يقوله
من اسباب الدنيا وامور المعاش او فى معنى الدنيا فانها مراده من الادعاء القول وادعاء المحبة واظهار الاسلام فاذا
كلامه وحديثه فى الدنيا لا فى الاخرة او يعجبك اى قوله حلو فصيح فى الدنيا فهو يعجبك فى الدنيا ولا يعجبك فى الاخرة
لما يرهقه ويعتريه فى الموقف من الحبسة واللكنة والدهشة او لانه لا يؤذن فى الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه
ويشهد الله على ما فى قلبه اى يحلف ويقول الله شاهد على ما فى قلبي من محبتك ومن الاسلام ليصدق فى ادعائه
الموافاة وقرئ ويشهد الله اى يعلم الله من قلبه خلاف ما اظهر وفى مصحف ابي يستشهد الله اى يستشهد على ان ما فى قلبه
مطابق لكلامه وقرا الحسن ويشهد بتشديد الهاء وروى هرون عن ابي عمرو وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة
للمسلمين وقيل كان بين ابن شريق وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم وعن السدي
اقبل الاخنس الى النبي عم بالمدينة وقال انما جئت اريد الاسلام وقال الله يعلم اني صادق فاعجبه عم ثم
خرج من عنده فمر بزرع المسلمين فاحرقه وبحمار لهم فاعقره فنزلت الاية والخصام مصدر بمعنى المخاصمة فان قيل
قد ذكرت ان الالد معناه شديد الخصومة فاضافته الى الخصام غير منتظم معنى فانه يصير معناه شديد الخصومة
المخاصمة وفيه من عدم الانتظام ما لا يخفى قلنا هذه الاضافة بمعنى فى اى شديد الخصومة فى المخاصمة كقولهم ثبت
الغدر اى ثابت فى القتال او الجدال لا يزل فى موضع الزلل او اضافته الى الخصام من اضافة الصفة الى فاعلها كحسن الوجه
لكن على طريقة جد جده من الاسناد المجازي لان الالد هو الرجل الخاصم او الخصام ليس بمصدر بل جمع خصم كبحر وبحار
وصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة وتفسير الالد بالاشد انما هو من جهة ان اللدد شدة الخصومة
وكل شديد فهو بالنسبة الى ما دونه اشد لا من جهة ان الد افعل التفضيل لان اللدد لا يبنى منه اسم التفضيل بل افعل صفة
لمجيء لد فى جمعه وتنذر به قوما لدا ولدا فى مؤنثه واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى
فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى اى واذا غاب صار واليا فعل ما يفعل
ولاة السوء من الفساد فى الارض بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل
وقرا ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل وان الرفع للعطف على سعى وقرا الحسن بفتح اللام وهي لغة كابى
يابى وروي عنه ويهلك مبنيا للمفعول وفى حرف ابي وليهلك والله لا يحب الفساد لا يريده ولا يرتضيه فاتقوا عقابه
على الفساد وسببه واذا قيل له اتق الله فى صنيعك واخش عقابه فانه القادر على كل شئ ومن المقدور عقاب العصاة
اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه ويؤمر باتقائه والذنب ارتكابه وان لا يخلي

عنه ضرارا او لجاجا او على رد قول من يعظ ويقول له اتق الله وعن ابن مسعود انه قال ان ابغض الناس على الله تعالى
من يقال له اتق الله فيقول عليك نفسك فحسبه جهنم اى محسبه جهنم وكافيه جزاء وعقابا يقال احسبه الشى اذا كفاه
والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول بهذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته على غير حقيقية بناء على انه فى معنى
اسم الفاعل وجهنم علم لدار العقاب وهى فى الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد وجواب قسم محذوف والمخصوص بالذم
محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطا للجنب ومن الناس من يشرى نفسه يبيعها اى يبذلها فى الجهاد وفى طاعة
الله ورسوله وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضائه نزلت فى على رضى الله عنه
بات على فراش رسول الله صلعم فاوحى الله الى جبرئيل وميكائيل انى اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الاخر فايكما يوثر
صاحبه بالحيوة فاختار كلاهما الحيوة واحباها فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما عند على ابن ابى طالب اخيت بينه وبين
محمد صلعم فبات على فراشه يفديه بنفسه بالحيات اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبرئيل
عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل يقول بخ بخ من مثلك يا ابن ابى طالب والله تعالى يباهى بك الملائكة فانزل
الله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله الاية وقيل نزلت فى صهيب بن سنان اخذه المشركون وعذبوه ليرتد
ويترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انى شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلونى
وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه ماله واتى للمدينة فعلى هذا لا يكون يشرى بمعنى يبيع ويبذل بل بمعنى يشترى ويجعل سالمة له
والله رؤف بالعباد اى ارشدهم الى مثل هذا الشرى حيث كلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الشهداء او اراد الخير بهم حيث خلصهم
من ايدى الكفار يا ايها الذين امنوا ادخلوا فى السلم كافة السلم بفتح السين وكسرها وكذا بفتح السين واللام الانقياد
والطاعة قرا ابن كثير ونافع والكسائى بالفتح والباقون بالكسر وكافة حال من ضمير ادخلوا او من السلم وهى اسم
للجملة والمعنى استسلموا واطيعوه جملة لا يخرج احدكم يده من طاعته ظاهرا وباطنا فالخطاب للمومنين الخلص او لاهل
الكتاب المومنين بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم امنوا بالسنتهم او للكل وقيل السلم الاسلام وبه قرا جماعة منهم عبيد
بن عمر وابن جبير وابن السميع وعلى هذا يكون الخطاب لاهل الكتاب وللمنافقين اولهما جميعا لا للمومنين الخلص الا بتاويل
الاسلام شعبه وفروعه لان ادخلوا صريح فى الامر باحداث الاسلام لا الثبات او الازدياد فيه وذلك ان المومنين امروا بان
يدخلوا فى الطاعات كلها وان لا يدخلوا فى طاعة دون طاعة او فى شعب الاسلام وشرايعه كلها وان لا يخلوا بشى منها
وعن عبد الله بن سلام انه استاذن النبى صلعم ان يقيم على السبت وان يقرا من التورية فى صلوة من الليل وعن ثعلبة استاذن
ابن سلام واصحابه بان يقرؤا منها فى الصلوة ويعملوا ببعض ما فيها فنزلت ولا تتبعوا خطوات الشيطان فان اتباع
السنة الاولى بعد ما بعث محمد صلعم من خطوات الشيطان وكافة فى الاصل اسم فاعل من الكف وهو المنع كانهم منعوا
باجتماعهم ان يخرج منهم احد وقد استعملت للشمول فى الاحاطة ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق وقيل
لا تسلكوا الطريق الذى يدعوكم اليه الشيطان انه لكم عدو مبين ظاهر لا شبهة فيه فان زللتم عن الدخول
فى السلم من بعد ما جاءتكم البينات اى الحجج الشاهدة على ان ما امرتم بالدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله
عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يفعل الشى الا فى موضعه فلا ينتقم الا بحق وسمع اعرابى
ان قاريا قرا غفور رحيم فانكره ولم يقرا القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند

ش من يشرى

الزلل لانه اغراء عليه وقرا ابو السماك زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت هل ينظرون استفهام فى معنى
النفى ولذلك جاء بعده كلمة الا والنظر بمعنى الانتظار الا ان ياتيهم الله والاتيان متعد الى واحد وقد يعدى الى الثانى بالباء
والاية يحتملها فان معناه ان ياتيهم امر الله وباسه كقوله او ياتى امر ربك فيكون مجازا على حذف المضاف او ان ياتيهم الله بباسه
مثل اتيته بالبينة فى انه معدى الى الثانى بالباء فحذف الماتى به للدلالة عليه بقوله تعالى فاعلموا ان الله عزيز حكيم لانه صفة قهر فيكون
اسناده الى الله حقيقة فى ظلل جمع ظلة وهى ما اظلك كقلة وقلل وقرا ظلال جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل من الغمام
اى السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لان الغمام مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان الامر افظع لان الشر اذا جاء
من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير ولذلك اشتد على المتفكرين فى كتاب الله تعالى
قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وروى ان محمد بن واسع قرا هذه الاية فقال اه اه الى ان فارق الدنيا والملائكة
فانهم الواسطة فى اتيان امره وقرا بالجر عطفا على ظلل او الغمام قال رسول الله صلعم ان من الغمام طاقات ياتى الله تعالى فيها
محفوفة بالملائكة وذلك قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة هذا كله لفظ الحديث وعن عايشة رض
قالت كان النبى صلعم اذا ابصر ناشيا من السماء يعنى السحاب ترك عمله واستقبله وقال اللهم انى اعوذ بك من شر ما فيه
فان كشفه الله حمد الله وان مطرت قال اللهم سقيا نافعا وقضى الامر واتم امر اهلاكهم وفرغ منه ووضع الماضى
موضع المستقبل لتحقق وقوعه وتيقنه وقرا يعقوب ويحيى بن يعمر وقضى الامور عطفا على ظلل وقرا معاذ بن جبل
وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرا ايضا وقضى الامر مبنيا للفاعل والى الله ترجع الامور
قرا عاصم وابو عمرو وابن كثير ونافع ترجع الامور بالتانيث على المبنى للمفعول نظرا الى انه من الرجع وقرا الباقون على البناء
للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرا ايضا بالتذكير وبناء للمفعول سل بنى اسرائيل امر للرسول عليه السلام
او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسال الكفرة يوم القيمة لقصد تقريعهم لا لقصد ان يجيبوا كم اتيناهم وهذا
الاستفهام استفهام تقرير اعنى الحمل على الاقرار وهو لا ينافى التقريع للمعنى بل الاستنكار والاستبعاد وكم اتيناهم فى موقع
المصدر اى سلهم هذا السؤال او فى موقع الحال اى سلهم قايلا كم اتيناهم وقيل المفعول به وقيل بان المقصود كانه قيل سلهم جواب
هذا السؤال واما كلمة كم فمفعول ثان لاتيناهم وقوله من اية مميز كم بزيادة من قالوا اذا فصل بينه وبين مميزه بفعل متعد

زيادة من فيه لئلا يلتبس بالمفعول ولم يسمع زيادة من فى غيره ايكون كذلك بينة اى ظاهرة على ايدى انبيائهم وهى اى اية
بينة معجزاتهم او اية فى الكتب شاهدة على الحق وصحة دين الاسلام على ما هو المتعارف من ايات القران وغيره وقيل يجوز
ان يكون كم خبرية ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العايد من الخبر هذا حكمه على الوجهين ومن يبدل
نعمة الله اى اياته وهى اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة فوضع المظهر موضع المضمر تصريحا بكونه نعمة
لقصد مزيد تقريع بنى اسرائيل وتبديلها اما تغيير متعلقها بان جعلوها اسباب الضلالة بعد ما اظهرها الله لتكون اسباب
هدايتهم سواء اريد بها المعجزات او ايات الكتاب واما تغيير ذاتها اذا اريد بها ايات الكتاب وذلك بتحريفهم
الايات الدالة على حقيقة دين محمد صلى الله عليه وسلم وعن الخليل ومن يبدل بالتخفيف من بعد ما جاءته اى من بعد ما
وصلت اليه وفهمها وضبطها بعقله ولم يبق له شبهة فى صحتها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهذا تصريح بانهم
يبدلونها بعد ما عقلوها وعرفوها ولذلك قيل تقدير فبدلوها ومن يبدل نعمة الله فان الله شديد العقاب

فيعاقبه اشد عقوبة لارتكابه اشد جريمة حيث كفر بنعم الله وضل واضل زين للذين كفروا الحيوة الدنيا المزين هو الشيطان
زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوسوسته حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها وضلوا عاكفين عليها نعوذ بالله من ذلك
فيكون المسند والاسناد حقيقة او المزين هو الله فانه تعالى قد زينها لهم بان خذلهم حتى صار سببا لاستحسانهم اياها وتحببها
فالتجوز في الاسناد نحو اقدمني بلدك حق لي على فلان او بان امهل المزين الحقيقي الذي هو الشيطان فعلى هذا التجوز
في المسند فالتزين على الوجه الثاني اما عبارة عن الخذلان الذي هو سبب لتزيين الحيوة في اعينهم او عن امهال المزين
وقد يزعم العكس وكذا قال كثير منهم المزين على الحقيقة هو الله اذ ما من شيء الا وهو فاعله واستدل عليه بقراءة المبني
للفاعل وقال كل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض
والمحققون على الاول وهو ان المزين حقيقة هو الشيطان ومجازا هو الله تعالى فانه قد زينها باحد الطريقين المجازيين
اسنادا او سندا ويعضده قولهم وخلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة شيء وقرا ابو حيوة والاعرج زين وابن ابي
عبلة زينت ويسخرون من الذين امنوا خبر مبتدا محذوف اي وهم يسخرون والجملة في موقع الحال ويحتمل ان يكون
عطفا على زين والعدول الى المضارع لقصد الاستمرار كان الكفرة يستهزؤن بفقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب وغيرهم
ويسترذلونهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على الفقر اي لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم
فيها ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدا السخرية مبتدا منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة وهذه الجملة كالجملة المتقدم عليها
في انها يحتمل الوجهين السابقين فانها يجوز ان تكون في موقع الحال وان تكون عطفا على ما قبلها مع افادتها الاستمرار
فان المتقين مستمرون على هذه الصفة مطلقا سواء اريد الفوقية بحسب المكان فانهم يومئذ في عليين وهم في اسفل السافلين
او بحسب المرتبة لانهم في كرامة وهم في هوان ومذلة والاستعلاء والاستيلاء لانهم عالون عليهم متطاولون يضحكون
منهم كما تطاول هؤلاء عليهم وضحكوا منهم في الدنيا فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما قال والذين اتقوا بعد
قوله من الذين امنوا ليدل على ان السعادة عنده بحيث يعلوا على الكفار انما هي للمؤمنين ببركة التقوى وليكون بعثا وتحريضا
لهم على الاتصاف بالتقوى اذا سمعوا ذلك والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير ويوسع في الدنيا
استدراجا تارة وابتلاء اخرى وقيل عطاء الله تعالى اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب
واما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق ففي مجيء قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب بعد قوله والذين اتقوا دلالة
على ان المتقي ممن يرزقه الله ويتفضل عليه بغير حساب قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فيما بين ادم وادريس او نوح او بعد
الطوفان او على الكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين يعني فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه
عليه وانفق المليون من اهل الحق على ان في بعثهم وارسالهم حكمة اي مصلحة وعاقبة حميدة وفيه اشارة الى ان ذلك واجب
لا بمعنى الوجوب على الله بل بمعنى ان قضية الحكمة تقتضيه لما فيه من الحكم والمصالح وليس بممتنع كما زعمت البراهمة والسمنية
ولا بممكن يستوي طرفاه كما ذهب اليه بعض المتكلمين ثم اشار الى فائدة البعث بقوله مبشرين لاهل الايمان والطاعة
بالتفضل والعوض والثواب وقرا يحيى بن وثاب مبشرين من الابشار ومنذرين لاهل الكفر والعصيان بالنار
والعقاب وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر

والمذكور في القران باسم العلم ثمانية وعشرون واعلم انه قد روي بيان عددهم في بعض الاخبار على ما روي ان
نبينا عم سئل عن عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا وفي رواية مائتا الف واربعة وعشرون الفا
فالاولى ان لا يقتصر على عدد في التسمية لقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وخبر الواحد
مع اشتماله على جميع الشرايط المعتبرة لا يفيد الا الظن ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات خصوصا اذا اشتمل على اختلاف
رواية وانزل معهم الكتاب ليبينوا للناس ما يفتقرون اليه من امور الدنيا والدين وليكون اية بينات على صدق دعويهم
يريد بالكتاب الجنس ويجوز ان يكون الكتاب للعهد وتعويض تعريف اللام عن تعريف الاضافة والمعنى مع كل واحد منهم
كتاب وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العايد اليه بمعونة القرينة بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق مقترنا
به بعيدا من الباطل ليحكم بين الناس الضمير في ليحكم عايد الى الله او النبي المبعوث او الكتاب وهو الاظهر اذ لا بد في
عوده الى الله من تكلف في المعنى اي ليظهر حكمه والى النبي من تكلف في اللفظ حيث لم يقل ليحكموا اي ليحكم كل واحد
منهم بين الناس بما اراه الله تعالى كقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله وقرا زيد
ابن علي لتحكم بين الناس بالتاء ومجاهد ليحكم بالياء مبنيا للمفعول فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام اختلفوا
فيه بعد الاتفاق عليه فان بعثة الانبياء وانزال الكتب ليحكم فيما اختلفوا فيه تقتضي سابقة الاختلاف بعد
الاتفاق على الحق ودين الاسلام وما اختلف فيه اي في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي اوتوا الكتاب
المنزل لازالة الاختلاف اي عكسوا الامر ازدادوا الاختلاف بعد ان انزل عليهم الكتاب فجعلوا نزول الكتاب
سببا في شدة الاختلاف واستحكامه لان اصل الاختلاف كان موجودا قبل البعثة والانزال وعن
ابن عباس انه قال كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات
متعلق باختلف والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب فيه الا من بعد ما جاءتهم البينات كقوله وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ومعنى من بعد ما جاءتهم البينات من بعد ما جاءهم العلم بحقية
الاسلام او الكتاب كقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقوله واتيناهم بينات من الامر
فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فان المراد بالبينات المعجزات الواضحات التي حصل لهم بها العلم
والطمانينة حتى لم يبق لهم شبهة في صحة ذلك او ايات الكتاب وهي نفس العلم بغيا بينهم طلبا لما ليس لهم وحسدا
بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم وهو علة ما اختلف اي وما اختلفوا الا من بعد ذلك لبغيهم و
حسدهم وظلمهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلفوا فيه من الحق بيان لما اختلفوا فيه
باذنه بامره وارادته ولطفه والله يرزق من يشاء اي هو يهديه دون من سواه فان بناء الفعل عن المبتداء
وان كان اسما ظاهرا يفيد الاختصاص والحصر مثل الله يعلم ما تحمل كل انثى والله يستهزئ بهم ومفعول
يشاء محذوف لدلالة الحال عليه الى صراط مستقيم يعني طريق الحق وهو ملة الاسلام فاهتدى فلم يختلف
في شيء من الحق ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي عم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على النبيين
بعد مجيء البينات تشجيعا لهم على الثبات والصبر مع من يختلف عليه من المشركين واهل الكتاب ومع انكارهم
لاياته وعداوتهم له وقد ذكروا بطريق الغيبة في عموم النبيين والذين امنوا فيكون خطابهم بقوله ام حسبتم

التفاتا من الغيبة الى الخطاب وام منقطعة لوقوعها فى الخبر فهي بمعنى بل والهمزة ومعنى الاستفهام فى
ام التقرير بمعنى الحمل على الاقرار والانكار بمعنى لم يكن اى ماكان ينبغي ان تحسبوا ولم حسبتم وعن عطاء
لما دخل النبي عم واصحابه المدينة اشتد عليهم الضر اذ خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم بايدي المشركين ايثارا
لرضات الله ورسوله واظهر اليهود العداوة واسر قوم النفاق فانزل الله تطييبا لقلوبهم ام حسبتم الى اخره
وقيل نزلت فى حرب احد وقيل فى غزوة الخندق حين اصابهم ما اصابهم من الجهد وانواع الاذى حتى بلغت
القلوب الحناجر وقرا الخليل ان تدخلوا بالافراد مبنيا للمفعول ولما يأتكم اى ولم يأتكم والجملة فى موقع النصب
على الحال واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها معنى التوقع وهي نظيرة قد فى ان الفعل المذكور بعدها متوقع اى منتظر
الكون والمنتظر فى لما ايضا هو الفعل لا نفيه والمعنى ان اتيان ذلك المثل متوقع منتظر مثل الذين خلوا من قبلكم
اى حالهم التي هي مثل فى الشدة والذي يصيبهم مثل حالهم وشبهه لا نفسه ففي الكلام حذف وقوله مستهم البأساء
والضراء بيان للمثل على طريق الاستيناف كان سائلا سأل كيف كان المثل فقيل مستهم البأساء والضراء
والبأساء الفقر والشدة والضراء الضيقة والعسر وقيل المرض والزمانة يريد اظننتم انكم تدخلون الجنة بغير
شدة ومشقة ولا يمسكم شيء منها وقيل اى اتطلبون الجنة بسهولة وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها
بالزلزلة بما اصابهم من الشدايد وانواع البلايا والرزايا والاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين
امنوا معه متى نصر الله لتناهي الامر فى الشدة وتماديه فى العظم واستطالة المدة حتى ضجروا واستبطاء النصر من هو غاية
فى الثبات والصبر فان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم وصبرهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك
الغاية فى الشدة التي لا مطمح وراءها والمعنى ان الشدايد والاهوال اشتد عليهم الى الغاية التي قال رسول الله
ومن معه فيها استبطاء للنصر لا شكا متى نصر الله الذي وعدنا اى بلغ الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك
فمعنى يقول على المضي سواء قرا بالرفع او النصب لدلالة ما قبله من الفعلين الماضيين فان ثلثتها جميعا فى التحقيق
بيان للمثل اما الرفع وهو فى حرف نافع فعلى انه فى معنى الحال لكنها حال ماضية محكية كقولك مرض حتى
لا يرجونه واما النصب فعلى اضمار ان وهي علم للاستقبال والاستقبال فى الحال محال ثم الاستقبال
مراد حكما لانه مترقب فى حالة التزلزل وقرئ حتى قال الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول
اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر قيل فيه اشارة الى الوصول الى الله والفوز بالكرامة
عنده برفض الهوى واللذات ومكابرة الشدايد والرياضات كما قال عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات يسالونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح كان شيخا هما وله مال عظيم فقال يا رسول الله
ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن
هي فى التطوع قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سالوا عن
بيان ما ينفقون فاجيبوا ببيان مصارف النفقات تنبيها على ان السؤال عنها اهم لهم لان النفقة لا
يعتد بها اى لا يكون خيرا وصدقة ولا يخرج عن حد الاضاعة الا اذا صرفت الى المصرف ووقعت
فى موقعها قال الشاعر ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع واما انهما ماذا تكون

نغني عن السؤال اذ كل احد يعرف ان الذي يكون فيه خير ومنفعة وكل ما هو خير فهو صالح للانفاق وما تفعلوا من خير
فى معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه اليكم اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم
فى ان ترغبوا عن فعل الخير وانفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجلها كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه بالطبع
لما فيه من مشقة النفس وخطر الروح ومؤنة المال لا انهم كرهوا امر الله تعالى وقال عكرمة نسخها قوله تعالى سمعنا واطعنا يعني انهم
كرهوه ثم احبوه فقالوا سمعنا واطعنا والكره من الكراهة دون الاكراه لقوله تعالى ان تكرهوا شيئا وهو اما بمعنى الكراهة نفسه
به للمبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار واما بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز اى هو مكروه لكم هذا منقول عن الليث وكون
الضم والفتح لغتين منقول على الكسائي وقرا السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى الكره بالضم وهما لغتان فى معنى المشقة كالفقر والفقر
وكون المفتوح بمعنى الاكراه منقول عن كثيرين وعن الزجاج كل ما فى القران من الكره فالفتح فيه جائز الا فى قوله وهو كره لكم
فى سورة البقرة واما بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا على القتال لشدة كراهتهم له او عظم مشقته عليهم كقوله تعالى حملته امه
كرها ووضعته كرها وذلك المجاز باعتبار اطلاق الاكراه على المكره عليه ثم حمل المكره عليه على ما هو شبيه به قال المطرزي
كرهت الشيء كراهة وكراهية اذا لم ترده ولم ترضه واكرهت فلانا اكراها حملته على امر يكره وقرا الخليل كتب مبنيا
للفاعل وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلف به الانسان لان النفس الامارة بالذات تكرهه ويشق
عليها وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم ولا يلزم منه كراهة حكم الله ومحبته خلافه وهو ينافي كمال التصديق لان
معناه كراهة نفس ذلك الفعل كوجع الضرب فى الخدم مع كمال الرضاء بالحكم والاذعان له وهذا كما تقول ان الكل بقضاء الله و
مشيته مع ان البعض مكروه منكر غاية الانكار كالقبايح والشرور وقيل هو الجهاد بدليل السباق ومعنى الخيرية فيه ان فيه
فتح وغنيمة وشهادة واعلاء كلمة الله واعزاز دينه واظهاره مع ما فيه من مخافة اعداء الله والنفس الامارة وعسى
ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهى النفس عنه فانها بالطبع تحبه حبا وتميل به ولذا صار قمعها عنه من اعظم
الجهاد واكبره وقيل هو القعود عن الجهاد وهو شر لكم لما فيه من المفاسد المضادة لما فى الجهاد من انتفاء الفتح والغنيمة وغير
ذلك وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها وعسى يجيء بمعنى قارب فلها مرفوع ومنصوب وهو ان مع الفعل
فى تاويل المصدر كقولك عسى زيد ان يخرج اى قارب زيد الخروج ومنه قوله عز من قائل عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم
وبمعنى قرب فليس لها الا مرفوع وهو ان مع الفعل المأول بالمصدر كقولك عسى ان يخرج زيد اي قرب خروجه ومنه
قوله عز من قائل وعسى ان تحبوا شيئا وتنكير شيئا يحتمل القليل والكثير والتنويع والتعظيم والتحقير فتامله فى الموضعين
والله يعلم ما هو خير لكم وما يصلحكم والمقام يدل على ان المفعول مراد ليس متروكا منزلا فعله منزلة اللازم وانتم
لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام
روي ان النبي عم بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية فى جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد
عير قريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتل اصحاب السرية عمرو بن عبد الله واسروا اثنين
من العير واستاقوها وفيها من تجارة الطايف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى
الاخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم
اى يتفرق فوقف عم العير وشق ذلك وعظم على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد النبي عم

العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت تو بتهم اخذ عم الغنيمة وهي اول غنيمة في الاسلام وهذه الرواية
تخالف رواية رد الغنيمة والمعنى يسالك المومنون والكفار او المومنون عن القتال في الشهر الحرام فالسوال عن
نفس القتال فيه لا عن الشهر الحرام وكذا الجواب وليس الضمير في يسلونك للكفار خاصة كما توهم الزمخشري وغيره
اذ الكلام في الاسولة الآتية سيما يسلونك عن الخمر وقيل السؤال عن فرد معين اقدم عليه عبدالله بن جحش والجواب عن قتال
آخر يكون القصد فيه هدم الاسلام وتقوية الكفار بناء على ان النكرة اذا اعيدت كانت غير الاولى اجيب بان هذا ليس بلازم
وان المصدر وان كان نكرة فما كثير لما يقصد به الجنس كيف وقد وصف بقوله فيه والنكرة تعم بعموم الوصف او بقرينة المقام
ومن ههنا جاز ابداله من المعرفة وهو الشهر وجعل مبتداء خبره كبير قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرا عبدالله عن
قتال فيه بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرا الاعرج قتال فيه بالرفع اى هل يصح قتال فيه
قل قتال فيه كبير اي اثم كبير والاكثر على انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حلاً فالعطاء فانه سيل
عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت
وما قيل من ان الاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان القتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم
فلا يخفى عليك ضعفه وفساده لما ذكرنا انه عام بعموم الوصف او بقرينة مقام ولو سلم فقتال المشركين مراد قطعًا
لان قتال المسلمين حرام مطلقا من غير تقييد بالاشهر الحرام وقرا عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير وروي عنه قل قتل بالجر
على الحكاية من الاولى وصد عن سبيل الله مبتداء واكبر خبره ومعنى الصد الصرف والمنع والمراد بسبيل الله الاسلام
او كل ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وهو عطف على ما دخل عليه قل فيكون متقولا والمعنى قل للكفار تعييرا
لهم كذا قال الكواشي وليس بذلك بل قل لمن سال عن القتال في الشهر الحرام من المؤمنين او المؤمنين والكفار
جميعا جوابا وارشادا لهم لا الكفار خاصة لما عرفت من صدر الآية يعني وكبار قريش من صدهم عنه وكفرهم
بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن وكفر به بالله
والمسجد الحرام عطف على سبيل الله لا على الضمير المجرور في به لعدم اعادة الجار ولفساد المعنى اذ لا معنى للكفر بالمسجد الحرام
الا بتكليف اورد عليه بان عن سبيل الله صلة للصد والمعطوف في حكم المعطوف عليه فلو كان المسجد الحرام
عطفا على سبيل الله كان ايضا من صلة الصد فعطف وكفر به على صد يكون قبل التمام من المعطوف عليه
وهو غير جائز اجيب بان الكفر بالله والصد عن سبيله كلاهما بمعنى واحد واذا اتحد من جهة المعنى فكانه
لا فصل بين سبيل الله والمسجد الحرام وكانه قيل وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام وهذا اوجه مما قيل في الجواب
ان موضع قوله وكفر به عقيب قوله والمسجد الحرام لكنه قدم عليه لفرط العناية ومثله لا يعد فصلا كما في قوله
ولم يكن له كفوا احد فان من حق الكلام ان يقال ولم يكن احد كفوا له الا انه قدم قوله لفرط العناية فكذلك هذا وقيل
الجيد ان يتعلق بمحذوف اى ويصدون عن المسجد الحرام ولا يخفى ما فيه من الرداءة واخراج اهله منه اى اهل المسجد الحرام
اكبر عند الله متعلق بالاشياء الاربعة المذكورة من كباير قريش وافعل من يستوي فيه الواحد والجمع والمونث
والمذكر والفتنة اى الاخراج او الشرك الذي ارتكبته قريش اكبر من القتل اعظم وافظع من قتل اصحاب السرية الحضرمي
الكافر ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام الكفار عداوة للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها

حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك فلان يودب ولده حتى يكون عالما اى يقاتلونكم كي يردوكم عن دينكم
ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم اى لا يكون لهم استطاعة وبعيد ان يكون لهم استطاعة فان استعمال ان
في مقام التحقيق والجزم بعد الوقوع دليل على ان ذلك لا يكون الا على سبيل الفرض كما يفرض المحال وهو يعني الاستبعاد
ومنه قول الواثق بقوته لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي ومن يرتدد منكم عن دينه اى ومن يرجع عن دينه الى
دين الكفار ويطاوعهم على ردهم اياه اليه فيمت على الردة وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لانه
يفوتهم باحداثها ما لاهل الاسلام من الفوايد الدنيوية ويفوتهم ثواب الآخرة باستدامة الردة والموت عليها وبها احتج الشافعي
بناء على انها لو احبطت الاعمال مطلقا لما كان للتقييد بقوله فيمت فائدة وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما لقوله
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله واجيب بانه يحمل على المقيد عملا بالدليلين ورد بان ذلك انما يكون اذا كان في الحكم
والحادثة واما في السبب فلا لجواز ان يكون المطلق سببا كالمقيد والمراد بالاعمال الاعمال النافعة وقرى حبطت بفتح الباء
وهو لغة فيه واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كساير الكفرة وفي تكرير اولئك تنبيه على ان ما يرد بعده ثابت لهم و
مترتب وهم له اهل لاجل ما صدر منهم ان الذين آمنوا نزلت ايضا في اصحاب السرية فانه لما قتلوا الحضرمي ظن بهم قوم انهم
ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر وعن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اى فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله وقاتلوا الاعلاء كلمته واعزاز دينه كرر الموصول لشرف
الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله انعامه وثوابه حيث صدقوا ايمانهم وحققوه
بتحصيل مقتضاه من هجرة الوطن ومفارقة المال والاهل لاجل الدين اثبت لهم الرجاء ايذانا بان العمل غير موجب ولا قاطع
في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور ستور عليهم محاء لما صدر منهم خطا وقلة احتياط رحيم منعم عليهم بالجنة
التي هي محل الرحمة والاجر والثواب يسلونك عن الخمر والميسر نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة قوله ومن ثمرات النخيل
والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله
افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال اي يكثر فيها ذهاب العقل وسلب المال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس
فشربها قوم وتركها قوم ثم دعا عبدالرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون
فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما
سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحى بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول
الله صلعم فقال عمر اللهم بين لنا بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب
وعن علي رضه لو وقعت قطرة في بير فبنيت مكانها منارة لم اوذن عليها ولو وقع في بحر ثم جف ونبت فيه الكلاء
لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني اى لقطعتها والخمر في الاصل بمعنى الستر من خمره اذا ستره ثم سمي
بها ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام قليلا كان او كثيرا ومعنى قذف بالزبد اى رماه وازاله
فانكشف عنه وسكن وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ اى حرام قليله وكثيره فان طبخ حتى ذهب ثلثاه
واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة
وعن بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام ولان

اخر من السماء فانقطع قطعا احب الى من ان تتناول منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام
كالخمر وعليك بموافقة الجمهور وعند الشافعي كل شراب اسكر فهو حرام قليله وكثيره وهل يسمى
الكل بالخمر فيه كلام فان وجه التسمية وان كان هو ستر العقل والتمييز لكن لا يلزم اطراده ومن لم يثبت القول
بحرمته فلا حرازا عن تفسيق الصحابة رضي الله عنهم اجمعين فانه قد نقل شرب المثلث عن البعض ولم يشربه احتياطا
واحترازا عن شبهة الحرام والميسر القمار وهو ايضا مصدر من يسر كالموعد مثلا يقال يسرته اى قمرته واشتقاقه من
اليسر لانه اخذ مال الغير بيسر من غير تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل
في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني اى يقطعونني ويقسمونني كما يفعل بجزور
القمار كانت لهم عشرة اقداح يقال لها الازلام والاقلام الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل
والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويقسمونها عشرة اقسام
وقال الاصمعي ثمانية وعشرين الا الثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوام سهمان وللرقيب
ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها
على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب
الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون
تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وهو
اللئيم وقيل هو الذي لا يدخل في القمار فما قال الاصمعي هو الاظهر لان سهام الاقداح اذا جمعت ثمانية وعشرين
كما رتبه وهي عدد الانصباء السبعة على الترتيب بخلاف ما اذا جمعت عشرة فانه لم يتبين فيه كيفية القسمة وفي حكم الميسر
انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي عم اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر العجم
وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسالونك
عما تعاطيهما لان ظاهر قوله يسالونك عن الخمر والميسر يشعر بانهم يسالونك عن ماهية الخمر والميسر لكن قوله فيهما
اثم كبير يدل على ان السوال عما في تعاطيهما وتناولهما والا لم يكن الجواب مطابقا اذ ليس في ماهيتهما اثم كبير قل
فيهما اى في تناولهما اثم كبير اى ذنب عظيم من جهة انه يودي الى الانتكاب عن المامور به وارتكاب المحظور
ومن المعاداة والمخاصمة والمشاتمة في تعاطيهما سيما الخمر فانها اقوى الطرق في ارتكاب المعاصي
ومن ثم سميت ام الخبائث ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ والتوصل الى مصادقة
الفتيان والافتخار على الابرام وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفر المروة وتقوية المعدة والطبيعة
وقرا اثم كثير ومعنى الكثرة فيهما مع ان تعاطي كل منهما انما هو اثم واحد ان كلا منهما يفضي الى اثام كثيرة
سيما الخمر فانه ربما يفضي الى الكفر وهو الاثم كل الاثم وناهيك به شاهدا حديث حذف لا من عبد الرحمن
بن عوف وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تناول العبد كاس الخمر ناشده الايمان بالله
لا تدخل علي فاني لا استقرانا وهو في وعاء واحد فان ابى وشربه نفر الايمان منه نفرة لا يعود اليه
اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه نقص من عقله شيء لا يعود اليه ابدا وقد جعل صاحب الشرع

من الملعونين

ن رجل ج

وتعاطيهما

من الملعونين قال انس قال النبي عم اربعة يلعنهم الله من فوق عرشه شارب الخمر فانه يخرج من فيه نتن
حتى يصل واكل الربا فان الله يلعنه بكل حبة اكلها ومحتكر القمح فان الله يلعنه بكل حبة احتكرها وشاهد الزور
فان الله يقول على يجترون وعن تقي وجار الى لا يتحنن لهم فتنة تذر الحليم فيها حيران وايضا كل واحد من الخمر والميسر
نجس وكل لحم نبت من نجس لا يدخل الجنة بدليل قوله عم تعاهدوا اطايب غلمانكم من اين تاتون فانه لا
يدخل الجنة لحم ولا دم نبتا من نجس والنار اولى به رواه حديفه رض واثمهما اكبر من نفعهما اى المفاسد التي
تنشا منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما او اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبله قال النبي عم اياكم والخمر فان
خطيئتهما تفرع الخطايا كما ان شجرتها تفرع الشجر وقرا ابي واثمهما اقرب ومعنى الاثم ان بمجرد الاشتغال بهما بل العزم
عليهما اثم ويسئلونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف ثم سال عن كيفية الانفاق
قل العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد واستفراغ الوسع قال خذي مني العفو تستديمي مودتي
اى خذي ما سهل ولم يشق علي من الاموال تستديمي محبتي ويقال للارض السهلة العفو وقال قتادة وعطاء و
السدي هو ما فضل عن الحاجة وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل
بحكم الاية ثم نسخ باية الزكوة وقال طاوس ما يسر وقال عمرو بن دينار هو الوسط من غير اسراف ولا اقتار وقرئ
بالرفع اى قل هو العفو او المنفق العفو وبالنصب اى ينفقون العفو وعن النبي عم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب
اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها
حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن
ظهر غنى اى لا صدقة الا صادرة عن ظهر غنى والظهر مقحم كما في ظهر القلب وظهر الغيب او هو كناية على القوة
لان المال للغني بمنزلة الظهر الذي عليه اعتماده وعليه استناده وقد يستدل بالحديث على اشتراط الغنى لاهلية
وجوب الزكوة فانه لنفي الوجوب لا لنفي الوجود او كثيرا ما يوجد الصدقة عن الفقير فان قيل كيف التوفيق بين هذا
الحديث وبين قوله عم افضل الصدقة جهد المقل اجيب بان هذا الحديث جعل نفيا للوجوب فظاهر انه لا ينافي بين عدم
وجوب الصدقة الا على الغني وبين كون صدقة الفقير على سبيل التطوع اكثر ثوابا منه باعتبار كونها اشق فان افضل
الاعمال احمزها وان جعل نفيا للفضيلة وهو ظاهر اللائم كقوله عم خير الصدقة ما يكون عن ظهر غنى فوجه الجمع ان المراد تفضيل
الصدقة الغني على صدقة الفقير الذي لا يصبر على شدة الفقر ويخرج لذي الحاجة على ما هو الاعم الاغلب وتفضيل صدقة الفقير
الذي اختص بعناية الالهية في الصبر على شدة الحاجة وايثار مراد الغير على مراده ولو كان به خصاصة وقيل المراد بالغنى
غنى القلب حتى يصبر على فقره ويتنزه عن التكفف ان كان فقيرا ولا يبقى له تعلق قلب بما تصدق به بحيث يفضي الى ابطاله بالمن
والاستكبار ان كان غنيا وعلى هذا لا يبقى التمسك المذكور كذلك يبين الله لكم الايات اى مثل ما بين ان العفو اصلح من
الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اى تبيينا مثل هذا التبيين والخطاب في
كذلك للرسول عم لانه الاصل في تلقي الكلام او لكل احد ممن يتلقى الكلام وحرف الخطاب يكون لمن يسمع ويتلقى الكلام
سواء كان هو المخاطب بالحكم او لم يكن ونحو ذلكم خير لكم واطهر وثم عفونا عنكم من بعد ذلك الى غير ذلك لعلكم تتفكرون
في الدلائل والاحكام في الدنيا والاخرة متعلق بيتفكرون اى يتفكرون في امور الدارين فتاخذون بالاصلح

جعل ج

كما بين لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون فيهما فتوثرون ابقاهما واكثرهما نفعا او يبين اي يبين لكم
الايات في امرهما وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في
عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم ويسالونك عن اليتامى كما
نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم وكادوا يوقعهم
في الحرج فذكر لحضرة الرسالة عم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مخالطتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم
وان تخالطوهم فاخوانكم وان تعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه ولا
يجانبه وقيل المراد بمخالطتهم مصاهرتهم اي التزوج فيهم والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم
على وجه الافساد والاصلاح اي لا يخفى على الله امره فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير
الصلاح ولو شاء الله لاعنتكم ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي لكلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يبح
لكم مخالطتهم وقال ابن عباس ولو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا لكم وقرئ طاوس قل اصلاح اليهم
وقرا لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام بعد حذف حركتها على ما هو قياس تخفيف الهمزة وكذلك فلا ثم
عليه حذف الالف لاجتماع الساكنين لكن اقتصر في الكتابة على طرح الهمزة فقط كما هو قانون الخط ان الله عزيز غالب
على الاعنات حكيم لا يكلف الا ما يتسع له الطاقة ولا يحكم الا ما يقتضيه الحكمة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي
ولا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء اي ولا تزوجوهن انفسكم او غيركم فاذا اريد بالمشركات الحربيات فالاية ثابتة
وان اريد بها الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب مشركون لقوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون فهي ليست بثابتة بل منسوخة بقوله تعالى في سورة المائدة والمحصنات من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ولا يجوز ان تكون منسوخة بهذا العام لان سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء
قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وغيرهما ومبنى الكلام على ان قصر العام على البعض بدليل متراخ نسخ وهو
قول اصحابنا وان التقييد بالوصف يدل على نفي ما عداه وهو راي الشافعي وتحقيق ذلك في الاصول روي انه عم
بعث مرثد ابن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت
الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تزوج بي قال نعم ولكن استامر رسول الله صلعم
فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن خير لان الناس
عبيد الله وامائه ولو اعجبتكم قيل هذه الواو للعطف على مقدر هو ضد المذكور اي لو لم يكن كذلك ولو كان كذلك
وقيل للحال اي ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك وكلمة لو في مثل هذا الموضع ليست
لانتفاء الشيء لانتفاء غيره ولا للمضي وكذا كلمة ان ليست لقصد التعليق والاستقبال بل المراد بهما ثبوت الحكم
البتة ولذلك يقال انه للتاكيد ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا اي ولا تزوجوهم المؤمنات وهو على عمومه ولعبد
مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تنفير عن مواصلتهم وترغيب الى مواصلة اهل الايمان اولئك تقرير للتنفير
وهو اشارة الى المشركين والمشركات يدعون الى النار فيه نوع من التغليب والنار مجاز عما يؤدي اليها وهو الكفر
اي يدعون الى الكفر فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم بل مناصبتهم وقتالهم والله يدعوا الى الجنة والمغفرة

اي اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او جعل دعوتهم
بمنزلة دعوته تشريفا لهم وانما قدر المضاف لتقييده باذنه ولا يستقيم ان يقال والله يدعوا باذنه بل دعوة اوليائه
باذنه ولوقوعه في مقابلة اولئك يدعون الى النار وهم اعداء الله ففي مقابلتهم اولياء الله وفي حرف عبد الله و
الله يدعوا الى المغفرة والجنة بتقديم المغفرة على الجنة باذنه بامر الله ورضاه وقيل بتيسيره وتوفيقه للعمل الصالح الذي
تستحق به الجنة والمغفرة وقرا الحسن والمغفرة باذنه بالرفع على معنى والمغفرة حاصلة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم
يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ذكر في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ومعنى التذكر
الاتعاظ والاعتبار اي لعلهم يتعظون ويعتبرون بايات الله ويسالونك عن المحيض والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت وتغيره
بموضع الحيض وهو الفرج ليس بسديد وانما ذكر يسالونك بغير واو ثلثا ثم لان السؤالات الاول لما كان كل منها
سوالا مبتدا من غير تعلق بالاخر ولا مقارنة معلم بوقت بحرف العطف حتى يقصد الى جمعها بل اخبر عن كل على
حدة لجواز ان يكون الاخبار عن هذا قبل وقوع الاخر بخلاف الثلثة الاخيرة حيث كانت في وقت واحد فجيء به قصدا
الى جمعها كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا قل هو اذى
اي شيء يستقذر كانه يؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له وفي المغرب الكرخي الاذى ما يؤذيك واصله المصدر
فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن بدليل الخبر روي ان اهل الجاهلية لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها ولم يجالسوها
كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال بعض الصحابة عن ذلك فنزلت فلما نزلت اخذ المسلمون
بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة
فان اثرناهن بها هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال عم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى
فان اليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء والنصارى يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصف بانه اذى
ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة وفي الاصول نظير القياس المستنبط من الكتاب كقياس حرمة اللواطة
على حرمة الوطي في حالة الحيض الثابتة بقوله قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض والعلة هي الاذى وبين الفقهاء
خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار والشيباني لا يوجب
الا اعتزال الفرج وروي حديث عائشة ان ابن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهي حائض فقالت تشد ازارها
على سفلتها اي ما بين السرة والركبة ليباشرها وما روي زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي عم ما يحل
لي من امراتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها اي استمتع بما فوق ذلك والحديثان
يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار كما هو راي الشيخين ثم قال محمد هذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو
ارخص من هذا يعني ما هو رواية عن عائشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك والشعار
والشعيرة العلامة وشعار الدم الفرج او الكرسف وهي خرقة الحيض على الكناية لان كلا منها علم للدم لا الازار
والكلم يكن دليل الارخص ولا تقربوهن حتى يطهرن قرا حمزة وعاصم والكسائي بالتشديد والسلمي تطهرن بالتاء
والباقون بالتخفيف فالتخفيف يوجب حل القربان بعد حصول الطهر قبل الاغتسال والتشديد يوجب حرمته

قبل الاغتسال فحملنا المخفف على الحيض وهو عندنا عشرة ايام بلياليها حتى لو كان انقطاع الدم بعشرة ايام حل له قربانها قبل الاغتسال والمشدد على الاقل اى مادون العشرة حتى لا يقربها الى ان يغتسل او يمضي عليها وقت صلوة كاملة لان الدم قد يدر تارة وينقطع اخرى وبالاغتسال يترجح جانب الانقطاع وكذا بمضي وقت تقدر فيه على الاغتسال وانما لم يحمل على العكس لانها اذا طهرت لعشرة ايام حصلت الطهارة الكاملة لعدم احتمال العود واذا طهرت لاقل منها يحتمل العود فلم تحصل الطهارة الكاملة فاحتيج الى الاغتسال ليتاكد الطهارة واما الشافعي فعمل بالقراءتين جميعًا على كل حال فلا يجوز القربان الا بعد الطهر والتطهر اى بعد النقاء والاغتسال ويعضده قوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضي تاخر جواز الاتيان عن الغسل فان قيل لو كان المراد بقراءة التخفيف حقيقة الطهر لكان المناسب فاذا طهرن فاتوهن فاتفاقهم على تطهرن اى اغتسلن يدل على ان المراد بقوله حتى يطهرن يغتسلن اما على قراءة التشديد فحقيقة واما على التخفيف فمجاز باطلاق الملزوم على اللازم ضرورة لزوم الغسل عند الانقطاع فيكون حرمة القربان عند الدم معلومة من قوله فاعتزلوا النساء في المحيض ويكون قوله ولا تقربوهن الاية لبيان انتهاء الحرمة وعود الحل اجيب بان تفعل قد يجيء بمعنى فعل كتكبر وتعظم في صفات الله تعالى فيحمل عليه في قراءة التخفيف اذ في الانقطاع على العشرة لا يجوز تاخير حق الزوج الى الاغتسال وقيل معناه توضأن اى صرن اهلا للصلوة وقرا عبد الله حتى يتطهرن وهو اصل يطهرن بالتشديد وقرا ابن السميع ويحيى بن يعمر حتى يطهرن من طهر يطهر وقل ما يجيء مثله في كلام العرب ويحيى بن يعمر فاذا تطهرن بتشديد الطاء والهاء من حيث امركم الله اي من المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما نهوا عنه ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش وان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحايض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم والحرث ما يستنبت بالبذر والنوى تسمية بالمصدر وهو مجاز وقوله نساؤكم حرث لكم مجاز من وجه آخر فقيل باعتبار اطلاق الحرث على موضع الحرث وقيل باعتبار تغيير حكم الكلمة في الاعراب من جهة حذف المضاف كقوله واسأل القرية وقيل باعتبار حمل المشبه على المشبه بعد حذف الاداة كما في زيد اسد فانه كثيرا ما يقال له مجاز وان لم يكن استعارة وكان التجوز في ظاهر الحكم بانه هو وقيل المراد بالمجاز الاستعارة بالكناية لان في جعل النساء محارث دلالة على ان النطف بذور كما تقول ان هذا الموضع لعرين الشجعان ومنتقض العهود قال بعضهم لا ادري ذلك جاريا على القانون الآن يقال التقدير نساؤكم حرث لنطفكم ليكون ذلك مقرها وجعل المشبه به مكنيا تمثيل شبه حال اتيانهم النساء في المأتى بحال اتيانهم المحارث في عدم الاختصاص بجهة دون جهة ثم اطلق عليه لفظ المشبه به وفي المغرب وذلك انهن شبهن بالمحارث وما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اي فاتوهن كما ياتون المحارث وهو كالبيان لقوله فاتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى الذي امركم الله به موضع الحرث ترجمة له وازالة للشبهة التي ربما تقع لبعض النفوس الدنية من ان الغرض قضاء الشهوة وذلك يحصل بكلا الطريقين ودلالة على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل الذي هو بمنزلة الريع من الزرع لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض وبعبارة اخرى قوله تعالى ان الله يحب

على المشبه

التوابين

قوله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين اعتراض وقع بين كلامين متصلين احدهما البيان والآخر المبين ولذا ترك العطف فان قوله نساؤكم حرث لكم بيان لقوله فاتوهن من حيث امركم يعني ان المأتى الذي امركم به هو مكان الحرث لان الغرض الاصيل في الاتيان طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا من حيث يتاتى منه هذا الغرض والنكتة في هذا الاعتراض الترغيب فيما امروا به والتنفير عما نهوا عنه انى شئتم لفظ انى ههنا بمعنى كيف شئتم وعلى اى وضع اردتم من الاستلقاء ونحوه بعد ان يكون المأتى واحدا وهو القبل الذي هو موضع الحرث وقيل اي من اى جهة اردتم غير ان ذلك في صمام واحد وهو ما يسد الفرجة كصمام القارورة بسدادها فسمى به الفرج وقيل تفسيره من اى جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة ردا لما كانت اليهود يزعمون ان من جامع امراته وهي مجبية اى على هيئة من في الركوع او السجود من دبرها في قبلها كان ولدها احول ويؤيد استعماله بمعنى من اين وبه قوله انى لك هذا وروي ان ما قالته اليهود ذكر للنبي عم فقال كذبت اليهود ونزلت وهذه الكنايات من ان الاذى كناية عن الشيء المستقذر وحيث امركم الله كناية عن القبل واتيان الحرث كناية بحيث يحصل الولد وامثالها في القرآن آداب حسنة على كل مؤمن ان يتادب بها في المحاورات والمكاتبات وفيها تعريضات باليهود والنصارى ومن يرغب في الاتيان بغير القبل وقدموا لانفسكم قيل ما يدخر لكم الثواب وقيل ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو التسمية على الوطي وقيل هو طلب الولد وقد زاد الرباطي وحديث آخر فصار رابعا وعن رسول الله صلعم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له وعنه عم اذا اتى احدكم الى اهله فليقل اللهم جنبنا الشيطان وجنب ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان واتقوا الله بالاجتناب عن المعاصي فلا تجترؤا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه حيث تحشرون اليه فيجازيكم على حسب اعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر فاحذروه وتزودوا التقوى ولا تجترؤا وغيره وبشر المؤمنين عطف على قل هو اذى بخلاف الاوامر المتقدمة عليه فانها كلها في حيز قل والمعنى وبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات باجر فانت المحصن في الخطاب للنبي عم امر عليه السلام ان ينصحهم ويبشر من اتبعه وامتثل امره منهم ظاهرا وباطنا سرا وعلانية لا لكل من يتاتى منه البشارة ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف على مقدر اى امتثلوا امري ما امرتم به ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ولا جل انه ابتداء نهي من الله لا يجوز ان يكون عطفا على الاوامر في حيز قل والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة وهي اسم لما تعرضه دون الشيء اى تجعله قدامه بحيث يصير حاجزا ومانعا من عرض العود على الاناء وللمعرض للامر يقال عرضت فلانا للحرب فتعرض لها كانك قدمته لذلك ونصبته له قال فلا تجعلوه في عرضة للوائم ومعنى الاية على الاول اى جعل العرضة بمعنى الحاجز والمانع لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير والبر والتقوى والاصلاح مثلا وعلى هذا يكون المراد بالايمان في الاية الامور المحلوف عليها وسمى المحلوف عليها يمينا لتلبسه باليمين كقوله عم لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك اى على شيء مما يحلف عليه فالايمان مجاز عما يتعلق بها ويتلبس من الامور المحلوف عليها بالترك كان الرجل يحلف على ترك بعض الخيرات فيترك ذلك الخير لئلا يحنث في يمينه فقيل لهم ذلك اي لا تجعلوا الله عرضة اى حاجزا وان مع صلتها عطف بيان لايمانكم واللام فيها

متعلق بلا تجعلوا اى لا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اى لا تجعلوا
شيئا يعترض البر ويجوز ان يكون الايمان على حقيقتها و اللام للتعليل وان تبروا بتقدير اللام
متعلقا بلا تجعلوا او العرضة تعلق للمفعولية اى لا تجعلوا الله لايمانكم به عرضة وحاجزا لان تبروا او عرضة
تعرض البر و تمنعه وتحول بينكم وبينه وعلى الثانى اى جعل العرضة بمعنى المعرض للامر لا تجعلوا الله معرضا
بايمانه الحلف منكم دائما لان تبروا فالايمان على حقيقتها و اللام متعلق بعرضة وان تبروا مقدر باللام على انه
علة للنهى اى طلب الكف لا للجعل والمعنى انهاكم عن ذلك ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس فان الحلاف
مجترى على الله فلا يكون برا تقيا اى متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذات البين فالنهى معلل وعلى الاول
المعلل منهى الذى هو ترك الفعل و الكف عنه اى اتركوا الجعل كى تبروا و ارادة منكم ذلك فالتعليل سائر القيود
الواردة بعد الامر يحتمل ان يتعلق بالطلب و بالمطلوب الذى هو الفعل و بعد النهى يحتمل ان يتعلق بالطلب و بالمطلوب الذى
هو الترك و بالمنهى عنه الذى هو الفعل والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يواخذكم الله باللغو فى ايمانكم اللغو الباطل
من الكلام ومنه اللغو فى الايمان لما لا يعقد عليه القلب و اعلم ان اللغو فى هذه الاية ضد كسب القلب اعنى السهو بدليل اقترانه
بكسب القلب فى قوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان ضد العقد بدليل اقترانه
بالعقد وهو قوله حكم فى المستقبل كالبيع فاللغو فى هذه الاية يشمل الغموس فوجب عدم المواخذة فى الغموس
والاية الاولى توجب المواخذة على اليمين الغموس لان الغموس من كسب القلب اى القصد والمواخذة ثابتة
كسب القلب لا يرى الى قوله عم ان مما لا يغفر اليمين الغموس يقتطع بها مال امرء مسلم فوقع التعارض فى الغموس
وذكروا فى دفعه وجوها احدها ان المراد بالمواخذة التى تقتضيها الاية الاولى على الغموس هى المواخذة فى الاخرة
بدليل اقترانه بكسب القلب و التى فى الثانية هى المؤاخذة فى الدنيا اى الكفارة فقال فكفارته اى لا يواخذكم الله
بالكفارة فى اللغو ويواخذكم بها فى المعقود ثم فسرها به بقوله فكفارته اطعام عشرة مساكين الاية ولما تغاير محل
المواخذتان اندفع التعارض الثانى ان المراد باللغو فى الايتين واحد وهو السهو الخالى عن القصد اما فى الاية الاولى
فبدليل اقترانه بكسب القلب و اما فى الثانية فلانه لا يليق من الشارع ان يقول لا يواخذكم بالقول الخالى عن الفائدة
الذى يدع الديار بلاقع اى اليمين الفاجرة بل اللايق ان يقول لا يواخذكم الله بالسهو كما قال ربنا لا تواخذنا ان
نسينا او اخطانا والمواخذة المواخذة فى الاخرة لانها هى دار الجزاء والمواخذة و الغموس فى المكسوبة لا فى المعقودة ولا فى
اللغو فالاية الاولى اوجبت المواخذة على الغموس و الثانية ساكتة عن الغموس ولم تتعرض لها مطلقا اى لا نفيا ولا اثباتا
وان دلت على عدم المواخذة فى اليمين السهو و على المواخذة فى المنعقد فاندفع التعارض وثبت الحكم على وفق مذهبنا
وهو عدم الكفارة فى الغموس وهذا قريب مما ذكر الشيخ ابو المنصور رضى الله عنه حيث قال نفى المؤاخذة عن اللغو
فى الاية الاولى واثبتها فى الغموس والمراد منها الاثم ونفى المواخذة فى الاية الثانية عن اللغو واثبتها فى المعقود و
وفسر المواخذة ههنا بالكفارة فدل على ان المواخذة فى المعقود بالكفارة و فى الغموس
بالاثم و فى اللغو لا مواخذة اصلا لكن فى الوجه الثانى حمل المواخذة الثانية ايضا على الاثم بناء
على ان دار المواخذة انما هى الاخرة و الثالث وهو للشافعى ان يحمل المواخذة فى الاية الاولى على

وقيل يجوز ان لا يكون التعليق للنهى الذى هو طلب الترك والكف ولا للمنهى الذى هو الفعل يعنى الجعل بل للمطلوب
م

المواخذة

على المواخذة فى الثانية وهى المواخذة فى الدنيا و لذا اوجب الكفارة فى الغموس و يحمل العقد
فى الاية الثانية على كسب القلب الذى ذكر فى الاية الاولى حتى يكون اللغو هو عين اللغو المذكور
فى الاية الاولى وهو السهو فلا يكون التعارض واقعا و انما حمل العقد على كسب القلب لان كسب القلب
مفسر و العقد مجمل فيحمل على المفسر ثم ما ذهب اليه علماؤنا اولى من هذا لان على مذهبه يلزم ان يكون العقد
يجرى على معناه الحقيقى وايضا الدليل دال على ان المواخذة فى الاولى هى المواخذة الاخروية بدليل اقترانها بكسب القلب وهو
اى الشافعى يحملها على الدنيوية واما على مذهبنا فان اللغو جاء لمعنيين فيحمل فى كل موضع على ما يليق ويحمل المواخذة
فى كل موضع على ما هو اليق به من الدنيوية والاخروية وقيل اللايق بنظم الكلام عند قولنا لا يواخذكم الله بكذا ولكن
يواخذكم بكذا ان يكون الثانى مقابلا للاول من غير واسطة بينهما فلهذا ذهب الجمهور الى ادراج الغموس
فى اللغو او فيما عقدتم ولا وجه لجعل الكلام فى الاية الثانية خلوا عن التعرض للغموس فان قيل نعلم حكمها
فى الاية السابقة قلنا و كذلك اللغو والتحقيق ان اطلاق المواخذة على الدنيوية و الاخروية ليس بحسب الاشتراك
اللفظى او الاختلاف فى المفهوم بل فى الافراد باعتبار المتعلق فعند القائلين بعموم الفعل المنفى يكون
المعنى لا يواخذكم الله بشئ من المواخذة عقوبة كانت او كفارة فى اللغو ولكن يواخذكم بهما او باحدهما
فى المكسوبة و المعقود عند الحنث وقوله ايمانكم جمع يمين و اليمين تقوية الخبر بذكر الله او بالتعليق والايمان
المعتبرة المترتبة عليها الاحكام ثلث والمراد بترتيب الاحكام عليها ترتيب المواخذة على الغموس وعدمها
على اللغو والكفارة على المعقود فحلفه على فعل او ترك ماض كاذبا عمدا غموس يأثم به او ظانا انه حق وهو ضده لغو رجى
عفوه وان منعقدة تسبق به اللسان او تكلم به جاهلا معناه او كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد تاكيد الكلام من غير
ان يخطر ببالهم الحلف و لو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف فى المسجد الحرام لانكر ذلك قال لا والله الف مرة و المعنى
لا يواخذكم الله اى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى يحلفه احدكم بالظن و لكن يعاقبكم بما عمدتم للكذب فى اليمين وهى
اليمين الغموس يحلف على ما يعلم انه خلافه فيقوله او المعنى لا يواخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يواخذكم
بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات فيها قلوبكم السنتكم ولا يخفى ان المعنى الاول مبنى على قول اصحابنا
والثانى على قول الشافعى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم وقد عرفت معناه مشروحا بما لا مزيد عليه ومما يجب
التنبيه له ان لكن للاستدراك اى التدارك بعد النفى اذا دخل فى المفرد وان دخل على الجملة لا يجب كونه بعد
النفى بل يجب اختلاف الجملتين نفيا واثباتا وهى بخلاف بل فان بل للاعراض عن الاول ولكن ليس للاعراض عنه
والله غفور لمن حنث وكفر عن يمينه او لكل من اذنب ثم ندم ورجع الى الله حليم حيث لم يعجل بالمواخذة على اليمين
او على الذنوب كلها تربصا للتوبة فان قلت ما معنى الغفور قلت هو كالغفار بلا فرق على قياس الرحمن الرحيم
ومعنى الغفار المريد لازالة العقوبة عن مستحقها و اشتقاقهما من الغفر بمعنى الستر ومن بناء الغفول اذ هو
للمبالغة يفهم انه اذا ستر واقتضى كرمه ان يصونك عن الجهالة فى الدنيا فكيف يليق به ان لا
يستر و ان يعذبك فى الاخرة والحليم هو الذى لا يعجل الانتقام للعصاة قبل وقته المقدر
وقيل هو الذى يشاهد معصية العصاة ولا يحمله على المسارعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار

وقيل فيه فقط ان حنث ولم يصوموا او كرها خلفنا او حنث
قال المراد بلغو اليمين عندنا الحلف بالظن وعند الشافعى ما لا
قصد معه كما مر

عجلة وبطش كما قال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة وحكى ان ابراهيم
راى عاصيا مشتغلا بمعصية فقال اللهم اهلكه ورأى ثانيا وثالثا فدعا عليه فقال الله يا ابراهيم
لو اهلكنا كل عبد عاص ما بقي الا القليل ولكن اذا عصا امهلنا وان تاب قبلناه فان اخرنا العقاب
عنه لعلمنا انه لا يخرج من ملكنا للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون ان لا يجامعوهن
والايلاء حلف يمنع وطء الزوجة مدته فلا ايلاء لو حلف على اقل منها وهي اربعة اشهر
اذا كانت حرة والا فشهران وحكمه طلقة بائنة ان بر والكفارة والجزاء ان حنث وقرء عبد الله
آلوا من نسائهم وقرء ابن عباس يقسمون من نسائهم وتعدية الايلاء والاقسام بعلى تقول
آليت على كذا واقسمت عليه كقولك حلفت عليه ولكن لما ضمن هذا القسم المخصوص معنى البعد
عدى بمن اى الايلاء او الاقسام عدى في القسم على قربان المرأة بمن لتضمن معنى البعد فكانه قيل يبعدون
من نسائهم مولين او مقسمين ويجوز ان لا يكون من متعلق بيؤلون او يقسمون بل الظرف الواقع خبر
المبتداء اعنى لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر اى حاصل لهم من نسائهم كقولك لي منك كذا اى حاصل
لي وفي التحقيق هو حال من الضمير في الظرف والايلاء من المرأة ان يقول الرجل والله لا اقربك او لا اقربك
اربعة اشهر مؤبدا او موقتا او ان قربتك فعلى كذا ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن النخعي
والايلاء من مبانة واجنبية نكحها بعد ذلك ومطلقة الرجعي كالزوجة ولو عجز عن الفيء بالوطي لمانع باحدهما ففيئه
قوله فئت اليها فلا تطلق بعده لو مضت مدته وهو عاجز والا ففيئه بالوطي وتجب الكفارة في الحلف بالله
وفي غيره الجزاء وسقط الايلاء ولو كان الحلف موقتا باربعة اشهر ولم يقربها بانت بتطليقة وسقط الحلف
حتى لو نكحها فلم يقربها بعد ذلك لا شيء اما في الحلف المؤبد ان نكحها ولم يقربها اربعة اشهر تبين ثانيا ثم ان
نكحها فلم يقربها اربعة اشهر تبين ثالثا وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم توقف المولي
اى يجعل موقوفا مطالبا بالفيئة او الطلاق فيفيء او يطلق وان ابى عنهما طلق عليه الحاكم تربص اربعة
اشهر والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولي حق التلبث في هذه
المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق واما كون الفيء في الاشهر فهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه فمعنى قوله فان
فاؤا فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن ووجه دلالة قراءته عليه هو ان الاصل توافق
القراءتين وان كانت احديهما او كلتاهما من الشواذ وليس المراد التمسك بقراءته او تقييد المشهورة بها ليرد بانها شاذة
فان فاؤا في اليمين بحنث اى رجعوا وهذا مبنى على قول الشافعي وقال قتادة كان الايلاء طلاق اهل الجاهلية
وقال ابن المسيب كان ذلك من ضرارهم كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب ان يتزوجها غيره يحلف ان
لا يقربها وكان يتركها كذلك لا ايما ولا ذات بعل وغرضه مضارة المرأة ثم ان اهل الاسلام كانوا عليه فابطله الله
فامر الله النساء بان يتربص اربعة اشهر امهالا للزوج حتى يتأمل في هذه المدة ان راى المصلحة في ذلك ترك
المضارة فان راها في المفارقة فارقها فان الله غفور رحيم يغفر للمؤمنين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار
النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل

ادبس

او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة وجواب الشرط محذوف
يدل عليه قوله فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وعيد على اضرارهم وتركهم الفيئة وقال اصحابنا يقع الطلاق
بمضي اربعة اشهر وهو راى ابن عباس وابن مسعود رض حيث قالا عزيمة الطلاق انقضاء اربعة اشهر فالشرطان
تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل عقيب المفصل كقولك انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت
عندكم والا لم اقم الا ريثما اتحول وفي الاية دلالة بينة على ان الفيء احب الى الله من عزم الطلاق ولهذا قدمه
ثم العازم للطلاق وترك الفيئة لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك
حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان وقرء ابن عباس وزيد بن علي وان عزموا السراح والمطلقات
اراد الحرائر المدخول بهن من ذوات الاقراء اما قيد الحرية فلان عدة الامة قرءان لا قروء وانما قلنا المدخول بهن لانه
لا عدة على غير المدخول بها وعدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل ليست ثلثة قروء بل الاشهر ووضع الحمل واعلم
ان الحاصل في المعرف بلام الجنس الاستغراق ما لم تقم قرينة البعضية وههنا الحكم بالتربص بثلثة قروء قرينة دالة
على ان المراد بالمطلقات ذوات الاقراء خاصة فاللفظ لا يقتضي ولا الخصوص بل هو مطلق في تناول الجنس
صالح للكل وبعضه والتعيين داير لدليل يتربصن خبر في معنى الامر اي ليتربصن اى يكففن ويحبسن انفسهن
عن نكاح اخر ووطء اخر فيوجب حرمة الزوج لانه مفوت للتربص واصل الكلام وليتربص المطلقات
لكن اخر الفعل قصدا الى القصر فان بناء الفعل على المبتداء وان كان اسما ظاهرا يفيد الحصر والاختصاص في الاصول
ان اخبار الشرع يراد به الامر مجازا وهو اكد من الانشاء لانه دل على الوجود وانما عدل عن الامر لان المخبر به
ان لم يوجد في الاخبار يلزم كذب الشارع والمامور به ان لم يوجد في الامر لا يلزم ذلك فاذا اريد المبالغة
في وجود المامور به عدل الى لفظ الاخبار مجازا ولكن هذا على كونه منكرا ووجه هذا المجاز تشبيه ما هو مطلوب
الوقوع بما هو متحقق الوقوع في الماضي كما في قولهم رحمك الله او في المستقبل او الحال كما في هذا المثال فكانهن يمتثلن
الامر بالتربص البتة فهو يخبر عنه موجود في الحال او الاستقبال بانفسهن وفي ذكره تهييج وزيادة بعث
لهن على التربص فان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعن انفسهن ويغلبنها ويحملنها
على التربص وهذا المعنى لم يتحقق في الايلاء اذ لم يحصل لهن المفارقة وحرمة القربان ليتحقق لهم طموح يحتاج
الى مبالغة وتاكيد في الامر بالتربص والتربص ثلثة قروء نصب على الظرفية او المفعول به وقروء جمع قرء
او قرء وهو الحيض ولا يحمل على الطهر والا فان احتسب الطهر الذي طلق فيه يحب طهران وبعض طهر وان لم
يحتسب يجب ثلثة وبعض على ان بعض الطهر ليس بطهر والا كان الثالث كذلك وتقرير ذلك على ما
هو المذكور في كتب اصحابنا ان القرء لفظ مشترك وضع للحيض ووضع للطهر وفي قوله تعالى ثلثة قروء المراد
من القرء الحيض عند ابي حنيفة رض والطهر عند الشافعي رح ونحن نقول لو كان المراد من القرء الطهر يبطل
موجب الخاص وهو لفظ ثلثة لانه لو كان المراد الطهر والطلاق المشروع هو الذي يكون في حالة الطهر فالطهر
الذي طلق فيه ان لم يحتسب من العدة يجب ثلثة اطهار وبعض طهر وان احتسب كما هو مذهب
الشافعي فالواجب طهران وبعض الطهر ليس بطهر لانه لو كان كذلك لا يكون بين الاول

وبعض طهر

والثالث وقف فيكفي في الثالث بعض الطهر فينبغي انه اذا مضى من الثالث شيء يحل لها التزوج
هو خلاف الاجماع وهذا الجواب قاطع لشبهة الشافعي وقد تفرد به عبيد الله البخاري رحمه وقد يقال ان اهل
الاستدلال منعا الطينا وهو انه لا نم انه اذا لم يعتبر الطهر الذي وقع فيه الطلاق كان الواجب ثلثة اطهار وبعضا لان الاوامر
بالشرع لا يكون الا الاطهار الثلثة الكاملة ويلزم مضي البعض الذي وقع فيه الطلاق بالضرورة لا باعتبار انه مما وجب
بالعدة لكنه لا يعتد الشافعي لانه لا يقول بوجوب ثلثة اطهار كاملة غيرها وقع فيه الطلاق نعم يفيد ابا حنيفة
في دفع ما يورد من المعارضة بوجوب ثلثة حيض وبعض فيما اذا طلقها في الحيض ولذا ايضا قوله عم دعي الصلوة
ايام اقرائك فانه لا يدل الا على استعماله بمعنى الحيض ولقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي في العدة استبراء
الرحم والحيض هو الذي تستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة دون الطهر
بالاجماع وايضا اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة
تقرئها اي تمسك عندها حتى تحيض الاستبراء ولما ثبت في لسان الشرع واللغة واستعمال الثقات مجيئه بمعنى
الحيض وجب الحمل عليه واما قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق المشروع في الطهر فمعناه مستقبلات لعدتهن
كما تقول لقيته لثلث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلث وعدتهن الحيض الثلث واما ما ورد في قول الاعشى
لما ضاع فيها من قروء نسائكا فهو مجاز عن العدة ليصير كناية عن طول المدة والمعنى لما ضاع فيها من عدة نسائك
لاشتهار انهن يعتددن بالقروء او مراده الوقت اي لما ضاع فيها من اوقات نسائك وقد جاء القرء
والقارئ بمعنى الوقت ولم يرد الاحيضا ولا اطهارا وقال الشاعر اذا ما السماء لم تغم ثم اخلفت قروء الثريا ان
يكون لها قطار اي وقتها الذي يمطر فيه الناس حتى قال ابو عمرو انما القرء الوقت وقال الهذلي كرهت
العقر عقر بني شليل اذا هبت لقارئها الرياح اي لوقتها وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء
دون الكثرة التي هي القروء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كلا من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية
فلا استبعاد كيف والمرجح قائم وهو كثرة الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع واما قوله بانفسهن
وما هي الانفس كثيرة وكان النكتة في تقليلها الايماء الى ان التطليق ينبغي ان يكون قليل الوقوع من الرجال فوضع
جمع القلة موضع الكثرة وقراء الزهري ثلثة قرو بغير همزة وعبيد ابن عمر ثلثة اقراء ولا يحل لهن ان يكتمن
عطف على يتربص ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من الحيض استعجالا للطلاق وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل
على ان قولها مقبول في ذلك قيل والاولى ان يراد المخلوق في الرحم دون دم الحيض ويجوز ان يراد اللاتي
يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك اي لاستعجالهن الطلاق او طلبهن
الاسقاط فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن فان
الشرط متعلق بيكتمن قصدا الى عظم ذلك الفعل بحيث ان من آمن بالله وبعقابه لا يقدم على فعله فان عدم
الاقدام والاجتراء عليه من لوازم الايمان وليس متعلقا بقوله لا يحل حتى لو لم يؤمن حل لهن ذلك اذ ليس
المقصود تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على عظم ذلك الفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات

وقراء

وقراء مسلمة وبعولتهن باسكان التاء ومن العرب من يفعل ذلك اذا كثرت الحركات احق بردهن برجعتهن
وفي قراءة ابي بردتهن والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة مثلا او البعولة مصدر من قولك
بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل هنا بمعنى الفاعل
وللمفعولات بعولتهن اذا اراد والرجعة وابينها وجب ايثار قولهم على قولهن وكانوا احق بالرجعة منهن بالاباء
لا ان لهن الحق في الرجعة وان كانت الباء للملابسة فالمعنى انهم احق حال تلبسهم بالرجعة منهن لذلك وذلك
ان تلبسهم بها ارادتها وتلبسهن اباؤها في ذلك اشارة الى التربص مع حذف المضاف اي في زمان التربص
او في مدة ذلك التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة
بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن
بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس في الوجوب واستحقاق المطالبة لا في جنس الفعل اذ لا يجب
عليه اذا خبزت له او خيطت ثيابه ان يفعل مثل ذلك بل يقابله بما يليق بالرجال من الحسنات وللرجال
عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحو ذلك
ولانهم قوامون عليهن بما انفقوا من اموالهم وقيل تنال المراة من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة
بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها والله عزيز غالب يقدر على انتقام من خالف احكامه او الذي لا مثل
له ولا نظير له من عز الشيء بعز بالكسر في المضارع وهو مما يناسب المقام فانه لما بين المماثلة بين الزوجين
اراد ان يبين ان سرادقات قدسه منزه عن شائبة المثل والتشبيه والذي عليه ثواب العاملين حكيم يشرعها
لحكم ومصالح لا يعلمها الا هو والحكيم ذو الحكمة وهي العلم بالاشياء على ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما
ينبغي وقيل بمعنى المحكم الطلاق مرتان الطلاق بمعنى التطليق كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم
اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ومن ثم قال
اصحابنا الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فلم يرد بالمرتين الا التكرير لا التثنية كقوله تعالى ثم ارجع البصر
كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ومنه قولهم لبيك وسعديك اي البابا بعد الباب واسعادا بعد اسعاد
وقيل مرتان اي ثنتان بدليل قوله ثم قال فان طلقها اي بعد المرتين فانه صريح في انه اراد بالمرتين التطليقتين
وبه قال الشافعي واصحابه وقال بعضهم اي التطليق الشرعي ثنتان لما روي انه عم سئل اين الثالث
فقال او تسريح باحسان وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيفية الطلاق
فالفاء للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمناكم كيفية التطليق فالواجب عليكم احد الامرين وهو ان
تمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن او ان تسرحوهن السراح الجميل الذي علمكم وعلى
ما ذكرنا اللام في الطلاق للجنس اي جنس التطليق الشرعي مرتان وقيل اللام للعهد والاشارة الى
ما دل عليه قوله وبعولتهن احق بردهن اي برجعتهن فيكون المعنى الطلاق الرجعي مرتان بمعنى ان الطلاق
المعقب للرجعة ثنتان اذ لا رجعة بعد الثالث فالمثنى على ظاهره والفاء على ظاهرها فامساك بمعروف اي برجعة
او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها

وجوازها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث فان قيل الفاء في قوله فان طلقها يقتضي وقوع هذه الطلقة
متاخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح فلو كان المراد هو الطلقة الثالثة لكان قوله وان طلقها طلقة
رابعة وانه غير جايز وقد يجاب بان الفاء تفصيلية لانه بعد ان حكم بان الطلاق مرتان خير بين الامساك
والتطليق الثالث ثم اورد حكم التطليق الثالث كانه قال فان امسكها فذاك وان طلقها فلا تحل له بعد وقد
اعترض بينهما ذكر الخلع تنبيها على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى احسن الطلاق طلقة فقط
في طهر لا وطي فيه وحسنه وهو السني طلقة لغير الموطوءة ولو في حيض وللموطوءة تفريق الثلاث في اطهار لا وطي فيها
فيمن تحيض وفي اشهر في الايسة والصغيرة والحامل وبدعيه ثلث او ثنتان بمرة او مرتين في طهر لا رجعة
فيه او واحدة في طهر وطيت فيه او حيض موطوءة ويجب رجعتها فيه في الاصح وعند الشافعي لا باس
بارسال الثلث على انه ليس بحرام وطلاق بدعي وان لم يكن من السنة لحديث العجلاني الذي
لاعن امراته فطلقها ثلثا بين يدي النبي عم فلم ينكر عليه ووجه التمسك انه لا يجوز للنبي عم تقرير المعصية
سيما من محضر مسترشدين ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا اي من الصدقات روي ان جميلة
بنت عبد الله بن ابي اتفقوا على ان الصواب اخت عبد الله كانت تحت ثابت بن قيس وكانت تبغضه
وهو يحبها فاتت رسول الله عم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب
عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه اني رفعت جانب الخبا فرايته في عدة
من الناس فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكانت قد اصدقها حديقة
فاختلعت منه بتلك الحديقة وهو اول خلع في الاسلام والخطاب كله مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء
اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع اليهم وقيل يجوز ان يكون اول الخطاب للازواج واخره للحكام
ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره والاول اوجه لان هذا يشوش النظم على القراءة المشهورة وقيل لا
يبعد ان يكون الخطاب مما لا يقصد به مخاطب دون مخاطب كانه قيل ايها الناس الا ان يخافا الا يقيما حدود الله
اي الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء
خلقها وقرا يعقوب وحمزة يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته اي الا يقيما من الف الضمير وهو بدل
الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا في كون المظهر بدلا من
الضمير المرفوع البارز لكن الضمير في اسروا مبهم والبدل بدل كل او بعض بخلاف ما نحن فيه فان الضمير فيه معين
والبدل اشتمال وتنصره قراءة عبد الله الا ان يخافوا حيث لم يسند الخوف اي الخائفة الى الزوجين فان الخائف
في هذه القراءة غيرهما من الائمة والحكام كما في القراءة المبني للمفعول وقرا ابي الا ان يظنا وهو يعضد تفسير
الخوف بالظن وعن عاصم عن زر عن ابي الا ان يظنا يتفاعلا من الظنة وهي التهمة فان خفتم اي علمتم
او ظننتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله اي ان لا يقيم الزوجان حقوق الزوجية وقرا عبد الله
الا يقيموا فلا جناح عليهما اي فلا اثم على الرجل فيما اخذ ولا على المراة فيما افتدت به نفسها فيما
به فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اعطيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه

وهوجايز

وهو جايز في الحكم وروي ان امراة نشزت على زوجها فرفعت فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال
ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن اي ليلة اقر لعيني
من تلك الليالي الثلث فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها وان كان
منه كره له ان ياخذ منها شيئا تلك حدود الله فلا تعتدوها فلا تعتدوا بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم
الظالمون في تعقيب النهي بالوعيد مبالغة في التهديد فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق
مرتان واستوفى نصابه وفان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فالمعنى الاول مبني على ان اللام في الطلاق للجنس ومرتان للتكرير
والثاني على انه للعهد ومرتان للتثنية ومعنى الفاء ظاهر ولها على الاول فالفاء للتفريع والترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم ذلك
فان طلقها ذلك الطلاق ومكررا الى الثالثة فلا تحل له وتحقيق للمقام على ما ذكر في الاصول ان الفاء لفظ خاص للتعقيب
وقد عقب الطلاق الافتداء فان لم يقع الطلاق بعد الخلع كما هو مذهب الشافعي رح يبطل موجب الخاص وذلك ان الله ذكر الطلاق اي
للرجعة مرتين ثم ذكر افتداء المراة وفي تخصيصها فعلها في الافتداء تقرير فعل الزوج على ما سبق وهو الطلاق لانه تعالى لما جمعهما في قوله
الا ان يقيما ثم خص جانب المراة مع انها لا تتخلص بالافتداء الا بفعل الزوج كان بيانا بطريق الضرورة ان فعل الزوج هو ما ذكر يعني
فيما سبق وهو الطلاق فكان هذا بيانا لنوعي الطلاق بغير مال وبمال وهو الافتداء فصار كالصريح بان فعل الزوج في الخلع وافتداء
المراة طلاق لا فسخ كما ذهب اليه الشافعي فانه قد روي عنه ان الافتداء فسخ والا يلزم ترك العمل بهذا البيان الذي هو حكم المنطوق
وهو المعتبر عنده بترك العمل بالخاص عند بعض اصحابنا وما الزيادة على الكتاب عند بعضهم ثم قال الله تعالى فان طلقها اي بعد المرتين
سواء كانتا على مال او بغير مال فنفى اتصال الفاء باول الكلام وانفصاله عن الاقرب على ما هو راي الشافعي رض فساد التركيب وهو
عن ترك العطف من الاقرب الى الابعد مع توسط الكلام الاجنبي وذلك ان الشافعي وصل قوله فان طلقها بقوله الطلاق مرتان
وجعل ذكر الخلع من وهو قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا الى قوله فاولئك هم الظالمون معترضا ولا يجعل الخلع طلاقا بل فسخا والا يصير
الاولان مع الخلع ثلثة فيصير قوله فان طلقها رابعا ويقول المختلعة لا يلحقها صريح الطلاق فان قوله فان طلقها متصل باول
الكلام فان قيل اتصال الكلام الفاء بقوله الطلاق مرتان هو قول كثير من المفسرين فكيف يحكم بفساده اجيب بان الحكم
بالفساد انما هو على تقدير ان يكون قوله ولا يحل لكم الى اخره كلاما معترضا مستقلا واردا في بيان الخلع غير
منصرف الى الطلقتين المذكورتين واما على ما ذهب اليه بعض الاصوليين وعامة المفسرين ودل عليه سياق النظم
وهو ان الافتداء منصرف الى الطلقتين ومعنى لا يحل ان تاخذوا في الطلقتين شيئا ان لم يخافا
الا يقيما حدود الله فان خافا ذلك فلا اثم في الاخذ والافتداء ولا فساد لان اتصاله بقوله الطلاق
مرتان هو معنى اتصاله بالافتداء لانه ليس بخارج عن الطلقتين فكانه قال فان طلقها بعد الطلقتين
اللتين كلتاهما او احديهما خلع وافتداء وارد عليه الاشكالان احدهما انه لا يكون المراد بقوله الطلاق مرتان
هو الطلاق الرجعي لان الخلع طلاق باين وثانيهما ان لا يصح التمسك بالاية في ان الخلع طلاق وانه يلحقه الصريح لان المذكور
هو الطلاق على مال لا الخلع واجيب عن الاول بان كونه رجعيا انما هو على تقدير عدم الاخذ وعن الثاني
بان الاية نزلت في الخلع لا الطلاق على مال فان قيل الفاء في الاية لمجرد العطف من غير تعقيب ولا ترتيب والا
لزم بيان الاية من اثبات مشروعية الطلقة الثالثة ووجوب التحليل بعدها من غير سبق الافتداء والطلاق

على المال الزيادة على الكتاب بل ترك العمل بالفاء في قوله فان طلقها اجيب بانه لو سلم فبالاجماع والخبر المشهود
لحديث العسيلة على ان الفاء للترتيب في الوجود لا في الذكر والا فالترتيب في الذكر حاصل في جميع حروف العطف
ثم هذا العطف البحث مبني على ان المراد بالتسريح باحسان ترك الرجعة واما اذا اريد به الطلقة الثالثة على ما روي
عن النبي عم فيكون قوله فان طلقها بيانا لحكم التسريح على معنى اذا ثبت انه لا بد بعد الطلقتين من الامساك بالمراجعة او التسريح
بالطلقة الثالثة فان آثر التسريح فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولا دلالة في الاية على شرعية الطلاق
فلا تحل له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره قالت عايشة رضه قال النبي عم اذا طلق الرجل امراته ثلثا لم تحل له
حتى تنكح زوجا غيره ومن ثم اتفقت كلمة الجمهور على ان الحرة لا تحل بعد ثلث والامة بعد اثنتين حتى يطأها
غيره بنكاح صحيح وتمضي عدة طلاق او موت خلافا لسعيد بن المسيب فان عنده لا يشترط وطي الزوج الثاني
بل يكفي مجرد النكاح استدلالا بقوله حتى تنكح زوجا غيره ولنا ما روي عن عروة عن عائشة ان امراة
رفاعة قالت للنبي عم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة
الثوب فقال رسول الله عم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وهو حديث
مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب فيكون التحليل بدون الوطي مخالفا للحديث المشهور حتى لو قضى
القاضي به لا ينفذ وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال عم لها كذبت
في قولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض النبي عم فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال
قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد
مرتك هذه لارجمنك فمنعها بالكلية والنكاح بشرط التحليل فاسد عند اكثر العلماء وجايز عند ابي حنيفة رحه
مع الكراهة وعنه ان اضمر التحليل ولم يصرح به فلا كراهة وعن النبي عم انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر لا اوتى
بمحلل ولا بمحلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة اي لا اجوزه الا نكاح رغبة والمدالسة
شبه مخادعة وتحلل للاول والزوج الثاني يهدم ما دون الثلث واختلفوا في هذه المسئلة فقال ابن مسعود
وابن عباس وابن عمر رضي عنهم وطي الزوج الثاني يهدم حكم ما مضى من الطلقات واحدا كان او ثلثة وهو رأي
ابي حنيفة وابي يوسف وقال عمر وعلي وابي وغيرهم لا يهدم ما دون الثلث وبه قال محمد وزفر والشافعي
محتجين بان فيما ذهبوا اليه ترك العمل بالخاص وذلك ان لفظ حتى في قوله تعالى فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا
غيره خاص في الغاية واثر الغاية في انتهاء ما قبلها لا في اثبات ما بعدها فوطي الزوج الثاني يكون غاية للحرمة السابقة
لا مثبتا لحل جديد وانما يثبت الحل بالسبب السابق وهو كونها من بنات آدم خالية عن اسباب الحرمة كما في الصوم تنتهي حرمة
الاكل والشرب بالليل ثم يثبت الحل بالاباحة الاصلية فوطي الزوج الثاني يهدم حكم ما مضى من طلقات الزوج الاول
اذا كان ثلثا لثبوت الحرمة بها ولا يهدم ما دون الثلث اذ لا يثبت الحرمة به ولا تصور لغاية الشيء قبل وجود
اصله فبقي القول بانه يهدم ما دون الثلث ايضا كما قال اكثر العبادلة وذهب اليه ابو حنيفة وابو يوسف
بناء على ان وطي الزوج الثاني مثبت حل جديد ترك العمل بالخاص والجواب ان المراد بالنكاح ههنا العقد
بدليل اضافته الى المراة واشتراط الدخول انما ثبت بالحديث المشهور حيث قال لا حتى تذوقي جعل الذوق

غاية

غاية لعدم العود فاذا وجد ثبت العود وهو حادث لا سبب له سوى الذوق فيكون الذوق هو المثبت للحل ولهذا
لعن الله المحلل والمحلل له جعل الزوج الثاني محللا اي مثبتا للحل في ما دون الثلث يكون الزوج الثاني متمما للحل
الناقص بطريق الاولى فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج الاول
الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله اي ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه من حقوق الزوجية
وتفسير الظن ههنا بالعلم غير سديد لان ان الناصبة لا تقع بعد العلم لانه للتحقيق ولا استقبال ينافيه وانما تقع
بعد المخففة من المثقلة ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها
لقوم يعلمون يفهمون ويعلمون بمقتضى العلم وقرأ جماعة منهم الحسن وابن محيصن وقتادة نبينها بالنون واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن منتهيها اي وصلن الى قريب من الاخر والاجل يطلق على آخر المدة
وعلى جميعها بطريق الاتباع وكذلك الغاية والامد واما الغاية في قول النحويين من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية
فالمراد بها المسافة او ذو الغاية مطلقا على ما يشتمل المكاني والزماني بطريق الحذف والتوسع لا جميع المدة حقيقة
لاختصاصها بالزمان ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما
شارف فهو مجاز باعتبار ما يؤل واستعارة تشبيها للمتقارب الوقوع بالواقع في البعد عن القوة المحضة والقرب من حصول الاثر
ولانه قد علم ان الامساك بعد مضي الاجل لا وجه له لان المراة بعد مضيه غير زوجته وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن
بمعروف او سرحوهن بمعروف فان الامساك بعد مضي الاجل وانقضائه والمعنى فراجعوهن من غير طلب ضرار بالمراجعة او خلوهن
حتى تنقضي عدتهن من غير ضرار وتطويل وهو اعادة الحكم في بعض صوره اهتماما به ولا تمسكوهن ضرارا اي ولا تراجعوهن ارادة
الاضرار بهن كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يشارف الاجل ويقرب انقضاء عدتهن ثم يراجعها لا عن حاجة بل ليطول
العدة عليها وهو الامساك ضرارا فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او على الحال بمعنى مضارين
لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل وقيل لتلجئوهن الى الافتداء والكلام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد
ظلم نفسه بتعريضها للعقاب فان اتيان ما نهي عنه تعريض لعذابه ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها
والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا والحقيقة انه نهي عن الاعراض عنها والتهاون في العمل
بها وتعال لمن لم يجد في الامر انما انت هازي ولاعب وقيل كانوا يطلقون ولا يعدون ذلك الطلاق ويجعلونه لعبا
فنزلت وقيل الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت نهيا عن ذلك وعن النبي عم ثلث جدهن جد
وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية الى الاسلام وبعثة محمد صلعم
بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما وتنبيها
على جلالتهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الطلاق وغيره
واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي
دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء الذين
يعضلون نساءهم بعد مضي العدة لا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم اولا وللاولياء
لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلا ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله

حين عضل بنت عم له فازواجهن على هذا باعتبار ما كان ومعنى ينكحن ازواجهن يرجعن اليهم وعلى الاول
باعتبار ما يؤول ومعنى ينكحنهم يصرن ذوات نكاحهم ومنه فلانة ناكح في بني فلان وحاصله ينكحن الازواج
وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم ليتناول عضلهم جميعا مع السلامة من انتشار ضمير الخطاب اذ لا يصلح
خطاب طلقتم للاولياء قطعا والمعنى لا يوجد فيما بينكم عضل فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالعاضلين وذلك
ان لا تعضلوا يقتضي مباشرة كلهم العضل فيما بينهم مع رضاهم به فجعل النهي عن اللازم كناية او مجازا عن النهي عن الملزوم
والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وبلوغ الاجل على الحقيقة لا المشارفة
كما في الاية السابقة لان النهي عن العضل انما هو بعد التمكن من النكاح وذلك بعد انقضاء العدة بخلاف الامساك
فانه انما يكون في العدة وهذا معنى دلالة سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا بينهم اي الخطاب
والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويحسن في المروة من الشرائط
وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا بان يطلبوا
ان يتم لها مهر المثل او يفارقها وعندهما ليس لهم الاعتراض وعند الشافعي ليس لها ان تزوج نفسها اصلا وقيل بمهر
ونكاح جديد وقيل بشاهدي عدل وهو اي المعروف حال عن الضمير في تراضوا او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا
بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي عنه ذلك والخطاب فيه للنبي عم لانه الاصل في تلقي
الكلام او لكل احد ممن يتلقى الكلام وحرف الخطاب يكون لمن يسمع ويتلقى الكلام سواء كان هو المخاطب بالحكم او لم يكن
ونحو ذلكم خير لكم واطهر ثم عفونا عنكم من بعد ذلك وقيل الكاف ارجح لما فيه من تلاؤم النظم غاية التلاؤم وذلك باعتبار
ان الخطاب السابق واللاحق لكل احد فالوجه ان يكون للمتوسط كذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر
وخص المؤمنين لانهم هم المتعظون به والمنتفعون ذلكم اشارة الى ترككم العضل وقيل اي العمل بمقتضى
ما ذكر ازكى لكم واطهر من دناس الاثام ووصفا الشيء بوصف صاحبه لان التنزه من دنس الاثم والتطهر به يكون صفات
العبد دون الفعل او الترك كترك العضل المذكور وازكى اذا كان من قبيل تزكيتهم بها اي تطهر فعطف واطهر للتفسير وان كان من
زكى بمعنى نمى فمعنى ازكى افضل واكثر خيرا وح فالانسب ان يراد بالاطهر الاطيب لكثرة الفائدة في تبعيده من دنس
الاثام مع ما فيه من التكلف ومن ههنا قال بعضهم ازكى واطهر افضل واطيب وقيل ازكى انفع وقيل اصلح وقيل خير
والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر ومن النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم وقال الضحاك
والله يعلم ان الخير في الوفاء والعدل وانتم لا تعلمون ما عليكم في التوبيخ من العقوبة والعذاب وقيل والله يعلم
ما تصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلون وعن مقاتل انه دعا النبي عم معقلا فقال ان كنت مؤمنا
فلا تمنع اختك عن ابي الدحداح فقال امنت بالله وزوجها منه وفي الاية دليل على ان الولي اذا منع المراة عن النكاح
فللحاكم ان يزوجها والوالدات يرضعن اولادهن قد تقرر غير مرة ان الخبر في مثله مجاز عن الامر وبسطنا الكلام فيه
بحيث يستغنى عن البيان فلنقتصر على التنبيه على بعض ما يحتاج الى التنبيه فنقول الخبر الذي هو مجاز عن الامر
انما هو خبر المبتدا وحده وان المعنى والوالدات يرضعن لا مجموع المبتدا والخبر فيكون مثل زيدا نصره
وعمرو اخرنه بالرفع جعل خبر المبتدا جملة انشائية وبعضهم يميلون الى الثاني زعما منهم ان خبر

المبتدا

المبتدا لا يكون جملة انشائية والتاويل بتقدير القول تكلف لا حاجة اليه بل يأباه المعنى في كثير المواضع سيما
في الدعاء كقوله تعالى بل انتم لا مرحبا بكم وفي باب المدح والذم على احد الوجهين وفي مثل كيف الحال ومتى القتال ونحو
ذلك فالقول بامتناع كون الخبر انشاء وطلبا ضعيف جدا ثم اخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر ووجه التاكيد
بناؤه على المبتدا واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن يمتثلن الامر بالارضاع فهو
يخبر عنه موجودا في الحال او الاستقبال وكون الوالدات مامورات بارضاع الاولاد اما على طريق الندب والوجوب
فيختص بما اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات
وغيرهن وقيل المطلقات خاصة اذ الكلام فيهن وح فايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع لعدم بقاء علقة
النكاح الموجب لذلك فلو لم ترضعهم الوالدات لم تجب النفقة والكسوة لهن حولين كاملين اكد بصفة الكمال كقوله
تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فيطلق على الاقل القريب من التمام كما يقال للقريب عن الحول حول ومنه قولك عند فلان
حولين ولم تستكملهما لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لما توجه اليه الحكم لمن اراد اتمام الرضاعة ومنه قوله هيت لك فان لك
بيان للمهيت به اي لمن دعي وخوطب بهذه الكلمة انه واحد مذكر كانه قيل هذا الخطاب لك وقيل اللام متعلقة برضعن
لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة
الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي
يجوز واذا انقضت عدتها جاز اتفاقا والمعنى يرضعن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الاباء اي ترضع
الام للاب كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده وقرا ابن عباس ان يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء
والرضعة وثلثتها لغات وان يتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما اختيها وتشاركهما
في ان الفعل معهما في تاويل المصدر ولهذا النصب بها كما في قوله عم كما تكونوا يولى عليكم وان كان بينهما فرق
من جهة اختصاص ان بالمستقبل بخلاف ما وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال
لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد به جواز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون
في الفطام ضرر اي بحد معتبر من موقت اذا بين له وقتا يفعل ومنه قول القائل هل في ذلك اي حد بين القليل والكثير
وعلى المولود له اي الذي يولد له وهو الوالد وله ههنا مثل عليهم في قراءة عبد الله وعلى المولود لهم وانما قيل المولود
له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للاباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد
للمامون بن الرشيد اي لاجله وفي حقه فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللاباء ابناء وذكر حين
روي انه عابه هشام بن علي فقال بلغني انك تريد الخلافة وكيف تصلح لها وانت ابن امة فقال كان اسمعيل
ابن امة واسحق ابن حرة فاخرج الله من صلب اسمعيل خير ولد ادم وانشد الشاعر لا تزرين بفتى من ان تكون له ام
من الروم او سوداء دعجاء فانما امهات البيت الدعج شدة سواد الحدقة وشدة بياضها ووجب عليهم ان يرزقوهن
ويكسوهن فاذا ارضعن ولدهم كالاظئار رزقهن وكسوتهن اجرة لهن ومن امثلة الاشارة قوله تعالى وعلى المولود
له رزقهن وكسوتهن سيق لايجاب نفقتها على الوالد وفيه اشارة الى ان النسب الى الاباء والى ان للاب ولاية تملك
ماله لانه نسب اليه بلام الملك والى انفراده بالانفاق على الولد اذ لا يشاركه احد في هذه النسبة فكذا في حكمها والى ان

اي هذا الحكم ح

اجر الرضاع يستغنى عن التقدير لانه تعالى اوجب على الاب رزق امهاتنا الولد من غير تقدير فان اراد الوالد استيجار الوالدة
المطلقة لرضاع الولد تكون استغنا اجرها عن التقدير ثابتا بالاشارة لان مثل قوله تعالى بالمعروف وانما يقال في مجهول
القدر والصفة وان اراد استيجار غير الوالدة فثبوته بدلالة النص لان جواز الاستغنا عن التقدير مبني على ان هذه الجهالة
لا تفضي الى المنازعة لانهم لا يمنعون في العادة قدر الكفاية من الاطعام لانه نفعه يعود اليهم ولا من الكسوة لان الولد
في حجرها لا باشارته لعدم ثبوته بالمنطوق اي بنفس النظم لان الضمير في رزقهن وكسوتهن راجع الى الوالدات بالمعروف
بحسب ما يراه الحكم ويفي به وسعه فيفسره ما بعده وهو لا تكلف واحد منها ما ليس في وسعه ولا ينضار لا تكلف
نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وقري لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف
بالنون ورح وحبان بن براء نفسا بالنصب وقرا الحسن لا تكلف نفس قيل يعني لم تكلف وعكرمة الا وسعها بكسر الواو
وابن ابي عبلة بفتحها وقرا ايضا وسعها بفتح الواو وكسر السين لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل
لعدم التكليف وتقريب له اي لا يضار كل منهما الاخر بسبب الولد وقرا ابو عمرو وابن كثير ويعقوب لا تضار
بالرفع على انه بدل عن لا تكلف واصله على القرائتين تضارر بكسر الراء على البناء للفاعل او فتحها على البناء
للمفعول وعلى الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر وان يكون الباء من صلته اي لا تضر الوالدان بالولد فيفرط
في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرا الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين ايضا ويبين ذلك انه قري
لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها اما الفتح فللخفة واما الكسر فعلى اصل حركة الساكن
وقرا ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف
على انه من ضار يضير ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر واختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وقرا الضحاك
لا تضار بكسر الراء وعن كاتب عمر ابن الخطاب لا تضرر واضافة الولد اليها تارة والبه اخرى استعطاف
لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق عليه ولا ينبغي ان يضرا به او يتضررا بسببه
وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بين الجملتين تفسير للمعروف معترض
بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه اشارة الى ان الورثة ينفقون بقدر الارث اذ العلة هي الارث لان النسبة
الى المشتق توجب علية الماخذ والمراد بالوارث وارث المولود له والمعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب
عليه من الرزق والكسوة اي وان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها
بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار او الصبي نفسه لكونه وارث الاب اي تمان مؤن المرضعة من
مال الصبي وقيل وارث الصبي على العموم واليه ذهب ابن ابي ليلى حيث قال هو كل من ورث الصبي ويؤيده
قراءة يحيى ابن يعمر وعبيد ابن يعمر وعلى الورثة وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم من الصبي بحيث لا يجوز
بينهما النكاح على تقدير ان يكون احدهما ذكرا والاخر انثى وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد اي فيما عدا الاصول
والفروع الاصول وان علا كالجد وجد الجد والفروع وان سفل كابن الابن يقال ولدت ولادة وولادا
وقيل من ورث الصبي من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل الباقي من الابوين من قوله صلعم
واجعله الوارث منا وهذا لا يلايم المقام كثيرا ولذا قال بعضهم انما جعل الوارث بمعنى الباقي وان كان صحيحا

لغة

لغة تتعلق في هذا المقام اذ ليس لقولنا فالنفقة على الاب وعلى من بقي من الاب والام معنى يعتد به فان ارادا
فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين و
الفصال مصدر يقال فصل الرضيع عن امه فصالا وفصالا ومنه قوله عم في ابن رواحه كان اولنا
فصولا واخرنا قفولا اي انفصالا من داره واهله ورجوعا اليهم والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة
استخراج الراي من شرت العسل اذا استخرجته وقرا عمر ابن وهب الاعرجي فان اراد فصالا فلا جناح
عليهما في ذلك زاد على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وتعيين الحولين بحيث لا يزاد وقيل
هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما رعاية لصلاح الصبي وحذرا ان يقدم احدهما ما يضر به
لغرض وقيل انما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلولايته واما الام فلفرط شفقتها
وعلمها بحال الصبي وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة الصبي
واسترضعها الصبي فتعديه الى مفعولين كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته الحاجة فحذف المفعول الاول
للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة بحذف المفعول الاول وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما
عبارة عن الاول وقري فان اراد اي المولود فلا جناح عليكم فيه والظاهر قد يدل على ان للزوج ان يسترضع
الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه لان ما تحقق ايتاءه لا يتصور
تسليمه في المستقبل ونظيره قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وكذا قراءة ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله
فان معناه ما اردتم فعله اذ لا يستقيم على ظاهره كما يتوهم بخلاف قراءة ما اوتيتم وهو حرف عاصم اي ما اتاكم
واقدركم عليه من الاجرة ونحو وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه بالمعروف متعلق بسلمتم اي اذا سلمتم بالطريق
الذي يحسن في الشرع والمروة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس التسليم بشرط الجواز الاسترضاع بل
اشتراط التسليم ندب الى الاولى ودلالة على ان الاكثر ثوابا ان يكون الاسترضاع مقرونا بتسليم ما يعطى
للمرضع ويجوز ان يكون ارشادا الى ما هو اصلح للولد على الاجرة ينبغي ان تكون مؤداة ما يكون وهو ان تكون
منجزة لا موعودة لتكون طيبة القلب راضية فيزيد ذلك اهتماما واصلاحا لشان الصبي احتياطا في امره
كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن واتقوا الله في المحافظة على ما شرع في امر الاولاد والمراضع
واعلموا ان الله بما تعملون بصير تاكيد وتهديد وقرا الاعمش يعملون بالياء والذين يتوفون منكم على
تقدير المضاف بدليل يتربصن اي وازواج الذين يتوفون يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم فحذف الضمير العائد
الى الذين يتوفون حال كونه مجرورا كقولهم السمن منوان بدرهم اي منه ولو قدر يتربصن لهم لم يبعد
وقرا علي رضه يتوفون بلفظ المبني للفاعل اي يستوفون اجالهم قال الزمخشري وهذه القراءة تناقض ما روي
من تخطئة السائل القائل من المتوفي بلفظ اسم الفاعل وذلك ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل
من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد اسباب الباعثة لعلي كرم الله وجهه على ان امره بان يضع كتابا في النحو وبينهما
مناقضة لان هذه الرواية تدل على عدم صحة اطلاق المتوفي على الميت لان معناه قابض الحيوة والقراءة
تدل على صحته من جهة ان معناه المستوفي لمدة عمره بحيث لم يبق له شيء من زمن الحيوة ووجه التوفيق

جنازة ح

ماذكر السكاكي وقد نسب السائل الى علي كرم الله وجهه وهو ان السائل لم يكن ممن عرف وجه صحة ذلك فلم يصلح للخطاب به وتوجيهه على مقتضى ماذكره في كتاب الجنس المراد ان للتوفي معنيين احدهما الاماتة وقبض الروح وعليه استعمال العامة وثانيهما الاستيفاء واخذ الحق وعليه استعمال البلغاء بل معناه الاستيفاء واخذ الحق لا غير لكن غلب الاستعمال الشائع وقد يقدر مدة العمر فيكون الفاعل للميت لانه الذي استوفى اجله ومدة عمره وحظه من الحيوة وهذا من المعاني الدقيقة التي لا يتنبه لها الا الافراد من البلغاء فخفي عرف علي رضي الله عنه من السائل عدم تنبهه لذلك لم يحمل كلامه عليه وقوه علي كرم الله وجهه وزيد وعاصم في رواية المفضل يتوفون مبنيا للفاعل وكذلك ما بعده اي يتوفون اجالهم بمعنى يستوفونها هذا عبارة صاحب غرايب القرآت ويذرون ازواجا اي يتركونهن وقيل الربط حاصل بمجرد عود الضمير الى الازواج يعني ضمير يتربصن لان المعنى تتربص الازواج التي تركوهن يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي يعتددن هذه المدة وهي اربعة وعشرة ايام وقيل تانيث باعتبار الليالي والايام داخلة معها لان الشهور غرها بالليالي نظرا الى الهلال فتكون الايام تبعا لها ولذلك تراهم لا يستعملون التذكير قط في مثله ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا والتذكير انما هو خروج من كلامهم والدليل على ان المراد بقوله عشرا عشرة ايام والتانيث باعتبار الليالي قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا بعده ان لبثتم الا يوما وحكى الفراء صمنا عشرا من شهر رمضان مع ان الصوم انما يكون في الايام واعلم انه لو اراد هذا القائل انهم يستعملون الليالي في الايام فقط فهو غير موافق لتاريخهم لان تاريخهم ليس بالايام فقط وان اراد الاستعمال في الايام بلياليها وهو مذهب التغليب لكن لا يطابق قولهم صمنا عشرا وقيل ان هذا من باب تغليب المونث على المذكر وليس في العربية ما غلب فيه المونث على المذكر الا هذا وقيل لعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك في ثلثة اشهر ان كان ذكرا واربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية وكما قال الشافعي والحرة والامة كما له الاصم والحامل وغيرها لكن القياس تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن فسروه بانقضاء العدة لان حقيقته بلوغ اخر المدة فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليهن للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر فعلى الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح فوجب عليهم منعهن لو فعلن والله بما تعملون خبير فيجازيكم على حسب اعمالكم فهو وعد ووعيد ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء والتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او صالحة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك واتزوجك واخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الله بن سليمان عن خالته دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يوخذ عنك فقال او قد فعلت انما

اخبرتك

اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله تعالى وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة اي لم يكن المقالة خطبة قوله قدمي اي تقدمي او ثباتي وقوله او قد فعلت بضم التاء انكار منه ان يكون قد فعل الخطبة في العدة ثم استشهد بفعله م في شان ام سلمة فانه اكرمه ولم يكن خطبة وقد يروى بالكسر خطابا لها وانكارا عليها بخطبة الامام والتعريض ان يشار بالكلام الى جانب والغرض منه جانب آخر كالامثلة المتقدمة والكناية لفظ اريد بمعناه الموضوع له معنى ثان ملزوم له كلفظ طويل النجاد المراد به طول القامة وان لم يكن له نجاد قط ومنه جبان الكلب ومهزول الفصيل وان لم يكن له كلب ولا فصيل وهي لا ينافي ارادة الحقيقة فلا يمتنع ان يراد طول النجاد مع ارادة طول قامته وميل السكاكي الى ان بينهما عموم من وجه لتصادقهما في المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وصدق الكناية بدونه وهو كثير وصدقه بدونها في مثل اذيتني فستعرف عند القرينة المانعة عن ارادة المخاطب وتعيين ارادة الغير فانه ح يكون مجازا لا كناية واعتبر الاعتماد على القراين في الكناية وقال الزمخشري الكناية ان يذكر الشيء بغير لفظه الموضوع والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولا نظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا فكانه امال الكلام الى عرض يدل على المقصود ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده واصله من العرض بالضم وهو الناحية والجانب لانك تاتي بالمقصود من جانب الكلام وناحيته وقال ابن الاثير الكناية ما دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما ويكون في المفرد والمركب والتعريض هو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي او المجازي بل من جهة حقيقة ولا مجاز وانما فهم منه المعنى من عرض اللفظ اي من جانبه والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان الاول خص بالموعظة والثاني بطلب الارادة وقراءة زيد بن علي من خطاب النساء والمراد بالنساء المعتدات للوفات او اكننتم في انفسكم اي سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة فاذكروهن والجملة دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا عبر بالسر عن النكاح الذي هو ولا تسكتون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وفيه نوع توبيخ كقوله علم الله انكم تختانون انفسكم فالسين لمجرد التاكيد ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك الوطي لانه مما يستر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا ثم النكاح الذي هو العقد لان النكاح بمعنى العقد سبب في النكاح بمعنى الوطي كما فعل بالنكاح اي كما عبر بالنكاح الحقيقي عن النكاح بمعنى العقد اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيا من المهاجرة وسرا على هذا في موقع الظرف وهو الاظهر او التميز او الحال اي مسارين او المصدر بمعنى وعدا سرا الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا وقوله الا ان تقولوا في موقع المفعول المطلق اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة وان اعتبر حذف الباء ففي موقع المفعول به بواسطة اي لا تواعدوهن بطريق الا بان تقولوا اي الا بطريق التعريض ولو كان استثناء منقطعا من سرا على ما زعم بعضهم او قع موقع المفعول به بلا واسطة فيكون المعنى لا تواعدوهن الا التعريض وليس بمستقيم

الكناية

عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا عبر بالسر عن النكاح الذي هو

لان التعريض طريق المواعدة لا الموعود نفسه وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول
لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من
غير رفث والفحش في الكلام وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يقول انك لا يتزوج غيرك وقيل
فيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كان معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق والباين
والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على
الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى والمعنى لا تعزموا عقد عقدة النكاح اي لا تقصدوا قصدا
جازما لا تردد معه وقدر المضاف لان العزم انما يكون على الفعل كالعقد لا على نفس العقدة وقيل
معناه لا تقطعوا عقد عقدته فان اصل العزم القطع اي لا تبرموه ولا تلزموه ولا تقدموا عليه فيكون النهي
عن نفس الفعل لا عن قصده كما في الوجه الاول وبه يمتاز عنه والا في العزم بمعنى القصد معنى القطع كما
يقال هذا امر معزوم عليه ومقطوع به وذلك بدليل قوله عم لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن
لم يبيت الصيام من الليل وليس معنى بيت الصوم وقطعه الا الجزم به وقطع التردد عنه ولو كان العزم
بمعنى القطع الذي هو الفك لحملنا كلام هذا القائل على لا تقطعوا عقدة نكاح الزوج المتوفى بالكلية بحيث
يعقدون عليها عقدا اخر ولم يحتج الى تقدير المضاف فلا بد من تقديره على الوجهين لما ذكرنا يقال عقدت الحبل
عقدا والعقدة موضع العقد حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينقضي ما كتب وفرض من العدة فالمراد بالكتاب
العدة المفروضة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا يقال عزم الامر
وعزم عليه اذا قصده وقصد عليه واعلموا ان الله غفور لمن عزم عليه فلم يفعل خوفا من الله حليم لا يعاجلكم
بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل
ان رسول الله صلعم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان به حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن
او تفرضوا لهن فريضة او لاحد الشيئين لا للشك فان الكلام للافهام وقد يستعار للحتى اذا كان بعدها مضارع منصوب
ولم يكن قبلها مضارع منصوب كقوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم لان احدهما يرتفع بوجود الاخر
كالمغيا يرتفع بالغاية وقد تنصب المضارع اذا كان بمعنى الا ان وكل منهما محتمل ههنا اي تفرضوا لهن فريضة
او الا ان تفرضوا لهن فريضة ويحتمل ان تكون او بمعنى الواو وعلى هذا تكون الواو عاطفة مفيدة
للعموم بانتفاء الامرين وهما المجامعة وتقدير المهر حتى لو وجد احدهما كان جناح اي تبعة بايجاب مهر فيكون
تفرضوا مجزوما عطفا على تمسوهن ولا حاجة من الى ما ذكر من انه منصوب باضمار ان على معنى الا ان تفرضوا او حتى
تفرضوا اي اذا لم يوجد المجامعة فعدم الجناح ممتد الى تقدير المهر وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان للمطلقة
غير المدخولة نصف المهر ان سمي لها مهر والا فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة لان مهر المثل لا ينصف والدليل
على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح
المنفي ثمه وفريضة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابها على المفعول به
او المصدر ومتعوهن عطف على ما هو في موقع الجزاء اي اذا طلقتم بدون المسيس والفرض فلا مهر لهن

ومتعوهن بمعنى ان الحكم هذا او ذاك فلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار وقيل عطف على مقدر اي فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وهي درع وخمار وملحفة على حسب الحال عند ابي حنيفة رحمه الله
الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة
دراهم وهي تعتبر بحاله في الصحيح لقوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وعند الكرخي يعتبر بحالها والمطلقات
اربع مطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر فتجب لها المتعة ومطلقة لم توطأ وقد سمي لها مهر فلم تستحب لها المتعة ومطلقة
قد وطئت ولم يسم لها مهر ومطلقة قد وطئت وسمي لها مهر فهاتان تستحب لهما على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
الموسع من له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لا ما يطيقه هو الذي يختص به وقرأ عاصم وحمزة
والكسائي بفتح الدال والباقون بالسكون وهما لغتان وقرأ ابو ابراهيم قدره بتشديد الدال اي قدره الله عليه وقرأ
الضحاك وابن ابي عبلة قدره بالنصب باضمار فعل اي فرض الله على الموسع قدره وقال ابو بكر نصبه على الاغراء اي عليه ان يعطي قدره
وعن النبي عم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم قال طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال ولم يكن عندي
شيء قال متعها بقلنسوتك وعندنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها كما ذكرنا قال البيضاوي ومفهوم الاية يقتضي ايجاب
المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم
على المفهوم متاعا تمتيعا تاكيد لمتعوهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا
او واجبا عليهم او مصدر لفعل محذوف اي حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع
وسماهم محسنين قبل الفعل باعتبار ما يؤول كقوله عم من قتل قتيلا فله سلبه وفيه من الترغيب والتحريض ما لا يخفى
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم اي فعليكم نصف ما فرضتم
او فالواجب وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وتقديره على ما قيل ان التطليق قبل المسيس على قسمين
اما قبل الفرض وهو المذكور في الاية السابقة واما بعد الفرض وهو ما في قوله وان طلقتموهن من قبل الى قوله
فنصف ما فرضتم وهذا القسم في مقابلة ذلك القسم وحكمه اثبات المهر فيكون ذلك القسم نقيض ذلك الحكم وهو نفي المهر
فالمراد بنفي الجناح نفي المهر وقرأ السلمي فنصف ما فرضتم بضم النون وهو لغة الا ان يعفون اي المطلقات فلا
ياخذن شيئا واللفظ يحتمل التذكير والتانيث ووجه الامتياز ان الواو في الاول ضمير والنون علم الرفع وفي الثاني
لام الفعل والنون ضمير النساء والفعل مبني ولذلك لم تؤثر ان ههنا فهو في محل النصب ونصب المعطوف عليه وهو قوله
او يعفوا لا على ظاهره بل على محله وروي شاذا ان ابا عمرو لا ينصب او يعفو بل يجعله ابتداء وروي اسحق بن ابراهيم
في قراءتنا فهم الا ان يعفون او تعفوا الذي بالتاء خطابا للنساء في تعفون وللرجال في تعفوا اي تعفون انتن
ايها النساء او تعفوا انتم ايها الذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفوا المطلقات عن ازواجهن
او يعفوا الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وقيل
هو الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مشعر بان الطلاق
قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب ابو حنيفة وبعض الشافعية والاول ظاهر الصحة
لتحقق العفو هناك وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الثاني وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى

وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسمية الزيادة على الحق عفوًا فيها نظر لان معنى العفو اسقاط
شيء وتركه لا اعطاء زيادة وانما هو فضل او سمي اعطاء الزوج عفوا على المشاكلة لوقوعه في صحبة عفو المراة
او لانه كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فان طلقها قبل المسيس استحق استرداد النصف فهو ان
يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا لم يسترده فقد عفى عنه فان قيل كيف صح العطف على المستثنى وحكمه ترك الواجب وههنا
الزيادة عليه اجيب بانه من جهة اشتراكهما في ان ليس معهما اعطاء النصف فعلى الزوج نصف المفروض الا ان
تعفو المراة فلا شيء او يكمل الزوج فله نصف بقي الكلام في ان الاستثناء متصل او منقطع وعن جبير ابن مطعم
انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي
وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كله فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت
رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل وفي الحكاية الاولى ان او يعفو اشارة الى اكمال الزوج المهر وفي الثانية ان
الفضل في ولا تنسوا الفضل دال عليه ولا تنسوا الفضل بينكم والفضل التفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم
على بعض وتتراوا ولا تستقصوا وقرا الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب
تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقرا ابو نهيك وان يعفوا بالياء يعني الذي بيده عقدة النكاح وقرئ ولا
تنسوا الفضل بكسر الواو على اصل تحريك الساكن وقيل اجري واو الضمير منزلة واو غير الضمير وكره التقاء الساكنين
اخرا والساكن اذا حرك حرك بالكسر وقرا علي وابو حيوة وجماعة ولا تناسوا الفضل ان الله بما تعملون بصير
لا يضيع تفضلكم واحسانكم فيجازيكم بذلك وفي الآية من الندب الى المروة والانسانية ما لا يخفى حافظوا على
الصلوات امر بالمحافظة والمداومة على الصلوات الخمس في مواقيتها بوضوئها وركوعها وسجودها كذا قال ابن عباس رض
وقيل امرها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى
اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى منها من قولهم للافضل الاوسط ولزيادة فضلها افردت بالذكر وهي صلوة
العصر لقوله عم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله قبورهم وبيوتهم نارا او لقوله عم
انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب كان سليمان عم شغلته خيل تعرض عليه ففاتته
صلوة العصر فجاء بالخيل وعقرها غضبا لغواتها وعن حفصة انها قالت لكاتب المصحف لها اذا بلغت هذه الاية
فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله يقروها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وقيل هي
قراءة عبد الله وعن ابي هريرة وابن عمر انهما قالا الصلوة الوسطى صلوة العصر وعن عائشة وابن عباس رض الصلوة
الوسطى وصلوة العصر الواو فيه يكون التخصيص لصلوتين احديهما الوسطى اما الفجر واما الظهر واما المغرب على
اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لكثرة اشتغال الناس بالتجارة في وقتها
واجتماع الملايكة وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوة عليهم فكانت
افضل لقوله عم افضل العبادات احمزها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل والواقع
في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وعن قبيصة بن ذويب هي المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار
ولا تنقص في السفر من ثلث وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين في طرفي النهار ومما يدل

على انها

وعما يدل على انها العصر قوله علي بعم حيث قال كنت ظننت انها صلوة الفجر حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يوم الخندق وقد شغل عن صلوة العصر ملا الله بطونهم وقبورهم نارا شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر
وقرا عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرأت عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على الاختصاص وقرأ نافع الوصطى بالصاد و
وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما ويجوز ان يكون له متعلقا بقانتين
ويؤيده ما قال ابن مسعود كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا عن ذلك وقيل خاشعين وخشوع القائم في الصلوة ان يكون منتهى
بصره موضع سجوده على رواية طلحة رح وعن مجاهد هو الركود ولين الايدي والبصر وروى انهم كانوا اذا قام احدهم
الى الصلوة يهاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصا او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا وقال ابن المسيب المراد
بالقنوت في الصبح فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين والرجال
جمع راجل كقايم وقيام او رجل يقال رجِل رجُل اي راجل وقرئ فرُجالا بضم الراء ورجّالا بالتشديد ورجلا قال الكسائي
وقرا بعضهم فرجلا على انه جمع رجال مثل كتاب وكتب وثماد وثمر وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف
وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله صلوا
صلوة الامن او اشكروه على الامن واذكروه بالعبادة كما علمكم كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع وكيفية حالة الخوف و
الامن وما كافة او مصدرية او موصولة او على الوجه الذي علمكم ما لم تكونوا تعلمون ثاني مفعول علمكم والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرا ابو عمرو وحمزة وابن عامر وحفص عن عاصم وصية بالنصب و
قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرا الباقون بالرفع على تقدير وصية الذين يتوفون
او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية لازواجهم
او عليهم وصية لازواجهم وقراءة ابي متاع لازواجهم متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم مكان قوله وصية لازواجهم بالرفع
وفي حرف عبد الله الوصية لازواجهم بالكلام والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ولو جعل وصية او متاع مبتدا لمحذوف
الصفة ولازواجهم خبره اي وصية منهم كاينة لازواجهم لم يبعد متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية
على حذف الجار اي بتمتيع الى الحول ان كانت وصية رفعا او نصبا بتقدير الذم وعلى قراءة ابي نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع
كالسلام والكلام ومنه الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا او الضرب لزيد ضربا شديدا غير اخراج
بدل من متاعا او مصدر موكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتو
فون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخر
جن من مساكنهن وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في
التلاوة متاخرة في النزول وقيل بل نسخت الزيادة على اربعة اشهر وعشر وبقيت هي بالنص الاول ونسخت النفقة
بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى مدة العدة فعندنا لا سكنى لهن لصيرورة ما لهم للوارث وانقطاع
ملكهم بالموت وقيل السكنى لهن ثابتة لقوله عم اسكني في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله يعني البيت الذي كانت هي

اى ... الذين علمكم

يعضده

اي بحكم قوله والذين يتوفون منكم
وفيه رد ازواجا وصية لازواجهم

ساكنة فيه ولم يكن ملكا لها فان خرجن من منزل الازواج بعد انقضاء الحول فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من التزيين والتعرض للخطاب من معروف مما لا ينكر فيه شرعا وقيل فيه دلالة على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف احكامه حكيم يراعي مصالح عباده فيكلف على ما تقتضيه طاقتهم وللمطلقات متاع بالمعروف عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها الواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخولة وهذا بالنظر الى ظاهر اللفظ وان كان مخالفا لما هو المذهب عند اصحابنا على ما مر وقرئ زيد بن علي وللمطلقة بالافراد وقال حقا على المتقين كما قال ثم حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد عم التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل يجوز ان يكون اللام للعهد والتكرار للتاكيد او لتكرر القصة وهو بعيد جدا وكذا القول بتخصيص هذا العام الآية السابقة الواردة في المطلقة قبل المسيس وفرض المهر لابتنائه على افراد بعض افراد العام بحكم يدل على كون البعض الآخر بخلافه وان تخصيص المنطوق بالمفهوم جائز وذلك ما قال بعضهم ان تفسير هذه الآية بوجوب المتعة لعموم المطلقات بناء على مذهب الحنفية المذكورة في الآية السابقة اللهم ان يقال مفهوم تلك الآية تخصيص منطوق هذه الآية لكن الحنفية لا يقولون بالمفهوم وقال القاضي البيضاوي وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب ثم جعل الاثم منهما ليس من استعمال المشترك في معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز اذ ليس هيهنا صيغة امر كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة او الى مصدر الفعل المذكور بعده واذا الحقت فالكاف مقحم اي مثل ذلك الامر لا يكادون يتركونه في لغة العرب والعجم اي ذلك التبيين العجيب يبين الله لكم آياته قيل وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون كي تفهموا منها وتستعملون العقل فيها الم تر الهمزة في مثل للتقرير اي لحمل المخاطب على الاقرار بادخال النفي والجار الى والخطاب هيهنا يجوز ان يكون خاصا وان يكون عاما فعلى الاول قوله الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وتعجب من شانهم والروية يتعدى بنفسه دون الجار لكن كونها موصولة بالى ان كانت بمعنى الابصار فلاعتبار معنى النظر وان كانت ادراكا بالقلب فلتضمين معنى الانتهاء كانه قيل الم ينته علمكم اليهم وعلى الثاني تخاطب به كل من يتاتى منه الروية كقوله ولو ترى لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب وهو الاوجه دلالة على شهرة القصة بحيث ينبغي لكل احد ان يتعجب منها وقرا السلمي الم تر بسكون الراء وهو لغة فان بعض العرب يسكن الحرف الذي يسقط للجزم كان ساكنا فلما سقط ما قبل ذلك سكن الحرف الذي يليه الى الذين خرجوا من ديارهم هم اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من قضاء الله وقدره وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني

في قوله وهم الوف ايماء بان ... بها فلا خرجوا فرارا منه وليدل على انه يجوز الخروج من بلدة الطاعون على غير سبيل الفرار منه اذا اعتقد ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وكذلك حكم الداخل اذا ايقن ان دخوله لا يجلب اليه قدرا لم يكن الله قدره له فمباح له الدخول والخروج منه

بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف جمع كثرة مع التنكير فيدل على الكثرة اي الوف كثيرة قيل ثمانية الف وقيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف كقاعد وقعود وليدة لفظا ومعنى وفي رواية قيل انه من بدع التفاسير قالوا والحال حذر الموت مفعول له اي خرجوا من ديارهم مخافة الموت فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا يريد انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله من غير علة وهو اسلمه وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوا امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله وقيل تاديبهم بذلك وانما ابتلاهم الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم وفيه ابطال قول من يقول بامتناع الاحياء بعد الموت وينكر عذاب القبر حيث اماتهم ثم احياهم ومن تامل في عجايب ملكه وملكوته وغرايب قدرته وجبروته لم يستبعد امثاله فكيف فضلا عن الاستحالة ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا والفضل بمعنى التفضل والاحسان ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرون تفضله وانعامه ولا يعبدون حق عبادته وقيل لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يكون المراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وانه لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب وفي اتباع القصة دلالة على انها سيقت حثا على القتال وتشجيعا على الجهاد واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلفون والسابقون من اهل الجهاد عليم بما يضمرون وهو من وراء الجزاء يسوقه حيث يشاء ومتى يشاء من ذا الذي يقرض الله محله الرفع على الابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقرضوا الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب ثوابه لان حقيقة اعطاء العين على وجه يطلب بدله قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله فعلى الاول مفعول مطلق اي من ذا الذي يجاهد في سبيل الله مجاهدة حسنة وعلى الثاني ان يكون مفعولا به اي من ذا الذي ينفق نفقة في سبيل الله طلبا للثواب الكثير ولا يخفى ان حمل القرض على النفقة والاقراض على الانفاق اقرب لما قد نزلت الآية في شان ابي الدحداح حين تصدق بحديقة له فالحمل على الجهاد انما هي مبني على المناسبة لكونه مابعده وما قبله حديثا في الجهاد فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله واحد وقرا حمزة وابو عمرو والكسائي ونافع بالرفع وقرا ابن كثير بالرفع مع حذف الالف وابو عامر ويعقوب بالنصب مع حذفها وفي ارتفاعه وجهان ان يكون عطفا على يقرض وهو ظاهر وان يكون خبر مبتدا محذوف اي فالله يضاعف له يكتب بالواحدة عشرا او سبعمائة والفا والفين الى ما شاء الله من الزيادة وقرا الجحدري فيضاعفه باسكان الفاء وقال ابو حاتم لا يجوز الا ان يريد الاخفاء كتسكين الحركات اضعافا كثيرة اي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة وهي جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمين المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع وعن الازهري الضعف في كلام العرب المثل الى المثل

لما زاد والله يقبض ويبسط قيل يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته وقيل يوسع على عباده ويقتر
فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدل لكم الضيقة بالسعة وفيه عكس الترتيب ولعل ذلك تنبيه على ان المقصود في
هذا المقام وانما ذكر القبض للمقابلة وبيان كمال القدرة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم وذكر الرجوع اليه
دلالة على انه ينفع في الدارين وقرئ ويبصط بالصاد لتقارب ما بين السين والصاد كما في سراط ومصراط قال
ابو حاتم هما لغتان فكيف قراءات فانها مصيب الم تر الى الملأ من بني اسرائيل الملأ الاشراف ذوات الواحد وسموا
ملأ لانهم يملؤون العيون والقلوب وقيل الرجال ليس معهم نساء وقيل جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم
ومن للتبعيض من بعد موسى ومن هذا لابتداء الى من بعد وفاته اذ قالوا اى حين قال النبي لهم هو يوشع او
شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه طلبوا
من نبيهم مثل ما كان يفعل نبينا صلى الله عليه وسلم من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال
اوامره وقيل انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وينتهي الى امره نقاتل في سبيل الله
قرئ بالنون والجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على انه حال ابعثه لنا مقدرين القتال لان الحال قيد للفعل
وهو في زمان البعث ليسوا على حال القتال بل على تقدير القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك
فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
ان لا تقاتلوا وقع الشرط فاصلا بين عسى وخبره وهو قوله ان لا تقاتلوا والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني
هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلوا اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب
عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنونه واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت
للتوقع اى تثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه وان كان ان في من التقدير للحمل على الاقرار كقوله
هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ نافع هل عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل
الله اى واى داع لنا الى ترك القتال اى اى غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا حال عامله لا نقاتل
او الظرف وهو لنا اى وقد عرض لنا ما يوجب القتال من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت
ومن تابعه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل واخذوا
ديارهم وقد اخرجنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد
اهل بدر ومعنى تولوا اعرضوا عن القتال وتركوه ولم يثبتوا وقرئ ابو البرهسم فلما كتب عليهم القتال
يعني كتب الله والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في الاعراض والقعود عن القتال وترك الجهاد وقال
لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قد انهض للقتال معكم طالوت امير اطالوت علم عبري كدا
ود ولكونه عبرانيا موضوعا في العجم امتنع من الصرف وزعم بعضهم انه من الطول لما وصف
به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان منه فعلوت اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون

من الطول

من الطول لان تحجمه فيا في كونه مشتقا من الطول الا ان يأول ويقال انه اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطة
وبشمالا ارحانا بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عربيا
تحكم بالاشتقاق نظرا الى ظاهر الموافقة وامتناع الصرف نظرا الى حقيقة العجمة روى ان نبيهم لما دعا الله ان يملكهم
اوتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا وانى يستعمل تارة بمعنى
كيف واخرى بمعنى من اين وكل منهما يستقيم ههنا اى كيف ومن اين يكون له ذلك انكار التملكه عليهم واستبعادا
له ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد
انتظمها معا في الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق كيف التملك لوجود من هو احق بالملك و
وانه فقير لا يملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين
ولم يكن فيهم النبوة والملك بل كانت النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا وكان فيهم
من السبطين خلق وقرئ زيد بن علي سعة بكسر السين قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما انكروا واستبعدوا التملك عليهم لفقره وسقوط نسبه رد الله تعالى عليهم
ذلك اولا بالعمدة فيه اصطفاء الله قد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله وثانيا بان الشرط فيه
وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم في القلوب واقوى على مكابدة الحروب وقد
زاده فيهما اى في العلم والجسم قيل اوحي اليه ونبئ وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه وثالثا بان الملك
لله غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك ورابعا بانه واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من
المال ويغنيه بعد الفقر عليم بما يليق بالملك من النسب وغيره عليم بمن يصطفيه للملك في البسط السعة والامتداد والمراد بها
لعلم المونق بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات فانه كان من اعلم بني اسرائيل بالامور السياسية والامور
الدينية وقرئ زيد بن علي بسطة بضم الباء وقال لهم نبيهم حين طالبوا منه حجة على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم
ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت التابوت صندوق التورية وكان موسى عم اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل
ولا يفرون وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين ووزنه فعلوت من التوب وهو الرجوع فانه لا يزال يرجع
اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته وليس بفاعول لقلة ما فاؤه ولامه من جنس واحد كقلق وسلس فلا يكون فاعولا الا
بثبت بل فعلوت واما من قرا بالتابوه بالهاء وهي قراءة ابي وزيد بن ثابت ولغة الانصار فهو اى التابوه بالهاء فاعول عنده لعدم فعلوه
بان يكون من التوب والهاء زائدة الا فيمن جعل الهاء بدلا من التاء فيكون فعلوه كما ابدلت من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس
والزيادة الا ان ابدال الهاء من غير التانيث ضعيف فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اى في اتيان التابوت
سكون لكم وطمانينة او للتابوت اى مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وقيل صورة كانت فيه من زبرجد
او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا
استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة اى كالريح

وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عم وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه
مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن وهذا اشبه بكلام المتصوفة وبدع التفاسير وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون يعني رضا
ض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وشيء من التورية وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شا
نهما والانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما
تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله
طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به حتى افسدت بنو اسرائيل فغلبهم
الكفار عليه اي اخذوه من بني اسرائيل قهرا وغلبة واستيلاء وكان في ارض جالوت الى ان اراد الله ان يملك طالوت
اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما
الملائكة الى طالوت وقرأ ابو السمال سكينة بفتح السين وتشديد الكاف وهو غريب لا يوجد في الاوزان وقرأ تحمله بالياء
ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان في اتيان التابوت علامة بينة وحجة ظاهرة على ان الله ملكه عليكم ولعلّه
هذا من كلام نبيهم ويجوز ان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما عرفوا انه من الله واطاعوه تجهز
طالوت وخرج بالجنود لقتال اعداء الله وذلك قوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده
لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ثم كثر حذف مفعوله حتى صار في حكم اللازم كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا
ويجوز ان يكون كونه وصده مثل روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل با
التجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون
الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم اي مختبركم من النهر
وقرأ ابن السميفع وابو بكر فلما انفصل بقوله قال ان الله مبتليكم بنهر اي معاملكم معاملة المختبر والواقع
موقع الجواب كانه قيل فما قال فقال التوه من النهر لكنه مبتليكم به كي يتميز المخلص من غيره فان الابتلاء انما كان
ليظهر عند طالوت من له الاخلاص في نيته من غيره وقيل هو بل اخبره بالوحي ليختبر قومه بان الله مبتليكم بنهر وقرئ
بنهر بالسكون فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس من بعده اتصالهم اي فليس
بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاتحادهما او فليس من جملتي واشياعي فلو جعلته تبعيضية لم
يبعد ومن لم يطعمه فانه مني استعمال الطعم في معنى الاكل شايع لكن لما ورد لم يطعمه في مقابلة شرب منه كان المناسب
ان يفسر بلم يذقه ومنه طعم الشيء اذا اذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
اي النقاخ الماء العذب وقد جعله مفعولا لم اطعم وعطف عليه البرد وهو النوم وقد استعمل الذوق فيه كما في
قولهم ماذقت غماضا بالضم والفتح اي قليل نوم وما ذقت اليوم نحسي نوما ونحوه من الابتداء اهل ايلة
من ترك الصيد مع اتيانه الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب لانهم في السنو الزمان وقت قيظ فهم مضطرون
الى الماء بخلاف اهل ايلة فانهم حاضرون في البلد ولا حاجة لهم الى الحيتان لان لهم بلوانا والله اعلم وذكر

طالوت

طالوت بالوحي ان كان نبيا لما روي عن بعضهم او باخبار النبي عم الآمر اعتنى الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله
فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة وتقديمها عليها للعناية بها لان بيان حال الاخذ بالغرفة اتم من الا
خذ ما لم حصته كما قدم الصابئون على خبر ان لذلك فكان في الحقيقة بعد خبر الخبر سواء كان عطفا على محل اسم ان او
مبتدا محذوف الخبر عطف الجملة على جملتها او اعتراضا ومعنى الاستثناء الرخصة في اغتراف غرفة باليد دون الكرع
في الماء والشرب بالفم والدليل عليه قوله فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم فالشرب في الموضعين
بمعنى الكرع وهو المنهي عنه بخلاف الاغتراف فانه ليس بمنهي بل رخصة وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف
قال المطرزي الغرفة بالضم الماء المغروف وبالفتح المرة من الغرف وقرأ ابي والاعمش الا قليل بالرفع ميلا الى جانب المعنى
لان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم والا فالواجب النصب لكونه استثناء من كلام
موجب ذكر المستثنى منه ومنه قوله لم يدع من المال الا مسحت او مجلف كانه قال لم يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل
لم يتبع طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا ويعضده قوله عم لاصحابه يوم بدر انتم على عدد المرسلين وقوم طالوت ثلثمائة
وثلثة عشر وقيل الف وقيل ثلثة آلاف وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت
شفاههم وغلبهم العطش ولم يقدروا ان يمضوا وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي
فلما تعدى النهر طالوت والقليل الذين امنوا معه فيكون قوله والذين امنوا من وضع المظهر موضع المضمر لانه ا
شارة الى القليل الذين لم يشربوا والضمير في قالوا عائد اليهم باعتبار البعض اي قال بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم
بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم روي انه كان مع جالوت مائة الف كلهم شاكون في السلاح قال الذين يظنون انهم ملا
قوا الله وهم البعض الآخر الذين هم اشد يقينا واخلص اعتقادا اي قال المخلصون منهم الذين ايقنون لقاء الله او
يتوقعون انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون وان تساووا في اصل اليقين والاعتقاد جاز ان يتفاوتوا
في قوة اليقين ونصوع الاعتقاد والبصيرة وقيل الضمير في قالوا عائد الى الكثير الذين انخزلوا عنه وشربوا منه والذين
يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا به وذلك بينهما بنظر او لكن عذرهم في الانخزال ورد هؤلاء عليهم
ما يعتذرون به فيكون والذين يظنون من وضع موضع المضمر حيث الشربة الا الذين امنوا وقرأ الخليل ملاقوا الله بالنصب
يريد ملاقون الله كقوله والمقيمي الصلوة اي والمقيمين الصلوة كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بارادة الله
ولطفه وامره وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام ومن مزيدة او مبينة والفئة الطائفة من الناس فيئة اذا رجعت او من
فاءت برأسه اذا شققته فوزنها فعلة او فعة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم
ودنوا منهم وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل وقرأ ابن السميفع ولما برزوا
بضم الباء وتشديد الراء وابو البرهسم ولما برزوا بفتح الباء وتشديد الراء يقال برز فلان اذا اخرج جيله
وثقله ومضاربه قالوا ربنا افرغ علينا صبرا اصبب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى نفيض ونغمرنا كما يفرغ
الماء افراغا او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما خذل به الكثير المنخزلون الشاربون

وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يدفع العذاب بمصلى من امتي عمن لا يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن
لا يجاهد ولو اجتمعوا على ترك هذه الاشياء ما انظرهم الله طرفة عين ثم تلا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض فرحلي

او النفس والشيطان وجنودهما المفسدون لانهم يفتنوا انهم اذا استقاموا وجروا لا يضرهم ذلك من شيء وتر لهم النصر و
ثبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلب والقاء الروع والرعب في قلوب العدو ونحو ذلك من الاسباب
وانصرنا على القوم الكافرين اضبتوا الى الله بالدعاء وطلبوا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر مقدما على طلب تثبت
الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على الاعداء ليكون طلبهم الى ربهم عن نصوح وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة
واللام اي يحتمل ان يكون للعهد اشارة الى جالوت وجنود الكافرين وهو الظاهر وان يكون للجنس اي وانصرنا على كل من عادينا من القوم الكافرين من جالوت وجنوده والشيطان ونحوهم فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او بمعا وجعلهم لنصرة
ايانا بهم اجابهم لدعائهم وقتل داود جالوت كان ايشي ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم و
هو صغير يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى شمويل ان داود بن ايشي هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلثة
احجار دعاه كل واحد منها ان احملني وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى كان بها جالوت فقتله وزوجه طالوت
بنته اي بنت طالوت فان داود قال له ما تصنع من يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه ابنتي واجعل له نصف ملكي ولما زوجه
فاراد ان يدفع اليه نصف ملكه قال له وزراءه لو فعلت ذلك يفسد عليك الملك فامتنع واراد قتله وكان في ذلك ما
شاء الله حتى دفع النصف اليه ثم خرج الى الغزو فقتل هناك فتحول الملك كله الى داود وقيل بنت جالوت وروى ان
طالوت حسد داود على الزوج واراد قتله ثم تاب ولعله تزوج بالبنتين وهو وجه التوفيق بين الروايتين
والله اعلم بذلك واتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها ولم يجتمعوا قبل
داود على ملك قط والحكمة اي النبوة وانزل عليه الزبور داود بحماية وعشرين سورة وعلمه مما يشاء من الشعر
دو صنعة اللبوس وكلام الطيور والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اللام للجنس
وقد يتوهم العهد اي ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لفسدت الارض لغلب
المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر به الارض
فان فساد الارض اما فساد الكفار فيها وقتل المسلمين ومثل ذلك مما يفضي الى خرابها وتعطل مصالحها واما هلاك اهلها
بالكلية بشوم عموم الكفر وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل
المسلمين او لم يدفعهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض فالبعضان معينان على هذا الوجهين
فان البعض المدفوع بهم الكفار والمدفوع بهم هم المسلمون على الوجهين بخلاف وجه الاول فانهما فيه على ابهامها
مهما ولكن الله ذو فضل عظيم على العالمين حيث تفضل ومن عليهم بالدفع عنهم عن ابن عمر قال النبي عم
ان الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الاية وفي الاثار بعض و
لولا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رتع لصبت عليكم العذاب صبا ومن الحسن لولا الصالحون لهلك الطالحون
وقرا نافع لولا دفاع بكسر الدال والالف وكذا في سورة الحج ان الله يدافع بالالف وقرا ابن كثير وابو عمرو وبغير الالف فيها
وقرا عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر ولولا دفع الله بغير الالف ان الله يدافع بالالف والدفع والدفاع مصدران

وقال ابو الدرداء قوم اصطفاهم الله النفس هم اربعة اصحاب منهم ثلثة رجلا على مثل قلب ابراهيم عليه السلام بهم يدفع الله المكاره عن اهل الارض والبلاء ...

لدفع

لدفع يقال دفعه دفعا ودفاعا كتب كتبا وكتابا تلك ايات الله اشارة الى القصص التي قصت من حديث الالوف
واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واتيان التابوت وقتل داود جالوت وانهزام الجبابرة على يد صبي مبارك والاحسن ان
يكون اشارة الى هذه والى ما سبق عليها من اول السورة بدليل قوله نتلوها عليك فان المتلو جميع ما سبق مع ان التقييد
تخصيص من غير دليل نتلوها عليك بالحق باليقين والوجه المطابق الذي لا يشكك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وهو خبر
بعد خبر او تلك مبتداء وايات الله صفته ونتلوها عليك خبره ويجوز ان ينتصب تلك بمضمر يفسره نتلوها وقوله بالحق متعلق
بمصدر محذوف اي تلاوة بالحق او حال من الضمير المنصوب اي نتلوا الايات حال كونها ملتبسة بالحق مقترنة به بعيدة من
الباطل وقرا الخليل وابو نهيك يتلوها بالياء وانك لمن المرسلين اي تلك الايات حجج قاطعة وبراهين ساطعة على
صدق نبوتك وحقيقة رسالتك لانها اخبار لا يعلمها الا من شاهدها وحفظ وقراء وخالط اهل الكتاب وتعلم
منهم او من يوحى اليه وانت ما شاهدتها ولست بقارئ ولا بمقتبس شيئا من اهل الكتاب بل انما عرفتها بوحي من الله تعالى فتبين
انها وحي سماوي وانك من المرسلين حيث تخبر بها من علم ان تتوقف بقراءة ولا استماع اخبار تلك الرسل اشارة الى الجماعة
الرسل المذكورة قصصها في السورة فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله اي منهم من فضله الله بان
كلمه من غير سفير وهو موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى كلم موسى بمائة الف واربعة وعشرين الف واربعمائة كلمة وثلثة
عشر كلمة وكان الكلام من الله والاستماع من موسى فقال اي رب انت الذي تكلمني ام غيرك قال الله تعالى انا الذي
لا رسول بيني وبينك وقيل موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم كلم الله موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا عم ليلة المعراج حين كان قاب قوسين
او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله بالنصب وقراء اليماني كالم الله بالنصب من المكالمة فانه كلم الله
كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالم كالانيس بمعنى المؤانس والجليس بمعنى المجالس وغير ذلك ورفع بعضهم درجات
اي ومنهم من رفع الله على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة ومراتب متباعدة
وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث خص بالدعوة العامة وبايتاء ما لم يؤت احد من الايات المتكاثرة
والمعجزات المستمرة والحجج المتكاثرة المرتقية الى الف او اكثر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر ولو لم يؤت
الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي النبيون جميعا لانه المعجزة الباقية على وجه كل زمان الدائرة
على كل لسان في كل مكان هذا هو الحق في افضل الانبياء على ما استقر عليه راي العلماء وفي هذا الابهام من
تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والتمييز الذي لا يلتبس لمن رسول
الله عم اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي وجلالي لاوثرن حبيبي على خليلي ونجيي
وعن جابر ان النبي عم قال ان الله اعطى موسى الكلام واعطاني الرؤية وفضلني بالمقام المحمود والحوض المورود
وعنه عم اتاني جبرائيل فقال يا محمد ان الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك وعزتي وجلالي لولاك ما
خلقت الجنة ولولاك ما خلقت الدنيا وقد نزل عليه جبرائيل اربعا وعشرين الف مرة بخلاف غيره من الانبياء
فانه نزل على ادم عم اثني عشر مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى نوح خمسين مرة وعلى ابراهيم اثنين واربعين

مرة وعلى موسى اربعماية مرة وعلى عيسى عشرا وقيل ابراهيم عم خصصه بالخلة التي هي اعلا المراتب وقيل ادريس لقوله ورفعناه مكانا
عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته
وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل النبي عم فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن
زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها ثم نقول بهذا التواضع منه وهضم لنفسه جمعا بينه وبين احاديث التفضيل
كقوله لا تفضلوني على يونس بن متى الحديث تعظيما وتنبيها على علو شانه وانه افاضل الانبياء وكما قال الله تعالى وان
يونس لمن المرسلين وتعليما للتواضع وهضم النفس والا فهو سيد المرسلين وامام المتقين بلا ريب واتينا عيسى
بن مريم البينات وايدناه بروح القدس وخص موسى وعيسى من بين ساير الانبياء بالذكر لافراد اليهود والنصارى
في تعظيمها وتحقيرها ولما اوتيناهما من الايات العظيمة الواضحة والمعجزات الباهرة ولغدين الآخر وجه التفضيل حيث
جعل التكليم لموسى والتبيين والتأييد لعيسى من الفضل وكل من هذه الثلثة اية من الايات فلما كان الانبياء قد جعل
ما اوتيا من عظام الايات سبب تفضيلهما خصهما بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا
بالايات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا عم هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها كان المشهود له
بامراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم احشرنا في زمرة اصحاب الاخيار يوم الدين بفضلك وكرمك يا اكرم الاكرمين وتمايد له
انه افضل الانبياء قوله عز من قايل كنتم خير امة اخرجت للناس فان خيرية الامة انما هي بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع
لكمال نبيهم الذي يتبعونه وقوله عم ان الله تعالى اختارني على الانبياء واختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمر
سلين واختار من اصحابي اربعا ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والاحاديث في هذا الباب كثيرة وقد اجمع على هذا اهل
الحق باسرهم ومما يجب التنبيه له ان الرسالة والنبوة عندنا رحمة وموهبة متعلقة بمشية الله تعالى فقط وهو اعلم حيث يجعل رسالته والرسل جمع
من الرسالة وهو سفارة العبد بين الله وبين الناس يزيح بها عللهم وشبههم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدارين وقد
يشترط فيه الكتاب بخلاف النبي عم فانه اعم ولو شاء الله عدم الاقتتال ما اقتتل الذين من بعدهم ما اختلف الذين من بعد الرسل
بالاقتتال من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا قال الزجاج يحتمل وجهين
ولو شاء الله ما امر بالقتال بعد وضوح الحجة والثاني ولو شاء الله لاضطرهم الى ان يكونوا مؤمنين كما قال ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى ولكن اختلفوا في الدين فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من
كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد اي ولكنه
لم يشا عدم الاقتتال بل شاءه فثبت لانه يفعل ما يريد اي كان فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء
عدلا لا راد لامره ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون والاية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام
وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن يتقاطع لان اعتبار الظن مما يتحقق بالعمل فان الحوادث
تابعة لمشية الله تعالى خيرا او شرا كفرا او ايمانا والمشية والارادة عبارتان عن صفة في الحي يوجب

تخصيص

انه اثبات الربوبية لذاته ولا اله الا هو نفي الالوهية عن غيره
سواه

تخصيص احد المقدورين في احد الاوقات بالوقوع مع ان نسبة القدرة الى الكل سواء وكون تعلق العلم تابعا للوقوع
يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم اختلفوا فيه فقيل اراد الانفاق الواجب وهو الزكوة المفروضة لاتصاله
الوعيد به وهو قول السدي وقيل صدقة التطوع من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لا
بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يعينكم خليله اخلايكم او يسامحونكم به ولا شفاعة الا من اذن له الرحمن
ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم والمعنى من قبل اتيان يوم ليس فيه مبايعة ولا مخالة ولا شفا
عة واصل الشفاعة والعفو ثابت بالادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الامة وهي عندنا لاهل الكباير من الامة
ليسقط العقاب عنهم لقوله عم شفاعتي لاهل الكباير من امتي ولقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
اي لذنب المؤمنين لدلالة الترتيبة السابقة وهي ذكر الذنوب وعند المعتزلة انما هي لزيادة الثواب لا لدرء العقاب
وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب ثلثتها بالفتح على الاصل والباقون بالرفع وانما رفعت ثلثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير
جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرا زيد بن علي لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة برفع الاول ونصب الاخرين وار
تفاعه بالابتداء او بلا على انها بمعنى ليس وجاز الابتداء بالنكرة لافادتها بما تضمنه من العموم في غير الموجب والكافر
ون هم الظالمون يريد والتاركون الزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على
غير وجهه وعبر عن تارك الزكوة بالكافر تغليظا عليهم وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج فشبه ترك الزكوة
بالكفر او سماه كفرا لانه يؤل اليه او تعبيرا باللازم عن الملزوم حيث جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فعلى الاول استعارة تبعية او مجاز مشارفة وعلى الثاني كناية او مجاز
لزوم وايا ما كان ففي تصويره ترك الزكوة بصورة الكفر حث للمؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد على
منعها وايذان بان تركها من صفات الكفر ولوازمهم فاحذروا واجتنبوا ايها المؤمنين ان يتصفوا به
الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه الواجب الوجود المستحق للعبادة لا غير وقد سبق تقرير ما فيه من الخلاف
بين القوم وما فيه من الاسمين الاعظمين الحي في اللغة ذو الحيوة وهي ههنا صفة ازلية توجب صحة العلم وفي الاصطلاح
الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان وقرا النخعي والاعمش
الحي بالنصب والتخفيف القيوم قيل الباقي الدايم فهو صفة نفسية وقيل المدبر للمخلوقات باسرها وهو صفة
فعلية وقيل الدايم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام بوزن فيعال وهو حرف عمر بن
الخطاب وابن مسعود رض واصله قيووم قلبت الواو ياء ثم ادغمت والقيم وهو في مصحف عبد الله رض لا تاخذه سنة
ولا نوم السنة الفتور يتقدم النوم وتسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعا
س فرنقت في عينه سنة وليس بنايم اصلها وسنة كعدة وسن بالكسر يوسن فهو وسنان اي
لا ياخذه نعاس ولا نوم والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الا
بخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس بالكلية وفي تقديم السنة مراعاة ترتيب

وفي الخبر من قراية الكرسي دبر كل صلوة
كان الذي يتولى قبض روحه ذو الجلال
والاكرام وكان كمن قاتل مع انبياء الله
حتى يستشهد

ويقال اسم الله الاعظم ويقال ان عيسى بن مريم كان
اذا اراد ان يحيى الموتى يدعو بهذا الدعاء يا حي
يا قيوم ويقال اصف بن برخيا لما اراد ان يحمل عرش
بلقيس الى سليمان دعا بقوله يا حي يا قيوم

والنعاس ما كان من العين فاذا صار في القلب
صار نوما وقال السدي السنة ريح النوم الذي
ياخذ في الوجه فينعس الانسان وبالجملة فنوم
يعتري الانسان ولا يفقد معه عقله

قال مجاهد وعطاء والسدي ما بين ايديهم من امر الدنيا وما خلفهم من امر الآخرة

فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن قاضي

الوجود على الترتيب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة قصد الى الاحاطة والاحصاء والجملة اعني لا تأخذه سنة ولا نوم نفي للتشبيه
وتأكيد للقيوم لانه من لوازمه واثبات اللازم بعد اثبات الملزوم تأكيد فان من جاز عليه النعاس او النوم
استحال ان يكون قيوما فالقيوم من لا يجوز عليه شيء منهما وفي الخبر ان موسى سأل الملائكة ايام ربنا فاوحى الله
اليهم ان يوقظوه ثلثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوتين فاخذهما والقى عليه النعاس فضرب
احديهما على الآخرى فانكسرتا ثم قال له يا موسى اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا
وهكذا مثلنا اسرع من كسر القارورة في يدك ولاجل انه تأكيد له ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعدها له ما في السموات
وما في الارض تقرير لقيوميته وديموميته على انه مالك لما يرى لا غير واحتجاج به ما تفرده في الالوهية والوحدانية
اي يختص بالله كل شيء في العالم ملكا وخلقا وحلما فهو قائم به لا بنفسه وهذا من اخص الوصف لله كالقيوم
فان معناه القائم بذاته وكل ما سواه قائم به بخلاف الحي والعالم والعلي وغيرها فانه تعالى خلق آدم على صورته وقد خلق الانسان
حيا عالما عليا عظيما سميعا بصيرا مريدا متكلما والله تعالى كذلك ليس فيه تشبيه كما يتبادر الى فهم العامي بل
لانه ليس ذلك اخص الوصف لله تعالى بل اخص وصفه ما ذكرناه وما يدل عليه كلمة الجلالة من وجوب وجوده على انه تعالى
قديم بذاته وصفاته باسرها والانسان حادث بذاته وصفاته عن آخرها والمراد ما فيهما او جد فيهما سواء كان داخلا
في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شأنه وانه العظمة سلطانه
وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او
مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم
العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء والمعنى على الوجه الاول كما قيل انه مالك جميع المخلوقات بحيث
لا يمكن ان يتكلم بدون اذنه وتصرفه في الكل بحسب العلم التام والحكمة البالغة وعلى الثاني انه لا مجال لاحد
ان يشفع عنده الا باذنه لانه يعلم جميع ما تقدم من ذنوب المشفوع لهم وما تأخر وهم لا يعلمون من احوالهم الا ما شاء الله فربما
شفعوا النظر الى الظاهر الحال لمن لا يستحق الشفاعة صفة فقوله ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته من تتمة قوله
يعلم ما بين ايديهم فلذا اعطف عليه بخلاف باقي الجمل ويحتمل ان يكون حالا من الضمير المرفوع في يشفع او من المجرور في باذنه او الضمير المتحول اليه
لان قوله الا باذنه في موقع الحال اي متلبسا باذن الله وامره وحكمه الا بما شاء الا ما علم وما مصدرية والاستثناء متوقع
فيجب ان يقدر له مستثنى منه عام مناسب له في جنسه وصفته كقوله تعالى حكاية وما نتنزل الا بامر ربكم ومنه قوله لا تقرأ الا باذنه
اي لا تقرأ قراءة الا قراءة ملصقا باذنه وسع كرسيه السموات والارض فيه وجوه احدها ان قوله وسع كرسيه معناه لم
يضيق كرسيه عن السموات والارض لبسطته وسعته وهو تصوير لعظمته وتمثيل مجرد صور المعقول بصور المحسوس وابراز الغائب
عن الحس في صورة الشاهد ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة و
السموات مطويات بيمينه فانه تصوير لعظمته وتعلق بشأنه وتمثيل حسي فقط ولا قبضة ثم ولا طي ولا يمين
بين الايدي الى صدر الايات وما قدروا الله حق قدره فانه بيان لعظمته وانهم لم يعرفوا
كذ

كنه عظمته ونحو قوله الرحمن على العرش استوى وقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة وامثال ذلك فان هذه كلها كنايات
عند المحققين من غير لزوم والثاني وسع علمه ويسمى العلم كرسيا تسمية بمكان الذي هو كرسي للعالم لان الكرسي مكان
العالم الذي فيه العلم فيكون مكانا للعلم بتبعيته لان العرض يتبع المحل في التحيز والثالث وسع ملكه تسمية بمكان
الذي هو كرسي الملك والسلطنة والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دون السموات والارض وهو
الى العرش كاصغر شيء وذلك قوله عم ما السموات السبع والارض السبع من الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل
العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وعن الحسن الكرسي هو العرش وهو خلاف
ما اشتهر ان الكرسي غير العرش وعن كعب العرش عرش العظمة والكرسي كرسي الجلال والبهاء لان الله لا حاجة اليهما فقد
كان ان يكون بهما لا على مكان كذا روي عنه الكسائي في كتابه المسمى بقصص الانبياء وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا
يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي وهو الملبد كذا قال البيضاوي فجعلهما القاضي ابو زيد الدبوسي من
المتشابهات على ما ذكره في سورة طه ان شاء الله وقرأ ابو شريف وسع كرسيه السموات والارض باضافة وسع
الى كرسيه ورفع السموات والارض ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي
حفظ السموات والارض من اضافة المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الاشباه والانداد العظيم قيل الذي تنزهت
عنه صفات النقص فمرجعه صفة سلبية وقيل الذي انتفى عنه تلك الصفات وجعل له جميع صفات الكمال فيرجع الى
الصفات السلبية والثبوتية معا فان قيل لم جاءت الجمل الخمس المتقدمة بالواو ولم جاءت بدونها قلنا لان كلا منها وقعت
خبر المبتدأ اعني كقوله وهو الله الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد او لان الكل مرتبة على جملة واحدة
بيانا لا امر فيها لان كل واحد بيان لما قبلها فان كان الحي القيوم بدلا من هو او خبرا ثانيا فالمرتب عليه جملة الله لا
اله الا هو الحي القيوم فاولى الجمل المرتبة لا تأخذه سنة وان كان خبر مبتدأ محذوف فالاولى الحي القيوم مع تأكيده
وبالجملة فالاولى مشتملة على اصول المسائل الكلامية التي هي المقصد الاقصى والمطلب الاعلى للعارفين من اهل
الحق واليقين بل للخلائق اجمعين فانها تدل على انه تعالى واجب الوجود الصانع للعالم المعبود بالحق ولا يمكن
ان يصدق مفهوم واجب الوجود الا على ذات واحدة فقوله لا اله الا هو تصريح بما علم التزاما كما
قيل الله الواحد الاحد ومن ضرورة ان يكون قديما لان الواجب لا يكون الا قديما اي الا ابتداء لوجوده
اذ لو كان حادثا مسبوقا بالعدم لكان وجوده من غيره ضرورة ومن ضرورة ايضا انه ليس بعرض ولا جسم ولا
جوهر ولا محدود ولا معدود ولا متبعض ولا متجزئ ولا مركب ولا متناه فان هذه كلها من الوضعية والجسمية مثلا صفات
الاجسام والمحدثات وواجب الوجود متعال عن ذلك علوا كبيرا وعلى انه متصف بالحيوة وواجب له انه موجد لغيره اذ القيوم
القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مقدس عن التغير والفتور وانه خبير بان هذا وكذا الذي في الكل تصريح
بما علم التزاما فكانه هو المحدث للعالم لان قوله له ما في السموات وما في الارض معناه والصانع للعالم وجميع ما سواه الآخر
فيلزم ان يكون متصفا بالحيوة والعلم والقدرة والسمع والبصر والارادة والمشية لان بديهة العقل جازمة بان من كان فعله على هذا

النمط البديع والصنع الغريب والترتيب الانيق والنسق العجيب لا يكون بدون هذه الصفات فان اتقان الافعال واحكامها سيما اذا كان على وجه تتحير فيه العقول ولا يهتدى الى كمال ما فيه من المصالح والمنافع لا يتصور الا من حي عليم مقتدر سميع بصير يشاء ويريد فهو مالك الملك والملكوت والعزة والكبرياء والجبروت العليم بالاشياء كلها كليتها وجزئيتها واسع الملك والقدرة ذو الجلال والاكرام والكل مندرج في قوله الله لا اله الا هو وهو شامل لها ولغيرها من الصفات وهو الالهية الحقيقية بالوحدة الحقيقية ومن هذا يفهم معنى قولنا الله اسم للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصفات المستحق للمحامد كلها ولاشتمال تلك الآية ما اشتملت هي عليه من توحيد الله والصفات العظيمة واسمائه الحسنى وتعظيم وتمجيد فضلت حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عم ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقوله عم ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وقوله عم ان الله خلق درة بيضاء خلق من الدرة الغبن الاشهب وكتب بذلك العنبر آية الكرسي وحلو بعزته وقدرته ان من تعلم آية الكرسي وعرف حقها فتح الله ثمانية ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وعن ابي موسى الاشعري قال رسول الله صلعم اوحى الله تع الى موسى اقرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة فانه من يقرأها اجعل له قلب الشاكرين ولسان الذاكرين وثواب النبيين واعمال الصديقين ولا يواظب على ذلك الا نبي او صديق او عبد متحنب قلبه للايمان او من اريد قتله في سبيل الله وعن علي رض سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا الصديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي كرم الله وجهه اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال رسول الله عم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وعن محمد بن الحنفية لما نزلت آية الكرسي خر كل صنم في الدنيا وخر كل ملك على وجوههم وسقط التيجان عن رؤسهم وهربت الشياطين وضرب بعضهم على بعض واجتمعوا الى ابليس فامرهم ان يفتشوا عن ذلك فجاؤا الى المدينة فبلغهم ان آية الكرسي قد نزلت لا اكراه في الدين اذ لا اكراه في التحقيق الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالحجج القاطعة فان الدلائل الواضحة قد دلت على ان الايمان بالله وبجميع ما جاء من عنده رشد يوصل بصاحبه الى جميع السعادات الدينية والدنيوية والكفر غي بما اوجب الايمان رشد يؤدى الى الشقاوة الابدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادات ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا الذين ثم قال بعضهم هو عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو خاص باهل الكتاب لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية فيكون لفظ الاكراه خبر معناه نهي منسوخ او مخصوص

واللفظ عام ونزل في عبادة الانصاري

ويعضده الآخر ما روى ان انصاريا من بني سالم بن عوف كان له ابنان تنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلعم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى رسول الله صلعم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما وقرأ الحسن والزهري الرشد بفتح الراء والشين وقال ابو حاتم يجوز الرشد بضم الراء والشين رواه عن الحسن قال صاحب الكامل قال ابن عبدوية قرأت على ابن مقسم الرشاد من الغي فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام وقيل هو كعب بن الاشرف ووزنه فعلوت من طغى اصله طغيوت نقلت لام الفعل الى موضع العين فصار طيغوت ثم قلبت الياء الفا فقيل طاغوت وتاؤه زائدة لا للتانيث وهو مما يذكر ويؤنث ويفرد ويجمع وقال الجوهري هو الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال وقيل طاغوت اسم اعجمي كطالوت وهارون مثلا ويؤمن بالله قدم الكفر بالطاغوت على الايمان بالله ليكون على طريقة كلمة الطيبة لا اله الا الله وهو المراد هنا في التحقيق اذا قالها مخلصا فقد كفر بكل الطاغوت وآمن بالله ولذلك ويؤمن بالله ولم يذكر غيره مما وجب الايمان به وارشادا الى ان الايمان انما يحصل بعد الكفر بالطاغوت ومن عرف نفسه فقد عرف ربه في ان حصول المقصود موقوف على حصول المقدمة فقد استمسك بالعروة الوثقى اي من قال لا اله الا الله مع الاخلاص فقد اعتصم بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم مامون قطعها وهو الاسلام وهذا تمثيل بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس وذلك ان هذا اما استعارة تمثيلية شبه حال من ثبت على الايمان والاستقامة على الهدى ودين الحق واخلص العمل ولم يرجع الى عبادة ما سوى الله من الاوثان الاصنام بحال من تمسك بالعروة الوثقى من حبل وثيق يامن انقطاعه واما محمول على ان العروة استعارة للعهد الذي يتمسك به والاستمساك استعارة للوثوق بالعهد ويجوز ان يكون استعارة عن كتاب الله الذي هو عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه كما نطق به الحديث لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بقول قائل لا اله الا الله وبسائر الاقوال فان قلت ما الدليل على ما ذهب اليه قلت قوله ويؤمن بالله حيث ذكر اسم الاعظم وحده ولم يذكر معه غيره مما وجب الايمان به وما رواه ابو بكر الصديق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسكوا بالعروة الوثقى قول لا اله الا الله ولما قال عبد الله بن سلام رايت كاني في روضة في وسط الروضة عمود في اعلى العمود عروة فاستمسكت بالعروة قال له النبي عم تلك الروضة روضة الاسلام وتلك العمود عمود الاسلام وتلك العروة عروة الوثقى لا تزال مستمسكا بالاسلام حتى تموت وعن ابي هريرة قال رسول الله عم جددوا ايمانكم قالوا كيف نجدد ايماننا قال اكثروا من قول لا اله الا الله وعنه عم الا انبئكم بفضائل القرآن وفوائده وتوحيد الله في كتاب الله في ستة وستين موضعا لا اله الا الله من قالها مرة واحدة في دهره مخلصا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وما هو وما اخلق وما اخفى وما ابدى رواه ابن عباس رض عليم بالاعمال ونيته وقيل بالبيان ولعله تهديد على النفاق وعن علي رض عن النبي صلعم اوصيكم معاشر المسلمين بتقوى الله الذي فاز به الفائزون وخسر به الخاسرون فانه من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب واوصيكم عباد الله بالاستمساك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها واياكم وهذه الاهواء

المضلة البعيدة من الجنة القريبة من النار الله ولى الذين امنوا ناصرهم او متولى امورهم او محبهم كما قال والله يحب المؤمنين والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت فى علمه انه مؤمن او مواليهم وسيدهم ذكر بان الله مولى الذين امنوا وعن الحسن ولى بهداهم وبالجملة فهو الفضل العظيم الذى هو مبدا كل بر واصل كل خير يخرجهم بنصره وهدايته وتوفيقه من الظلمات من الكفر ومن الخليل من الظلمة بالافراد الى النور الى الايمان او من الشبه فى الدين ان وقعت لهم الى نور اليقين والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن فى الخبر او من الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية او حكم بعد صلة والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اى والذين صمموا على الكفر اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من النور الى الظلمات اى من النور البين الذى يظهر لهم الى ظلمات الشكوك والشبهات او من النور الذى منحوا بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك فى الشهوات وقيل نزلت فى قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا يابى تعلق قدرته تعالى وارادته به وقرا الحسن الطواغيت وقراءة الطواغيت يخرجونهم منقلة اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير والله تع جعل النار سوطا يسوق به عباده الى الجنة وما يوصل اليها وقيل لعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم شانهم الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه تعجيب من محاجة نمرود فى الله وكفره به ان اتيه الله الملك بحذف اللام او الوقت اى حاج لان اتيه الله الملك على ان ايتاء الملك ابطره وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريق العكس كقولك عاديتنى لانى احسنت اليك ونحو قوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون فانهم جعلوا الشكر الرزق ضد ما كان يجب ان يكون او حاج وقت ان اتيه الله الملك وهو حجة على من منع من المعتزلة ايتاء الله الملك الكافر اذ قال ابرهيم نصب على انه ظرف لحاج او بدل من اتيه على الوجه الثانى ربى الذى يحيى ويميت بخلق الحيوة والموت فى الاجساد وقرا حمزة رب بحذف الياء قال انا احيى واميت بالعفو عن القتل والقتل وهو استيناف وقع جوابا لسؤال قال ابرهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب والحجة الاولى وهو قوله ربى الذى يحيى ويميت كانت ملزمة الا ان نمرود عارضها بامر باطل فالخليل عم لما سمع جواب الاحمق وخاف الاشتباه والتلبيس على القوم لم يحاجه فيه بل انتقل الى حجة لا يكون فيها الاشتباه اصلا ولا يقدر فيها على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شىء وفيه دليل على جواز الانتقال من حجة الى اخرى والانتقال ان يترك الكلام الاول بالكلية ويشتغل بالاخر كما فى هذه القصة وقيل هو فى الحقيقة عدول عن مثال خفى الى مثال جلى من مقدوراته التى يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابرهيم عم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته واعتقاد الحلول وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذى تدعو اليه فقال ربى الذى يحيى ويميت والاحياء اعطاء الحيوة لمن لا حيوة له والاماتة ازالتها بلا مباشرة الاسباب الظاهرة كالقتل وقرا ابن السميفع اليمانى ان الله اتى بالشمس فبهت الذى كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت الذى بالمعلوم اى فغلب ابرهيم الكافر وقرا ابو حيوة فبهت الذى بوزن قرب يقال بهت الرجل اذا تحير وفى الخبر ان الله تع قال وعزتى وجلالى لا تقوم الساعة

حتى

حتى اتى بالشمس من المغرب ليعلم انى انا القادر على ذلك وقرا الخليل فباهت بالالف والله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذى مر على قرية تقديره او ارايت مثل الذى مر فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلا منهما لقصد التعجب ولا بد فى التعجب بلفظ رايت من اثبات الكاف او فى معناه وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذى حاج او الذى مر وقيل انه معطوف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذى حاج او كالذى مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيى فاحى كاحياء الله الذى مر وهو عزير او الخضر او كافر بالبعث ويعضده نظمه مع نمرود وكلمة الاستبعاد التى هى انى يحيى والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التى خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع وهى خاوية على عروشها اى ساقطة على سقوفها بان السقف سقط اولا ثم سقطت الحيطان عليه قال انى يحيى هذه الله بعد موتها اعترافا بالعجز والقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيى ان كان القائل مؤمنا يريد ان يعاين احياء الموتى لازدياد البصيرة كما طلبه ابرهيم عم او استبعادا ان كان القائل كافرا وانى فى موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله فلبث مائة عام ميتا ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وجاز ان يكلمه وان كان كافرا لانه امن بعد البعث او شارف الايمان بل يجوز ان يكلم الله الكافر لقصد الهداية كما جاز للاهانة فانه خاطب ابليس وقيل ملك او نبى قال لبثت يوما او بعض يوم بناه على الظن وعدم التيقن روى انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم على الاضراب فيكون او بمعنى بل او الوضع بتقليل المدة قال بل لبثت مائة عام روى يعقوب بن سلام كم لبثت منظرحا قال لبثت مدة بل لبثت منظرحا قال ابو حاتم ذهب الى اخر الوسط مضموم فيشغل البيان والضمة بعد الكسرة فادغم ووجد الفتح اخف واظهر فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء لقولهم سانهت فيجعل اللام هاء فالهاء على هذا لام اسكنت للجزم فلا يجوز اسقاطها بحال وهاء السكت ان قدرت واوا فعلى الاول علامة الجزم السكون وعلى الثانى حذف اللام اذ الاصل يتسنى من السنة اصلها سنوة بمعنى لم يات عليه السنون فيغيره وقال ابو عمرو وانه من الحما المسنون وقيل اصل لم يتسنه لم يتسنن لم يتغير على انه مشتق من المسنون فابدلت النون الثالثة ياء كتقضى البازى ثم حذفت للجزم والهاء للوقف ايضا كما فى الوجه الثانى ولا يوجد فى معناه الا الحما المسنون اى المتغير المنتن وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد او على تاويل كل واحد منهما روى ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد الكل على حاله وفى قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرا لم يتسنه بادغام التاء فى السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه او انظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك اية للناس

اي

فعلنا ذلك اي احياك بعد الموت وحفظ ما معك لنجعلك آية روي انه اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال
هاتوا التورية فاخذ يهذها عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ
التورية ظاهرا احد قبل عزير وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا
حديث مائة سنة وانظر الى العظام كيف ننشزها اي كيف نحيي عظام الحمار او عظام الاموات الذين تعجب من احيائهم او كيف نرفع
بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرأ نافع وابو عمرو
وابن كثير ويعقوب ننشرها بالراء من انشر الله الموتى والباقون بالزاء المعجمة وقرأ الحسن ننشرها من نشر
الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقالوا معنى ننشرها بالراء المهملة وبالزاء نرفع بعضها على بعض من النشز وهو المرتفع من الارض
وقرأ زيد بن علي كيف انشرها ثم نكسوها لحما بالتكلم وضم وابن عباس ينشرها بالياء وابو حيوة والنخعي ننشرها بفتح النون
وبالزاء المعجمة ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما جاء بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير
قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز ان يكون فلما تبين
له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول من تبيين النبي علمه يقينا واما قراءة
العامة فمن تبين الامر ظهر ووضح وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على لفظ الامر والآمر مخاطبه او نفسه خاطبها على
طريق التبكيت وقرأ عبد الله قيل اعلم وقرأ ابو رجاء قال اعلم بكسر الهمزة على لغة تميم حيث يكسرون حرف المضارعة وقرأ
نصير قال اعلم بنقل كسرة الهمزة الى اللام وهو لغة واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سأل ذلك
ليزداد بصيرة ويصير علمه عيانا ولم يكن سؤالا عن شك في الاحياء والقدرة عليه قالوا انما سأل ذلك وطلبه لان
في عين اليقين طمأنينة القلب ما ليس في علم اليقين وايضا انما سأل عن كيفية الاحياء لا عنه لان الاحاطة بالكيفية المفصلة
اقوى وارسخ من المعرفة في الاجمالية المعقتضية الى التردد بين الكيفيات المتعددة مع الطمأنينة في اصل الاحياء والقدرة
عليه وعن ابن عباس كان الله وعده ان يبعث نبيا يحيي بدعائه الموتى فاراد ابرهيم ان يعلم انه هو ام لا وقيل
لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم
وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ليريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن
بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة وانما قال ذلك وقد علم انه اعرق الناس واثبتهم ايمانا
ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين فالهمزة الاستفهام للتقرير قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
اي بلى آمنت وصدقت ولكن سألت ليطمئن قلبي وليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة العيان الى الوحي
والاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان في عين اليقين من الطمأنينة
ما ليس في علم اليقين فان للوهم باحداث الوساوس والدغادغ سلطانا على القلب عند علم اليقين الذي
دون عين اليقين وايضا اقصى مراتب الادراك عين اليقين فاراد بطمأنينة القلب عين اليقين
الذي هو علم لا مجال فيه للتشكيك قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحماما ومنهم

من ذكر

من ذكر النسر بدل الحمام ومنهم من ذكر البطة بدل طاوس وقيل فيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما
يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس
وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه
اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك بضم الصاد من صار
يصور وبكسرها من صار يصير وهو قراءة حمزة ويعقوب وهما لغتان بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليث قنوان الكرم الدوالح وقرأ ابن عباس فصرهن
بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل
وعن السدي سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله وفيه اشارة الى متعلق بالفعل المأمور به لا الطلب
يأتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او مشيهن على الارجل وانما امره بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها
ليتأملها ويعرف اشكالها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غيرها ولذلك قال يأتينك سعيا وروي
انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤسها ثم امر بان
يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا
ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها وقيل فيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة
الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى
دعاهن بداعية العقل والشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه
لما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام وقرأ جزءا بضمتين وجزا بالتشديد
ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما
يريده حكيم ذو حكمة بالغة في جميع ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة لا بد من اعتبار
الحذف في جانب المشبه والمشبه به ليحصل التلاؤم وان كان الغرض منه من المركب الذي لا عبرة فيه بتشبيه المفردات اي مثل نفقتهم كمثل حبة
او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة قال يعقوب قرأ بعضهم مائة حبة على تقدير
انبتت مائة حبة في كل سنبلة والمنبت حقيقة هو الله وانما اسند الانبات الى الحبة لانها من الاسباب كما يسند الى الارض
والماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا تتشعب منه سبع شعب لكل واحدة سنبلة وقالوا هذا التمثيل تصوير
للاضعاف في قوله تعالى فيضاعفه له اضعافا كثيرة وابراز للمعقول في صورة المحسوس ولا يخفى ان انبات سبع سنابل واكثر منها
اضعافا مما يتحقق في الحنطة فانه ربما فرخت ساق البرة في الارض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لصح على سبيل الفرض وقع
موقعها بان تحذ بهذا موضع ذاك وبالعكس قال سبع سنابل ولم يقل سبع سنبلات فجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي سنبلات كما
وسبع سنبلات خضر والله يضاعف لمن يشاء اما على المفعول به بدلالة الحال واما على تركه لكن مع ارادة خصوص

خصوصية المفعول المطلق اى يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يشاء من المستحقين او يضاعف
تلك المضاعفة التى لسبع المائة لبعض المنفقين لا لكل منفق لتفاوت احوالهم فى الاخلاص والتعب وكذلك
تفاوت الاعمال فى مقادير الثواب والله واسع الفضل لتلك الاضعاف ولا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بما ينفق المنفقون وما نووه ويجازيهم على حسب ذلك قرا ابن كثير وابن عامر والله يضعف بتشديد العين
وحذف الالف والباقون بالالف وبها القرآن بمعنى ان النبى لما حث الناس على الصدقة حين اراد الخروج الى تبوك فجاء عبد
الرحمن بن عوف باربعة الالاف درهم فقال يا رسول الله كانت لى ثمانية الاف امسكت نصفها لنفسى وعيالى واقرضت
نصفها لربى فقال عم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت وقال عثمان يا رسول الله على جهاز من لا جهاز له
فنزلت الاية الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى المن وان يظن انه محسن كذا قا لت
عائشة رضه وقيل ان تعتد باحسانه على من احسن اليه اى يجعله معدودا معتبرا على ما انعم عليه والاذى ان يتطاول
عليه بسبب ما انعم عليه وثم لاظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق و
فى الخبر ان الله تعالى لا ينظر يوم القيمة الى المنان بعطيته وفى بعضه انه لا يكلم من لا يعطى شيئا الا منه وذلك لان المن نتيجة
استعظام الصدقة واستعظام العمل وهو العجب وهو من المهلكات وعن ابن مسعود رضه الهلاك فى اثنين القنوط
والعجب لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولان الموصول هنا لم يتضمن معنى الشرط لم يدخل الفاء
فى الخبر وايضا المبتدا مثل المضاف الى الموصول لا الموصول وصح وقيل لعلهم لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه
معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف اى رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاحه
او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى وصح الابتداء بالنكرة
لاختصاصها بالوصف اما الابتداء فظاهر واما المعطوف فلما ذكر من المعانى مع انه ليس فى القواعد احتياج على المبتداء
التعريف والتخصيص والله غنى لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذى حليم عن معاجلتهم بالعقوبة وهذا السخط منه ووعيد
لهم بالغ فى ذلك بما اتبعه يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذى ينفق
ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر اى كابطال المنافق الذى يرائى بانفاقه ولا يريد به رضى الله تعالى ولا ثواب الاخرة
والكاف فى محل النصب على المصدر او الحال اى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق ورئاء منصوب على الحال بمعنى مرائيا
او المصدر اى انفاقا رئاء او المفعول له وقراءة الحسن رياء بغير همزة فمثله كمثل صفوان عليه تراب من تشبيه المجموع
بالمجموع فانه مثل المنافق المذكور ونفقته التى لا ينتفع بها الشئ بحجر املس عليه تراب وقرئ الزهرى وابن المسيب صفوان
بفتح الفاء فاصابه وابل مطر عظيم القطر لا تشبيه المؤذ بالمؤذى فانك لو قلت المنفق كالصفوان والنفقة كالتراب والرئاء
كالوابل لم يكن شيئا فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذى كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق ومن الخليل
فتركه صلدا ابكم الكلام قال وعلى لغة لا يقدرون على شئ مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه وهو حال من
الذى ينفق استئناف والضمير عائد اليه باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الفوج الذى ينفق كقوله وان الذى حانت

بفلج دماؤها

بفلج دماؤهم او من باب الميل مع المعنى نحو فاصدق واكن لانه كثيرا ما يقال من ينفق فى موضع الذى ينفق فكانه قيل كمن ينفق
واليه يدل الجمع والله لا يهدى القوم الكافرين اراد لا يهديهم فوضع الظاهر موضع المضمر ليدل على ان عدم هدايتهم انما
لكفرهم وان الرياء كفر نعوذ بالله من ذلك وعن ابن عباس عن النبى عم لما خلق الله تعالى جنات عدن خلق فيها ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمى فقالت قد افلح المؤمنون ثلاثا ثم قالت انا حرام على كل بخيل ومراء فحق على
كل من امن فيدين بالدين الحق ان يحترز عن صفة الرياء واخواتها قال النبى عم ان الله حرم الجنة على كل مراء الحديث وقال النبى عم
ان ادنى الرياء شرك ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اى لابتغاء مرضاته او مبتغين لرضاه او
انفاقا ابتغاء او يبتغون بالانفاق رضاه وتثبيتا من انفسهم اى ويثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الا
موال على الايمان او ليثبتوا بعض انفسهم ببذل الاموال على الايمان فان احب شئ الى الانسان ماله وهو شقيق
روحه فاذا بذله فى الله ثبت بعض نفسه واذا بذل ماله وروحه معا ثبتها كلها فذلك اقوى دليل على ثباته واخلاصه
وصدق نيته وخلوص طويته ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدا من اصل انفسهم لانه اذا
انفق المسلم ماله النصح الخالص فى سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه والتثبيت على الاولى
بمعنى جعل الشئ ذا ثبات ومن انفسهم فى موضع المفعول وعلى الثالث بمعنى جعل الشئ محققا ثابتا والمفعول محذوف هو
الاسلام والجزاء ومن لذلك ومن لابتداء الغاية لغوا اى تحقيقا من عند انفسهم او مستقرا اى كائنا من عند انفسهم و
يحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه وعلى هذا يكون المفعول المحذوف
هو كون الانفس صادقة مخلصة فى الايمان اى يجعلونه عند المعنى ثابتا من عند انفسهم ويؤيده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم
التبيين بلا خط فيه جانب المعنى كمثل جنة بربوة اى ومثل نفقة هؤلاء فى زكائها عند الله كمثل بستان بربوة اى بمكان مرتفع و
خصها لان الشجرة فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها اى ثمرتها ضعفين مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل
والظاهر انه مفعول ثان وقيل حال اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل افيصيبها طل او فطل يكفيها اى لكرم منبتها وهو
صغير القطر وقال زيد بن اسلم هى ارض مصر خاصة ان اصابها وابل اضعفت وان اصابها طل انبتت امثل حالهم
عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كلا من المطرين يضعف
اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثرت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله زاكية عند الله زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عنده قيل التشبيه
على الوجه الاول تشبيه مفرد بمفرد وليس كذلك بل التشبيه مركب فانه شبه حال النفقة بحال الجنة بالربوة فى كونها زاكية
متكثرة المنافع عند الله كيف ما كانت الحال فلذا احتيج الى تقدير المضاف والتشبيه على الثانى بحالهم بحال الجنة على ا
الربوة فى ان نفقتهم كثرت او قلت زاكية زائدة كما ان الجنة يضعف اكلها قوى المطر وضعيفه فهذا ايضا تشبيه
مركب لكن لوحظ الشبه فيما بين المفردات وحاصله ان حالهم فى انتاج القليل والكثير منهم بتضعيف اجورهم كحال الجنة
فى انتاج المطرين الواصلين اليها تضعيف ثمارهم وقرئ كمثل حبة مكان جنة وبربوة بالحركات الثلث والكل لغة
بفتحتين وقرئ ابن اسحق رباوة وروى المعلى عن عاصم الجحدرى ربوة مهموزة والله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل

والظاهر ان هذا وعد وترغيب في الانفاق لوجه الله وقيل تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص وقراء الزهري بما يعملون
بالياء ايود احدكم الهمزة فيه للانكار يعني ما كان ينبغي ان يود ولم ود ان تكون له جنة وقراء الحسن جنات من نخيل واعنا
ب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات لما كان النخيل والاعناب اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر و
جعل الجنة منهما وان احتوت على سائر الاشجار المثمرة فيصح ان له فيها من كل الثمرات ويجوز ان يكون المراد با
لثمرات المنافع التي كانت تحصل له في تلك الجنة من اي جنس كما ان المراد بالثمر كان في قوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من
اعناب وحففناهما بنخل واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الكبر والشيخوخة اصعب والواو للحال
ومعناه ان يكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل للعطف حملا على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه
الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب وقرئ له جنات مكان له جنة وقرئ ذرية ضعاف وقرئ ا
لجليل ذرية ضعف فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على معنى فاصابها او يكون باعتبار المعنى والاعصار ر
يح تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود ويسمى بالفارسية گرد باد وهذا مثل لمن يفعل الحسنات لا لوجه
الله فاذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان و
اجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد صغار ضعفاء والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة فيقعوا في الحرمان والقهر
والجنة والتحسر عن عمر رضه انه سأل عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس
في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين فقال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا للعمل قال لاي عمل قال لرجل
غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يفعل من
الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطع
عن الدنيا اي ضعف جسمه وكثر صبيانه في زمان افقر ما منه حصوله الى جنته ولهذا افقر الى ضمير الزمان مجازا كذلك يبين
الله لكم الايات لعلكم تتفكرون فتعتبرون بها واللام للجنس او للعهد اشارة الى الامثال السابقة وعن ابن عباس رض
تفكر ساعة خير من قيام ليلة يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده وفيه الا
لتصدق من الحلال دليل على ان من تصدق من الحرام لا يقبل بل الواجب الرد الى صاحبه ومما اخرجنا
لكم من الارض اي من طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن وحذفها لحذف المضاف وهو الطيبات
لتقدم ذكره وروي عن النبي انه قال ان الله تعالى طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب
الكرم جواد يحب الجود الحديث ولا تيمموا الخبيث منه اي لا تقصدوا الردي من المال ومن ما اخرجنا
والتخصيص بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقراء عبد الله ولا تأمموا وقراء ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء
ويمم ويمم وتأمم سواء في معنى تقصده تنفقون حال مقدرة من ضمير تيمموا ويجوز ان يكون متعلقا
به والضمير للخبيث والجملة حال منه وانما قدم لافادة التخصيص وتقديره تخصونه بالانفاق
اي تجعلونه منفردا بذلك والمعنى تقدرون ذلك لانه حال مقدرة على هذا ايضا ولستم باخذيه

حال

حال آخر على التداخل والترادف اي وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه على حذف باء وهو متعلق
بآخذيه اي الا ان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه يعني لا تأخذونه بوجه من الوجوه الا بالاغماض والتسامح والتساهل في
التسامح مجاز كناية او استعارة من اغماض من بعض حقه اذا اغضى بصره ويقال للبائع واغمض اي لا تستقص كانك لا
تبصر وقال لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض كذا فسر البيضاوي وقيل الا ان توجد والمغمض
وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع على ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف
التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد حقيق بان يبالغ في محامد
حميد حقيق بان يبالغ في محامده او حميد بقبوله واثابته او حميد يقبل القليل ويعطي الجزيل ومعناه المحمود فهو صفة
اضافية الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا والوعد شائع في الخير والشر
يقال وعدته خيرا ووعدته شرا فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا ~~انفاقكم ان تفتقروا~~ في الخير الوعد والعدة وفي الشر
الايعاد والوعيد وفيه نظر لان الايعاد قد ورد في الخير ايضا كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة وللملك لمة فاما لمة
الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليحمد الله ومن و
جد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر وقرئ الفقر بضم الفاء والفقر بفتحتين ويأمركم
بالفحشاء اي يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور فهي استعارة تبعية لتشبيه اغرائه على البخل
باغراء الآمر ثم استعير الامر للاغراء والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم في الانفاق مغفرة منه لذنوبكم
كفارة لها معه وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم في الدارين او ثوابا عليه في الآخرة والله واسع الفضل
والرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم بمصالحهم وانتم لا تعلمون يؤتي الحكمة يوفق لتحقيق العلم و
اتقان العمل والحكيم عند الله العالم العامل قال ابن عباس يريد النبوة وقال الكلبي الفهم وقال مقاتل علم القرآن و
قيل الاصابة في الفهم والقول وقيل المعرفة بمكائد الشيطان وقال مجاهد الاصابة في القول فما الفهم والفقه وقيل
الفقه من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الاخير ومن يؤت الحكمة بناء للمفعول لانه المقصود و
وقد قرأ ربيع بن خثيم تؤتي بالتاء كليهما ونشاء بالنون وقرأ يعقوب ومن يؤت الحكمة بكسر التاء بمعنى
ومن يؤته الله الحكمة وبهذا قراءة الاعمش واعلم النبي على الاعلم وسلم فسر الحكمة ههنا
بالورع وذلك في قوله عم تقوى الله تع رأس كل حكمة قال الله تع ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا او هو الورع رواه انس فقد اوتي خيرا كثيرا اي تنكير تعظيم كانه قيل فقد اوتي خيرا اي خير وفي
مصحف ابن مسعود ومن يؤته الله الحكمة فقد اتاه خيرا كثيرا وما يذكر وما يتعظ بما تلونا من الايات او ما
يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولو الالباب ذوو العقول
الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وهم الحكماء العلماء العمال فان اولي الالباب لا لباب
مظهر وضع موضع الضمير والمقصود منه الحث على العمل بما تضمنت الاي في معنى الانفاق وقراءة النبي وما ينفقتم

وقراء الضحاك وما يذكر الا اولوا الالباب وما يذكر وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان
او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية مثل هذا البيان يكون العموم ومنع المخصوص فان الله
يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي او يمنعون الصدقات او ينذرون
في المعاصي او لا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات
فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وهي فيه مسند الى الفاعل المضمر ومميزه ما وهي نكرة غير موصولة ولا موصوفة وهي هو المخصوص
بالمدح لكن على حذف المضاف لتحسين ارتباط الجزاء بالشرط ويدل على هذا تذكير الضمير في فهو خير لكم اي فاخفاؤها
لكم قالوا ولما حذف الابتداء وجب رفع ضمير الصدقات لقيامه مقام المرفوع فوضع هي مقامه وقرا حمزة وابن عامر
والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وروي يحيى عن ابي بكر عن عاصم فنعما هي بكسر النون وسكون العين و
بتخفيف الميم لحذف احدى الميم اختصارا لان اصله فنعم ما هي وقراءة الحسن ههنا مثل ابي عمرو في النساء وان تخفوها و
تؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فاخفاء الصدقات خير لكم والمراد المتطوع بها فان الافضل في الواجب
ان يجاهر بها لنفي التهمة وعن ابن عباس رض صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفر
يضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ثم المتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهارها افضل و
ويكفر عنكم من سيئاتكم قراءة ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وقراءة ابن كثير
وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على ما
بعد الفاء اي ونحن نكفر وقراءة نافع وحمزة والكسائي بالنون مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقراءة
بالتاء مجزوما على اسناد الفعل الى الصدقات والفعل للصدقات وقراءة الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان
يخفوها يكن خيرا لكم ان يكفر عنكم وقراءة زيد بن علي ونكفر بالنون والنصب وذكر ابو معاذ رحمه الله تعالى اوجه نكفر
ويكفر ويكفره وتكفر وتكفره ثم قال لكل في كل واحد منها الجزم والرفع والنصب فيكون خمسة عشر وجها لم يلحق من قرأ بها و
والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه
من المن والاذى وانفاق الخبيث وغير ذلك وانما عليك ان تبلغهم النواهي ارشادا الى سبيل الرشد وحثا على محا
سن الاخلاق ولكن الله يهدي من يشاء صريح في ان الهداية بمشية الله تعالى يخلقها فيمن يريد ويتركها عمن يريد وما
تنفقوا من خير من نفقة معروفة او من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث ولا تؤذوا
احدا بالتطاول عليه والاختصاص مستفاد من الكلام وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله عطف على قبله اي وليس نفقتكم الا لا
بتغاء وجهه فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث او حالا كانه قيل وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجهه و
طلب ثوابه وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه
وان يكون على احسن الوجوه واجملها فهو تأكيد للشرطية السابقة وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتت امها تسالها وهي مشركة فابت
ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وما لتخلق للمنفقين الاستجابة لقوله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا
ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوا عليهم فنزلت وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان
لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة رضي الله عنه صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره وقراءة ابن
السميفع والخليل توفى بالنون وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء الجار متعلق بمحذوف اي اعمدوا
للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء كقوله تعالى في تسع ايات او صدقاتكم للفقراء على انه خبر مبتدأ محذوف الذين احصروا
في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة
كانوا نحوا من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته
يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده
فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله عم يوما على اصحاب الصفة فراى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم
فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه في الجنة من رفقائي يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه والضعف ورثاثة الحال
والخطاب للنبي او لكل احد ممن عرفهم بسيماهم ويدل عليه الخطاب في آخر الآية لا يسألون الناس الحافا وهو ان يلازم المسئول
ولا يفارقه حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي عم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض
البذي السائل الملحف والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا للضرورة سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاح
جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون
الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال
وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رض حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية
وعن ابن عباس نزلت في علي لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم
علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية فلهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية فان الاستحقاق انما هو بسبب الانفاق و
قيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية وتقديم الليل على النهار والسر على العلانية
اما على الاصل او على ما في الواقع الذين يأكلون الربا اي الآخذون وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان
الربا شائع في المطعومات وهو زيادة في الاصل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع
احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة والزكوة للتفخيم وزيد الالف بعدها تشبيها بواو الجمع والتفخيم
ههنا امالة الالف الى مخرج الواو لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام
المصروع وتخبط الشيطان وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير اتساق كخبط العشواء

وفي المورب تخبط الشيطان انسان وحقيقته ان يخبطه اى يضربه وهو من زعمات اهل الجاهلية بهذا قيل وهو خطاء بدليل قول
النبي عم اللهم انى اعوذ بك من الهدم واعوذ بك من التردى واعوذ بك من الغرق والحرق والهرم واعوذ بك من ان يتخبطني
الشيطان عند الموت الحديث ذكره في سنن الترمذي وسنن القزويني وسنن النسائي وفي صحيح المستدرك من المس اى الجنون
وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن وهو اى قوله من المس متعلق بلا يقو
مون اى لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا الا كما يقوم المصروع او متعلق بيقوم اى كما يقوم المصروع
من جنونه اى من حال الشبه بالجنون والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها
عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصرو
عين لا لاختلال عقلهم بل لانهم اكلوا الربوا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض اى
الاسراع ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا انتظم الربوا
والبيع في سلك واحد ولم يفرقوا بينهما لافضائهما الى الربح فاستحلوا الربوا استحلال البيع وقوله واحل الله البيع
وحرم الربوا ظاهر في الحل وحرمة نص في التفرقة بينهما اى بين البيع والربوا لانه في جواب الكفار عن قولهم انما
البيع مثل الربوا وهو من امثلة الجلى فان قوله وحرم الربوا مجمل لان الربوا في اللغة هو الفضل وليس كل فضل
حراما بالاجماع ولم يعلم ان المراد اى فضل فيكون مجملا ثم لما بين النبي عم الربوا في الاشياء الستة احتيج بعد ذلك
الى الطلب والتأمل ليعرف علة الربوا والحكم في غير الاشياء وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن للمبالغة و
ذلك انهم لما احبوا الربوا واستحلوه واكثروا منه بلغ من اعتقادهم في حله انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل
حتى قاسوا وشبهوا به البيع والفرق ظاهر فان من اعطى درهما بدرهمين يجبر بهذا الغبن فقوله واحل الله البيع وحرم
الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال
الله وتحريمه وقراء ابو السماك الربوا بفتح الراء وضم الباء والربو بضم الراء وفتح الباء فمن جاءه موعظة من
ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا وذكر الفعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي لانه في معنى الوعظ و
قراء الحسن وابى فمن جاءته فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يوأخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول
التحريم وما موقع الرفع بالظرف ان جعل من موصولة وبالابتداء ان جعل شرطية على راى سيبويه اذ الظرف غير
معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية او يحكم في شانه يوم القيمة
ولا اعتراض لكم عليه فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا بلا تحليل اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لانهم كفروا باستحلال الربوا واستحلال المعصية كفر اجماعا الدليل على ان هذا في مستحل الربوا قوله والله لا يحب كل
كفار اثيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله اكل الربوا وموكله وشاهده وكاتبه اذا علموه والواشمة والمستوشمة
ولاوى الصدقة والمرتد اعرابيا ملعونون على لسان محمد صلعم يمحق الله الربوا اى النقصان وذهاب البركة وقيل هو ان
يذهب الذي كان منه حتى لا يرى منه اثر ويمحق الله الربوا اى يستاصله ويذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر

الى قل

الى قل وقرا ابو ابراهيم يمحق بضم الياء وكسر الحاء ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقات
ويبارك فيه وعن النبي عم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عم ما نقصت زكوة من مال قط والله
لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات قبل لحل على التعميم بعد السلب دون العكس اثيم بتنبيه الاثم
منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله وبما جاء من عنده وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على
ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين آمنوا ا
تقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين مصدقين بقلوبكم ممتثلين
لاوامر ربكم روى انها نزلت في ثقيف وكان لهم مال على ناس من قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقراء الحسن ما بقا بقلب
الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء ساكنة فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اى فان لم تفعلوا ما امرتم به ا
لانتهاء عن المطالبة فاعلموا ان الحرب ياتيكم من قبل الرسول والمؤمنين وتفسير من قال انهم حرب لكم اى اعداء
محاربون ترده كلمة من وفاذنوا من اذن بالشيء اذا علم به وقراء حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا اى
فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقراء الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة وقرا الاعرج فا
ئذنوا مخففا بغير همز وتنكير حرب للنوع والتعظيم اى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وذلك يقتضي ان يقاتل
المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روى انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله وهو لا يليك
لنا بقتل لا ابا له باتي ام لام لتاكيد الاضافة وقيل بحذف النون تشبيها بالمضاف وتعالى لا يدى بهذا الامر ولا يدان اى لا طاقة لي به
وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالمطل والنقصان منها وهذا حكمهم
ان تابوا واما اذا لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو شديد على ما ذكرنا من ان الخطاب للمستحلين الذين آمنوا بالسنتهم واما
واما من لم يسبح من الذين آمنوا ظاهرا وباطنا واصر على اكل الربوا فان لم يكن ذا شوكة عزر وحبس الى ان يتوب وان كان ذا شوكة
حاربه الامام محاربة الفئة الباغية كما حارب ابو بكر مانعي الزكوة وكذا لو اجتمع طائفة على ترك شيء من الفرائض والواجبات والسنن
فانه وجب عليه ان يحاربهم وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم
ذو عسرة اى ذو اعسار وقراءة عثمان ذا عسرة اى وان كان الغريم وقراءة الاعمش وان كان معسرا فعلى الاول كان تامة وصح وقوع
فاعله جثة باعتبار ما يتضمنه من المعنى الحدث وعلى الثاني ناقصة وقدر الاسم موقتا لان الضمير عرفه خصوصا اذا كان مبتدأ
وقراءة ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فالامر نظرة او فعليكم نظرة وهو الانتظار بمعنى التاخير والمهلة وقرى فنظرة بسكون الظاء
للتخفيف كبدي في كبد وكتف في كتف وقراء عطاء فناظرة اى فصاحب الحق ناظرة اى منتظرة او صاحب نظرة على طريق النسب نحو مكان عاشب وباقل
بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر اى فسامحه بالنظرة وياسره بها الى ميسرة اى يسار وعن ابن عباس رض قال النبي عم من انظر
معسرا الى ميسرة انظره الله بذنبه الى توبته وعنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وهو يقول بيده هكذا ايكم يسره ان يقيه الله تعالى
من فيح جهنم فقلنا يا رسول الله كلنا يسره ذلك قال من انظر معسرا او وضع له وقاه الله من فيح جهنم وعن ابي قتادة رض من اراد
ان تنجيه دعوته وان يكشف كربته فلينفس عن معسر وقرا نافع بضم السين وهما لغتان كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرا بهما مضافين

بحذف التاء عند الاصمعي اى ميسرة والضمير عائد الى قوله ذو عسرة ونظيره قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة قال واخلفوك عد الامر
الذي وعدوا اى عدة الامر وان تصدقوا بالابراء وعن بعض بالاذن تصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائكم او ببعضها
كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقرى عاصم بتخفيف الصاد على حذف التاء وقرى قتادة تصدقوا بسكون الصاد وفتح الدال خير لكم
اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذونه لمضاعفة ثواب ودوامه وبجلالة وعظمه عند الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الناس
من يستظل في ظل العرش رجل انظر معسرا حتى يكون له شيء او محى عنه صحيفته وتصدق عليه بما فيها رواه ابو اليسر وقال
من انظر معسرا او وضع له اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله رواه ابو هريرة كذا في صحيح مسلم وقيل اريد بالتصدق الانظار
لقوله عم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة وقوله فيؤخره مرفوع معطوف على محل دين داخل في مجموع المعطوف
والمعطوف عليه بمعنى لا يكون حلول بعده تأخير وهذا القول ضعيف لان وجوب الانظار ثبت بالاية الاولى فلا بد من حمل هذه
الاية على فائدة زائدة ولان قوله خير لكم لا يليق بل بالمندوب ان كنتم تعلمون ما فيه من الاجر الجزيل او انه خير لكم فتعملون به
جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وهذا اخلاصه ما قيل امر اداء ان تصدقوا خير لكم ان عملتم لكن عبر بالعلم عن العمل
تنبيها على ان من لم يعمل فكانه لم يعلم وان علم اى لا يعلمون ذلك فيعملون فنفى العلم كناية عن نفى العمل او استعارة واتقوا يوما تر
جعون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت وبالجملة فليستعد لذلك الايام اصعب منها واشق وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر
الجيم والباقون بضم التاء وفتح الجيم وقرى يرجعون بالياء على الالتفات وهو في كلام واحد وقرأ عبد الله تردون وقرأ ابى
تصيرون ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون عائد الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما
تقول ثلثة انفس تريدون ثلثة اناس وعن ابن عباس انها اخر اية نزلت بها جبرئيل وقال ضعها في راس المأتين والثمانين من
البقرة وعاش رسول الله صلعم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين امنوا
اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا تقول داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا كما تقول بايعته اذا بعته منه شيئا
او ابتاع منكم شيئا قال رؤبة داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه وانما
ذكر الدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن وليعلم تنوع
الدين الى مؤجل وحال وليلا يتوهم من التداين المجازاة الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر والسنة لا بالحصاد والدياس
وقدوم الحاج فاكتبوه امر بكتبة الدين لانه اوثق وادفع للتنازع وامن من النسيان والجمهور على انه للندب وعن ابن
عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف اى السلم وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل
معلوم في كتابه وانزل فيه اطول اية وليكتب بينكم كاتب بالعدل وهو صفة لكاتب اى كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية
والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص منه وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يكتبوه
موثقا معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو نهي تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل
ما علمه الله من كتبة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو متعلق بيأب واحسن كما احسن الله اليك اى لا يأبى ان
ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها او عن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب

وهو ظاهر

وهو ظاهر وبقوله فليكتب على اعمال ما بعد الفاء فيما قبلها نحو وربك فكبر وثيابك فطهر ولو لم يكن فاصلا وبانهما يتعلق فيكون
قيدا له قيد الفعل بالمفعول به والمفعول المطلق المخصوص وفرق بين الوجهين بانه ان تعلق بالاول فقد نهى عن الامتناع
من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب اى فليكتب تلك الكتابة المعلمة لا يعدل عنها للتوكيد اى امر بها بعد النهي عن الاباء عنها
تاكيدا للنهي وان تعلق بقوله فليكتب فقد نهى عن الاباء من الكتابة مطلقة ثم امر بها مقيدة وبعبارة اخرى الاول امر
بالكتابة على نهج علمه الله بعد النهي عن الاباء عنها والامر بالشيء تاكيد للنهي عن ضده لكونه نفسه او متضمنا له او مستلزما
اياه على اختلاف الاراء والثاني امر بالكتابة على ذلك النهج بعد النهي عن اباء المطلقة وبهذا الامر يفيد فائدة جديدة و
ليس من الامر بالشيء والنهي عن ضده لكون تاكيدا وقرأ الحسن والاعرج فليكتب وليملل وليتق وما اشبهها بكسر اللام
وليملل الذي عليه الحق سفيها اى ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق
الله ربه اى المملي او الكاتب ولا يبخس منه شيئا والبخس النقص اى ولا ينقص من الحق شيئا او مما املى عليه وقرى شيا بطرح الهمزة
وشيا بالتشديد فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا
يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة روى ليث بن يزيد عن قالون عن نافع ان يمل
هو بسكون الهاء مثل قوله ثم هو فليملل وليه بالعدل اى الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل
عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او
الوكيل ودلالة ان يمل هو الاستطاعة بالنفس من جهة ان كلمة هو وقعت تاكيدا اشعارا بانه لا يستطيع ان يمل
بنفسه بل يستطيع ان يمل غيره من جهته لكن دلالة التاكيد اللفظي على هذا المعنى محل النظر واستشهدوا شهيدين
واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان وقرأ النعماني واشهدوا وقرأ الخليل شاهدين بالالف من رجالكم من
رجال المسلمين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رض لا يجوز شهادة العبد في شيء
وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة شهادة اهل الاهواء الا الخطابية والذمي
على مثله على اختلاف الملل كاليهود والمجوس وعلى المستأمن لان الكفر كله ملة واحدة لا على المسلم وشهادة المستأمن
على مثله على اتحاد الدار دون الاختلاف كالترك والروم لا على المسلم ولا على الذمي وعدد وجب الدين فان لم يكونا
رجلين فان لم يكن الشاهدين رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان او فالشهيدان هما رجل وامرأتان
او فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص وعند الشافعي في الا
موال وقرأ حميد بن عمير فرجل وامرأتين اى فاشهدوا رجلا وامرأتين وقرأ طلحة واليماني وامرأتان بسكون الهمزة ممن ترضون
من الشهداء ممن ترضون عدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اشتراط العدد في المرأة اى لاجل ان احديهما
ان ضل الشهادة بان نسيها ذكرتها الاخرى من ضل الطريق اذا لم يهتد له فهو منصوب على انه مفعول له اى ارادة ان تضل لكن
لما كان الضلال سببا للاذكار جعل ارادة السبب كانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ولالتباسهما
واتصالهما قرأ ابن كثير وابو عمرو تذكر مخففا منه الاخر ومنه قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان

يعني تعدد وقادعه فان المعنى اعدت الحنية ارادة ان يميل الحايط فادعمه اى ارادة ان ادعم الحايط ان مال وكذلك المثال
الاخير فميل الحايط هو السبب الذى به وجب الدعم كما ان الضلال هو السبب الذى به وجب الاذكار ثم اقيم السبب مقام لانه
العلة في الحقيقة لا يقال تسليم معناه استشهدوا امراتين لان تذكر احديهما الاخرى وانما ذكر ان يضل لان الضلال هو
السبب الذى به وجب الاذكار لكن قدرنا الارادة لانه الباعث على الامر لان التذكير ونحو ذلك لان العلة ههنا البيان
شرعية الحكم واعتبار العدد في المراة فيجب ان يكون فعلا للامر وقيد للمطلب باعثا عليه وليس هو الا الارادة التي للقطع
بان نفس الضلال او التذكير ليس هو الباعث على الامر بل ارادة ذلك وقرا حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد
اى فهو تذكر وهو الضمير القصة ومكذا في جميع المواضع التي وقع فيها جزاء الشرط مضارعا مرفوعا مع الفاء وقرا ابن كثير وا
بو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار وقرا ان تضل احديهما مبنيا للمفعول وتونثا قال الزمخشرى ومن بدع التفاسير فتذكر
فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر لان هذا اخبر مردى عن التفاسير ولان التذكير بهذا المعنى
لا يحسن في مقابلة النسيان ولان كونهما بمنزلة ذكر ليس بنتيجة تذكر احديهما الاخرى وقرا مجاهد والاعرج فتذكر بالتخفيف
ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة وقيل يستشهدوا وسموا شهداء على هذا الوجه بطريق المشارفة وتنزيل
ما يؤول اليه منزلة الواقع وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه قوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت وما مزيدة ولا تساموا
ان تكتبوه الضمير المنصوب للدين او الحق او الكتاب اى ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب فامر
كثرة مداينة احتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب او كني بالسام عن الكسل لانه صفة المنافق
وقال النبي عم لا يقول المؤمن كسلت وانما يقول ثقلت فالنهي عن الكسل من ان يكتبه بعد امره في عنه بالسامة التى هي الملالة
لكونها من لوازمه وروادفه لعدم المانع من المعنى الحقيقي في الكلام ثم يحمل مجازا على المعنى الاول على اصله وقرا عبد الرحمن
السلمي ولا يساموا ان يكتبوه بالياء فيهما صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله
الى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته او الى وقت حلوله الذى اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر
اى ذلكم الكتب اقسط عند الله اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على ما
يرى سيبويه من بناء افعل التفضيل من افعل قياسا ومنه قول ام قيس الله احمى ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل على احد الوجهين
او من قاسط بمعنى ذى قسط على طريقة النسب كلابن وتامر وعاشب فيكون افعل لا فعل له كما في الشافعي
واحنك البعيرين وامثالهم ابل من حنبل الجايع وقويم بمعنى مستقيم اى اشد استقامة وانما صح الواو في اقوم كما صحح
في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك وقرا
السلمي ان لا يرتابوا بالياء الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء عن الامر بالكتابة والمراد بالتجارة ما
يتجر فيه من الابدال والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا
يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين من التنازع والنسيان والجحود وقرا عاصم
تجارة بالنصب على انه خبر كان والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله في اسد هل تعلمون بلاء نا

واذا كا

اذا كان يشجاعة اذا كان اليوم يوما وقرا الباقون تجارة حاضرة بالرفع على انه الاسم والخبر تديرونها او على كانت التامة وا
شهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا كان او كاليا لانه احوط وابعد من التنازع والاختلاف
ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع اى التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وهذا
سائر الاوامر في هذه الاية للندب وعليه الجمهور وقيل للوجوب وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك
هي عزيمة من الله ولو باقية بقل والعمل به اولى في زماننا لما راينا من كثرة الغش وعدم الاشهاد سيما في بلاد ماوراء النهر وخر
اسان لما هناك من كثرة الظلمة واهل البغي والغش ولان الزمان زمان الغش والكذب وقرا عبيد بن عمر واشهدوا
خطابا للشهود اى اشهدوا اذا احضرتم المبايعات ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل
قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى على الاول نهيهما عن ترك الاجابة
الى ما يطلب منهما وعن التحريف والتغيير في الكتبة والشهادة وعلى الثاني النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلم او كلف
الخروج عما حد لهما او لا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان والمنهي ح هم المخاطبون او المتبايعان وقرا الحسن
ولا يضار بالكسر على اصل حركة الساكن والفتح للخفة وقرا ابو جعفر ولا يضار بالجزم كانه يريد يضارر فسقط احدى
الرائين وهي لغة للعرب اذا كان عين الفعل ولامه من جنس واحد اسقطوا احديهما وان تفعلوا كناية عن ضرار الكاتب
والشهيد فضمير فانه للضرار والمعنى وان يضار او فان الضرار فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم او على معناه والمفعول
محذوف والضمير للفعل اى وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه او وان تفعلوا الضرار ومانهيتم عنه فان الفعل فسوق بكم واتقوا
اتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في التداين وغيره ويعلمكم الله احكامه التي قد تضمنت لمصالحكم وتغنت
عنها عقولكم فان التعليم ليس الا ايضاح جهل به الشخص والله بكل شيء عليم ذكر الاسم الاعظم في الجملة الاولى لزيادة الترهيب
وهو كما يرى في محزه فان المقام مقامه وبعد المرجع وفي الثانية للترغيب فان من عادته عز وجل في كتابه الكريم ان يذكر
الترهيب مع الترغيب ارادة التنشيط عن اكتساب ما يتلق والتثبيط لاعتقاد ما يزلق كما ذكر التقوى فيما امر ونهى و
خوفهم منه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه ثناه بالترغيب فيما نعم عليهم اعنى ان تحويفه منه وتعليمه
حالها من كمال رحمته ولطفه بالعباد لانهم اذا اتقوه ما استطاعوا واخشوه دعاهم ذلك الى طلب
مرضاته واجتناب سخطه وصاروا احقاء بنيل ما وعدهم من تعليم احكامه التي هي الغور لجميع السعادات
الدينية والدنيوية ويجوز ان يراد انه مع كونه متقا محذورا العلم الشامل وقدرته الكامل مرجو لفضله
وانعامه وفي الثالثة لتعظيم شانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اى مسافرين ولم تجدوا
كاتبا فرهان مقبوضة والذى يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس الغرض من اشتراط
السفر في الارتهان تجويزه في السفر خاصة كما ظنه بعضهم لانه عم رهن درعه في غير السفر بل السفر
لما كان مظنة اعواز الكتبة والاشهاد امر على طريق الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم
التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد والجمهور على اعتبار القبض فيه غير ذلك وعن مجاهد

والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب بدون القبض وقراء ابن عباس
ولم تجدوا كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقراء ابو العالية كتبا وقرا الحسن
كتابا جمع كاتب وقراء ابن كثير وابو عمرو فرهن بضم الراء والهاء بلا الف وهو جمع رهن كسقف وسقف او جمع رهان ككتاب
وكتب قاله الفراء والكسائي وقراء الباقون فرهان بكسر الراء وفتح الهاء وهو جمع رهن ايضا فالاول جمع آخر او جمع الجمع وقراء
من باسكان الهاء فان امن بعضكم بعضا اي بعض الداينين بعض المديونين لحسن ظنه به بحيث استغنى بامانته
عن الارتهان وقراء ابي فان اومن اي آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان
من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سمي الدين امانة لائتمان الداين المديون على الدين بترك الارتهان
منه وهو حث للمديون على ان يكون عند ظن الداين به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن
منه والقراءة المعتد بها ان تقراء بهمزة ساكنة بعد الذال او بابدالها ياء كقول الايتمن والذيتمن ومثل هذه الياء لا تدغم
في تاء الافتعال فلا يقال اتمن وعلى كذا اي اتخذه امينا ومنه الحديث المؤذن مؤتمن اي يأتمنه الناس على الاوقات التي يؤذنون
فيها فيعملون على اذانه من صلوة وصوم وفطر وليتق الله ربه في الخيانة وترك انكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا
الشهادة ايها الشهود والمديون والشهادة شهادتهم على انفسهم وقراء السلمي لا يكتموا بالياء
ومن يكتمها فانه آثم قلبه يحتمل ان يكون آثم خبر ان وقلبه فاعله كانه قيل يأثم قلبه وان يكون قلبه مبتداء وآثم خبره
مقدما عليه والجملة خبر ان ومعنى كتمان الشهادة ان يضمرها ولا يتكلم بها واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان
يقترفه ومثله العين زانية والاذن زانية وللمبالغة فانه رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح
الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه ولئلا يظن ان
كتمان الشهادة من آثام اللسان ~~فكانه قيل فقد تمكن الاثم~~ فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه واللسان ترجمان عنه
ولان افعال القلب اعظم افعال الجوارح فجعل الكتمان من آثامه تنبيها على انه من معاظم الذنوب وقرئ قلبه بالنصب
كقوله سفه نفسه على التمييز او انتزاع الخافض لا المفعول على ما هو الحق فيكون آثم في قلبه وقراء ابن ابي عبلة
اثم قلبه اي جعله آثما وقراء يحيى بن وثاب آثم قلبه بالاضافة وهي قراءة مشكلة ولهذا قال ابو حاتم لا اعرفه ولا معنى
والله بما تعملون عليم وعيد على الكتمان وحث على تركه وقراء السلمي يعملون بالياء لله ما في السموات وما في الارض
هو الصانع للكل والمالك له لا صانع ولا مالك سواه فلا اله الا هو وهو رب كل شيء فهو يدبر اموركم ويجزيها على ما
يصلحكم وهو اعلم ما يأمركم وينهاكم عنه وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه اي ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب
المغفرة والعذاب يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض
فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وعن ابي هريرة
ان النبي عم قال ان الله تعالى وعدا ووعيدا موعدا فاما ما وعد فالجنة واما وعيد فالنار واما
ما اوعد فان شاء عفا وان شاء عذب وعنه عم ان الله لا يعذب من خلقه الا المارد

المتمرد والذي ان يقول لا اله الا الله رده عمر رض ولا يدخل فيها يجمعه الانسان الوسوسة وحديث النفس اذ ليس
في وسعه الخلو منه بل ما اعتقده وعزم عليه وعن ابن عمر رض انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذه لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه
فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل قوله لا يكلف الله وقراء عاصم وابن
عامر ويعقوب فيغفر ويعذب مرفوعين على فهو يغفر ويعذب على الاستئناف وكذا كل فعلين اشبهها اذا تم الجزاء فانت فيه
بالخيار ان شئت جزمته على ان ترده الى اول الكلام وان شئت رفعته على الابتداء وان شئت نصبته على [illegible]
كذا قال صاحب غرايب القراءة وقراء الاعمش يغفر يعذب بلا فاء مجزوما بدلا عنه بدل البعض عن الكل او بدل الاشتمال كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب فان على الاول يكون المغفرة
والعذاب من جملة الحساب وعلى الثاني يكونان من لواحقه وتفاريعه وقد ذهب كثير من المدققين كالزمخشري وغيره
الى ان مدغم الراء في اللام مخطئ خطأ فاحشا وروايته عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه ينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن
بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو
هذا الا اهل النحو وهذا الطعن كطعنهم في القراءة السبع التي لم يكن على وفق قواعد العربية ومن قواعدهم ان الراء
لا تدغم الا في الراء فادغام الراء في اللام يكون لحنا لان الراء حرف مكرر والوقف عليها يظهر ما فيها من التكرار ولام
في اللام ضعف فادغامها في اللام يبطل تكريرها ويفوته وقد يجاب بان القراات السبع متواترة والنقل بالتواتر
اثبات علمي وقول النحاة نفي ظني ولو سلم عدم التواتر فاقل الامر ان يثبت لغة بنقل العدول ويرجح بكونه اثباتا و
ونقل ادغام الراء في اللام عن ابي عمرو من الشهرة والوضوح بحيث لا مدفع له ووجهه من حيث التعليل ما بينهما
من شدة التقارب حتى كانهما مثلان بدليل لزوم ادغام اللام في الراء في اللغة الفصيحة الا انه لم يكن تكرار الراء فلم
يجعل ادغامه في اللام لازما فالزمخشري فيه مخطئ ثلث مرات والله على كل شيء قدير فهو يقدر على الاحياء و
المحاسبة والمغفرة والعقوبة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة من الله وتنبيه على صحة ايمان
والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه وعن الحسن والمجاهد والضحاك ان هذه الاية كانت في قصة المعراج
وهكذا عن ابن عباس وقيل جميع القرآن نزل به جبريل الا هذه الاية فان النبي سمعها ليلة المعراج والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ان عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير النايب عنه التنوين عايدا الى
الرسول والمؤمنون اي كلهم آمن وحسن الوقف عليه فان قوله كل مبتداء لكونه معرفة في المعنى او نكرة موصوفة
اي كل منهم وآمن خبره والجملة مستانفة ولذا وقف على المؤمنون وان جعل مبتدا فلا خفاء في عدم الوقف عليه وكان الضمير المذكور للمؤمنين
خاصة ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن كان يجوز ان يجمع كقوله تعالى وكل اتوه داخرين فان مثل هذا الضمير
يجوز افراده نظرا الى كل واحد وجمعه نظرا الى المجموع فيكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة
ومعاينة وايمانهم عن نظر واستدلال قال احمد بن الحسن بن محمد بن معدان اقرأنا ابو محمد بن معدان كل كل آمن بالله و
قراء حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس وهكذا قراء ابن عباس والفرق بينه وبين الجمع انه يصح في المفرد الذي يعني به الجنس ان يراد

به بعضه الواحد فالاول اعم واشمل بحيث يتناول الثانى وغيره ولذلك قال ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب
وقرى وكتبه ورسله بالسكون وقرا ابو الاسود ورسله بكسر اللام وضم الهاء قال حرب قلت لابى الاسود صليت خلف
عمر بن الخطاب قال نعم قلت كان يلحن قال لا الا انه كان يقراء وكتابه ورسله فقلت ليس هى يا ابت قال ورسله لا
نفرق بين احد من رسله اى يقولون لا نفرق بين احد من رسله كما فرقت اليهود والنصارى وعن ابى عمرو لا يفرق
بالياء على ان الفعل للكل وقرا عبد الله لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين او على الظاهر وهو الرسل و
المؤمنون واحد فى معنى الجمع ولذلك دخل عليه بين ومعناه ما ذكر فى كتب اللغة ان احد الاسم لمن يصلح ان يخاطب يستوى فيه
الواحد والمثنى والجموع والمذكر والمؤنث واشترط ان استعماله مع كلمة اوفى كلام غير موجب نص على ذلك الشيخ ابو على الفارسى
وغيره من ائمة العربية وهو غير الاحد الذى هو اول العدد فى مثل قل هو الله احد لان المراد به فى مثل هذا الموضع من الجنس الذى
يدل الكلام عليه وليس كونه فى معنى الجمع والجماعة من حيث انه نكرة فى سياق النفى على ما زعم كثير من الناس فمعنى لا نفرق
بين احد لا نفرق بين جمع من الرسل فما منكم من جماعة ومعنى لستن كاحد من النساء كجماعة من جماعات النساء و
هذا فى كل موضع اضيف بين اليه او اعيد ضميره جمع اليه او نحو ذلك وقرا مزيد بن على لا يفرق مبنيا للمفعول وقالوا سمعنا
اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا منصوب باضمار فعل اى اغفر غفرانك او نطلب غفرانك وقيل اغفر انك
لا نكفرانك اى نستغفرك ولا نكفرك واليك المصير اى مصير امور الدنيا والاخرة كلها وهو اقرار منهم بانه مالك الامر كله
فى الدارين واليه يرجع الكل اليه وروى ان جبريل عم قال للنبى عم حين نزلت هذه الاية ان الله قد اثنى عليك وعلى امتك
فسل تعطه فسال بتلقين الله عز وجل غفرانك ربنا لا يكلف الله نفسا الا وسعها الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق
عليه ولا يحرج فيه اى لا يكلفها الا ما تسعه قدرتها ويتيسر لها عليه دون مدى الطاقة والجهود وهذا اخبار عن وضع
الاصر والاغلال التى كانت على من قبلهم وعن سفيان ان الانبياء عليهم السلام كانوا يأتون قومهم بهذه الاية وان
تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيقولون لا نطيق هذا ولا نحمله فاخذهم بالمؤاخذة فلما عرضت على هذه
الامة قبلوها فاعقبهم الله تعالى بان وضع عنهم فانزل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الاية اخبارا عن رحمته ورافته بهم كقوله يريد الله
بكم اليسر فهو دليل بين على عدم وقوع التكليف بالمحال وقرا ابن ابى عبلة وسعها بفتح الواو وكسر السين ووسعها بفتح الواو
وسكون السين وقرا عكرمة وسعها بكسر الواو وسكون السين وذكر صاحب اللوايح ان الثانى ايضا قراءة عكرمة لها ما كسبت
من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها غيرها ولا ينضر بذنبها غيرها وانما خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان
فى الاكتساب اعتمالا والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت فى تحصيله اجد واعمل فلذلك جعلت مكتسبة فيه بخلاف الخير والحاصل
ان السيئة فكان النفس له اكثر ميلا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اى لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطاء
من تفريط واغفال وقلة مبالاة فذكر النسيان والخطاء واريد سببيهما التفريط والاغفال اى لا تؤاخذنا بتفريط واغفال يفضى
الى خطاء او نسيان وتنزيل كل واحد من السبب والمسبب منزلة الاخر لالتباسهما واتصالهما من الظهور والوضوح
بحيث لا مدفع له وايضا كانوا من اهل البر والتقوى لما رتبة لا يكون اعلا منها فما كانت تقع منهم فرطة الا على وجه النسيان

والخطاء فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان بالنسيان والخطاء
مؤاخذة فلا ينبغى لهم ثم يؤاخذ به الا الخطاء والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة كما فى قوله
اهدنا الصراط المستقيم ويشهد لذلك قوله عم ان الله وضع عن امتى الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه والفرق بين النسيان
والسهو ان النسيان اشد منه لانه زوال ما للتصورة لا بالكلية بحيث يحتاج الى اكتساب جديد بل بحيث يتنبه بادنى توجه والتفات
بخلاف النسيان فانه زوالها بالكلية بحيث انه يحتاج الى اكتساب جديد والخطاء هو ان يتصور صورة المنافية للحق بحيث لا يزول
بسرعة والدعاء وعد النجاة وعن ذلك رأفة ورحمة وتنبيها على زيادة اللطف وكمال الفضل والمغفرة ربنا ولا تحمل علينا
اصرا والاصر العبء الذى يأصر حامله اى يحبسه مكانه لا يستطيع رفعه لثقله استعير للتكليف الشاق من وجوب قتل
النفس بحيث لا ينفع بالعفو والصلح ووجوب قطع موضع النجاسات من الثوب والجلد كالخف والفروة ولانه لا يطهر بالغسل
وقطع الاعضاء الخاطية واحراق الغنائم وفرض خمسين صلوة وغير ذلك من الاعمال التى ليست فى شريعة نبينا صلى الله عليه
وسلم وقرى ولا تحمل بالتشديد للمبالغة وقرا اصارا على الجمع كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه على من قبلنا
او مثل الذى حملته عليهم فالكاف على الاول صفة مصدر محذوف وما مصدرية وعلى الثانى صفة اصر وما موصولة والاظهر
هو الثانى فليتامل ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا ما تقدم من قوله
ولا تحمل علينا اصرا الاعفاء عما نزل عليهم من التكليفات التى كلفوها من قبلهم ثم طلبوا بقوله ولا تحملنا الاعفاء
من انزال العقوبات التى نزلت من قبلهم على تقصيرهم فى المحافظة على التكليفات الشاقة وقيل المراد به التكليف الشاقة التى
تشبه ما لا يستطاع اصلا وهذا تكرير لقوله تعالى ولا تحمل علينا اصرا والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعولين نحو فكرمته الشيء و
حملته النقل لا للمبالغة كما فى الاسابوع وقال قتادة ما لا طاقة لنا به هو الغلمة واعف عنا وامح ذنوبنا وازل اثارها من صحايف
اعمالنا واغفر لنا واسترعيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وانعم علينا او وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولينا سيدنا
ونحن عبيدك او ناصرنا او متولى امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فمن حق المولى ان ينصر حبيبه على الاعداء او فان عس
ذلك عادتك من امورنا التى عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله عم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة
قد فعلت اى كل كلمة من كلمات الدعوات او كل نوع من الدعوات والنكتة فى صيغة الجمع ان الدعاء منهما كان اعم لما
كان الى الاجابة وعنه عم انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة من قراهما بعد
العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عم اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبى قبلى وعن الاكاديمى
تروقول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغى ان يقال السورة التى تذكر فيها البقرة كما قال عم السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط
القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قال السحرة وعنه عم يأتى القرآن يوم القيمة تقدمه سورة البقرة
وآل عمران كانهما غيايتان او كانهما ظلتان سوداوان بينهما شرف او كانهما فرقان من طير صواف الغياية كل ما اظل
الشرف الضوء وقيل الشق اى بينهما فرجة فرقان طايفتان صواف باسطات اجنحتها فى الطيران وان كان منع البقرة للالباس س
فلا الباس كيف وقد قال النبى عم تعلموا البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان وانهما يأتيان يوم القيمة كانهما غمامتان او

او غيابتان او فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما وقال النبي عليه السلام البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها
ثمانون ملكا واستخرجت الله لا اله الا هو الحي القيوم من تحت العرش فوصلت بها وعنه عليه السلام اذا مات احدكم فلا تحبسوه و
اسرعوا به الى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمة البقرة ونحن نسأل الله ان يجعلنا من اهل النظر
الى وجهه الكريم وان يونسنا عذاب الجحيم ونحمده على كل حال وهو الحقيق بتحقيق الآمال ونصلي على نبيه المصطفى خاتم الا
نبياء وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين الطيبين الطاهرين سورة آل عمران مدنية وهي مائتان آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو قد ذكر فيما
مضى انهم اختلفوا في مثل الم فقيل انه معرب وسكونه سكون وقف لا بناء والا لحذف في نحو كيف واين وهؤلاء و
لم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين وقيل مبني لعدم مقتضى الاعراب وسكونه سكون بناء واغتفار التقاء
الساكنين فيه للفرق بين ما بني لعدم المقتضي وما بني لوجود المانع اذا تمهد هذا فتقول اتفقت كلمة القراء الا في رواية
عن ابي بكر عن عاصم على فتح الميم فاسقاط الهمزة فقال كثير من المحققين انه حركة لالتقاء الساكنين واوثر الفتحة للخفة
والمحافظة على التفخيم في الله وقيل انه حركة الهمزة في الله نقلت الى الميم حين حذفت الهمزة للتخفيف على ان الميم اذا
كان في حكم الوقوف عليه لم تكن الهمزة في الدرج بل في الابتداء فجاز تخفيفها بحذفها ونقل حركتها الى الساكن قبلها كيد الى
عليها كما في قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذف الهمزة وجاز نقل حركة الهمزة الى ما قبلها تخفيفا سواء
كانت للوصل كما في واحد اثنان او للقطع كما في ثلثه اربعه على ما حكى سيبويه والسندي على انه حركة الهمزة الفتحة على الميم لا ام كر
لالتقاء الساكنين كما ذهب اليه سيبويه وابو علي وكثير النحاة بوجهين احدهما انها في حكم الوقف والتقاء الساكنين
مغتفر في باب الوقف كقولهم عمرو ابرهيم واسحاق وداود وثانيهما انه لو كان لالتقاء الساكنين لحرك كلها ما في التوراة كل
مثل لام ميم صاد مثلا ولا انتظم ساكن ثالث كاللام من الله فقيل لا يحرك لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا
الوقف وامكنهم النطق بساكنين الحي القيوم اتفق الناس باسرهم على انه تعالى عالم قادر وكل عالم قادر فهو حي
بالضرورة لكن اختلفوا في معنى حيوته لانها في حقنا اما اعتدال المزاج النوعي واما قوة تتبع ذلك الاعتدال سواء كانت
نفس قوة الحس والحركة او مغايرة لها على اختلاف الآراء ولا يتصور شيء من هذه للعالم في حقه تعالى الجمهور انما هي صفة توجب
صحة العلم والقدرة وقال كثير منهم انما هي كونه يصح ان يعلم ويقدر وهو مذهب الحكماء وابي الحسين من المعتزلة واما القيوم فقد
تقدم انه يدل على كونه قائما بذاته مقوما لغيره ومن هذين الاصلين تتشعب جميع المسائل المعتبرة في اصول التوحيد اذا
تقرر هذا فنقول استدل على ان قوله الحي القيوم هو اسم الاعظم بوجهين الاول ما روي ان ابي بن كعب طلب من النبي ان
يعلم الاسم الاعظم تعالى هو في قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم او في قوله الم الله لا اله الا هو الحي القيوم قالوا وليس في كل لا اله
الا هو لان هذه الكلمة موجودة في كثير من الآيات فلما خص بهم الاسم الاعظم بهاتين الآيتين علم ان ذلك هو الحي القيوم الثاني
ان هذين الاسمين يدلان على صفات العظمة والكبرياء والالهية على ما يدل عليه ساير الاسماء وذلك يقتضي كونها اعظم
الاسماء وعن علي رضي الله عنه لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من القتال ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ماذا يصنع فاذا

هو ساجد

هو ساجد اي قيوم ونزيد عليه ثم رجعت الى القتال ثم جئت وهو يقول ذلك فلم ازل اذهب وارجع وانظر لا يزيد على ذلك الى ان فتح
الله تعالى وعنه عليه السلام اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي
طه وعنت الوجوه للحي القيوم وعن ابن عباس اسماء الحي القيوم وقيل ان عيسى اذا اراد ان يحيي الموتى كان يدعو بهما وكذلك
صاحب سليمان حين اراد ان يأتي بعرش بلقيس وعاد لك وسئل موسى عن اسم الله الاعظم فقال للقوم قولوا ايا هيا شراهيا يعني يا حي يا
قيوم ومما يؤيد الوجهين ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل به بلاء او غم يقول كثيرا يا حي يا قيوم برحمتك ا
ستغيث وقرا النخعي والاعمش الحي بفتح اليا مخففا وعمر بن الخطاب وابن مسعود القيام وعلقمة القيم وكذا في سورة البقرة نزل عليكم
الكتاب القرآن منجما موزعا على حسب المصالح وكفاء الحوادث بعد ان انزل دفعة من اللوح الى سماء الدنيا وعبر عن ذلك بالتنزيل لما فيه
من الدلالة على التدرج والتكثير وقرا الضحاك والاعمش نزل عليك الكتاب بالحق صفة مصدر محذوف وهو ظاهر او حال من الكتاب
فيكون ملتبسا بالحق اي بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية وهو
حال مؤكدة يتضمن اثبات حقيته وتقرير صدقه وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى وكل واحد منهما اعجمي وافق عربيا كما
خنطا حنطة وبحانا الرحمن لا غيره لكن فهما من الوري والنجل في حالة الاعجمية لو كان اعجميين تعلق لان هذا انما يصح بعد كونهما
عربيين ويؤيده كون قراءة الحسن الانجيل لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب وهذا القول ضعيف فان دخول اللام في الاعلام الا
عجمية محل نظر على ان القول باشتقاق التورية من وري الزند وهو الضوء الذي يظهر منه عند القدح فكانها ضياء ونور منقول من الو
بعينه نقل البصريون اصلها وورية بوزن فوعلة ابدلت الواو الاولى تاء كما في تولج من ولج وقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح
ماقبلها وقال الكوفيون اصلها تورية بفتح الياء فقلبت الفا ولما لم يوجد في الكلام تفعلة قال بعضهم
انها تفعلة بالكسر كتوصية فغيرت عينها ثم قلبت الفا كما تقول في توصية توصاة وناصية ناصاة من قبل
من قبل تنزيل القرآن هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى فاللام للعهد ومن قال نحن متعبدون بشرع
من قبلنا فسر الناس على العموم ذهابا الى ان اللام للجنس ولم يجعله للعهد وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب
السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل والكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلثة
وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب الثلثة او اريد به الفرقان وكرر ذكره
بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعدما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله
من حيث انه يشاركهما في كونهما وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين الحق والباطل اللهم الا ان يراد به
الزيادة فيه واللام يحصل به التمييز لان غيره من الكتب السماوية يصدق عليه ايضا انه معجز يفرق به بين
الحق والباطل كما مر آنفا وقيل يجوز ان يراد به المعجزات والاوجه ان يقال ان قوله نزل اولا وانزل ثانيا
للاشارة على ان للقرآن تنزيلا وانزالا فانه قد روي ان الله تعالى انزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من
اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا واملاه جبريل على السفرة فحفظته الحفظة وكتبته الكتبة في الصحف ثم نزله
منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجما في ثلث وعشرين سنة فمن قال القرآن معنى قايم بذات الله فانزاله ان يوجد

الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ ومن قال القرآن هو الالفاظ فاثباته في اللوح لان الانزال انما يكون بعد الوجود لان الملايم للرواية المذكورة ان يراد بانزاله اظهاره وايجاده في سماء الدنيا بعد الايجاد والاظهار في اللوح المحفوظ واما استدلال المعتزلة بان القرآن متصف بما هو من صفات المخلوق وسمات الحدوث من الانزال والتنزيل وكونه عربيا معجزا الى غير ذلك فانما يقوم حجة على الحنابلة لا علينا لانا قائلون بحدوث النظم فان القرآن عندنا يطلق على الكلام الازلي الذي هو صفة الله تعالى كما في قوله م القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم وهي صفة قديمة منافية للسكوت والآفة ليست من جنس الحروف والاصوات لا يختلف له حكم ولا يتعلق بزمان الا باعتبار التعلقات والاضافات كالحيوة والسمع والبصر والعلم وغير ذلك فان كلا منها واحدة قديمة والتكثر والحدوث انما هو في التعلقات ويطلق على المقروء اي الكلام اللفظي المؤلف من الاصوات والحروف القائمة بمحالها ويسمى هذا كلام الله والقرآن على معنى انه عبارة عن ذلك المعنى القديم ان الذين كفروا اي ثبتوا على كفرهم وصمموا على التكذيب والجحود بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب على كل شيء فلا يمنع من التعذيب ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثل منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد بقوله الله لا اله الا هو وذكر الكتب التي هي العمدة في دعوى الرسالة والنبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كاين في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عن العالم بالارض والسماء لانهما العالم كله في النظر الظاهر وتصوير الاحاطة علمه وامتناع الغفلة عليه في شيء من الجزئيات والكليات لان الكل صادر عنه على صفة الاتقان ومقدوره له فهو مطلع على كفر الكافر وايمان المؤمن كانه قيل يجازيهم الله الذي لم يكن له الغلبة والقدرة والعلم باحوال العباد وانما قدم الارض على الاصل ولان الكلام في اهلها وقيل ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره والمعنى على صورة ... اي بهيئة يشاء يصوركم ... تصوركم اي صوركم لنفسه وعباده كقولك اثلث مالا اذا جعلته اثلثة اي اصلا وثالثة اذا اثلثته لنفسك وعن ابي عمرو يصوركم محتمله الراء ومثله ويحذركم الله وعن سعيد بن جبير هذا احتجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كانه بنيته بكونه متصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جميع ما يعلم ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم تقرير لكمال قدرته وبيان لتناهي حكمته روي انه وقد نجران لما حاجوا في امر عيسى عليه السلام رسول الله نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبهتهم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات اتقنت عباراتها بان امنت من النسخ والتبديل بالكلية من احكمت الشيء اتقنته وبناء محكم مأمون الانتقاض ويجوز ان يكون من احكمت فلانا منعته فالمحكمات منعت من ان يرد عليها النسخ والتبديل وقيل احكمت عباراتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه وقيل من الاجمال وهي كنحو قوله

تعالى

تعالى لا الحكم الواحد وقوله ان الله على كل شيء قدير وقوله ان الساعة آتية وقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس الى غير ذلك لان اخبار الله تعالى مما لا يتطرق به النسخ والتبديل لتعاليه عن الكذب وقيل محكمات اي واضحات وقيل ما فرد على تأويل كل واحد منها بالحلال والحرام وقيل ناسخات لم تنسخ قط هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس جمع امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على الكل بمنزلة آية واحدة وقيل ثلث آيات من سورة الانعام اولها قل تعالوا اتل ما حرم ربكم الى آخره وعن ابن عباس سمع رجلا يقول فاتحة الكتاب فقال له بل ام الكتاب قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم الآيات الثلث واخر متشابهات متشابهات بنفس اللفظ بحيث لا يرجى دركها اصلا كالمقطعات في اوايل السور والسمع والبصر وجواز الرؤية بالعين الى غير ذلك من اليد والوجه مثلا فان كلا منها من قبيل المتشابه بحقيقتها ولا يدرك كيفيتها وقيل المقطعات اسماء السور واليد مجاز عن القدرة والوجه عن الرضا او الكلام المشتمل على اليد والوجه ونحوهما تمثيل لتعبير مفرداته تشبيه فلا يبقى من قبيل المتشابه والحق انه قد دل الدليل القاطع على ثبوت هذه الامور له تعالى مع القطع باستحالة معانيها الظاهرة على الله تعالى لتعاليه عن الجسمية والجهة والمكان فيكون حقا الا ان الكيفية مجهولة لا يرجى دركها فيكون من قبيل المتشابه وحكم المتشابه التوقف عن طلب المراد مع اعتقاد حقيته عندنا بناء على ان قراءة الوقف على الا الله الآية الا على ان تأويل المتشابه لا يعلمه غير الله وافرد جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف الا انه في معنى المعروف احق آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ اي عدول عن الحق وهم اهل البدع والاهواء على طبقاتهم فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تأويله وطلب ان يأولوه التأويل الذي يشتهونه والتأويل لم الابتداع اما المجموع الطلبتين وهو الاظهر بدليل العطف بالواو وكل منهما على التعاقب والاول يلايم المعاند والثاني الجاهل وما يعلم تأويله الا الله اي تأويله الذي يجب ان يحمل عليه والراسخون في العلم اي الثابتون المستقيمون الذين لا يستميلهم الهوى وتشكيكهم واعلم انه اريد بالمتشابه ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه اصلا فالحق الوقوف على الا الله وان اريد به ما لا يتضح بحيث يتناول المجمل والماول فالحق العطف والمقام يستدعي زيادة التقرير فنقول منهم من قرأ بالوقف على الا الله وقفا لازما وبعضهم قرأ بلا وقف فعلى الاول يكون الراسخون خبرا عاما لمبتدأ بالمتشابهات بخلاف الثاني ثم ان بعض العلماء رجحوا الاول بوجهين الاول انه بهذا الوجه يليق بالنظم لانه لما ذكر ان من الكتاب متشابهات جعل الناظرين فيه فرقتين الزائغين عن الطريق والراسخين في العلم فجعل اتباع المتشابهات حظ الزائغين كقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ واتباع تأويله والاعتراف بحقيته مع العجز عن ادراكه حظ الراسخين لقوله آمنا به كل من عند ربنا اي تصديق حقيته سواء علمناه او لم نعلمه هو من عند الله لا كقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كما زاد بعض الناظرين ليكون له درب لدى الاعتراض حيث قال فيه نظر اذ لا يخفى على الراسخين ولم تذكر على ما هو المسطور والمنقول عنهم لم يكن لهذا الاعتراض معنى الثاني ان على المذهب الاخير يقولون آمنا به خبر مبتدأ محذوف كما صرح به كثير منهم والحذف خلاف الاصل على ان الجملة الفعلية صالحة للابتداء

من غير احتياج الى اعتبار حذف المبتدأ وتجويز ان يكون يقولون حالا من المعطوف فقط اى الراسخون لعدم الالتباس
وضمير به للمتشابه او للكتاب والفائدة في ان المتشابه من الابتلاء فكما ابتلى الجاهل بالامعان في طلب العلم ابتلى
الراسخ في العلم بالتوقف عن طلبه وكبح عنانه عنه وهذا اى ابتلاء الراسخ اعظم النوعين بلوى لكونه في ترك المحبوب
واتمهما جدوى لانه اشق فثوابه اكثر فان قيل ما من آية الا وقد تكلم العلماء في تاويلها من غير نكير من احد فهذا الاجماع
على عدم وجوب التوقف في المتشابه او وجيب التوقف انما هو عن طلب العلم حقيقة لا ظاهرا والائمة انما تكلموا في تاويله
ظاهرا لا حقيقة ولعمري ان جميع القرآن من هذا القبيل لانه بحر لا ينقضي عجائبه ولا غرائبه حيث اشتمل على الدقائق والاسرار
والخواص الخارجة عن طوق البشر فلا يمكن للبشر الغوص على لآليه والاحاطة بكنهه وحقيقة ما فيه ومن ههنا قيل بحر تحير العقل فيه
ايضا وبعضهم رجحوا الثاني اى مذهب القائلين بان الراسخين يعلمون تاويل المتشابه بعطف الراسخين على الله تعالى وترك
الوقف على الله بوجوه اما اولا فلانه لو اريد بيان حظ الراسخين مقابلا لبيان حظ الزائغين لكان المناسب ان يقال
واما الراسخون فيقولون واما ثانيا فلانه لا فائدة ح في قيد الرسوخ بل هو حكم العالمين كلهم واما الثالث فلانه ح لا
ينحصر الكلام في المحكم والمتشابه على ما هو مقتضى ظاهر عبارات حيث لم يقل ومنه متشابهات لان ما لا يكون يتضح المعنى ويهتدي
العلماء الى تاويله ورده الى المحكم مثل الم ربنا مما طرح لا يكون محكما ولا متشابها بالمعنى الذي ذكرتم وهو كثير جدا واما رابعا
فلان المحكم ح لا يكون ام الكتاب بمعنى رجوع المتشابه اليه اذ لا رجوع اليه لما استأثر الله تعالى كعدد الزبانية ووقت
قيام الساعة ومدة بقاء الدنيا وخواص الاعداد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا القرآن والتمسوا غرائبه وغرائبه فرائضه
وفرائضه حدوده وحدود القرآن حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال فاحلوا حلاله وحرموا حرامه واعملوا بالمحكم وآمنوا بالمتشابه
واعتبروا بامثاله رواه ابو هريرة رض وكلاهما مذهب السلف اما الاول فظاهر واما الثاني فلكونه ايضا في الماثور ا
الاول والثاني في نقل تاويل المتشابهات عن الصحابة والتابعين وعن ابن عباس انه كان يقول الراسخون
في العلم يعلمون تاويل المتشابه وانا ممن يعلم تاويله كل من عند ربنا اى كل من المتشابه والمحكم من عنده وقرأ عبد الله
ان تاويله الا عند الله وقرأ ابي ويقول الراسخون وما يذكر الا اولوا الالباب عطف على قوله وما يعلم تاويله الا الله
او يقولون على انه مدح للراسخين بحسن التامل والقاء الذهن وجودة النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء
الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس قيل اتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها
في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب
له غير الله فاجيب بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب وغيرها وبانه مصوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور
وقرأ الضحاك وما يذكر الا اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا استيناف او من مقال الراسخين والازاغة عبارة عن الضلالة
بدليل وقوعه في مقابلة الهداية اى لا تمل قلوبنا عن الحق الى الباطل او عن الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه وقال
عم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها
قلوبنا وقرئ لا تزغ قلوبنا بالياء والتاء ورفع القلوب قال ابو الفضل كذلك في مصحف ابن مسعود وقرأ ان الله

لا تزغ

لا يزغ بفتح الياء وضم الزاء وعن نافع لا تزغ بفتح التاء وضم الزاء بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين و
بعد نصب على الظرفية واذ في محل الجر باضافته اليه وقيل هو بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة اى انعاما من خزائن رحمتك
رحمة وهي الثبات على الحق والمغفرة والرزق والامن من الضلالة كلها والتوفيق للخير كله وقيل تثبيتا على الهدى انك
انت الوهاب لكل سؤل وكثير العطاء بلا عوض فهو صيغة فعالية وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله فانه متفضل
بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم اى لجمعهم لحساب يوم او لجزائه كقوله يوم يجمعكم ليوم
الجمع اى لحسابه او لجزائه وقرئ جامع الناس على الاصل لا ريب فيه في وقوعه وكل اليوم وحسابه تنبيها على ان معظم
غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد عدول عن الخطاب الى اسم الظاهر
تنبيها على ان الحكم مترتب على ما يدل عليه اسم الله تعالى معناه الالهية تنافي الخلف الميعاد كقوله ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد
بمعنى المصدر لا الزمان او المكان قال البيضاوي واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل
منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا اى جميع الكفار وقيل اليهود وقيل وفد نجران وقيل مشركوا العرب
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا تعالى اغنى عنه اذا اجزأ عنه وكفاه فشيئا مفعول به ومن بدلية كما في قوله ان الظن
لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله وطاعته وعذابه شيئا اى بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع
ذا الجد منك الجد اى لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اى بدل طاعتك وعبادتك وما عندك ويجوز ان يكون نصبا على المصدر
وقيل على الحال ومن الله صفة له قدم عليه تقديره لن تدفع عنهم الاموال شيئا من الله وقد يجعل مفعولا به لما في اغنى من معنى
الدفع لانه في الاصل دفع الحاجة لكن بهذا لا يستقيم على ما ذكرنا لظهور ان ليس المراد لا تدفع عنهم شيئا بدل رحمته وطاعته
ولا يدفع الظن بدل الحق وقرأ علي كرم الله وجهه لن يغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين حيث استثقل
الفتحة التي هي اخف الحركات وقرأ عبد الرحمن لن يغني بالياء واولئك هم وقود النار حطبها وقرأ الحسن وقود النار بضم الواو
عن رسول الله صلعم اولئك هم وقود النار واولئك وقود النار غيرهم وقراءة وقود بالضم بمعنى اهل وقودها كداب آل فرعون
والكاف مرفوع المحل اى داب هؤلاء الكفرة كداب آل فرعون في الكفر او محل النصب بلن تغني او بالوقود اى لن
تغني عنهم مثل ما لم تغن عن آل فرعون او توقد بهم النار كما توقد بآل فرعون والداب كان في الاصل
مصدر داب في العمل اذا كدح فيه لكنه على الاول بمعنى الشان والحال وعلى الثاني في معنى المصدر ولكنه ماخوذ من عامله
اى عدم اغنائهم مثل عدم الاغناء عن آل فرعون او توقدا بهم مثل التوقد بآل فرعون تقول انكم لتظلم
الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك وان فلانا لمحارف كداب ابيه تريد كما حرف ابوه وقرأ طلحة بن مصرف
كداب بفتح الهمزة والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم
حال باضمار قد اى كذبوا او استيناف وقع تفسيرا للداب كانه قيل ما فعلوا او فعل بهم فيكون جواب سؤال مقدر
عن حالهم او استيناف لبيان السبب او خبر ان نوبت الابتداء بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة
تخويف للكفرة وتشديد العقاب في تقدير شديد عقابه لا تنفك من هذا التقدير قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم

به ويحشرون الى جهنم فيجب على هذا القول ان يكون قوله قد كان لكم آية خطابا لهم ليستقيم وقيل هم اليهود
لما غلب رسول الله عم يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا
حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا فيه وقيل جمعهم النبي صلى الله وسلم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع
فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم مثل ما نزل بهم فقد عرفتم اني
نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن
الناس فنزل قوله قل للذين كفروا الاية وقد صدق الله وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وقيل بعضهم واجلاء بعضهم ومعناه على
القصة الاولى لا تكونوا يا معشر اليهود فانكم ان غلبتم اليوم فستغلبون انتم غدا وتحشرون الى جهنم وعلى الثانية
ستغلبون مثل ما غلبت قريش وقرأ حمزة والكسائي سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا ا
ن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف على قل لهم قولي لكم ستغلبون والباقون بالتاء والفرق بينهما من حيث المعنى انه
على تقدير ياء الغيبة امر النبي عم بان يؤدي اليهم ما اخبره الله من الحكم سيغلبون بحيث لو كذبوا كان التكذيب
راجعا الى الله تعالى وعلى تقدير تاء الخطاب امره بان يخبرهم من عند نفسه بمضمون الكلام مما سيجري عليهم من الغلبة و
الحشر الى جهنم حتى لو كذبوا كان راجعا اليه عم فهو اخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكاين من نفس المتوعد به اي الامر الذي
وقع به الوعيد والذي يدل عليه اللفظ اي معناهما نفس الامر الذي وقع به الوعيد ومدلول اللفظ وبئس المهاد
تمام ما يقال لهم او استيناف تقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش على ما
هو الوجه الاول او اليهود وعلى الثاني وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله هم رسول الله
واصحابه رض وقرأ مجاهد يقاتل بالياء واخرى كافرة هم مشركوا مكة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد
المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم
ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم فكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل على الاول قرأ نافع تر
ونهم بتاء الخطاب اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم قللهم في اعينهم اولا
حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله لهم وذلك ابلغ في القدرة وا
اظهار الاية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم
الله في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وقراءة نافع لا تساعد على هذا المعنى لان التقدير ان خطاب لكم
للمشركين وفاقا فينبغي ان يكون ترونهم ايضا لهم فذا رتنا في النظم فيلزم ان يكون الضمير على قراءة ياء الغيبة
ايضا لهم ليتفق القراءتان وقرأ ابن مصرف ترونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته
وقرئت فئة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من فاعل التقتا الضمير وقرأ ابن عباس مثليكم
رأي العين رؤية ظاهرة معاينة فيكون قوله مثليهم مفعولا ثانيا على ان ترونهم متعد الى مفعولين لكونه بمعنى العلم علما
يستند الى المعاينة لا بمنزلة ان يقال فان الرؤية لو كانت بمعنى الاخبار وجب ان تكون موصولة بالي لاعتبار معنى النظر لخلاف ما اذا كانت بمعنى العلم

والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو وان في ذلك اي في تقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى
في اعينهم او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الوقعة آية ايضا يحتملها وقوع الامر على ما اخبر به
الرسول لعبرة لاولي الابصار اي لعظة لذوي البصاير وقيل لمن ابصرهم وقيل لمن يبصر الحق زين للناس حب الشهوات
المزين هو الله لانه الخالق للافعال والدواعي وايضا زينة للابتلاء لانه يكون وسيلة الى السعادة الدنية ولانه من
اسباب التعيش وبقاء النوع ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس مبنيا للفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا
نعلم احدا اذم لها من خالقها وفرق الجبائي بين المباح والمحرم وقوله حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة
في كونها مشتهيات محروصا على الاستمتاع بها وايماء على انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله تعالى احببت حب الخير و
اصل الشهوات نزوع النفس الى ما تريد من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث بيان للشهوات وهي من الاقدام وتقدم ذكر النساء لكونهن اشهر الاشياء للنفس وايضا فتنتهن اشد من كل ملهوا
كما روي عنه عم انه قال ما تركت بعدي فتنة اشد من فتنة النساء ولانهن ورد الاصل والباقي تبع لها والمراد بالبنين الذكور من الاولاد
على الاصل والاناث ايضا على التغليب والاول هو الاظهر والقنطار المال الكثير وقيل ملء مسك ثور وعن معاذ ابن جبل
الف ومائتا اوقية وعن ابي هريرة اثنا عشر الف اوقية وعن مجاهد سبعون الف دينار وعن سعيد بن جبير مائة الف
دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وسئل الحسن عن القنطار فقال هو مثل دية احدكم والمقنطرة مبنية
من لفظ القنطار للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والوف مؤلفة اي كاملة وقال المؤرخ ان شان العرب ان يشتقوا من لفظ الشيء
الذي يريدون المبالغة في وصفه ما يتبعونه تاكيدا وتنبيها على تناهيه من ذلك ظل ظليل وداهية دهياء وشعر شاعر و
قيل لا يبعد ان يكون المقنطرة من قنطرت الشيء رفعته ومنه القنطرة لارتفاعها والمسومة المعلمة من السومة
وهي العلامة او المرعية من سومت الدابة واسمتها او المطهمة وهي تامة الخلق والانعام الازواج الثمانية من الابل
والبقر والضان والمعز سميت به لكون اعالي البدن خلفها بخلاف الوحش واما لان اكثر نعم العرب منها وهو اسم مفرد اللفظ
وان كان بمجموع المعنى ولذا ذكر ضميره في قوله تعالى ان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه هكذا قال سيبويه في كتابه وقرره
السيرافي في شرحه ومن الفوائد انه اي ذكره على معنى النعم فهو يذكر ويؤنث ذلك اشارة الى جميع ما سبق على تاويل او تاويل
المذكور متاع الحيوة الدنيا منفعتها تزول وتفنى والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو حث وتحريض
على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الباقية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد
به التقرير ان ثواب الله خير مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
كلام مستانف يبين ما هو خير والله متعلق بخير او خبر جنات قدم عليه للحصر والاختصاص ان اراد بالذين
اتقوا المؤمنين مجرد صالحين كانوا او طالحين فان التقوى لم يحصل لاحد الا بالايمان بالنبي عم المعصوم الذي لا يتحقق
الايمان والاسلام الا باتباعه وموافقته على ما روي عنه عم انا زعيم والزعيم الحميل لمن آمن بي واسلم ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط
الجنة وببيت في اعلى الجنة من فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا فليمت حيث شاء ان يموت وقيل ترتفع جنات على هو

جنات ويوجه قراءة من قرأ جناتٍ بالجر بدلا من خير وقيل يحتمل النصب عطفا على عند متعلق واعلم يجعل عند ربهم في مو
قع الخبر ظاهرا لان الظاهر تعلقه بالفعل جامعا في تثبيت تقواهم عند الله وشهادة لهم بالاخلاص وان ما عند
الله هو الثواب ونحوه ولم يسمع عند الله الجنة وقيل للذين اتقوا الشرك والفواحش والكبائر وقيل للذين اتقوا
الزينة فلا تشغلهم عن طاعة الله ومما يعضد الاول ما روي ان السورة نزلت اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا
لما احتج به النبي عم على وفد نجران واجاب عن شبههم قال ابو البقاء من ذلكم في موضع النصب اي بما يفضل
ذلكم فعلم منه ان افعل التفضيل اذا استعمل بمن يكون مفعولا لا افعل التفضيل في معنى تفضيله وفي الذين حال مقدرة
من الذين اتقوا والعامل الاستقرار وازواج مطهرة مما في النساء من الحيض والاستحاضة ومن الاقذار والانا
لما عن غير ذلكم مما عليه النساء الدنيا وفي مصحف ابن مسعود وازواج مطهرة ايضا ورضوان من الله قرأ عاصم بضم الراء في
لغتان والله بصير بالعباد اي عالم باعمالهم فيجازيهم عليها او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم الجنات وقد نبه
بهذه الآية على نعم فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها وطوبى
لمن انعم عليه بالرضوان الذين يقولون مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يقولون او هم الذين يقولون وقيل
مجرور صفة للمتقين او للعباد وهذا بعيد جدا سيما اذا جعل اللام في للذين اتقوا متعلقا بخير من ذلكم كما في الكشاف
واما في جعله صفة للعباد فالبعد من جهة المعنى حيث صفة كونه بصيرا بالعباد المخصوصين ربنا اننا امنا فاغفر
لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة والاستعداد
ادتي ولا يخفى ما في هذا الكلام من التصريح والتقوية للوجه الاول الذي ذهبنا اليه وهو ان المراد بقوله للذين اتقوا
اهل الايمان مع قطع النظر عن صلاحهم وتقصيرهم وقراءة اليماني ايضا امنا بدوا ننا الصابرين والصادقين والقانتين
والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وتوسط العاطف بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وفيه حصر لمقامات
السالك على احسن الترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها
على الفضائل والصبر يشملها واما بالبدن وهو اما قولي وهو التصديق واما فعلي وهو القنوت الذي هو الطاعة والدعاء
والقيام واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الله واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها
وخص الاسحار لان الدعاء فيها اسمع واقرب الى الاجابة وعن ابي امامة قيل يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل
الآخر ودبر الصلوات المكتوبات وعنه عم اقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله
في تلك الساعة فكن وعنه عم ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فا
ستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وسئلت عائشة رضي الله عنها بم كان رسول الله عم يفتتح اذا هب من
الليل فقالت كان اذا هب من الليل كبر عشرا ثم حمد الله عشرا وقال سبحان الله وبحمده عشرا وقال سبحان الملك القدوس
عشرا واستغفر عشرا وهلل عشرا ثم قال اللهم اني اعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيمة عشرا ثم يفتتح الصلوة ولذلك كانوا
يقدمون قيام الليل ويصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون فانه يحسن طلب الحاجة بعده كما اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح

يرفعه

يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شهد
الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بما نصب من الادلة العقلية وانزل من الدلائل السمعية الناطقة بها كسورة نخ
الاخلاص وآية الكرسي مثلا شهادة الشاهد في البيان والكشف ليكون استعارة تصريحية تبعية وكذلك شهادة الاقرار والاحتجاج خ
من الملائكة واولي العلم من الثقلين بذلك فان قيل الاقرار مع مطابقة القلب حقيقة الشهادة لا شبهة بها ولو سلم انه لا بد من
زيادة خصوص فهي ممكنة من الملائكة والثقلين فاي حاجة الى اعتبار المجاز وان بني ذلك على امتناع الجمع بين الحقيقة والمجاز فكذلك
الجمع بين معنيين مجازيين كالدلالة والاقرار اجيب بان الدلالة والاقرار من افراد معنى مجازي هو الامر المشبه بالشهادة لاعتبار ن
مجازا بان لا يمتنع ارادتهما واعلم يعتبر تقدير اعادة الفعل ليكون الاول مجازا والثاني حقيقة لانه خلاف الظاهر مع الغنية
عنه بالمجاز المستفيض وقراءة ابن عباس انه بكسر الالف وقرأ نهيك وابي الشعثاء شهداء الله بالمد والاضافة وروى ابو المهلب
عن محارب بن دثار شهداء الله بالمد والرفع غير مضاف وروي عنه كذلك الا انه منصوب على المدح وقيل على الحال وروي
عنه ايضا شهد الله وفي حرف ابن مسعود شهد الله ان لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قيل هم الانبياء عم وعن ابن كيسان
المهاجرون والانصار وعن مقاتل علماء مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه وعن السدي والكلبي علماء جميع المؤمنين
يعني من الثقلين وهو الاصح قائما بالقسط والباء للتعدية اي مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال وما يثيب ويعاقب ق
وما يأمر وما ينهى به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل فيما بينهم على طريق العدل والسوية وانتصابه يحتمل ثلثة اوجه
اما على انه حال مؤكدة من فاعل شهد وهو الله تع كقوله هو الحق مصدقا وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا للزوم
الالتباس كقوله تع ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو في لا اله الا هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه او
او انبته واما على المدح من فاعل شهد او ضميره وهو المنتصب على المدح كما جاز ان يكون معرفة كقوله الحمد لله الحميد انا معشر الانبيا
لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب كذلك يجوز ان يكون نكرة كقول الهذلي ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي واما
انه صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو والفصل بين الصفة والموصوف جائز سيما اذا كان
بالجزء والبدل اعني الا هو ليس باجنبي وهو اي قيامه بالقسط داخل المشهود به اذا جعلته حالا او مدحا من هو او صفة
للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط ثم انتصابه حالا او مد
حا من هو اوجه من انتصابه من فاعل شهد لكونه ادل على المقصود اي حصول التعديل تحت الشها
دة كالتوحيد واوفق بما عليه غالب الاستعمال من كون الحال المؤكدة عقيب الجملة الاسمية حتى ذهب كثيرون الى
انها لا تكون الا كذلك ولا الاقرب وقرأ عبد الله القائم بالقسط على البدل من هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة
قيما بالقسط لا اله الا هو كرره للتأكيد وزيادة الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة ليبتني عليه قوله العز
يز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز عليه للتلاوم لتضمنهما معنى الوحدانية فان العزة يلائم الوحدانية و
الحكمة وارتفاعهما على البدل من الامتناع فان بهما التعريض للامرين على ترتيب ذكرهما وقيل لتقدم العلم بقدرته على العلم
بحكمته وارتفاعهما على البدل من الامتناع وصف الضمير وهذا ابنا على ان الواقع بعد الا في مثل لا اله الا هو خبر

لابد له وتهتز الكلام فى ذكره وان كان المشهور ان الخبر محذوف اى لنا او موجود ونحو ذلك والا هو بدله والمعنى انه العزيز الذى
لا يغالب اله آخر والحكيم الذى لا يعدل عن العدل فى افعاله اى لا يميل عن السوية وعدم الجد رفعهما او على الخبر المحذوف فيهما مثل
قراءة عبد الله القائم بالقسط بعينه وقيل على الصفة لفاعل شهد وفى تكرار لا اله الا هو تنبيه على انه ينبغى الشهادة فانه
او اشهد الله والملائكة واولوا العلم فقد صح ان لا اله الا هو وعلى السجاب تكرار بعض الجملة فانها اشرف ما يذكر به الله
وقد روى فى فضلها انه صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدى عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد
ادخلوا عبدى الجنة وعن على رضه ان رسول الله صلعم قال ان فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا
هو وقل اللهم مالك الملك الى قوله وترزق من تشاء بغير حساب مشفعات ما بينهن وبين الله حجاب لما اراد الله تعالى ان ينزلهن
تعلقن بالعرش وقلن اتهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله بى حلفت لا يقرأكن احد من عبادى دبر كل صلوة الا
جعلت الجنة ماواه على ما كان فيه والا اسكنته حظيرة القدس والا قضيت له كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة ان الدين
عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للجملة الاولى وهى شهد الله الى آخره وقيل مضمون قوله انه لا اله الا هو وقيل قوله لا اله
الا هو المذكور ثانيا وتعريف الطرفين يفيد الحصر والاختصاص والمعنى ان الدين هو الاسلام لا غير فيكون من قبيل قصر المسند
اليه على المسند وقال ابو البقاء عند الله ظرف والعامل فيه الدين وليس بحال لان ان لا يعمل فى الحال وقرأ الكسائى ان الدين
بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه كما تقيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام
وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على ان الفعل واقع على الثانى وما بينهما اعتراض مؤكد
واجرى شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وقرأ عبد الله ان لا اله الا هو وقرأ ابى ان الدين عند الله الا
سلام وهى مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين من قبله
اى القائمين والقانتين الى الآخر وهذا قول بانتصاب الحال عن الصفة الا ان يجعل المذكورين نصبا على المدح بناء على الذين
يقولون نصب على المدح وبالرفع على هم شهداء الله وعلى بعض القراء فى قراءة شهداء الله بلفظ الجمع نصبا او رفعا
يكون قوله والملائكة واولوا العلم عطفا على الضمير فى شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما وقيل العطف على المستكن لوقوع
الفاصل انما هو على تقدير الرفع واما تقدير النصب فالملائكة واولوا العلم مبتدأ محذوف اى وهم كذلك ولا يخفى ما فيه
التحكم وتوهم بعضهم شهداء الله بالاضافة فليس بذاك وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى
حيث اختلفوا فيما بينهم فثلثت النصارى واثبت اليهود اثنين وادعى كل من الفريقين تفرده بالاستحقاق وان
الآخر ليس على شئ وقيل المراد باختلافهم اختلافهم فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل
هو اختلافهم فى الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده
وذلك ان موسى عم حين احتضر استودع التورية سبعين حبرا من بنى اسرائيل وجعلهم امناء عليها و
استخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية بغيا بينهم و
تحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم فى امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد

الله ورسوله

ورسوله وقيل ارباب الكتب المتقدمة اختلفوا فى دين الاسلام حيث قال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب
ونفاه آخرون مطلقا والحاصل ان الاختلاف اما فى التوحيد او فى نبوة محمد عم او فى الايمان بالانبياء او فى الانبياء او
فى امر عيسى او دين الاسلام والاحسن ان يراد الاختلاف فى الكل على ما يشعر به وروده مطلقا من غير تصريح بما اختلف فيه
على ان منها ما لا يلائم سياق الكلام وسباقه الا بتكلف الا من بعد ما جاءهم العلم اى من بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من
معرفتها بالآيات والحجج بغيا بينهم مفعول له لما دل عليه ما والا من ثبوت الاختلاف بعد مجئ العلم كقولك ما ضرب الا زيد انا
ديبايعى ملكان فى ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب لشبهة وخفاء فى الامر بل لبغى بينهم و
تحاسد على الرياسة وحظوظ الدنيا وحرص عليها ومن يكفر بآيات الله التى توجب الاسلام وتقتضى حصوله
فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم روى انه يحاسب جميع الخلق فى وقت واحد بحيث يظن كل واحد منهم انه يحا
سبه خاصة فان حاجوك فى الدين او كفر الدين بعدما اقيمت الحجج القاطعة فقل اسلمت وجهى لله اى اخلصت نفسى
وجملتى له وحده ولا اشرك فيها غيره بان اعبده وادعو الها معه يعنى ان دين التوحيد وهو الدين القديم الذى ثبت عندكم
صحته كما ثبت عندى وما جئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة الآية فهو قوله اسلمت
دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذى لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه وانما عبر بالوجه
عن النفس والجملة لجوز ان الوجه محاسن نفس الشئ وذاته كما فى كل شئ هالك الا وجهه ويبقى وجه ربك او عن جملة الشخص
تعبيرا عن الكل باشرف الاجزاء فانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء فى
اسلمت وحسن للفاصل او مفعول معه فالواو بمعنى مع وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين من اليهود والنصارى
والذين لا كتاب لهم كمشركى العرب والظاهر انه عطف على قل فقل اسلمت وقيل هو عطف على الجملة الشرطية والمعنى
فان حاجك اهل الكتاب فادفع محاجتهم ومجادلتهم ثم تمم الدعوة وقل لاهل الكتاب وغيرهم ءاسلمتم يعنى انه قد اتاكم
من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضى حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت
له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله تعالى فهل انتم منتهون بعد ما ذكر
الصوارف عن الخمر والميسر اذ تحلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تحلى الحجة ما يضرب اسدادا بينه
وبين الاذعان وكذلك فى هذا الاستفهام استقصار اى نسبة الى التقصير وتعيير لهم بالبلادة والمعاندة وقلة
الانصاف لان المنصف فى فهل فهمتها توبيخ بالبلادة وقلة الفهم وانتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد
على تعاطى المنهى عنه فالاستفهام ليس على حقيقته اذ ليس القصد فى مثله الى حقيقة الاستفهام لعدم اقتضاء المقام
فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلالة الى الهدى ومن الظلمة
الى النور فقوله اهتدوا كناية عن هذا المعنى والا فلا فائدة فى الشرطية وكذا الكلام فى فانما عليكم
البلاغ وقرأ اليمانى فقد هدوا بضم الهاء بغير تاء وان تولوا فانما عليك البلاغ اى فلم يضروك
فانك رسول بينه ما عليك الا تبليغ الرسالة وتنبيه على طريق الهدى وقد بلغت ونبهت وبذلك

ومن تسلية لرسول الله صلعم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر وعن رسول
صلعم انه قال ان الله تعالى ارسلني برسالة فضقت بها ذرعا وعلمت ان الناس مكذبي فوعدني ان ابلغها او
ليعذبني رواه ابو هريرة والله بصير بالعباد وعد ووعيد اى عالم بهم فيجازيهم على حسب اعمالهم ان الذين
يكفرون بايات الله ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب
الذين في عصر النبي صلعم قتل اولوهم الانبياء واتباعهم الامرين بالقسط والمعاصرون راضون وقا
صدون قتل النبي صلعم والمؤمنين وذلك في حكم القتل فكانوا مستمرين على قتل الانبياء واتباعهم فصح
المضارع الدال على الاستمرار او يكون الحكم على المعاصرين بقرينة قوله فبشرهم لا على المجموع ليلزم الجمع بين
الحقيقة والمجاز على ما قد يتوهم على الماضين فانهم انقضوا والمعاصرين لم يباشروا واما الاستمرار على القتل في
الكل ايضا مجاز فلا جمع وعن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيمة
قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين
نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروهم بالمعروف ونهوا عن
المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرأ الحسن يقتلون النبيين بغير حق وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يامرون
وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ ابي يقتلون النبيين والذين يامرون بعطف الذين على النبيين من غير اعادة للفعل و
قد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل والحق انه ما قالت فذام ولذلك قيل الخبر قوله اولئك الذين حبطت
اعمالهم في الدنيا والاخرة كقولك زيد فانه رجل كريم والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما فان ليت ولعل
يغيران معنى الابتداء لتغيرهما الكلام من الاخبار الى الانشاء وقرأ الحسن وابو وافد حبطت وما لهم من ناصرين
يدفع عنهم العذاب والخزي في الدارين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب التنكير واللام للعهد اشارة الى التورية
يريد احبار اليهود وانهم اوتوا نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض لان ما فهموه مع عظمه دون ما يليق بالكل
البعض من التورية لتعذر احاطة البشر بكنه كلام الله واما للبيان بمعنى ان النصيب الوافر الذى اتوه هو التورية
فالمراد بالايتاء الانزال عليهم والاعلام لا التحصيل كما زعم بعضهم او للجنس اشارة الى جنس الكتب السماوية المنزلة ومن
للتبعيض او للابتداء ويجوز ان يكون اللام للعهد اشارة الى اللوح ومن للابتداء او النصيب والتورية وهي نصيب عظيم ووصفها
بالعظم نسب من وصفها بالكثرة وقيل تنكيره لتقليل النظير والتحقير والاول مسلم مقبول بخلاف الثاني فانه غير مقبول لانه
مع علمنا بظهوره بادون امل يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله التورية لما روي انه عم
دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت قال على دين ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا
فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه اى اختلف النبي عم واليهود في انه
كان يهوديا او حنيفيا مسلما او اختلف النبي واليهود في الرجم وذلك ان رجلا وامرأة من اهل خيبر زنيا وكان الحكم في كتابهم الرجم فكرهوا
رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهم الى النبي عم رجاء ان يكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقالوا جرت

علينا علينا

علينا يا محمد ليس هذا حكم الله فقال رسول الله عم بيني وبينكم التورية قالوا قد انصفتنا فقال من اعلمكم بها
قالوا رجل يقال له ابن صوريا فقال له النبي عم انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون فدعا بشيء من التورية فيه
فيه الرجم فقال له اقرأ فلما اتى على اية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها فقام
ورفع كفه عنها ثم قرأ على النبي وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت البينة رجما وان كانت حبلى تربص
حتى تضع حملها فامر النبي عم برجمهما وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه
وقرئ ليحكم مبنيا للمفعول والوجه في تفسير الاية ان يراد اختلاف واقع فيما بينهم ممن اسلم من احبارهم ومن لم يسلم و
انهم دعوا الى التورية كتاب الله الذي لا ريب لهم في صحته ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم
يسلموا الاختلاف ذكر بين اليهود والرسول في دين ابراهيم عم او في الرجم وذلك بدليل قوله ليحكم بينهم فانه يقتضي اختلافا
واتفاقا فيما بينهم وبين النبي عم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم
بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم ديدنهم الاعراض والجملة اعتراض لاحالة لقلة فائدة تقييد التولي
وان استقام على ان يكون حالا مؤكدة وهي ما لازم لذى الحال بخلاف المنتقلة ولا يصح لغير يقى على ما في تعبير الكواشي لقلة الفائدة
وقلة الواو في الصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم
عن انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل طمعا فارغا واعتقادا زائغا وغرهم في دينهم ما كانوا
يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عم ان لا يعذب اولاده
الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه كيف سؤال عن الحال والعامل محذوف اى كيف يكون حالهم وهذا استعظام لما يحيق بهم
في الاخرة وتكذيب لهم ودلالة على انهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه وان ما منوا به انفسهم تعللوا عليها تعلل بباطل واعتقاد
زائغ وطمع فارغ روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم
ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت قيل فيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله
لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هو بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير عائد على كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس
كما انه تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناس قل اللهم الميم المشددة فيه عوض عن حرف النداء لان الاصل يا الله ولذلك لا يجتمعان فلا
يقال يا اللهم الا في ضرورة كقوله اذا ما حدث الما اقول يا اللهم يا اللهما وادغم الميم لقربه من الواو التي هي حرف علة وشدة لكونه
عوضا من حرفين وهذا الحذف والتعويض بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبحرف النداء مع لام التعريف
وبقطع همزته حال النداء وتفخيم لامه وبغير ذلك وقال الكوفيون يا الله امنا بخير ثم خفف بحذف حرف النداء و
ومتعلقات الفعل وهمزته كما في ويلمه اصلها اى انحوا ويل امه اى اى شيء ورد بانه يستلزم ان يجوز الجمع بين يا وان
يمتنع مثل اللهم اغفر وارحم مالك الملك اى يملك جنس الملك فيتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء
ثان عند سيبويه لا صفة لان الميم عنده تمنع الوصفية لكونه بمنزلة صوت مضموم الى الاسم مع بقائهما على معنيهما مثل سيبويه وعمرويه
صار الصوت جزء الكلمة وقال الزجاج وغيره ان مالك الملك صفة له كما يوصف بالله مع حرف النداء فلا يمتنع مع الميم

و ذمهم

فيفضحهم

تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء وتنزع النصيب الذي اعطيتهم
فالملك الاول عام والآخران خاصان بعضان فاللام في الثلثة للجنس فان المعرف بلام الجنس يصلح لان يراد به جميع افراد الجنس
وان يراد البعض الى الواحد وفي الثلثة بحسب القراين ووجه عموم الاول ان ملك الله ليس ملكا دون ملك ووجه خصوص الآخرين و
بعضها ان ملك الناس بالنسبة الى بعض دون بعض وان المعطى والمنتزع حصة من الجنس البتة وقيل المراد بالملك النبوة
ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالتوفيق والخذلان والنصر
والادبار بيدك الخير في ملكك وتصرفك الخير او بتقديرك الخير وهو الاصوب لقول النبي صم ان في بعض ما انزل الله من الكتب
انا الله لا اله الا انا قدرت الخير والشر انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقتضى بالذات او لرعاية الادب في الخطاب
او لان الكلام وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكره الكفرة اذ روى ان النبي صم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس
والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك وروى انه صم
لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم
لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله يخبره فجاءه واخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق
اضاء منه ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب
الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عم ان امتي
ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى
وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل
شيء قدير على ان كل افعاله من نافع وضار صادر عن الحكمة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه تولج الليل في النهار وتولج النهار
في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته الكاملة على معاقبة
الليل والنهار وخلق الموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على تلك الافعال فهو قادر على معاقبة الذل والعز و
ان ينزع الملك من العجم ويوتيه العرب وفي بعض الكتب انا الله مالك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوا
جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوا جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم
وهو معنى قول النبي صم كما تكونوا يولى عليكم اي ان كنتم اهل الطاعة يولى عليكم اهل الرحمة وان كنتم اهل المعصية يولى عليكم
اهل العقوبة والولوج الدخول ومعنى ايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة او النقص
واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء ابرهيم من ازر وكنعان من نوح فالطيب من الخبيث وبالعكس وعن
ابن مسعود وسلمان قال رسول الله صم ان الله تع خمر طينة آدم اربعين يوما وليلة ثم اخذها بيده ثم قال هكذا
يعني قطعها بين اصابعه فخرج في يمينه كل طيبة وخرج في يده الاخرى كل خبيثة ثم شتتهم بين اصابعه حتى خلطها فلذلك
يخرج الحي من الميت والميت من الحي والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ويحتمل ذلك من انشاء الحيوان من النطفة
وبالعكس والطير من البيض وبالعكس ويمكن ان تقول الذاكر وغيره كقوله عم مثل الذي يذكر ربه والذي

لا يذكر

لا يذكر ربه مثل الحي والميت وكذا بغير حساب وجوه بغير محاسبة فانه يعطي من يشاء ما يشاء لا يحاسبه عليه وبغير تقدير
وحد وبغير استحقاق فان من اعطى قدر الاستحقاق فقد اعطى بحساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن
موالاتهم الكافرين لقرابة او صداقة جاهلية او غيرهما من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في
الله فانه من اعظم اصول الايمان وعنه صم تدرون اي عرى الايمان اوثق قلنا الصلوة قال الصلوة حسنة وليست بذلك
قلنا الصيام فقال مثل ذلك حتى ذكرنا الجهاد فقال مثل ذلك ثم قال اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله
وقد كرر ذلك في القرآن او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اي من غيرهم يعني انهم
الاحقاء بالموالات وان موالاتهم مندوحة عن موالات الكافرين وحاصله النهي عن ايثار ولايتهم على ولاية المؤمنين
فكانه قيل فلا تؤثروهم على المؤمنين ومن يفعل ذلك اي اتخذهم اولياء فليس من الله في شيء اي من ولايته والظاهر
كان صفة لشيء فاذا قدم صار حالا الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرأ يعقوب تقية
منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالات حينئذ جائز كما قال عيسى عم كن وسطا
في مخالفتهم ومعاشرتهم وامش جانبا اي من معاشرتهم موافقتهم فيما هم عليه فعلى هذا من للابتداء متعلق بتتقوا وتقاة
مصدر بمعنى المفعول به وقيل يجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا او تخافوا فيتعدى بمن ويكون تقاة او تقية منصوبا على المصدر
كقوله اتقوا الله حق تقاته وفيه تنبيه على انه محذور فلا يخفى متعديا بمن بخلاف اتقى فانه ليس الا متعديا بنفسه وظاهر في
كتب اللغة خلافه وقد ورد الا متعديا بنفسه ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة
اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان ذاته المتميزة من ساير الذوات المتصفة بعلم ذاتي
محيط بكل شيء وقدرة ازلية شاملة ليجتنبوا عن سخطه ولا تغفلوا عنه وليعلموا ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا
يؤبهون ما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اي يعلم ضمايركم من ولاية الكفرة وغيرها ان تخفوها
او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه سركم وجهركم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم
والآية كالتعليل لقوله ويحذركم الله نفسه فكانه قال ويحذركم الله نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يعم المعلومات كلها وقدرة تشمل المقدورات
باسرها فحق عليكم ان تحذروها وتتقوا منها وان لا تجتروا على عصيانه لانه ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها و
تقدم ان العلم اعم من القدرة يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا
يوم منصوب بتود وضمير بينه لليوم اي يوم القيمة حين تجد كل نفس صحايف اعمالها من الخير والشر حاضرة تتمنى لو ان
بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت اي يوم تجد عملها محضرا
وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء او مرفوع لما عملت من سوء وتجد واقع على ما عملت من خير
وحده وضمير بينه لما عملت من سوء اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح
ان تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على
على الموصول اولى لكونها اوفق للقراءة المشهورة واجرى معنى على سنن الاستقامة لان

لا يخفى عليه شيء

لا يخفى عليه في شيء يصح ان يسمى ولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله راسا و
والجملة فان موالاة الولي وموالاة عدوه
لا يجتمعان قال تع عدوي ثم تزعم انني صديقكم
ليس النوك عنك بعازب يقع صح

فقال

الكلام حكاية الكائن في ذلك اليوم فيجب ان يحمل على ما يفيد الكينونة والوقوع ولا كذلك الشرطية فما معنى ما صنع ان رر
صيبوت بهذا صنع بهذا اوذاك فذاك الى ما يحصل على الاستقبال ولا يحمل شيء في الاستقبال في ذلك اليوم على ان الشرط وان لم يدل
على الوقوع فلا ينافيه فربما ينقض الى بحسب المقام وحديث الاستقبال يندفع بتقدير كان وما كان عملت من سوء ومع قوله
محضرا كما في قوله وجدوا اما عملوا حاضرا في مكتوبا في صحفهم تردّ ان تحوه فيبنئهم بما عملوا احصيه الله ونسوه وقرءا زينيا
على محضرا بكسر الضاد وقراءة ابن ابي عبلة ودت لو ان بينها والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ويحذركم
الله نفسه ذكره مرتين لغايتين فانه ذكره اولا للمنع من موالاة الكافرين وثانيا للحث على عمل الخير والمنع من عمل السوء
وقيل كرره ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه وقيل كرره للتوكيد والتذكير والله رؤف بالعباد الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم
رافة بهم ومراعاة لصلاحهم لانهم اذا حذروه دعاهم ذلك الى ابتغاء مرضاته واجتناب سخطه ومن الحسن من رافته بهم
ان حذرهم نفسه والى انه تعالى مع كونه محذور العلم والقدرة مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب
اليم فرجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة في الاصل مثل الغلب للاشياء لتصورها كما له فيه بحيث
يرغب فيما يقربه اليه ثم استعير للارادة فمحبة العبد لله ارادة لطاعته وامتثال اوامره ونواهيه ومحبة الله للعبد
ارادة الله لكرامة العبد ومثوبته على التابيد وبو المشهور وقيل المحبة سعى اولى نيا سى تلك لا ينفك منها الطوالة وفى الجمال
وهو بالارادة اشبه منها بالادراكات وقد يقال المحبة العبد لله تعالى كيفية روحانية مترتبة على تصور الكمال المطلق الذي
فيه على الاستمرار ومقتضية للتوجه التام الى حضرة القدس بلا فتور ولا فرار واما محبة لغيره فكيفية مترتبة على تخيل كمال فيه من
لذة او منفعة او مشاكلة تخيلا مستمرا كالمحبة العاشق لمعشوقه والمنعم عليه لمنعمه والوالد لولده والصديق لصديقه وقد
وقد نقل الاولياء عن سمنون المحب قدس الله سره انه اذا تكلم في المحبة جعلت قناديل الشونيزية تجيء وتذهب يمينا و
شمالا وقيل له تكلم في المحبة فقال لا اعلم احدا على وجه الارض يستاهل الكلام في المحبة فوقع بين يديه طير فقال ان كان فهذا
وجعل يتكلم في المحبة والطير يضرب بمنقاره الى الارض الى ان سال الدم منه ومات وبالجملة اذا اراد الله بعبد الخير كله وان يجعله
من اهل الكمال كله الى الخير كله جعله متبع النبيه واذا اراد به الشر كله جعله تابعا لرايه وبا هنك لحال الفلاسفة للمتفلسفين كابن
سينا وشيعته حيث اتبعوا اراءهم الفاسدة ولم يتبعوا انبياءهم فضلوا واضلوا ولا ادل على صحة ذلك
ومن شرائطه انه سمع بموت وقيل له لو هاجرت الله تعالى نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا الى من يهدينا وبهذا ابو العلاء
المتنبي والغواة التي زادت الجهل فبطا في ظلماتهم وبهم بالفرعون والمعنى ان كنتم تريدون طاعة الله على الحقيقة فاتبعوني
اي فاطيعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة طاعته وقرئ فاتبعوني بحذف الياء اجتزاء بكسر النون
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم اي يرضى عنكم ويكرمكم ويكفر سيئاتكم ويخرجكم من الضلالة الى الهدى ويدخلكم
جنات النعيم روي ان النبي لما دعى كعب بن الاشرف واصحابه الى الاسلام قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ولنحن
اشد حبا لله فنزلت تكذيبا لهم وتنبيها على غيهم ايضا ان محبة الله اتباع نبيه عم وفي بن الاسلام عنه
ايها الناس من ابغضنا اهل البيت حشره الله يوم القيمة يهوديا وان صام وصلى وزعم انه مسلم الحديث

ومن الحس

وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلعم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل وفيه ايضا ابع من كن
فيه الى الله محبته عليه ونشر عليه رحمته من رق لوالديه ورفق بمملوكه وكفل اليتيم واعان الضعيف وقد ذكر الزمخشري هيهنا حشوا كثيرا
من الطعن على اولياء الله وكتب ما لا يليق بالعاقل ان يكتب مثله في كتب الهزل والغش وهو لكل ليس الا من حيث باطنه
وعداوته لاهل الحق فكلامه مضادة لكلام اهل الحق وقد سئل سيد الطائفة ابو القاسم جنيد قدس الله سره عن صحة العوام
تعالى فهل اسم الله الاعظم فمن انكرها او كرهها لم يجد لذة الصيحة يوم القيمة فانه ينتقص والتعبير والسيقى ولا تمن
كالجهال الذين لم يتم ارائحة من اهواء القوم وتحبون ويحبكم من حبة لحبه قال احببت ابا سفرون من حبة واعلم ان الم
نق بلجا ارفق وو الله لولا نتر ما حبته ولا كان ادنى من جنيد ومسرف والعقلان محذو مالو قومها جوابا باللام وقرا الزهري
يحببكم بتشديد الباء اي يحببكم الى الناس والله غفور رحيم لمن يحبب اليه بطاعته واتباع نبيه وقيل نزلت في وفد
نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله قل اطيعوا الله والرسول ولا تتبعوا شهواتكم والاطاعة كل الاطاعة في الرضا
بقضاء الله ورسوله والاذعان لاوامره ونواهيه فان تولوا احتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا وعلى الثاني
يكون في حيز قل لا خطاب مثل اطيعوا فان الله لا يحب الكافرين اراد لا يحبهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله تعالى انما عاديهم
وابغضهم لكفرهم الذي هو التولي عن طاعة الله ورسوله فلا يريد بهم الكرامة والمثوبة من شيء وليكون تصريحا بان
التولي كفر لا يحب عليهم الا من ادخل عنقه في ربقة الكفر ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين
اي اصطفاهم عليهم بالنبوة والرسالة وما يتعلق ولذلك فازوا بما لم يفز به غيرهم وبهذا في التحقيق توكيد لما
قبله فانه تعالى اوجب طاعة اهل رسوله وبين انها جالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان صفوتهم وخيرتهم تقريرا عليها
ودلالة على انهم احقاء بها وهو مما استدل به على تفضيلهم على الملئكة وعن ابن عباس عن النبي عم فضل المرسلين على
المقربين لما بلغت السماوات السابعة لقيني ملك من نور على سرير فسلمت عليه فرد على السلام فاوحى الله اليه سلم عليكم
صفي ونبيي فلم تقم اليه وعزتي وجلالي لتقومن فلا تقعدن الى يوم القيمة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد
دخل فيهم رسول الله صلعم وعنه عم انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن
لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ما افترق الناس فرقتين
الا جعلني الله في خيرهما فخرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت الى ابي وامي وانا خيركم نسبا
وخيركم ابا الحديث رواه انس وفي حديث آخر قال عم جاءني جبرئيل فلقنني مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن اد بن الهميسع
بن نبت بن حمل بن قيدار بن اسمعيل بن ابرهيم الخليل بن تارخ وهو آزر بن ناحور بن اسروغ بن ارغو بن فالغ بن
عابر وهو هود النبي بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس بن يارد بن قينان بن انوش
بن شيث بن آدم عم الى آخر الحديث وآل عمران موسى وهرون ابناء عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق
وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن اسعازان بن ابي يود بن زربابل بن سالتائيل بن يوحنا بن اوشيا بن امروص بن منشكي بن
رخابعم بن يورام بن يوشافاط بن سليمان بن داود بن ايشا بن عوبيد بن سلمون بن ياعز

يخرجون عبادا بن خزم بن حصروم بن فارص بن يهودا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمان مائة سنة ذرية بعضها من
بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح يعني انهم ذرية واحدة متسلسلة متشعبة من بعض والذرية
الولد يقع على الواحد والجمع والاخير هو المراد ههنا وهي فعلية منسوبة الى الذر بالفتح بمعنى البث لان الله قد بثهم في الا
رض او بمعنى النمل الصغيرة كما روي من ان الله تعالى اخرجهم من صلب آدم كهيئة النمل وانهم من تغييرات النسب قال الجوهري ذرية الرجل
من كتابه في قصة الرجل ولده والجمع الذراري والذريات من ذرء الحب فرقته وذرأ بالهمز ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءا بدلت الهمزة
ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت وقرأ الضحاك ذرية بالرفع على انهم ذرية والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من
يصلح للاصطفاء بستقيم في القول والعمل او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قا
لت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر وهي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عم وكانت
لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون فتوهم ان المراد زوجته ورد بان كفالة زكريا دليل على ان عمران
بن ماثان ابو مريم البتول لان زكريا كان معاصره وقد تزوج زكريا ايشاع بنت فاقوذ خالة مريم فكان عيسى ويحيى
ابني خالة روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت
اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت مريم
وهلك عمران وهي حامل وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان وروي انهم ينذرون فاذا بلغ الغلام
خير بين ان يفعل وان لا يفعل ولعلها بنت الامر على التقدير او طلب ذكرا محررا معتقا لخدمة بيت المقدس
لا تشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم اي السميع لدعائي
العليم بقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه على المعنى لانه كان انثى في
علم الله وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مؤنث كا
كالجبلة او النفس او النسمة وهذا الكلام تحزن وتحسر وليس باخبار فان موضوعها من الاخبار بمعنى الجملة الخبرية ليس
افادة الحكم او لازمه بل اظهار ما ذكرناه ومنه قوله قومهم تبلوا ايهم اخي لان هذا الكلام تحزن وتفجع وليس باخبار يفيد الحكم
او لازمه ومن ثم قالوا انما قالت اني وضعتها انثى اظهارا للتحسر على خيبة رجائها او عكس تقديرها والتحزن الى ربها لانها كانت
ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررة ولتكلمها به كلاما على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم
بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها اي والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم
الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك فلذلك تحسرت والواو في والله اعلم اعتراضية ليست بعا
طفة ولا حالية قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها يعني ولعل لله فيه
سرا او حكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر وقرأ ابن عباس والله اعلم بما وضعت بكسر التاء على انه خطاب الله لها اي انك لا تعلمين
قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره ومكانه وليس الذكر كالانثى بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت
من التعظيم للموضوع والرفع منه اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد اما الانثى فلسبق ذكرها

صريحا

صريحا واما الذكر فلكونه اشارة الى ما سبق ذكره كناية في قوله رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فان لفظ ما وان
عم الذكور والاناث لكن التحرير الذي هو اعتاق الولد لخدمة المقدس انما يكون للذكور دون الاناث وقيل يجوز ان يكون
من قولها بمعنى وليس الذكور والاناث سيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس وهذا ما لم يقل به علماء البيان واني
سميتها مريم عطف على قولها اني وضعتها انثى وما بينهما اعتراض كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم لان التسمية انما هي
منها لا من الله بدليل واني اعيذها بك وانما ذكرت تسميتها مريم لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا
لاسمها لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة تقبل وخدم وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك
اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي عم ما من مولود يولد الا والشيطا
ن يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ذكره البخاري ومسلم ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود
بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله عصمها ببركة هذه الاستعاذة وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقرأ الضحاك والبيجاني زكريا فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول
حسن تقبل النذيرة وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يتقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها
عقيب الولادة قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها ~~او بان تسلمها من امها عقيب~~
~~الولادة~~ تقبل المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم
زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر جار فالقوا فيه اقلامهم
فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على حذف المضاف اي بذي قبول حسن يعني
فتقبلها ملتبسة بهذا الاختصاص وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل بمعنى استقضى واستعجل وهو كثير في كلام
من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا اي فاخذها اول
امرها حين ولدت بقبول حسن فيكون الباء صلة وعلى الاول بمعنى الباء يرجع الى حمل القبول على المفعول بالواسطة وعلى
الثاني في موقع الحال وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها بطريق الاستعارة او ذكر الملزوم واراد
اللازم وكفلها زكريا قرأ حمزة وعاصم والكسائي بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل لله وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا
لمصالحها ويؤيدها قراءة ابي واكفلها من قوله تعالى اكفلنيها وخففها الباقون ومدوا زكريا غيرهم وقرأ ابن علم و
كفلها بكسر الفاء وفي حرف ابن مسعود وكفلها زكريا بالرفع وعن الاعرج زكري بالرفع والتنوين على لغة نجد حيث بدءا زكري
ورأيت زكريا ومررت بزكري وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها نداء ودعوا
حنة بذلك اي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها كلما دخل عليها زكريا المحراب قيل بنى لها زكريا محرابا في المسجد اي غرفة يصعد
اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجد
هم تسمى المحارب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب

قيل سمي المحراب محرابا لانه محل محاربة الشيطان وجد عندها رزقا رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وهو جواب كلما وناصبه قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذى لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر وهو استفهام عن كيفية حدوثه او استعظام او تعجب قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة في المهد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير محاسبة او بغير استحقاق تفضلا به فهو اما من كلامها او من كلام الله روى ان فاطمة رضي الله عنها اهدت للنبي عليه السلام رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن طبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت فعلمت انها نزلت من عند الله تعالى فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذى جعلك شبيهة لسيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه اى في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لانه لما راى كرامة مريم وعظم قدرها عند الله رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والمنزلة على الله وان كانت عاقرا عجوزا وقيل لما راى الفاكهة في غير وقتها انتبه على ولادة العاقر من الشيخ فدعا له وقال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة لانه لم يكن على الوجوه المعروفة بالاسباب المعهودة اى هب لى ولدا كما وهبت لحنة زوجة العجوز العاقر انك سميع الدعاء اى مجيبه واضافة السميع الى الدعاء اما من اضافة فعيل الى فاعله على الاسناد العقلي حيث جعل دعاء الله سميعا والمراد سماع الله تعالى او من اضافة الصفة الى معمولها واصله سميع الدعاء فيكون من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولهم هذا رحيم اباه ومنحار ابله وضراب جارة وشكورة وحذر امورا فنادته الملائكة اى من جنسهم كقولهم زيد يلبس البرود ويركب الخيل فان المنادى كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائى فناداه بالامالة والتذكير وهو في حرف ابن مسعود وقال عبد الله بن دينار كان عبد الله بن عمر يقرأ فنادته الملائكة في جميع القرآن وكذلك ابن مسعود يذكر الملائكة في القرآن كله وهو قائم يصلي في المحراب اى قائما في الصلاة والفعل صفة قائم او حال آخر او حال عن الضمير في قائم او خبر ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرأ ابن عامر ونافع بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرأ حمزة والكسائى يبشرك من الابشار وقرئ يبشرك بفتح الياء من بشره ويحيى اسم اعجمي فلم ينصرف للتعريف والعجمة وهكذا ان جعل عربيا للتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله اى مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه انما وجد بكلمة وعدها وهي قوله كن من غير سبب آخر تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي المغيث بالسحاب او بالتشابه البدريات التي خالم العرب وقيل بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا اى يسود قومه اى يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا للناس كلهم في انه لم يهم بسيئة قط ويالها من سيادة وحصورا

مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهى روى انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت يقال رجل حصور اذا لم يات النساء كانه حبس عما يكون من الرجال وقيل هو الذى لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمنى ولا بالحصور ولا فيها بسوار ثم استعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو ونبيا من الصالحين ناشيا من الصالحين لكونه من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله في الآخرة لمن الصالحين وقيل او كائنا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لى غلام استبعاد من حيث العادة لا انكار لما قالته الملائكة او استعظام او تعجب او استفهام عن كيفية حدوثه وقد بلغنى الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى ادركنى كبر السن واثر في واضعفني وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون وقرأ ابن محيصن بلغني الكبر وبعث التي بكون الباء وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر مقطوع من الاولاد وقال الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وقال الكلبي ابن تسعين سنة وامراته قريبة السن منه قال كذلك الله يفعل ما يشاء اى يفعل الله ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو ايجاد الولد من شيخ فان وعجوز عاقر كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد وكذلك الله مبتدا وخبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له اى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات او كذلك خبر مبتدا محذوف اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لى آية اى علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر وقيل لا يشتغل بالبشارة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا الا تقدر على تكليم الناس ثلثة ايام وانما حبس لسانه عن تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكليم بذكر الله ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق تلك النعمة الجسيمة كانه لما طلب الآية لاجل الشكر قيل له آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما وقع ما اشتق من السؤال والتشبع منه وقرأ زيد بن على وابن عمر وابن ابى عبلة وابن كيسان ان لا تكلم بالرفع اى انه لا تكلم او ليس تكلم والرمز الاشارة بالشفتين او الحاجب او اليد او نحوها واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسل جمع رسول وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز نحو خدم وخادم وهو حال منه ومن الناس دفعة اى مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا وقيل كان منع الكلام عقوبة له لانه لما بشر بالولد سال الآية فحبس الله لسانه عن كلام الناس وانه لحبيسه عن ذكره وقيل بل كان كرامة له حيث جعل علامة ظهور الحبل وعن السدى قال له الشيطان ان الذى سمعته من النداء بالبشارة من الشيطان ولو كان من الله لاوحى اليك في سائر الاشياء فقال عنده لك رب اجعل لى آية حتى اعلم ان هذه البشارة من الله قال آيتك الآية واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وحبسك عن كلام الناس وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض ودال على قدرته على الكلام بذكر الله مع حبس لسانه عن تكليم الناس من الآيات الباهرة وقال البيضاوى تقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار قلت ليس الكثرة قيد اللامر وانما هو صفة مصدر محذوف اى ذكرا كثيرا الى قوله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحه وسبح بالعشى والابكار والعشى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر والمشهور انه آخر النهار وعن

الا رمزا بري صلاة العشي الظهر والعصر والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر
واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين واذ قالت الملائكة يا مريم روي انهم كلموها شفاها كرامة لها ومنهم من لم يحمل الكرامة ميلا
الى انكار الكرامات بل حمله على معجزة زكريا وهو بعيد جدا لانتفاء شرطها او على ارهاص نبوة عيسى وهو تاسيس النبوة
واثباتها بظهور ما يشبه المعجزة من الخوارق قبل البعثة متقدما على دعوى النبوة كاظلال الغمام على نبينا عم في طريق الشام
وتسليم الحجر الاسود عليه وغير ذلك وهو بعيد ايضا فان الاجماع على انه عم لم يستنبئ امراة لقوله وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا وقيل الهموها ان الله اصطفيك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية من رزق
الجراب والتوفيق للعبادة وعن ابي عمرو ان الله اصطفيك بفتح الالف وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود
واصطفيك آخرا على نساء العالمين ارسل الملائكة اليك ووهب لك عيسى من غير اب وجعلكما آية للعالمين ولم
يكن فيه بهذا لاحد من النساء يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود
لانهما من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها بعد واركعي مع الراكعين امرا بان تصلي مع المصلين يعني في الجماعة
كانه قيل صلي ولتكن صلوتك مع المصلين لا منفردة او بان تواظب على كونها تعد من جملتهم وتنسب اليهم اي وانظمي
نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويجوز ان يراد بالركوع حقيقة والكون مع
من يركع في الصلوة لا مع الذين لا يركعون فيها فان اليهود لا ركوع لهم في الصلوة وقيل المراد بالقنوت
ادامة الطاعة وبالسجود الصلوة كقوله تعالى وادبار السجود وبالركوع الخضوع والانقياد لما يلزمها في دين الله تعالى ذلك
من انباء الغيب نوحيه اليك اشارة الى ما تقدم من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى اي ما ذكرنا من القصص
من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وفي مصحف ابن مسعود وانس نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا ويجوز ان يكون ذلك اسما موصولا بمعنى الذي وقوله من انباء الغيب صلة وقوله نوحيه خبره والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا
من جهة الوحي لانك لم تحضر ذكريا واخبارهم ومن جهة القوم اقلامهم في النهر متحرجين وهذا انتهكم بقريش
وغيرهم من المكذبين المنكرين للوحي لانه لا يخفى على احد من المنكرين انه لم يكن من حملة هذا الحديث واشباهه ولا لقي
فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة
في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة علما يقينا انه لم يكن مشاهدا
لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم
ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ينظرون ايهم يكفل مريم او ليعلموا او
يقولون فهو في موقع الحال المفعول والتعليق لا يجري الا في افعال القلوب ويلقون ليس منها فالنظر يراد به نظر البصيرة
فيصح تعليقه وقدر السكاكي ينظرون ليعلموا ايهم يكفل ميلا الى ان التعليق من خواص افعال القلوب ولكن هو الاول لوروده
في استعمال الثقات على ان التخصيص تقييد من غير دليل يعتد به وعن ابن كثير وابي عبد الله المدني يكفل بفتح الفاء وزعم اهل اللؤلؤي انه قرئ

يكفل

يكفل بكسر الفاء وما كنت لديهم اذ يختصمون في شانها تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الملائكة
او من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق اصله بالعبرانية
مشيحا ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع وجعلهما مشتقين من المسيح
لانه كان ممسوحا بالبركة من الله او لا يمسح ذا مرض الا برئ او مسحه جبريل او مسح من الاوزار اي بطهره او مسح
الارض ولم يقم في موضع ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته اذ لا يصح اعتبار الاشتقاق في الاسماء
العجمية لكن المسيح مع اللام نعت بالمخرق مشتق كالخليل لا بريهم ثم الآن يقال لا غرو ان اجري مجرى الاوصاف لكونه في نفسه بمعنى
المبارك وتذكير ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد
الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره مجموع هذه الثلثة فان الاسم
علامة المسمى والمميز عن غيره فالعلامة التي بها الامتياز هي مجموع الثلثة لا واحد ولا كل واحد لا منطوقة الا الثلثة وليس المجموع
علما واحدا اي والتسمية ببيت من الشعر للقطع بان العلم انما هو عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة وان جاز ان
يكون لكل منها علامة مميزة وانما قيل ابن مريم والخطاب لمريم ايذانا بانه يولد من غير اب لان الاولاد تنسب الى الاب
الى الامهات الا اذا فقدت الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة ولا نزاع لاحد في جواز الحال من النكرة الموصوفة
وكذلك قوله من المقربين ويكلم ومن الصالحين حال منها كانه قيل يبشرك به موصوفا بهذه الصفات والوجاهة في الدنيا
النبوة واطاعة الناس له وفي الآخرة الشفاعة واكرام الله له بما هو اهله وعن رسول الله عم اوحى الله الى عيسى يا عيسى انتقل
من مكان الى مكان لئلا تعرف فتؤذى فوعزتي وجلالي لازوجنك الف حوراء ولاولمن لك اربعمائة عام وقرانه بعلى وجيها
بكسر الواو ومن المقربين من الله وقيل كونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة او نشانه الى علوه درجته في الجنة وانما جعل حالا
على وجيها لا على صفة النكرة اسمه المسيح لانه اقرب وانسب معنى ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا
كلام الانبياء من غير تفاوت بين الحالتين والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه والكهل الذي انتهى شبابه وذلك بعد الاربعين
وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية وعن النبي عم انه قال ان عيسى بن مريم مكث في
بني اسرائيل اربعين سنة رواه فاطمة بنت النبي عم وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله من السماء ومن
الصالحين قيل هو حال من الضمير في ويكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر استبعاد من حيث العادة لا انكار
او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره والواو للحال لا للعطف اجاعا قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل
جبرئيل او الله تعالى وجبرئيل يحكيه لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث
وقد مر الكلام فيه وفيه اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب وموادا يقدر ان يخلقها
دفعة بلا سبب ومادة ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدا ليس في حيز قول الملائكة
ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لهمها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج وقيل عطف على يبشرك او على

على وجيها او على يخلق ويتوجه على الاولين سؤال الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله قالت انى يكون لى ولد الآية
وقرا عاصم ونافع ويعلمه بالياء والباقون بالنون اى ان الله يبشرك بعيسى ويقول نعلمه وعلى الاول تقديره ان الله
يبشرك بعيسى ونعلمه والكتاب والحكمة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان بان نعطيها بشانهما واظهار الفضلهما
ورسولا الى بنى اسرائيل ليس عطفا على شئ من المنصوبات السابقة وهى وجيها وما ذكر بعده لانها فى حكم الغيبة وهذا فى حكم
التكلم بدليل تعلق انى قد جئتكم به فيصير المعنى ويبشرك به وجيها وهو ورسولا انا بل هو منصوب بمحذوف هو مفعول نقول معطوف
على يعلم تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم ومصدقا لما بين يدى لكن فيه خروج عن
قانون التضمين على ان فى بعض تقادير يعلم نبوة عن الوجه الاول لانه على تقدير عطفه على يبشرك او يخلق يكون التقدير
ان الله يبشرك والله يخلق ما يشاء ويقول عيسى ارسلت رسولا ناطقا بانى قد جئتكم ومصدقا ناطقا بانى اصدق عطفا
على الخبر ولا رابط الا بتكلف عظيم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم انى قد
جئتكم باية من ربكم اصله ارسلت بانى قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب
بدل من انى قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هى انى اخلق لكم والجملة صفة او مستانفة كانه قيل ما الآية فقيل هى انى اخلق وقرا
عبيد بن عمير انى قد جئتكم انى اخلق بكسر الالف فيهما وقرا نافع انى اخلق لكم بكسر الهمزة على الاستيناف اى اقدر لكم شيئا
مثل صورة الطير وقرا الزهرى كهيه بتشديد الياء غير مهموز فانفخ فيه الضمير للكاف اى فى ذلك المماثل كهيئة الطير فيكون
طيرا باذن الله فيصير طيرا حيا كسائر الطيور بامر الله وارادته نبه به على ان طيرانه وحيوته من الله تعالى لا منه وقرا عبد الله
فانفخها قال كالمهر فى تنفخ بنفخ النفخ وقيل لم يخلق غير الخفاش وقرا ابو جعفر كهيئة الطائر فيكون طائرا وقرا الاعمش
فتكون طيرا بالتاء وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذى ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن فى هذه الامة اكمه غير قتادة
ابن دعامة السدوسى صاحب التفسير روى انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه
عيسى وما يداوى الا بالدعاء وحده وقرا الزهرى وابرى بغير همزة واحيى الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم من
توهم فيه الالوهية فان الاحياء هو الايجاد والحيوة ليس من جنس الافعال البشرية وروى انه احيا سام بن نوح و
هم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقيل الصواب كعب بن عام
وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها وقرا التفاذ وانبئكم ان فى ذلك
لآية لكم ان كنتم مؤمنين مصدقين مذعنين للحق غير معاندين او موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات وقرى
تذخرون بالذال والتخفيف ومصدقا لما بين يدى من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل
دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا فيكون عطفا على جئتكم باية ولاحل لكم عطف على قوله باية من ربكم ظاهر الكنه
للضيقة من عطف الجملة على الجملة اى جئتكم باية وجئتكم لاحل لكم اذ لا وجه لعطف المفعول على المفعول به ويجوز ان يكون
الكلام مع الحال المستقيم العطف اى جئتكم ملتبسا باية وكائنا ومصدقا لما بين يدى وكائنا لاحل لكم او لا يتبع الملا قبله
سوا لاحل لكم معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتكم معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذى حرم عليكم فى شريعة موسى كالشحوم والثروب

والسمك

الاكمه

للسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت وكل ذى ظفر فاحل لهم بعض ذلك وقيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا فى
احلاله لهم السبت وبالجملة فقيد لا له على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا
يعود بنسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى التحقيق بيان وتخصيص فى الازمان وقرئ حرم
عليكم مبنيا للفاعل وهو ما بين يدى من التورية او الله تعالى او موسى عم لان ذكر التورية دال عليه ولانه كان معلوما
عندهم وقرئ حَرُم بوزن كَرُم وجئتكم باية من ربكم اى باية دالة على حقية رسالتى وهو قولى ان الله ربى وربكم فاعبدوه
فان هذا القول لكونه طريقة الرسل والانبياء ودليل الاهتداء علامة لرسالته يزيد المرشد قوة يقين ويفيد زيادة
بصيرة وطمانية فالمراد بالآية تلك العلامة لا المعجزة كما يسبق الى الوهم لورودها بعد ذكر الرسالة والمعجزات ويجوز ان يكون
تكريرا لقوله جئتكم باية من ربكم اى جئتكم باية بعد اخرى بالمعجزات الباهرة من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء
بالخبيات وبغيرها من ولادتى بغير اب ومن كلامى فى المهد ومن سائر ذلك فعلى الاول قوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض
بين البيان وبين المبين فانه لما قال قد جئتكم باية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتى فكانه قيل له ما هذه الآية فقال
قوله ان الله ربى وربكم فاعبدوه اذ الانبياء كلهم كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وعلى الثانى تفريع على المجئ
بالآيات لا اعتراض وان الله تعالى ربى بكسر الهمزة ابتداء كلام لا بيان لآية بتقدير القول وبفتحها متعلق بقوله فاعبدوه
على حذف اللام اى اعبدوه لانه ربى وربكم كقوله لايلاف قريش فليعبدوا فان اللام متعلق بقوله فليعبدوا
امرهم ان يعبدوه لايلافهم الرحلتين او متعلق باية بحذف على اى قد جئتكم باية دالة على ان الله تعالى ربى
وربكم وما بينهما اعتراض وانما لم يجعل فى معرض التعليل وبيان السبب لقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لفوات
حسن الانتظام بالنسبة الى اطيعون وقرا عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم وهو مؤكد وتنصر الوجه الثانى فان لفظ
الجمع يدل على ان المراد من قوله باية آية اخرى من المعجزات وبالجملة ففى الآية دلالة على ان كمال الانسان منحصر
فى العلم والعمل فان قوله تعالى ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتبار الحق الذى عليه غاية التوحيد
وقال فاعبدوه اشارة الى كمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى فعل الاوامر وترك المناهى وقوله هذا
صراط مستقيم تقرير لان الطريق المستقيم هو الجمع بين الامرين كما قال عم قل آمنت بالله ثم استقم فاتقوا الله بما جئتكم
به من الآيات واطيعون واتبعونى فيما ادعوكم اليه كقوله فى زخرف واتبعون هذا صراط مستقيم وقرا يعقوب واطيعونى بالياء
ان الله ربى وربكم فاعبدوه فيه وجوه كلامهم مستانف لبيان لكونه رسولا او ابتداء كلام او علة لقوله فاعبدوه والفاء
لما فى الكلام من معنى الشرط كانه قيل فاعبدوه لان الله ربى وربكم على معنى ان نعم الله عليكم لا تحصى فان لم تعبدوه
لسائر نعمه فاعبدوه لهذه الواحدة التى هى اجل النعم فان نعمة التوحيد اعظم النعم الواصلة الى العباد او متعلق بقوله
باية وقرئ ان بالفتح بدلا منها هذا صراط مستقيم يعنى الجمع بين التوحيد والعبادة هو الطريق المشهود له بالاستقامة فلما
احس عيسى منهم الكفر والاحساس مجاز عن العلم بطريق الاستعارة او ذكر الملزوم وارادة اللازم اى فلما علم منهم الكفر
علما لا مجال فيه للتشكيك كعلم ما يدرك بالحواس وذلك لان الكفر مما لا يحس به وقرا عبيد بن عمر فلما
حس بغير الف قال من انصارى الى الله الجار اما متعلق بانصارى متضمنا معنى الاضافة اى من الذين
يضيفون انفسهم وينسبونها الى الله فى نصرتى فى امر الدين وقهر المخالفين او متعلق بمحذوف حال الخ

الیاء ای من انصاری ملتجیا الی الله ذاهبا الیه ای من ینصرنی فی حال کونی ملتجیا الی دین الله ذاهبا الیه فالمقصود
طلب النصرة لرسول فی دینه وقیل الی ههنا بمعنی مع او فی او اللام قال الحواریون نحن انصار الله ای انصار دینه
ورسوله وحواری الرجل خالصته من الحور وهو البیاض الخالص وکانه نسبة الحور وزیادة الالف من تغییرات
النسب ومنه الحواریات للحضریات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال فقل للحواریات یبکین غیرنا ولا تبکنا الا
الکلاب النوابح ثم سمی به اصحاب عیسی لخلوص نیتهم ونقاء سریرتهم وقیل کانوا ملوکا یلبسون البیض
استنصر بهم عیسی من الیهود وقیل قصارین یحورون الثیاب ای یبیضونها وقرأ یحیی بن وثاب الحواریون مخففة
الیاء آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وانما طلبوا شهادة عیسی تاکیدا لایمانهم لان الرسل یشهدون یوم
القیمة لقومهم وعلیهم بما عملوا من الخیر والشر والشهادة هی الاخبار بصحة الشیء عن مشاهدة وعیان یقال
شهد عند الحاکم لفلان علی فلان بکذا شهادة اذا اخبر بحق له علیه ربنا آمنا بما انزلت ای بجمیع ما انزلته واتبعنا
الرسول ای عیسی فاکتبنا مع الشاهدین مع الموحدین الذین یشهدون لاتباعهم وهم الانبیاء عم او مع
الشاهدین بوحدانیتک او مع امة محمد عم لانهم شهداء علی سایر الامم لیکونوا شهداء علی الناس وقالوا کذلک لانهم وجدوا
ذکرهم فی الانجیل کذلک ومکروا الضمیر لکفار بنی اسرائیل الذین احس منهم الکفر ومکرهم انهم وکلوا بعیسی
من یقتله غیلة ومکر الله بان رفع عیسی الی السماء والقی شبهه علی من اراد اغتیاله حتی قتل وقیل ان الیهود
لما ارادوا قتل عیسی اجتمع الحواریون فی غرفة وهم اثنا عشر رجلا فدخل علیهم عیسی من مشکاة الغرفة فاخبر ابلیس الیهود
بذلک فرکب منهم اربعة آلاف واخذوا باب الغرفة فقال للحواریین ایکم یخرج فیقتل وهو معی فی الجنة رجل منهم فقال
انا یا نبی الله فالقی علیه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عکازه والقی علیه شبه عیسی فخرج علی الیهود
فقتلوه وصلبوه واما عیسی عم فرفع الی السماء والمکر من حیث انه فی الاصل حیلة یجلب بها غیره الی مضرة لا یسند
الی الله الا مجازا بطریق المقابلة والازدواج (مشاکلة) وهو عند علماء البیان من تسمیة المسبب باسم السبب مثل رعینا الغیث
ای النبات الذی سبب الغیث فانهم قالوا یجوز بلفظ المکر عن عقوبته لانه سببها وقیل یحتمل ان یکون مکر الله
حقیقة لان المکر هو التدبیر فیما یضر الخصم وهذا محقق فی الله تعالی باستدراجه ایاهم بنعمه مع ما اعد لهم
من نقمة والله خیر الماکرین اقواهم مکرا واشدهم کیدا واقدرهم علی ایصال المضرة والعقاب من حیث لا
یحتسب المعاقب او قال الله ظرف لخیر الماکرین او لمکر الله یا عیسی انی متوفیک ای مستوفی اجلک ومؤخرک الی اجلک
المسمی عاصما ایاک من قتلهم ورافعک الی الی سمائی ومقر ملائکتی وقیل متوفیک قابضک من الارض من توفیت
مالی علی فلان اذا استوفیته وقیل ممیتک فی وقتک بعد النزول من السماء ورافعک الآن وعن بعضهم
اماته الله تعالی سبع ساعات ثم رفعه الله الی السماء والیه ذهب النصاری وقیل متوفی نفسک بالنوم والتی لم
تمت فی منامها ورافعک وانت نائم حتی لا یلحقک خوف وتستیقظ وانت فی السماء آمن مقرب ومطهرک
من الذین کفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وروی ان رهطا من الیهود سبوه وسبوا امه فدعا علیهم
اللهم انت ربی بکلمتک خلقتنی اللهم العن من سبنی وسب والدتی فمسخ الله من سبهما قردة وخنازیر فاجتمعت
الیهود علی قتله فاخبره الله بانه یرفعه الی السماء ویطهره من صحبة الیهود وجاعل الذین اتبعوک فوق الذین

الذین کفروا الی یوم القیمة یعلونهم بالحجة او السیف فی اکثر الاحوال ومتبعوه هم المسلمون لا الیهود و
النصاری المکذبین والکاذبین علیه لان المسلمین صدقوه واتبعوه فی اصل الاسلام وان اختلفت الشرایع ولقد صدق
الله وعده بان خذلهم واذلهم وضرب علیهم الجزیة والهوان والی الآن لم یتفق لهم ملک ودولة ولم یسمع غلبتهم
قاتلهم الله انی یوفکون ثم الی مرجعکم الخطاب ان کان لعیسی ومن تبعه ومن کفر به فتغلیب للمخاطب علی الغایب
والاصل مرجعک ومرجع من اتبعک ومن کفر بک فغلب المخاطب وهو عیسی وجمع الکل فی خطاب واحد ثم فصل المجمل
باعتبار وصفی الایمان والکفر غیر مراعی فیه تنبیها علی ان ما الی الفریقین انما هو للوصفین وان کان الخطاب للمتبعین
والکافرین فالتغایر من الغیبة الی الخطاب الدال علی شدة ارادة اتصال الثواب والعقاب لان الخطاب
ادل فی اثبات ما اجری له الکلام فاحکم بینکم فیما کنتم فیه تختلفون من امر الدین قوله فاما الذین
کفروا فاعذبهم عذابا شدیدا فی الدنیا والآخرة وما لهم من ناصرین واما الذین آمنوا وعملوا
الصالحات فنوفیهم اجورهم تفسیر للحکم وتفصیل له وبیان للمختلفین وقرأ عاصم فی روایة حفص فیوفیهم بالیاء والباقون
بالنون ای فنعطیهم ثوابا جزیلا کاملا وقرأ الیمانی فاوفیهم بالالف والله لا یحب الظالمین تقریر لذلک ذلک اشارة
الی ما سبق من نبأ عیسی وغیره والخطاب لرسول الله عم ومحله الابتداء وقوله نتلوه علیک من
الآیات خبران ویجوز ان یکون اسما موصولا بمعنی الذی ونتلوه صلته ومن الآیات خبره وان
ینتصب بمضمر یفسره نتلوه وان یکون من الآیات حالا من الهاء او خبر مبتداء محذوف وجوز بعضهم ان یکون
نتلوه حالا علی ان العامل معنی الاشارة والذکر الحکیم یرید القرآن وصف بصفة منزله وهو الله تعالی مجازا
اذ نسب الحکمة الی القرآن وهی فعل الله حقیقة فیکون من الاسناد المجازی مثل نهاره صایم او شبه القرآن لکثرة حکمه
بانسان ینطق بالحکمة وهو الحکیم فیکون من اجراء المشبه به علی المشبه مثل صم بکم ومنه زید اسد او شبه اشتماله علی الحکم
الکثیرة بالاتصاف بها فیکون استعارة تبعیة وقد یقال شبه القرآن بالانسان ذی الحکم واسند الحکم الیه قرینة
الاستعارة فهی استعارة مکنیة وقیل المراد به اللوح ان مثل عیسی عند الله کمثل آدم ان شانه وحاله الغریبة
کشان آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثیل مبینة لما له التشبه وهو انه خلق بلا اب کما خلق آدم من
التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمادة شبهته اذا نظر فیما هو اغرب مما استغربه و
المشارکة من بعض الاوصاف کافیة فی المماثلة المعتبرة فی تشبیه الشیء بالشیء وهو ههنا لم یخالف شرط وهو
کون المشبه به اقوی واتم حیث شبه الغریب بالاغرب وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون
عیسی قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولی لانه لا ابوین له قالوا کان یحیی الموتی قال فحزقیل اولی لان عیسی
احیا اربعة نفر سام وکعب وعازر وابن العجوز وبنت العاشر واحیا حزقیل ثمانیة الاف فقالوا کان یبرئ الاکمه
والابرص قال فجرجیس اولی لانه طبخ واحرق ثم قام سالما فان قیل قوله خلقه من تراب ثم قال له کن فیکون یقتضی
ان یکون خلق آدم سابقا علی قوله کن فیکون علی ما هو اصل ثم لکنه لیس کذلک والجواب ان المراد بخلقه تقدیره
جسدا من طین وتصویره وهو مقدم علی ایجاده حیا ثم قال له کن فیکون ای انشاه بشرا کقوله ثم انشاناه خلقا
آخر وقوله فیکون حکایة حال ماضیة لان المقام للمضی ای قال کن فکان وانما عبر بلفظ المضارع

ليصوّر للسامعين الحالة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من تكوّن عيسى وحدوثه مستغربا في بنوّه
كانه يبصّرهم اياها ويتطلّب منهم مشاهدتها تشبيها لتلك الحالة الغريبة بحالة هي اغرب منها وتعجيبا من
قدرته على كل مقدور لا منها الحق من ربك خبر محذوف اى هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس وقيل الحق مبتداء
ومن ربك خبر اى الحق المذكور من الله وعلى الاول هو حال من الضمير في الحق فلا تكن من الممترين خطاب للنبي عم
على سبيل التهييج لزيادة الثبات والطمانينة او لكل سامع اى كون عيسى مخلوقا كادم هو الحق اليقين
وهم فيه شاكون حيث زعموا اللاهوتية والنبوة وغير ذلك من قولهم انه ثالث ثلثة روى ان وفد نجران السيد والعاقب
والاسقف وغير ذلك من احبارهم قدموا الى النبي عم فبالغوا في امر عيسى وناظروا فقال عم هو عبد الله و
رسوله فقالوا ارنا خلقا من خلق الله من غير اب وقالوا انه اتخذ ابنا فقال عم اسلموا فقالوا قد اسلمنا قبلك فقال
لهم كذبتم انما يمنعكم من الاسلام ثلثة اكل الخنزير وعبادة الصليب وقولكم لله ولد فقالوا من ابو عيسى فانزل الله الاية
تكذيبا لهم وتبكيتا فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اى من البينات الموجبة للعلم بانه
عيسى مخلوق كادم وعبد الله ورسوله فقل تعالوا هلموا بالراى والعزم كقولك تعال نفكر في المسئلة وقرئ تعالوا بضم اللام
كانه ضمة الواو نقلت اليه رواه الضبي عن نبيح وابي واقد الجراح ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منى ومنكم ونساءه ونفسه الى المباهلة وانما قدمهم على النفس لان الرجل
يخاطر بنفسه لهم ويحاربه دونهم ومن ثم كانوا يسوقونه مع انفسهم الظعاين في الحروب ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن
الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الاهمال من قولهم بهل الناقة اذا اهملها وتركها بلا صرار ثم استعمل
في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيانه روى انه عم لما
دعاهم الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله
لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا عم نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا
الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا
رسول الله عم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلى خلفها وهو يقول
لهم اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سئلوا الله ان يزيل
جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا تبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القسم ولا
تحيفنا رائنا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال عم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم
ما للمسلمين وعليكم ما عليهم رائنا ان لا نباهلك وان ما عليهم فابوا قال فانى اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة
ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب
وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك فقال عم والذى نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الاشجار ولما حال
الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وهو دليل على نبوته وفضل من معه من اهل بيته وعن عايشة ان رسول الله عم خرج
وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة رض ثم على رض ثم قال انما يريد

الله

الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وقدّم الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل
وقاتل دونهم حتى يقتل ان هذا اى ما قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق الجملة خبر ان وهو فصل بين الاسم
والخبر يفيد ما ذكره من شان عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتداء
من الخبر واصلها ان تدخل على المبتداء لانها لام الابتداء لكن زحلقت الى الخبر كراهة حرفي التاكيد وما من اله الا الله
قد سبق ان النكرة المنفية اذا كانت مع من الاستغراقية لفظا نحو ما من رجل في الدار او تقديرا مثل لا رجل في
الدار فهي نص في الاستغراق لا يحتمل عدمه لكونه لنفي الجنس بالكلية فمن هنا بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله
في كونه نصا في الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم المقتدر على الاحياء كلها
والمتقن في الافعال كلها الا الله وهو في التحقيق نفي للشبه والمجانسة والمشاركة في الالوهية ومعنى الجملتين ان الله هو
المتوحد بالالهية لا شريك له فيها وهو الذى لا يماثله شيء ولم يشاكله في شيء مما في القدرة التامة والحكمة البالغة ولا يجانسه
حتى يكون له من جنس صاحبة فيتولد فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين اراد بهم فجاء بالظاهر ليدل على ان التولى عن
التوحيد هو ما يؤدى الى تهييج الحروب وفي الفتن الموجب لفساد العالم وهو وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب المنزلة من عند الله وتفسير الكلمة قوله ان
لا نعبد الا الله اى نوحد الله بالعبادة ولا نشرك به شيئا اى ولا نشرك بعبادته اهلا لقوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا
ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله بان نقول
الها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كلا منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع الاحبار ورهبانهم اربابا
من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال
هو ذلك وعن الفضيل لا ابالى اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ تعالوا بضم اللام وقرئ كلمة بسكون اللام
وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء وقرأ ابو الرهيم ولا يتخذ بالنون وجعل قوله بعضنا بعضا ترجمة
عن قوله ولا نتخذ فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم
او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت الكتب واتفقت عليه الرسل حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره تنبيه تامل ما
تضمنته القصة من حسن الارشاد والتدريج في الحجاج بين اولا احوال عيسى واطواره المنافية للالهية ثم اتبعه
ما يزيح شبهتهم فلما راى عنادهم لجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا في الجملة
عاد اليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وساير الانبياء والكتب
ثم لما علم اعراضهم عن ذلك وان الايات والنذر لا تغنى عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون مخلصون
التوحيد من اسلم وجهه لله اذا اخلص او مذعنون من اسلم اذا خضع واذعن والاول اوفق بالسياق وادل
على المقصود يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازع اليهود
والنصارى وزعم كل من الفريقين ان ابرهيم كان منهم فترافعوا الى رسول الله عم فنزلت والمعنى ان اليهودية
والنصرانية انما حدثت بعد نزول التورية والانجيل وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان

فكيف يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة وقوا ليمانى وما انزلت التورية وعيد بن
عمرو ما نزلت اولاه تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم
تحاجون فيما ليس لكم به علم ها للتنبيه وانتم مبتداء وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للجملة الاولى وعما يجب التنبيه
له ان اسم الاشارة ههنا للتحقير والاسترذال اى انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى ومن حماقتكم وقلة
عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه فى التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تحاجون
فيما لا علم لكم به ولا ذكر فى كتابكم من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وعلى الاخفش
ها انتم اصله آانتم بتوسيط الف بين همزة الاستفهام وهمزة انتم فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم
والله يعلم علم ما حاججتم فيه اى كيفية هؤلاء وحقيقته ومنه قولك فلان يعلم علم كذا اذا احاط بحقيقته وكيفيته علما وانتم لا تعلمون
وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بان ابرهيم برئ من دينهم الذى ادعوه حيث قال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن
كان حنيفا مايلا عن كل دين باطل الى دين الحق مسلما منقادا مطيعا لله تعالى قال البيضاوى ليس المراد انه كان على
ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين كما لم يكن منكم فنفى عنه الشرك تكذيبا لهم وللكفار قريش فى زعمهم
انهم على دين ابيهم ابرهيم واراد بالمشركين اليهود والنصارى حيث اشركوا به عزيرا والمسيح وضعا للمظهر موضع المضمر
ايذانا بانه ليس معهم وتعريضا بانهم مشركون وتاكيدا لكونه حنيفا مسلما ان اولى الناس بابرهيم اقربهم
به واقربهم منه من الولى وهو القرب وبه فسر قولهم البادى بالسلام اولى بالله تعالى وبرسوله للذين اتبعوه اقتدوا
به فى الميل الى ملة الاسلام وفى الاذعان لله وفى التوحيد وهذا النبى خصوصا فهو عطف على الذين اتبعوه داخل فيهم
خص بالذكر تعظيما له واجلالا لمحله وايذانا بانه اجل ما اوحى ابرهيم من النعم وافضلها واولى من الكرامة اتباع
رسول الله ودينه والذين آمنوا من امته والا وجه ان يراد للذين اتبعوه فيما مضى ثم النبى والذين آمنوا اذ لا
حاجة الى ادراج النبى فى المتبعين والمعنى ان اولى الناس بابرهيم فريقان احدهما الذين اتبعوه فيما مضى
من الزمان السابق على عهد رسول الله عم والاخر النبى والمؤمنون وقرئ هذا النبى بالنصب عطفا على الهاء
فى اتبعوه اى اتبعوه واتبعوا هذا النبى وعلى هذه القراءة والذين آمنوا عطف على الذين اتبعوه واما على قراءة
من قرأ بالجر عطفا على ابرهيم فيجوز ان يكون عطفا على النبى وعلى الذين اتبعوه وهذا اصح وعن رسول
الله اول من غير دين ابرهيم عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف ابو خزاعة والله ولى المؤمنين اى ناصرهم و
يعينهم ويجازيهم كل خير لايمانهم او محبهم والمتولى امورهم لا يكلهم الى غيره او ولى هذا هم ودت طائفة
من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت فى اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا رحمهم الله تعالى الى اليهودية
ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم
واضلالهم او ما يقدرون على اضلال المسلمين وما يضلون الا امثالهم من اشياعهم وكل من الوجهين
لا يخلو عن التجوز وههنا وجه آخر وهو ان المراد باضلالهم انفسهم اى ذواتهم ان الاضلال لا يلحق بهم
لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ولو اريد بانفسهم قلوبهم وآراءهم لم يبعد وما يشعرون
الشعور علم الشئ علم حس من الشعار وهو العلامة اى لا يحسون بذلك لتمادى غفلتهم جعل لحوق وبال

وبال الاضلال وعوده عليهم فى الظهور كالمحسوس الذى لا يخفى الا على من ايفت مشاعره ومداركه يا اهل
الكتاب لم تكفرون بآيات الله المراد بالآيات اما القرآن او التورية والانجيل او جميع الآيات وانتم تشهدون وعلى
الاول تشهدون بمعنى تشاهدون اى لم تكفروا بالقرآن ودلايل نبوة النبى عم وانتم تشاهدون نعته
المذكور فى التورية والانجيل وعلى الثانى تشهدون من الشهادة مجازا عن الاعتراف بحقيتها اى لم تكفرون بما
نطقت به التورية والانجيل من صحة نبوة رسول الله عم وغيرها وانتم تعترفون بانها آيات الله وعلى الثالث
بمعنى تعلمون حقيتها بلا ريب علم مشاهدة اى لم تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق يا اهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل قرئ يلبسون بكسر الباء من لبست الثوب بالثوب اى خلطته به فيكون الباء فى الباطل
صلة والمعنى لم تخلطون الحق المنزل من عند الله بباطلكم وذلك بالتحريف وبكتابتهم فى التورية والانجيل ما ليس
منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبوه حتى لا يميز بين حقها وباطلهم وان كانت باء الاستعانة كان المعنى
لم تجعلون الحق ملتبسا مشتبها غير واضح بسبب باطلكم الذى تكتبونه وهو فى التحقيق نهى كانه قيل لا تكتبوا
فى التورية والانجيل ما ليس منها فيختلط الحق بالباطل او لا تجعلوا الحق ملتبسا بالباطل وقد يرجح
الاول بانه اظهر واكثر وهو حق وبان جعل وجود الباطل سببا للالتباس ليس اولى من العكس وهو باطل و
قرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء من لبست الثوب فالباء فى بالباطل بمعنى مع اى تكتبون الحق مع الباطل
كقوله عم المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبى زور وقول الفرزدق اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا وقرئ تلبسون
بالتشديد وتكتمون الحق ومعنى كتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد فى كتابنا صفة محمد عم او حكم كذا او يمحوا
ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وانتم تعلمون فى حال علمكم انكم على الباطل لابسون كاتمون وارتكاب
المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا اى اظهروا الايمان
بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره اى بما انزل على المسلمين فى اول النهار واكفروا به
فى آخره لعلهم يرجعون لعلهم يشكون فى دينهم ظنا بكم رجعتم لخلل ظهر لكم فيرجعون برجوعكم والمراد
بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك الصيف قالا لاصحابهما لما صرفت القبلة الى الكعبة آمنوا بما انزل على المسلمين من
الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها فى اول النهار ثم اكفروا فى آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا
فيرجعون وقيل تواطأ اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا فى دين محمد عم اول النهار
من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا عم بالنعت الذى ورد
فى التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تظهروا ايمانكم وتصديقكم بان المسلمين اوتوا من
كتب الله مثل ما اوتيتم الا لاتباعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزدادوا ثباتا وتصلبا فى الدين ودون المشركين لئلا
يرغبوا فى الاسلام او ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر الا لمن كان تابعا لدينكم ممن اسلم منكم اى لا تفعلوا الايمان
وجه النهار الا لاجلهم وعلى قصد رجوعهم عن الاسلام واغا ضهم والغرض فى ذلك لان رجوعهم كان عندهم ارجى واهم
واطيب وعلى هذا قوله قل ان الهدى هدى الله لا يكون اعتراضا اذ يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم
واما على الوجه الاول فهو اعتراض وان كان فى الاغلب للتاكيد بل للرد عليهم فيما اولوا من عدم زيادة ثباتا

المسلمين وعدم رغبة المشركين وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فانه ايضا اعتراض للرد لا غير لا في
آخره فان قلت ما موقع قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلت على الوجه الاول معمول لقوله ولا تؤمنوا بتقدير حرف الجر ان
اعتبر فيه معنى الاعتراف اى ولا تعترفوا بان يؤتى احدا او ولا تظهروا التصديق بان يؤتى احدا وبدونه تقديره
بمعنى لا تظهروا تصديقوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الكتاب والرسول وان يحاجوكم ويغالبوكم بالحجة يوم القيمة
الا لاتباعكم وحدهم وعلى الثانى لا يكون مفعول لا تؤمنوا بل يجرى مجرى اللازم ويتم الكلام عند قوله الا لمن تبع
دينكم كما ذكرنا ويجوز ان يكون علة لفعل محذوف اى لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ما قلتم وعلى هذا ان
يؤتى مع عامله المحذوف داخل في حيز قل كانه قل ان الهدى هدى الله وقل لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ما قلتم و
كدتم ما كدتم يعنى اكد عليهم ان الهدى ما فعل الله من ايتاء الكتاب غيركم وانكر عليهم ان لا تعضوا اصله يؤتى احد مثل
اوتوا وليشق ذلك عليهم فيكيدوا ما كادوا والدليل عليه قراءة ابن كثير ان يؤتى بزيادة همزة الاستفهام للتقريع
التوبيخ بمعنى الان يؤتى احد وان يكون منصوبا بفعل مضمر اى فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم
حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقيل هو مبتداء خبره محذوف اى ان يؤتى تقرون
به او تذكرونه وقيل منصوب بالفصل اى تنكرون ان يؤتى او تشعرون وقرئ ان يؤتى على ان النافية
فيكون من كلام الطايفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى
يحاجوكم عند ربهم يعنى ما يؤتون مثله فلا يحاجوكم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجوه
الاولين وعلى الخامس معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع
بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجوكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم اعتراض ردا وابطالا لما زعموا بالحجة الواضحة لا تاكيدا وقرا يعقوب
وسلام يؤتيه بضم الياء وكذلك يؤده ولا يؤده ونوله ونصله يختص برحمته من يشاء اى يجعله منفردا بالرحمة اى رحم
سواه بناء على ان الباء داخلة في المقصور لا في المقصور عليه كما في قولك خصصت فلانا بالذكر اى ذكرته دون
غيره والمراد بالرحمة الكتاب والنبوة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة والكتاب من الفضل
العظيم كقوله وكان فضل الله عليك عظيما ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك هو عبد الله بن سلام
استودعه قرشى الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك هو فنحاص
بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المامون على الكثير النصارى لان
الغالب فيهم الامانة والخاينون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قايما الا مدة
دوامك عليه يا صاحب الحق قايما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالترافع واقامة البينة
عليه وقرئ يؤدهي بكسر الهاء والوصل اى وصلها بياء اشباعية وبمجرد الكسر من غير وصل وبسكونها اجراء
للوصل مجرى الوقف وقرا يحيى بن وثاب تيمنه بالكسر على لغة من يكسر حرف المضارعة ودمت بكسر الدال من دام
يدام على لغة ضعيفة جدا ولذا لم تذكر في كتب اللغة ذلك اشارة الى ترك الاداء الدال عليه لا يؤده اى تركهم
اداء الحقوق بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اى لا يتطرق علينا عتاب وذم

وذم في شان من ليسوا اهل الكتاب وفيما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم
ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في كتابنا حرمة و
قيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم
وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبى عم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شئ في الجاهلية الا وهو تحت قدمى
الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر قوله تحت قدمى اى منسوخ متروك وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب
في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقول ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس فقال هذا كما قال اهل
الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيبة انفسهم بلى اثبات لما نفوه من
السبيل عليهم في الاميين اى بل عليهم سبيل فيهم من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين جملة مستانفة مقررة
للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير في بعهده عايد الى من او الى الله كل من وفى بما عاهد عليه واتقى الله في الخيانة
والغدر فان الله يحبه وعايد الى الله يعنى على ان كل من وفى بعهده والقاه فان الله يحبه وهو يعم الوفاء وغيره
من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهى وعموم المتقين ناب مناب رجوع الضمير من الجزاء الى من وعن ابن عباس نزلت
في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب وفي نظيرهما من مسلمة اهل الكتاب ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا
عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا
متاع الدنيا من الرؤس والارتشاء ونحو ذلك وقوله بعهد الله يقوى رجوع الضمير في بعهده الى الله نزلت في ابى
رافع ولبابة بن ابى الحقيق وحيى بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا صفة رسول الله عم واخذوا الرشوة على ذلك و
قيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين طالبين الميرة وقال لهم هل تعلمون ان هذا
الرجل رسول الله عم قالوا نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا
حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذى نعت لنا
ففرح ومارهم اى اعطاهم الميرة وعن الاشعث بن قيس نزلت في وكانت بينى وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا
الى رسول الله عم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالى فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها
فاجر لقى الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه اولئك
لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله اى لا يكلمهم الله اولا يرحمهم اى يغضب عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع
كلامه اولا يكلمهم بكلام يحبونه بل بنحو قوله قال اخسئوا ولا تكلمون ولا ينظر اليهم يوم القيمة تركا النظر ههنا مجاز عن
الاستهانة بهم والسخط عليهم بطريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم لان عدم النظر ملزوم للاستهانة كما
ان النظر مجاز عن الاكرام والاحسان يقال فلان لا ينظر الى فلان اذا لم يتعهده ولم يحسن اليه والفرق
بين استعمال النظر مطلقا اى سواء كان نفيا او اثباتا فيمن يجوز عليه النظر اى تقليب الحدقة كالانسان
وفيما لا يجوز عليه وهو البارى تعالى انه اذا اسند الى من يجوز النظر واريد الاكرام والاحسان فهو كناية
حيث جاز ارادة معناه الموضوع له لكن لا يتعلق به الاثبات والنفى ويرجع اليه الصدق والكذب
بل لينتقل منه الى الملزوم ليكون هو مناط الاثبات والنفى ومرجع الصدق والكذب واذا اسند

الحق لا يجوز عليه النظر فهو مجاز لا غير لان المجاز من حيث انه مجاز مشروط بقرينة مانعة عن ارادة الموضوع له
وهنا كذلك فان العلم باستحالة النظر قرينة مانعة عن ارادة حقيقته بخلاف الكناية فان ارادة الموضوع له وجواز
ارادته شرط لها ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوا وان منهم لفريقا هو كعب بن الاشرف ومالك
بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرا اهل
المدينة يلوّون بالتشديد وعن مجاهد وابن كثير يلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها ونقل
حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير في لتحسبوه للمحرف الدال عليه يلوون السنتهم
بالكتاب ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى
يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب وقوله ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من
الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا
لا ينقض لانه لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب
على الله والتعمد وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا
بدلوا فيه صفة محمد عم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم وقوله ما كان لبشر ان يؤتيه الله
الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب وتوبيخ ورد لمن اعتقد عبادة عيسى عم
وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال عم معاذ الله ان نعبد
غير الله وان نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك
كما يسلم بعضنا بعضا افلا نسجد لك قال لا ينبغي لاحد ان يسجد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله وفيه
ان السجود للغير كان جائزا في الامم السالفة لكنه قد منع في شريعتنا وذلك كما سجدت الملائكة لآدم واخوة يوسف له
وعن رسول الله صلعم اول من عانق خليل الله ابرهيم عم وكان قبل ذلك السجود فهذا يسجد لهذا وهذا يسجد لهذا
فجاء الاسلام بالمعانقة والحكم والنبوة وهي السنة النبوة هي البعثة وفي الاصل الارتفاع يقال نبي فلان اذا ارتفع
وعلا والنبي المبعوث من الله موصوف بذلك لعلو شانه وسطوع برهانه والنبي عند اهل الحق من قال له الله تعالى
بعثتك الى قوم كذا او الى الناس او نبيهم عني ونحو ذلك من الالفاظ ولا يشترط فيه شرط ولا استعداد كما زعمت
الفلاسفة بل الله يختص برحمته من يشاء وعن ابي عمرو ثم يقول بالرفع على هو يقول ولكن كونوا ربانيين اي ولكن
كان للبشر الذي اتاه الكتاب ان يقول للناس كونوا منسوبين الى الرب متمسكين بعبادته بما كنتم تعلمون الكتاب وبما
كنتم تدرسون بسبب علمكم او تعليمكم ودراستكم فان فائدة العلم والتعليم انما هي عبادة الله وحده وان لا يشرك بعبادته
احد وما خلقت الجن والانس الا لاجلها فالباء متعلق بكونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون
كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون من العلم والباقون تعلّمون بتشديد اللام وكسرها وقرئ تعلّمون
من التعلم واصله تتعلمون ومعنى تدرسون تقرؤن وقرئ تدرّسون من التدريس وتدرسون بمعنى درس
بمعنى درّس كاكرم وكرّم وانزل ونزّل وتدّرسون من التدرّس ويجوز ان يكون المشهورة وهذه

وهذه على تقدير تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناها معنى تدرّسون من التدريس
وروى ابان عن عاصم تُعلمون مجهولا من العلم ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا قرا عاصم و
حمزة وابن عامر ويعقوب ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول فتكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى
ما صح وما استقام لبشر ان يؤتيه الله الكتاب ثم يقول للناس كونوا عبادا لي ولا ان يامرهم باتخاذ الملائكة والنبيين
اربابا او غير مزيدة معطوفا هذه النفي على ثم يقول قصدا الى ترتب هذا المجموع على الايتاء بمعنى ما كان
لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه وينهاهم عن عبادة الملائكة والانبياء وهو وهم سواء
في عدم استحقاق العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف والحال ويعضده قراءة عبد الله ولن يامركم اذ لا يمكن ان يكون عطفا
على ثم يقول لان ان الناصبة لا تدخل على لن فلا يصح ان لن يامر كما صح ان لا يامر واما ان في الحالين لن يجمع عظامه
فهي مخففة من الثقيلة لا ناصبة والضمير في لا يامركم وايامركم للبشر وقيل لله والخطاب على كل حال اتقا ايامركم
بالكفر والهمزة للانكار اي منكر ان يامركم بالكفر فما كان ينبغي ان يامركم به بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب
للمسلمين وهم الذين استاذنوا ان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين قيل هو على ظاهره من اخذ الميثاق
على النبيين بذلك واذا كان هذا حكمهم كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من الانبياء واممهم
واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله تعالى
الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او يراد اهل
الكتاب وسماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد عم لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل
عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله تعالى ميثاق الذين اوتوا الكتاب لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه واللام في لما آتيتكم لام التوطئة وما مزيدة لان اخذ الميثاق
بمعنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل ان يكون شرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم
والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه وفيه دلالة تنبيه على ان لام لا تجب ان تدخل الشرط كما
زعم بعضهم فانه قد يدخل على ما مزيدة ايضا لقوله وان كلا لما ليوفينهم وقرئ لما آتيتكم وقرا حمزة لما آتيتكم
بكسر اللام على ان ما مصدرية اي لاجل ايتاء اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول الله صلعم مصدقا لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه فاللام فيه للتعليل كانه قيل اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم
الحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان يكون ما موصولة وما معكم مظهر
وضع موضع الضمير العائد الى الموصول كانه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرا سعيد بن جبير لما بالتشديد
بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن
ما فحذف الميم الاولى وقلبت النون ميما ثم ادغمت في الميم ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة
حمزة في المعنى قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي وقرئ اُصري بالضم وسمي العهد اصرا لانه مما يؤصر اي يشد
ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به والظاهر ان الضم لغة فيه كعبر وعبر ويجوز ان يكون جمع اصار وقرا ابن عباس اصري
بفتح الالف قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من

الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم من الرجوع اذا علموا بشهادة
الله بعضهم على بعض فمن تولى بعد ذلك فمن اعرض بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون
اى الخارجون عن سواء السبيل والمتمردون من الفسقة الكفرة وقيل الناقضون للعهد وقيل هم العاصون افغير
دين الله يبغون عطف على الجملة قبله والهمزة للانكار والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت
الهمزة بين الجملتين او على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول على فعله للاهتمام لانه المقصود بالانكار
قال الكلبى ان كعب بن الاشرف واصحابه والنصارى اختصموا الى النبى عم فقالوا انا احق بدين ابراهيم فقال عم كلا الفريقين برئ
من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقراء ابو عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب يبغون بالياء
اى يطلبون والباقون بالتاء على تقدير قل لهم وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها اى طائعين بالنظر فى الادلة و
اتباع الحجج وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بنى اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشراف على الموت
فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده او مختارين كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما
قضى عليهم وقراء اليمانى وكرها بضم الكاف واليه ترجعون وقراء عاصم فى رواية حفص بالغيب حملا على من فى السموات والارض والباقون
بالخطاب التفاتا من الغيبة الى الخطاب قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر النبى عم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان ومن ثم وحد الضمير فى قل
وجمع فى آمنا او بان يتكلم عن نفسه على مجرى الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه والظهار التقدم والانزال كما يعدى
بالى لانه الوحى ينتهى الى الرسل يعدى بعلى لانه ينزل من فوق وقدم المنزل عليه على غيره تعظيما للشان واظهارا لفضله
على انه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب اى لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل
اهل الكتاب من اليهود والنصارى ونحن له مسلمون حال من فاعل آمنا او من مفعوله لعود الضمير فى له اليه او
عطف على لا نفرق او آمنا او اعتراض مؤكد اى ومن حالنا انا المسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نعبد الا
اياه او مذعنون ومن يبتغ غير الاسلام دينا اى غير التوحيد والاذعان لحكم الله فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من
الخاسرين الواقعين فى الخسران مطلقا من غير تقييد للعموم والمعنى ان من يعرض عن دين الاسلام ويطلب غيره
فقد وقع فى الخسران كل الخسران بكفرانه بالنعمة كل النعمة حيث استبدل خلاف الفطرة والايمان والاسلام واحد لان
الايمان فى الاصل التصديق اى اذعان حكم المخبر وقبوله وجعله صادقا والاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى اذعان
الحكم والقبول فمن اثبت التغاير فقد سوى بينا فانه اهمل قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا صريح فى وجود
الاسلام بدون الايمان اجيب بان المراد ان الاسلام المعتبر فى الشرع لا يوجد بدون الايمان وهو فى الآية بمعنى الانقياد
الظاهر من غير انقياد الباطن بمنزلة المتلفظ بكلمة الشهادة من غير تصديق فى باب الايمان واعترض ايضا بقوله عم
الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله عم وتقيم الصلوة الحديث واجيب بان المراد ان ثمرات الاسلام
وعلاماته ذلك كما قال عم لقوم وفدوا عليه اتدرون ما الايمان بالله تعالى وحده فقالوا الله ورسوله اعلم قال
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصيام رمضان وان
تعطوا من المغنم الخمس وكما قال عم الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة

اماطة الاذى عن الطريق اى ثمرات الايمان وعلاماته بضع وسبعون وقد فسر عم البضع بما بين السبع الى
العشر وقال فى حديث آخر البضع ما بين الثلث الى التسع وبهذين الحديثين يظهر ضعف ما قال المطرزى
فى المغرب البضع بالكسر ما بين الثلث الى العشر والصواب الى التسع كما نقل عن قتادة وقرئ ومن يبتغ غير
الاسلام بالادغام وقراء زيد بن على ومن يتبع بالعين المهملة فلن نقبل بالنون كيف يهدى الله قوما كفروا بعد
ايمانهم قيل نفى وانكار لان يهديهم الله وذلك يقتضى ان لا يقبل توبة المرتد وقيل استبعاد له فان الحائد عن الحق
بعدما وضح له منهمك فى الضلال بعيد عن الرشاد اى كيف يرشدهم وليسوا من اهل الرشاد او كيف
يفعل بهم الهداية وليسوا من اهل الهداية او كيف يدعوهم او كيف يلطف بهم لما علم من اصرارهم
على كفرهم ودل على اصرارهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعدما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم
آيات توجب النبوة وهم اليهود كفروا بالنبى عم بعدما كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من
البينات وقيل نزلت فى رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ومقيس بن صبابة
والحارث بن سويد ووحوح بن الاسلت وعن مقاتل كانوا اثنى عشر وعن الكلبى عشرة وشهدوا ان الرسول حق
عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل كانه قيل من بعد ان آمنوا وشهدوا كقوله تعالى فاصدق واكن اذ عطف
واكن وهو مجزوم على فاصدق وهو منصوب بتقدير ان سال سيبويه الخليل عنه فقال الخليل جزم واكن
لان الفعل الاول يكون مجزوما حين لا فاء فيه وهو من قبيل العطف على المحل وهو فى كلامهم شايع كانه قيل
لولا اخرتنى الى اجل قريب اصدق واكن ومنه قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب عطف ناعب وهو مجرور على
مصلحين وهو منصوب لانه قد يكون مجرورا بزيادة الباء فى خبر ليس كانه قيل ليسوا بمصلحين ولا ناعب او الواو للحال
باضمار قد من ضمير كفروا كانه قيل كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان
خارج عن حقيقة الايمان وجاءهم البينات اى ومن بعد ان جاءهم الشواهد من القرآن وساير المعجزات التى
تثبت بمثلها النبوة والله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم باستبدال خلاف الفطرة وايثار الكفر على
الايمان اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين قيل يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه على نفى
جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مايسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم
وانما قال والناس اجمعين وفى الناس المسلم والكافر لان المراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل المراد
العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا
خالدين فيها فى اللعنة وقيل فى العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما وقيل فى النار الا انها
اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من النظر اى لا ينظر اليهم نظر رحمة او لا
ينتظرون ليعتذروا او من الانظار اى لا يمهلون ولا يؤجلون وقراء زيد بن على لا نخفف عنهم العذاب
الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا يعنى ان مجرد التوبة عن ذلك غير
كاف بل لا بد من تدارك لما اخلوا به من الحقوق وانضياف الاصلاح اى اصلحوا باطنهم مع الحق بالموافقة
وظاهرهم بالعبادات ويجوز ان لا يقدر مفعول بمعنى دخلوا فى الصلاح فى امر الظاهر والباطن

يكون للازمان قيل اصبحوا فلوا في الصباح فان الله غفور ستور يقبل توبة النادم على الذنب بحاله بما كان
منه رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته اهل الردة ومن سواهم عظم جناياتهم ثم ارد فيها بعظم
رافته ورحمته ايذانا بان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اجل واعظم ولكن لا بد من الرجوع
والاعتذار الى الله تعالى قيل انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا
هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله عم توبته ان
الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتورية ثم ازدادوا
كفرا حيث كفروا بمحمد عم والقرآن او كفروا برسول الله عم بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك
وطعنهم فيه وصدهم عن الايمان به ونقضهم ميثاقه وعداوتهم له وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة وازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة
لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بامتناع قبولها
تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اقطع الاحوال واشدها
او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه وقرأ عكرمة وابن عمر لن نقبل
توبتهم واولئك هم الضالون المستمرون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا اشعر بترك الفاء في قوله لن تقبل توبتهم ان الكلام مبتداء او خبر ولا دليل فيه على التسبيب
كقولك الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم فان قيل اليس ترتب الحكم على الوصف دليل السببية
اجيب بان المراد الدلالة بلفظ موضوع لذلك كالفاء ولا كذلك الموصول فانه كثيرا ما يكون لاغراض اخر كتحقيق
الخبر في هذا المقام واشعر بالفاء في قوله فلن يقبل من احدهم على ان الكلام مبني على الشرط والجزاء وان الموت
على الكفر سبب لامتناع قبول الفدية كقولك الذي جاءني فله درهم تجعل المجيء سبب استحقاق الدرهم وملء الشيء
ما يملاه وذهبا نصب على التمييز وقرأ عكرمة وابن عمر فلن نقبل من احدهم ملء الارض بالنون وقرأ الاعمش
ذهب بالرفع على انه بدل من ملء او عطف بيان ولا بد من تقدير وصف ليحصل البدل ولا دلالة عليه ولم يعهد
بيان المعرفة بالنكرة واما جعله خبر مبتداء محذوف فانما يحسن اذا كانت الجملة صفة او حالا ولا تخلو عن ضعف
اي هذه القراءة ولو افتدى به كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض
ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب
في الاخرة والمراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا كقولك ابو
يوسف ابو حنيفة اي مثله وضربت ضرب زيد اي مثل ضربه ويزاد كثيرا كقولهم مثلك لا يفعل كذا اي انت وذلك لان المثلين
في حكم شيء واحد فزيادة المثل كلا زيادة وحذفه كلا حذف وكونها ان لا يحمل ملء الارض ولا على الافتداء بل على
التصدق ولا يكون الشرط المذكور من قبيل ما يقصد به تاكيد الحكم السابق بل يكون شرطا محذوف الجواب
كانه قيل لا يقبل ملء الارض ذهبا تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه ففي ضميره تعيين ذلك المال من
غير اعتبار وصف التصدق وقرئ فلن يقبل من احدهم ملء الارض على البناء للفاعل وهو الله تعالى ونصب ملء وقرئ

وقرئ وملء الارض بضم اللام الاولى وفتح الثانية وحذف همزة لنقل حركتها كل من الهمزتين الى ما قبلها ثم حذفها
وقرأ الحسن وابو واقد ولو افتدى بضم الواو واسقط الواو ابن ابي عبلة اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير و
الاقناط لان من لم يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق
لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله الذي هو
الرحمة والرضى والجنة وعن ابن عباس لن تنالوا ما عند الله من ثواب الجنة وعنه ايضا انها منسوخة بآية الزكوة
وعن مقاتل لن تنالوا التقوى وعن الضحاك لن تدخلوا الجنة حتى تنفقوا مما تحبون حتى يكون نفقتكم من اموالكم
التي تحبونها وتؤثرونها او ما يعمها وغيرها كبذل الجاه في معاونة عباد الله والبدن في طاعة الله والمهجة
في سبيله وكان السلف اذا احبوا شيئا جعلوه لله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي
بيرحا فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال عم بخ بخ ذلك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين
فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل
الله فحمل عليها رسول الله عم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وشق ذلك عليه وقال انما اردت ان
اتصدق به فقال عم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل
وان الاية تعم الانفاق الواجب وغيره وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم
فتح مداين كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وعن
ابن عمر انه اشترى جارية جميلة فاعتقها وزوجها رجلا فولدت ولدا فكان يأخذ ولدها ويضمه الى نفسه
ويقول اشم منك نفس امك فقيل له هلا امسكتها فقرأ الآية ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي
فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه
ليوم اوضع في حفرتي وكان عمر بن عبد العزيز يشتري اعدالا من سكر ويتصدق بها فقيل له هلا تصدقت
بثمنها فقال لان السكر احب الي فاردت ان انفق مما احب لان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهو يدل على ان من في مما للتبعيض ومثله اخذت من المال وقرأ زيد بن علي
لن تنالوا البر حتى تنفقوا باكياء فيها وما تنفقوا من شيء اي من اي شيء محبوب وغيره ومن للتبيين
فان الله به عليم اي بكل شيء تنفقونه عليم فلا يضيع عنده عمل عامل منكم كل الطعام كله كل للاحاطة والشمول
فيقتضي تعدد ما في حيزها فاللام في الطعام اما للاستغراق اي كل المطعومات ولا حاجة الى تقدير واما للجنس
فيقدر مضاف هو جمع علم بالاضافة اي كل انواع الطعام فكلمة كل ههنا لتاكيد العموم المستفاد من اللام والاضافة
والطعام اسم لما يطعم اي يؤكل كالشراب اسم لما يشرب كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم والحل مصدر ولذلك
يستوي في الوصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى لا هن حل لهم فاطلاقه على المطعومات بمعنى الفاعل
او على حذف المضاف وفي حديث عائشة كنت اطيبه لحله وحرمه اي عند ارادته عم الحل من الاحرام وارادته الاحرام
الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية وهو يعقوب عم حرم على نفسه لحوم الابل والبانها
وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل فعل ذلك

للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي عم ان يجتهد ولمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريم
الله ابتداءً والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها
لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه و
ذلك تكذيب لليهود ورد عليهم في دعوى براءة ساحتهم عما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتان بان قالوا لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت
محرمة على نوح وابرهيم عم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن
في دعوى النبي عم موافقة ابرهيم بتحليله لحوم الابل والبانها فاشمأزت قلوبهم عما شهد به القرآن العظيم من تحريم
الطيبات عليهم واستعظموا منه فان ذلك يقتضي وقوع النسخ وهم كانوا يقولون في انكار شرع النبي عم على انكار النسخ
قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من ان تحريم ما حرم
عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه روى ان النبي عم لما قال لهم ذلك لم يجسروا ان يخرجوا
التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفيه دليل بين على صدق النبي عم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه و
فيه برهان واضح على صحة نبوته عم حيث اخبرهم بان ذلك ليس في كتابهم وما حاجهم وبكتهم به ولم يرو احد
انهم جابوا الى ذلك فمن افترى على الله الكذب اختلقه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل انزال التورية على بني
اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المعاندون الذين لا ينصفون
من انفسهم ولا يلتفتون الى الحق بعدما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل
وانتم الكاذبون ونحو ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون في افادة التعريض به وقرأ ابان بن تغلب قل
صدق الله بادغام اللام في الصاد وكذلك قل سيروا وادغمه فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها
محمد عم ومتبعوه حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف الذي فيه فساد دينكم والمكابرة
لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائغ عنه وما كان من
الشرك بقوله وما كان من المشركين تكذيبا لاهل الكتاب وكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابرهيم وتنبيها على ان
اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريضا بشرك اليهود ان
اول بيت وضع للناس اي وضع لعبادة الناس وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه قراءة
المبني للفاعل كانه قيل ان اول متعبد للناس الكعبة للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهو لغة في مكة
كالنميط والنبيط وامر راتم وراتب ولازم ولازب وحمة مغمطة ومغبطة وقيل بكة موضع
المسجد ومكة البلد وقيل من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا
الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة وقيل تبك الاعناق
الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله روى انه عم سئل عن اول بيت وضع للناس فقال عم
المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضه ان رجلا قال له اهو
اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة

واول

واول من بناه ابرهيم عم ثم بناه قوم من العرب من جرهم حي من اليمن وهم اصهار اسمعيل ثم هدم فبنته العمالقة
ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء
عند خلق السماء والارض خلقه الله تعالى قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته
وقيل هو اول بيت بناه آدم عم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابرهيم عم وقيل لما اهبط آدم قالت الملائكة له طف
حول هذا البيت فلقد طفنا حوله قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان
الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلايم ظاهر الآية وقراء اليماني الذي ببكة مباركا كثير
الخير والنفع لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة
هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولما فيه من الآيات
بها الى زيادة معرفة الله التي لا يحصل الا بالنظر والاستدلال فيه آيات بينات كانحراف الطير عن موازاة البيت في
علوه وكعدم تعرض ضواري السباع لصيد الحرم وايضا ان كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب الفيل وايضا
اذا كان الغيث في ناحية من نواحيه كان الخصب بتلك الناحية وما يوازيها واذا عم البيت كان في جميع البلدان
والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتداء محذوف الخبر اي منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل
البعض من الكل وقيل عطف بيان لوجهين انه يجعل ومن عنده آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على
قدرة الله ونبوة ابرهيم من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة وان يشتمل على آيات اثر القدم
على الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانه بعض الصخرة دون بعض آية وابقاءه دون آيات
سائر الانبياء آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب و
الملاحدة الوف سنة آية ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مجاهد وابي جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة
على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر
فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل
فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى الشق الايسر حتى غسلت
الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام ابرهيم
اي ومنها مقام ابرهيم ومنها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله على الاثنين نوع من الجمع ثلثة
والاربعة ويجوز ان يقتصر بذكرهما ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكثير الآيات كقوله عم حبب الي من دنياكم ثلث
الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية من غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن من
العذاب يوم الحشر وعن النبي عم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعن ابي ذر اذا خرج الحاج من
اهله فسار ثلثة ايام او ثلث ليال خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وكان سائر ايامه درجات وعن عائشة رضي الله
عنها قال رسول الله عم اذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله فان مات قبل ان يقضي نسكه غفر الله
ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانفاقه الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل اربعين الف الف درهم فيما سواه
في سبيل الله وقال عم ان للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللماشي بكل خطوة

بخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم الحسنة بمائة الف حسنة وعنه عم الحجون والبقيع يوخذان باطرافهما
وينثران في الجنة مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله عم على ثنية الحجون وليس بها
يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة
بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعنه عم من صبر على حر مكة ساعة من
نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام وهذا في المعنى نحو من قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عم رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم لجأ
الى الحرم لم يطلب وعن عمر لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة من لزمه القتل
بردة او قصاص او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج بان لا يطعم ولا يسقى ولا يبايع
ولا يؤوى حتى يضطر اليه وفي الحديث انا الله خلقت مكة وحرمتها منذ خلقت السموات والارض ولله
على الناس حج البيت هو قصده للزيارة على الوجه المخصوص والحج في الاصل القصد ومنه المحجة الطريق
ثم غلب على قصد الكعبة للنسك المعروف وقرأ حمزة وعاصم والكسائي بالكسر وهو لغة نجد والباقون بالفتح من
استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر النبي عم الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس
وابن عمر وعليه اكثر العلماء وقال مالك انها بالبدن فان مذهبه ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك
على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد
وبالجملة فيجب عنده على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب
الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين وعن الضحاك اذا قدر
ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق
اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج وعن ابن الزبير هو على قدر القوة والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى
الشيء فهو سبيل اليه اي كل ما يوصل به الى الشيء ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع ومن كفر موضع
من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال النبي عم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او ان
شاء نصرانيا ونحوه من التغليظ قوله عم من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر واعلم ان الثقات من علماء الاعلام
وائمة العظام اجمعوا قطعا على ان الحج والصلوة من ضروريات الاسلام التي بني عليها وهي خمس وقد قال عم
من ترك واحدة منهن كان كافرا حلال الدم رواه ابن عباس في باب الفردوس الكبير وقد اكد امر الحج في هذه الآية
بوجوه منها الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في صورة الجملة الاسمية وتقديم الجر ولام الملك وكلمة الاستعلاء
والتصريح بذكر الناس فهذه تفيد ان الحج حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن وجوب ادائه ووجوب
الخروج عن عهدته الا بادائه ومنها انه عمم الحكم اولا ثم خصص فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية للمراد وتكرير
له فذكر الناس اولا ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا ومنها تسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة
ومنها انه قال عن العالمين ولم يقل عنه فان في موضع الظاهر موضع المضمر تاكيدا للامر سيما بلفظ
العالمين الدال على الاستغناء عنه برهان لان الاستغناء عن العالمين يستلزم الاستغناء عنه فيدخل فيه دخولا

دخولا اوليا ولانه يدل على كمال الاستغناء حيث لا يفتقر الى شيء مما سواه فكان ادل على عظم السخط الذي
وقع عبارة عنه فان ذكر الاستغناء عنه في هذا الموضع مما يدل على السخط والمقت والخذلان على انه تكليف
شاق جامع بين بذل المال الذي شقيق الروح وكسر النفس واتعاب البدن والقمع عن الشهوات والتوجه
الى الله وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي لما نزل قوله ولله على الناس
حج البيت جمع رسول الله عم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله تع كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة
وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي عم حجوا قبل ان
لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع
البر جانبه وقال ابو هريرة قال رسول الله عم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة خرجه البخاري ومسلم
وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت اي سقطت
وهلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا اي ما امهلوا بل عجلوا بالعقوبة يعني لما يسالوه لم
تركتم الحج ولكن يهلكون قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بآياته الدالة على صدق محمد عم فيما يخبر به من
وجوب الحج وغيره والله شهيد على ما تعملون والحال ان الله تع شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها وهذا الحال
توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم زعموا
انهم يؤمنون بآيات الله التي هي التورية والانجيل فهم كافرون بها حيث حرفوا الكلم وسهلوا ما صعب
عليهم من الشرائع اولانهم اذا كفروا بما يصدقها فقد كفروا بها قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كلا من الكفر بآيات الله
والصد عن سبيل الله قبيح في نفسه غاية القبح مستقل باستجلاب السخط والعقوبة وسبيل الله طريق الحق
الذي امر الله بسلوكه هو دين الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من
اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من
العداوات والحروب ليعودوا لمثله وقرأ الحسن لم تصدون تبغونها عوجا حال من الواو في تصدون اي
باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس حتى توهموا ان فيه عوجا عن الحق بقولكم ان شريعة
موسى عم لا تنسخ وبتغيير صفة رسول الله عم عن وجهها ونحوهما او بان تتبعوا انفسكم في اخفاء الحق و
ابتغاء ما لم يكن لكم من وجوه العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم اي تتعبون انفسكم بطلب المحال وانتم شهداء
انها سبيل الله تع التي لا يصد عنها الا ضال مضل او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم
ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان
المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه
الآية صدهم للمؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين
آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس
والخزرج كانوا في مجلس لهم يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان كافرا شديد الحسد

والطعن على المسلمين فغاظه تآلفهم واستغاظ من اجتماعهم بعد ما كان بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب
وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم
بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع
القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من الفريقين خلق عظيم
فبلغ النبي عم فتوجه اليهم مع جمع من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين
اظهركم بعد اذ اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرفوا انها نزغة
من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا واستغفروا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول
الله عم سامعين مطيعين فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما
امر النبي عم بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله
ويكلمهم ومضمون الآية تحذير المسلمين عن اضلال اهل الكتاب واغوائهم على ما تشهد به القصة وكيف
تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله معنى الاستفهام في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم
ما يصرفكم عن الكفر ويدعوا الى الايمان وهو الانكار والتعجيب فان علم العاقل بان لصانعها متصفا بالعلم
بالمعلومات باسرها والقدرة على المقدورات كلها وبساير صفات الكمال صارف قوي عن الكفر وصدور الفعل
عن القادر مع الصارف القوي مظنة انكار وتعجيب ولما كان كيف للحال كان الحاصل منه انكار حال الكفر اولا
ثم انكار الكفر آخرا لان انكار حال الكفر انكار الكفر بطريق برهاني لان كل موجود لا ينفك عن حال وصفة
عند وجوده فالحال من لوازم الشيء بمعنى انه يوجد بوجوده وينتفي بانتفائه فاذا انتفى اللازم انتفى الملزوم
قطعا فيكون انكار حال الكفر انكارا لذات الكفر بطريق الكناية من جهة ان حال الشيء تابع لذاته ورديف لها
وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز الفاصل بين الحق
والباطل تتلى عليكم على لسان الرسول عم غضة طرية وبين اظهركم رسول الله عم ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم
وقرأ ابن مسعود وابن عمر وانتم يتلى بالياء ومن يعتصم بالله تعالى ومن يستمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره
فقد هدي الى صراط مستقيم فقد حصل له الهدى لا محالة والجزاء اذا كان ماضيا مع قد كان على حاله
ولا ينقلب الى المستقبل نحو ان تنصرني فقد نصرتك ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم
بالله متوقع للهدى منتظر له كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بما امر الله به وتجنب منه كقوله تعالى
فاتقوا الله ما استطعتم يعني بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن ابن مسعود
هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي ما نقل عنه مرفوعا الى النبي عم و
قيل ان لا يأخذه لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه وابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته
حتى يخزن لسانه وفي هذا الامر تأكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب والتقاة من اتقى كالتؤدة من
اتأد واصلها وقية قلبت الواو المضمومة تاء كما في تخمة والياء الفا واصلهما وتقوة وتأدة ولا

ولا تموتن الا وانتم مسلمون النهي راجع الى القيد الذي هو الحال فان محل الجملة مع الواو النصب
على الحال كانه قيل ولا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام والمعنى في التحقيق انهاكم عن ان يكون
موتكم على خلاف حال الاسلام كقولك لا تمس المصحف الا وانت متطهر فانه تنهاه عن مس المصحف بل ان يكون مسه على غير حالة التطهر
وكذلك ههنا فان المراد النهي عن كون موتهم على غير حالة الاسلام لا النهي عن الموت في غير حال الاسلام لان الاول
مقدور والثاني غير مقدور مع انه كاين البتة فالفعل وهو الموت ليس بمنهي قطعا وجزما لعدم المكنة و
انما المنهي هو الكون على غير تلك الحالة فان قيل ما الفايدة في ادراج حرف النهي على الموت مع انه ليس بمنهي عنه
قلنا الدلالة على كون الفعل شبيها بالمنهي الذي حقه ان لا يقع فان الموت على خلاف حال الاسلام لانه
موت الاشقياء موت فيه الشر كل الشر لا خير فيه فمن حق هذا الموت ان لا يقع ولا يحل فيهم كما ان الامر في نحو هذا الفعل
من مت وانت شهيد اشعار بانه منزلة المامور الذي حقه ان يقع ويحل في كل احد وقيل معناه داوموا على
الاسلام حتى لا يصادفكم الموت الا وانتم مسلمون وقال فضيل بن عياض الا وانتم محسنون بربكم الظن كانه استدل
بما روى جابر قال سمعت رسول الله عم قبل موته بثلثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى
واعتصموا بحبل الله الحبل في الاصل اسم لما يجتمع من الشعر او القطن او نحو ذلك قال تعالى من مسد ثم استعير
للاسلام للشبه المعنوي وهو انه مجمع الناس كما ان ذلك مجمع الاجزاء واليه ذهب ابن عباس حيث قال معناه
تمسكوا بدين الله وللجماعة للشبه المذكور واليه ميل ابن مسعود حيث قال هو الجماعة وعليكم فانها حبل
الله الذي امر به وان ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة ولامر ما ذكرنا
وهو اختيار مقاتل بن حيان وللقرآن كذلك وبه قال قتادة لقوله عم ان هذا القرآن هو حبل الله وهو
النور المبين والشفاء النافع وعصمة من تمسك به ونجاة لمن تبعه ولقوله عم القرآن حبل الله المتين
لا تنقضي عجايبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم
وقيل استعير له الحبل من جهة ان التمسك به سبب لمعرفة الله وصفاته وعلومه ورضاه وثوابه والعاصم من عقابه
وللنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل السليم سبب النجاة عن التردي فيكون الاستعارة تمثيلية شبهت الحالة بالحالة مع قطع الاعتبار
مجاز في المفردات والحبل استعارة لعهد الذي يتمسك به والاعتصام استعارة للوثوق بالعهد او ترشيح لاستعارة
الحبل بما يناسبه ومعنى الآية على الاول وهو التمثيل اجتمعوا على الاستمساك بحبل الله ووثوقكم به ولا تفرقوا
وعلى الثاني وهو اعتبار المفردات اجتمعوا على التمسك بعهده وهو الايمان والطاعة ومعنى الاجتماع مأخوذ من
مقابله وهو قوله ولا تفرقوا بل من قوله جميعا اي مجتمعين عليه كقوله لآمن من في الارض كلهم جميعا اي لاجتمع
من في الارض كلهم على الايمان وقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس كانه قيل اجتمع الملائكة كلهم على
السجود لآدم الا ابليس فانه خالفهم وهكذا في كل موضع يكون الفاعل متعددا كقولك جاءني القوم جميعا
او اجمعون ولكن هذا على ذكر منك ولا تفرقوا ومعناه النهي عن التفرق او عما يكون سببا فيه اي ولا تتفرقوا
عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او ولا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية
يحارب بعضكم بعضا ويعاديه او ولا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها مما

مما يأباه جامعكم وهو اتباع الحق والتمسك بدين الاسلام واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وتبوّع محمد عم
وباطفاء ما كان بينكم من التعادي والتحارب اذ كنتم اعداء في الجاهلية فالّف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا متحابين مجتمعين على امر واحد والظاهر ان الحكم عام بدليل صدر الآية يا ايها الذين آمنوا
فالمراد المسلمون لما كان بينهم في الجاهلية من الاحن والعداوة والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم
بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابّوا وتوافقوا واجتمعوا على امر واحد وهو الاخوة في الله او حبل الاجتماع
وازال عنهم التفرق والاختلاف وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة
وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاء الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله عم وقرا عبيد بن عمير
فالّف مجهولا وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال
لكنتم من اصحاب النار فانقذكم منها بالاسلام وضمير منها للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لاضافته الى الحفرة كما
في قولهم سقطت بعض انامله وقول الاعشى كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا
البئر وشفتها حرفها وطرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو بالالف في المذكر وحذفت في المؤنث
قال الاخفش لما لم تجز فيه الامالة عرف انه من الواو وتثنيته شفوان كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته دلائله
لعلكم تهتدون لكي تثبتوا على الهدى وتزدادوا او ارادة ذلك اي ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض واستدلوا بان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض من
فروض الكفاية ارادوا ان فرض الكفاية انما يجب على البعض من غير تعيين كما في الواجب المخير بعض مبهم من الامور المعينة
وهو مذهب مردود والمختار انه يجب على الكل ويسقط بفعل البعض حتى لو تركه الناس راسا اثموا جميعا
ولا معنى للوجوب على الجميع سوى هذا ولو وجب على بعض مبهم لكان الآثم بعضا مبهما وهو غير معقول بخلاف
الاثم بواحد مبهم كما في الواجب المخير وبانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وما يتعلق بهما فان الجاهل ربما يعكس
يعني لا يجب على الكل لعدم الوجوب على الجاهل ورد هذا الاستدلال ايضا بانه اذا ترك بالجملة فذلك الجاهل ايضا آثم لكونه وجب
عليه المصلحة وهو محدث فان عليه تحصيل الشرط ثم الفعل ولهذا قال كثير منهم ان من للتبيين بمعنى انه واجب على كل الامة
ويسقط بفعل البعض لحصول المقصود والمعنى وكونوا امة تامرون بالمعروف كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون
بالمعروف وقد اثبت فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل الامة لا للبعض والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني
او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام اظهارا لفضلهما وتنبيها على جلالتهما
ودلالة على شرف من يرتكبهما ورفعة قدره عند الله كما نطق به الاحاديث وقراء يحيى بن وثاب ولتكن بالياء
وابو حيوة ولتكن بكسر اللام وبالتاء وروى عيسى بن مريم عن ابي عون الثقفي عن صبيح انه سمع عثمان يقراء وينهون
عن المنكر ويستعينون الله على ما اصابهم فاولئك هم المفلحون هم الاخصاء بكمال الفلاح والمخصوصون بنيل
الفوز عند الله دون من عداهم وعن النبي عم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم
عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم اي للرحم وعنه عم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في
ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ

الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة عن النبي عم قال والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر
او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا
في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف واجب ومندوب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع
ما انكره الشارع حرام فيجب على كل مسلم بالغ قادر صالحا كان او عاصيا ان ينهى عن المنكر ويامر بالمعروف اما الصالح
فظ واما العاصي فانه يجب له ان ينهى عما يرتكبه اذ يجب ترك ارتكابه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر
وعن عائشة قال رسول الله عم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء قالوا كيف يا رسول الله
قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وقال عم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب
العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه وقال عم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا امرا بمعروف
او نهيا عن منكر او ذكرا لله تعالى وقال عم ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وقال عم لا ينبغي
لاحد من وشهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجله ولن يحرم رزقا هو له وهذا الحديث يتضمن لزوم الهجرة
ويشعر بانه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة وغير ذلك من الاماكن التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره ولذلك
اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكر في الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وعن بعض السلف
مروا بالخير وان لم تفعلوا ولعمري ان هذا المشكل بل الصواب ان يؤمر بالمعروف ويفعل لقوله عم يؤتى برجل يوم القيمة
فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه جمع قتب وهي الامعاء فيدور بها كما يدور بالرحى فيجتمع اليه اهل
النار فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه و
انهى عن المنكر وآتيه رواه اسامة واتفق عليه البخاري ومسلم وهذا الحديث جواب لما روي عن الحسن انه سمع مطرف
بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف
ولا ينهى عن منكر فان قيل لم تقولون ما لا تفعلون اجيب بانه مخصوص بالاجماع على وجوب الامر بالمعروف من غير تفرقة
ان يفعل وان لا يفعل وعن ابن مسعود قال النبي عم اهل الجنة يطلعوا الى اهل النار فيروا فيها اقواما عرفوهم
فقالوا لهم دخلتم النار وانما دخلنا الجنة بفضل تاديبكم وعلمكم فيقولون كنا نامركم بالخير ولا نفعله وننهاكم
عن الشر ونركبه ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه
واحوال الآخرة على ما يبين والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم وتفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكره
وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند وقراء يحيى وابراهيم ولا يكونوا بالياء من بعد ما جاءهم البينات على انبيائهم الذي
وهو معجزاتهم المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والآيات المذكورة في كتبهم الشاهدة على صحة دين الاسلام فانها تتبع
الهدى والاتفاق على الحق والنجاة من الضلالة فالنهي ههنا مختص بالتفرق والاختلاف في الاصول دون
الفروع بدليل قوله عم اختلاف امتي رحمة وقوله عم من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطاء فله اجر واحد و
قيل هم اهل البدع والاهواء من هذه الامة وهم سبعة فرق الخوارج والروافض والمعتزلة والمرجئة والنجارية و
والجبرية والمشبهة ثم ان عندنا لا يكفر احد من اهل القبلة الا بما فيه شرك لله تعالى او نفي او انكار للنبوة او
لما علم مجيئه عم ضرورة او المجمع عليه كاستحلال المحرمات واما ما سواه فالقائل به مبتدع غير كافر وهذا والوعيد

الاول هو الاظهر لان الآيات السابقة في اهل الكتاب واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد
على التشبيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بلهم لما فيه من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده
مجازان عن بياض الصحيفة والنور وسوادها والظلمة فان من كان من اهل الحق والايمان سعى النور بين يديه و
بيمينه وابيضت صحيفته واشرقت ومن كان من اهل الباطل والكفر احاطت به الظلمة من كل جانب واسودت
صحيفته واظلمت نعوذ بالله من ذلك وقيل هما كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه ويجوز ان
يكونا حقيقتين وهو الاظهر واليه ذهب الجمهور لكنهم اختلفوا في وقته فقيل ان ذلك حين يبعثون من قبورهم
تكون وجوه اهل الايمان مبيضة ووجوه اهل الكفر مسودة وقيل حين يقرؤن الكتاب فان المؤمن اذا قرأ كتابه
ورأى فيه الحسنات استبشر وابيض وجهه والكافر اسود وجهه وقيل عند الميزان اذا رجحت حسناته ابيض وجهه واذا
رجحت سيئاته اسود وجهه وقيل عند قوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقيل اذا كان يوم القيمة يؤمر كل
قوم بان يجتمع الى معبوده فاذا انتهوا اليه حزنوا واسودت وجوههم فيبقى المؤمنون واهل الكتاب والنفاق
فيقول الله تعالى للمؤمنين من ربكم فيقولون ربنا الله تعالى فيقول لهم اتعرفونه اذا رأيتموه فيقولون سبحانه
اذا عرفنا عرفناه فيرونه كما شاء الله تعالى فيخر المؤمنون سجدا لله تعالى فيصير وجوههم مثل الثلج بياضا ويبقى
اهل الكتاب والمنافقون لا يقدرون على السجود فحزنوا واسودت وجوههم وقرأ الحسن والزهري تبياض وتسواد وابراهيم
وعكرمة تبياض وتسواد وجوه بكسر التاء ويجوز تبيض وتسود بكسر التاء على لغة تميم فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم
بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والاظهر انهم اهل الكتاب
لان الآيات المتقدمة فيهم وقد كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين
والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل جميع الكفار كفروا بعدما اقروا حين اشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او تمكنوا من الايمان بالنظر في الآيات والدلائل وقيل هم اهل البدع والاهواء
وقال ابو امامة هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت
اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برأيك ام شيء
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة
لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله
منهم فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله اي ففي الجنة التي هي محل الرحمة دار السلام او الثواب المخلد لان ما ينقطع محنة لا رحمة
ولاقترانه بقوله تعالى هم فيها خالدون ولمقابلته العذاب المخلد المعد للكافرين وفي التعبير عن ذلك
بالرحمة دلالة على ان المؤمن وان صرف عمره جميعا في عبادة الله وطاعته لا يدخل الجنة الا برحمته
وتفضله ومصداق ذلك قوله عليه السلام ان الله تعالى يقول ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وقوله عليه السلام
لن يدخل احد الجنة بعمله ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته قيل كان مقتضى الترتيب
ان يقدم ذكر المؤمنين لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه عليهم وثوابهم هم فيها خالدون

استيناف

استيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله
الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة باليقين الذي لا يشك فيه الا الكافر والمنافق وقرئ
يتلوها بالياء في كل القرآن وما الله يريد ظلما للعالمين معناه لا يريد شيئا من الظلم لاحد من العالمين لان الظلم من صفات
النقص كالجهل والكذب مثلا والله هو المتصف بصفات الكمال والجلال ازلا وابدا المتعالي عن صفات النقص كلها علوا كبيرا
فلا يوصف بظلم ولا جور فيما يحكم ويفعل ان اثاب فبفضل وان عاقب فبعدل اذ لا يجب عليه شيء اذ لا حاكم سواه ونكر ظلما
لافادة الفردية والابهام لان الواحد ماخوذ في معنى الكلام مع التنوين والتنكير وهو للتقليل هنا وجمع العالمين
لان الجمع المعرف باللام ههنا ولكل واحد من الافراد كالمفرد والحاصل ان في الظلم بعتبر الفردية فيلزم شمول النفي
وفي العالمين يعتبر النفي ثم صيغة العموم فيكون تعميم النفي ولله ما في السموات وما في الارض اي يختص به كل شيء في العالم
خلقا وملكا وعلما فهو يملك امور العالمين ويدبرها ويجريها على حسب مصالحهم وهو اعلم بهم وما يصدر منهم و
الى الله ترجع الامور فيجازي كلا على ما قدم بما وعد له واوعد كنتم خير امة كان عبارة عن وجود الشيء في الزمان
الماضي فيستعمل فيما هو حادث نحو كان زيد قائما وفيما هو دائم كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ولا دلالة فيه على عدم سابق
ولا على انقطاع لاحق فقوله تعالى كنتم خير امة لا يدل على انهم لم يكونوا خيرا فصاروا خيرا او انقطع ذلك عنهم كانه قيل وجدتم
خير امة وقيل كنتم في علم الله وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به وقيل في اللوح وكان في الافعال
كلها ناقصة لا غير والغرض من هذه الاقوال تحقيق معنى الماضي واما التامة فمعناها وجد بمعنى صار موجودا او بمعنى وقع
وحدث فيجوز ان يدعى فيها الدلالة على عدم سابق وامة واحد لا يراد به الا الجمع اي الامم بدليل قول النبي عليه السلام وجعلت
امتي خير الامم ونظيره قوله تعالى وصالح المؤمنين على احد الوجهين اخرجت للناس اظهرت لهم وقوله تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر استيناف يبين به كونهم خير امة او خبر بعد خبر لكنتم وتؤمنون بالله ومعنى الايمان بالله التصديق بجميع ما جاء
من عنده فيلزم الايمان بكل ما امر به ان يؤمن به وهو الايمان المعتد به فمن آمن ببعض دون بعض لم يكن مؤمنا بالله كما قيل
اولئك هم الكافرون حقا وهذه الآية من الادلة المشهورة على ان الاجماع حجة لان الخيرية في قوله كنتم خير امة توجب الحقية
فيما اجتمعوا اذ لو لم يكن حقا كان ضلالا لقوله فماذا بعد الحق الا الضلال ولان الامة الضالين لا يكونون خير الامم مع انه قد وصفهم
بقوله تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر واللام فيهما للاستغراق كانه قيل تامرون بكل معروف وتنهون عن كل منكر فاذا اجمعوا
على الامر بشيء يكون ذلك الشيء معروفا واذا نهوا عن شيء يكون ذلك الشيء منكرا فيكون اجماعهم حجة وذهب المحققون من علماء
الاصول الى ان الدلالة ان اجماع المجتهدين من عصر واحد حجة قطعية ليس بقوية لان الظاهر ان الخطاب في قوله كنتم خير امة
للصحابة بدليل قوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الآية وان الضلال في بعض بناء على الخطاء في الاجتهاد بعد
بذل الوسع لا ينافي كون المؤمنين الغافلين بالشرايع المستقلين بالاوامر خير الامم ولان المعروف والمنكر ليسا على العموم
اذ رب منكر لم ينهوا عنه لعدم الاطلاع عليه ولان المعروف والمنكر بحسب الراي والاجتهاد ولا يلزم ان يكون كذلك في الواقع
وبعد تسليم جميع ذلك لا دلالة قطعا على قطعية اجماعهم اي اجماع المجتهدين من عصر واحد ولو آمن اهل الكتاب
ايمانا يعتد به لكان اي الايمان خيرا لهم مما هم عليه من حب الباطل منهم المؤمنون المصدقون بالله في جميع ما جاء عنه
وثبت انه حكمه كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان

على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر زيد فان من شأنه كيت وكيت ولذلك لم تعطفا
على ما قبلهما من الجملة الشرطية لانها عطف على كنتم خير امة مرتبطة به على معنى لو آمن اهل الكتاب كما آمنوا وامروا بالمعروف
كما امروا لكان خيرا لهم واعلم لم يعطف الاستطراد الثاني على الاول لتباعد ما بينهما ولكون كل منهما نوعا آخر من الكلام
لن يضروكم الا اذى الا ضررا يسيرا كالطعن في الدين او تهديدا ونحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم
بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم من احد ولا يمنعهم منكم فنفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم
ان قاموا الى القتال كانت الدائرة عليهم ثم اخبر بان عاقبة امرهم الخذلان والذل وقوله لا ينصرون عطفا على يولوا فثم للتراخي
في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم كتولية الادبار وحين رفع كان عدم النصر وعدا مطلقا غير مقيد بقتالكم
فظهر الفرق بين جزمه ورفعه في المعنى وهذه الآية من المغيبات التي طابقها الواقع فانه قد كان كما اخبر من حال
قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل وذل التمسك بالباطل والجزية
وهم اذلاء اهل مدقعة ومتربة ومسكنة اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام
الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة
الناس وهم المسلمون اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوا من الجزية وقيل الا معتصمين او
متمسكين او ملتبسين بذمة الله او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله
صاروا احقاء به او رجعوا به مستوجبين له او استوجبوه وقرئ الشعبي وابرهيم وباوا بضم الواو ومد الهمزة
وضربت عليهم المسكنة جعلت الذلة والمسكنة محيطة بهم احاطة القبة المضروبة على اهلها فيكون استعارة تبعية او شبهت
كل منهما بالقبة فيكون استعارة بالكناية ثم اثبات الضرب بها عليهم تخييلية وعلى الوجهين فالكلام كناية
عن كونهم اذلاء متصاغرين ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء بغير حق عندهم لعنت اليهود فانها
قد قتلت ذكريا ويحيى وشعيا وغيرهم من غير وجه يستحقون القتل عندها ذلك تكرار للاشارة بما عصوا وكانوا يعتدون
بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ويجوز ان يشار بذلك الى
الكفر وقتل الانبياء ويكون في بما عصوا للسببية فيكون بيانا لسبب السبب مبالغة في وجوب اجتناب المعاصي والاعتداء
فانهما يفضيان الى جحود الآيات وقتل الانبياء والمعنى ذلك ان ذلك الكفر والقتل بسبب عصيانهم واعتدائهم
لانهم انهمكوا في ارتكاب المعاصي واعتداء الحدود وغلوا فيها حتى قست قلوبهم فجروا على الكفر بالآيات والقتل للانبياء او المعنى
اخذنا الكفر والقتل مع عصوا وقد كان كاملا في السببية فكيف وقد انضم اليه العصيان والاعتداء وقيل معناه
ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم
من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة
استئناف لبيان قوله ليسوا سواء ومعنى قائمة مستقيمة عادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا
منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عن تهجدهم بتلاوتهم في ساعات الليل مع
السجود لانه ابلغ في المدح وابين لما يفعلون وادل على صورة امرهم لما فيه من التفصيل لما هو العمدة في الصلاة

والتعبير

والتعبير المصرح عما هو في نفسه مخالف لطاعات وعما يتميز صلواتهم من صلاة اهل الكتاب وقيل المراد صلاة العشاء
لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود اخر رسول الله عم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون
الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة اي امة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود
من التلاوة والسجود والايمان وغير ذلك من الصفات المضادة لافعال اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين
بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون
عن الخيرات ولم يشهد بالصلاح بمجرد الايمان بقطريه حتى اضاف اليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايذانا بفضله وحاله
على حرفه واولئك من الصالحين اي الموصوفون بتلك الصفات من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله واستحقوا
رضاه وثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين فاللام للعهد وعلى الاول للجنس وما يفعلوا من خير
فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وانما عدى الى المفعولين
لتضمنه معنى الحرمان كانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية
حفص فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بان يخبرهم على تقواهم
حسب ما يليق ودلالة على ان التقوى مبدأ الخير وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته
وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدل الحق شيئا ومنه لا ينفع ذا الجد منك الجد اي بدل عبادتك وما عندك وقيل
من العذاب او من الغنى فيكون مصدرا وقرأ الاعرج ويحيى يغني بالياء واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون
وقال مقاتل لما ذكر قبل هذه الآية مؤمني اهل الكتاب ثم ذكر بهذا كفارهم وقال الضحاك المراد جميع الكفار من
اليهود والنصارى وغير ذلك ممن خالف دين الاسلام فانهم تفاخروا بالاموال والاولاد وقالوا نحن اكثر اموالا
واولادا وما نحن بمعذبين فاخبر الله تعالى ان اموالهم واولادهم لا يغني عنهم من عذاب الله شيئا وقال الكلبي لن تغني
كثرة اموالهم ولا كثرة اولادهم من عذاب الله شيئا مثل ما ينفقون اي ما ينفق الكفرة في غير طاعة الله في هذه الحياة الدنيا
تقرير لمكان الانفاق كقوله واشربوا في قلوبهم العجل وقوله انما ياكلون في بطونهم نارا كمثل ريح فيها صر برد شديد
والشائع اطلاقه للريح الباردة نحو الصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك
برد بارد ويجوز ان يكون من باب التجريد انتزع من الريح ريحا باردة مبالغة في بردها والا ففي تعيينها كما في قوله
لقد كان في رسول الله اسوة حسنة قال وفي الرحمن للضعفاء كاف اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي
فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ شبه ما انفقوا رياء وسمعة في ضياعه وقلة جدواه بزرع كفار
ضربته صر فاستأصلته ولم يبق فيه منفعة ما في الدنيا ولا في الآخرة وهو من التشبيه المركب الذي مر عند قوله كمثل
الذي استوقد نارا ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث او مثل اهلاك الله ما ينفقون كمثل اهلاك ريح وهو من التشبيه
المركب كالاول لا من تشبيه المفرد بالمفرد كما سبق الى بعض الاوهام كيف وقد علمت ان المثل عبارة عن الحال و
القصة وقال الضحاك مثل نفقة الكفار من اموالهم في اعيادهم على اصنامهم وما يعطي بعضهم بعضا على الضلالة

كمثل ريح وقال مقاتل مثل نفقة سفلة اليهود على رؤسائهم كمثل ريح وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله ولكن انفسهم
يظلمون وما ظلم الله المنفقين بعدم قبول نفقاتهم ولكن ظلموا انفسهم حيث لم ينفقوا لوجه الله او ما ظلم الله
اصحاب الحرث باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد اي ولكن انفسهم يظلمونها
هم يعني ولكن هم لا غيرهم ظلموا فبناء الكلام على انفسهم من حيث فاعليتها لا مفعوليتها كما في القراءة المشهورة ولا يجوز
ان يقدر ضمير الشان بان يقول ولكنه انفسهم يظلمون لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وخاصة وهو الذي يفضي الرجل اليه بشقوره ويعرفه اسراره ثقة
به مستعارة من بطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي عم الانصار شعار والناس دثار والشعار
هو الثوب الذي يلي الجسد والدثار ما فوق الشعار يريد ان الانصار اهلي وخاصتي واقرب الناس الي
من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وهو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة
لكم لا يألونكم خبالا من الالو وهو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك جهدا على تضمين معنى
المنع او النقص فان من قصر في حقك فقد منعك شيئا او نقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم على ان ما
مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضركم في دينكم اشد الضرر
وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم مع ضبطهم وتحاملهم عليها لفرط بغضهم
للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وقرأ عبد الله
قد بدا البغضاء وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب
الاخلاص في دين الاسلام وموالاة اهله وهم المسلمون ومعاداة اعدائه وهم الكافرون ان كنتم تعقلون ما بين لكم
والجمل الاربع مستأنفات على سبيل التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ولا يبعد ان كلا منها علة بالاستقلال ترك العاطف
دلالة على الاستقلال كما في قوله تعا ذلك بانهم كانوا ... بما عصوا كانه قيل لا تتخذوهم بطانة لانهم لا يألونكم خبالا
لانهم يتمنون شدة الضرر في دينكم بدليل انه قد بدا البغضاء من افواههم وان كانوا يخفون الاكبر لانا قد بينا ما يدل
على وجوب معاداة اعداء الله تعا وهي كما ترى بمنزلة اربع شواهد تقرر لزوم عدم خلتهم وصداقتهم وتخبر
بان احق الحقوق وجوب عداوتهم سرا وجهرا ظاهرا وباطنا افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم
لكم عدو بئس للظالمين بدلا وذلك لانهم كانوا شياطين الانس اخبث الكفرة وابغضهم الى الله تعا
وامقتهم عنده وصدورهم كانت تغلي على النبي عم والمؤمنين غلا وحنقا ويحرقون عليهم حسدا
وبغضا ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة غير مانعيكم خبالا متمنية اشد الضرر بادية اي ظاهرة
بغضاؤهم فان قوله ودوا ما عنتم لما وقع بين الصفتين تعين انه صفة وقيل الجمل الثلث وهي لا يألونكم
قد بدت البغضاء قد بينا لكم الآيات لظهور ان قوله وما تخفي صدورهم اكبر حال وان قوله ودوا ما عنتم
بيان وتاكيد لقوله لا يألونكم خبالا فحكمه حكمه وقيل الاوليين كانه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية
بغضاؤكم واما قد بينا فكلام مبتداء والاصل الاستيناف لما فيه من الفوائد وان كلا منها علة مستقلة
في المنع عن اتخاذ البطانة وما في الصفة من الدلالة على خلاف المقصود او ايهام للاول وهو

وهو بعيد النهي بكون البطانة على هذه الصفات ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون
في موالاة منافقي اهل الكتاب في قوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم
لقوم يحب بغضهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم وها مرتين تنبيه وقيل اولاء موصول تحبونهم
صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا والواو
في وتؤمنون بالكتاب كله للحال من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك
يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واغلظ
بجعل معطوفا على تحبونهم مع ظهوره لان ذلك في معرض التخطئة بل محض الخطاء ولا كذلك الايمان بالكتاب كله فانه محض
الصواب واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واستهزاء وقرأ زيد بن علي واذا لاقوكم واذا خلوا اصلة و
هي الباء او الى محذوف يقال خلا بفلان واليه اذا انفرد معه او هو من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية او من خلا به اذا سخر
منه تقول خلا فلان بعرض فلان اذا عبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بكم الى اصحابهم وحدثوهم بها اذ ازدادوا
كفرا الى كفرهم وتحرقوا عليكم غلا وغيظا وعضوا انا ملهم من الغيظ وقال بعضهم لبعض الا ترون الى هؤلاء قد ظهروا
وكثروا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا لم يجدوا الى التشفي سبيلا ويوصف المغتاظ والنادم
بعض الانامل والبنان والابهام واصلها الاباهيم فحذف الياء تخفيفا وتقدير المقام انه شبه الانامل واليدين
واكل البنان كناية عن الغيظ والحسرة لانهما من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيصير الكلام به
بديعا ويرتفع في طبقة الفصاحة قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام
وعز اهله حتى يهلكوا به ذلك ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الغل والبغضاء والحنق
وهو يجوز ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما يخفونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا و
ان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه
في صدورهم لم تظهروا بالسنتهم وما لم يخطر ببالهم بعد ويجوز ان لا يكون ثم قول من النبي عم للكفار بان لا يؤمر بحقيقة القول
بقوله قل موتوا بغيظكم بل معناه طيب نفسك وكن مستبشرا بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام وقوة اهله واذلا
لهم به وتضعيفهم كانه حدثت نفسك واعلمها بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان
لتناهي معاداتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا على ما اصابهم من ضر وشدة وقيل المس مستعار للاصابة
وعن الزمخشري انما جمع المس والاصابة لافتنان الكلام لانه افصح واحسن وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا موالاتهم
او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم او
وان تصبروا على المكاره والشدائد وتسلكوا سبل التقوى لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله فان الله مع الصابرين
وانه مع المتقين وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على امور الدين والدنيا بالصبر والتقوى وهما من افضل
مكارم الاخلاق قال رسول الله عم افضل الايمان الصبر والسماحة وعنه عم تقوى الله تعا راس كل حكمة قال
الله تعا ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وهو الورع رواه انس وعن ابن الزبير خطب في اليوم الذي قتل
فيه فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان الموت قد تغشاكم سحابه واحدق بكم ربابه واطلولق بعد تفرق

تفرق وامحض بعد تبسيق وهو متصاح عليكم بوابل البلايا ابتنها المنايا فاجعلوا السيوف للمنايا فرصا و
وهش الثرى غوضا واستعينوا على ذلك بالصبر فانه لن يدرك مكرمة موثقة ولا فضيلة سابقة الا بالصبر وقرا
نافع وابن كثير وابو عمرو لا يضركم بكسر الضاد وسكون الراء من ضاره يضيره وقرئ يضركم بضم الراء
اتباعا لضمة الضاد كقولك مد هذا وروى المفضل بفتحها وذلك لان المجزوم من المضاعف المضموم
العين يجوز فيه الضم للاتباع والفتح للخفة والكسر لاجل تحريك الساكن ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى
محيط عالم لا يضيع عنده عمل عامل من اهل الصبر والتقوى وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم
فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة وهو غدوه عم منها الى احد تبوئ
المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويعضده قراءة عبد الله للمؤمنين باللام وقرئ تبوي بعمر وابو
رجا تبوا المؤمنين بحذف الهمزة مقاعد للقتال مواقف للقتال واماكن له وقد اتسع في قعد وقام حتى اجري
مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان كقوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك
وموضع حكمك روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار
رسول الله عم اصحابه ودعا عبد الله بن سلول ولم يدعه قبله قط فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار
يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا الى عدو قط الا اصاب ولا دخلها علينا الا
اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم و
رماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء
الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عم قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت
في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم
ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج
بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا على مبالغتهم فقالوا اصنع يا رسول
الله عم ما شئت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح
بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال
كانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره
الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا والله سميع
لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم او سميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم اذ همت نصب باضمار
اذكر وهو بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم اي يجمع بين سماع الاقوال والعلم بالضمائر اذ لا
معنى لتقييد كونه سميعا عليما بذلك الوقت والاحسن ان يقال انه متعلق بقوله سميع عليم اي يعلم المصلحة
اذ همت طائفتان ونحوه قوله تعالى وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك اي يعلم المصالح اذ
يقللهم في عينك وذلك طائفتان منكم حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس
وكانا جناحي العسكر ان تفشلا اي تجبنا وتضعفا روي انه عم خرج في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون

والمشركون في ثلثة الاف ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال
يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله
لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله عم وعن ابن عباس اضمروا ان يرجعوا
فعزم الله لهم على الرشد اي ارشدهم وخلق فيهم عزيمة الثبات وكلامه يدل على ان همهم كان عزيمة وهذا الرجوع
عن الحرب وقيل الظاهر انه انما يكون خطرة وحديث نفس لان هذا اوفق بقوله تعالى والله وليهما اي عاصمهما عن
اتباع تلك الخطرة واليق بحال اصحاب النبي عم ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان بمعنى انه ما يليق
بقطع كجواز ان يكون والله وليهما في موضع الحال على معنى انهما عزما على الفشل والرجوع مع المانع القوي من ذلك وهو
ان الله ناصرهما ومتولي امرهما وقيل يجوز ان يراد والله وليهما حيث رجعا عن الهم والعزم وثبتا خشية
من الله وطلبا لرضاه ورضا رسول الله عم وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره
لينصرهم كما نصرهم ببدر وعنه عم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون وقرا عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولقد نصركم الله
ببدر تذكير ببعض ما يوجب عليهم التوكل من فتحه لهم يوم بدر وهم في حال قلة وقلة وبدر اسم ماء بين مكة
والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وهي جمع قلة والذلان جمع الكثرة وانما قال
اذلة دون ذلان ليدل على قلتهم مع ذلتهم لما بهم من ضعف الحال وقلة المراكب والسلاح وذلك انهم خرجوا على النواضح
يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم
في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة فاتقوا الله في الثبات مع رسوله عم
لعلكم تشكرون ما انعم عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام
لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم على ان تقول لهم ذلك او بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد
وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله عم
فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين وقدم
لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم وتعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم
الامداد بثلثة الاف من الملائكة وانما جيء بلن فهو لتاكيد النفي اشعارا بانهم لقلتهم وضعفهم وكثرة العدو
وقوتهم كانوا كالآيسين من النصر حينئذ كذا وانفى كفاية الامداد فتاكيد النفي لم يكن الا لليأس من النصر وقيل
امدهم الله تعالى يوم بدر اولا بالف ثم صاروا ثلثة الاف ثم صاروا خمسة وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد
للتكثير او للتدريج وقرا ابن ابي عبلة منزلين بكسر الزاء وقرا يعقوب بكسرها والتخفيف اي منزلين النصر بلى ايجاب
لما بعد لن اي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا عددكم بالكثرة من كل العدد و
ياتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير
للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تراخي فقيل جاء فلان وخرج من فوره اي من ساعته التي جاء فيها
والمعنى ان ياتوكم في الحال ومن ساعتهم هذه يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ

وتاخير يريد ان الله تعـ يعجل نصرتكم ويبسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم مسومين وقراء عاصم وابن كثير وابن عمرو بكسر الواو
والباقون بفتحها بمعنى معلمين انفسهم او خيلهم ومعلمين قال الكلبي معلمين بعمايم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك
معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة وكانوا على خيل
بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله عم تسوموا
فان الملائكة قد تسومت وعنه عم بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين معلمين وكانت سيماء الملائكة يوم بدر عمايم سود ويوم احد عمايم حمر كذا في الفردوس وعن سهيل بن
عمرو رايت يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض معلمين يقتلون ويأسرون وفيه تصريح
بقتالهم يوم بدر وعن داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل
ان يصل اليه سيفي وروى ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة
بالسوط فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله عم فقال صدقت ذاك من
مدد السماء وقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن
ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمايم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر
ولم يقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع
ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وبهذه الروايات يظهر ضعف ما قد يقال انهم لم يقاتلوا
وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وان ملكا كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك
بريشة من جناحه مداين قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وعن عبيد بن جبير قال جبريل يا محمد
اي اصحابك افضل قال الذين شهدوا بدرا قال كذلك الملائكة افضلهم الذين شهدوا بدرا وما جعله الله وما
جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به الا البشارة لكم بالنصر وطمانينة لقلوبكم كالسكينة لبني اسرائيل
يعني انكم آيستم لقلتكم وذلتكم فجعل الله الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر
الا من عند الله اي وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله او ولا تحسبوا النصر
من الملائكة فان الناصر هو الله تعـ لكم وللملائكة روى ان النجاشي دعا يوما جعفر بن ابي طالب واصحابه فدخلوا عليه
فراوه في اطمار جالسا على التراب فقال ابشركم ببشارة انه قد جاءني عيني فاخبرني ان الله تعـ نصر نبيه واهلك
عدوه بموضع يقال له بدر كثير الاراك كاني انظر اليه كنت ارعى به لسيدي رجل من ضمرة ابله فقال جعفر ما بالك جالسا
على التراب في الاطمار فقال ان الله تعـ نزل على عيسى ان حقا على عباد الله ان يحدثوا تواضعا عند ما يحدث نعمة لهم
فلما انزل لنبيه هذه النصرة احدثت انا هذا التواضع العزيز الغالب الذي يسلط القليل الضعيف على الكثير
القوي ولا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بسبب وبغير سبب على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من
الذين كفروا واللام متعلق بقوله ولقد نصركم ببدر على تقدير ان يكون اذ تقول ظرفا لنصركم لا بدلا ثانيا من
اذ غدوت لان ذاك يوم احد او بقوله وما النصر الا من عند الله والمعنى ليهلك طايفة منهم بقتل بعض واسر
بعض وما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديد قريش او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم

بالهزيمة يقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة قيل في قول ابي الطيب لاكبت حاسدا وارى
وهو من الكبد والرية وفي المغرب كبته الله اهلكه من باب ضرب واو للتنويع فينقلبوا خائبين فيهزموا منقطعي
الآمال او فيرجعوا غيظا فريق باستغنامهم ونحو ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر
شيء اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على ليقطع او ليكبتهم اي النصر
من عند الله سبب للقطع او الكبت او التوبة او التعذيب فان قيل هو يصلح سببا للتوبة والكلام في التوبة عليهم
اجيب بانه يصلح سببا للاسلام الذي هو سبب التوبة عليهم فيكون سببا لها بالواسطة والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم
او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم
وجهادهم وقيل يجوز ان يكون عطفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من
امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وعلى التعذيرين هو من عطف الخاص على العام وفي مثل هذا العطف تكلم ونظر وقيل او
بمعنى الا ان وهذا ايضا من النصب باضمار ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان
يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شج عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح
الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يومن فانهم ظالمون
فقد استوجبوا التعذيب بشوم ظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض قيل هو تاكيد لقوله ليس لك من الامر شيء والمقصود
منعهم من كل فعل وقول الا ما كان باذنه ارشادا له الى كمال درجة العبودية وان من آداب العبد ان لا يخوض في
اسرار الله في ملكه وملكوته اي له الخلق كله وله الامر كله فلا يجوز لغيره ان يتصرف في ذلك الا باذنه وامره يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب فان تعقيب قوله لله ما في السموات وما في الارض بتعليق المغفرة والتعذيب
بالمشية ثم تذييله بقوله والله غفور رحيم دليل بين على انه تعـ يفعل ما يشاء من غير وجوب عليه ولكنه يحب من العبد
التقييد بالتوبة وعدمها كما ذهب اليه المعتزلة كالمنافي له وعن رسول الله عم لو ان العباد لم يذنبوا لخلق الله عبادا يذنبون
فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وعنه عم ليدخلن الجنة كلكم الا من يابى وليشرد شراد البعير على اهله قيل يا رسول الله
ومن الذي يابى قال الذي لا يقول لا اله الا الله وعن ابن عمر قال رسول الله عم ان الله لا يعذب من خلقه الا المارد المتمرد
ياباني ان يقول لا اله الا الله وعن انس قال النبي عم ان الله لا يهتك ستر عبد فيه مثقال ذرة من خير والاحاديث الصحيحة في هذا
النوع كثيرة ولكن لم يرض بها من ابتلي ببصيرة ثم انا لا نعلم انه تعـ لو عذب لكان على الاطلاق يكون جورا وظلما وانما ذلك في العباد وههنا
بين جلي على صبيان الكتاب الا ان الاعمى لا يهتدي الى طريق الصواب وعن انس قال رسول الله عم ان بين يدي الجنة
لعقبة يتواهب المسلمون فيه ذنوبهم حتى يقول لهم ربي تعـ ادخلوا الجنة بغير حساب واعظم من ذلك رضا في الحكم من فضله
والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم فانه يجعل منهم ويخرج من اصلابهم من يشرب كوس الرحمة ويعبد الله
وحده ولا يشرك به شيئا يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه
من تضعيفه وذلك ان قوله اضعافا مضاعفة حال ليس لتقييد النهي بها بحيث ينتفي الحرمة عند انتفائها بل الزيادة
التوبيخ والتشنيع على انهم كانوا على هذه الطريقة المذمومة التي ربما يستقبحها اكلة الربوا ايضا كان الرجل منهم اذا حل على

له على انسان مائة درهم وبلغ الاجل محله ولم يكن المديون واجدا المال قال زدني في المال حتى ازيد في الاجل فربما جعلها
مائتين ثم اذا حل الاجل الثاني فعل مثل ذلك الى اجال كثيرة فيأخذ بسبب المائة اضعافا فيستغرق بالشيء الطفيف
مال المديون وهذا هو المراد من قوله اضعافا مضاعفة وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله
فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون ارادة ان تفلحوا وتنجوا من العذاب ثم بالغ في التخويف بقوله واتقوا النار التي اعدت
للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه اشعار بان النار معدة للكفار اولا وبالذات وللعصاة
ثانيا وبالعرض كان ابو حنيفة رض يقول هي اخوف آية في القرآن حيث وعد الله المؤمنين بالنار التي اعدت
للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وعن الاوزاعي بلغني ان جبريل عم اتى النبي عم فقال اتيتك خائفا من الله
بما فتح النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيمة فقال له يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى امر بها فاوقد عليها الف عام
حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اصفرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا
جمرها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب
في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه جميعا ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الارض جميعا لذابت
وما استقلت ولو ان رجلا ادخل النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي عم
وبكى جبريل لبكائه فقال اتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ولم
بكيت يا جبريل وانت الروح الامين امين الله على وحيه قال اخاف ان ابتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني
من الاتكال على منزلتي عند ربي فاكون قد امنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله
قد امنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال هذه المواضع دليل
عزة التوصل اليها جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة وهو طاعة
الله ورسوله فيما امر به ونهى عنه وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو واكتفوا ويؤيده قراءة عبد الله
وابي وسابقوا وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرض السموات السبع والارضين السبع لو وصل
بعضها ببعض وذكر العرض دون الطول مبالغة لان كل ما له طول وعرض فان عرضه اقل من طوله فاذا كان
هذا عرضها فما ظنك بطولها ويجوز ان يراد بالعرض البسط كقوله فذو دعاء عريض وقال الزهري
انما وصف العرض لان طولها لا يعلمه الا الله وهذا على سبيل التمثيل لا انها كالسموات والارض
لا غير وقال السدي لو كسرت السموات والارض وصرن خردلة فبكل خردلة جنة عرضها السموات والارض
عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله عم اذا اسكن اهل الجنة الجنة بقي في الجنة مكان افيح فيخلق الله
تعالى ستين وثلثمائة عالم كل عالم اكبر من الدنيا منذ خلقت الى يوم تنقطع فيسكنهم الجنة وهم ادنى اهل الجنة
منزلا لانهم لم يبتلوا بشيء من الاعمال وعنه عم اذا امتلئت جهنم تقول الجنة ملئت جهنم من الجبابرة
والملوك والفراعنة ولم تملاني من ضعفاء خلقك فينشئ الله تعالى خلقا عند ذلك فيدخلهم الجنة فطوبى لهم من
خلق لم يذوقوا موتا ولم يروا سوءا باعينهم رواه انس وفي هذين الحديثين تقوية الزهري والسدي لا الاخير

على الفطن

على الفطن الذكي وسئل انس عن الجنة اهي في السماء ام في الارض فقال اي ارض وسماء تسع الجنة بل هي فوق السموات
السبع تحت العرش لما ذكر النار وعظم امر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى المغفرة المنجية من العذاب الشديد و
الفوز بدخول الجنة وبين صفاتهم الموجبة للجنة مفتتحا بذكر التقوى لانه ملاك الامر انما يتقبل الله من المتقين
اي المؤمنين الذين آمنوا ظاهرا وباطنا واخلصوا دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم السنتهم مثنيا بالسخاء
الذي هو الانفاق لوجه الله وعن رسول الله عم اوحى الله الى ذي القرنين وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي من المعروف
وما جعلت له علما فمن رايته حببت اليه المعروف واصطناعه وحببت الى الناس الطلب اليه فاحبه وتوله فاني احبه
واتولاه ومن رايته كرهت اليه المعروف وبغضت الى الناس الطلب اليه فابغضه ولا تتوله فانه من شر ما خلقت
وعنه عم تجافوا عن ذنب السخي فان الله تعالى آخذ بيده كلما عثر عثرة متلبثا بكم الغيظ وهو اجتراعه قال عم ما جرع عبد جرعة
اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وقال عم ما من جرعة احب الى الله من جرعة غيظ كظمها عبد وما
كظمها عبد الا ملأ الله جوفه ايمانا مرتبعا بالعفو عن الناس وهو ترك عقوبة من استحق مواخذته قال رسول
الله عم اذا كان يوم القيمة ينادي مناد اين العافون عن الناس هلموا الى ربكم وخذوا اجوركم وحق لكل مسلم
اذا عفا ان يدخل الجنة وعنه عم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال
لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة وهذه الصفات الاربع من اخلاقهم
الموجبة للجنة وعنه عم اذا جمع الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم قليلون فينطلقون
سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نريكم سراعا الى الجنة فمن انتم فيقولون نحن اهل الفضل
فيقولون وما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا
فيقولون لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين اعدت للمتقين هيئت للمؤمنين المطيعين لله ولرسوله فان فرطت
منهم الفرطات وصدرت منهم الكبائر وان ماتوا على غير توبة بدليل قول النبي عم ان اهل الكبائر من موحدي الامم
كلهم الذين ماتوا على كبائرهم غير تائبين ولا نادمين من دخل النار منهم من الباب الاول من جهنم لا تزرق عيونهم
ولا تسود وجوههم ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران
منهم من ياخذ النار الى قدميه ومنهم من الى ركبتيه والى حجزته والى عنقه على قدر ذنوبهم واعمالهم حرم الله تعالى
اجسادهم على الخلود من اهل التوحيد وصورهم على النار من اجل السجود وقوله عم ما من احد يشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله تعالى على النار وعن معاذ قال كنت ردف النبي عم على حمار فقال يا معاذ
هل تدري ما حق الله تعالى على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا وان حق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله افلا ابشر
به الناس قال لا فيتكلوا الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين
ينفقون او هم الذين ينفقون في السراء والضراء في حال الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو
عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بان ينفقوا ما قدروا عليه من قليل او كثير كما يحكى عن بعض السلف انه ربما تصدق
ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب ولما كان الانفاق الذي هو عبارة عن بذل المال اشرف الاعمال

واعظم الاخلاق اذ ببذله تصير النفس مذللة خاضعة سهلة الانقياد لله وامر قدم على كظم الغيظ والعفو والكاظمين
الغيظ الجارعين الغيظ من كظم غيظه كظما اجترعه او الممسكين اياه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظم
القربة اذا ملأها وشد فاها ومنه كظم البعير اذا امسك عن الجرة وقولهم ارى للابل كظوما اى لا تجتر وعن
رسول الله عم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وعنه عم من كف كف الله عنه
عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال عم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه
دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلايق حتى يخيره من اى الحور شاء وقال عم اشدكم من غلب نفسه عند
الغضب واحلمكم من عفا بعد القدرة والعافين عن الناس اى التاركين لعقوبة من ظلمهم بالتجاوز عنهم
والستر عليهم وقال رسول الله عم قال موسى يا رب اى عبادك اعز عليك قال الذى اذا قدر عفا وعنه
عم ان هؤلاء فى امتى قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت وقال عم اذا وقف العباد نادى
مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذى اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا الفا
فدخلوها بغير حساب وقال عم المسلم الذى يخالط الناس ويصبر اذاهم افضل من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم
وقيل مكتوب فى الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان والله يحب المحسنين واللام اما للجنس فيشمل كل محسن ويدخل
تحته هؤلاء المذكورون وقد اتفق الجمهور على ان الجمع المعرف باللام يتناول كل واحد من الافراد كالمفرد واما للعهد
فتكون اشارة الى هؤلاء والذين اذا فعلوا فاحشة عطف على الذين ينفقون وقيل عطف على المتقين اى اعدت
الجنة للمتقين الفاعلين للطاعات والتاركين للسيئات وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين والذين
مبتداء خبره اولئك فاحشة فعلة بالغة فى القبح كالزنا او ظلموا انفسهم او اذنبوا اى ذنب كان مما يؤاخذون
به وقال جابر الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دون الزنا من القبلة واللمسة والمعانقة وقيل الفاحشة
الكبيرة وظلم النفس الصغيرة وقيل فعلوا فاحشة فعلا او ظلموا انفسهم قولا روى ابن مسعود ان المؤمنين قالوا يا
رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة بابه
اجدع انفك او اذنك افعل كذا فسكت رسول الله عم فانزل الله هذه الآية وقال عطاء نزلت فى نبهان التمار
وكنيته ابو مقبل اتته امرأة حسناء تبتاع تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفى البيت اجود منه فذهب بها الى بيته
فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبى عم وذكر ذلك له فنزلت وقال مقاتل والكلبى
اخا النبى عم بين رجلين انصارى وثقفى فخرج الثقفى غازيا واستخلف الانصارى على اهله فاشترى لهم اللحم ذات يوم فلما ارادت
المرأة ان تأخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فجاء
الثقفى لم يستقبله الانصارى فسأل امرأته عن حاله فقالت لا اكثر الله فى الاخوان مثله ووصفت له الحال والانصارى
يسيح فى الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفى حتى وجده واتى به ابا بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا وقال
الانصارى هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغازى ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر
فقال مثل ذلك فاتيا النبى عم فقال لهم مثل مقالتهما فنزلت ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او حكمه
او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها ومخافة العقاب عليها

نادمين

نادمين على الفعل فيما مضى عازمين على الترك فى المستقبل ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفى
معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه وصف لذاته بسعة الرحمة حيث ذكر اسم الله المفيد للمبالغة فى الوصف الذى
سيق له الكلام مع استغراق الذنوب باللام وفيه تطييب لنفوس العباد اذ فى سعة الرحمة بشارة عظيمة وتنشيط
للتوبة لان اهتمام الله تعالى بشان التوبة يحرك نشاطهم لا محالة ويبعثهم عليها وردع عن الياس والقنوط لشمول
الرحمة جميع الذنوب وقد ذكر مغفرة جميع الذنوب بعد ذكر الفاحشة وظلم النفس بيانا بان الذنوب وان جلت
فعفوه اجل واعظم والمعنى ان الله تعالى وحده معه مصححات المغفرة عن النبى عم من استغفر الله غفر الله
تعالى له ذكره مسلم فى صحيحه وعنه ما من مسلم يعمل ذنبا الا وقف الملك الموكل باحصاء ذنوبه ثلث ساعات
فان استغفر الله من ذنبه ذلك فى شئ من تلك الساعات لم يوقفه عليه ولم يعذب يوم القيمة ذكره الطبرانى فى المعجم الاوسط
ولم يصروا على ما فعلوا اى لم يقيموا على ذنوبهم التى صدرت منهم عن النبى عم ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم
سبعين مرة وعنه عم لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار والاصرار الاقامة على الشئ والثبات عليه وقال
الحسن اتيان العبد ذنبا عمدا اصرار حتى يتوب وعن السدى هو السكوت وترك الاستغفار واعلم ان الاستغفار
باللسان من غير ندامة القلب توبة الكاذبين وعن الحسن استغفارنا يحتاج الى استغفار وفى الاستغفار فوايد منها نزول
بركات السماء خصبا ومنها النجاة من كل ضيق لقوله عم من لزم الاستغفار واكثر منه جعل الله تعالى له من كل ضيق مخرجا
ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب ومنها ان يمد الاموال والاولاد ومنها النصر على الشيطان نصرا عظيما
لزوم المغفرة فاستغفروه وقوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويزدكم قوة
الى قوتكم ويغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ولا مرما قال النبى عم طوبى لمن وجد فى
صحيفته استغفارا كثيرا رواه البخارى ومسلم والنسائى وهم يعلمون انها معصية حال من فعل الاصرار
ويقصد بالنفى نفى الفعل والقيد معا لا بمعنى انتفاء كل من الامرين نحو ما جئتك راكبا بمعنى لا مجئ ولا
ركوب بل بمعنى انتفاء من غير اعتبار لنفى القيد واثباته اى ولم يصروا على الذنوب عالمين بقبحها والقيد فى الكلام
المنفى اما لتقييد النفى او لنفى المقيد بمعنى انتفاء كل من الفعل والقيد او القيد فقط او الفعل فقط اولئك
جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها جملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطف
والذين اى على الذين ينفقون او المتقين وقد دلت هذه الآيات على ان الجنة معدة للمتقين والتائبين
او للمتقين خاصة والتائبون اجرهم مغفرة وجنة وليس فيها دلالة على ان المصرين لم يدخلوا الجنة
وانه لا يدركهم احسان الله تعالى وتفضله كيف وقد شهد رسول الله عم بان الله تعالى قد حرم اجسام
اهل الكباير من موحدى الامم كلهم الذين ماتوا على كبايرهم غير تائبين ولا نادمين على الخلود فى النار من اجل
التوحيد وصورهم من اجل السجود وهل القطع بخلودهم فى النار وعدم دخولهم الجنة الا معاندة لله تعالى
وتكذيب لرسوله وشعبة من القدرية اعاذنا الله واياكم من ذلك وعصمنا عن امثاله بالنبى وآله واصحابه
وعن عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها قالت فقدت النبى عم ذات ليلة فاتبعته فاذا هو فى مشربة يصلى فرأيت
على رأسه عم انوارا ثلثة فلما قضى صلوته قال من هذه قلت انا عائشة يا رسول الله عم

قال هل رايت الانوار الثلثة فقلت نعم يا رسول الله فقال ان آتيا اتاني من ربي فبشرني ان الله تعالى عز وجل يدخل الجنة من امتي سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب ثم اتاني في النور الثاني آت من ربي فبشرني ان الله تعالى يدخل الجنة من امتي مكان كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب ثم اتاني في النور الثالث آت من ربي فبشرني ان يدخل من امتي مكان كل واحد من السبعين الفا المضاعفة سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب فقلت يا رب لا يبلغ هذا امتي قال يكملون من الاعراب من لا يصوم ولا يصلي وعن ابي هريرة وابي سعيد قال عم اشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله لقي الله بها غير شاك لم يحجب عن الجنة قيل تنكير جنات على تقدير العطف على المتقين يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بالصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل اياتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون محبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية التائبين بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنة قد خلت من قبلكم سنن وقايع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل امم قال الشاعر ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اي سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين وامنعوا النظر في آثار الهالكين فجعل النظر مسببا عن السير فعلى ان كليهما مطلوب لكن الاول للثاني والمعنى ايجاب السير في الارض وايجاب النظر في آثار الهالكين للعبرة هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب قيل هذا اشارة الى القرآن وقيل اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين والحاصل خصوصيته على امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان وهدى وموعظة للمتقين وقيل المراد بالناس المكذبون المخاطبون بقوله قد خلت من قبلكم لا السابقون الذين سن الله فيهم وقايعهم يعني انه مع كونه بيانا وتبيينا للمكذبين فهو زيادة تبصير وموعظة للمتقين للذين اتقوا من المؤمنين وقيل كرامة ورحمة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح هذا بحسب المعنى واما من جهة اللفظ فهو عطف على سيروا في الارض واذا كان قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا من حيث المعنى متعلقا بقصة احد كان توسيط حديث الربوا وما بعده استطرادا او اشارة الى ان هذا نوع آخر من علائق الدين ومحاربة المسلمين على اختلاف الآراء وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله وقتلاكم في الجنة وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او وانتم الاعلون الاعلون في العاقبة والغالبون على اعدائكم آخر الامر فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة لقد صدقه الله وعده فانهم لم يخرجوا بعد ذلك في غزو الا وقد ظفروا او نصروا حتى قيل لو كان في عسكر واحد من اصحابه عم كان الظفر لهم ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي من جهة المعنى اي ولا تهنوا ان صح ايمانكم فان ذلك يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله وقلة المبالاة باعدائه واما من جهة اللفظ فجزاؤه ما يدل عليه النهي ثم انه قيد للنهي

الترك

الترك او الطلب للترك لا للفعل اي اتركوا الوهن واتركوا الحزن ان كنتم مؤمنين فالمطلوب هو ترك الفعل والكف عنه او اطلبوا ترك الوهن وترك الحزن والضابطة ههنا ان القيد الوارد بعد النهي قد يتعلق بالطلب والمطلوب الذي هو الترك وقد يتعلق بالمنهي الذي هو الفعل واما اذا ورد بعد الامر فيحتمل ان يتعلق بالطلب وبالمطلوب الذي هو الفعل فاحفظ هل المقاعدة او متعلق بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم ويبشركم به من الغلبة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ الكسائي وحمزة وعاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراح وبالضم المها وقرأ ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعفوا عن قتالكم لما اصابهم ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله عم وجعل الشرط والجزاء ههنا في معنى المضي دون الاستقبال اما بتقدير كان اي ان كانوا قد اصابوا واما على القول بانه قد يجيء لمجرد التعليق من غير نقل للماضي الى المستقبل ولا بد من حمل يمسسكم على حكاية الحال لقصد الاستحضار وكان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين فانه قد قتل يومئذ خلق من الكفار بدليل قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون وتلك الايام اسم الاشارة مبتداء والايام صفته ونداولها خبره او تلك الايام مبتداء وخبر والفعل حال والمراد بها اوقات النصر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال والمداولة كالمعاورة يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله عم وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذا وخسرنا ثم ركب النبي عم وباشر القتال بنفسه وحمل على المشركين والتأم اليه المسلمون فهزم الله جميع المشركين وليعلم الله الذين آمنوا تعليل لفعل محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من قبيل التمثيل المبني على تشبيه الحال بالحال اي فعلنا ذلك فعل من يريد ان يحصل له حقيقة العلم وانما لم يحمل الكلام على حقيقته لدلالته على الحدوث وعلم الله ازلي لا يتصف بالحدوث وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات ولا يلزم منه التغير في علم الله تعالى وكون ذاته محلا للحوادث لان الحدوث انما هو في تعلق العلم او عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف ايذانا من اول الامر بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم واعلم ان في قوله تعالى وليعلم الله تعالى دلالة بينة على ان افعال الله تعالى معللة بمصالح العباد كما هو رأي اصحابنا مع ان الاصلح لا يكون واجبا عليه خلافا للمعتزلة قال صدر الشريعة وما ابعد عن الحق قول من قال انها غير معللة بها فان بعثة الانبياء عليهم السلام لاهتداء الخلق واظهار المعجزات لتصديقهم فمن انكر التعليل فقد انكر النبوة وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله وامثال ذلك كثير في القرآن ودلالته على ما قلنا وايضا لو

لم يفعل لغرض اصلا يلزم العبث ودليلهم انه ان فعل لغرض فان لم يكن حصول ذلك الغرض اولى به من عدمه امتنع منه فعله وان كان اولى به كان مستكملا به ناقصا لذاته وقد قيل عليه انه انما كان مستكملا به لو كان الغرض راجعا اليه وههنا راجع الى العبد واجابوا عن ذلك ان تحصيل مصلحة العبد وعدمه ان استويا بالنسبة اليه لا يكون غرضا وداعيا الى الفعل لانه ح يلزم الترجيح من غير مرجح وان لم يستويا بالنسبة اليه يكون فعله اولى فيلزم الاستكمال قال اقول هذا الجواب غير مرضي لانا لا نسلم انه ان استويا بالنسبة اليه لا يكون غرضا وداعيا ولا نسلم ان الترجيح من غير مرجح لم لا يجوز الاولوية بالنسبة الى العباد مرجحا ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة بما صدر منهم من الثبات والصبر على الشدائد من قوله لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض بين التعليلين يشعر بانه تعالى لا ينصر الكافرين حقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلك الكافرين ان كانت عليهم ومحق الشيء استيصاله واهلاكه نحيثا يفضي اليه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم فام منقطعة والهمزة فيها للانكار اى ما كان ينبغي ولا ينبغي ان يكون ذلك وحقيقته النهي عن الحسبان ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فجعل عدم العلم عبارة عن عدم متعلقه لانه منتف بانتفائه فصار معنى لم يعلم الله في فلان خيرا لم يعمل فلان خيرا حتى يعلمه ومعنى لم يعلم الله جهادهم لم يجاهدوا والحاصل ان القصد في نحو علم الله جهادهم ولم يعلم جهادهم ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المتعلق ونفيه والا نفي العلم عن الله تعالى محال فانه تعالى لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وحصولها ولم ولما بمعناها في المضارع لافادة انكار الماضي والفرق بينهما ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وقرئ بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن تشبيها للنفي بالنهي وحذفها من غير ملاقاة ساكن بعدها كما في اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس وقيل هو تحريك لالتقاء الساكنين بالفتح ايثارا للاخف واتباعا للام وبقاء لتفخيم اسم الله ولم يعتبروا هذا الوجه البعيد في ويعلم الصابرين لامكان الوجه الصحيح اى بع وهو اضمار ان الناصبة على معنى لم يكن العلم بالمجاهدين والعلم بالصابرين اى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة مع الجمع بين عدم متعلق العلمين وهما الجهاد والصبر يعني لا تحسبوا انكم تدخلونها من غير تحقق هذا الامرين جميعا وهما الجهاد والصبر ويدخل فيه من جاهد بسيفه ولسانه ويده وقلبه فالواو بمعنى الجمع والمقصود عدم الجمع بين الامرين كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اى لا يكن منك الجمع بين اكل السمك وشرب اللبن فان المعنى الواقع حالا هو مضمون قولك لم يكن منه العلم بالجهاد والعلم بالصبر اى لم يتحقق الامران جميعا ومرجع واو الصرف الى عطف مصدر يعني على مصدر الفعل السابق وقرا ابو عمرو في رواية عبد الوارث ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون اى احسبتم ان تدخلوا الجنة ولم يتحقق منكم مجاهدة مقيدة بالصبر والظاهر ان المراد

الصبر عليها

الصبر عليها فقوله فلما لم يعلم حال من تدخلوا ويعلم الصابرين من يعلم الله الذين جاهدوا على التداخل وقرا الحسن بالجزم على العطف وقرا النخعي ويحيى بن وثاب ولما يعلم الله بفتح الميم في كليهما وعن عمرو بن عبيد ويعلم بالنون ولقد كنتم تمنون الموت اى الحرب لانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع النبي عم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا عليه يوم احد في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة من قبل ان تلقوه يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته وقرا الزهري ان تلاقوه وقرا مجاهد من قبل بالضم فقد رايتموه

اى رايتم بلقاء العدو واسباب الموت ما عسكم يوم احد وانتم تنظرون تاكيد جامع

وانتم تنظرون اى فقد رايتموه بصراء معاينين مشاهدين من غير غفلة واشتغال بامر سواه لما تقول قد رايت كذا وليس بمنزلة اى قد رايته حقيقة وذلك حين قتل بين ايديهم من قتل من اخوانهم واقاربهم وشارفوا ان يقتلوا وهو توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا اليه من خروجه عم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وان كان قصد متمنيها الى نيل كرامة الشهداء وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فيخلو كما خلوا بالموت او القتل وكما ان اتباعهم قد تمسكوا بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر بني قومه وهو من قبيل قصر الافراد فان المخاطبين وهم الصحابة رضي الله عنهم لما كانوا يعرفون بحقيقة رسالته قطعا وجزما ويعدون هلاكه امرا عظيما فصاروا بمنزلة المتعدين في وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك قال الله تعالى وما محمد الا رسول اى هو مقصور على الرسالة لا يتعداها الى البعد عن الهلاك فنزلوا منزلة المبعدين بل مستعظمين اخراجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر وقيل نزل استعظامهم هلاكه منزلة انكارهم اياه اى الهلاك فاستعمل له النفي والاستثناء والاعتبار المناسب هو الاشعار بعظم هذا الامر في نفوسهم وشدة حرصهم على بقائه عليه الصلوة والسلام حتى كانوا لا يخطرون هلاكه بالبال وعن الزهري عن ابن المسيب عن ابي هريرة قال لما توفي رسول الله عم قام عمر بن الخطاب رض فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله توفي وانه ان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه تعالى كما ذهب موسى بن عمران وقد غاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى بن عمران فليقطعن ايدي رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله مات ساق الحديث الى ان قال اقبل يعني ابا بكر على الناس فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ايها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله تعالى فان الله تعالى لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله الشاكرين قال فوالله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت حتى تلاها ابو بكر الصديق يومئذ فاخذها الناس عن ابي بكر رض ثم قال ابو هريرة قال عمر ما هو الا ان سمعت ابا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت على الارض ما تحملني رجلاي وعرفت ان رسول الله صلى الله قد مات قال الاصمعي قرا شيبة بن نصاح في صلوة الغداة وما محمد صلى الله الا رسول وقرا ابن عباس قد خلت من قبل رسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء لتعلق الجملة الشرطية بالجملة قبلها وهي وما محمد

وما محمد الا رسول كسائر الرسل

اى يرجعون الى دينكم الاول جامع

الا رسول قد خلت من قبله الرسل تعليقا على وجه سببها عن الجملة السابقة وبينها عليها وتوسط الهمزة لانكار
ارتدادهم وانقلابهم عن الدين بعد هلاكه بموت او قتل او للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
على اعقابهم بعد وفاته اى لا ينبغي خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بل سببا للتمسك بدينه
عم كما هو حكم ساير الانبياء فنفى انقلابهم على اعقابهم تعكيس لموجب القضية المحققة التي هي كونه رسولا
يخلو كما خلت الرسل روى انه لما رمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله صلعم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد
قتله فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية يوم بدر واحد حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه
قتل النبي عم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا
في الناس خبر قتله فانكفاوا فجعل رسول الله عم يدعو الى عباد الله فانحاز اليه طائفة من اصحابه عم
فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بابائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين
فنزلت وروي لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال
ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد
فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على
ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل
وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل
فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده عما كان
النبي عم من امر الجهاد وغيره وقيل بارتداده بل يضر نفسه وقيل ما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا
ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يراد بالانقلاب الارتداد ويكون ابتدائهم على وجه التغليظ والاستعظام
لما صدر منهم من الفرار والهزيمة وخذلانه عم واهماله والتخلية بينه وبين الهالك وسيجزي الله الشاكرين
الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا على نعمة الاسلام بالثبات
عليه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشية الله تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى
ان لكل نفس اجلا مسمى في علم الله لا يستقدم ولا يستأخر بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض لهم على الجهاد
وتشجيع على لقاء العدو ووعد للنبي عم بالحفظ والكلاءة وتاخير الاجل فكانه قيل والله اعلم لا ينبغي لمسلم يشهد
مقاما في جهاد اعداء الله الا جاهد فيه فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقا هو له اذ لا يموت احد قبل بلوغ
اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اى
موقتا له اجل معلوم لا يتأخر ولا يتقدم ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان
المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم
فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اى من ثوابها وسنجزي
الشاكرين الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد والجزاء المبهم مستفاد من ترك
ذكره وليس معنى الابهام العموم بابا لا يكاد يدخل تحت البيان وقرئ يؤته ويجزي بالياء فيهما

وروى المفضل عن عاصم يؤته بالياء وسنجزي بالنون وفي مصحف ابن مسعود نؤته ثوابها وسيجزي الشاكرين
بالياء وكاين اصله اي دخلت عليه كاف التشبيه وصارتا كلمة واحدة بمعنى كم والنون تنوين اثبت في
الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار
كيايئن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الاخرى الفا كما ابدلت من طائي وقرأ الزهري كين بتشديد
والحسن كين مثل كعن وابن محيصن وكاين مثل كعين بفتح العين الهمزة وسكون الياء وكان مجاهد لا يمد ولا يهمز وقال
الكسائي عن حمزة ان الاعمش كان يجلس الياء ولا يكاد يستعمل الا مع من وهو في محل الرفع على الابتداء من نبي
بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة
وهي الجماعة للمبالغة وقرئ بالحركات الثلث فالفتح على الاصل لانه منسوب الى الرب بالفتح والضم والكسر
من تغيرات النسب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل بضم القاف وكسر التاء مقصورا اي كثير
من الانبياء قتل معه ربيون كثير فالفعل الذي هو القتل اما مسند الى الضمير يعود الى كاين المعبر عنه بكم
او الى ضمير نبي او الى الربيين فان عاد على الاول وكان الضمير وما اسند اليه في موقع الخبر لكاين وكان معه ربيون
في موقع الحال منه وان عاد الى الثاني وهو نبي كان الضمير وما اسند اليه في موقع الصفة له ومعه ربيون في موقع
الحال منه وان عاد الى الثالث الخبر يكون كقولكم كم من رجل قتل معه الف في موقع الصفة والخبر محذوف اي صابرون ونحو ذلك وان
كان فاعلا كانت الجملة خبرا او صفة والخبر محذوف وقرأ الباقون قاتل وقرئ وقتل بالتشديد ووجها في الاعراب ووجه القراءة
الاولى باقسامها والقراءة بالتشديد ان يكون الفاعل ربيون لان الفعل للتكثير والتكثير يناسب جمعية الفاعل وكذا
وكذا رواية سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال نصره وقيل الكاين من نبي ايضا يفيد التعدد والتكثير
لانه تركب من اي والكاف ولا على قصد التشبيه فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم عند قتل
نبيهم بعضهم او قتل نبيهم وقد يقال على تقدير كون الفاعل ربيون لا يناسبه قتل النبي ايضا ربما يشعر لفظ معه
بانه ايضا قتل كما تقول ضرب مع عمرو زيد فلا يرد انه ضرب حال كونه مصاحبا لعمرو بل يقصد مشاركته في
الضرب اصالة لزيد وتبعية لعمرو وعليه انه لو اتفق رواية سعيد بن جبير وقرئ فما وهنوا باب تعب وهنوا
سكون الهاء وقرأ ابو السمال ورؤبة وهنوا بكسر الهاء وما ضعفوا عن جهاد العدو او في الدين وما استكانوا
وما خضعوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل النبي عم وبضعفهم عن مجاهدة
المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان واصل استكان
نوزن افتعل من السكون لان الخاشع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة كما جاء بمنتزاح
او استكن من الكون لانه في نفسه يطلب من يخضع له وعلى هذا يكون وزن استكان استفعل اي انتقل
من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم
في الدارين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وكونهم ربانيين الا هذا القول وهذا اضافة الذنوب
والاسراف الى انفسهم هضما لها واستقصارا واضافة لما اصابهم لسوء اعمالهم وتقديم

الدعاء بالاستغفار على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون طلبهم عن
فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث وقرأ
الحسن قولهم بالرفع فآتاهم الله بسبب الاستغفار والالتجاء الى الله وقرأ الجحدري فأثابهم الله بالثاء ثواب الدنيا
اى النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا وحسن ثواب الآخرة والجنة والنعيم في الآخرة وخص
ثوابها بالحسن ايذانا بفضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده يريد عرضا والله يريد الآخرة والله يحب المحسنين
الذين امنوا وجاهدوا واى ما تثبتوا في مداحض لقاء العدو يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا
يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين قال علي رض نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا
الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود وتقبلوا منهم لانهم يستغوونهم
ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وتستأمنوا
يردوكم الى دينهم فالخطاب للصحابة والتعريف في الذين كفروا للعهد اشارة الى المنافقين او اهل الكتاب
او المشركين وقيل هو عام في جميع الكفار فالتعريف للجنس والمخاطبون جميع المؤمنين في جميع الازمنة
فان المؤمنين يجب عليهم ان يجانبوا الكفار ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم لان مطاوعة
الكفرة والنزول على حكمهم يجر الى موافقتهم بل الله مولاكم اى ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته
وقرئ بل الله بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين المانعين من اعدائكم فا
فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوب المشركين
من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل
ان شئت فقال النبي عم ان شاء الله فقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا
منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم
وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في جميع القرآن والباقون بالسكون وقرئ سيلقي بالياء
بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم اى كان السبب في القاء الله تعالى الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا
اى الهة لم ينزل باشراكها حجة والمراد نفي الحجة ونزولها جميعا وهو كقوله ولا ترى الضب بها والانجحار جميعا و
اصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى
الظالمين اى مثواهم فوضع المظهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر
بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد
قوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال
ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان النبي عم جعل احدا خلف ظهره واستقبل
المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل
المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على
آثارهم اذ تحسونهم اى تقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة

اذ تحس

من القتل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم
قد انهزموا فما موقفنا هاهنا وقال الآخرون لا نخالف امر رسول الله فثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة
في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم
من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير
واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم
وجواب اذا محذوف وتقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت
فشلكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون للمركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون ثم صرفكم
عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن صبركم وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا
عنكم تفضلا ولما علم من الندم على المخالفة وعصيان الرسول عم والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو
او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء ادال لهم او ادال عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم
او ليبتليكم وما بينهما اعتراض او بمقدر وهو اذكروا الا ذكروا ويجوز ان من قبيل يا ايها النبي اذا
طلقتم النساء والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا
من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني الجبل وتنصر الاولى قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة
تصعّدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعّد في السلم ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره وقرأ
الحسن تلون بواو واحدة على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
وقرئ يصعدون ويلوون بالياء وروى عن الصعدي طلحة ولا يلون بالهمزة على احد بضمتين والرسول يدعوكم
كان عم يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهم
المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم
غما بغم عطف على صرفكم اى فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غما مضاعفا
بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله عم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة
والنصر لكيلا تحزنوا على ما فاتكم لتتمرنوا على تجرع الغموم وتتعودوا الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما
بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة ولا ما اصابكم
من الجرح والقتل والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول عم اى فآساكم في الاغتمام فاغتم
بما نزل بكم كما اغتممتم بما نزل به من كسر الرباعية ونحوها ولم يثربكم اى لم يعنفكم على عصيانكم ومخالفتكم امره
تسلية لكم وتنفيسا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم
من الهزيمة وغلبة العدو والله خبير بما تعملون عليم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم
امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن وازال عنكم الخوف الذي كان بكم حتى اخذكم النعاس وغلبكم النوم
وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه
وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله عم حين اشتد علينا الخوف فارسل الله

عنكم

ومعنى تلوون تعرجون وتقيمون اى لا يلتفت بعضهم لبعض اصلا فان المعرج على الشيء يلتفت اليه غفلة او عنانا دابة ... احد منهم قاله الكلبي

ومعنى لا تلوون على احد اى لا تلتفتون الى احد قاله ابن عباس

فانزل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى يقول لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا
ههنا وقيل عن ابن الزبير كالصواب عن الزبير كما ذكرنا لان الزبير ولد فى السنة الاولى من الهجرة وقيل بعد
عشرين شهرا وغزوة احد كانت فى شوال سنة ثلاث من الهجرة والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا
بدل منها على انه كانه نفس الامنة او هو المفعول وامنة حال منه مقدمة عليه نحو رايت راكبا رجلا
او مفعول له لانه اريد انه مفعول له نعاسا ففيه تقديم معمول المصدر وهو نعاسا وان اريد انه بتقدير فعل
اى نعستم امنة فليس للفعل موضع حسن او حال من المخاطبين بمعنى امنين او على انه جمع امن كبار وبررة
وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن وقراءة الضحاك ثم انزلنا عليكم من بعد الغم امنة نعاس
يغشى قرأ حمزة والكسائى بالتاء ردا على الامنة والباقون بالياء ردا على النعاس طائفة منكم هم الذين امنوا ظاهرا
وباطنا ووافق سرهم علنهم وفعلهم وقولهم وطائفة هم المنافقون الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم قد اهمتهم انفسهم قد اوقعتهم انفسهم فى الهموم والاشجان فهم فى البنات والتشاكى او ما بهم الا هم انفسهم
وطلب خلاصها لا هم الدين ولا هم رسول الله عم والمسلمون وهذا الحصر يستفاد من المقام وقد اجمع المحققون
على ان بناء الفعل على المبتدأ وان كان اسما ظاهرا يفيد الحصر والاختصاص كانه قيل وطائفة اخرى
منكم اى ممن معكم من المنافقين قد اهمتهم انفسهم فالنكرة موصوفة فى التقدير والواو للحال نص عليه
سيبويه وقيل للعطف وقوله عطف الجملة الاسمية على الفعلية الاشعار بجريان الامر للمؤمنين وتجدد الخوف
بالمنافقين ولا يخفى ان هذا بحسب على تقدير ان يجعل بعض الجمل فى موقع الخبر وقال الزجاج قد اهمتهم صفة
ويظنون خبره وقيل الخبر محذوف اى وثمة طائفة او فيكم طائفة على ان الخطاب للجميع من المؤمنين والمنافقين
او طائفة اخرى لم يغشهم النعاس يظنون بالله حال او استئناف على طريق البيان لما قبله وقوله غير الحق
اما مفعول ليظنون على النوعية دون التاكيد وظن الجاهلية بدل منه اى يظنون بالله غير الظن الحق الذى
يجوز ان يظن به ظن الجاهلية يعنى ظن المختص بالملة الجاهلية واهلها واما مصدر مؤكد لمضمون الجملة
محذوف العامل وظن الجاهلية مفعول مطلق اى يظنون ظن الجاهلية يقولون غير الحق اضافة وظن الجاهلية
بدل لكان او مفعول مطلق اما باضافة المصدر الى الفاعل على حذف اى لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الجاهلية اى اهل
الشرك والجهل بالله وبالحق او باضافة الموصوف الى مصدر الصفة ومعناها الاختصاص بالجاهلية كقولك
حاتم الجود ورجل صدق اى حاتم المختص بوصف الجود ورجل مختص بوصف الصدق يقولون لرسول الله عم
وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شىء اى هل لنا معاشر المسلمين مما امر الله ووعد من النصر والظفر
على العدو نصيب قط فقوله من شىء مبتدأ ولنا خبره او فاعل للظرف لاعتماده على الاستفهام ومن مزيدة ومن الامر
حال من فاعل الظرف وهو الضمير فى لنا او شىء لكونه مرفوعا حقيقة لا مجرورا وقيل اخبر عبد الله بن ابى بقتل بنى الخزرج
وقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شىء او هل يزول عنا
هذا القهر فيكون لنا من الامر شىء قل ان الامر كله لله اى النصر والغلبة لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون
وكان حقا علينا نصر المؤمنين او ان الخلق والقضاء يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض بين الحال و

ذيها

وذيها وقرأ ابو عمرو كله بالرفع على انه مبتدأ خبره لله والجملة خبر ان وهى مع اسمها وخبرها فى موقع النصب بالقول و الباقون
بالنصب على انه تاكيد للامر يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك حال من الواو فى يقولون هل لنا اى يقولون لك
فيما يظهرون هل لنا من الامر من شىء سؤال المؤمنين المسترشدين مبطنين النفاق والانكار والتكذيب والا حسن
ان يكون استئنافا لا حالا لكثرة فوائد الاستئناف وقلة الاعتراض بين ذوى الحال يقولون اى فى انفسهم
او اذا خلا بعضهم ببعض وهو بدل من يخفون او استئناف كانه قيل اى شىء يخفون فى انفسهم فقيل يقولون
لو كان لنا من الامر شىء اى لو كان الامر شيئا كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون ما قتلنا ههنا
لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل فى هذه المعركة قل لو كنتم فى بيوتكم يعنى من علم الله منه انه يقتل ويصرع فى
هذه المصارع وكتب ذلك فى اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم من كتب الله
عليهم القتل الى مضاجعهم الى مصارعهم ولم تنفعهم الاقامة والقعود فى البيوت ولم ينج منه احد فان الله علم
الاشياء قبل وجودها وقدرها ودبرها فى سابق قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم
قضاؤه وقدره وقرأ اليمانى لبرز مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لبرز بالتشديد وضم الباء وكتب عليهم
القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى صدوركم وليظهر سرائرها من الاخلاص
والنفاق عطف على محذوف اى فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء وقيل عطف على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما فى قلوبكم
قيل وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوسواس وقيل ما فى قلوبكم من الذنوب والله عليم بذات الصدور قبل يخفيها
قبل اظهارها وانما قيل للاسرار ذات الصدور لانها ملابستها موصوفة بها فقيل لها ذات الصدور وقيل
بما فى القلوب من الخير والشر وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمييز المؤمن من المنافق
وليظهر امرهم ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا معناه ان الذين
انهزموا يوم احد انما كانت سبب انهزامهم ان الشيطان استزلهم ببعض الذنوب اى اوقعهم فى الزلل ودعاهم اليه
بان اطاعوا واقترفوا ذنوبا فمنعتهم التاييد الالهى وقوة القلب فلهذا انهزموا فالجار والمجرور اى ببعض ما
كسبوا فى موقع البيان والتقدير للذلك كانه قيل دعاهم الى الزلل واوقعهم بان اطاعوا واقترفوا الذنوب ومنه استزله
الشيطان بقبل السلم وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولى وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم فان الذنب
يجر الى الذنب كالطاعة وقال الحسن استزلهم بقبولهم ما زين لهم من الهزيمة وقيل ذكرهم الشيطان تلك الذنوب فكرهوا
لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية فاستزل الشيطان بها
ايقاعهم فى التولى بتذكره اياهم تلك الذنوب حالة الجهاد وقوله ببعض ما كسبوا مثل قوله ويعفو عن كثير
فى انه انما يؤاخذ بالبعض ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل
بعقوبة المذنب كى يتوب وعن ابى ايوب قال سمعت النبى عم لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم
يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يريد المنافقين فانهم احبوا الكفرة وقالوا لاخوانهم اى لاجل اخوانهم
ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب والمذهب اذا ضربوا فى الارض اذا سافروا فى الارض وابعدوا للتجارة او غيرها
وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية وقال الزجاج اذ ههنا تنوب

عن ما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انه لحكاية الوقت او لقصد الاستمرار وقيل الذي تقتضيه النظر الصائب ان
لا يجعل اذا ضربوا في الارض ظرف قالوا بل ظرف ما يحصل للاخوان حتى يقال لاجلهم وفي حقهم فكان المقول كانه قيل
قالوا لاجل الاحوال العارضة للاخوان اذا ضربوا يعني حين كانوا يضربون او كانوا غزى جمع غاز كعفا وعفى
عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة اذا لم يجئ في جمع فاعل فعل بالتخفيف بل فعلة مما في المنقوص
كقضاة وعصاة لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين وقراء
الحسن وابو الحيوة وما قتلوه مفعول قالوا وهو يدل على اخوانهم بتشديد التاء ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق
بقالوا اي قالوا ذلك واعتقدوا حسرة في قلوبهم على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا
مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك اشارة
الى قولهم كما في الوجه الاول ومعنى اسناد حسرة الى الله انه يرتب عليه الحسرة ويضعها عقيبه في قلوبهم ويجوز
ان يكون اشارة الى مضمون لا تكونوا وهو اي انتفاء كونكم مثلهم قد جعله الله سبب حسرتهم لان مخالفتهم
فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم فالسببية بين مفعول ليجعل مجازية على الاوجه لكن في
الثالث على طريق السببية المجعولة من الله تعالى حقيقة بخلاف الاولين والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو
المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد وعن
خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت
العير فلا نامت اعين الجبناء والله بما تعملون بصير قراء ابن كثير والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا
والباقون بالتاء على انه تهديد للمؤمنين على ان يماثلوا العيني فلا تكونوا مثلهم ولئن قتلتم في سبيل الله او متم
اي متم في سبيل الله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات والباقون بالضم من مات يموت واللام
في لئن قتلم ولئن متم هي الموطئة للقسم وقوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد
الجزاء وكذا لالى الله تحشرون كذب الكافرون اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان في المدينة
ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب للتقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت والقتل
في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم
تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ يجمعون بالياء اي يجمع الكفار ولئن متم او قتلتم لالى الله
تحشرون قدم هنا القتل على الموت هناك ملاحظة للمقام وتنبيها على شرفه للكرام اعني اصحاب النبي عم ولعل
المقتول في سبيل الله اكثر من الميت في سبيله وجعل ههنا بالعكس ملاحظة لقوله ما ماتوا وما قتلوا ولان المحشور
للميت اكثر من المقتول وتقديم الجار والمجرور للتخصيص كانه الى الله تحشرون لا الى غيره فلا رجاء ولا خوف
الا منه وادخال اللام جواب القسم عليه يشعر بتاكيد هذا الحصر والاختصاص وباب التوحيد هي التي يقتضي ذلك
على انهم قد قالوا ان اسم الله لما كان اسما للذات الواجب الجامع لصفات الكمال على وجه الكمال كان ذكره
في معرض الوعد مشيرا الى غاية الكرم والرحمة وفي معرض الوعيد الى غاية السخط والانتقام فيكون معناه في المحقق
لالى الرحمن الواسع الرحمة المثيب العظيم في الدنيا والاخرة تحشرون وتقدير الرحمن ههنا انسب بقوله تحشرون من الرحيم

كما لا يخفى فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد ومعنى هذا التاكيد تحقق ان لينه عم لم يكن الا برحمة
من الله كما ان اللعنة في قوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ما كان الا بنقض العهد ومعنى الرحمة ربطه على جاشه عم
وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه يقال فلان رابط الجاش اي ربيط القلب
كانه يربط نفسه عن الفرار لشجاعته وانما جعل الرفق ولين الجانب مسببا عن ربط الجاش لان من ملك نفسه عند
الغضب كان كامل الشجاعة وعنه عم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وجوز ان
ما نكرة بمعنى شيء ورحمة بدل منه والباء متعلق بلنت ولو كنت فظا سيئ الخلق غليظ القلب قاسيه لا
نفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكن حولك احد منهم وعن كعب انه قال نجد في التورية مكتوبا محمد
رسول عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر
مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء في كل منزلة ويكبرونه
على كل شرف رعاة الشمس يصلون الصلوة اذا جاء وقتها يأتزرون على انصافهم ويتوضؤن على اطرافهم
مناديهم ينادي في جو السماء صفهم في القتال وصفهم في الصلوة سواء لهم بالليل دوي كدوي النحل فاعف
عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما هو لله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه
او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وهو امر ندب
واباحة لا امر وجوب لعدم المؤاخذة في تركه اذ لم يرد الوعيد فيه والخطاب للنبي عم اولكل احد وعن
الحسن قد علم الله انه ما به اليهم ولكن اراد ان يستن به من بعده وعن النبي عم ما تشاور قوم الا هدوا
لارشد امرهم وعن ابي هريرة ما رأيت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله عم وقيل كان سادات العرب
اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله تعالى رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده
بالرأي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر وهو في حرف ابن عباس وهو دليل بين على ان الامر هنا عام مخصوص
فانه لم يؤمر بمشاورتهم في الفرائض فاذا عزمت فاذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء
امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه احد سواه وفيه تنبيه على التوكل ليس هو ان يهمل الانسان التدبير بالكلية والا لكان الامر بالمشاورة
منافيا للامر بالتوكل بل التوكل رعاية الاسباب مع تفويض الامر الى الله تعالى وعن عامر بن قيس فوض امرك الى الله تسترح وقرئ
فاذا عزمت بضم التاء اي فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان الله يحب
المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح وعنه عم يقول الله تبارك وتعالى ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بي
دون غيري الا اعطيته قبل ان يسألني واستجبت له قبل ان يدعوني وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق
دوني الا قطعت اسباب السموات من يديه واسخت الارض تحت قدميه ووكلته الى نفسه وعنه عم من توكل
وقنع كفي الطلب ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم
احد وقرأ عبيد بن عمر وان يخذلكم اي يلزمكم الخذلان فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه
او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه وتحريض على

على ما يستحق به اللوم من الله وتحذير عما يستوجب خذلانه فليتوكل المؤمنون فليخصوه بتفويض الامور كلها اليه لما علموا انه لا ناصر
سواه ولان ايمانهم يقتضي ذلك وعن انس قال النبي عم التوكل نصف العبادة والدعاء نصف العبادة وقال ابو
العالية لا تتكل على غير الله فيكلك الله اليه ولا تتهم العزة لله فيجعل نوائل عليك وما كان لنبي ان يغل وما
صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة الا ان الغلول في المغنم خاصة والاغلال عام ومنه قوله
عم ليس على المستعير غير المغل ضمان اي غير الخائن ويقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد وعنه عم
لا اغلال ولا اسلال ويقال اغل اذا وجده غالا ومنه قوله عم من بعثناه على عمل فغل جاء يوم القيمة يحمله على عنقه
وقوله عم هدايا الولاة غلول والمراد منه اما براءة رسول الله عم عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله عم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى
ان يقول الرسول عم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال عم الم اعهد اليكم ان
لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم
لكم واما مبالغة في النهي لرسول الله عم لما روي انه بعث طلايع فغنمت غنائم فقسمها على من معه ولم يقسم
للطلايع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة
غلولا تغليظا وتقبيحا لجانبه حيث عدى نزله منزلة غلول وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب
ان يغل على البناء على المفعول وهو راجع الى المعنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول او يوصف
بما له الا كان غالا وعن عاصم الجحدري ان يغل بالياء قال الحوزي كانه ذهب الى ان الكلام ابتدئ بالخبر ثم جعل
مخاطبة ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث جاء يوم القيمة
يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد
لا املك لكم من الله شيئا فقد بلغت او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت ثم يعطى كل نفس
جزاء ما كسبت وافيا تاما يقال وفاه حقه واوفاه اياه اذا اعطاه وافيا تاما وظاهره يقتضي ان يقال ثم
توفى ما كسبت ليتصل بما قبله لكنه عمم الحكم ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى
وهو ابلغ واثبت لكونه كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم
ما اكتسب غير متخلص من تبعته وقيل فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وفيه نظر لان اطلاق الاولوية عليه
قول بلا دليل وانما الدليل على انه يجزى بعمله كساير الكاسبين وهم لا يظلمون اي بعدل بينهم في الجزاء كل
جزاؤه على قدر كسبه افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء بسخط من الله كمن رجع بسخط من الله بسبب المعصية
وقال الكلبي افمن اخذ الحلال من الغنيمة كمن استوجب سخطا من الله باخذ الغلول من الغنائم ومأويه جهنم
وبئس المصير فيه الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله
تشبيه بحذف الاداة كقولك زيد اسد والضمير عايد الى من اتبع رضوان الله وبمن باء بسخط من الله تعالى جميعا اي هم متفاوتون
عند الله كما تتفاوت الدرجات وعند الله في حكمه وعلمه كقولك هذه المسئلة عند ابي حنيفة كذا اي في حكمه وعلمه وقيل

وقيل ذوو درجات اي ذوو منازل متفاوتة او ذوو احوال متفاوتة فالمراد تفاوت درجات المثابين منهم و
منازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب وقال ابو عبيدة والكسائي لهم درجات عند الله وقراءة
الاعمش والنخعي حجة بالتوحيد والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها وهو وعد ووعيد
وقرأ ابو واقد والجراح وشيح تعملون بالتاء لقد من الله على المؤمنين لقد انعم على من آمن مع رسول الله عم من قومه
وخص المؤمنين منهم مع ان البعثة عامة لانهم هم المنتفعون بمبعثه فان اجل النعم الواصلة الى المؤمن نعمة
الايمان المعزز بالاسلام وذلك بتوسط النبي عم اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا
مثلهم ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به وليكونوا واقفين على
احواله في الصدق والامانة مفتخرين به فيكون اقرب لهم الى التصديق به والوثوق به وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده
وفي قراءة رسول الله عم وفاطمة من انفسهم اي من اشرفهم وعنه عم انا اشرف الناس حسبا ولا فخر واكرم الناس
قدرا ولا فخر الحديث وعنه عليه السلام وما افترق الناس فرقتين الا جعلني الله في خيرهما الحديث وقرئ لمن
من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم على خبر مبتداء محذوف اي لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه فيهم اخطب ما يكون
الامير اذا كان قايما اي اخطب اوقات الامير وقت كونه قايما واذا وجد قايما يتلوا عليهم آياته يقرأها عليهم بعد ما كانوا
جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخباثة الجاهلية وقيل ويأخذ منه الزكوة ويعلمهم
الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل لفي
ضلال مبين ان هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها ومن قبل ظرف لغو متعلق بكان وفي ضلال مستقر وكان
مع الاسم والخبر خبر اسمها الذي هو ضمير الشان المحذوف وان مع ما في موقع الحال والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة
الرسول لفي ضلال ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها الواو لعطف هذه الجملة على ما مر من
قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده على قوله لفي ضلال مبين لان الكل متعلق بقصة احد من غير تخلل
اجنبي او على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم كذا والهمزة بينهما للتقرير بمعنى التنبيه والحمل على الاقرار
او التقريع على مضمون المعطوف ولما ظرف بمعنى حين وليس بجزم فيما توهم بعضهم وهو مضاف الى اصابتكم وقد
اي نلتم ووجدتم في موقع الحال وقيل في موقع الصفة لمصيبة والمعنى حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين
منكم يوم احد والحال انكم نلتم ووجدتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين منهم قلتم انى هذا جواب
لما وناصب وتقديره اقلتم حين اصابتكم من اين اصابنا هذا القتل والهزيمة وقد وعدنا الله النصر وانى هذا جملة
اسمية متقدمة الخبر واقعة مقول القول فكانت منصوبة على المفعولية قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم
يعني انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة ومخالفتكم الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا
بالثبات فيه وعن علي لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر و
منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان اي جمع المسلمين وجمع المشركين
وهو يوم احد فباذن الله اي فهو كائن بقضاء الله وتخليته الكفار جعل الاذن مجازا عن التخلية اللازمة
للاذن لان حقيقته انما تكون عند الامر والرضى فان قيل التعبير بالجملة الاسمية يخالف ما تقرر من ان الظرف

مقدر بالفعل اجيب بانه بيان للمعنى والا فالتقدير فباذن الله يكون ويحصل وليعلم المؤمنين وليعلم الذين
نافقوا عطف على باذن الله والمراد التميز لحصول العلم قبل الاصابة اي وهو كائن باذن الله وليميز المؤمنين و
والمنافقين فيظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة ويجوز ان يقتصر الصلة
على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ عطفا على جملة وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله تعالوا قاتلوا
في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون او للدفع عن انفسهم
واموالهم ان لم يكن بهم غم الآخرة فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه لراس النفاق ودغلهم وذلك
ما روي ان عبد الله بن ابي انخذل مع حلفائه فقيل له فقال لو نعلم قتالا لاتبعناكم وقيل معناه قاتلوا الكفرة او
ادفعوا بتكثيركم المجاهدين لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف
بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب
بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد كثروا سوادهم قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم
فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نعلم مكان قتال اي انكم تقاتلونهم في موضع
لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه ويدل على هذا التفسير انهم اشاروا الى النبي عم ان لا يخرج من المدينة وان
الحزم اي الاحتياط البقاء فيها وانما قيل قالوا بلا فاء لانه جواب سؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى
القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقالوا لو نعلم قتالا هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخذالهم عن عسكر
المؤمنين وكلامهم هذا فانهما اول امارات مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب منهم نصرة لاهل
الايمان لان انخذالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيل للمؤمنين فاللام متعلق بالتمييز المقدر وقيل اللام
بمعنى الى فان صلة القرب الى ومن تقول قرب اليه ومنه ولا تقول له والظروف كلها متعلقة باقرب
لما فيها من الاتساع والمعنى قربهم من الكفر يزيد على قربهم من الايمان او قربهم الى الكفر ازيد
من قربهم الى الايمان وقال الضحاك لما طلع النبي عليه السلام يوم احد ابصر جيشا فيها كتيبة من الناس فقال من
هؤلاء فقالوا يا نبي الله هؤلاء حلفاء عبد الله بن ابي فقال انا لا نستعين بالكفار فرجع عبد الله مع
حلفائه من اليهود فقال له عمر والم موضع للمؤمنين فقال لو نعلم قتالا لاتبعناكم قال الله تعالى
هم للكفر يومئذ منهم للايمان يعني ميلهم الى الكفر اقرب من ميلهم الى الايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصغير
وذكرها مع القلوب تصوير لنفاقهم وانهم يرضونهم بافواههم وتابى قلوبهم فهو من الاطناب الحاصل
بالتتميم حيث اتى فيه بفضلة لنكتة هي التاكيد والدلالة على ان هذا قول يجري على السنتهم من غير ان يكون عن
علم في القلب والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بينهم من ذم المؤمنين وتخطئة رايهم والشماتة
بهم وغير ذلك فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمون بعضه علما مجملا بامارات الذين
قالوا لاخوانهم رفع على البدل من واو يكتمون او على الذم تقديره هم الذين
قالوا او نصب على الذم او على البدل من الذين نافقوا او الوصف له او جر

بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم جعل حاتم بدلا من ضمير جوده لاخوانهم اي لاجل
اخوانهم ممن قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا الواو للحال اي قالوا وقد قعدوا عن القتال
لو اطاعونا لو اطاعنا اخواننا في القعود الذي امرناهم ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم
صادقين اي ان كنتم صادقين في انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت
واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتل سبب الموت
والقعود سبب النجاة قد يكون الامر بالعكس وان صح ما ذكرتم من ان القعود عن القتال سبب للنجاة عن
الهلاك فادفعوا سائر الاسباب لتسلموا عن الموت لكنكم لم تقدروا على ذلك ولا بد لكم من ان يتعلق بكم
بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا وان كنتم صادقين في مقالتكم ان سبب
نجاتكم القعود عن القتال وفي ما انكرتم ان يكون السبب غيره او ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا
وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا في مقاعدهم كما قتلوا في المعركة وقوله
فادرءوا عن انفسكم الموت تهكم بهم واستهزاء اي ان كنتم رجالا دفاعين للاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه
حتى لا تموتوا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الخطاب لرسول الله عم او لكل احد وقرئ
بالياء اي ولا يحسبن رسول الله عم او ولا يحسبن حاسب او على اسناده الى الذين قتلوا والمفعول الاول
محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة كما حذف المبتدأ في قوله بل احياء كذا لدلالة الكلام
عليه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يحسبن بفتح السين في جميع القرآن والباقون بالكسر وقرأ ابن مسعود
والاعمش وحمزة ولا يحسبن بالياء في كل القرآن وروى الكسائي عن سفيان عن حمزة يحسبن بالياء
في كل هذه السورة الا قوله فلا تحسبنهم وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد على التكثير لكثرة المقتولين
والباقون بالتخفيف والوجه فيه صفة اللفظ انه صالح للقليل والكثير بل احياء اي بل هم احياء
وقرئ بالنصب على معنى بل احسبهم احياء بلفظ الامر والتكليف بالظن واقع كقوله فاعتبروا امر
بالقياس وتحصيل الظن عند ربهم ومعنى عند في مثل هذا الموضع دنو الزلفى والقرب من فضل الله
ورحمته اي القرب شرفا ورتبة لا القرب المكاني لاستحالته ولا هو بمعنى في علمه وحكمه لعدم مناسبة
المقام اي مقربون عند الله ذوو زلفى منه يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تاكيد
لكونهم احياء قال ابن عباس قال رسول الله رايت حمزة وجعفرا وكان بين ايديهما طبق فيه
نبق كالزبرجد فاكلا منه ثم صار عنبا فاكلا منه ثم صار رطبا فاكلا منه فقلت لهما ما وجدتما افضل الاعمال
فالا قول لا اله الا الله قلت ثم ماذا قالا الصلوة عليك يا رسول الله قلت ثم ماذا قالا حب ابي بكر وعمر وعنه عم في حديث
اخر ثم اشرفني شرفا فاذا نفر يرزقون من ثمر الجنة قلت من هؤلاء قال هؤلاء زيد وجعفر وابن رواحة الحديث
وقيل نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر وعن جابر لقيني رسول الله عم فقال يا جابر ما لي اراك منكسرا
قلت استشهد ابي وترك عيالا ودينا قال افلا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى يا رسول الله قال
ما كلم احدا قط الا من وراء حجاب واحيا اباك وكلمه كفاحا فقال يا عبدي تمن علي اعطك قال يا رب تحييني فاقتل

فلا شانية قال الزجاج تعالى انه قد سوى منى انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الى الاخرة و قال
لا اخرة وقال الامام ابو زيد من المتشابه قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم مع
عياننا بالموت وزوال اعلام الحيوة فيجب الايمان بالحيوة وعلمهم بالكرامات وتنصيصها على العصاة على تفويض تاويل
الحدق الشاهد الى رب السموات فرحين بما اتيهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة
والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة وعن النبي عليه السلام لما اصيب اخوانكم باحد جعل
ارواحهم في حواصل طير خضر تدور في انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش
وقراء عبيد بن عمير فارحين في كل القران ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المجاهدين لم
يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وقد تقدموا او قيل لم يلحقوا لم يدركوا فضلهم و
منزلتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الحال الاخرة وحال من تركوا
من خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يدركها خوف ووقوع محذور وحزن
فوات محبوب قيل الاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف
على ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في ال عمران النار يعرضون عليها غدوا وعشيا والحديث المذكور ومن
انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به في الحال للتحقق وحتوه او احياء
بالذكر او بالايمان وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث
على ازدياد الطاعة واجهاد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه و بشرى للمؤمنين بالفلاح والفوز في المال اعلم ان
الشهداء على ما ورد به الحديث سبعة سوى المقتول في سبيل الله والشهادة هي الدرجة الثالثة من النبوة ما نطق به
الكتاب والسنة قال رسول الله ما تعدون الشهادة فيكم فقالوا القتل في سبيل الله تعالى فقال ان شهداء امتي اذا
لقليل ثم عد سبعة غير القتل في سبيل الله المبطون والمطعون والغرق والحرق والهدم والمراة تموت بجمع وفريس
السبع فلخر النبي عم ان هولاء السبعة شهداء كالمقتول في سبيل الله وتاسعهم العاشق قال ابن عباس قال
رسول الله عم من عشق فعف وكتم ثم مات مات شهيدا وقد صح عن الحسن البصري وابي عمرو بن العلاء
وكثير من المتكلمين والادباء والحكماء ان العشق يقتل وان سببه فساد الطبايع واختلاطها وحركات القلب
من الانضمام والانفراج وليس شيء من ذلك من افعال العباد ولا اكتسابهم لان العبد لا يملك قلبه قال عم لما وقع
بصره على امراة زيد مقلب القلوب ثبت قلبي اذا وجد في قلبه حالا لم يكن يملكه وعن عائشة قالت قال رسول الله
عليه السلام الهوى معفو ما لم يعمل به او يتكلم وعاشرهم الغريب عن وهب بن منبه عن ابن عباس عن النبي عليه السلام
موت الرجل في الغربة شهادة فاذا احتضر فرمى ببصره عن يمينه وشماله فلم ير الا غرباء وذكر اهله وولده فتنفس
فله بكل نفس يتنفس به يمحو الله به الف سيئة ويكتب له الف الف حسنة ويطبع بطابع الشهداء وكان عليه السلام
يسال الشهادة لاصحابه كما سال الحارث وعمرو بن حرام وغيرهما حين سالوه ان يسال الله لهم الشهادة كما
سال عمر وتمناها وعن مجاهد قال قراء عمر بن الخطاب على المنبر جنات عدن يدخلونها ثم قال وهل
تدرون ما جنات عدن قصر في الجنة له خمسة الاف باب على كل باب عشرون الف من الحور العين

لا يدخلها الا نبي فهنيا لصاحب القبر واشار الى قبر النبي عليه السلام او صديق واشار الى ابي بكر رضي الله عنه او شهيد
واني لي بالشهادة وان الذي اخرجني من الجزيرة لقادر على ان يسوقها الي وقال علي رضي الله عنه ما يمنع اشقاها من
ان يخضب هذه من هذه واشار الى عنقه ولحيته وكذلك خيار الناس يسالون الله الشهادة وقد رغب النبي عم
في سوالها فيما روى عنه عم انه قال من يسال الله الشهادة بصدق بلغه منازل الشهداء وان مات على
فراشه يستبشرون تكرير للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر
النعمة والفضل ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم
وفضل زيادة عليه كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرها للتعظيم وما يروى عن النبي عم انه قال
ان الله تعالى اكرم الشهيد بخمس كرامات لم يعطها احد من الانبياء احدها ان هو يقبض ارواحهم بقدرته من
غير واسطة الثاني انهم لا يغسلون الثالث انهم لا يكفنون بل يدفنون في ثيابهم الرابع لا يسمون امواتا
الخامس انه يشفع لهم في كل يوم فيمن يشفعون فالله اعلم بصحته وان صح فمراده الشهادة الكبرى التي هي القتل
في سبيل الله مقبلا غير مدبر لاعلاء كلمة واعزاز الدين وان الله لا يضيع اجر المومنين عطف على النعمة
والفضل فيكون من جملة المستبشر به وقرى الكسائي بالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض ويعضده قراءة
عبد الله والله لا يضيع ولا يخفى ما في وضع المظهر موضع المضمر من الدلالة على ان الله انما خصهم
بالنعم والكرامات السنية لايمانهم وان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمومنين او نصب على المدح او مبتداء خبره للذين احسنوا منهم و
اتقوا اجر عظيم بجملته ظرفه ولما على تقدير صفته او مدحه فالجملة اسمية استينافية كانه قيل ما لهم فاجيب بان
لهم اجرا عظيما واستجابوا واجابوا بمعنى ومن في منهم للبيان كما في قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجرا عظيما والمقصود من ذكر الوصفين المدح لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون
وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير روي ان ابا
سفيان واصحابه لما رجعوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله
عم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان و قال
لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج عم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية
اميال من المدينة وكان اصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين
فذهبوا فنزلت وحمراء الاسد ليست هي بدر الصغرى على ما قيل لان ذكر بدر فزادهم ايمانا قال لهم الناس
الركب من عبد قيس او نعيم بن مسعود واطلق عليه الناس لانه جنسه كما يقال فلان يركب الخيل
ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل
المدينة يضافونه ويصلون جناح كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم اي ان اهل
مكة وهم ابو سفيان واصحابه قد جمعوا الجيش لقتالكم روي ان ابا سفيان نادى
عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر من قابل ان شئت فقال عم ان شاء الله

فلما قال القائل نزل من الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له
ان يرجع فمرّ به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل
لقي ابو سفيان نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام
جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جرأة
فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراي اتوكم
في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله
لا يفلت منكم احد فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد
فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عم حين القي
في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا
الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم
لتشربوا السويق فالمعرفة هنا وان اعيدت فليس الثاني عين الاول كقوله تعالى وهو الذي انزل عليك
الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ولا اللام العهدية اشارة الى ما ذكر بل الى ما يعرفه المخاطبون
ثم انه تعالى مدح المؤمنين على غزوتين يعرف احديهما الغزوة حمراء الاسد وهي المذكورة في الاية المتقدمة
والثانية بغزوة بدر الصغرى وهي المذكورة في هذه الاية فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول الذي هو ان
قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او للمصدر قال او لفاعله ان اريد
نعيم وحده والبارز للمؤمنين والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازدا
دادوا ايمانهم واخلصوا عنده النية والمعنى انهم والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام قالوا وهو
دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قوله لابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال
نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وما يروى عن عمر انه كان يأخذ بيد الرجل
فيقول قم بنا نزدد ايمانا ويعضده قوله عم لو وزن ايمان ابي بكر مع ايمان هذه الامة لرجح به هذا ان جعلت
الاعمال داخلة في الايمان وهو مذهب جمهور المحدثين والمتكلمين والفقهاء حيث قالوا الايمان تصديق
بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فزيادة الاعمال زيادة الايمان واما من جعل الايمان هو التصديق
فقط كما هو راي المحققين وهو الحق لدلائل قد اسلفت وهو اعني التصديق القلبي الذي بلغ حد الجزم
والاذعان لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان حتى ان من حصل له حقيقة التصديق فسواء اتى بالطاعة
بالطاعة او ارتكب المعاصي فتصديقه باق على حاله لا تغير فيه اصلا فهو يحمل الدلائل من الكتاب
والسنة والاثر الدالة على انه يزيد وينقص على ان ذلك بحسب المؤمن فان الايمان يزيد بزيادة
ما يجب الايمان به وهذا لا يكون في غير عصر النبي عم ايضا لان الاطلاع على تفاصيل الفرائض
ممكن في غير عصره عم والايمان واجب اجمالا وتفصيلا في الوجهين ولذلك قيل اليقين يزداد بالالف
وكثرة التامل وتناصر الحجج وقالوا الله اي حسبنا الله وكافينا من احسبه
حسبنا

انه لا تستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك فوصفت به النكرة لان اضافته لكونه في معنى
اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة الله وهي
السلامة وحذر العدو منهم وقيل ثبات على الايمان وزيادة فيه وقيل باجر من الله وفضل وربح في التجارة
كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد لهم على الله واتبعوا
رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالنعم العظام
والتثبت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراة على العدو
وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير
لمن تخلف عنهم واظهار لخطا رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل
يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم الشيطان انما ذلكم المثبط هو الشيطان
وهو ان كان اشارة الى القائل ان الناس قد جمعوا لكم فالشيطان يحتمل ان يكون خبره وما بعده استئنافا ويبين
شيطنته وان يكون صفته وما بعده الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان وان كان اشارة الى
القول فالشيطان خبر على تقدير المضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني قول ابليس لعنه الله والتجوز
في الاضافة حينئذ مضيف قول نعيم الى ابليس اي انما ذلكم يخوف اولياءه المفعول الاول محذوف اي
يخوفكم من اوليائه الذين هم ابو سفيان واصحابه او المذكور هو المفعول الاول مرادا بهم القاعدون
عن الخروج مع رسول الله عم والثاني متروك او محذوف للعلم به اي يوقعهم في الخوف او يخوفهم
من ابي سفيان واصحابه وقرا ابن عباس وسعيد بن جبير اولياءه بالرفع وعن طلحة وعن عطاء عن
ابن عباس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم على الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا
وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يامركم به ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي
ايثار خوف الله على خوف الناس والظاهر ان هذه الخطابات للقاعدين عن الخروج معه عم لا للخارجين
لان الخارجين لم يخافوهم بل خافوا الله تعالى وقالوا حسبنا الله ويجوز ان يكون الخطاب للجميع قصدا
الى التعريض بالقاعدين فاذا كان الخطاب للقاعدين فاولياؤه على احد الوجهين وهو منهم من
وضع الظاهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم اولياء الشيطان ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم المنافقون من المتخلفين وقيل هم قوم
ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله وقرا نافع وابو
فايد ولا يحزنك بضم الياء كانه جعل في معنى الخبر انهم لن يضروا الله شيئا لن يضروا اولياء الله
بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر ثم بين كيف يعود
ضرره عليهم بقوله يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة اي نصيبا من الثواب في الاخرة وهو
يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم
الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الاخرة

من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ فى الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن
الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير لذكرهم للتاكيد او تعميم للكفار والاول
خاص فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا نصب على المفعول او المصدر لان المعنى شيئا من
الضرر وبعض الضرر ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم قرا ابن كثير وعاصم والكسائى ويعقوب
بالياء على ان الذين فاعل وان الذين مع ما فى حيزه فى موقع المفعولين وما مصدرية وقد وقعت فى الامام
متصلة فاتبع والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له
الطول ليرعى كيف شاء والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من هلاكهم وقيل من قطع اجالهم او منعهم و
قراءة الباقون بالتاء خطابا للنبى عليه السلام او لكل من يحسب والذين مفعوله وانما نملى لهم خير لانفسهم بدل
منه والتعويل على البدل لكونه كافيا فى تمام الكلام فان المفتوحة مع الاسم والخبر ينوب عن المفعولين اما باعتبار
الحذف اى لا تحسبن خيرية الاملاء ثابتة وقد جوزوا حذف احد المفعولين فى باب علمت وحسبت واتفقوا
على امتناع الاقتصار فيه لان المفعولين بمنزلة اسم واحد اذ المفعول بالحقيقة هو مضمونهما فحذف احدهما
بمنزلة حذف بعض اجزاء الكلمة ويجوز ان يقدر مضاف فى احد الجانبين تقديره ولا تحسبن الذين كفروا
اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وقرا يحيى بن و
ثاب انما نملى بكسر الالف على الابتداء ويقع الحسبان على الكلام كله انما نملى لهم ليزدادوا اثما الناس قد اختلفوا
ههنا فمن ذهب الى ان الخير والشر بارادة الله تعالى قال التعليل بمثل هذا جائز لانه غرض والغرض لا يلزم
ان يكون مطلوبا بل يكفى جعله غاية للفعل ولانه مردف مع الفعل تشبيها بالعلة وهم الذين قالوا ان فعل الله تعالى
غير معلل بغرض وهم يأولون اللام فى الاية وفى خلق لكم ما فى الارض وفى الا ليعبدون ويقولون انه تعالى لو فعل
فعلا يترتب عليه شىء لو فعل غيره مكان ذكر الشىء غرضا لفعله اطلق عليه الغرض بسبب هذه المناسبة
ومن ذهب الى ان فعل الله معلل وان القبيح لا يجوز ان يكون مرادا له مطلوبا وغرضا جعل ازدياد الاثم علة
للاملاء مكان العجز والجبن علة وسببا للقعود عن الحرب للعجز والجبن فلم يجعل غرضا بطلب حصوله لكن فى حكمه
لكن متى علم انه لم يكن الازدياد حاصلا قبل الاملاء ليصلح علة له سببا اعنا عليه مذهب الزمخشرى الى ان كون ازدياد الاثم
علة للاملاء انما هو على طريقة الاستعارة والتشبيه بالعلة الباعثة بناء على حصوله فى علم الله تعالى سابقا وقرا
يحيى بن وثاب انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء يعنى ولا يحسبن الذين كفروا ان الاملاء لهم لازدياد الاثم
كما يفعلون وانما هو للتوبة والدخول فى الايمان وقوله انما نملى خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه
ان الاملاء خير لانفسهم ان انتبهوا وتداركوا فيهما فرط منهم وعلى هذه القراءة يكون الواو فى قوله ولهم عذاب
مهين اى ولا يحسبوا ان املاءنا لزيادة وللتعذيب حالية داخلة فى حيز النهى عن الحسبان كانه قيل ليزدادوا
اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين اللام فى ليذر لتاكيد النفى على ما انتم عليه من اختلاط
المؤمنين المخلص والمنافقين والخطاب لعامة المسلمين والمنافقين فى عصره عم حتى يميز الخبيث من الطيب
معنى يعزل المنافق عن المخلص وقرى يميز من ميز وفى رواية عن ابن كثير من اماز بمعنى ميز وهو غير موجود

فى كتب اللغة والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميز المنافق
من المخلص بالوحى الى النبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر عليها ولا يذعن عليها الا المخلص منكم كبذل
الاموال والانفس فى سبيل الله تعالى ليمتحن بها بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرا ابن السميفع حتى يميز بالنون
وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب
له ما يدل عليها واللام ليطلعكم لتاكيد النفى كما فى قوله لم اكن لا سجد لبشر خلقته فامنوا بالله ورسله بصفة الا
خلاص او بان تعلموا انه وحده مطلع على الغيب وتعلموهم عباد مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما
اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب فى شىء روى ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن
منا ومن يكفر فنزلت وعن السدى انه عم قال عرضت على امتى من يؤمن بى ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم
انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا الكفر والنفاق
فلكم اجر عظيم لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وفى الخبر ان ثواب اهل الجنة لا يدرك غايته ولا يحسبن الذين يبخلون
بما اتيهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه ما سبق ومن قرا بالياء اما جعل الفاعل ضمير الرسول عم او ضمير احد
واما جعله الموصول وعلى هذا كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون
بخلهم هو خيرا لهم وهو فصل وقرا الاعمش بغير هو بل هو اى البخل شر لهم لا ستجلاب العقاب عليهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة تفسير لقوله هو شر لهم والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفى امثالهم
تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل هو على حقيقته فانه يجعل ما بخل به من الزكوة حية
ويطوقها فى عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وعن النبى عم
فى مانع الزكوة يطوق شجاعا اقرع وروى شجاعا اسود وعن النخعى سيطوقون بطوق من النار وقال
النبى عليه السلام لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وعنه عم خصلتان لا يجتمعان فى
مؤمن البخل وسوء الخلق وروى عن النبى عم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول
بحرمة هذا البيت الا غفرت لى فقال عم وما ذنبك صفه لى قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم
ام الارضون قال بل ذنبى يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبى يا رسول الله قال فذنبك
اعظم ام السموات قال بل ذنبى قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبى اعظم قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله
اعظم واعلى قال ويحك صف لى ذنبك قال يا رسول الله انى ذو ثروة من المال وان السائل ليأتينى يسألنى فكانما يستقبلنى
بشعلة من النار فقال عم اليك عنى لا تحرقنى بنارك فوالذى بعثنى بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن
والمقام ثم بكيت الفى عام حتى يجرى من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله
فى النار ويحك اما علمت ان البخل كفر ويحك اما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وعنه عم الا ان البخل من الكفر والكفر فى النار ولله
ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه
فى سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه فى سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع

والاعطاء خبير فيجازيكم على حسب ذلك وقرا عاصم ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على طريقة الالتفات
وهو ابلغ في الوعيد والباقون بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
قالت ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا روي انه عم كتب
مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا
فقال فنحاص بن عازوراء اليهودي ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي
بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد
الله مغلولة تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومعنى سماع الله لقولهم مع انه عالم بالمسموعات كلها انه لم
يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتب ما قالوا في صحايف
الكتبة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فلا يخلوا اما يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن
استهزاء بالقران والرسول وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ولذلك نظمها مع
قتل الانبياء وفيه ايذان بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول جريمة ارتكبوها وانهم اصلاء في
الكفر ولهم فيه سوابق ومن اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول والسين لتاكيد الابعاد
كما ان لن لتاكيد النفي قيل لن نفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن نفوتنا قتلهم الانبياء وقرا حمزة سيكتب
بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء والباقون بالنون فيهما وقرا الحسن والاعرج سيكتب بالياء و
تسمية الفاعل ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذا
قتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق و
الذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات وذكره هنا لان العذاب
مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وهكذا وان البخل من سوء الظن بالله وهو خروج عن الايمان
فان الايمان هو التصديق ومن التصديق تصديق الله تعالى فيما تكفل به من الارزاق وفيما وعد
من الخلف على الانفاق في الدنيا والثواب في العقبى فالبخيل لم يتمكن تحقق الخلف والثواب في
العقبى فالبخيل لم يتمكن تحقق الخلف والثواب من قلبه ويخاف ان لا يخلف عليه من عنده وعنه عم
لا يجتمع البخل والايمان في قلب عبد وقال عم قايلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله
من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وقرا عبد الله ويقال ذوقوا
والاعرج والحسن ويقول بالياء ذلك اي ذلك العقاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وغير ذلك من
المعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت ايديكم والمعنى ان ذلك العذاب بسبب سيئات
اعمالكم التي ذكرها بالايدي وبسبب ان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة
المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد فان العبيد يدل على الكثرة بل الاستغراق فالظلم لهم يكون كثير
الظلم لاصابة كل منهم ظلما ولان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما
بليغ الظلم متفاقمه والمعنى ليس بظلام لاحد من عباده فالمبالغة على هذا راجعة الى النفي والتكثير وفي الوجه

الاول الكثرة والكمية كانه قيل ليس بظالم لهذا او لذاك الى ما لا يحصى الذين قالوا هم
كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا اي امرنا في التورية
واوصانا ان لا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار بان لا نومن لرسول حتى ياتينا بهذه الحجة
المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي عليه السلام
فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذه دعوى باطلة وافتراء
على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الاتي به الا لكونه معجزة فهو اذا وساير
المعجزات سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين المعجزات وقرا عيسى بن عمر بقربان بضم الرا
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام
بان رسلهم جاءوهم قبلي كزكريا ويحيى وشعيبا بمعجزات اوجبت عليهم التصديق وبهذه المعجزة التي
اقترحوها فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان بها وكان توقفهم وامتناعهم عن
الايمان لاجلها فما لهم لم يؤمنوا الرسل جاءوهم بها في معجزات اخر واجترءوا على قتلهم وقوله بالذي
قلتم اي بمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تاكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي لمعنى
ما قالوا يعني يعودون للتماس الذي في شانه ورد الظهار والقول انت علي كظهر امي فان كذبوك
فقد كذب رسل من قبلك اي رسل ذو عدد كثير واولو ايات ونذر واصحاب عزم وجزم وقوله
فقد كذب رسل ليس جزاء الشرط لان تكذيب الرسل من قبله متقدم على تكذيبه فلا يصح وقوعه جزاء
بل سبب لمضمون الجواب المحذوف اي لعدم الحزن والصبر فاقيم مقام المسبب كانه قيل فان كذبوك
فلا تحزن واصبر فان الرسل من قبلك قد كذبوا واوذوا فصبروا على ما كذبوا وهذه تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير الزبر
جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حبسته والكتاب في عرف القران ما
يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القران وقيل الزبر
المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرا ابن عامر وبالزبر المواعظ باعادة الجار للدلالة على
انها مغايرة للبينات بالذات وقيل الزبر الصحف والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور
كل نفس ذائقة الموت وعد للمصدقين ووعيد للمكذبين وقرا اليزيدي ذائقة الموت على الاصل
وقرا الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب لقول ابي الاسود الدولي ولا ذاكر الله
الا قليلا بجر ذاكر عطفا على مستعتب وحذف التنوين منه لانهم يحذفون التنوين عند ملاقاة
الساكن لطلب الخفة او الهرب من التقاء الساكنين ونصب الله دال على تقدير التنوين ولو كان
مضافا اليه لكان مجرورا وانما توفون اجوركم اي تعطون جزاء ما يجب فيه الشكر من النعم وما يجب

فيه الصبر من البلايا و تعطون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم ايام حيوتكم في الدنيا وانما تعطون جزاء
اعمالكم خيرا وشرا تاما وافيا يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيل لفظ التوفية يشعر بانه
قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر
النيران • فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة
وادخل الجنة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة
من سخط الله من عذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد وكان يدعوا صلى الله عليه وسلم اللهم
ارنا النعيم نعيم الاخرة اللهم نجني من النار سالما وادخلني الجنة غانما وعنه عليه السلام من احب ان يزحزح
عن النار ويدخل الجنة فليدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى
اليه اي يفعل ما يحب ان يفعل به • وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها • الا متاع الغرور شبه
الدنيا بالمتاع الذي يدلس ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداته والشيطان هو المدلس الغرور
وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع بلاغ اي تبليغ
وايصال الى الاخرة وعن ابن عباس متاع الغرور مثل القدر والقارورة والسكرجة ونحو ذلك لا يدوم
لذلك بقاء وذلك الدنيا يزول ويفنى وقد يقال مثل الزجاج الذي يسرع في الكسر ولا يصلحه الجبر
او كزاد المسافر سريع الفنا قال الجوهري الغرور مكاسر الجلد الواحد غر بالفتح ومنه قولهم
طويت الثوب على غره اي على كسره الاول ثم قال الغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا وقيل الغرور
مصدر او جمع غار • لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبه من الافات
وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب • ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اي من اهل الكتاب والمشركين • اذى كثيرا من المطاعن في
الدين الحنيف واغرا الكفرة على المسلمين وما كان من كعب بن الاشرف من هجايه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضر اخبرهم بذلك قبل وقوعه ليوطنوا انفسهم على الصبر واحتمال
ما سيلقون من الاذى والشدايد ويستعدوا للقايها حتى لا يرهقهم نزولها • وان تصبروا على ذلك
وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يريد الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات والعزم مصدر
بمعنى المفعول اي المعزوم عليه والفاعل هو العبد بمعنى انه يجب عليه ان يعزم على الصبر والتقوى او الله
تعالى بمعنى انه مما عزم الله ان يكون اي اراد وقصد وقطع او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه ٥
والاحسن ان يقال ان العزم ههنا بمعنى الفرض ومعنى قولنا معزومات الامور مفروضات الامور التي
عزم الله على عباده وجوبها فان الله تعالى امر بالصبر والتقوى في مواضع من كتابه الكريم كما امر بالصلوة
والزكوة والام للوجوب وبه فسر عزايم القران وقول ابن مسعود ان الله تعالي يحب ان ياتي برخصه كما يحب

ان

ان يؤتى بعزايمه اي بفرايضه التي عزم على عباده وجوبها كانه قيل ان الصبر والتقوى فرض من فرايض
الله لا بد لكم ان تاتوا بذلك قال الامام المرزوقي حقيقة العزم توطين النفس وعقد القلب على ما يرى
فعله ولذلك لا بد لكم لم يجز على الله تعالى واذ اخذ الله اي واذكر وقت اخذه • ميثاق الذين اوتوا الكتاب
يعني ميثاق العلما النبيينه اي الكتاب • للناس ولا يكتمونه اكد عليهم بلام جواب القسم لان قوله واذ
اخذ الله ميثاق الذين في معنى القسم وبنون التاكيد ايجاب بيان الكتاب وبالعطف على جواب القسم
ايجاب اجتناب كتمانه وفسره النبي عليه السلام فقال ما اتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق
ما اخذ من النبيين ان يبينه ولا يكتمه وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ليبيننه ولا
يكتمونه بالياء لانهم غيب والباقون بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن فنبذوه اي الميثاق وتاكيده عليهم وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر
مثل في ترك الاعتقاد وعدم الالتفات والاعتداد ونقيضه جعله نصب عينه والقاه بين عينيه
وعن النبي عليه السلام من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وقال عليه السلام لمعاذ لما بعثه الى اليمن
لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال عليه السلام من تعلم بابا من العلم ليعلم
الناس اعطي ثواب سبعين نبيا وصديقا وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى
اخذ على اهل العلم ان يعلموا • واعلم ان من اخلاق العالم المرضيه ان ينزل المتعلم منزلة ولده كما قال عليه
السلام انما انا لكم مثل الوالد لولده فيرقيه بالتدريج من النقصان الى الكمال ويكلمه اياه على قدر فهمه
واستعداده بان يعلمه الظاهر والجلي في اول امره سيما اذا كان مبتديا والخفي والدقيق ان كان اهلا له اقتدا
بمعلم البشر ومرشدهم كافة حيث قال عليه السلام انا معاشر الانبيا امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم
الناس على قدر عقولهم وقال عليه السلام ما احد يحدث قوما لا يبلغه عقولهم الا كان ذلك فتنة
على بعض وقال علي رضي الله عنه وقد اشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وان لم يكن
اهلا مستحقا للجواب يمنعه اشد المنع بالتي هي احسن او بغير ذلك فلا يظهر له الدقايق والاسرار اتباعا
باعلم المدققين حيث قال عليه السلام ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلما بالله فاذا نطقوا به لم
ينكره الا اهل العزة بالله تعالى وقال عليه السلام كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون
ان يكذب الله ورسوله ومهما رايت اهل الانكار والاغترار وجب عليك حفظ الحقايق والاسرار على طريق
الاسرار فانه ليس كل يكشف ويغشى ولا كل حقيقة تعرض وتجلى بل صدور الاحرار خزاين الاسرار وقد سال
سايل عمر رضي الله عنه عن ايتين متشابهتين فعلاه بالدرة وساله اخر عن القران هو مخلوق ام لا فتعجب عمر
من قوله فاخذ بيده وجا به الى علي رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن اتسمع ما يقول هذا الرجل قال وما يقول
يا امير المؤمنين فقال الرجل سالته عن القران اهو مخلوق ام لا فوجم علي وطاطا راسه ثم رفع راسه وقال

سيكون الكلام هذا شان في اخر الزمان ولو وليت من امره ما وليت لضربت عنقه وقد روي الامام احمد
هذا القول عن ابي هريرة رضي الله عنه فانظر الى فراسة علي كيف عرف ان ذلك فرع لباب الفتنة في اخر
الزمان الذي هو موسم الفتن ومظنتها بوعد النبي عليه السلام من منح الجاهلين علما اضاعه ومن منع
المستحقين فقد ظلم فوجب عليه ان يمنع المتعلم عن كل ما يضره ولا سيما الفلسفة العوراء • واشتروا به
ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها • وقد مران الاشترا استعارة للاستبدال اي واستبدلوا بالكتاب
فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم لا تحسبن الذين يفرحون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والموصول
مفعوله الاول وبمفازة الثاني وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فايزين وكل
ضم البا فيهما جعل الخطاب له وللمؤمنين وقرئ بالياء وفتح البا على ان الفعل للرسول وقرا ابن كثير وابو
عمرو بالياء وفتح البا في الاول وضمها في الثاني على ان الموصول فاعل والمفعول الاول محذوف تقديره
لا تحسبنهم الذين يفرحون بمفازة اي لا تحسبن انفسهم الذين يفرحون فايزين وفلا تحسبنهم تاكيد للفعل
وفاعله ومفعوله الاول بما اتوا بما فعلوا من كتمان الحق والتدليس ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا
وقرئ اتوا اي اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا • ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفا بالميثاق
واظهار الحق والاخبار بالصدق • فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي بمنجاة من العذاب وقرا مجاهد فلا
تحسبنهم بكسر التاء والسين • ولهم عذاب اليم بكتمانهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سال اليهود
عن شي مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوا واستحمدوا اليه وفرحوا بما
فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم يفرحون بما فعلوا
من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اظهار الحق واخبارك بالصدق عما سالتهم •
ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا من علم التورية وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم حيث ادعوا ان ابرهيم
كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قدم اعتذروا
اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل نزلت في المنافقين يفرحون بما
اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي
لم يفعلوه على الحقيقة لابطالهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب
ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه • ولله ملك السموات والارض فهو
يملك امورهم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحهم وهو اعلم بما يفعلون من خير وشر والله على كل شي
قدير فهو يقدر على ثوابهم وعلى الانتقام منهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير لما بين لهم انه مالك
امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم وقدرهم على ذلك بقوله والله على كل شي قدير اراد ان ينبه على

كمال

كمال حكمته البالغة وقدرته الباهرة وجلالة شانه وتقديره ولطافة علمه وتدبيره بقوله
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب • الخلق مصدر او من
تسمية المفعول بالمصدر كالصيد مثلا اي في ايجاد السموات والارض واخراجهما من العدم الى الوجود
وفي تعاقب الليل والنهار لدلايل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وعظيم قدرته وباهر
حكمته لارباب النظر والاستدلال على ان ما وضع الله فيهما من الادلة والعبر كالشمس والقمر وساير
النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على عظيم قدرته
وبالوان النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروايح والمسالك والفجاج ج
وغير ذلك لسكانها على لطف علمه وبالسكون في الليل والتصرف في النهار وما فيهما من التفاوت
والتغاير والتساير على كمال حكمته فينظر في خلقهما وما فيهما وفي اختلافهما وما لهما الناظرون
الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فيعلمون ان لا بد لخروجهما من العدم الى
الوجود من مخرج ولانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويشكرون على النعمة
في ذلك فهم نظارون بعيون ناصرة وبعقول خالصة وافهام نافذة كلما راوا اية عرفوا وجه تاملها
وتفكروا في قدرة مقدرها وفي حكمة مدبرها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم
واي جهل اعظم من جهل من لم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شان والنظر ح
من خلقها واوجدها من عدم وقدرها ودبرها واودعها ما لا يدرك كنهه ولا يعرف
حقيقته الا هو جلت حكمته وعزت قدرته وعظم شانه ولطف علمه وعمله ولا اله غيره ثم ان من
قدر على خلق تلك الايات مع عظمها كان على خلق الانسان وثوابه وعقابه مع مهانته اقدر وانما
اقتصر على هذه الثلثة ههنا مع ان الايات المذكورة في سورة البقرة ثمانية لان الايات على تكاثرها
مفرط الكثرة قد انحصرت في ثلثة انواع سماوية وارضية ومركبة منهما كما يدل على الايات السماوية
بقوله في خلق السموات ولا على الايات الارضية بقوله والارض وعلى المركبة بقوله واختلاف الليل
والنهار على الارض وقيل العلة الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الاية
لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعها فانه اما ان يكون في ذات الشي كتغير
الليل والنهار او جزءه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنها كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها
وعن ابن عمر قلت لعايشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله فبكت واطالت ثم
قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عايشة هل لك
ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك وهواك قد اذنت لك
فقام الى قربة من ما في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الما ثم قام يصلي فقرا من القران وجعل يبكي

حتى رايت دموعه قد بلّت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله
اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي
لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الاية ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر
وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتاملها يقال لاك اللقمة اذا علكها وعن علي رضي الله عنه ان النبي عليه
السلام كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل
من بني اسرائيل اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه
لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السما ولم تعتبر قال لعل
قالت فما اوتيت الا من ذاك • الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه ذكرا
دايبا على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة
ابن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى
يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وهما مصدران بمعنى الفاعل ويجوز ان يكون
قعود اجمع قاعد وعن النبي عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون
في هذه الاحوال على حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن الحصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا
فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهو حجة في اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة
رضي الله عنه انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد لقوله عليه السلام لعبد الله بن عمر فان لم تستطع فعلى
القفا تومي ايماء وما روي عمران بن حصين كان في مرض لا يستطيع ان يستلقي على قفاه وقيل الاختلاف
في الافضل فان كلا منهما جاز عندهما لكن الافضل ذلك ثم الذكر في التحقيق طرد الغفلة فاذا ارتفعت
الغفلة فاذا ارتفعت الغفلة كان العبد ذاكرا وان سكت ومن ذكر بلسانه ولم يشاهد بقلبه
فهو غافل وان حرك لسانه بذكره ولذلك قال الجنيد قدس الله سره من قال الله من غير مشاهدة
فهو مفتري وقوله على جنوبهم في موقع الحال كانه قال قياما وقعودا او مضطجعين • ويتفكرون
في خلق السموات والارض اعتبارا واستدلالا وهو اشرف العبادات كما قال النبي عليه السلام لا عبادة
كالتفكر وقال عليه السلام تفكر ساعة خير من قنوت ليلة رواه ابن عباس وعنه عليه السلام تفكر ساعة
في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ثمانين سنة لانه عمل القلب والمقصود من الخلق والخالص عن
الريا الذي هو الشرك الاصغر وعنه عليه السلام تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا
قدره فان من السما السابعة الى الكرسي سبعة الاف نور وهو فوق ذلك وان ملكا من حملة العرش
يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله قد مرقت قدماه في الارض السفلى ومرق راسه من
السما السابعة العليا والخالق اعظم من المخلوق وعن ابي الدرداء قال عليه السلام تفكروا في آلاء الله ولا

تتفكروا

تتفكروا في الله فتهلكوا واعلم ان التوفيق بينهما وبين قوله عليه السلام التفكر في عظمة الله وجنته وناره
ساعة خير من قيام ليلة وخير الناس المتفكرون في ذات الله وشرهم من لا يتفكر في ذات الله مشكل صعب
وعنه عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قال العلما
وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل
عمل اهل الارض وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السما
فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل بين على شرف علم الاصول
وفضل علمائه ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول والمعنى يتفكرون في انشاء هذه الاجرام العظام
وابداع صنعتها وتدبيرها مستدلين على كمال قدرة مقدرها وحكمة مدبرها وعظم شانه وكبريا
سلطانه قايلين ربنا ما خلقت هذا باطلا وهذا اشارة الى الخلق والمراد به المصدر او المخلوق
كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض او الى السموات والارض في معنى المخلوق والمعنى
ما خلقت هذا المخلوق العجيب الشان باطلا بغير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون
مبدا الوجود الانسان ومتقلبه ومستقره الذي لا بد له منه بنعم عليه فيه يعرفون النعم واد له
تدل على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك لينال الحيوة الابديه والسعادة
السرمدية في جوارك ومن البعيد ما يقال انه اشار الى المتفكر فيه وان كان صحيحا بحسب المعنى
لماله الى احد الوجهين السابقين سبحانك تنزيها لك من ان تخلق الباطل وهو اعتراض للتنزيه
من العبث وان يفعل شيا بغير حكمة • فقنا عذاب النار فاحفظنا واعصمنا من عذاب النار
التي هي جزا من ظن ان خلقها للعبث لا للحكمة وهو مظنون الذين كما قال وما خلقنا السما والارض
وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ويجوز ان يكون عذاب النار ذلك
ظن السو ونحوه من المعاصي على ذكر المسبب وارادة السبب او على المصير وان يكون التقدير
فقنا السيات والمعاصي التي تفضي الى عذاب النار فانه جزا من عصى ولم يطع وقيل فقنا عذاب
النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه • ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي فقد
بالغت في خزيه ونظيره اعذر اذا بالغ في العذر وقيل فقد ابلغت في اخزايه ونظيره من
ادرك الضمان وانما حمل الجزا على اخص الخصوص ليفيد المبالغة ولو ابقي على اطلاقه لم يكن فايدة
في ذكره لظهور لزومه للشرط جدا وعن ابي بكر القطان قرا الحسن من تخلد النار والظاهر ان استعاذتهم
بالله من النار وفي التحقيق من اسبابها من الكفر والنفاق بدليل قوله • وما للظالمين من انصار اي
وما للكافرين من مانع يمنعهم من عذاب الله ولقوله عليه السلام ان الله لا يهتك ستر عبد فيه مثقال
ذرة من خير رواه انس وقوله عليه السلام ان الله لا يعذب من خلقه الا المارد المتمرد عليه يابي

ان يقول لا اله الا الله رواه ابن عمر وقوله عليه السلام ما من احد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار وعن معاذ بن جبل كنت ردف النبي عليه السلام على حمار فقال
يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال وحق الله على العباد
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيا فقلت يا رسول الله
الا ابشر به الناس قال لا فيتكلوا وعنه عليه السلام امتي هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب في
الاخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والاخبار فيه كثيرة وفي وضع المظهر موضع
المضمر دلالة على ان ظلمهم اي كفرهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في النجاة منهم
فالخوف كل الخوف من الاسباب ظاهرا ومن مسبب الاسباب تحقيقا وزعم كثير منهم ان المراد بالظالمين
المذنبون من اهل الايمان منهم الزمخشري والقاضي البيضاوي فقال الزمخشري اللام فيه
اشارة الى من تدخل النار يعني انها للعهد واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها
ولا يخفى ما فيه من الفساد حيث انكر الشفاعة وخرق اجماع اهل الحق على ان الاية انما تدل على نفي
الناصر فقط ونفيه لا يدل على نفي الشفيع ولهذا لم يكن بينهما كما في قوله تعالى لا تنفعها شفاعة ولا
هم ينصرون تكرارا فان النصرة دفع بطريق القهر والغلبة والشفاعة بطريق المسئلة فلا يلزم
من نفي النصرة نفيها وانصار جمع ناصر كالاطهار في جمع طاهر وما قيل ان فاعلا لا يجمع على افعال فهو ضعيف
لا يلتفت اليه لانه قال به من لا ريب في كونه ثقة في العربية ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للا[يمان]
قد شاع مثل قولنا سمعت رجلا يقول فالمحققون على ان يقول حال او بدل او بيان بتاويل المصدر
اي سمعت قول رجل قايلا كذا او قوله كذا وزعم بعضهم انه سمع وقال المصنفان اوقع فعل السماع على الرجل
وحذف المسموع لوصفه بما يسمع او جعله حالا عنه فاستغنى به عن ذكر المسموع ولولا الوصف او الحال
لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي
تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه واظهار لفضله اذ لا منادي افضل واعظم من مناد
ينادي للايمان ونظيره قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك المنادي هو الرسول عليه السلام
ادعوا الى الله تعالى ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القران والنداء والدعاء والندب والهداية
يعدى باللام والى لان معنى الاختصاص والانتهاء واقعان جميعا ان امنوا بربكم فامنا ان مفسرة
بمعنى اي او مصدرية بحذف الباء اي بان امنوا والمعنى ينادي للايمان بطلب الايمان فان معنى ان امنوا
بلفظ الامر طلب الايمان في زمانه كما ان امنوا بلفظ الماضي حصول الايمان في زمانه وان يؤمنوا بلفظ
المستقبل حصول الايمان في المستقبل وفيه تنبيه على انه لو اريد مجرد معنى المصدر لم يكن فايدة لتكرار
لفظ الايمان حيث قيل ينادي للايمان بالايمان فوجب ان يحمل على طلب الايمان ربنا فاغفر لنا ذنوبنا

ثاني مفعوليه

كبايرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سياتنا صغايرنا فانها مستقبحة لكنها مكفرة عن مجتنب الكباير
ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين
في زمرتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب وفيه رد لما قيل ان جمع فاعل على
افعال لم يثبت على ما لا يخفى على الملهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك يجوز ان يكون على متعلقا بالوعد
اي ما وعدتنا على تصديق رسلك ولا يخفى ان ذكر المنادي وهو الرسول وقوله امنا اي صدقنا
يدلان على هذا المقدر المضاف وان يكون متعلقا بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك
لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل معناه على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل
النصرة على الاعدا وقرا الاعمش وابن عمرو رسلك بسكون السين ولا تخزنا يوم القيمة ولا تهنا
يوم القيمة ومن ادعيته عليه السلام اللهم لا تخزنا يوم القيمة ولا تفضحنا يوم اللقا ولا تخزني يوم
الباس فان من اخزيته يوم الناس فقد اخزيته وقيل قوله تعالى ولا تخزنا يوم القيمة اشارة الى
قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبوا فانه ربما ظن الانسان انه على الاعتقاد الحق والعمل الصالح
ثم يظهر له يوم القيمة ان اعتقاده ضلال وعمله ذنب فهناك تحصل له الخجلة والحسرة الكاملة والالم
الشديد وذلك هو العذاب الروحاني فاول مطالبتهم دفع العذاب الجسماني واخرها دفع
العذاب الروحاني انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة دعايه وانما استحال الخلف
منه في ذلك لانه نقص مناف للالوهية وكمال الغنى وعن ابن عباس الميعاد البعث بعد الموت
واعلم ان قدر كل ما وعده الله تعالى قطعي الوقوع لان الله لا يخلف الميعاد فالمقصود من الدعا
رد القدر كما صرح به النبي عليه السلام قال لا يرد القدر الا الدعا الحديث وعنه عليه السلام
ان الدعا ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعا رواه ابن عمر ودفع الغضب لقوله
عليه السلام ان الله يغضب على من لا يساله ولا يفعل ذلك احد غيره وقوله عليه السلام من لم يسال الله
يغضب عليه فاذا رد الله تعالى عن عبد ما قدر من السوء ودفع عنه غضبه حصل له الفوز بجميع
السعادات الدنيويه والاخرويه وعند ذلك يصير عبدا موفقا لكل خير منجا من خزي
الدارين مندرجا في المصطفين وهو اجل المراتب واعلاها وذلك نتيجة الدعا فقل اي عبادة
اعظم منه واي عمل افضل منه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شي اكرم على
الله من الدعا وعنه عليه السلام من اعطي الدعا لم يحرم الاجابة فاستجاب لهم ربهم اي طلبتهم
وهو ابلغ من اجاب لزيادة بنائه وقيل هما بمعنى وقيل هو اخص من اجاب لان الاجابة نوعان
قد تكون بالمراد وقد لا تكون بخلاف الاستجابة فانها اجابة لا غير ويعدى باللام وهو الشايع و[بنفسه]
كقوله عليه السلام اسالك ان تستجيب دعوتي فاني مضطر ومنه قول كعب الغنوي وداع دعانا

سف

عن المراد

من يجيب الى الندي • فلم يستجبه عند ذاك مجيب • وقيل البيت على حذف المضاف اي لم
يستجب دعاءه اليه • اني لا اضيع عمل عامل منكم وفي الاستجابة واضافة رب الي هم ووقوع الفعل في
سياق النفي وتنكير عامل دلالة قاطعة على ان كلا من جنسهم اذا دعا باسمائه واثنى عليه بصفاته لم يحرمه
الاجابة بل لا بد ان يجيبه ويعطيه مراده معجلا ومؤجلا فان في ترك الاجابة رجوع العلة اليه لا الى
العبد وهو متعال عن ذلك علوا كبيرا ولذلك قال عليه السلام من اعطي الدعا لم يحرم الاجابة ويشهد
بذلك قوله عليه السلام اذا احب الله تعالى عبدا صب عليه البلا صبا وسحه عليه سحا فاذا دعا قالت
الملائكة صوت معروف وقال جبريل يا رب عبدك فلان اقض له حاجته فيقول الله دعوا عبدي
فاني احب ان اسمع صوته فاذا قال يا رب قال لبيك عبدي وسعديك لا تدعوني الا استجيب لك ولا
تسالني شيا الا اعطيتك اما ان اعجل لك ما سالت واما ان ادخر لك عندي افضل منه واما ان ادفع
عنك البلا ما هو اعظم من ذلك قري اني بالكسر على ارادة القول وبالفتح على حذف البا وقري لا اضيع
بالتشديد من ذكر او انثى بيان عامل على ان المراد به الشخص لعامل ليشملهما • بعضكم من بعض لان الذكر
من الانثى ولانهما من اصل واحد ولفظ الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهذه
جملة معترضة بين بها شركة النسا مع الرجال فيما وعد للعاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله
اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النسا فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لاعمال العاملين منهم وما اعد
لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهو المهاجرة
عن الشرك والوطن والعشيرة وتحمل مشاق الجلاء من ديارهم وتحمل الاذى في سبيل الله والقتال في اعلاء
كلمة الله واعزاز دينه • واخرجوا من ديارهم اي واضطروا الى الخروج من اوطانهم بما سامهم المشركون من
الخسف وذلك لان المشركين لم يكن لهم اخراج بالابتداء وظلم اضطرهم الى الخروج • واوذوا في سبيلي
اي لاجل سبيلي وسببه يعني سبيل الدين وبه فسر قولهم جاهد وا في سبيل وبه بعث فلان في سبيل الله وقاتلوا
وغزوا الكفار وقتلوا واستشهدوا وقرا حمزة والكساي بالعكس اي قتلوا وقاتلوا لان الواو لا توجب
ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يهنوا ولم يضعفوا والباقون
قاتلوا وقتلوا الا ان ابن كثير وابن عامر قرا قتلوا بالتشديد للتكثير وقري وقتلوا وقتلوا على بنا
الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنايهما للفاعل وقوله لاكفرن عنهم سياتهم لا محونها
ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار تفصيل للثواب واخبار على سبيل القسم بمحو السيات وادخال الجنات
وعظم الثواب من الله الجامع لصفات الكمال ثوابا من عند الله في موقع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او
تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم ولما كان الله اسما للذات الجامع
لصفات الكمال على وجه الكمال كان ذكره في معرض الوعد منبيا عن غاية الكرم والرضا والرحمة ونهاية

الثواب

الثواب وفي معرض الوعيد عن غاية السخط والانتقام ونهاية العذاب وفي الخبر ان ثواب اهل الجنة وعقاب
اهل النار مما لا يدرك غايته • والله عنده حسن الثواب • ليس معناه ان الثواب بحضرته وبالقرب منه على ما هو
حقيقة لفظ عند بل مثل كونه بقدرته وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال الشي يكون بحضرة احد لا
عليه لغيره ان يختص بقدرته وفضله فالاختصاص مستفاد من هذا التمثيل حتى لو جعل حسن الثواب
فاعل عنده لا مبتدا مؤخرا عنه كان الاختصاص بحاله وهذا اعني قوله الذين يذكرون الله الى قوله حسن
الثواب تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع واعلام باسباب الاجابة والاثابة وهي الايمان
المعتد به المنضم بالاعمال فان الاستجابة مترتبة على ايمانهم وذكر اعمالهم وافكارهم واستغفارهم عن الذنوب
والاعمال السنية من المهاجرة وتحمل المشاق في دين الله والجهاد اسباب لادخال الجنة وحسن الاثابة لكن
في ترتيب سوال الوقاية من العذاب على الاذكار والاعمال والافكار وسوال الثواب والنجاة على وعده
والتصريح باسناد ادخال الجنة الى ذاته والتكرير ان الثواب من عنده رمز الى ان الاعمال وسايل عادية الاسباب
حقيقية وان له يعذب مع الاعمال ويثيب مع الاخلال لان الكل من عنده والفضل بيده يؤتيه من يشا
فينبغي ان يخاف مع الطاعة عذابه فوق ما يرجى مع المعصية ثوابه وتكرير ربنا من الابتهال وعن جعفر
الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الاية وبعضده
قوله عليه السلام اذا قال العبد يا رب يا رب قال الله لبيك عبدي سل تعط وعن الحسن وحكى الله عنهم
انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعا وما يستجاب به فلا بد من
تقديمه بين يدي الدعا ومراده برفع الدعا العمل الصالح ماخوذ من قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه لا يغرنك
تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته او تنبيه على ما كان عليه لقوله ولا
تطع المكذبين او لكل احد اي لا تنظر الى ما الكفار عليه من الحظ وسعة الرزق والمضطرب ولا تغتر
بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم وعن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود
وروي ان بعض المومنين يرون المشركين في خصب ورخاء ولين عيش فيقول ان اعدا الله فيما نرى من
الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فانزل الله لا يغرنك تقلب الذين كفروا الاية والنهي في الظاهر للتقلب
والمعنى للمخاطب على تنزيل السبب منزلة المسبب فان السبب غير التقلب والمسبب الاغترار بالتقلب
فورد النهي عن الاول واريد النهي عن الثاني وهو الاغترار مجازا او كناية ورتبه السبب تقلبهم والمسبب الغرور به
فمنع السبب ليمتنع المسبب وقري لا يغرنك بالنون للخفيفة متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك
التقلب في البلاد متاع قليل لقلته في جنب ما فاتهم من نعيم الاخرة او في جنب ما اعد الله للمومنين او
بالنظر الى نفسه لزواله وكل زايل قليل قال النبي عليه السلام ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه
في اليم فلينظر بم يرجع • ثم ماويهم جهنم وبيس المهاد وبيس ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات

تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله • النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة
وانتصابه على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيها الظرف اعني لهم ويجوز ان يكون جنات مبتدا
والظرف خبرا مقدما فيكون حالا من الضمير فيه وقيل انه مصدر مؤكد لمضمون جملة لهم جنات كانه قيل
رزقا او عطاء وهذا لا يكون الا اسما لما يعد للنازل بل مصدر بمعنى اعطا به وانشد وقيل التقدير انزلوها
نزلا وقرا ابو جعفر لكن والحسن نزلا بكون النون • وما عند الله لكثرته ودوامه • خير للابرار مما
يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وماله الى الغنية والعذاب لنفنتهم فيه ورزق ربك خير
وابقى وقرا مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرا يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد •
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في عبد الله بن سلام واشياعه من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين
من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي
ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطيه بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر
سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط
وليس على دينه فنزلت وفيه دلالة على انه كان عالما ولما دخلت اللام على اسم ان الفصل الظرف بينهما
كقوله وان منكم لمن ليبطئن • وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله
حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون حال اخرى بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون
من احبارهم وقرا اليماني وما انزل اليكم وما انزل اليهم • اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي ما يختص بهم من الاجر
وهو ما وعد في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته واختصاص الاجر حاصل
من اضافته اولئك مبتدا واجرهم مبتدا ثان خبره الظرف وعند ربهم حال من اجرهم او من الضمير في الظرف
والجملة خبر اولئك مع خبره مستانفة او اجرهم فاعل الظرف لانه معتمد على المبتدا ان الله سريع الحساب
لنفوذ علمه في كل شي واستغنائه عن التامل فيوفي الاجور كل عامل على ما ينبغي فبادروا الايمان به وبجميع
ما انزله وصف نفسه بسرعة الحساب دلالة على ان الاجر الموعود سريع الوصول لان سرعة الحساب
يستدعي سرعة الجزاء • يا ايها الذين امنوا اصبروا على ما كلفتم من التكاليف وما يصيبكم من الشدايد
وصابروا وغالبوا اعداء الله بالصبر على شدايد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا واعدى عدوكم في الصبر
على مخالفة الهوى والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الامر بالصبر تخصيصا لشدته وصعوبته فيكون افضل
من الصبر على ما سواه فعطفه عليه كعطف جبريل على الملايكة تنبيها على فضله حتى كانه ليس من جنسهم •
ورابطوا رابط الجيش اقام في الثغر بازاء العدو مرابطة ورباطا اي واقيموا في الثغور رابطين خيولكم
فيها مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقيل رابطوا ابدانكم

وخيولكم

وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو او انفسكم على الطاعات كما قال عليه السلام من الرباط انتظار
الصلوة بعد الصلاة وعن ابن عباس قال النبي عليه السلام الثغور كنانة الله واهلها سهام الله عز وجل
الامن رابط في سبيل الله فواق ناقة لبعده الله من النار سبعين سنة وعنه عليه السلام من رابط يوما
وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل الا لحاجة عدل الشي بالكسر مثله
من جنسه وبالفتح مثله من غير جنسه وقال الزجاج اصبروا على دينكم وصابروا على عدوكم ورابطوا اي
اقيموا على جهاده بالحرب واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الجهاد وغيره
لعلكم تفلحون • اي افعلوا هذه الخصال كلها وانتم راجعون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين له ولا
متكلون على اعمالكم او ارابتكم ما فيها من الاجر العظيم الذي لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه لعلكم
تعلمون عمل اهل الفلاح في المحافظة عليها والعمل بها وعن النبي عليه السلام اصبروا على صلوات الخمس وصابروا
على قتال عدوكم بالسيف ورابطوا في سبيل الله لعلكم تفلحون والفلاح في الاصل الفوز بالمطلوب ومداره
التركيب على الشق والقطع وقيل واتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبايح
لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس
في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة
والحقيقة وقوله واتقوا القبايح لا يخلو عن قلة تامل وسوء وضع حيث وضع لفظ القبايح موضع
لفظ الله ولو قال اتقوا معاصي الله او عقابه وما اشبه ذلك لكان مصيبا عن رسول الله عليه السلام
من قرا سورة آل عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرا سورة التي يذكر
فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملايكته حتى تحجب الشمس اللهم وفقنا للعمل بما تحب وترضى
وزينا بلباس التقوى بحق نبينا محمد المصطفى واله وصحبه مصابيح الدجى

سورة النسا مدنية وهي مائة وخمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس ابيكم ادم وقرا
ابن ابي عبلة من نفس واحد بغير تاء وخلق منها زوجها وهي حوا خلقها من جسد ادم من ضلع من اضلاعه
او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا والظاهر انه عطف على خلقكم على ان الخطاب في يا ايها
الذين بعث اليهم رسول الله لانهم المامورون بالاتقاء حقيقة بل روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه لاهل
مكة او للعرب خاصة اي خلقكم من نفس واحدة ادم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها
امكم حوا اما اهل مكة فلانهم كانوا مشركين متكبرين قاطعين للرحم اكلين مال اليتيم فزجرهم الله عن
الشرك بقوله اتقوا ربكم واتقوا الله وعن الكبر بقوله خلقكم من نفس واحدة وعن قطع الرحم بقوله
والارحام وعن اكل مال اليتيم بقوله واتوا اليتامى اموالهم واما العرب فلقوله تعالى واتقوا الله الذي

تسالون به والارحام لان الحالف بالرحم طريقة خاصة او عطف على محذوف يدل
عليه المعنى ولفظ الخلق قبله ولعل كانه قيل خلقكم اي شعبكم من نفس واحدة خلقها وخلق منها
زوجها وهو تقرير لخلقكم وتفريعهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ونشر منهما نوعي
جنس الانس الذكور والاناث والمقصود من هذا الوصف بيان كيفية خلقهم وتفريعهم منها وتفصيل
ما اجمل والامر الخلق فعلى هذا يكون المراد بالناس بني ادم كلهم وغلب الحاضر على الماضي والاتي في امر الاتقا
سيما الماضي لانه لا يمكن امر من مضى بالاتقا اصلا واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النسا لان
المراد به اخراج الذرية من نسل ادم قبل حوا او قيل هو عطف على واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدة
وشفعها الله بزوج ثم خلقه ايام من ازدوجة واحدة على التفصيل الذي ذكره وترتيب الامر بالتقوى على
هذه القصة دلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها
فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط في القيام بشكرها ويجوز ان يراد بالتقوى ما يتعلق بحفظ الحقوق
بينهم كانه قيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا متواصلة مفرعة عن اصل واحد في
الاخلال بما يجب على بعضكم لبعض من حفظ الحقوق فيما بينكم في اقطوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذه
المعنى مطابق لمعاني السورة من حفظه صلة الارحام وحال الايتام ونحو ذلك بالخصوص بخلاف المعنى
المتقدم فانه انما يطابقها العموم فان تقوى الله باجتناب المنكرات يشمل حفظ ما بين الناس من
الحقوق فيتعلق بالحقوق فيكون عاما وعلى هذا يتعلق بحقوقهم فقط فيكون خاصا وقرئ وخالق
منها زوجها وباث اي على تقدير اراد التقوى ما يتعلق بحفظ حقوق الناس منهما على حذف مبتدا تقديره
وهو خالق لان المعطوف على الصلة انما يكون جملة واتقوا الله الذي تسالون به والارحام اي يسال
بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله وبالصلة واصله تتسالون فادغمت التا الثانية في السين وقرا
الحسن تتسالون بالتا وتشديد السين وحذف الهمزة وقرا ابو عمرو في رواية خارجة يسالون بالبا
وسكون السين والهمزة وقرئ تسالون مهموزا وغير مهموز او قرئ والارحام بالنصب عطفا على الله
اي واتقوا الله والارحام او على الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا ويعضده قراة عبد الله
تسالون به وبالارحام وبالرفع على انه مبتدا خبره محذوف تقديره والارحام لذلك اي مما يتقى
او يتسال به وبالجر وهو في حرف حمزة عطفا على الضمير المجرور في به باعادة الجار تقديرا كما في قوله
فاذهب فما بك والايام من عجب وقوله فطرب ما فيها غيره وفرسه او على ان الارحام مقسم بها مجرورة
بواو القسم تعظيما لشانها حثا على صلتها مع التنبيه على انها مما يقسم به ورد بان قسم السوال لا يكون
بالواو واجيب بانه ليس بقسم سوال بل قسم اخبار واستيناف كانه قيل والارحام انه مطلع على
ما تفعلون وبالجملة فهي قراة ثابتة صحيحة قراها الاعمش والنخعي وغيرهم فانكارها كما نقل عن

نحاة البصرة ليس بسديد على ان العطف على الها المجرورة من غير تقدير تكرير الجار جائز عند الكوفيين
ولو سلم فهو عطف على الضمير المجرور باعادة الجار لان الاعادة اعم من ان يكون تحقيقا او تقديرا وايضا
على تقدير كون الواو للقسم دون لم يبق خلاف في صحته والمعنى انهم كانوا يتناشدون به
واتقوا الارحام فلا تقطعوها وهو معنى قراة النصب واحد تقدير الرفع يقرون بان لهم خالقا
ويتسالون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الله الذي يتعاطفون باذكاره
واذكار الرحم وهو معنى قراة الجر ولحد تقدير الرفع وقد نبه تعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها
بمكان منه وقد ورد في ذلك ايات واخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش
يقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وعن ابن عباس الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها
الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وهو معنى قول الحسن اذا سالك بالله فاعطه
واذا سالك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند العرش وقال عليه السلام من احب ان يبسط له في رزقه
وينسا له في اثره فليصل رحمه وعنه عليه السلام لا يدخل الجنة قاطع وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام
تخيروا لنطفكم وانجبوا المناكح وعليكم بذوات الاوراك فانهن انجب فقال يقول عليه السلام لاولادكم
وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع قوله واتقوا الله الذي تسالون به والارحام واول صلته ان يختار
له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه
موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا يمنعكم من المعاصي فيما امركم
به ونهاكم عنه بما انزل عليكم من الكتاب والرسل اليكم من الرسول ونصب لكم من الدليل والجمهور على ان الرقيب
كالحفيظ وقيل هو اخص من الحفيظ لان الرقيب هو الذي يراعي الشيء بحيث لا يغفل عنه اصلا ويلاحظه
ملاحظة دايمة لازمة لزوما لو عرف الممنوع من ذلك الشيء لما اقدم فكانه يرجع الى العلم والحفظ ولكن باعتبار
اللزوم وبالاضافة الى ممنوع عنه محروس عن التناول وقيل الرقيب الحاضر الذي لا يغيب وقيل الذي
يعلم ويرى ولا يخفى عليه السر والنجوى وقيل الذي سبق علمه جميع المحدثات وتقدمت رؤيته
جميع المكونات وقيل المطلع على الضماير والشاهد على السراير وحكي ان ابن عمر رضي الله عنه مر بغلام يرعى
غنما فقال له بع منا شاة فقال انها ليست لي فقال ابن عمر قل لمالكها ان الذيب اخذ واحدة فقال الغلام
فاين الله فاشتراه ابن عمر فاعتقه واشترى تلك الغنم ووهبها له وكان ابن عمر يقول بعد ذلك في كل
ساعة فاين الله وآتوا اليتامى اموالهم اذا بلغوا واليتامى جمع يتمى وهو جمع يتيم كما جمع اسير على اسرى ثم على
اسارى بالفتح واليتيم من مات ابوه فانفرد عنه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وفي المغرب
اليتم في الناس من قبل الاب وفي البهايم من قبل الام او جمع يتيم كافيل واقايل والاصل يتايم فقلب بان قدم
الميم على اليا وجمع فعيل على فعايل في الصفات قليل لكن اجري اليتيم مجرى الاسما كصاحب وفارس ولهذا

فلما ذكرهما الموصوف والاستشاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لتحقق معنى الانفراد لكن العرف
خصصه بمن لم يبلغ والاية تحتمل كليهما لكن اذا اريد باليتامى الصغار كان ايتاؤهم اموالهم مجازا عن حفظها
سالمة لهم وان اريد الكبار فتسميتهم يتامى اما حقيقة لغوية لا عرفية او مجازا باعتبار ما كان او لقرب
عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ان اونس
منهم الرشد ويعضده ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه
فترافعا الى النبي عليه السلام فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير
فدفع ماله اليه فقال عليه السلام من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض
الغلام الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال عليه السلام ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد
عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على
والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح
لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوا اما لهم مكانه او ولا تستبدلوا الامر الخبيث
وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز
منه التعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستيخار وقيل هو ان يعطي رديا وياخذ جيدا وعن السدي
ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة قالوا وهذا تبديل وليس بتبدل لان معنى تبدلت هذا بذاك انك
اخذت هذا وتركت ذاك وكذا استبدلت ومعنى بدلت هذا بذاك انك اخذت ذاك واعطيت
هذا فاذا اعطى الردي او المهزولة واخذ الجيد السمينة كان هذا اعطاء الخبيث واخذ الطيب
لا اخذ الخبيث وترك الطيب ليكون تبدل الخبيث بالطيب هذا اذا اعتبر الاخذ والاعطاء من الولي بالنظر
الى حال الصبي كما قاله البغوي عن ابن المسيب والنخعي والزهري والسدي واما لو اعتبر منه بالنظر الى
حال الصبي فهو كلام الاشتباه فيه فان الولي اذا جعل مهزولة من ماله مكان سمينة من مال الصبي فقد اخذ
للصبي الخبيث الردي واعطى الطيب الجيد فيكون تبديلا وانما يكون تبدلا لو نظر بالنظر الى حاله حيث
اعطى الخبيث واخذ الطيب وقرا ابن محيصن ولا تبدلوا بادغام التاء في التاء ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا
تنفقوا اموالهم مع اموالكم وظاهره النهي عن اكلها معها وحقيقته النهي عن ضمها اليها في الانفاق وعدم
الفرق بينهما كانه قيل ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بينهما كانه قيل ولا تضموها اليها في الانفاق
حتى لا تفرقوا بينهما او ولا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر
اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف وفي التقييد بالمعية تنبيه على غاية قبح فعلهم حيث كانوا ياكلون
اموال اليتامى مع انهم كانوا مستغنين عنها بما رزقهم الله من مال حلال ولم يميزوا بينهما وبينهما كما
هو حال الانعام فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم وقيل الى متعلق بمحذوف هو في موضع الحال اي

مضافة

اي مضافة الى اموالكم وقيل هو مفعول به على المعنى انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا الحوب والحوب والحوبة
الذنب ومنه قوله عليه السلام توبا توبا لا يغادر حوبا علينا وقيل الحوب الذنب العظيم ومنه قوله
ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا فان قيل قد تحقق ان العظيم فوق الكبير فاي
فائدة في وصفه بل كيف يصح ذلك اجيب بان ذلك حيث افرد كل والعظيم هينا في ضمن الحوب والكبير مراد
الكبير في العظيم والصواب ان يقال ان الفرق بينهما تكلف لقوله تعالى في نبينا عليه السلام وكان فضل الله عليك
عظيما وفي موضع اخر ان فضله كان عليك كبيرا وقرا الحسن حوبا بالفتح وهو مصدر حاب حوبا وقرئ
حابا وهو مصدر ايضا كقال قولا وقالا ومنه الطرد والطرد وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل في حقوق
النساء فلا تكثروهن واثروا التقليل بان لا تتجاوزوا عدد الاربع لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من
الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء
فيتزوجون العشر من الازواج والثماني والست فربما يقع الجور في حقهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من
ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا ايضا فانكحوا ما حل
لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها عن
غيره فربما يجتمع عنده منهن عشر فيخاف لضعفهن في فقد من يغضب لهن ان يظلم حقوقهن ويفرط
فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث
اليتامى كالذكور وهي جمع يتيمة على القلب والاصل يتائم ونظيرها ايامى فانها يقال للذكور والاناث
ممن لا زوج له وهو جمع على القلب لان الاصل ايائم جمع ايم فيعل من آم الرجل وآمت المرأة اذا لم يتزوجا بكرين
كانا او ثيبين وقوله ما طاب لكم اي ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في اية التحريم وعبر
عنهن بما مع اختصاصه وغلبته في غير العاقل اجراء لهن مجرى العقلاء ومنه او ما ملكت ايمانكم اوذهابا
الى الصفة والمعنى فانكحوا الموصوفة باي صفة اردتم من البكر والشابة والجميلة الى غير ذلك من الاوصاف
وقرا النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يعني وان خفتم ان تجوروا وقرا ابن ابي عبلة
من طاب لكم مثنى وثلث ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلثة ثلثة واربعة
اربعة ومنعت الصرف للعدل والصفة الاصلية وعليه الجمهور وقال ابن السراج لما فيها من العدلين لفظا
ومعنويا لان مثنى معدول عن لفظ اثنين وعن معناه وهو الاثنين مرة واحدة الى معنى اثنين اثنين
وذهب الكوفيون الى انها منعت الصرف للعدل والتعريف كما في عمر اذ لا يدخلها اللام وانها انما جريت على
النكرة محمولة على البدل ومن قال انها نكرات يعرفن بلام التعريف فلا بد له من مستشهد في استعماله معرفة
باللام وهي في موضع الحال من طاب لا من النساء لان المراد تقييد نكاح ما طاب بكونه معدودات هذا

العدد فكانه قيل فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا
اربعا ولو جعلت من للبيان دون التبعيض ثم يبعد ان تكون حالا من النسا لكن الظاهر هو التبعيض
وقيل هو منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان يكون ما شا من العدد المذكو ره
متفقين فيه ومختلفين لقولك اقتسموا هذا المال درهما درهما وثلثة واربعة لم يكن له معنى ولم يصح جعل
درهما حالا من المال الذي هو الف درهم ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد وقيل هو بدل من
ما طاب وذهب بعض الجهلة بمعاني الكلام الى جواز التسع مستدلا بان الواو للجمع فيجوز اثنتان والثلث
والاربع وهو تسع وهذا باطل من وجوه اما الاول فلان من نكح الخمس او ما فوقها لم يحافظ على القيد المذكور
وهو كون النكاح على هذا التعديد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا بل جاوز الى خماس وسداس
واما ثانيا فلان الاجماع قد وقع على ان احدا من الامة لا يجوز له ان يزيد على اربع نسوة وان الزيادة
من خصايص النبي عليه السلام لا مشاركة من الامة معه فيها واما ثالثا فلانه قد روي ابن عمر ان غيلان بن سلمة
الثقفي اسلم وعنده عشر نسوة فلما نزلت هذه الاية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق اربعا وامسك
اربعا قال فجعلت اقول للمراة التي لم تلد مني يا فلانة ادبري والتي قد ولدت يا فلانة اقبلي وقرا ابن وثاب
والنخعي وابن ابي عبلة وثلث وربع بغير الف فيهما فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم
ترك العدل فيما فوقها فواحدة فانكحوا واحدة اي فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية فان الخير كله في
العدل فانما وجد ثم العدل فعليكم به وقرى بالرفع على انه فاعل محذوف او خبر كانه قيل فكفت واحدة او فا
لمقنع واحدة او فحسبكم فواحدة او ما ملكت ايمانكم سوي في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري
من غير حصر ولا توقيت عدد لانهن اخف مؤنة من المهاير واقل تبعة واقصر شعبا ولعدم وجوب القسم
بينهن وقرا ابن ابي عبلة من ملكت ذلك اشارة الى التقليل او اختيار الواحد او السري ادنى ان لا تعولوا
اقرب ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وليس من عال يعول اذا احتاج وسال كما يتبادر الى الوهم
وفي المغرب عال الحاكم مال وجار اي ظلم ومنه ذلك ادنى ان لا تعولوا وعال الميزان مال وارتفع ومنه
عالت الفريضة عولا وهو ان ترتفع السهام وتزيد فيدخل النقصان على اهلها كانها مالت عليهم
فنقصتهم وقد روت عايشة رضي الله عنها الا تعولوا الا تجوروا وفسر بعضهم بان لا يكثر عيالكم على انه من
عال الرجل عياله يعولهم اذا انفق فعبر عن كثرة العيال بكثرة النفقة على الكناية فان كثرة العيال يستلزم
كثرة الانفاق عليهم فذكر اللازم واريد الملزوم وهذا التفسير منقول عن زيد بن اسلم وهو تابعي وبعضد
قراة طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد
فلان التسري مظنة قلة الولد بالنسبة الى التزوج لجواز العزل عنه كتزوج الواحدة بالنسبة الى التزوج
الاربع وفسر المجاهد بالا تضلوا وقرا الفرا الا تجاوزوا ما فرض الله عليكم واصل العول المجاوزة ومنه عول

الفرائض

الفرايض وآتوا النساء صدقاتهن اي اعطوهن مهورهن وعنه عليه السلام احق الشروط ان توفوا به
ما استحللتم به الفروج وقري صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن
بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقري بضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة
في ظلمة نحلة النحلة والنحل والنحلى العطية من نحله كذا اذا اعطاه اياه بطيبة من نفسه من غير عوض
ومنه حديث ابي بكر رضي الله انه نحل عايشة رضي الله عنها جداد عشرين وسقا ومن فسرها بالفريضة
ونحوها نظر الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتا بمعنى
الاعطا كانه قيل وانحلوا النسا صدقاتهن نحلة اي اعطوا مهورهن بطيبة انفسكم او على الحال من الفاعل
اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من المفعول الثاني اي منحولة معطاة بطيبة
الانفس وقيل المعنى نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات
وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انها مفعول لها او حال من الصدقات اي دينا من الله
شرعه وفرضه وذهب بعض المفسرين الى ان الخطاب للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا
يقولون هنيا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه وقال
الحضرمي كان اولياء النساء يعطي هذا اخته على ان يعطيه الاخر اخته ولا مهر بينهما فنهوا عن ذلك
وامروا بتسمية المهر في العقد وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار وهو ان يزوج الرجل
بنته والرجل ان يزوج الرجل بنته وليس بينهما وفي المغرب الشغار ان يشاغر الرجل الرجل وهو ان
يزوجه حريمته على ان يزوجه الاخر ولا مهر الا هذا ووصف الاخرون الى ان الخطاب للازواج امروا
بايتاء نسائهم الصداق وهذا اصح لان الخطاب في اللاحق مع الناكحين فان طبن لكم عن شي منه نفسا

السابق صح

الضمير في منه للصداق حملا على المعنى فان الصداق في معنى الصدقات بدليل انك لو قلت وآتوا النسا
صدقاتهن لم يخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين من حيث انه ذكر الضمير نظرا الى
وقوع صدقاتهن موقع صداقهن كما جزم المعطوف نظرا الى وقوع فاصدق موقع المجزوم اذا قيل لولا
اخرتني الى اجل قريب اصدق بالجزم لكونه في المعنى جواب التمني المستفاد من التخصيص في الماضي
وقيل الافراد هو الاصل باعتبار ان المراد وآتوا كل واحدة من النسا صداقها وهذا صحيح لكنه مخالف لوجه
وجيه ذكرناه وهو ان الصدقات في معنى الصدقات او يجري مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شي من
ذلك لقوله تعالى قل اونبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومنه قول روبة كانه في الجلد توليع البهق
اراد كان ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد فان الواحد دال على الجنس والمعنى
فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من
شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فجعل العمدة طيب النفس مبالغة فكلوه هنيئا مريئا فانفقوه حلالا بلا تبعة

قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن ابن عمر كتب الى قضاته ان النسا يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فلها ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي عليه السلام سيل عن هذه الاية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يواخذكم الله به في الاخرة وروي ان ناسا كانوا ياثمون ان يرجع احدهم في شي مما ساق الى امراته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيا وفي الاية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعي هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شي منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقيم في بيت زوجها سنة والهني والمري صفتان من هنو الطعام ومرو اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما كانه قيل هنا مرا او وصف بهما المصدر المحذوف اي اكلا هنيا مريا او جعلتا حالا من الضمير اي كلوه وهو هني مري وقيل الهني ما يلذه الاكل والمري ما يحمد عاقبته وقيل ما يساغ في مجراه وقيل المدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المري لمرو الطعام فيه وهو انسياغه وهذه اعني هنيا مريا عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة وقد يوقف على فكلوه ويبتدا هنيا مريا عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة وقد يوقف على فكلوه ويبتدا هنيا مريا على الدعا او على الوجه الاول وقرا الحسن والزهري هنيا مريا • ولا تؤتوا السفها اموالكم نهي للازواج عن ان يوتوا النسا اللاتي لا رشد لهن اموالهم فيضيعنها وهو الملايم للايات السابقة وعليه الحسن والمجاهد والضحاك وغيرهم فقال الحسن السفها هي امراتك السفيه وابنك السفيه وقال مجاهد نهى الرجال ان يوتوا النسا اموالهم وهن سفها من كن ازواجا او بنات او امهات وقال الضحاك النسا من اسفه السفها وقال عكرمة نهى المسلم ان يعطي ماله امراته التي لا تحسن ان تحفظ وتصلحه وابنه الغر الذي لم يصبه كسب المال فيكون مضيعا القوام عيشه وعيشهم وعن ابن عباس لا تعمد الى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امراتك وبنيك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما في ايديهم ولكن امسك مالك واصلحه وكن انت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومونتهم والاوليا عن ان يوتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها فاضاف المال الى الازواج والاوليا اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المال في تصرف الاوليا وتحت ولايتهم وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤتيه اياه وانفق عليه حتى يبلغ وانما اضاف الى الاوليا لانهم قوامها ومدبروها وفيه اشعار بان الخطاب للاوليا والصواب هو الاول وهو ان الخطاب للازواج والاوليا من غير تخصيص وقال الزمخشري الخطاب للاوليا واضاف

الاموال

الاموال اليهم مع انها مال اليتامى دونهم لانه لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي مضي ما تقام به المعايش ويميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهي بهذا المعنى لا تختص بالمقامات بالتناهي كما قال ولا تقتلوا انفسكم قصدا الى جنس النفوس دون خصوصيات النفس المخاطبين وقال فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات قصدا الى جنس الايمان وجنس الاما اذ ليس المعنى على الامر بنكاحهم مملوكاتهم بل المعنى على الاذن بالنكاح والتزوج بامة الغير والدليل على ان المراد جنس المال لا تخصصه ان الله تعالى وصفه بوصف الجنس بقوله التي جعل الله لكم قياما اي سبب قيام ابدانكم وبقائها ولا شك انه وصف لا يختص بمال دون مال وفيه دلالة على انه لا يجوز ان يحمل اضا[فتها] الى الاوليا على الاضافة بادنى ملابسة قال الامام الرازي انما حسنت هذه الاضافة لاجرا الوحدة النوعية مجرى الواحد الشخصية فالمال وان كان مالهم لكنهم انتم بحسب الماهية والنوعية فيكون منسوبا اليكم كان المراد بقوله فاقتلوا انفسكم قتل غيرهم لما كان نفسه بحسب النوع كان نهيا عن قتل نفسه وكذلك ما ملكت ايمانكم غيركم وغيركم اريد به ملكت ايمان غيركم وغيركم انتم فهو مما ملكت ايمانكم فالزمخشري اعتبر النوعية في المضاف وهو الاموال والامام اعتبرها في المضاف اليه والدليل على ان الخطاب عام الايات المتقدمة من قوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا وقوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم وقوله واتوا النسا فانها كلها متعلقة باحوال الازواج والنسا والايات المتاخرة فانها متعلقة باحوال الاوليا واليتامى وقرا الحسن والاعرج اللاتي جعل الله وقري قيما بمعنى قياما اي تقومون بها وتنتعشون وقرا ابن عمر قواما وهو ما يقام به الشي ولعمري ان بها يقام الحج والجهاد واعمال البر وبها فكاك الرقاب من النار وقيل الخطاب لكل احد امر له بان لا يخرج ماله الى احد من السفها قريب او اجنبي رجل او امراة يعلم انه يضيعه فيما لا ينبغي ويفسده وهذا القول اعم من الاول فعلى هذا يكون الاضافة في اموالكم على حقيقتها والغرض النهي عن صرف المال الى من يضيعه والحث على حفظه وارزقوهم فيها واكسوهم ٥ واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه حتى لا ياكلها الانفاق وفي الاية دلالة على وجوب الاكتساب والتعرض بما فيه الربح والتوسع في المعيشة اذ في تركه الفساد كل الفساد ولذلك كان السلف يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج كان اول ما ياكل دينه وربما راوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيمة وعنه عليه السلام التاجر الامين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهدا يوم القيمة وعنه عليه السلام التاجر الفاجر في النار لانه يحدث فيكذب ويعد فيخلف وقال عليه السلام التاجر اذا كان فيه اربع خصال طاب كسبه اذا اشترى لم يذم واذا باع لم يمدح ولم يدلس في البيع ولم يحلف فيما بين ذلك التدليس اخفا العيب • وقولوا لهم قولا معروفا اي قولا لينا يطيب به [نفوسهم]

وعن عطا اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن جريج عدة جميلة ان اصلحتم
ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وقيل هو الدعا وعن ابن زيد ان لم يكن ممن يجب عليك نفقته فقل عافاك
الله وايانا وبارك الله فيك وكلما لا ينكر في الشرع والمروة فهو معروف وما هو بخلاف ذلك فهو
منكر وابتلوا اليتامي واختبروا عقولهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الي
ضبط المال وحسن التصرف والابتلا عندنا اصحابنا ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتي يتبين حاله
فيما يجي منه وعند مالك والشافعي ان يتتبع احواله وتصرفه في الاخذ ويتصبر بخايله وميله الي الدين
حتي اذا بلغوا النكاح حتي اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل ثمانية عشر سنة عند ابي حنيفة
وخمسة عشر عند صاحبيه والشافعي وبلوغ النكاح عبارة عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان
انستم منهم رشدا الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشي
والانس لظهورهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس وقيل الاستيضاح فاستعير للتبين
اي علم الشي بينا اذ الرشد مما يعلم ولا يبصر وهي استعارة محسوس لمعقول ان اريد بالايناس الحالة المخصوصة
المحسوسة وان اريد معني الابصار وهو المعرفة البينة اي الادراك فهي استعارة معقول لمعقول
لكن يستعقب تشبيه الرشد المعقول بالشي المحسوس والرشد التهدي الي التصرفات المالية عند
ابي حنيفة والصلاح والمال عند مالك والشافعي لان الفسق مفسدة للمال وعن ابن عباس الصلاح
في العقل والحفظ للمال وقري احستم بمعني احسستم قال احس به فهش اليه شوس وقرا
الحسن وابو واقد انستم بالقصر وقري رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين اي نوعا من الرشد وهو
الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة حتي لا ينتظر به تمام الرشد فادفعوا اليهم اموالهم
من غير تاخير عن حد البلوغ وقد اجمعوا علي ان الصبا ايضا من اسباب المنع كالجنون ونظم الاية ان منع
جزائية جواب اذا والجملة باسرها غاية للابتدا كانه قيل وابتلوا اليتامي الي وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وفيه تنبيه علي ان في حتي الابتدائية ايضا معني الغاية حالي
وان اذا الشرطية هي الظرفية التي بمعني الوقت وانهم قد اتفقوا علي ان الصبي اذا بلغ غير رشيد يمنع
عنه ماله ولم يسلم اليه لقوله تعالي ولا تؤتوا السفها اموالكم الي قوله فان انستم منهم رشدا اي لا تؤتوا
المبذرين اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها واضاف الاموال
الي الاوليا علي معني انها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم
او لانهم المتصرفون فيها القوامون عليها ثم علق ايتاء الاموال اياهم بايناس رشد منهم علي وجه التنكير
المفيد للتقليل حيث قال فان انستم منهم رشدا اي فان عرفتم ورايتم اهتدايا الي وجوه التصرف في المال كما
عند اصحابنا وصلاحا في الدين كما عندهما فادفعوا اليهم اموالهم فاقام ابو حنيفة السبب الظاهر للرشد

وهو

وهو ان يبلغ سن الجدية وهو خمس وعشرون سنة مقام الرشد فان هذا سن اذا بلغه المري يمكن ان
يكون جدا لان اقل مدة البلوغ اثنتا عشر سنة واقل مدة الحمل نصف سنة ففي هذا المبلغ يمكن ان يولد له
ابن ثم ضعف هذا المبلغ يولد لابنه ابن فالظاهر ان يونس منه رشد ما في سن خمس وعشرين سنة وهذا
اقل سن يمكن ان يصير المري فيه جدا فقال يدفع اليه المال بعد خمس وعشرين سنة اونس منه الرشد او لم يونس
وبما اعني صاحباه ابا يوسف ومحمد احتجا بظاهر الاية فقالا لا يدفع اليه المال ما لم يونس منه الرشد
وعنده قبل هذا السن يصح تصرفه في ماله بيعا وشرا او نحوهما وقالا لا يصح لانه لو صح لم يكن منع المال
عنه مفيدا اجيب بانه بل يفيد لان غالب تبذير السفها بالهبة فمنع المال يمنع الهبة ثم بعد خمس وعشرين
سنة يسلم اليه ماله وان لم يونس منه رشدا فان هذا السن مظنة الرشد فيدور الحكم معها تنبيه
بلوغ الصبي بالاحتلام والانزال والاحبال والصبية بالحيض والاحتلام والحبل فان لم يوجد فبتمام
ثمانية عشر سنة له وسبع عشر لها وقالا فيهما بتمام خمس عشرة وعليه الفتوى وادني له اثنا عشر حولا ولها
تسع سنين فان راهقا فقالا بلغنا صدقا وهما كالبالغ ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا
مسرفين ومبادرين كبرهم يفرطون في انفاقها ويقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامي فينزعوها
من ايدينا فهما مصدران في موقع الحال ويجوز ان يكونا مفعولا اي لاسرافكم الي الكبر والولي تارك
اخذ ماله نكانهما يستبقان ويجوز ان يكون من واحد ثم قسم الامير بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون
فقيرا بقوله ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع من اكلها والعفة الامتناع مما لا يحل ومن كان فقيرا
فلياكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف دلالة علي ان للوصي
حقا لقيامه عليها اما الاستعفاف فلانه مبالغة في العفة ولا يتحقق بمجرد الامتناع عما لا حق له فيه
اصلا واما الاكل فلانه من اسباب الانتفاع ولا يؤمر بما لم يكن له حق في مال الصبي وعن النبي عليه السلام
ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله فقال
افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت
تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباها وتسعيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب
وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابرهيم لا يلبس الكتان والحلل
ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد
منه وعن ابي العالية والشعبي ما اكل فهو دين عليه وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادي وعن ابن جبير
ان شا شرب الفضل وركب الفرس ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضا
وان اعسر فهو في حل وعن عمر اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان
افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت والكل مما يدل علي جواز الكله لكن بوجه لا يخل به اخلالا

وقيل لا يجوز اكله لقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا فان تلك الاية
من المحكم وهذه من المتشابه فيرد حكم المتشابه الى المحكم وقيل هذه منسوخة بتلك والمروي ان الاحتراز عنه
اقرب وافضل الى التقوى عف عن الحرام واستعفف وتعفف لكن استعفف ابلغ منه من جهة دلالة
السين على الطلب كانه يطلب ذلك عن نفسه ويبالغ فيه زيادة العفة عنه والكل لازم غير متعد كما توهم فاذا
دفعتم فاذا اقضيتم هذا الدين اخذتم من مالهم او اذا رددتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه
ادخل في الامانة وانفى للتهمة وابعد عن التخاصم والتجاحد الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق
مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد دوا الاستحا
من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا
ما امرتم ولا تعدوا ما حد لكم او شاهدا عليكم بالدفع والقبض قيل الحسيب الكافي يخلق للعباد في امورهم
هو من فعيل من قولهم احسبني فلان واحسبني اي اعطاني حتى قلت حسبي وقيل المحاسب باختيار المكلفين
بما فعلوا من خير وشر فعيل الى صيغة كلامه • للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد الاقربين المتوارثين من ذوي القرابات دون غيرهم
مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل وقيل حال من الضمير المحذوف في ترك اي مما تركه قليلا
او كثيرا • نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة
او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به وقيل
حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب وقيل مفعول الفعل المحذوف تقديره اوجب لهم نصيبا
روي ان اوس بن صامت الانصاري وقيل ثابت مكانه خلف زوجته ام كجة وثلث بنات فزوى
ابناء عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على عادة الجاهلية فانهم كانوا يورثون
النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما
لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم فاعطى ام كجة
الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم قيل وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب • واذا
حضر القسمة • اي قسمة التركة • اولوا القربى ممن لا يرث وفي المغرب القسمة المال من الاقتسام
واليتامى والمساكين فارزقوهم فاعطوهم شيئا من المقسوم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل
امر وجوب قال الحسن كان المسلمون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هولاء فرضخوا
اليهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تادبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان
فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر

قسم ميراث ابيه وعايشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الاية وقيل
هو منسوخ باية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها
مما تهاون به الناس وكونها محكمة قول ابن عباس والشعبي والنخعي وقتادة والزهري ويحيى بن يعمر وقولوا
لهم قولا معروفا • والقول المعروف ان يدعوا لهم ويلطفوا لهم القول ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم
وعن الحسن والنخعي ادركناهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق
والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا
قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم • وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا امر للاوصيا
بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفا(تهم)
وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة او للورثة بان
يشفقوا على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم
بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الامثلة
في الوصية وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا
فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم
شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا فلا يتركوه ان يضرهم بصرف المال عنهم ولو بما في حيزه صلة للذين
على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع
بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القايل لقد زاد الحيوة الي حبا بناتي انهن من الضعاف احاذر
ان يرين البوس بعدي وان يشربن رنقا بعد صاف وفي كلام بعض النحاة ان لو هذه بمعنى ان وفي
ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب
لاولاده وقرا الحسن والزهري وابو حيوة وليخش الذين بكسر اللام ونحوه روى عبد الوارث عن ابي
عمرو في قوله فليصمه في سورة البقرة وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى وقرا الاسود
ابن يزيد ضعفا بفتح الضاد كانه يريد ضعفى • فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا • امرهم بالتقوى
الذي هو نهاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول بدون الثاني ثم
امرهم بالقول السديد وهو ان لا يوذوا اليتامى ويكلموهم مثل ما يكلمون اولادهم بالشفقة وحسن الادب
ويدعوهم بيا بني ويا ولدي هذا اذا كان من الاوصياء واما اذا كان من الجالسين الى المريض فهو
ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول النبي عليه السلام لسعد
انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم اجمعين
يستحبون ان لا يبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم

بان يطعموا القول ويحلوه للحاضرين ويقولوا لهم عذرا جميلا ولا يذكروا الميت الا بخير • ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما • ظالمين اي على وجه الظلم او من اولياء السوء وقضاته وتبعهم • انما ياكلون في بطونهم نارا
اي ياكلون ملء بطونهم ما يجر الى النار ويؤول اليها فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث اكل مال اليتيم
يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال
اليتيم في الدنيا وعن ابي بردة قال النبي عليه السلام يبعث الله تعالى قوما من قبورهم تتاجج افواههم
نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا
قيل في بطونهم حال من نارا اي نارا كاينة في بطونهم وليس بظرف لياكلوا • وسيصلون سعيرا • وسيصلون
نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم اليا وتخفيف اللام كقوله تعالى ونصليه جهنم
وقرئ بتشديدها على التكثير كقوله ونصليه جهنم قال الجوهري يقال صليت الرجل نارا اذا ادخلته
النار وجعلته يصلاها فان القيته فيها القا كانك تريد الاحراق قلت اصليته بالالف وصليته
تصلية وقراة يصلى سعيرا بالتخفيف من صلي فلان النار بالكسر يصلى صليا اي احترق قال الله تعالى
اولى بها صليا قال العجاج لولا النار ان تصلاها والسعير من سعرت النار اذا الهبتها او من سعرت
الجحيم اذا اوقدت ايقادا شديدا ومنه المسعار والمسعر للخشب الذي تسعر به النار وفي الحديث
قال النبي عليه السلام رايت ليلة اسري بي الى السماء قوما لهم مشافر كمشافر الابل احدهما قالصة على منخريه
والاخرى على بطنه وخزنة النار يلقمونه جمر جهنم وصخرها فقلت يا جبريل من هولاء قال الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما يوصيكم الله يامركم الله ويعهد اليكم وقرا ابن ابي عبلة يوصيكم الله بتشديد
الصاد في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال وقوله • للذكر مثل حظ الانثيين في موقع التفصيل
والبيان كالمعمول باعتبار كونه في القول او الغرض والشرع اي يعد كل ذكر باثنين حيث اجتمع
صنفان فيضاعف حظه وفي الابتدا ببيان حظ الافضل ولتكون دليلا على فضلهم بطريق القصد وتفهيم
واشعار بان التضعيف كاف في الفضل فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع استوا الفريقين في الاولاد
واشتراكهما في الجهة والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف العايد اليه للعلم به كقولهم السمن منوان
بدرهم وهو عام لكنه قد خصص بقوله عليه السلام نحن معاشر الانبيا لا نورث كقوله اقتلوا المشركين
كافة فانه خصصه وقوله عليه السلام في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب وعنه عليه السلام القاتل
لا يرث وذهب الزهري والاوزاعي واحمد واسحق الى ان اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث حتى لا
يرث اليهود من النصراني ولا النصراني من المجوس لقوله عليه السلام لا يتوارث اهل ملتين شتى والاحسن
ان يقال ان هولا الكفار المعاندون والكفر كله ملة واحدة فلا يصح توريث بعضهم من بعض فالمراد بقوله
عليه السلام اهل ملتين شتى والاحسن ان يقال ان هولا الكفار الاسلام والكفر واليه ذهب المحاسبي وقد

اشتهر

اشتهر انه ورث من الله سبعين الف فلم ياخذ منه شيا لان اباه كان قدريا ونسخت الوصية للوارث
باية المواريث وقال عليه السلام اعط كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وهو من نسخ الكتاب بالكتاب لا
بالسنة كما سبق الى بعض الاوهام فان الايصا الذي فرضه الله تعالى الى العباد قد تولاه بنفسه لعلمه بجهلهم
وعجزهم عن معرفة مقاديره فصار بيان المواريث كاية الايصا وعن عطا عن ابن عباس كان الميراث للولد
والوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله تعالى ذلك بجعله للذكر مثل حظ الانثيين وللوالدين لكل واحد منهما
السدس وللمراة الثمن او الربع وللزوجة النصف او الربع وقرا ابن ابي عبلة ان للذكر بزيادة ان • فان كن نساء
اي فان كان الاولاد نسا خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار ومنه قولهم من كانت امك او بنات وقيل
المولودات • فوق اثنتين خبر ثان لكان او صفة لنسا اي نسا زايدة على اثنتين • فلهن ثلثا ما ترك
المتوفى منكم ويدل عليه المعنى • وان كانت اي المولود او البنت واحدة فلها النصف وقرا نافع واحدة
بالرفع على انه كان التامة والنصب احسن طباقا بقوله فان كن نساء واختلف في البنتين فقال ابن
عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال ساير الصحابة حكمهما حكم الجماعة وعلل
قولهم بوجوه ثلثة الاول انه قال تعالى للذكر مثل حظ الانثيين وادنى مراتب الاختلاط ابن وبنت
فلابن الثلثان بالاتفاق يعرف بهذه الاشارة ان البنتين لهما الثلثان في الجملة وليس ذلك
الا في حالة انفرادهما عن الابن فلا حاجة الى بيان حالهما بل حال ما فوقهما فلذلك قيل فان كن نساء فوق
اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للاثنتين وهو الثلثان
لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت الثاني ان البنتين امس رحما
من الاختين اللتين تحوزان الثلثين فهما اولى بذلك الثالث ان الاخت اذا كانت مع اختها
وجب لها الثلث فبالاولى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت اخرى وكذا للاخرى يجب مع
اختها مثل ما كان يجب لها لو انفردت مع اخيها فوجب لهما الثلثان • ولابويه اي ولابوي الميت لكل واحد
منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفايدة هذا البدل التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس
على ان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا السدس مما ترك ان كان له للميت ولد ذكر
او انثى من ولد الصلب او ولد الابن فان لفظ الولد يشمل الكل والقرينة تخصه باحدهما فبين قسمة
الثلث عليهما بذلك اعني بقوله لكل واحد منهما السدس دفعا لوهم ان يكون للاب ضعف ما للام
فان الحكم المعلق بالمثنى او المجموع قد يقصد تعلقه بكل فرد وقد يقصد تعلقه بالمجموع فبين بالبدل
ان القصد الى الاول والسدس مبتدا خبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان اي لبيان ان الحكم
متعلق بكل فرد لا بالمجموع وقرا الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الربع والثمن والولد
اسم للذكر والانثى لكن يختلف حكم الاب في ذلك وتحقيق المقام ان للاب احوالا ثلثا احدها الفرض المطلق

اي الخالص عن التعصيب وهو السدس وذلك مع الابن او ابن الابن وان سفل الفرض الثاني والتعصيب معًا
وذلك مع الابنة او ابنة الابن وان سفلت وذلك انه تعالى لما قال ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك
ان كان له ولد فقد نص على ان فرض الاب مع الولد هو السدس لكن اسم الولد يشمل الابن والبنت فان كان
مع الاب ابن فله فرضه اي السدس والباقي للابن لقوله عليه السلام الحقوا الفرايض باهلها فما ابقته فلا
ولي رجل ذكر واولي الرجال من العصبات هو الابن كما تقرر في موضعه وان كانت معه بنت فله سدس وللبنت
النصف بالفرض وما بقي فللاب لانه اولي ذكر من العصبات عند عدم الابن وابنه الثالث التعصيب المحض
وهذا عند عدم الولد وولد الابن وان سفل وذلك لقوله تعالى فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب
فلامه الثلث مما ترك اذ يفهم منه ان الباقي للاب وكانه قال فلهما مما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان
يكون لها معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه بعد اخراج نصيب الزوج كما قال الجمهور لا ثلث ما ترك
كما قاله ابن عباس فانه يفضي الي تفضيل الانثي علي الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع
الشرع والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين ثم الجد الصحيح كالاب عند
عدمه في ثبوت تلك الاحوال الثلث بل في جميع احكام الميراث الا في اربع مسايل اولها ان ام الاب لا ترث
معه وترث مع الجد وثانيتها ان الميت اذا ترك الابوين واحد الزوجين فللام ثلث ما بقي بعد نصيب
احد الزوجين ولو كان مكان الاب جد فللام ثلث جميع المال الا عند ابي يوسف فان لها ثلث الباقي
وثالثها ان بني الاعيان والعلات كلهم يسقطون مع الاب اجماعا ولا يسقطون مع الجد الا عند ابي حنيفة
رضي الله عنه والرابعة ان اب المعتق مع ابنه ياخذ سدس الولا عند ابي يوسف وليس للجد ذلك بل
للابن ولا فرق بينهما عند ساير الايمة اذ لا ياخذ شيئا من الولا والجد الصحيح هو الذي لا يدخل في نسبته
الي الميت ام كاب الاب وان علا وقرا ابن ابي عبلة فلامه الثلث بكسر اللام والميم المشددة المكسورة
فان كان له اخوة سوا كانوا من جهة الابوين معا او من جهة احدهما فان لفظ الاخوة يشمل الكل للاشتراك
في الاخوة ولا قرينة تخصه باحدهما وقرا الاعرج اخوة بضم الالف فلامه السدس باطلاقه يدل على
ان الاخوة يحجبون الام عن الثلث ويردونها منه الي السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب فلها السدس
وللاب خمسة اسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا وهو مذهب الجمهور فانهم قالوا المراد بالاخوة
عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سوا كان من الاخوة او الاخوات خلافا لابن عباس فانه قال
لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلثة ولا الاخوات الخلص استدلالا بظاهر قوله فان كان له اخوة حيث
اشترط في كون نصيب الام السدس وجود الاخوة والاخوان ليسا باخوة والحجب بالاخوين ثبت باتفاق
من الصحابة كما روي ان ابن عباس قال لعثمن رضي الله عنه حين رد الام من الثلث الي السدس بالاخوين
قال الله تعالي فان كان له اخوة فلامه السدس وليس الاخوان اخوة في لسان قومك فقال عثمن نعم

لكن

لكن لا استحيي ان اخالفهم فيما راو وروي لا استطيع ان انقض امرا كان قبلي وتوارثه الناس اشارة الي
ان ذلك اجماع فان قيل كيف يصح ان يتناول الاخوة اخوين والجمع خلاف التثنية اجيب بان الاخوة
تفيد معنى الجمعية من غير تقييد بكمية معينة بان يكون اثنين او ثلثة مثلا والتثنية كالتثليث
والتربيع في انها تفيد الكمية بالخصوص وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرا
حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها اتباع الاضعف للاقوي وابو البقا بالعكس والسدس
نصف نصف الثلثين وقد ذكر في ثلثة مواضع من بعد وصية يوصي بها او دين هذا من حيث
المعنى متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده ومن حيث اللفظ خبر مبتدا محذوف
اي هذه الانصبا للورثة من بعد وصية يوصي بها او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو دلالة
على انهما متساويان في الوجوب مقدما على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي
متاخرة في الشريعة لانها تشبه الميراث في كونها ماخوذة من غير عوض فتشق اخراجها على الورثة لا تطيب
انفسهم فكانت لذلك مظنة للتفريط فيها بخلاف الدين فان نفوسهم مطمينة الي ادائه فقدم ذكرها
على ادائها معه وتنبيها على انها مثله في وجوب الادا والمسارعة اليه ولذلك جي بكلمة او وتسوية بينهما
في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون
من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم واجلكم فتحروا فيهم ما وصيكم الله به ولا تعمدوا الي
تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه
فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم
لثواب الاخرة بامضا وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوي ممن ترك الوصية فوفر عليكم ماله الذي
هو عرض الدنيا وانما جعل الله ثواب الاخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا نظرا الي حقيقة الامر لان عرض
الدنيا وان كان اقرب في الصورة لكنه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرة وان كان
اجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى فهو اعتراض مؤكد لامر القسم او تنفيذ الوصية وقرا
عاصم وابن كثير وابن عامر يوصي بها على البنا للفاعل وقرا الحسن يوصى بتشديد الصاد فريضة من الله
مصدر مؤكد اي فرض ذلك فرضا وقيل يجوز ان يكون مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم
ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك
ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب
بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين
وعنه عليه السلام ترك الوصية عار ونار وشنار في الاخرة الشنار اقبح العيب واجمعوا على تقدم الدين

على الوصية كما روي عن علي كرم الله وجهه انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وبدا رسول الله عليه السلام بالدين قبل الوصية وهذا اجماع ان الدين مقدم على الوصية والمعنى من بعد وصية ان كان او دين ان كان فالارث مؤخر على كل واحد منهما وسيجي فيهما زيادة تقرير ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي الواحد والجماعة منهن في الربع والثمن فانه اذا كان للرجل فهن يشتركن فيهما وحاصل الصور ثمان للزوج حالتان النصف عند عدم الولد وولد الابن وان سفل اي عدمهما معا والربع مع الولد او ولد الابن وان سفل وللزوجات حالتان الربع للواحدة فصاعدا عند عدمهما والثمن مع احدهما وقرا الحسن الثلث والربع والسدس والثمن باسكان الحروف وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه من ورث وهو صفة رجل كلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يورث خبر وكلالة حال من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث على البنا للفاعل وكلالة حال وفي مصحف ابن مسعود وان كان رجل وامراة ورث كلالة وقرا الاعمش وان كان رجل ورث كلالة فيكون هي الموروث منه او مفعول به فيكون الوارث وكان على الوجهين تامة او ناقصة خبرها يورث والكلالة ما خلا الوالد والولد ويطلق على الموت والوارث وعلى القرابة من غير جهة الوالد والولد فمن الاول قوله الله يفتيكم في الكلالة ومن الثاني ما يروى ان جابرا قال اني رجل ليس يرثني الا كلالة ومن الثالث قولهم ما ورث المجد عن كلالة واما قوله تعالى وان كان رجل يورث كلالة فيحتمل الاوجه على اختلاف القراات والتقديرات وهي من الكلالة الضعف او من الاكليل العصابة ومنه السحاب المكلل المستدير او ما تكلله البرق او امراة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من المراة ويدل عليه قراءة ابي وسعيد بن مالك وله اخ او اخت من الام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة لام خاصة بما في اخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزاد على الثلث شيا انه يعني بهم الاخوة لام والا فالكلالة عامة لمن عدى الولد والوالد من سائر الاخوة والاخوات والاعيان واولاد العلات وغيرهم كما روي عن ابي بكر الصديق انه سئل عنها فقال اقول فيه برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطا فمني ومن الشيطان والله بري منه الكلالة ما خلا الولد والوالد وقال عطا والضحاك ان الكلالة هو الموروث وقال ابن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام لما ذكرناه فلكل واحد منهما السدس فان كا

اكثر

اكثر من ذلك فهم شركا في الثلث وتوضيح ذلك ان اولاد الام اخوا لا اثلثا السدس للواحد لقوله تعالى وان كان رجل يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس والمراد اولاد الام اجماعا ويدل عليه قراءة ابي والثلث للاثنين فصاعدا لقوله فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركا في الثلث سوي بين الذكور والاناث في القسمة والاستحقاق اما القسمة فلان الانثى منهم تاخذ مثل ما ياخذ الذكر لما دل عليه جعلهم شركا في الثلث واما في الاستحقاق فلان الواحد منهم مذكرا كان او مؤنثا يستحق السدس واذا تعددوا ذكورا او اناثا او مختلطين استحقوا الثلث فالاستحقاق مع الواحد والمتعدد بخلاف القسمة وقد اشترط في ارثهم عدم الولد اجماعا لقوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرء هلك ليس له ولد وله اخت وقوله عليه السلام الكلالة من ليس له ولد ولا والد لكن ولد الابن داخل في الولد لقوله تعالى يا بني ادم يا بني اسرائيل والجد داخل في الوالد لقوله تعالى كما اخرج ابويكم من الجنة فلا ارث لاولاد الام مع هولاء الاربع الولد والوالد وولد الابن والجد ثم اتفقت كلمة الائمة على ان الكلالة في الاصل بمعنى الاعيا وذهاب القوة كقول الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة ثم استعير لقرابة من عدم الولد والوالد كانها ضعيفة بالقياس الى قرابة الاولاد ويطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا بوالد من المخلفين من بعد وصية يوصي بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او قصد المضار بالوصية دون القربة لان الله الضرار في الحيوة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى المبني للمفعول في قراءة عاصم وابن كثير وابن عامر **واعلم** انه قد ذكر ان النكتة في تقديم الوصية انها تشبه الميراث في كونها ماخوذة بلا عوض فيشق اخراجها على الورثة فكانت لذلك مظنة للتفريط فيها بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فقدم ذكرها للبعث على ادائها معه والتنبيه على انها مثله في وجوب الادا او المسارعة ولذلك جي باو وايضا ان كانت الوصية بالتبرعات وليس في التركة وفا بالكل فتقدمه عليها ظاهر لان قضا الدين فرض عليه يجبر على ادائه في حال حيوته والوصية المذكورة تطوع ولا ريب ان الفرض اقوى وان كانت بغير فرض من فروض الله فان كانت بما سوى الزكوة كالصلوة والصوم مثلا فدين العباد مقدم على هذه الوصية ايضا واستويا في الفرضية لانه يجبر على ادا الدين بالحبس ولا يجبر على ادا شي من تلك الفروض فالدين اقوى وان كانت بالزكوة التي تساوي الدين في الاجبار بالحبس على الادا فالدين المذكور اقوى لان القاضي اذا وجد من مال المديون ما يجانس الدين ياخذ بلا رضاه ويدفعه الى صاحبه وليس كذلك في الزكوة وان ظفر بجنسها وايضا اذا اجتمع حق الله وحق العباد في عين وقد ضاقت عن الوفا بهما يقدم حق العباد لاحتياجهم مع استغنا الله تعالى وتحقيق المقام على ما ذكر ان الدين ان كان للعباد فالباقي بعد تجهيز الميت ان وفي به فذاك والا فان كان الغريم واحدا يعطاه

الباقي وما بقي له على الميت ان شاءعى وان شارك الى دار الجزا وان كان متعددا فان كان الكل دين
الصحة وهو ما ثبت بالبينة او الاقرار في حال صحته او كان الكل دين المرض فانه يصرف الباقي على حسب
ديونهم وان اجتمع دينان معا يقدم دين الصحة لانه اقوى الا يرى انه محجور في مرض موته عن التبرع
بما زاد على الثلث ففي اقراره نوع ضعف واما اذا اقر في مرضه بدين علم ثبوته بطريق المعاينة كما يجب
بدلا عن مال ملكه او استهلكه كان ذلك بالحقيقة من دين الصحة اذ قد علم وجوبه بغير اقراره فلذلك
ساواه في الحكم وان كان الدين من حقوق الله تعالى كما سبق من الفروض من الصلوة والصوم والحج والنذر
والكفارات فان اوصى به الميت وجب عندنا تنفيذه من ثلث ماله الباقي بعد دين العباد والا
لم يجب ثم اذا فاته صلوات واوصى ان يطعم عنه فعلى الورثة ان يطعموا عنه من الثلث لكل صلوة نصف
صاع من بر وكذا الوتر عند ابي حنيفة اذ قد روي عنه ان الوتر فريضة وان فاته صوم رمضان
بمرض او سفر ولم يمكن من قضائه بعد برئه او اقامته ولم يقض حتى مات واوصى بالاطعام فعلى الورثة
ان يطعموا من الثلث لكل يوم نصف صاع من بر لما روي انه عليه السلام لما سئل عن ذلك قال ان مات
قبل ان يطيق الصوم فلا شيء وان اطاقه ولم يصم فليقض عنه يعني بالاطعام يدل عليه حديث ابن عمر
موقوفا ومرفوعا لا يصوم احد عن احد ولا يصلي احد عن احد فوجب الحمل على الاطعام لان الفدية
تقوم مقام الصوم في حق الشيخ الفاني فكذا في حقه لاشتراكهما في وقوع الياس عن اداء الصوم وان كان
الدين الزكوة واوصى بها يجب اداؤها من ثلث ماله وان كان الحج واوصى به يؤدى من الثلث ولو حج
عنه الورثة بلا وصية يرجى من الله قبوله • وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية او
منصوب بغير مضار اي باسم الفاعل المضاف اليه المعتمد على ذي الحال او النفي تقديرا كانه قيل لا مضار
والمعنى لا تضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة عليه او وصية من الله بالاولاد لايذائهم
عالة بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب ويؤيد هذا قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة
فان هذه اضافة اسم الفاعل الى المفعول قطعا ومعنى مضارة الوصية الاخلال بها وجعلها على غير وجهها ه
والله عليم حليم • وعيد وتهديد اي يعلم حالهم ولا يعجل بعقوبتهم بل يؤخرها الى اجل مسمى تلك اشارة الى
الاحكام التي ذكرت في الايتام وصلة الارحام والعدد والنكاح وارث البعض من البعض حدود الله
شرائعه التي هي كالحدود والمضروبة المؤقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها الى ما ليس لهم بحق
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص
الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين
حملا على لفظ من ومعناه فان من يطع الله كثيرون فكانه ترك هذا في جانب تنبيها على ان الخالدين في
النار قليلون بالنسبة الى الخالدين في الجنة اما حقيقة او اعتبارا وفيه تاييد لما قيل ان الكفار

الذين

الذين لم يبلغهم التبليغ كلهم من اهل الجنة على ما ذهب اليه الغزالي وغيره وقرا نافع وابن عامر ندخله
بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا ولذلك خالدا وليسا
صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جرتا على غير من هما له فان خالدين لمن يطع الله وخالدا
لمن يعص الله واذا جعل صفة جاريا على الموصوف بخلاف ما اذا جعل حالا فان ذي الحال ضمير يدخله
فيكون جارية على من هي له • واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها
وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة عبد الله ياتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها
وقرا زيد بن علي واللاي بياء بين الاعرج والتي بغير الف • فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي فاطلبوا
اربعة من رجال المؤمنين يشهدوا عليهن وفيه دلالة على ان الزنا لا يثبت الا باربعة من الشهود وقرا
زيد بن علي فليشهد اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت واجعلوها سجنا
عليهن واعلم ان حكم قوله تعالى فامسكوهن في البيوت قد نسخ بقوله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
نكالا من الله فهذا منسوخ التلاوة دون الحكم وقوله فامسكوهن بالعكس ومنسوخ التلاوة وان لم يكن
قرانا متواترا متلوا مكتوبا في المصاحف لكنه يجعل من قسم نسخ الكتاب لا السنة ولذا قال عمر رضي الله عنه
لولا اني اخشى ان يقال زاد عمر في القران ما ليس منه لالحقت الشيخ والشيخة الى اخره بالمصحف وقيل
معناه فجلد وهن محبوسات في البيوت وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ الزانية والزاني
الاية ويجوز ان يكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني الاية ويكون المراد
بها التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال
حتى يتوفاهن الموت اي حتى يتوفاهن ملائكة الموت لقوله الذين تتوفاهم الملائكة او حتى ياخذهن الموت
ويستوفي ارواحهن فالمعنى على الاول بحذف المضاف وعلى الثاني بطريق الاستعارة بالكناية شبه الموت
بشخص مستوف لارواحهن من قولهم توفيت مالي على فلان اي استوفيته وقبضته او يجعل الله لهن
سبيلا هو النكاح يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد المخلص عن الحبس لانه لم يكن مشروعا
في ذلك الوقت واللذان ياتيانها منكم يريد الزاني والزانية والها للفاحشة فاذوهما فوبخوهما وذموهما
وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله وقيل سبوهما وقيل يؤذى بالتعيير وضرب النعال وقرا ابن
كثير واللذانّ بتشديد النون على احدى النونين عوض من اللام المحذوفة لان الاصل اللذيان مثل
العميان الشجيان فحذفت اليا لالتقاء الساكنين لان هذا الاسم مبهم والمبهمات لا تثنى التثنية الصناعية
فالحذف مؤذن بان التثنية ههنا مخالفة للقياس وقيل حذفت لطول الكلام بالصلة في تصغير
اللذيان فترد اليا المحذوفة والباقون بتخفيف النون على اصل التثنية فان تابا واصلحا فاعرضوا
عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء واعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض

وترك التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم قيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة
الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل نزلت الاولى واللاتي ياتين الفاحشة في السحاقات بقرينة صيغة
المذكور الاناث والتبعيض بقوله من نسائكم وهذه اي واللذان ياتيانها منكم في اللواطين بقرينة صيغة المذكور
والتبعيض بقوله منكم وعلى هذا القول لا نسخ شيء من الايتين ومن قال كلتا الايتين في الزنا او فيما يعمه
واللواطة قال الاولى لبيان حكم النساء وهو الامساك والثانية لما يعم الفريقين وهو الايذاء الى التوبة
فيحمل اللذان ومنكم على التغليب انما التوبة على الله ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من
تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له لا من تاب العبد اذا رجع اليه وكلمة على للوجوب ولذلك قالوا معنى
الاية ان قبول التوبة واجب لكون الوجوب عند المعتزلة واما عندنا فمعنى الوجوب ان عادة الله تعالى
جارية بقبول التوبة بحيث استمرت ولم يقبل التغيير فلذا اعبر عنه بعلى التي هي للدلالة على تحقق
القبول البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كانه من الواجبات قال الامام الرازي انه تعالى وعد
قبول التوبة واذا وعد شيئا لابد ان ينجز وعده لان الخلف في وعده محال ولما كان سببها بالواجب صح
اطلاق كلمة على للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها لان ارتكاب الذنب سفه وانما فسر الجهالة
بالسفه دون الجهل بكونه سوءا ومعصية لان التوبة لا تخص هؤلاء بل ربما لا يحتاجون اليها وعن قتادة
اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل ما عصي به الله فهو جهالة عمدا كان او لا وان كل من عصى الله
فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وعن الكلبي لم يجهل انه ذنب لكنه جهل عقوبته وقيل معنى الجهالة اختيار
اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت بدليل
قوله حتى اذا حضر احدهم الموت وعن ابن عباس قبل ان ينزل به سلطان الموت اي غلبته وظهور اثاره وعن
الضحاك قبل معاينة ملك الموت وعن عكرمة قبل الموت وعن السدي والكلبي القريب ان يتوب في صحته
قبل مرض موته وهو ليس بملايم قوله عليه السلام ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر رواه
ابن عمر وقوله عليه السلام ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوي عبادك ما دامت ارواحهم
في اجسادهم قال الرب عز وجل وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا ازال اغفر لهم ما استغفروني والمؤمن
من استغفر ويتوب ما دام الروح في جسده وقال ابن عباس في رواية عطية من قريب قبل موته بفواق
ناقة وفي رواية الوالبي وهو ما بينه وبين ان ينظر الى ملك الموت وفسر النبي عليه السلام التوبة
بالندم والاستغفار وذلك ما روته عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التوبة
من الذنب الندم والاستغفار وعنه عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب
وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه عز وجل وعنه عليه السلام التائب عند الله بمنزلة الشهيد وعنه عليه
السلام التوبة تغسل الحوبة وان الحسنات يذهبن السيئات واذا ذكر العبد ربه في الرخاء انجاه من البلاء

واي بلا اشد من الموت وحضوره وسابقه ولاحقه ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من اجزاء هذا
الزمان الذي ما قبل ان يفارق الروح من الجسد اعني الزمان الممتد الى مفارقة الروح لقوله عليه السلام
من تاب وهو يغرغر بالموت تاب الله عليه والغرغرة تردد الروح في الحلق ومعلوم ان هذا الوقت ليس
بوقت لتلافي ما فات من الحقوق فليست له التوبة في هذا الوقت الا الندم بالقلب كما روى ابن
مسعود ان رسول الله عليه السلام قال الندم توبة وهو مذهب الاكثر من اهل القبلة حيث قالوا من لم
يكن من قضاء ما فاته من فرايض الله وارضاء عباده لزمانه او ضيق وقت او عدم اي نعم فان الندم
بمجرده توبة فاولئك يتقبل توبتهم ويتجاوز عنهم يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه
بقوله انما التوبة على الله والمعتزلة على ان قوله تعالى هذا اعلام بوجوب التوبة عليه بدلالة لفظ على
ومعناه اللزوم واستحقاق الذم على الترك لمخالفته الحكمة كما في وجوب الطاعة على العبد وان قوله
فاولئك يتوب الله عليهم وعد بانه يفي بما وعد عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة بدلالة العدول الى
الجملة الاسمية مع ظهور الفعلية لما في وعد العبد الوفاء بالواجب وعندنا لا وجوب على الله وكلمة على للدلالة
على تحقق القبول البتة كما ذكرنا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوعده الله تعالى على عمل ثوابا فهو
منجزه له ومن اوعده الله تعالى على عمل عقابا فهو بالخيار رواه انس فلله الحجة البالغة على خلقه وله
ان يعذب مع الامهال ويثيب مع الاخلال ويتجاوز عن الكباير ويعاقب على الصغاير فضلا منه وعدلا
اذ الكل من عنده سبحانه عن ظلم عباده وتعالى علوا كبيرا وكان الله عليما باعمال عباده وباصلاحهم وفسادهم
وعدمه فيجازيهم على حسب ذلك حكيما لا يوقع شيئا الا في موقعه او يعلم باخلاصهم في التوبة ولا يعاقب
التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا
الذين يموتون وهم كفار الموصول الثاني عطف على الاول سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت
من الفاسق والكافر وبين من مات على الكفر في نفي التوبة مبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة
سواء كان قال وتوبة هولا وعدم توبة هولا سواء هكذا قيل وفيه نظر اذ الكلام في عدم قبول التوبة عن
الكافر والمايت على الكفر حينئذ واما الفاسق فقبيه الف كلام يدل عليه قوله عليه السلام من تاب
وهو يغرغر بالموت تاب الله عليه فان التوبة في تلك الحالة انما هي عن الذنوب والاثام وهي الفسق
ولذلك قال رئيس المفسرين وغيره المراد بالسيئات ههنا الشرك والمعنى ليست التوبة لمن عمل الشرك
حتى اذا حضره الموت وذلك عند مكاشفته بامور الاخرة واحوالها قال اني تبت الآن اي رجعت
الى الايمان بالله وتصديق كتبه ورسله وليست التوبة ممن مات على كفره اذا ارد الى ربه قال سعيد ابن
جبير قوله انما التوبة للمؤمنين وقوله وليست التوبة للمنافقين وقوله ولا الذين يموتون وهم كفار
للكافرين والكافر غير المنافق يقبل توبته اذا حضره الموت ولعل حديث الحجاب شهد لهذا وهو قوله عم

ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يقع الحجاب قالوا يا رسول الله وما الحجاب قال ان تموت النفس وهي مشركة وقال
النخعي التوبة مبسوطة له ما لم يؤخذ بكظمه وعن ابن عمر هل حضور الموت الا السوق وقال الجوهري الحسن
لما هبط ابليس قال بعزتك لا افارق ابن ادم ما دام الروح في جسده قال الله تعالى لا احجبت التوبة عن ابن
ادم ما لم يغرغر بنفسه اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما اعلام بان الانتقام كاين لا محالة بدلالة العدول
الى الجملة اعتدنا هيأنا من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين
امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق
بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت
من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تاخذوهن على سبيل الارث كما تحاز
المواريث وهن كارهات لذلك او مكروهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى
ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم يكن من حاجته حبسها مع سوء
العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها او تختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا
عطف على ترثوا ولا لتاكيد النفي والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب
مع الازواج وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل وقرا حمزة والكسائي كرها
بالضم في مواضعه والباقون بالفتح وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه وفي المغرب
الكره والكره بالفتح الاكراه ومنه القيد كره والكره بالضم الكراهة وقرا زيد بن علي ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وسوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم
في طلب الخلع ويدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقرا طلحة الا ان يفحشن بفاحشة والاستثناء من
اعم عام الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن
لعلة الا ان ياتين بفاحشة وقيل هو في موضع الحال تقديره الا في حال اتيانهن الفاحشة وقيل هو
استثناء متصل تقديره ولا تعضلوهن في حال الا في حال اتيان الفاحشة وعن الحسن الفاحشة الزنا
فان فعلت حل لزوجها ان يسال الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امراته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها
واخرجها فنسخ ذلك بالحدود وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن
قتادة لا يحل له ان يحبسها مضارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وعاشروهن بالمعروف بالوجه المعروف
والطريق المالوف فيما بين الناس السالكين طريق الانسانية وبالجملة الطريق الذي لا ينكره الشرع
والمروة وهو الانصاف في الفعل والاجمال في القول وبالمعروف في موضع النصب على الحال او المفعول
قرا ابن كثير وابو بكر مبينة بفتح اليا والباقون بكسرها وقرا ابن عباس مبينة بكسر اليا من الابانة فان

كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد
تكره ويشق عليها ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين
واقرب الى الخير وقالوا ان جميع ما كلف به الانسان وارد على هذا الطريق حيث تكرهه النفوس ويشق
عليها ولا يلزم منه كراهة حكم الله ومحبة خلافه وهو ينافي كمال التصديق لان معناه كراهة نفس ذلك
الفعل كوجع الضرب في الحد مع كمال الرضا بالحكم والاذعان له وهذا كما تقول ان الكل بقضا الله ومشيته مع
ان البعض مكروه منكر غاية الانكار كالقبايح والشرور وعسى في الاصل علة الجزا فاقيم مقامه والمعنى
فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وان تكرهوا فاعل عسى ولا خبر له ههنا لان
المصدر اذا تقدم صار عسى بمعنى قرب فاستغنى عن تقدير المفعول المسمى خبرا وقيل خيرا هو ولد صالح
او ان يعطفه الله عليها وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امراة وتزوج اخرى قال ابو البقا
مكان ظرف للاستبدال واتيتم احداهن قنطارا اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس
والقنطار المال العظيم من قنطرت الشي اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بنا مشيد وقال مجاهد القنطار
سبعون الف دينار وقال عطا سبعة الف دينار وقال الحسن الف دينار واثنا عشر الف درهم وقيل
ماية رطل من الذهب او ثمانون الفا من ورق وفي رواية ابي صالح الف مثقال مما كان من ذهب او فضة
وعن عمر انه قام خطيبا فقال يا ايها الناس لا تغالوا بصدق النسا فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند
الله لكان اولاكم بها رسول الله عليه السلام ما اصدق امراة من نسايه اكثر من اثنتا عشرة اوقية فقامت
اليه امراة فقالت له يا امير المومنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول واتيتم احداهن قنطارا
فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست
من اعلم النسا وروي سل عن ابن محيصن واتيتم احداهن بوصل الالف فلا تاخذوا منه شيا اي من
القنطار اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ وانتصاب البهتان على الحال اي
ما ينبغي ان تاخذوه باهتين واثمين ولم تاخذونه ويجوز ان يكون مفعولا له لقولك قعدت عن
الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانكم واقترافكم الماثم وقيل انتصابه بفعل محذوف تقديره تصيبون
في اخذه بهتانا والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك
فسر ههنا بالظلم وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه باشرها
وتقرر المهر والافضا في الاصل الوصول ومنه قولهم افضى فلان الى فلان اذا وصل اليه حقيقته صار في
فضائه وهو في هذه الاية كناية عن المباشرة ومن قال عبارة عن الخلوة فقد نظر الى اصل الاشتقاق وهو
قول الفراء حيث قال الافضا ان يخلو بها وان لم يجامعها ومذهب مالك حيث قال يوجب للمراة على زوجها
جميع الصداق اذا خلا بها وامكنته من نفسها وان لم يكن منه وقاع وعن زرارة بن ابي اوفى قضى الخلفاء

الراشدون المهديون ان من اغلق بابا وارخى سترا فقد وجب المهر والعدة وعند ابي حنيفة اذا خلا بها خلوة صحيحة وجب المهر والعدة واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن منكم ميثاقا غليظا اي بافضا بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقال الحسن وابن سيرين وقتادة والضحاك هو قول الولي عند النكاح زوجتكها على ما اخذ الله على الرجال وا وثقه عليهم من امساك بمعروف او تسريح باحسان قال الشعبي وعكرمة هو ما روي عن النبي عليه السلام اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن اي اخذتموهن اي احره اي اقبلوا الوصية فيهن بالخير وعامل خير المحذوف اي يا ايها الناس خيرا او ايتوهن خيرا وان جمع عانية بمعنى الاسير كجوار في جارية كان اهل الجاهلية ينكحون ازواج ابائهم فنهى الله تعالى عن ذلك بقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم اي ولا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وقيل ذكر ما دون من ذهابا الى الصفة ولان الاناث من العقلا يجري مجرى غير العقلا وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النسا بيان ما نكح على الوجهين وعن اشعث بن سوار توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار فخطب ابنه امراة ابيه فقالت اني اتخذتك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني اتي رسول الله عليه السلام استامره فاخبرته فنزلت الا ما قد سلف قيل استثنى ما قد سلف ما نكح اباؤكم تاكيدا ومبالغة في النهي كما استثنى غير ان سيوفهم بهن فلول من الشجاعة واستثنا الشجاعة من العيب لا بد ان يكون على تقدير انها عيب فيكون وجود العيب فيهم انما يكون على تقدير ان الشجاعة عيبا وهو محال وما لا يثبت الا على تقدير المحال يكون محالا لا محالة فكذلك في الاية استثنى الا ما قد سلف ما نكح وهذا الاستثنا انما يكون على تقدير امكان نكاح ما قد سلف بجواز نكاح ما نكح الابا لا يكون الا على تقدير ذلك وهو محال فيكون جواز نكاح ما نكح الابا محالا لا يهون قبيل تاكيد الشي بما يشبه نقيضه وابراز الممكن في معرض المحال ومبالغة في رفع اباحته والمعنى ولا تنكحوا حلايل ابايكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وذلك غير ممكن وقيل الاستثنا منقطع ومعناه ما قد سلف من ذلك فانه معفو عنه ولا تواخذون عليه وعلل ذلك بان النهي للمستقبل وما قد سلف ماض فلا يكون من جنسه ومعنى القطع لا يكون داخلا في الاول بل في حكم المستانف وتقديره لا فيه بل لكن انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله وما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند اصحاب المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي فاحشة او قبيحة زايدة على حد القبح والمقت اشد البغض والبغض والاطلاقه على الممقوت من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وسا سبيلا في حكم بئس والضمير فيه مبهم مفسر سبيلا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة السابق عليه تقديره سا سبيلا نكاحهن اي بئس طريقا طريقه وهو ان ينكح خالة ابيه وعن البرا بن عازب مر بي خالي ومعه لوا فقلت اين تذهب قال بعثني

النبي

النبي عليه السلام الى رجل تزوج امراة ابيه اتيه براسه حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت من باب الحذف او الاطلاق فانه اذا قيل اختك عليك حرام فمعناه انها مستحقة لحرمة نكاحك او نكاحها حرام على انه مجاز من باب اطلاق المحل وارادة الفعل الحال فيه او هو على حذف المضاف لدلالة العقل على ان الاحكام انما يتعلق بالافعال دون الاعيان كما في قوله واسال القرية اي اهل القرية او القرية مجاز عن الاهل اطلاقا للمحل على الحال ولدلالة ما قبله وما بعده فانهما في النكاح ولان الغرض الاظهر من النسا نكاحهن وللمحارم بقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم النكاح الذي هو وسيلة الاستمتاعات على حرمتهن بطريق الدلالة سوا كان ملك النكاح او بملك اليمين فانه يتصور في بعض على الامهات وذهب بعضهم الى ان الحكم يتعلق بالعين كما يتعلق بالفعل ومعنى حرمة العين خروجها من ان يكون محلا للفعل شرعا كما ان حرمة الفعل خروجه من ان لا اعتبار شرعا ولا ضرورة الى اعتبار المجاز والحذف وايضا معنى الحرمة المنع فمعنى حرمة الفعل ان يمنع العبد عن اكتسابه وتحصيله فالعبد ممنوع عنه وهذا كما يقال لا تشرب هذا الما وهو بين يديه ومعنى حرمة العين انها منعت عن العبد تصرفا فيها فالعين ممنوع عنه وذلك كما اذا صب الما الذي بين يديه والحاصل ان حرمة الفعل منع الرجل عن الشي وحرمة العين منع الشي عن الرجل بان يصب الما مثلا وهو اوكد وابلغ وذكر في الميزان ان المعتزلة انما انكروا حرمة الاعيان لئلا يلزم نسبة خلق القبيح الى الله تعالى بنا على ان كل محرم قبيح والاقرب ما قيل ان الحرمة صفة فعل لا صفة محل الفعل لكن متى ثبت الحرمة لمعنى في العين اضيف اليها لانها سببه كما يقال جرى النهر لانه سبب الجري وطريق يجري فيه فيقال حرمة الميتة لان تحريمها لمعنى فيها ولا يقال حرمت شاة الغير لان حرمتها لاحترام المالك وامهاتكم تعم الجدات من الطرفين وان علت وبناتكم تشمل بنات الاولاد وان سفلت واخواتكم سوا كانت من الاب والام او من احدهما وعماتكم تدخل فيهن اخوات الابا والاجداد وان علوا وخالاتكم تتناول اخوات الامهات والجدات وبنات الاخ وبنات الاخت بناتهما وان سفلن لتناولها القربي والبعدي وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الرضا منزلة النسب قال النبي عليه السلام ان الرضاعة تحرم ما يحرم من الولادة وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في المسئلتين احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابيه من النسب ويجوز من الرضاع لان المعنى في النسب وطئه امها وهو لم يوجد في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخته من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطئ الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع وقد يلحق بهما اخريان ام النافلة وجدة الولد فانهما يحرمان من النسب لا من الرضاع ولا حاجة الى استثناء هذه الصورة لان ما هو جهة الحرمة في النسب موجود ههنا مثلا اخت الابن انما يحرم من جهة كونها بنتا لك او ربيبة وكذا البواقي واعلم ان الجمهور على ان قليل الرضاع وكثيره محرم وعن ابن الزبير لا بد ان يوجد خمس رضعات متفرقات

وبه قال الشافعي لحديث عايشة كان فيما انزل من القران عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس
رضعات معلومات وعن ام الفضل قال عليه السلام لا يحرم الرضعة او الرضعتان او المصة او المصتان
وقال ابن عباس وابن عمر وابن المسيب وعروة وابن شهاب وغيرهم ان مصة واحدة في الحولين تحرم
واليه ذهب مالك وقرا ابن مسعود اللاي بغير يا وامهات نسايكم يعني من نكح امراة حرمت عليه
امهاتها وجداتها وان علت وربايبكم اللاتي في حجوركم جمع ربيبة وهي بنت امراة الرجل سميت به
لانه يربها في الغالب وحجر الانسان بالفتح والكسر حضنه وهو ما دون ابطه الى الكشح ثم قالوا فلان في
حجر فلان اي في كنفه ومنعته ومنه الاية الكريمة وقوله من نسايكم حال من ربايبكم والموصول مع صلته
اعني اللاتي دخلتم بهن صفة لنسايكم ولا يجوز ان يتعلق من بالامهات ايضا لان معناه مع احد المتعلقين
خلاف معناه مع الاخر فانه اذا تعلق بربايبكم يكون للابتدا وان يتعلق بالامهات يكون بيانا لنسايكم
ولا يصح حمل الكلمة الواحدة في خطاب واحد على معنيين مختلفين الا اذا جعل للاتصال كقوله فاني
لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني فانه يصح ان يتعلق بالربايب والامهات جميعا حالا
فيهما على معنى ان امهات النسا وبناتهن متصلات بهن لانهن امهاتهن كما انهن بناتهن لكن الاتفاق على
تحريم امهات النسا مدخولات او غير مدخولات ياتي هذا المعنى وقد فرق النبي عليه السلام فقال
في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن
عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن
عباس ابهموا ما ابهم الله وروي عن علي وابن عباس وابن الزبير انهم قروا وامهات نسايكم اللاي دخلتم بهن
وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن ابن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها
كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شا فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه
في باب المهر وفايدة قوله في حجوركم التعليل للتحريم والمعنى ان الربايب اذا دخلتم بامهاتهن وهن
لاحتضانكم او للونهن بصدده قوي الشبهة بينهما وبين اولادكم وصارت احقا بان تجروها مجراهم
وعن علي انه شرط في التحريم كونهن في تربيته وبه اخذ داود والربايب يشمل القريبة والبعيدة وقوله دخلتم
بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها والبا للتعدية يعني ادخلتموهن الستر وعند ابي حنيفة لمس المنكوحة
ونحوه يقوم مقام الدخول وعن عمر انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال لا تحل لك وعن
مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر
وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطا وحماد
ابن ابي سليمان اذا راى نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها
بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا

وحرم فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم قالوا والاية تدل على ان التحريم واما الاثار المذكورة فانما تدل
على ثبوت التحريم بتقدير اللمس على تناول الاية اياه وحمل الدخول على حقيقته فلم يبق الا القياس ولا سبيل اليه
مع صريح قوله وحلايل ابنايكم زوجاتهم وسميت الزوجة حليلة لانها تحل زوجها في فراش الذين من اصلابكم
احترازا عن المتبنين لا عن ابنا الولد وقد تزوج النبي عليه السلام بنت عمته اميمة حيث فارقها زيد
ابن حارثة وقال تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم وان تجمعوا بين الاختين في موضع
الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم جمعكم او الجمع بين الاختين سوا كان في النكاح او في الوطي بملك
اليمين فان تحريم الاختين وطيا بملك اليمين ثبت ايضا بالعبارة لان قوله ان تجمعوا في معنى مصدر معرف
بالاضافة او اللام وانما حرم الجمع بين الاختين نكاحا صيانة للقرابة عن القطيعة اي قطع الرحم بسبب المنافرة
التي تكون بين الضراير وعن عثمان وعلي رضي الله عنه وطيا بملك يمين احلتها اية وهو قوله تعالى وما ملكت
ايمانكم لانه يدل على حل وطي كل امة مملوكة سوا كانت مجتمعة مع اختها في الوطي او لا وحرمتهما اية وهي ان
تجمعوا بين الاختين فانها تدل على حرمة الجمع بين الاختين سوا كان الجمع بطريق النكاح او بطريق الوطي
بملك اليمين فرجح علي التحريم وعثمان التحليل والمحرم راجح على المبيح وهو قوله وان تجمعوا بين الاختين وعن
النبي عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام الا وقد غلب الحرام الحلال فقول علي كرم الله وجهه اظهر وارجح
الا ما قد سلف استثنا منقطع وهو ان يذكر شي بعد الا واخواتها غير مخرج بالمعنى المذكور وبيان
ذلك ان قوله ما قد سلف اي الجمع بين الاختين الذي قد سلف داخل في الجمع بين الاختين لكنه غير
مخرج من حكم صدر الكلام وهو الحرمة لانه حرام ايضا لكن اثبت فيه حكما اخر وهو انه مغفور بدليل قوله
ان الله كان غفورا رحيما فانهم كانوا يفعلون ذلك قبل الاسلام وعن محمد بن الحسين كان اهل الجاهلية
يعرفون هذه المحرمات الا اثنين احدهما نكاح امراة والاخر الجمع بين الاختين الا ترى قال ولا تنكحوا
ما نكح اباوكم من النسا الا ما قد سلف وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وقال عطا والسدي الا ما كان
من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا ام يهودا وراحيل ام يوسف وكانتا اختين ولذلك لا يجوز ان يجمع بين
المراة وعمتها او خالتها لقوله عليه السلام لا يجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها اريد
بالمحصنات هنا ذوات الازواج وفي قوله فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات الحراير وفي قوله والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب العفايف والاما الكتابيات وهو عطف على وان تجمعوا اي وحرمت عليكم المحصنات
والجمهور على فتح الصاد لان الازواج او التزويج احصنهن اي اعفهن وقرى الكسائي بكسر الصاد على ان النسا
احصن فروجهن او ازواجهن واشتقاق الكلمة من التحصين وهو المنع والحرز ومنه لتحصنكم من باسكم
وقرا الاعمش وعلقمة بضم الصاد وقوله من النسا حال منه الا ما ملكت ايمانكم يعني حرمت عليكم ذوات
الازواج الا ما ملكت ايمانكم من سبايا فانهن حلال لكم اذ بالسبي يرتفع النكاح بينها وبين زوجها لقوله

ابي سعيد الخدري اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج كفار فكرهنا ان نقع عليهن فسئلنا النبي عليه السلام
فانزل الله تعالى الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني
بها لم تطلق وقد اجمع ايمتنا والشافعي على ان المراة اذا سبيت واخرجت بانت لكن علة الفرقة عندهم تباين
الدارين وعنده السبي فانه خلوص الملك للسابي ولهم ان السبي وضع لاثبات ملك الرقبة دون ملك النكاح
وهو ينفك عنه ثبوتا وزوالا كما اذا كانت المسبية منكوحة لمسلم او لذمي فلا يوثر في زواله ● كتاب الله عليكم
مصدر موكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فريضة يعني تحريم هولاء وقرا ابن عباس كتب الله بالرفع واحل
لكم وروي عن اليماني كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرايض الله عليكم ومن قرا واحل لكم مبنيا للمفعول وهو في
حرف حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص فقد عطفه على حرمت على قضية المناسبة ● ماوراء ذلكم ما سوى
المحرمات الثماني المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كساير محرمات الرضاع والجمع بين المراة
وعمتها وخالتها ● ان تبتغوا باموالكم مفعول له اي بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان تبتغوا النساء بالمهور
او بدل من ماوراء ذلكم بدل الاشتمال والابتغاء هو الطلب بالعقد الصحيح لعدم وجوب المهر بالعقد
الفاسد اجماعا بل يتراخى الى الوطي لا بالاجارة والمتعة لقوله تعالى غير مسافحين قالوا الباء لفظ خاص يوجب
الالصاق يعنون انه حقيقة في الالصاق مجاز في غيره ترجيحا للمجاز على الاشتراك فلا ينفك الابتغاء عن
المال فيجب بنفس العقد ● محصنين غير مسافحين حال من الفاعل في تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس
من الوقوع في الحرام والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه وكان الفاجر يقول للفاجرة
سافحيني وماذيني من المذي والاموال المهور وما يخرج في المناكح ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه
قيل ان تخرجوا اموالكم وان تصرفوا اموالكم ● فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او
خلوة صحيحة او عقد عليهن فاتوهن اجورهن مهورهن عليه فان المهر في مقابلة الاستمتاع فاسقط الفا
الى ما لانه لا يلتبس بقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاطه منه ولو كانت شرطية يستغنى عنه لان الخبر مجموع
الشرط والجزاء وفيه عايد ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ذهابا الى الوصف او التنزيل منزلة غير ذوي العقول
ومن للتبعيض او للبيان وضمير به يعود الى ما نظرا الى افراد اللفظ وكذا ضمير فاتوهن اجورهن نظرا الى
جمعية المعنى فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر موكد
اي فرض ذلك فريضة ● ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يحط عنه من المهر او يهب له من كله
او يزيد لها من مقداره وقيل فيما تراضيا به من نفقة او فراق او مقام وقيل نزلت الاية في المتعة التي
كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب
او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى
برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي عليه السلام انه اباحها ثم اصبح يقول ايها الناس اني كنت

امرتكم

امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة فالمتعة هي النكاح الموقت بوقت
معلوم وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول لا اعلم في الاسلام شيئا
احل ثم حرم غير المتعة وعن علي كرم الله وجهه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن
اكل لحوم الحمر الانسية وعليه الجمهور فانهم ذهبوا الى ان المتعة حرام والاية منسوخة وكان ابن عباس يرى انها
محكمة وعن ابي نضرة سالت ابن عباس عن المتعة فقال اما تقرا سورة النساء فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى
قلت لا اقراها هكذا فقال هكذا انزل ثلث مرات ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب
اليك من قولي بالمتعة وقولي بالصرف ● ان الله كان عليما ● بالمصالح ● حكيما ● فيما شرع من الاحكام ● ومن لم
يستطع منكم طولا ● الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما
ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة
وهذا تفسير الزجاج ان الطول لا القدرة على المهر وقد قيل هو الغنى وفسر بغنى المال فيصير الى الاول ويكون
الحرة تحته وفيه نظر ● ان ينكح المحصنات المومنات ● محل ان ينكح النصب او الجر على حذف الجار او اضماره
وهو على اولى وبطوع لا جناح عليكم ان تنكحوهن والاضمار قول الخليل وعليه الكسائي وعن الشعبي اذا وجد
الطول الى الحرة بطل نكاح الامة فعداه بالى وكذا عن ابن عباس وجابر وسعيد بن جبير لا يتزوج
الامة الا من لا يجد طولا الى الحرة وعنه من ملك ثلثماية درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء
وعليه مذهب الشافعي ولنا ان عند ابي حنيفة فالغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة وتفسير الاية
بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطي فله ان ينكح امة وتقرير المقام ان الاية توجب عدم جواز
نكاح الامة عند طول الحرة عند الشافعي ويجوز عند اصحابنا فانه علق جواز نكاح الامة بعدم القدرة
على نكاح الحرة فان كانت القدرة على نكاح الحرة ثابتة يثبت عدم
جواز نكاح الامة عنده فيصير مفهوم هذه الاية مخصصا عنده لقوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم وعندهم لما
لم يدل على نفي الجواز لا يصلح مخصصا ولا ناسخا لتلك الاية وثبت الجواز بتلك الاية وهذا الخلاف
مبني على انه اعتبر المشروط بدون الشرط فانه يوجب الحكم على جميع التقادير فالتعليق قيده بتقدير
معين واعدمه على غيره فيكون له تاثير في عدمه وهم يعتبرونه معه فان الشرط والجزاء كلام واحد اوجب
الحكم على تقدير فالمشروط بدون الشرط مثل انت في انت طالق اي المشروط وهو قوله انت طالق ان دخلت
الدار اذا اخذ مفرقا عن الشرط فهو بمنزلة انت في انت طالق لانه ليس بكلام بل مجموع الشرط والجزاء كلام
واحد فلا يكون موجبا للحكم على جميع التقادير كما زعم ● فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات ● يعني الاماء
المومنات يقولون للعبد فتى وللامة فتاة وحل نكاح الكتابية عندنا لا عنده بناء على ان التخصيص بالوصف
يوجب نفي الحكم عما عداه لا عندنا فقوله من فتياتكم المومنات ينفي جواز نكاح الكتابية عنده ولو مع طول

حرة خلافا له بناء على ان التعليق بشرط يوجب العدم عند عدم الشرط قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
المحصنات دل على انه لو كان طول الحرة لم يجز نكاح الامة اما عندهم فهو ساكت عن هذا الحكم فيبقى على
تقدير الطول على الحل الاصلي وكذا في الامة الكتابية والمراد بطول الحرة القدرة على نكاحها بان يكون له مهر
للحرة ونفقتها وفي رواية ابن عباس انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية
وان كان موسرا انه ينبغي ان لا يجوز نكاح الكتابية لا سيما اليهودية والنصرانية لان الله
تعالى جعل اهل الكتابين من المشركين حيث قال وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن
الله الى قوله سبحانه عما يشركون ونكاح المشرك لا يجوز لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولا تنكحوا
المشركين حتى يؤمنوا وقد اكد النهي وبالغ في التنفير بقوله اولئك يدعون الى النار اشارة الى المشركين والمشركات
ولذلك قوله من فتياتكم المؤمنات لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق
يجوز لكن نكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه على الفضل دون الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط
يوصف به الحراير مع علمنا انه ليس فيهن على الاتفاق ولكنه افضل وجوز بعض اصحاب الشافعي
نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم وانما كان نكاح
الامة منحطا عن نكاح الحرة لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى وفي استخدامها
ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان عايد الى الناكح ومهانه والعزة من صفات المؤمنين
والله اعلم بايمانكم • اي اعلم بتفاضيل بينكم وبين ارقائكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ورب
امراة افضل فيه من الرجل ومن حقكم ان تعتبروا افضل الايمان لا افضل الحسب والنسب والمراد تانيسهم
بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيدهم • بعضكم من بعض اي انتم ارقاؤكم متواصلون متناسبون
نسبكم من ادم عليه السلام ودينكم الاسلام لا يفضل احد احدا الا برجحان في الدين وفيه ارشاد الى ان المنكوحة
ينبغي ان تكون ذات دين فهذا هو الاصل وبه ينبغي ان يقع الاعتبار ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تنكح المراة لجمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المراة لدينها وقال عليه السلام لا تنكح المراة لمالها
وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت وعنه عليه السلام من نكح المراة لمالها وجمالها حرم
مالها وجمالها ومن نكح لدينها رزقه الله لمالها وجمالها وانما بالغ في الحث على الدين لان مثل هذه المراة
تكون عونا على الدين وايضا اذا لم يكن متدينة كانت في صيانة نفسها وفرجها شاغلة عن الدين وينغص
بذلك عيشه وتشوش بالغيرة قلبه • فانكحوهن باذن اهلهن • اشتراط لاذن المولى في نكاحهن ويحتج به
لقول ابي حنيفة ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم وقد يجاب بان عدم
الاعتبار لا يوجب اعتبار العدم فلعل العاقد قد يكون هو المولى او وكيله فلا يلزم جواز عقدها • واتوهن
اجورهن واداوا اليهن مهورهن باذن اهلهن الى مواليهن وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف

بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضا واللز محصنات عفايف غير مسافحات • غير مجاهرات بالسفاح
ولا متخذات اخدان ولا مسرات به والاخدان الاخلا في السر جمع الخدن وهو الصديق في السر والمخادنة
المصادقة قال الحسن المسافحة هي ان كل من دعا فاتبعته وذات الخدن ان تختص بواحد اي لا
يزني الا معه والعرب كانت تحرم الاولى وتجوز الثانية • فاذا احصن بالتزوج قال الجوهري فاذا
احصن على المجهول اي زوجن وقرا الكسائي وحمزة وابو بكر احصن على البنا للفاعل اي احصن فروجهن
او ازواجهن اي حفظن وقال ابن مسعود اسلمن فان اتين بفاحشة يعني الزنا فعليهن نصف ما على
المحصنات من العذاب اي ما على الحراير من الحد كقوله وليشهد عذابهما طايفة من المؤمنين ولا رجم
عليهن لان الرجم لا يتنصف وفيه دلالة على ان حد العبد نصف حد الحر وانه فايدة الشرط اعني فاذا
احصن نفي ما يتوهم من تفاوت حال الاماء قبل التزوج وبعده كما في الحراير ولهذا اسقط الاستدلال به
على انه لا حد على المملوك قبل التزوج والحاصل انه يحد المملوك نصف الحر متزوجا كان او غير متزوج عند جمهور
العلما وذهب بعضهم الى انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنا لانه تعالى قال فاذا احصن فان
اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وهو مما روي عن ابن عباس وبه قال طاوس
وعنه عليه السلام اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم زنت فليجلدها
ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر • ذلك اي نكاح الاما لمن خشي
العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا والعنت في الاصل انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر
ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم ثم بالفحش القبايح وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها
فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتدا خير لكم خبره اي وصبركم على النكاح الاما متعففين
خير لكم وقال عليه السلام الحراير صلاح البيت والاماء هلاك البيت • والله غفور لمن لم يصبر
رحيم • بان رخص له يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين
كما زيدت في ابالك لتاكيد اضافة الاب فيكون في محل النصب على انه مفعول به والمعنى يريد الله
ان يبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وقيل المفعول
محذوف وليبين مفعول له اي يريد هذه الاحكام ليبين • ويهديكم سنن الذين من قبلكم
وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من المهتدين لتسلكوا طرايقهم وتقتدوا بهم • ويتوب عليكم ويغفر
لكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسياتكم وقال عطا يبين
لكم ما يقربكم منه وقال الكلبي يبين لكم ان الصبر عن نكاح الاماء خير لكم ويرشدكم شرايع الذين من قبلكم
في تحريم الامهات والبنات والاخوات والله عليم بمصالحكم في امر دينكم ودنياكم وانتم لا تعلمون حكيم فيما دبر
من اموركم • والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم وقيل كرر للتاكيد والمقابلة

ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا قال مجاهد هم الزناة يريدون ان تميلوا عن الحق فتزنون
كما يزنون وقال السدي هم اليهود والنصارى وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات
الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت العمة الخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا
بنات الاخ والاخت فنزلت تقولون يريدون ان تكونوا زناة مثلهم وقيل هم جميع اهل الباطل ميلا
عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم في اتباع الشهوات واستحلال
المحرمات يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا
يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وقال ابن كيسان خلق الانسان ضعيفا يستميله هواه وشهوته
وقال الحسن هو انه خلقه من ماء مهين ويعضده قوله الله الذي خلقكم من ضعف وقرئ ان تميلوا بالياء
والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرا ابن عباس وخلق الانسان مبنيا للفاعل ونصب الانسان وعنه
ثمان ايات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله
يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به
ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم وعنه وجماعة من المفسرين معنى
ضعف الانسان ههنا الاستيلاء شهوة الجماع عليه وقلة صبره عن النساء وقال عليه السلام ما تركت بعدي
فتنة اضر على الرجال من النساء وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من
النساء وعن ابن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاه من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت
احدى عينيه وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقال بعضهم اذا قام ذكر الرجل
ذهب ثلثا عقله وقال بعضهم ذهب ثلثا دينه وشكى رجل الى عبد الله ابن المبارك العنة فقال
ذاك اقوى لك على القيام بامر الله ثم قال قلما اقوى ذكر الرجل الا سلب الخشوع وغفل عن ذكر الله وضعف
مجاهدة شهوته وهواه ومن دعا النبي عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي لا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى
ولم يشرعه من نحو السرقة والخيانة والرشوة والغصب والنهب والقمار والغنا وعقود الربا التي غير
ذلك وبالباطل متعلق بتاكلوا وكذا بينكم الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثنا منقطع اي اقصدوا
كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وتخصيص
التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متوسط بها وقال عليه السلام تسعة اعشار رزق امتي في البيع والشرا
وعنه عليه السلام التاجر اذا كان فيه اربع خصال طاب كسبه اذا اشترى لم يذم واذا باع لم يمدح ولم يدلس في
البيع ولم يحلف فيما بين ذلك والتدليس اخفا العيب وقيل يجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود
بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا حمزة والكسائي وعاصم تجارة بالنصب على

كان

كان الناقصة واضمار الاسم اي لا تكون التجارة او الجهة تجارة عن تراض وقرا النخعي وابن وثاب ان يكون
تجارة بالياء اي يكون ذلك الشيء تجارة والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب
والقبول وهو مذهب ابي حنيفة وعند الشافعي تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين وحمل قوله عليه
السلام البيعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا الا بيع الخيار على الفرقة بالاقوال عند
الالتزام والالزام بالايجاب والقبول ولا تقتلوا انفسكم ولا يقتل بعضكم بعضا جعل غير الرجل
نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وايضا اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه وعن الحسن لا تقتلوا
اخوانكم او يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعنه عليه السلام خرج برجل فيمن كان قبلكم وادات
فجزع فاخرج سكينا فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه فحرمت
عليه الجنة وقال ابو عبيدة لا تهلكوا انفسكم كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وعن عمرو بن العاص تاوله
في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عليه السلام وقرا علي رضي الله عنه ولا تقتلوا بالتشديد
ان الله كان بكم رحيما وفيه دلالة على كمال رحمته وشفقته بامة محمد عليه السلام حيث امر بني اسرائيل بقتل
الانفس ونهى الامة المرحومة عن ذلك ولم يكلفهم التكاليف الشاقة الصعبة وهذه الاية خير لهم
مما طلعت عليه الشمس وغربت ومن يفعل ذلك اشارة الى ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا
في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وهما مصدران منصوبان على الحال او المفعول له وقيل
ذلك اشارة الى قتل النفس والمعنى ومن يقدم على قتل النفس عدوانا وظلما لا خطا ولا اقتصاصا وقيل
اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا اي
ندخله نارا وقرئ عدوانا بالكسر ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها وبفتح النون من صلاه يصليه
ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من جهة انه سبب المصلي وقرا اليماني
اصليه وكان ذلك على اي اصلاؤه النار على الله يسيرا هينا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه على ارادة الجنس اي ما كبر من المعاصي التي ينهى كم الله
عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلفت في الكبيرة الروايات روي ابن
عمر انها تسعة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة والزنا والفرار عن الزحف والسحر واكل
مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد في الحرم وزاد علي رضي الله عنه السرقة وشرب الخمر
وزاد عبد الله بن عمرو اليمين الغموس وزاد ابو هريرة اكل الربا وزاد عمر بن الخطاب ثلاثة اخرى
وهي ان يقتل بهيمة بغير حقها وهي ان ينتقص من مهر امراته وان يظلم اجيرا اجره وزاد علي رضي الله
عنه وزاد ابو بكر شهادة الزور وعن ابن عباس انه قرا من اول هذه السورة الى هذه الاية وروي
عنه الوالبي انه قال الكبائر كل ذنب ختم الله تعالى ذكره بنار او غضب او لعنة او عذاب وبه قال الحسن

والضحاك واصل هذا الحديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر كل
ذنب ادخل صاحبه النار وروي عنه ابن سيرين انه قال كل ما نهي الله عنه كبير وعن طاوس قال
رجل لابن عباس الكبائر سبع فقال هن الى سبعمايه اقرب وروي عنه ابن جبير انه سيل فقيل له الكبائر
سبع فقال هن الى سبعمايه اقرب غير انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال اياس
ابن عامر لقيت عليا كرم الله وجهه في العرم فقلت يا امير المومنين ما اكبر الكبائر قال الامن من مكر الله
والياس من روح الله والقنوط من رحمة الله وقيل الكبيرة كل ما علم حرمته بقاطع وقيل ما كان مفسدته
مثل مفسدة شي مما ذكر او اكبر منه وقيل كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل
كل معصية اصر عليها العبد فهي كبيرة وكل ما استغفر عنها فهي صغيرة وقال صاحب الكفاية والحق
انهما اسمان اضافيان يعرفان بذاتيهما فكل معصية اضيفت الى ما فوقها فهي صغيرة وان اضيف الى
ما فوقها فهي كبيرة والكبيرة المطلقة هي الكفر اذ لا ذنب اكبر منه ولذلك جوزي ذووه باعظم
العقوبات وهو الخلود في النار نعوذ بالله من ذلك وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم
بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله تعالى كبير يعفو واحتج بقوله
عليه السلام ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيمة يا امة محمد ان الله تعالى قد عفى عنكم جميعا المومنين
والمومنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمته وبالجملة فانما وعد الله المغفرة من اجتنب الكبائر
وعنه عليه الصلوة والسلام الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن
اذا اجتنب الكبائر وقرئ يكفر عنكم بالياء وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا
مرضيا وقرا نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر وروي عبد الوارث عن ابي عمرو نكفر بالنون
ويدخلكم بالياء ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الاموال الدنيوية لان ذلك بقضاء الله وقدره
وقسمته التي قسم بين عباده وعن زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي ساخط لقضاي غير
راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وعن ابن عباس يريد لا يتمنى الرجل فيقول ليت ما لي مال فلان واهله
ولكن سلوا الله من فضله وعن النبي عليه السلام اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون
فحق على كل احد ان يرضى بما قسم له ولا يحسد اخاه على حظه فان الحاسد لا ينال من الله الا بعدا او عقابا ولا
ينال من الملايكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا
عند الموقف الا فضيحة ونكالا وقال مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله ان الرجال يغزون ولا نغزو
ولهم ضعف ما لنا في الميراث فلو كنا رجالا لغزونا كما غزوا واخذنا من الميراث مثل ما اخذوا فنزلت
للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب
ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل

الفضل

اكتسبوا

اكتسبوا استعارة تبعية شبه اجاب حال كل منهما ذلك النصيب باكتسابه اياه وصح جعل ما قسم له
بعضا مما اكتسبه لان له اكتسابا باخر من غير الاموال وحمله على البيان بعيد وقيل لما نزل للذكر مثل
حظ الانثيين قال الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء في الاخرة بالحساب فيكون اجرنا على الضعف
من اجرهن كما فضلنا عليهن في الميراث لنا سهمان ولهن سهم واحد قال الله تعالى للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن معناه ان الرجال والنساء في الاخرة سواء في الاجر فان الحسنة بعشر امثالها يستوي
فيه الرجال والنساء وقيل مما اكتسبوا اي من امر الجهاد ومما اكتسبن اي من طاعة الازواج وحفظ الفروج
يعني ان كان للرجال فضل الجهاد فللنساء فضل طاعة الازواج وحفظ الفروج • واسالوا الله من فضله
اي لا تتمنوا ان يزول ما للناس من نعمة ويكون لكم وهو الحسد بل ان يكون لكم مثل ما لهم وهو الغبطة
وقد علم تحقيقه كل من الحسد والغبطة فان الحسد تمني زوال نعمة الغير والغبطة تمني مثل نعمة الغير
وان الاول حرام والثاني حلال قال عليه السلام المومن يغبط والمنافق يحسد وبالجملة فالحسد
عين جهالة ومحض حماقة ولا تتمنوا واسالوا من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم واعلم ان هذا الامر
للوجوب لقوله عليه السلام ان الله يغضب على من لا يساله ولا نعمل احد سواه ذلك وقرا ابن كثير
والكسائي وسلوا بفتح السين وحذف الهمزة والباقون بالسكون والهمزة ان الله كان بكل شي عليما
فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم له شان وفي هذا التاكيد دلالة على ان ذلك التفضيل
قسمة من الله صادرة عن حكمة وعلم باحوالهم تعليمهم ان يرضوا بما قسم لهم وهو علة للنهي والامر كانه قيل
نهى ما نهى عنه وامر ما امر لفرط علمه بامور كم واحوالكم وبما فيه صلاح لكم وقد ورد مثله اعني تعقيب
الامر والنهي بالتاكيد والمبالغة على وجه التعليل في التنزيل كثيرا ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان
والاقربون المراد بكل اما المال او الوارث او المواريث والمعنى على الاول ولكل مال مما ترك الوالدان
والاقربون جعلنا وراثا يلونه ويحوزونه فموالي مفعول الاول لجعلنا ولكل مفعول له الثاني اي وجعلنا
ورثة لكل مال ترك هولا قيل وفيه ضعف للفصل بين الموصوف وهو كل والصفة وهو مما ترك
لقولك لكل رجل جعلت درهما فقيرا واجيب بان العامل لم يتخلل بل المعمول قد تقدم فجا التخلل
من ذلك فلم يضعف اذ حق المعمول التاخر عن عامله وح يكون الموصوف مقرونا بالصفة وعلى الثاني
ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع
اليه محذوف وان لكل قوم من الموالي جميع ما ترك الوالدان والاقربون لا نصيب وانما النصيب
لكل فرد واجيب بانه مع قلته ثابت في القران وما منا الا له مقام معلوم ومنا دون ذلك وانما
يستحقه القوم بعض التركة لما فيها من مون التجهيز البتة ومن الوصية شرعا والدين عرفا واما حمله
من على البيان للمحذوف فبعيد جدا وعلى الثاني ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة نوا

لانهم فى معنى الوراث وفى ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف يفسر الموالي كانه قيل من هم فقيل
الوالدان والاقربون ويرد تحليله اولا ان الموالي اسم يشبه ان يكون فى الاصل اسم كان لا صفة ليكون من صلة
له والجواب ان ذلك لتضمنه معنى الفعل وثانيا ان مع المورثين من لا موالي له بل يولي واحد والجواب ان ذلك
بحسب التوزيع الجنسي بمعنى ان لكل من الاحاد شيا من جنس المولي قل او كثر حيا ان من لا وارث له فبيت المال
مولاه وثالثا ان تفسير الموالي بالوالدين والاقربين ايا ما يخرج الاولاد وان اريد مجرد المعنى اللغوي يجب
يتناول الاولاد فكذا يتناول والجواب انه ترك التصريح بالاولاد لظهور امرهم وصرح بالوالدين مع تناول
الاقربين اياهم لشرفهم وزيادة الاهتمام بهم والذين عقدت ايمانكم والمراد بهم موالي الموالات كان الرجل
يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني
وارثك وتطلب لي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ
بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض وعن النبي عليه السلام انه خطب يوم الفتح فقال ما كان
من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا فى الاسلام وعند ابي
حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالات خلافا
للشافعي وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الاية ثم نسخ فالمعاقدة التبني وعلى
الاول بمعنى المحالفة والمعاهدة بمعنى عاقدت ايمانكم عاهدتهم ايديكم وما سحتموهم وهو مبتدا ضمن
معنى الشرط وخبره قوله فاتوهم نصيبهم او منصوب مضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او
معطوف على الوالدين فيكون المضمر فاتوهم للموالي وقال ابراهيم ومجاهد اراد فاتوهم نصيبهم من النصر
والرفد ولا ميراث وعلى هذا تكون الاية غير منسوخة كقوله تعالى اوفوا بالعقود وقال ابن عباس نزلت
هذه الاية فى الذين اخى بينهم رسول الله عليه السلام من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة ٥
وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة دون الرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي نسخت ثم قال والذين عاقدت
ايمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له وقرا الكوفيون حمزة والكسائي
وعاصم عقدت بغير الف بمعنى عاقدت عهودهم ايمانكم فحذف المعهود واقيم المضمر المضاف اليه مقامه
ثم حذف كما حذف فى القراة الاخرى وقرات ام سعد بنت سعد بن الربيع عقدت بتشديد القاف قالت
نزلت فى ابي بكر وابنه عبد الرحمن حلف ان لا يؤتيه من ماله شيا الا فامن الكفر فلما اسلم نزل والذين
عقدت ٥ ان الله كان على كل شي شهيدا ٥ على بعض الضمير فى بعضهم للرجال والنسا جميعا يعني انما كانوا
مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم تهديد على منع نصيبهم ومعنى الشهيد العالم بالغايب والحاضر
وهو ابلغ من الشاهد ٥ الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن امرين ناهين قيام الولاة على الرعايا
ولكونهم قوامين عليهن سموا قواما وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي ٥ بما فضل الله بعضهم على بعض الضمير

فى

فى بعضهم للرجال والنسا جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض
وهم النسا بكمال العقل والحزم والعزم وحسن التدبير ومزيد القوة والكتابة فى الغالب والفروسية
والرمي سيما النبوة والامامة والجهاد والاذان والخطبة والولاية فى النكاح واقامة الشعاير والشهادة
فى مجامع القضايا وزيادة السهم والتعصيب فى الميراث والحمالة والقسامة والطلاق والرجعة وعدد
الازواج والانتساب الى غير ذلك وبما انفقوا من اموالهم ٥ وبسبب ما اخرجوا فى نكاحهن من اموالهم
فى المهور والنفقات وروي سعد بن الربيع احد نقباء الانصاري نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد
ابن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال عليه
السلام لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف
فى ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامراته فيما دون النفس ولو يجرحها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص بين
الرجل وامراته الا فى الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا ٥ فالصالحات قانتات مطيعات قايمات
بحقوق الازواج حافظات للغيب وهو خلاف الشهادة اى حافظات لمواجب الغيب يعني يحفظن فى
غيبة الازواج ما يجب عليهن حفظه من الفروج والبيوت والاموال وعنه عليه السلام خير النسا امراة ان
نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلى الاية وقيل للغيب
لاسرارهم ٥ بما حفظ الله وبما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج فى كتابه وامر رسول الله استوصوا
بالنسا خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وبما حفظهن حين وعدهن الثواب
العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية على الوجوه الثلثة
ويجوز ان تكون موصولة اي بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب
عنهن وقرا ابو جعفر بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل
اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على
الرجال والنصيحة لهم وقرا عبد الله فالصوالح قانتات حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن وقرا
الاعمش طلحة والاعمش فالصوالح قوانت حوافظ ٥ واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن
مطاوعة الازواج من النشز وهو المرتفع نهي ناشز اذا استعصت
عليه وابغضته وعن الزجاج النشوز من الزوجين وهو كراهة كل واحد منهما صاحبه فعظوهن واهجروهن
فى المضاجع اي فى المراقد يعني لا تداخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها
ظهره فى المضجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن فى النشوز امر بوعظهن اولا والوعظ ثم بهجرانهن
فى المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن
من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء لانه عدول عما كان هو غاية فى الجلاء الى ما هو غاية

في الجفا وايضا لم ينقل انه مشروع فضلا ان يكون مامورا. واضربوهن قالوا يجب ان يكون ضربا
غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وقال عطا ضربا بالسواك وعن النبي عليه السلام
علق سوطك حيث يراه اهلك وقد جا في الحديث عن النبي عليه السلام في حق المراة ان تطعمها وتكسوها
اذا اكتسيت ولا يضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجره الا في البيت وعن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه
كنت اربعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدنا ضربها بعود المشجب حتى يكسر عليها
واعلم ان للزوج ان يضرب امراته لاجل الخروج من البيت وترك الصلوة والزكوة وغيرهما من الفرايض
والواجبات وترك الاجابة الى الفراش وترك الزينة لزوجها وهو يريدها وترك ضرب جاريته عمدا
ولا تتعظ بوعظ وترك ما نهى الله عنه. فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا. فازيلوا عنهن والتعرض
بالتوبيخ والايذا اي توبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد
وترك النشوز فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له وقيل اي فلا تطلبوا اصلة الفراق. ان الله كان عليا
كبيرا. فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم وانه مع علو شانه وكبريا سلطانه يتجاوز وعن
كبريا سلطانه يتجاوز عن سياتكم ويتوب عليكم اذا رجعتم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم اذا رجعن وعن
ابي مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به النبي عليه السلام فصاح به ابا مسعود
لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام. ان العلي الكبير هما كالمتكبر في المعنى. وان خفتم
شقاق بينهما. تفصيل اخر لنشوزهن واصله شقاقا بينهما اي خلافا بين المرء وزوجته فاضيف
الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة اهل الدار
وهو مجاز حكمي حيث جعل البين مشاقا والليل مسروقة او الى الفاعل كقوله تعالى بل مكر الليل
والنهار على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين فهو من اضافة المصدر الى الفاعل المجازي والكل
بمعنى اللام والضمير في بينهما للزوجين وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما وهو الرجال والنسا والخوف
بمعنى العلم ويجوز ان يكون بمعنى الظن. فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها رجلا مقنعا رضا يصلح
لحكومة العدل والاصلاح بينهما من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال
واطلب للصلاح وبهما تلون في ضمايرهما ما لا يحبان ان يطلع الاجانب عليه وهذا على وجه الاستحباب
لجواز نصب الحكمين من الاجانب وقيل الخطاب للحكام وقيل للازواج والزوجات ولا يليان الجمع
والجمع بينهما والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا رضاهما ان وجدا الصلاح فيه
كالحاكم حكم بين الخصمين وان لم يكن وقف مرادهما وعن ابن سيرين عن عبيدة السلماني انه قال في هذه
الاية وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله جا رجل وامراة الى علي رضي الله عنهما ومع كل واحد فيام
من الناس فامرهم ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان

رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما قالت المراة رضيت بكتاب الله بما علي ولي قال الرجل
اما الفرقة فلا فقال له علي كذبت والله حتى تقر بمثل الذي اقرت به وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن
الشعبي ما قضى الحكمان جاز فانهما ما جعلا حكمين الا والبهما بنا الامر على ما يقتضيه رايهما. ان يريدا
اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير في يريدا للحكمين وفي بينهما للزوجين اي ان قصد الحكمان اصلاح
ذات البين اوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة
وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقا
على الكلمة الواحدة ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وزوال
الشقاق يلقي الله بينهما الالف وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضا مودة وفيه تنبيه على
ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه وقيل ضمير يريدا للزوجين وضمير بينهما للحكمين
اي ان يريد الزوجان اصلاحا يوفق الله بين الحكمين اصلاحهما يعني يعملان بالصلاح. ان الله كان
عليما خبيرا. بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الالف والوفاق لو انفقت ما في
الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم. واعبدوا الله. وحدوه مخلصين ولا تشركوا
به شيا. صنما او غيره او شيا من الاشراك جليا او خفيا. وعن ابن عباس كل عبادة في القران فانما
يعني به التوحيد والخطاب عام وقيل للكفار والمنافقين والمعنى وحدوا الله واطيعوه فيما امركم
به وما نهاكم عنه ولا تشركوا بعبادته احدا. وبالوالدين احسانا. واحسنوا اليهما احسانا. وبذي
القربى. وبكل من بينكم وبينه قرابة من اخ او عم او غيرهما وقرى مصدر قرب خلاف بعد قربا وقربى
وقرابة وقربى وقيل القرب في المكان والقربة في المنزلة والقرابة والقربى في الرحم. واليتامى والمساكين
وعن ابي امامة قال النبي عليه السلام من مسح راس يتيم لم يمسحه الا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده
حسنات ومن احسن الى يتيمة او يتيم عنده كنت انا وهو في الجنة كهاتين وفرق بين اصبعيه السبابة
والوسطى رواه احمد وغيره وعن ابي الدردا قال اتى النبي عليه السلام رجل يشكو قسوة قلبه قال ان
اردت ان يلين قلبك وتدرك حاجتك فارحم اليتيم وامسح راسه واطعمه من طعامك وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق نبيا لا يعذب الله يوم القيمة
من رحم اليتيم ولان له في الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما اتيه الله والجار
ذي القربى. الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرى بالنصب
على الاختصاص تعظيما او على نزع الخافض اي واحسنوا بالجار ذي القربى وهو الاوجه. والجار الجنب.
اي الذي بعد جواره او الذي لا قرابة له وقيل الجار القريب النسب والجار الاجنبي وعن طلحة
قالت عايشة يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما منك بابا وعن ابن عمر قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعنه عليه السلام
الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الاسلام وحق
الجوار وجار له حق واحد وهو المشرك من اهل الكتاب وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون وقرأ
اليماني وابن ابي عبلة بالنصب على نزع الخافض اي واحسنوا بالجار الجنب • والصاحب بالجنب هو الذي
صحبك بان حصل بجنبك من رفيق في سفر او جار ملاصق او شريك في التعلم او قاعد الى جنبك في مجلس
او مسجد او غير ذلك ممن بينه وبينك ادنى صحبة فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة
الى الاحسان وقال عليه السلام علي وعبد الله والنخعي الصاحب بالجنب هو المرأة تكون معه الى جنبه
وقال عليه ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة هو الرفيق في السفر • وابن السبيل المسافر المنقطع به
وقيل الضيف وعن النبي عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت • وما ملكت
ايمانكم اي المماليك من العبيد والاماء وعن ابي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة سيء الملكة •
ان الله لا يحب من كان مختالا • متكبرا يأنف عن اقاربه واصحابه ومماليكه ولا يلتفت اليهم وقيل المختال
ذو الخيلاء والكبر ومما يحب ان ينتبه له ان هذا من العام المخصوص وسيجيء تقريره في سورة الحشر
فخورا • يتفاخر عليهم • الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل • بدل من قوله من كان او نصب على الذم
او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون
الناس بالبخل او الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة وقرأ حمزة والكسائي وخلف
بالبخل بفتح الباء والخاء وكذلك في سورة الحديد والباقون بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بضمتين وعن
ابي رجاء بالبخل بكسر الباء وسكون الخاء وعنه بالبخل بفتح الباء وكسر الخاء ويكتمون ما آتاهم الله من فضله من الغنى
والعلم ومن فضله في موقع الحال من ما او من العائد المحذوف • واعتدنا للكافرين عذابا مهينا • وضع
المظهر موضع المضمر دلالة على ان من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافرا بنعمته فله عذاب يهينه
كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكتموها وقيل في اليهود الذين كانوا يقولون للانصار نصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر
ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة وما آتاهم من فضله من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي
عليه السلام اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يرى نعمته على عبده وقال السدي نزلت في المنافقين وقيل
في مشركي مكة المنفقين على عداوة النبي عليه السلام • والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين
يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق على غير وجه اباحة
الله وشرعه من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف يدل

عليه قوله ومن يكن الشيطان • ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه ومن
يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا • حيث حملهم على البخل او الرياء والكفر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان
يقرن لهم في النار وقرأ عمرو بن عبيد فساء بامالة السين قال ابو حاتم امالة السين خطأ غرائب القرآن • وما
ذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي واي تبعة ووبال عليهم في الايمان او الانفاق في
سبيل الله والاستفهام للذم والتوبيخ والا لم يستقم لانه معلوم ان كل منفعة ومصلحة في ذلك اي في الايمان
والانفاق في سبيل الله فلا منفعة للاستفهام بانه اي ضرر كما لا معنى للاستفهام في قولك ما ضرك لو عفوت
وما كان يضرك لو كنت بارا لانه معلوم ان لا ضرر ولا مرزية في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل
للمخاطب بمكان المنفعة وانما قدم الايمان على الانفاق ههنا واخره في الآية المتقدمة لان القصد بذكره الى
التخصيص ههنا والتعليل ثم وماذا عليهم وجوه احدها ان ما مبتدأ وذا بمعنى الذي وعليهم صلته وهما خبر
ان والثاني ان يكونا مبتدأ وما خبرا مقدما عليه لانه استفهام والثالث ان ماذا مبتدأ بمعنى اي شيء وعليهم
خبره وذكروا في لو وجوها احدها انها اصلها والكلام محمول على المعنى اي لو آمنوا لم يضرهم والثاني انها
بمعنى ان الناصبة للفعل والثالث انها بمعنى ان الشرطية هكذا قالوا واعلم ان كلمة لو ههنا
ليست لانتفاء الشيء لانتفاء غيره ولا للمضي بل المراد بها عدم تحقق الحكم البتة كانه قيل اي ضرر عليهم ولو تحقق
الايمان منهم لكن لم يتحقق واشراكهم وذلك لان هؤلاء ممن لم يكن ليتحقق الايمان منهم لا في الماضي ولا في الحال
ولا في الاستقبال اما الماضي فبدليل قوله لو آمنوا بالله واليوم الآخر واما الحال والاستقبال فلقوله
ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر فقد وقع فعل المضارع في سياق النفي دلالة على انهم يكفرون بالله واليوم
الآخر مصرين على ذلك وتنبيها على افراطهم في الجحود والخبث وتماديهم في الدعارة • وكان الله بهم عليما
وعيد لهم او عليما بما يضمره عباده ويفعلونه وهو من وراء الجزاء يوفيه حيث شاء ومتى شاء • ان الله لا يظلم
مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب ادنى شيء واصغره كالذرة وهي النملة الصغيرة وقرأ
عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء
ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة قيل وفيه دليل انه لو نقص من الاجر اصغر شيء او زاده في
العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا في القدرة وذلك لانه جعل نفي اقل ما يكون
من الظلم كناية عن اعطاء الاجر بتمامه من غير نقصان وعن عدم زيادته في عقاب السيئة ادنى شيء ومن
الدليل على ان القصد الى الكناية قوله تعالى ان تك حسنة يضاعفها ونحن نجعل عدم نقصه الاجر وزيادة
العقاب مبنيا على وعده لاستحالة الخلف فيه لانه نقص مناف للالوهية وكمال الغنى والمثقال مفعال
من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه والظاهر انتصابه على المفعولية وقيل
بموصفه مصدر محذوف اي ظلما مثقال ذرة • وان تك حسنة • وان تك مثقال الذرة حسنة وانث

ضمير المثقال لاضافته الى مؤنث ولتانيث الخبر وحذف النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة وقرا
نافع وابن كثير حسنة بالرفع على كان التامة وروى شبل عن ابن كثير وابن محيصن وان تك حسنة
بالتا يضاعفها يضاعف ثوابها قيل يضاعف ثواب الحسنة بحسب الزمان لا بحسب المقدار فان
المستحق لا يقبل الزيادة وقيل المراد من هذه المضاعفة المضاعفة بحسب المقدار مثلا يستحق على طاعته
عشرة اجزا جعله الله عشرين جزا او ازيد بحسب المدة لان مدة الثواب غير متناهية وتضعيف المدة
الغير المتناهية محال وعن عثمان الهندي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المومن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة
لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الفي حسنة ثم تلا هذه الاية وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعّفها وقرا ابن هرمز نضاعفها بالنون وقرا الضحاك وابن عمر يضاعفها بالرفع وابو واقد نضعّفها بالنون
وتشديد العين وسكون الفا وروى عمرو عن الحسن يضعفها بضم اليا مخففا من الاضعاف والكل بمعنى
ويوت من لدنه • ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زايدا على ما وعد في مقابلة العمل وكل من لدن وعند
يستعمل في المكان وفي غير المكان اما الاول فظاهر واما الثاني فلورود استعمالهما في شي يستحيل اعتبار
المكان فيه ومنه قوله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته وقوله وعلمناه من لدنا علما
ويوت من لدنه • اجرا عظيما • عطا جزيلا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وانما سماه اجرا لانه تابع
للاجر يزيد عليه وعن ابي هريرة اذا قال اجرا عظيما من يقدره واعلم ان في الاية دلالة بينة على تحقق المعاد
الجسماني والروحاني معا لاشتمالها على اللذات الجسمانية واللذات الروحانية التي هي اعلى مراتب السعادات
وذلك ان قوله وان تك حسنة يضاعفها صريح في ادراك المحسوسات واللذات الجسمانية الموعود
بها في الجنة وقوله ويوت من لدنه اجرا عظيما في استيفا اللذات الروحانية فان الاجر العظيم الذي
يوتيه من لدنه الاجر العظيم امر اللذات المحققة عند النظر الى وجه الله تعالى وعند الاستغراق في
معرفته ومحبته وهذا قد جا مطابقا لما هو مقتضى العقل وموجبه فان العقل قد دل على ان كمال سعادة
الاجسام في ادراك المحسوسات واللذات الجسمانية وان كمال سعادة الارواح برؤية الله والاستغراق
في محبته ومعرفته والجمع بين هذين الكمال في هذه الدار وهذه الحيوة ليس يمكن لزيادة نقصانها
وكمال ضعف الارواح البشرية في هذا العالم فان الانسان مع استغراقه في استيفاء هذه اللذات
لا يمكنه الالتفات الى اللذات الروحانية ومع استغراقه في تجلي انوار عالم الغيب لا يمكنه ان يلتفت الى
شي من اللذات الجسمانية ولانه تعالى قد قدر وكتب في اللوح ان ذلك لا يكون الا بعد مفارقة الارواح
بالموت فانها اذا فارقت واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وكملت فاذا اعيدت الى
الى الابدان مرة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع بين الامرين وقد ورد في ذلك الاخبار واتفقت

عليه

عليه الارا وبالجملة فمن انكر احد المعادين فقد انكر الحق وكابر بانكار ما هو من ضروريات الدين القويم
والصراط المستقيم • فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد • فكيف حال هولا الكفرة من اليهود وغيرهم اذا
جينا من كل امة بشهيد يشهد على قبح اعمالهم وقبايحهم وفساد عقايدهم وهو نبيهم لقوله وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان • وجينا بك
يا محمد على هولا • المكذبين • شهيدا • والاولى ان يكون هولا اشارة الى الفريقين اي شاهدا على صدق
هولا الشهدا وكذب المكذبين لعلمك بعقايدهم الحقة والباطلة واستجماع شرعك مجامع قواعدهم
المستقيمة وقيل اشارة الى المكذبين من جميع الامم حتى امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الى المومنين
لقوله لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وعن ابن مسعود انه قرا سورة النسا على النبي
عليه السلام حتى بلغ قوله وجينا بك على هولا شهيدا فبكى عليه السلام وقال حسبك الان فالتفت
اليه فاذا عيناه تذرفان • يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض • بيان لحالهم
يوم القيمة اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامرا والكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا
فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سوا وقيل يصيرون
البهايم ترابا فيودون حالها فالبا في بهم للملابسة اي تسوى الارض ملتبسة بهم وقيل للسببية او بمعنى
على وهي على الوجهين الاخيرين صلة وقرا نافع وابن عامر تسوّى بفتح التا وتشديد السين على ان اصله
تتسوى فادغمت التا في السين وماضيه اسوى كازكى وحمزة والكساي تسوى على حذف التا الثانية تلز
فتح التا الاولى وتخفيف السين وعاصم وابن كثير وابو عمرو بضم التا وتخفيف السين • ولا يكتمون
الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي ويودون ان تسوى
بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قوله ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا
ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى
بهم الارض وان تدفنوا تحتها وقال عطا ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد عليه السلام
ولا نعته وقال الحسن انها مواطن ففي موضع لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موضع يتكلمون ويكذبون
ويقولون ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سو وفي موضع يعترفون وقوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفي
موضع يتسالون وفي موضع يسالون الرجعة واخر المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم وهو
قوله ولا يكتمون الله حديثا • يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى • اي لا تقوموا الى
الصلوة واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وتقرير المقام ان قوله وانتم
سكارى قيد ورد بعد النهي والقيد الوارد يجوز ان يتعلق بالنهي الذي هو طلب الترك والكف عن
الفعل وبالمنهي الذي هو الفعل اعني قربان الصلوة ههنا وبالمطلوب الذي هو ترك الفعل والكف

عنه وهذه ثلثة اقسام يصح اعتبار كل منها ههنا فان قوله وانتم سكارى يجوز ان يكون قيد الطلب الكف وهو القسم الاول فيكون المعنى اكفوا عن ان تقربوا الصلوة في حال السكر اي لا يكن منكم القيام الى الصلوة في هذه الحالة ولا خفا في صحة هذا المعنى ووضوحه وان يكون قيدا للفعل كقولك لا تصل وانت محدث فيكون المعنى اجتنبوا الصلوة في حال السكر في حال انك محدث وان يكون للترك كقولك لا تبالغ في الاختصار وانت تريد سهولة الفهم اي اتركوا قربان الصلوة في حالة السكر واتركوا المبالغة في الاختصار حال ارادة السهولة فعليك بالتامل والتدبر في مثل لا تصل وانت سكران وصل وانت صاح والمعول فيما ذكرنا ان المقام من معارك الآرا ومصادم الاهوا ومسارح الافكار ومطارح الانظار • روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة فدعا نفرا من اصحاب النبي عليه السلام حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجا وقت صلوة المغرب فقدموا احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت الاية فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشا شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهى السكر عن قربان الصلوة بل النهي عن الافراط في الشراب فيكون من باب حذف المضاف او من اطلاق الحال على المحل وقال الضحاك بن مزاحم هو سكر النعاس وغلبة النوم نهى عن الصلوة عند غلبة النوم وعن النبي عليه السلام اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه وسكارى جمع سكران والسكر هو السد وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم سكرى كقولك امراة سكرى وقرئ سكرى بضم السين كحبلى على انها صفة الجماعة فيكون سكرى وسكرى بالفتح والضم في الصفة المشبهة للمؤنث كسكى وكسكى بالفتح والضم على ما حكاه ابن جبيش • حتى تعلموا ما تقولون • حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم وقد مر ان حتى الداخل على الافعال قد يكون للغاية وقد يكون لمجرد السببية والمجازاة وقد يكون للعطف المحض اي التشريك من غير اعتبار غاية وسببية والاول هو الاصل فيحمل عليه ما امكن وذلك بان يكون ما قبل حتى محتملا للامتداد وضرب المدة وما بعدها صالحا لانتهاء ذلك الامر الممتد اليه وانقطاعه عنده كقوله تعالى حتى يعطوا الجزية وقوله حتى تستانسوا اي تستاذنوا • ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب وقرا النخعي وابن وثاب ولا جنبا بسكون النون ههنا وفي المائدة الايجاب في سلب استثنا مفرغ واقع موقع الحال من المخاطبين اي لا تقربوا الصلوة جنبا كائنين على حال من الاحوال الا مسافرين

وهما عنى ولا جنبا الا عابري سبيل حالان من فعل واحد على الاجتماع واعتبار الثانية في الاولى اي لا تصلوا في حال الجنابة كائنين على حال من الاحوال الا مسافرين لا على الاستقلال اذ لا صحة مثل لا تصلوا جنبا ولا تصلوا الا عابري سبيل ويجوز ان يكون الا صفة بمعنى غير الجنبا اي لا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل يعني جنبا مقيمين غير معذورين ويصح صلوة الجنب لعذر السفر بنا على ان الاستثنا في النفي اثبات وذلك ان المراد بالجنب غير مغتسلين كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان يكونوا مسافرين ومن فسر الصلوة بموضعها وهي المساجد فسر عابري بالمجتازين فيه وجوز للجنب عبور المسجد اي لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الما او كان الماء فيه او احتلم فيه وهو قول ابن مسعود وابن المسيب والضحاك وبه قال ابو حنيفة وذلك ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم العبور وجوز الحسن ذلك على الاطلاق وبه قال مالك والشافعي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد وجوز احمد المكث فيه والجمهور لا يجوزه حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة قيل وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا لا يقدر معه على استعمال الما او ان استعمل الما اشتد مرضه حتى لا يشترط خوف التلف خلافا للشافعي اذ ضرر اشتداد المرض فوق ضرر زيادة الثمن وهو يبيح التيمم ومرضى جمع مريض نحو شتى جمع شتيت او على سفر لم يجد فيه الما للوضوء • او جا احد منكم من الغايط • حدث بخروج الخارج من السبيلين واصل الغايط المطمئن من الارض ثم قيل لقضا الحاجة لما بينهما من اللزوم في الخارج بحسب العادة فانه لما وقع في العرف قضا الحاجة في المكان المطمئن حصل بينهما ملازمة في الخارج لكن لا بحسب الخلقة بل بحسب عادات الناس من غيط قيل وهو تخفيف غيط كميت في ميت والغيط بمعنى الغايط • او لامستم النسا • قرا حمزة والكسائي لمستم ههنا وفي المائدة والباقون لامستم وهما بمعنى اي اللمس والملامسة يعني الجماع عند ابن عباس والحسن والمجاهد وقتادة وقال ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي هما التقا البشرتين بجماع كان او بغيره وقال مالك الملامسة ههنا الجماع لما روي الشعبي عن علي وابن جبير وابن عباس انهما قالا الملامسة الجماع وعنه ان كان اللمس بشهوة تنتقض الطهر والا فلا وبه قال احمد وليث بن سعد واسحق وقال الشافعي مس المراة مطلقا حدث لقوله او لامستم النسا وحقيقة المس باليد ولانه سبب لخروج الحدث فاقيم مقام حقيقته اي الخروج وعند اصحابنا ليس بحدث لقول عايشة رضي الله عنها كان النبي عليه السلام يقبل بعض نسائه ثم يخرج الى الصلوة ولا يتوضا وعنها قالت كنت نايمة الى جنب رسول الله عليه السلام ففقدته من الليل فلمسته بيدي فوضعت

يدي على قدميه وهو ساجد يقول اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك واصح القولين عن الشافعي ان مس المحارم كالام مثلا لا ينقض
الوضوء لانها ليست بمحل الشهوة وكذا من اجنبية صغيرة • فلم تجدوا ماء • فلم تقدروا على استعماله اذ الممنوع عنه
كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية له في غالب
الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره اسبابه ما يحدث بالذات
وما يحدث بالعرض استغنى عن تفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى
او على سفر او محدثين جئتم من الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ماء • فتيمموا صعيدا طيبا فتعمدوا
واقصدوا شيا طاهرا من وجه الارض الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره قال الزجاج لا اعلم اختلافا
بين اهل اللغة في ذلك وان كان صخرا لا تراب عليه فلو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره •
وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه وما قيل انه فعيل بمعنى مفعول او فاعل من الصعود ففيه نظر وذهب
الشافعية الى انه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما تعلق باليد منه غبار لما روي عن ابن عباس وابن
عمر انهما قالا في تفسير صعيدا طيبا اي ترابا طاهرا وعن حذيفة ان النبي عليه السلام قال فضلنا
على الناس بثلث جعلت لنا الارض مسجدا وجعل ترابها طهورا عدل بعد ذكر الارض الى ذكر التراب
ولولا اختصاص الطهور بالتراب لقال جعلت لنا الارض مسجدا وطهورا وفيه نظر لما رواه البخاري وغيره
فيه وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ولقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من
بعضه وجعل من لابتدا الغاية بمعنى ان المسح يبتدا منه وان لم يعلق منه شي باليد تعسف اذ لا يفهم احد
من العرب من مثل مسحت براسه من الدهن ومن الما والتراب الا التبعيض والجواب بان من للسببية
وضمير منه للحدث المذكور كما في قولك تيممت من الجنابة عدول عن الظاهر وقطع للضمير عن الاقرب واللفظ
منه اذا السببية تفهم من الفا وجعل المسح في معرض الجزاء • فامسحوا بوجوهكم وايديكم • التيمم
ضربتان ضربة لمسح وجهه وضربة ليديه مع مرفقيه ولا يشترط فيه الترتيب عند اصحابنا واشترط
الاستيعاب حتى لو بقي شي قليل لا يجزيه واذا لم يدخل الغبار بين اصابعه فعليه ان يخلل اصابعه فيحتاج
الى ضربة ثالثة لتخليلها وقال علي وابن عباس ضربة واليه ذهب احمد والاوزاعي واسحق استدلالا
بحديث عمار وهو فيما روي انه جا رجل الى عمر بن الخطاب فقال اني اجنبت فلم اصب الما فقال عمار لعمر
اما تذكر انا كنا في سفر انا وانت فاما انت فلم تصل واما انا فتمعكت في التراب وصليت فذكرت النبي
عليه السلام ذلك فقال عليه السلام انما يكفيك هذا فضرب النبي عليه السلام بكفيه الارض ونفخ فيهما
ثم مسح فيهما وجهه وكفيه وفي رواية اخرى قال عمار لعمر تمعكت فاتيت النبي عليه السلام فقال يكفيك
الوجه والكفين • وقال الزهري يمسح اليدين الى المنكبين لقول عمار تيممنا الى المناكب وحد الوجه من قصاص

الناصية

الناصية الى منتهى الاذن واسفل الذقن لان اسم الوجه يقع على هذا الوجه القدر عرفا وعادة واليد اسم
العضو من المنكب الى اطراف الاصابع وما روي انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على
الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق • ان الله كان عفوا غفورا • في معرض التعليل كقوله وان كنتم
مرضى الى اخره وهو كقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم في المائدة بعد اية التيمم والعفو
والمغفرة مجاز عن الترخيص في التيسير انتقالا من الملزوم الى لازمه وذلك انهما يستدعيان سبق جريمة وليس
في تلك الاعذار شي من الجريمة فلا يصح اجراوه على ظاهره فوجب الحمل على المجاز وانما لم نقل هو كناية عن ذلك
كما زعم الزمخشري لان علما البيان قد جعلوا مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم ومبنى الكناية
على الانتقال من اللازم الى الملزوم والاول لامكانه هو المعتبر ههنا بخلاف الثاني فانه لم يصح اعتباره فيه
يعني لكمال عفوه عن الخطايين وعادته ان يغفر للمذنبين يسر الامر عليكم ورخص لكم وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى يحب ان يوتى رخصه كما يكره ان يوتى معاصيه رواه العباله بن مسعود وابن
عباس وعنه عليه السلام افضل امتي الذين يعملون بالرخص فان قيل الاقسام اربعة اسباب لامور
متغايرة وان سببية المرض والسفر انما هي للرخصة وسببية الحدث لوجوب الوضوء والجنابة لوجوب
الغسل فكيف جمع الكل في سلك واحد اي في الشرط المرتب عليه جزاء واحد وهو الامر بالتيمم عند عدم
وجدان الما اجيب بان القصد الى الترخص في التيمم بالتراب لكل من وجب عليه التطهر ولم يجد
الما فعند عدم الوجدان رجع الى الكل وقيل وجوب التطهر المكنى عنه بالمجي من الغايط او الملامسة
اللذين هما من اغلب اسباب وجوب التطهر معتبر في الكل حتى المرضى والمسافرين وذكرهما تخصيص
قبل التعميم بناء على انهم المتقدمون في استحقاق بيان الترخص لكثرة المرض والسفر وغلبتهما سائر الاسباب
الموجبة للرخصة فكانه قيل ان جا احد منكم من الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما خصوصا المرضى
والمسافرين فتيمموا او وجه سببية مضمون الشرط المضمون الجزا ظاهرا • الم تر الى الذين اوتوا تعجب
من شانهم وتقرير اي حمل على الاقرار بما دخله النفي وصلة الروية بالى ان كانت بمعنى الابصار فلا اعتبار
معنى النظر اي الم تنظر اليهم وان كانت روية القلب اي ادراكا فلتضمن معنى الانتهاء والمعنى الم ينته
علمك اليهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير لان حالهم وقصتهم من شيوعها وشهرتها بحيث ينبغي لكل احد ان يتعجب
منها كانه حقيق بان يحمل على الاقرار برويتهم وان لم يرهم ولم يسمع بصفتهم وشانهم نصيبا من الكتاب يريد
احبار اليهود وانهم حصلوا حظا وافرا من التورية او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية
وهي نصيب عظيم وعلى تقدير اللام للجنس تكون من للتبعيض ومن للتبعيض او للبيان او للابتدا وعلى
تقدير العهد والمعهود اللوح للابتدا وقيل نصيبا من الكتاب اي حظا يسيرا من علم التورية • يشترون الضلالة
يختارونها على الهدي او يستبدلونها به وهو البقا على اليهودية بعد وضوح الايات لهم على صحة نبوة محمد

صلى الله عليه وسلم النبي العربي المبشر به في التورية والانجيل وقيل يأخذون الرشا ويحرفون
التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق كما ضلوا وتنخرطوا في سلكهم
لا يكفيهم ضلالتهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان تضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله
اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا
تستنصحوهم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا
به عن غيرهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم امرهم والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الايصال الاسنادي
بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا لانهم يهود ونصارى وما بينهما اعتراض
من قوله والله اعلم وكفى بالله او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين كقوله ونصرناه من القوم
الذين كذبوا اي يجعلكم منتصرين منهم ومنه قول القائل اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه او خبر
مبتدأ محذوف صفته قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم
كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها والشايع
في مثل ذلك هذا المقام تقديم الخبر لقوله من المؤمنين رجال صدقوا والمعنى يميلون الكلم عن مواضعه
التي وضعه الله بازالته عنها واثبات غيره مكانه وذلك تحريفهم الرجم عن موضعه في التورية بوضعهم الحد
بدله ونحو تحريفهم اسم ربعة بوضعهم ادم طوال مكانه وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون
اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقيل المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة والتاويلات الفاسدة وجر
اللفظ في معناه الحق الى الباطل بوجوه الحيل اللفظية كما يفعله اهل البدعة في الايات القرانية المخالفة
لمذهبهم وقرا النخعي وابن وثاب مواضعه بغير الف ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير
مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول يحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمع فلان
اذا سبه وانما قالوه نفاقا ويحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لصمم او اسمع غير مجاب الى ما تدعوا
اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه فهو على غير مسمع
هذا القول مفعول به لا حالا وقرا ابو جعفر غير مسمع بكسر الميم وراعنا وانظرنا نكلمك او نفهم كلامك ويحتمل
شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعنا فكانوا سخرية بالدين وهزوا بالنبي الكريم يكلمونه
بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام وقرا ابن مسعود وراعونا وقرا الحسن
وراعنا بالتنوين ليا بالسنتهم فتلا بالسنتهم وصرفا للكلام اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث وضعوا
راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بها ما يضمرونه من السب والتحقير الى ما يظهرونه
من الاكرام والتوقير نفاقا فلبا موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بها ما يضمرونه من السب والتحقير الى ما يظهرونه
حال من فاعل يقولون وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا اي ولو ثبت

قولهم

قولهم سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم من سمعنا وعصينا واقوم واعدل واسد من اسمع غير مسمع
وراعنا وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه فان ان مع اسمها وخبرها في معنى مصدر
ماخوذ من مضمون الخبر عامل لذلك الفعل المحذوف ولكن لعنهم الله بكفرهم اي خذلهم الله بسبب كفرهم وابعدهم
عن الهدى والرحمة وفيه تنبيه على ان من ذكر رسول الله بعيب في خلق او خلق او غير ذلك فهو كافر فلا يؤمنون
الا قليلا الا ايمانا قليلا اي ضعيفا ركيكا لا يعبا به وهو الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة
العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه اي عديم التشكي او الا قليلا منهم قد امنوا وهم ابن سلام وشيعته او سبعون
وقال السدي القليل قولهم ربنا الله والجنة حق والنار حق وقال الكلبي لا يؤمنون الا بقليل مما في كتابهم يا ايها
الذين اوتوا الكتاب امنوا كما امن المؤمنون المخلصون بما نزلنا وهو القران العظيم المنزل
على محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معكم من الكتاب غير مخالف له وفيه رد لادعائهم الايمان بكتابهم فانهم
اذا كفروا بما يوافق كتابهم فقد كفروا به روي انه عليه السلام كلم احبار اليهود فقال يا معشر اليهود اتقوا الله
واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر فنزلت من قبل ان
نطمس وجوها ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على
هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة وقال ابن عباس
نجعلها كخف البعير والطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة وقد يراد به
القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار
والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه
قول القائل من قال ان المراد بالوجوه الرؤسا او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار
ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة روي عن ابن سلام لما سمع الاية
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله ويده على وجهه واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان
اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفاي ولذلك كعب الاحبار لما سمعها اسلم في عهد عمر رضي الله عنه فقال يا رب امنت
يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت الاكثرون منهم ابن عباس
والحسن وقتادة والضحاك على ان المراد بلعن اصحاب السبت مسخهم قردة وخنازير والمعنى نخزيهم بالمسخ
كما اخزينا اصحاب السبت او نمسخهم مسخا مثل مسخ اصحاب السبت وقيل المراد به اللعن بالقول المعنى به
الطرد والابعاد عن الرحمة اي نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير في نلعنهم لاصحاب
الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او المراد الوجه لابد له من صاحب او للذين اوتوا الكتاب على
طريقة الالتفات من الخطاب الى الغيبة او للوجوه ان اريد بها الوجهاء والرؤسا وعطفه على الطمس بالمعنى
الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد

منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل قيام الساعة وقيل كان هذا الوعيد مشروطا بعدم الايمان فلما امن عبد الله
ابن سلام واصحابه رفع ذلك عن المنافقين وقيل اراد به في القيمة وقرا ابن الحنفية ان يطمس وجوه فنردها على ادبارها
او يلعنوا كما لعن اصحاب السبت وكان امر الله ● بايقاع شي او وعيد او ما حكم به وقضى به مفعولا نافذا وكاينا
فلا بد من وقوع ما اوعدوا به ان لم يؤمنوا ● ان الله لا يغفر ان يشرك به ● لانه ثبت الحكم على خلود عذابه ولانه ذنب
لا يمحي عنه اثره فلا استعد للعفو بخلاف غيره ● ويغفر ما دون ذلك ● اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن
يشاء ● تفضلا عليه واحسانا واجمع اهل الحق قاطبة على ان قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يدل على العفو عن الكبيرة
قبل التوبة فان غير الشرك داخل فيه ولا يمكن التقييد بالتوبة لان الشرك مغفور معها فيلزم تساوي ما نفي عنه
الغفران وما اثبت وذلك مما لا يليق بكلام عاقل فضلا عن كلام الله تعالى والمعتزلة لما لم يقولوا بالتفرقة
بين الشرك وما دونه من الكباير في انهما الغفران بالتوبة ولا يغفران بدونها حملوا الاية على معنى ان الله لا يغفر
الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفي هذا التقييد من الفساد وما لا يخفى
قيل وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر
بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها والاية كما هي حجة عليهم في حجة على الخوارج
الذين زعموا ان كل ذنب شرك فاصحابه خالدا في النار وعن ابن عمر لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
الاية قام رجل فقال والشرك يا رسول الله عليه السلام اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى
نزلت الاية فامسكنا عن الشهادات وعن علي رضي الله عنه ان هذه الاية ارجى اية في القران وعن الكلبي
نزلت في وحشي واصحابه فانه قد جعل له على قتل حمزة ان يعتق فلم يوف له بذلك فلما قتله وقدم مكة ندم على
صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول انا قد ندمنا على ما صنعنا وليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك تقول
وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الايات لاتبعنا
فنزل قوله الا من تاب وامن وعمل صالحا الايتين فبعث عليه السلام بهما اليهم فلما قراوا كتبوا اليه ان هذا
شرط شديد نخاف ان لا نعمل صالحا فنزل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها
اليهم فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيته فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية فبعث
بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي عليه السلام فتقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة
فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك فلحق وحشي بالشام فكان الى ان مات ● ومن يشرك بالله فقد
افترى اثما عظيما ● ارتكب ما يستحقه دونه الاثام وهو تعريض للتفاوت فيما بينه وبين ما عداه
من الكباير ومن سواء كانت موصوله او شرطيه فيها دلالة على السببية اي الشرك سبب للزوم ارتكاب
اكبر الكباير فجزاؤه اعظم الجزاء وهو الخلود في النار نعوذ بالله من ذلك كله والافتراء هو الكذب عن عمد وقد
يطلق على افتعال ما لا يصح كونه وقيل الافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاف الم تر

الى الذين يزكون انفسهم هم اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى وقيل ناس من اليهود جاوا   قالوا لا قالوا والله ما نحن
الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل وما   بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل
فيها من زكى نفسه واثنى عليها لا لغرض صحيح فان النبي عليه السلام قد قال والله اني لامين في السما امين في
الارض حين قال له المنافقون اعدل في القسمة ارشادا لهم ورد اهل التكذيب الى التصديق مع شهادة الله
بالتزكية ومعنى تزكية النفس مدحها وابن مسعود ان الرجل ليغدو من بيته ومعه دينه فيلقى الرجل لا
يملك له ولا لنفسه ضرا ولا نفعا فيقول والله انك وذيت فيرجع الى بيته وما معه من دينه شي ثم
قرا الم تر الى الذين يزكون انفسهم الاية وعن النبي عليه السلام اياكم والمدح فانه الذبح ● بل الله يزكي من يشاء
اي يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكوة فوصفهم به وفي هذا الاحراب وبنا الفعل على المبتدا
دلالة بينة على اختصاصه به وان لا مزكي الا الله وقيل اصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ● ولا
يظلمون فتيلا ● الضمير للذين يزكون اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم جزا ولمن
يشا اي من يشا يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم وعطاهم فلا تزكوا انفسهم هو اعلم بمن اتقى وقوله
فتيلا اي ادنى ظلم واصغره وهو اسم للخط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة والقطمير
اسم للقشر الذي على النواة والنقير اسم لنقطة تكون على ظهرها وروي خارجة عن نافع ولا تظلمون بالتا
انظر خطاب للنبي عليه السلام ويجوز ان يكون خطابا لكل من يتاتى منه النظر والرؤية بالبصيرة
كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابنا الله وازكياء عنده وفي حكمه وقضائه ● وكفى به بزعمهم
هذا او بالافترا ● اثما مبينا ● من بين ساير اثامهم وقيل الضمير في به للكذب وبان يجي لازما ومتعديا
يقال ابان الشي اذا ظهر وابنته اي عرفته بينا ظاهرا مكشوفا لا شبهة فيه ● الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الهمزة اذا دخلت على النفي يفيد التقرير بمعنى حمل المخاطب على
الاقرار بما دخله النفي فيؤول المعنى الى الاثبات والتعجب سوا كان المخاطب نبيا عليه السلام او كل من
يتاتى منه الرؤية اما الاثبات فظاهر لان انكار النفي نفي له ونفي النفي اثبات واما التعجب فلان
الايمان بالاصنام من اهل العلم هو مع هذا الصارف القوي لهم عن الايمان بها محل التعجب بمعنى ان كل عاقل
ناظر في هذه الحالة يتعجب بل الف التعجب واما التعجب فعلى معنى اسمع يا محمد وانظر واسمعوا ايها السامعون
وانظروا ايها الناظرون وتعجبوا من كفرهم الجلي مع هذا الصارف القوي وهو علمهم بان لهم صانعا قادرا
عالما حيا سميعا بصيرا خالقا منعما مرسلا للانبياء والرسل منزلا للكتب مثيبا معاقبا وهو اي علمهم بان
لهم هذا الصانع يابى ان يكفروا به وصد ورد الكفر عنهم مع الصارف القوي محل التعجب والتعجب ثابت وهو اي
علمهم وروي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة

النبي عليه السلام فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى
نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا ثم قال
كعب ليجئ منكم ثلاثون فنلزق اكبادنا الكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا وقال
ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك
قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت ونسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني ونعمر بيت ربنا وذكروا
افعالهم فقال انتم اهدى   والجبت لفظ يقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك
والطاغوت اسم لكل معبود باطل وقيل الجبت كل ما حرم والطاغوت كل ما يطغي الانسان وعن الضحاك الجبت
حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف وعن عكرمة هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله تعالى
ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد سبيلا
اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب
من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار ان يكون لهم نصيب من الملك بمعنى لم يكن لهم نصيب لاستحقاقهم
حرمانه او ليس لهم نصيب من الملك من شيء وفيه رد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم والفا في قوله
فاذن لا يؤتون الناس نقيرا للسببية والجزائية لشرط محذوف والمعنى ليس لهم نصيب من الملك بسبب انهم
لو اوتوا نصيبا منه لما اوتوا احدا مقدار نقير لفرط بخلهم وهو معنى السببية او ان اوتوا نصيبا منه
فاذن لا يؤتون الناس ما يوازي نقيرا وهي النقرة في ظهر النواة يضرب به المثل في القلة كالفتيل والقطمير
والجملة في معرض التعليل والمراد بالملك ملك اهل الدنيا او ملك الله تعالى وهذا اوصفهم بالشح والبخل
حيث يبخلون بالنقير وهم ملوك بعظيم الملك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين واحسن لطباقه قوله
تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربك الاية ويجوز ان تكون الفا عاطفة ومعنى الهمزة في ام انكار انهم قد
اوتوا نصيبا من الملك وانهم لا يؤتون الناس مما يملكون شيا فيكون الانكار على مجموع الجملتين بمعنى لا
ينبغي ان يكون هذا واذن اذا وقع بعد الواو والفا جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرا ابن مسعود
فاذا لا يؤتوا بالنصب لان اذا اعملها النصب وتقرير المقام على ما قيل ان اذن تنصب المضارع اذا كانت
مستقلة نحو اذا اكرمك في جواب انا اتيك ويلغو اذا كانت متعلقة بما قبلها نحو انا اذن اكرمك واذا
ان اعتمدت بها على ما سوى المبتدا من شرط او قسم لقولك ان تاتني اذن اكرمك ووالله اذن لا افعل واذا
كانت بعد الواو والفا العاطفة فمن جهة حصول الربط بدونها وكون الحرفين لعطف مستقل على مستقل
تكون كالمستقلة فتعمل كما في قراة عبد الله ومن جهة انها مخلا في الارتباط حتى كان ما بعدها من تتمة
ما قبلها تكون كافعال القلوب المتوسطة بين المفعولين او المتاخرة عنهما فتلغو كما في قراة العامة
كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ونحوه قوله واذا لا يلبثون خلافك وقرئ لا يلبثوا وفي قولك

ان تاتني اتك واذن اكرمك ثلثة اوجه الجزم والنصب والرفع ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله
والمومنين وفيها انكار للحسد واستقباحه بمعنى انه لا ينبغي ان يكون وكانوا يحسدونهم على ما اتاهم الله من فضله
من النبوة والكتاب والنصر والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم ووصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين
وكان بينهما تلازم وتجاذب مع ان الحسد اقبح من بخلهم بما في ايديهم لان الحسد فيه الحقد والغضب والتسخط
قضا العبث ولا يضع الشيء الا في موضعه وكل ما اتى عباده فهو الحكمة المحضة والحاسد للمنعم عليه كانه يرى
انه وضع الشيء في غير موضعه حيث يريد ازالة النعمة عنه ولا يراه موضعا لها فكانه ينسب ربه الى الجهل
والعبث وان الله تعالى المتعالي عن هذه الاوصاف علوا كبيرا اعصمنا الله واياكم منه عن جميع مناهيه ووفقنا
لما يحب ويرضيه انه حكيم خبير وعلى ما اتينا قدير وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مومن الا وفيه حسد
وسوطن فذهاب احدهم ان لا يبغي اخاه غائلة وذهاب سوطنه ان لا يحققه بقول بقوله   روي ان موسى
عليه السلام راى في ظل العرش رجلا فغبطه لمكانه وقال ان هذا الكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه
وقال احدثك بعمله بثلث كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة
فقد اتينا ال ابراهيم لهم بما هو من ايتنا الله الكتاب والحكمة ال ابراهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام
واتباعه الكتاب والحكمة النبوة واتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما اتاهم وعن ابن
عباس الملك في ال ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم
له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهرية وسبعمائة سرية وعن ابي بكر الوراق كل شهوة
تقسي القلب الا الجماع فانه يصفي القلب ولهذا كان الانبيا يفعلون بذلك فمنهم فمن اليهود من امن
به بمحمد عليه السلام او بما ذكر من حديث ال ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه
ولم يؤمن مع علمه بصحته او من ال ابراهيم من امن بابراهيم ومنهم من كفر وذلك ان ابراهيم زرع ذات
سنة وزرع فهلك زرعهم وزكى زرع ابراهيم فاحتاجوا اليه فكان يقول من امن به اعطيته فمن امن به اعطاه
ومن لم يؤمن منعه وقرا ابن مسعود وابن عباس صد مبنيا للمفعول وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون
بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد اكفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى
وهي النار الشديدة وعن الحسن انه من اسما جهنم ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا اي ندخلهم نارا
في الاخرة وهذا بمنزلة البيان والتفسير لذلك وقرا ابن عمر رضي الله عنه نصليهم بفتح النون كلما نضجت جلودهم
احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها غير الجلود المحترقة بان نعاد بعينها على صورة اخرى وعن ابن عباس يبدلون
جلودا كامثال القراطيس وعن عمر قال لقاري يقرؤها اعدها فاعادها وكان عنده معاذ ابن جبل فقال معاذ
عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تاكلهم
النار كل يوم سبعين مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وعنه سبعين مرة يبدلون جلودا

بيضا كالقراطيس او بان يزال عنها اثر الاحراق ليعود احساسها للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب ليدوم
لهم دوقه ولا ينقطع وقيل يخلق مكانه جلد اخر في الحقيقة للنفس العاصية المدركة الالمة ادراكها
فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريد حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين امنوا وعملوا
الصالحات من جمع بين الايمان والعمل الصالح سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
مقيمين فيها ابد الابدين قدم ذكر اعدائه ووعيدهم على ذكر اوليائه ووعدهم لان الكلام فيهم لهم فيها ازواج
مطهرة من نجس الظاهر والباطن والتكبر للتعظيم والتكبر وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا فرج فيه كالتفات
الاشجار ودايما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد والظليل مشتقة من الظل لتاكيد معناه كقولهم
شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم وقال الامام المرزوقي ان من شان العرب ان يشتقوا من لفظ الشي
الذي يريدون المبالغة في وصفه ما يتبعونه به تاكيدا وتنبيها على تناهيه من ذلك قولهم ظل
ظليل وداهية دهيا وشعر شاعر وقال الضحاك يعني ظلال اشجار الجنة فظلال قصورها وقال
مقاتل ظلا في اكناف القصور ظليلا اي لا خلل فيه وقال الكلبي يعني دايما لما ذكر الكفار واعمالهم
واوعدهم بالعذاب السرمدي قفى على اثره بذكر عبادة المرتضين وثوابهم من اللذات ومجامع
اللذات المسكن والمشرب والمطعم والمنكح فوصف الاول بقوله جنات منكرا تفخيما او نكر بذكر
الجنس او العهد او التعويض والثالث بقوله وندخلهم ظلا ظليلا لتلك
الاشجار من الثمار والرابع بقوله ازواج مطهرة في الخلق والخلق واكملها بذكر الخلود والدوام ونفي
الزوال فان المنعم وان جلت اذا قارنها خوف الزوال كان التنعم منغصا فالاية دالة على كمال النعم
والسرور رزقنا الله تلك النعم بمنه وكرمه انه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وقرا ابن مسعود سندخلهم
بالياء وقرا ابن وثاب والنخعي سيدخلهم ويدخلهم بالياء فيهما ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها
خطاب يعم كل احد في كل امانة وان نزلت في عثمان بن طلحة فان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وكان سادنها وابى
ان يدفع اليه المفتاح وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل
رسول الله الكعبة وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة وهي
الخدمة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت واذيت ثم جيت ترفق
فقال لقد انزل الله في شانك قرانا وقرا عليه الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فهبط جبريل واخبر رسول الله ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وعنه عليه السلام لا ايمان لمن لا امانة له ولا
دين لمن لا عهد له وفيه تاييد لعموم الخطاب وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل
وقرئ الامانة على التوحيد واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل بالانصاف والسوية ان الله نعما

يعظكم

يعظكم ما منصوبة موصوفة بيعظكم اي نعم شيا يعظكم به او مرفوعة موصولة به اي نعم الشي الذي يعظكم به وعلى
التقديرين المخصوص بالمدح محذوف كانه قيل نعما يعظكم به ذاك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في
الحكومات وقيل ما تمييز بمعنى شيا او فاعل بمعنى الشي ويعظكم صفة موصوف محذوف هو المخصوص بالمدح
وفيه نظر وقرئ نعما بفتح النون على الاصل ويحكى فيه وجوه اخر قد مر بيانها في قوله بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون فيها وفي غيرها عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم المقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين هم الذين يعدلون في
حكمهم واهليهم وما ولوا وعنه عليه السلام ان احب الناس الى الله يوم القيمة امام عادل وان اشدهم عذابا
امام جاير لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها والعدل في الحكومات امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا
على قضاياهم بقوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قال ابو هريرة المراد
باولي الامر الامراء والولاة واليه ميل علي رضي الله عنه حيث قال حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويودي
الامانة واذا فعل ذلك على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا ويعضده قوله عليه السلام من اطاعني فقد اطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني وقوله عليه السلام
من كره من اميره شيا فليصبر عليه فانه ليس احد من الناس يخرج من السلطان شبرا فمات الا مات ميتة
جاهلية وقال ابن عباس هم العلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم واليه ذهب الحسن والضحاك ومجاهد
استدلالا بقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وقيل هم امراء السرايا
وقال عطا المهاجرون والانصار والذين اتبعوهم باحسان واحتج بقوله تعالى والسابقون الاولون من
المهاجرين والانصار الاية وقال عكرمة اراد بهم ابا بكر وعمر رضي الله عنهم وكانه احتج عليه بنحو قوله عليه السلام
اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر والا فلا وجه للحصر بل غير مستقيم فيمن لم يجوز اطلاق الجمع على الاثنين اللهم
الا ان يقال مثل هذا يجوز ان يطلق على الجمع والاثنين والمفرد لكن كلهم فسروه في هذا الموضع بالجمع حتى هو
ايضا اشار اليه بضمن الجمع حيث قال اراد بهم وعن الحسن عن انس عن النبي عليه السلام
مثل اصحابي في امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح وقال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح فان
تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شي من امور الدين وهذا يويد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد
في حكمه بخلاف المرووسين الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات والتنازع الاختلاف فردوه
الى الله والرسول فارجعوا الى الكتاب والسنة لا الى اولي الامر عن ابن عمر قال النبي عليه السلام على المرء المسلم
السمع والطاعة فيما احب وكره ان لا يومر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وعنه لا طاعة في
معصية الله انما الطاعة في المعروف رواه علي رضي الله عنه في الصحيحين واستدل به منكر القياس فقالوا
انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه

انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول عليه السلام
فانه يدل على ان الاحكام ثلث مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة وبالرد اليهما على وجه القياس وقيل الرد الى الله والرسول
ان يقول فيما يعلمه الله ورسوله اعلم • ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يوجب ذلك فهذا من باب
التهييج فان الواجب على كل مؤمن ان يتصلب في الايمان ويستعمل الجد والمثابة فيه • ذلك اي الرد الى الكتاب
والسنة • خير لكم واصلح واحسن تاويلا اي عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم يعني بلا رد • الى
الكتاب والسنة الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت عن ابن عباس ان منافقا يقال له بشر خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي عليه السلام
ودعاه المنافق وقال تعالى نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم
اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاخذ سيفه ثم خرج فضرب
به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل
عليه السلام ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله عليه السلام انت الفاروق فالطاغوت
على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل وانما سمي طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة
رسول الله او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما
قال • وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا • الجملة الاخيرة عطف على
الجملة الحالية وضمير به على الوجه الاخير للشيطان لانهم انما امروا ان يكفروا بالشيطان لا بكعب الاشرف
وعلى الاولين للطاغوت تخرجونه وقوله والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها • واذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول اي هلموا اليه وقرا الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا
ثم ضم اللام لواو الجمع بعدها والوجه فتح اللام لانها عين الفعل رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
يعرضون عنك اعراضا والصدود مصدر مؤكد وقيل اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين
السد انه غير محسوس ويصدون في موقع الحال فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون
عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه • اذا اصابتهم مصيبة بقتل المنافق والنقمة من الله تعالى
بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم وعدم الرضا به ثم جاؤك يحلفون حين
يصابون فيعتذرون اليك عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله
حال من ضمير الجمع • ان اردنا • اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم
يرد مخالفتك ولا تسخطا لحكمك نفرج عنا بعد عالك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه
حين لا ينفعهم الندم وقيل جا اولياء المنافق المقتول يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا
الى عمر الا ان يحسن الى صاحبه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به اولئك

الذين

الذين يعلم الله ما في قلوبهم • من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب والاعتذار عند حلول
باس الله • فاعرض عنهم • اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم • وعظهم بلسانك وكفهم بالنصيحة
عما هم عليه • وقل لهم في انفسهم قولا بليغا • بالغ في وعظهم واغلظ عليهم في التخويف والانذار وقال الضحاك فاعرض
عنهم وعظهم في الملاء وقل لهم قولا بليغا في السر والخلا وقيل هذا منسوخ باية القتال والظرف اعني في انفسهم
متعلق بقل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وهو ان الله يعلم
ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق
والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم
خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم
امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبيا
عليهم وضعف تعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها اي يبلغ من قلوبهم كل مبلغ ويتمكن
في نفوسهم تمكن المظروف في الظرف وعلل ذلك بان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ
في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به • وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله اي وما ارسلنا
رسولا قط الا ليطاع بسبب اذن الله في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه ويمتثلوا ما يامرهم به
وفيه دلالة على ان من لم يرض بامره وان اظهر الاسلام كان كافرا جديرا بالقتل فان ارسال الرسول لما
لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بامره وحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك فهو كافر
مستوجب القتل ويجوز ان يراد بتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته وقيل بعلم الله وقضائه
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك خبر ان واذ متعلق
به فاستغفروا الله من ذلك بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت
لهم شفيعا الى الله ومستغفرا وانما عدل عن الخطاب حيث لم يقل واستغفرت لهم مع انه اخص تفخيما
لشان رسول الله عم لاستغفاره حيث اسنده الى لفظ ينبئ عن علو رتبته وتنبيها على ان شفاعة
من اسمه الرسول من الله بمكان وان من حقه ان يشفع في كبائر الذنوب ويقبل اعتذار من يتوب لوجدوا
الله توابا رحيما • لعلموه توابا اي لتاب عليهم وقبل توبتهم وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا
ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه • فلا وربك • اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما
زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم وقوله • لا يؤمنون • جواب القسم فان قيل هلا جوزان تكون لا
مزيدة لمظاهرة لا في لا يؤمنون ومعاونتها والتنبيه من اول الامر على ان المقسم به نفي اجيب بان
مجيئها قبل القسم سوا كان الجواب او اثباتا يدل انها لتاكيد القسم لا لمظاهرة النفي في الجواب فانها
قد جاءت في النفي والاثبات وهو قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم مثبت

بل لو كانت لتظاهر النفي لما جاز في الاثبات • حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط
ومنه الشجر لتداخل اغصانه • ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به اي لا تضيق صدورهم
من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين وهذا ايلام القول بانه التمهيد بواي
الاذعان والقبول • ويسلموا تسليما • وينقادوا ويذعنوا لما تقضي به جميعا حتى ان صدر منهم الاباء والجحود
جاءك من قضائك فلا يكونوا مومنين وتسليما تاكيد للفعل كتكريره وينقاد والحكم انقياد بظاهرهم
وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهود وعن عروة ابن الزبير ان الزبير كان يحدث انه خاصم رجلا
من الانصار قد شهد بدرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كان يسقيان بها النخل فقال
عم اسق يا زبير ثم ارسل الما الى جارك فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله
عليه السلام ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان
قد اشار على الزبير براي فيه السعة وللخصم فلما احفظ رسول الله استوعب الزبير حقه في صريح الحكم
ثم خرجا فمرا على المقداد فقال قاتل الله هولاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضا يقضي بينهم وايم الله
لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين
الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد صلى
الله عليه وسلم ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال عليه السلام
والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم فنزلت الاية في ذلك ونزلت في شان هولاء
القائلين الاية الثانية وهو قوله • ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو او
جبنا على بني اسرائيل من قتل انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا قليل
منهم الا ناس قليل منهم وفيه توبيخ عظيم حيث جعلهم اقل انقيادا من بني اسرائيل والرفع على البدل من
الواو في فعلوه وضمير عليهم ليس لهولاء خاصة بل للمومنين جميعا وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا
بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو قوله تعالى ولا تنسوا
الفضل بينكم وقرا حمزة والكسائي وعاصم بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجرا لهما مجرى الهمزة المتصل و
بالفعل وقرا ابن عامر قليلا منهم بالنصب على اصل الاستثنا او على معنى الا فعلا قليلا فان قلت الضمير في
فعلوه الامر يرجع الى كل من مصدري الفعلين او الى المكتوب الذي دل عليه كتبنا ولو انهم فعلوا ما
يوعظون به من طاعة الرسول واتباعه والانقياد لحكمه لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق
عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا تحقيقا لايمانهم وابعد من الاضطراب او لثواب عالم
ونصبه على التمييز واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسوال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد
التثبيت فقيل واذا والله لاتيناهم فاللام جواب قسم مضمر كما قال المرزوقي في قوله اذا لقام بنصري معشر

خشن

خشن ان اللام جواب يمين مضمر والتقدير اذا والله لقام وقدر بعضهم الشرط بعد اذا اي واذا لو ثبتوا لاتيناهم
لان اذا جواب وجزاء وهو اما عطف على لكان خيرا لهم او على جملة لو انهم فعلوا واما استيناف كما بيناه وقوله من
لدنا اجرا عظيما مثل قوله ويوت من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطا المتفضل به من عنده وهو النظر الى وجهه
والاستغراق في معرفته ومحبته بقرينة من لدنه لان الكل من عنده فلولا القصد الى ذلك لما احتيج الى ذكره
وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا باثباته والمعنى لاعطيناهم من عندنا على سبيل التفضل عطاء عظيما ولهديناهم
صراطا مستقيما ولثبتناهم ووفقناهم لازدياد الخيرات او لارشدناهم صراطا يصلون بسلوكه جناب القدس
ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم • ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم هذا كقوله عليه السلام من دخل دار ابي سفيان فهو امن فكان الوارد بعد من موصولة
كانت او شرطية سبب للزوم الانعام والامن وهذا ترغيب للمومنين في الطاعة بالوعد عليها مرافقة
اكرام عباد الله واعظمهم قدرا من النبيين حال من الموصول او من الضمير في عليهم والصديقين جمع صديق وهو
من امن بالله ورسله لقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اوليك هم الصديقون والتاويل بانهم عند الله
بمنزلة الصديقين خلاف الظاهر فانه يمنع المغايرة تعريف الطرفين وضمير الفصل الا انهم على طبقات ودرجات
متفاوتة كالشهدا والصالحين افضلهم افضل من صحب الانبيا كابي بكر الصديق رضي الله عنه وايضا لم
يبعد ان يجعل الله من امن به ورسله من الصديقين الذين هم افاضل اصحاب الانبيا دلالة على ان الصديقية
منحصرة في هذا الايمان وتنبيها على جلالة هذا الايمان وانه من الله وترغيبا للمومنين بالثبات عليه
ولاهل الكتاب في الانتظام في سلكهم • والشهدا والصالحين • قيل المراد بالشهدا الذين استشهدوا في سبيل الله
وهو الملايم بالاطلاق وقيل الذين استشهد وابو واحد وهذا التقييد لا دليل عليه وعن عكرمة النبيين
هاهنا محمد عليه السلام والصديقين ابو بكر والشهدا عمر وعثمان وعلي والصالحين ساير الصحابة والجار
والمجرور في موقع النصب على انه حال من الذين او من ضميره وعن بعضهم قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم
في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبيا الفايزون بكمالها المتجاوزون حد الكمال
الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى
بمعارج التصفية والرياضة الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشيا واخبروا عنها كما هي ثم الشهدا الذين
ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجتهم في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحين
الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهولاء
اما ان يكونوا في درجة العين العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا
مع العيان القرب بحيث يكونون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلما الراسخون الذين هم شهدا الله
في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمين اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اوليك رفيقا في معنى

في معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولذلك قرئ وحسن بتسكين العين يقول المتعجب حسن
الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين فيستعمل استعمال فعل المدح ويؤتى بفاعله معرفا بلام الجنس ثم
بالمخصوص بالمدح ورفيقا نصب على الحال من اولئك المشار به الى الاربعة المذكورين والتمييز منه لانه من
الاوصاف الجارية مجرى الاسما المستوي فيها الواحد والجمع كالصديق والخليط ويجوز ان يكون مفردا بيّن
به الجنس من غير نظر الى تعدد الانواع فيكون تمييزا من اولئك باعتبار الجنس ولا يجب المطابقة لالحاقه
بالاسما كما مثلا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله عليه السلام
قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسال عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم
اركَ اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك ابدا
فنزلت فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لا يومن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله
وولده والناس اجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة وعن الشعبي ان انصاريا اتى النبي عليه السلام
فقال والله لانت يا رسول الله احب الي من نفسي ومالي وولدي واهلي ولولا اني اتيك فاراك لرايت
اني اموت او قال اني سوف اموت وبكى الانصاري فقال عليه السلام ما ابكاك قال ذكرت انك ستموت
ونموت فترفع مع النبيين ونكون نحن اذا دخلنا الجنة دونك فلم يجبه بشيء فنزلت وذكر مقاتل ابن
سليمان مثل هذا وقال عبد الله بن زيد رب الانصاري الذي اري الاذان وذكر ايضا ان عبد الله بن زيد
هذا كان يعمل في جنة له فاتاه ابنه واخبره بان النبي عليه السلام توفي فقال اللهم اذهب بصري حتى
لا اري بعد حبيبي محمد احدا فكف بصره وعن قتادة ذكر لنا ان رجالا قالوا هذا نبي الله نراه في الدنيا
واما في الاخرة فيرفع بفضله فلا نراه فانزل الله ومن يطع الله والرسول الاية ذلك اشارة الى ما اعطي
المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم او الى فضل هولاء
المنعم عليهم ومزيتهم وقوله الفضل صفة اسم الاشارة من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال العامل
فيه معنى الاشارة او صفة للفضل لكونه في معنى النكرة والمجموع في موقع الخبر بذلك والمعنى ان ذلك
فضل من الله ورحمة اتاهم اياهم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا
واعلموا انه لا ينجو احد منكم بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة
منه وفضل فلا ثواب بالاستيجاب ولا توفيق للاستحقاق بل الكل فضل من الله وبيده يوتيه من يشاء
وقوله وكفى بالله عليما في معرض التذييل لذلك اي هو العليم بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق
اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تشبيه الحذر بالسلاح استعارة بالكناية بقرينة ايقاع الاخذ
عليه تخييلا والاخذ على معناه الاصلي والمجاز انما هو في ايقاعه على الحذر والحذر والحذر واحد كالاثر
والاثر والمعنى تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات

جماعات

جماعات متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا اي كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة
وهي ثبة من ثاب اليه قومه اذا وفد واجماعة بعد جماعة وقيل من تثبيت على فلان نسبه اذا ذكرت متفرقا
محاسنه ويجمع ايضا على ثبين قاله ابو عبيدة وانشد لعمرو بن كلثوم اما يوم حشيتنا عليهم فتصبح خيلنا
عصابا ثبينا والاية وان نزلت في الحرب لكن اطلاق لفظها يقتضي وجوب المبادرة الى الخيرات كلها
كيف ما امكن قبل الفوات وقرئ فانفروا بضم الفاء وان منكم لمن ليبطئن اي ليتثاقلن وليتخلفن
عن الخطاب والجهاد لعسكر النبي عليه السلام والمؤمنين والمنافقين والمبطئون منافقوهم من بطاء
بمعنى ابطا كعتم بمعنى اعتم اذا ابطاء وهو غير المتعدي او ليبطئن غيرهم وليثبطنه عن الغزو كما بطي
عبد الله ابي ناسا يوم احد من بطاء منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتدا تدخل على اسم الجنس
ان اذا قدم الخبر كما في هذه الاية والا فعلى الخبر كقوله ان الله لعفو غفور والثانية جواب قسم محذوف
تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم بجوابه صلة من والعايد اليه ضمير ليبطئن والصلة
جملة خبرية موكدة بالقسم واما الانشائية فمجرد القسم وهو اقسم بالله وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال
بطي على فلان وابطى علي وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطاء بك فان اصابتكم مصيبة من قتل وهزيمة قال
اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولين اصابكم فضل من الله
والمراد فضل مخصوص هو الفتح والغنيمة لوقوعه في مقابلة مصيبة وليس النوع المخصوص قطعي
الوقوع فلذا استعمل مع ان دون اذا وانما استعمل في الفضل فعل الماضي اما لفظا فلا لتزامهم ذلك في الشرط
الداخل عليه اللام الموطئة للقسم واما معنى فلان الله ذو الفضل العظيم ففيه شائبة التحقيق
ليقولن اكد تنبيها على فرط تحسرهم وقرا الحسن ليقولن بضم اللام حملا على معنى من فان الضمير فيه
عايد اليه فان المعنى وان منكم الجماعة التي تبطئ لا الفرد كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين
الفعل وبين معموله يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنصيص على عدم مصادقتهم وسوء عقيدتهم
وللتنبيه على انهم يحزنون بخير نصيب المومن كما يفرحون بشر والمعنى كان لم يتقدم له معكم موادة لان
المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر وان العصوهم في الباطن والظاهر انه تهكم لانتفا
المودة قطعا فان الاية قد وردت مبينة لنفاقهم وسوء اعتقادهم وشدة حقدهم وحسدهم للمومنين
فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم او حال من الضمير في ليقولون اي يقول المبطئ
لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين نصحا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد عليه السلام
مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا ابما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف
اذ لا يفصل بعض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو
محذوف وقرا ابن كثير وحفص تكن بالتاء لاسناده الى المودة والباقون بالياء بناء على ان المودة في معنى

الود وان تانيثها غير حقيقي وان الفصل بين بينها ببينكم وبينه قايم مقام علامة التانيث والمنادي في
يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع
على تقدير المبتدا اي فانا افوز في ذلك الوقت او عطف على انه عطف على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى
التمني فيكون متمنيين جميعا ٭ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ٭ اي الذين يبيعو
والمعنى ان يبطا هولاء فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة امروا بان يثبتوا على القتال
او الذين يشترون الحيوة الدنيا بالاخرة والضلالة بالهدي وهم المبطون امروا بان يتركوا ما هم
فيه من النفاق وسو الاعتقاد وان يجاهدوا وانما يجاهد المومنون الذين تركوا الدنيا واختاروا الاخرة والفا
في فليقاتل للتعقيب يعني ينبغي ان يعقبوا ما صدر عنهم من التثبيط عن القتال والثبات على النفاق
بالدخول في القتال والخروج عن النفاق والمراد حثهم على ترك ما هم عليه ٭ ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل
او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما ٭ وعد له الاجر العظيم قتل او قتل تحريضا على القتال وتكذيبا لقولهم
قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في
القتال وان لا يلتفت الى ما للعدو من المقال ولا يلوي قصده بالذات الى القتل بل الى اعلا كلمة الله
واعزاز دينه كما يشعر به قوله في سبيل الله اي لاجله وبسببه وعن رسول الله عليه السلام تكفل الله لمن
جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى
مسكنه الذي خرج منه ما نال من اجر او غنيمة وعنه عليه السلام مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت
الصايم الذي لا يفتر من صلوة ولا صيام حتى يرجعه الى اهله بما يرجعه من غنيمة او اجر او يتوفاه فيدخله
الجنة وعن ابن عباس قوله اجرا عظيما يريد ثوابا لا يوصف وقرا اليماني والاعمش وطلحة او يغلب والاعمش
فسوف يوتيه بالياء ٭ وما لكم مبتدا وخبره وقوله لا تقاتلون في سبيل الله حال من معنى الفعل في ما لكم كما يقول
ما لك قاعدا بمعنى ما تصنع قاعدا اي وما لكم قاعدين عن القتال او واي عذر لكم في ترك القتال والذين
استضعفوا بمكة من المومنين والمومنات يستغيثون الى الله ويدعونه بالخلاص من الحبس والعذاب
قال ابن عباس يريد قوما بمكة قد استضعفوا فحبسوا وعذبوا ثم قال وكنت انا وامي من المستضعفين
والجمهور على انه عطف على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين لا على اسم الله تعالى وان كان
اقرب على ما زعم بعضهم لان خلاص المستضعفين سبيل الله لا سبيلهم ويجوز نصبه على الاختصاص يعني
واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله يعم ابواب الخير وخلاص ضعفة المسلمين من
ايدي الكفار من اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وفي ذكر النساء والولدان
اشارة الى تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الى اضعف الناس وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء جمع وليد
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها قال ابن عباس كانوا يدعون الله يقولون ربنا اخرجنا

الى المدينة دار الهجرة من هذه القرية التي جعل اهلها لله شريكا وانما خفض الظالم لانه نعت للاهل فلما عاد
الاهل على القرية صار كان الفعل لها قال الفرا وقيل اللام بمعنى التي ولم يونث اسم الفاعل وان كان نعتا للقرية
في اللفظ لانه قد عمل في الاسم الظاهر المذكور وهو اهلها وكل اسم فاعل اذا اجري على غير من هي له فتذكيره وتانيثه
على حسب الاسم الظاهر الذي عمل فيه ٭ واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ٭ اي اجعل لنا من عندك
من يلي امرنا ومن يمنع العدو عنا فاستجاب الله دعاهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح
حتى جعل لهم من لدنه خير ولي وناصر ففتح مكة على خير الانبيا وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم
احسن ونصرهم اقوى النصر ثم استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد وهو ابن ثماني عشر سنة فراوا منه الولاية
والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة وراي النبي
عليه السلام اسيدا في الجنة بعد موته على الكفر فاستيقظ وقال اولته بابنه عتاب فشهد له بالجنة وقرا
الاية دلالة على وجوب الخروج من قرية ظالمة الى قرية صالحة والاستخلاص والاستظهار عند الشدايد
وعن ابي سعيد عن النبي عليه السلام انه قال ان رجلا قتل بسيفه تسعين نفسا فجعل يسال هل له من توبة
فاتى راهبا فقال ليست لك توبة فقتل الراهب ثم جعل يسال ثم خرج من قرية الى قرية فيها قوم صالحون
فلما كان في بعض الطريق ادركه الموت فناء بصدره ثم مات فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذا
وكان الى القرية الصالحة اقرب فجعل من اهلها ٭ الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله اي لاجله وقيل فيما
يصلون به الى الله وقيل في طاعة الله ٭ والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي لاجل الشيطان وقيل
مما يبلغ بهم الى الشيطان وقيل في الشيطان ٭ فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا
اي ان كيده ومكره للمومنين بالنسبة الى كيد الله تعالى ضعيف لا يوبه به فلا تخافوا اولياءه فانه اعتما
على اضعف شي واوهنه وقال ابن عباس اذا رايتم الشيطان فلا تخافوه واحملوا عليه وتلا ان كيد
الشيطان كان ضعيفا وقال مجاهد كان الشيطان يتراءى لي في الصلوة فاذكر قول ابن عباس اذا رايتم
الشيطان فلا تخافوه فاحمل عليه فيذهب عني ٭ الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال وذلك
ان المسلمين كانوا مكفوفين عن قتال الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يوذن فيه ٭ واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة ٭ واشتغلوا بما امرتكم به ٭ فلما كتب عليهم القتال ٭ بالمدينة عطف على قيل لهم وجواب لما مضمون
قوله ٭ اذا فريق منهم يخشون الناس ٭ اي جبن فريق منهم وامتنع خوفا من الموت على ما يشعر به ما يجي بعد
قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص والمقداد بن الاسود وقدامة ابن مظعون
وجماعة من الذين اسلموا بمكة وكانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا قبل ان يهاجروا وقالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ايذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا فقال عليه السلام كفوا ايديكم فاني لم اومر بقتالهم فلما هاجروا
الى المدينة وامروا بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم خوفا وجبنا لا شكا في الدين ولا رغبة عنه وقوله يخشون

الناس وهم مشركو مكة خبر فريق ومنهم صفته واذا للمفاجاة كخشية الله في موقع المصدر او الحال من
فاعل يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه على تقدير الثاني دون الاول لانه
وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير يخشون ولم
ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية مرادا انها المصدر وانما تقول اشد خشية
فتجرها واذا انصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية ذات خشية
كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله ويجوز
على هذا ان يكون اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد خشية الله او كخشية اشد خشية منه وقيل هو من عطف
الجمل اي يخشون الناس كخشية او يخشون الناس اشد خشية على ان الاول مصدر والثاني حال • وقالوا ربنا لم
كتبت علينا القتال استعفا لا اعتراضا لان الاعتراض على الله كفر وفيه دلالة على ان القايلين به المومنون
لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت وقيل قال ذلك جماعة من
المومنين الذين لم يكونوا راسخين في العلم خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا والمومنون يختلفون في قوة
اليقين وصدوح البصيرة وقيل يحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوا في انفسهم فحكى الله عنهم وقيل هم
قوم كانوا مومنين فلما فرض عليهم القتال كرهوا وشق عليهم وسقط في ايديهم ونافقوا من الجبن وتخلفوا
عن الجهاد وبالجملة فهو كلمة كبيرة لا ينبغي ان يتفوه بمثل ذلك مومن ولا يطلق به لسانه والمعنى هلا
تركتنا حتى نموت باجالنا قل متاع الدنيا قليل اي منفعتها والاستمتاع بها قليل اي سريع التقضي
والاخرة خير لمن اتقى • اي ثواب الاخرة افضل لمن اتقى معصية الله ورسوله • ولا تظلمون فتيلا ولا
تنقصون ادنى شي او شي من ثواب اعمالكم فلا ترغبوا عن القتال او من اجالكم المقدرة وقرا ابن كثير
وحمزة والكساي ولا يظلمون بالياء لتقدم الغيبة • اينما تكونوا يدرككم الموت قري بالرفع على حذف
الفا كما في الجملة ومنه من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل بقوله ولا
تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيا مما كتب من اجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها والوقف
على هذا الوجه على اينما تكونوا وهو اينما كنتم كاحمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا
بمصلحين ورفع كما رفع زهير يقول لا غايب مالي ولا حرم وهو لا يجوز عند سيبويه اي على قواعده فانه كثيرا
ما يجعل المتوقع كالمحقق ومن قرا يدرككم بالجزم فعلى ترك الفا وقرا طلحة يدرككم بغير ادغام ويدرككم
بالنصب ولو كنتم في بروج حال من يدرككم ان جعلته بمعنى الاستقبال اي وان تكونوا في بروج
اي في قصور او حصون وهي في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المراة اذا اظهرت مشيدة
مرتفعة وقري مشيدة والقصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرا نعيم بن ميسرة مشيدة
بكسر اليا وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى

احد

احد لو كانوا اما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بقوله اينما تكونوا الاية • وان تصبهم حسنة يقولوا هذه
من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ليس المراد بالحسنة هنا مطلق الحسنة وهو ظاهر
بل نوع مخصوص منها وهو الخصب والرخا ولذلك السيئة جملة معصية لان الاية نزلت في اليهود لعنوا
حيث تشاموا برسول الله صلى الله عليه وسلم منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله
بقوله قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبض حسب ارادته اي كل من النعمة والبلية من الله لا فاعل
لها سواه ولا واسطة في البلاها غير انفسهم دون النبي على ما زعموا والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخا
نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا
بشومك كما حكى الله نحو ذلك عن قوم موسى وصالح وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر
وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد يقولوا هذا من عندك اي انت الذي حملتنا عليه ثم وصفهم بالجهل
وقلة الادراك بقوله • فمال هولا القوم • يعني اليهود لا يكادون يفقهون حديثا يفهمون معنى القران
فانهم لو فهموه لعلموا ان الكل من عند الله ولا فاعل لها سواه او حديثا ما كبهايم لا فهم لها او حادثا من صروف
الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب وتمام الرد
بقوله ما اصابك يا انسان خطاب يعم جميع نوع الانسان من حسنة من نعمة واحسان وفيه دلالة على
ضعف ما قال الاشعري من ان ما اعطي الكفرة من الدنيا من النعم كالغنى وسلامة القوي والاهل ونحو
ذلك فهي نعمة وليست بنعمة لكونها سبب العذاب والنعمة ما يتوسل به الى الثواب من الله تفضلا منه
واحسانا فان جميع طاعة الانسان لا يكافي نعمة الوجود فكيف بالغير وما اصابك من سيئة من بلية
ومصيبة فمن نفسك لانها السبب فيها بما اكتسبت اي بفعلك قال الله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما
كسبت ايدي الناس وهو لا ينافي قوله قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايضا لا غيران الحسنة
اختبار وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قال عليه السلام لا يصيب رجلا خدش ولا عثرة قدم ولا
اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وعن علي وطلحة ان ابن عباس تلا هذه الاية ثم قال الحسنة
والسيئة من الله اما الحسنة فانعم الله عليك بها واما السيئة فابتلاك بها وروي عن مجاهد انه كان
يقرا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وانا كتبتها عليك وكذلك في قراءة
ابي وابن مسعود وعن ابن عمر عن النبي عليه السلام تحاكم جبريل وميكايل الى اسرافيل فقضى بينهما ان الحسنات
والسيات من الله وقرا ابن مسعود وزيد بن علي فمن نفسك اي ما اصابك من حسنة وسيئة فمن الله فاي
شي يقدر نفسك وارسلناك للناس رسولا تعريف للاستغراق اي ارسلناك رسولا لجميع الناس لا لبعضهم
الذي هو العرب كما زعم بعض الكفرة وما ارسلناك الا كافة للناس قالوا انما لم يحمل على العهد او الجنس لفساد
المعنى فان معنى التخصيص الاثبات للمذكور والنفي عن مقابله والمقابل للبعض المعهود وهو الكل فيصير

المعنى هو لا الناس لا للكلم والمقابل لجنس الناس فيصير المعنى لجنس الناس لا لجنس الجن وكلا المعنيين فاسد
لانه رسول لكل الناس لا لبعضهم خاصة وللانس والجن خاصة وهذا ظاهر وانما الكلام في امرين احدهما
جعل المقابل للمعهود وهو الكل وانما يقابله البعض لا الاخر من الجنس فالاولى ان يقال لو حمل على العهد لكان
المعنى لهذه الحصة من الناس كالعرب مثلا لا للحصة الاخرى كالعجم وثانيهما جعل للناس متعلقا برسولا ثم
تقدم للتخصيص وانما هو متعلق بارسلناك او حال من رسولا وقد كان وصفا له في الاصل فلا يلزم من التقدم
على العامل بل من تقديم بعض المعمولات على البعض وهو ليس للتخصيص بل المراد ان التقييد بالحال ايضا
تخصيص بمنزلة الوصف فيدل بحكم مفهوم المخالفة على نفي المقابل ويتم الكلام ورسولا حال مؤكدة او مصدر
وكفى بالله شهيدا على ارسالك وحقية رسالتك فلا يخرج عن طاعتك الا الخارج عن طاعة ربك فوجب على
كل احد ان لا يخرج عن طاعته واتباعه في جميع ما امر به ونهى عنه وقيل شهيدا على الحسنة والسيئة كلها
من عند الله والاحسن ان يقال شهيدا على جميع ما ارسل اليك ليعم ما ذكر كله وذلك لوروده مطلقا والتقييد
خلاف الظاهر ومن يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر بشيء ولا ينهى عن شيء الا بوحي الله فطاعته طاعة
الله وروي انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك
وهو ينهى عنه ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت قرا الربيع ابن
خيثم من اطاع الرسول ومن تولى عن طاعتك واعرض عنه فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم
وتحاسبهم عليها ان عليك الا البلاغ وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا
طاعة او منا طاعة واصلها النصب ورفعها للدلالة على ثباتها واستقرارها ومنه قول القائل حمد الله
وثناء عليه وروي النصب عن زيد بن علي فاذا برزوا من عندك اي خرجوا بيت طايفة منهم زورت
طائفة وسوّدت غير الذي تقول خلاف ما اقامت لها او خلاف ما قالت لك من الطاعة والقبول لانهم
ابطنوا العصيان لا الطاعة والرد لا القبول وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون وقال ابن عباس بيت
اي غير الذي عهد اليهم النبي عليه السلام والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل
او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يدبر الامر ويسوى وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طايفة بالادغام
لقربهما في المخرج وقرا الحسن يقول بالياء والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحايف اعمالهم للمجازات
او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فلا يحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم وقرا ابن نكتب ما يبيتون
بادغام الباء في الميم قال ابو حاتم يجوز ذلك لان مخرجهما واحد فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام
وقيل لا تعاقبهم وقيل لا تخبرهم باسمائهم منع عليه السلام من الاخبار باسماء المنافقين وعن ابن عباس فاصفح
عنهم قال وكان نهي عن قتلهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم
وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القران يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد

العصاة

العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي واصل التدبر التامل والنظر في ادبار الشيء وما يؤول اليه في عاقبته
ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل وتصفح ولو كان من عند غير الله اي لو كان من كلام النبي كما زعم الكفار لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه بحيث
يكون بعضه واصلا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه
دالا على معنى فاسد غير ملتيم وبعضه مطابقا للواقع دون بعض فان الكلام الطويل ولو من ابلغ شخص لا
يخلو عن غث وسمين وركيك ومتين عادة لنقصان القوة البشرية والقران العظيم مع طوله خال
عن امثال ذلك لكونه في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة ولذلك لم يكن لاحد معارضته والاتيان بمثله
وفي ذلك دلالة قاطعة على انه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر واما نحو قوله فاذا هي
ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسألنهم اجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان فليس باختلاف
عند المتدبرين اذ لا منافاة بين كون العصا ثعبانا وكونه يشبه الجان ولا امتناع في ان يسالوا في موقف دون
موقف او وقت دون وقت ولذلك اجمع المحققون على ان الاختلاف في الاحكام الشرعية فانه واقع
قطعا ولا يمكن انكاره واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به فشوه كما
يفعله قوم من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور اذا بلغهم خبر عن سرايا
رسول الله عليه السلام او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او التخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم
وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او للنصر اذاعة لمعنى التحدث ولو ردوه اي ذلك الخبر الى الرسول والى
اولي الامر منهم اي الى رايه عليه السلام والى راي كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم
لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا وقرئ لعلمه بكسر اللام والعين الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بذكائهم
وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود
وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم وقالوا نسكت حتى اي يتلقونه منهم ويستخرجون
علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما يحفر ثم استعير للاستخراج
تما يستخرجه
الرجل بفضل ذهنه وجودة طبيعته من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لولا هنا لامتناع الشيء لوجود غيره والفضل التفضل والرحمة الترحم والمعنى ولولا اني تفضلت ان تفضل
عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها ارسال الرسول وانزال الكتب وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو
والمغفرة لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى سواء
الصراط او عصمه من اتباع الشيطان كورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وجماعة سواهما او الا اتباعا قليلا
فقاتل في سبيل الله جواب شرط محذوف اي ان لم يوافقوك فقاتل انت وحدك لا تكلف الا نفسك غير
نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك

وحوالك الالوف روي انه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغري الي الخروج وكان ابو سفيان واعد
رسول الله عليه السلام اللقا فيها فكرهه بعضهم ان يخرجوا فنزلت فخرج ومامعه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم
يتبعه احد لخرج وحده وقري لا يكلف بالجزم على النهي بالجزم ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن
الا نفسك وحدها ٭ وحرض المؤمنين ٭ وما عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا العنف بهم عسى الله ان
يكف باس الذين كفروا وهم قريش عسى في اللغة الطمع وهو من الله واجب فان عسى وعد الله على عادات الملوك
حيث يقولون في بعض الحوائج عسى او لعل فلا يبقى للمحتاج شبهة في تمام ذلك والله لا يخلف وعده فهو
ههنا للتحقيق كانه قيل ان الله سيكف باس الذين كفروا وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا
عام مجدب وما كان معهم الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والباس والبوس الشدة وسمي
الحرب باسا لشدتها وقرا زيد بن علي ان يكف بضم اليا وسكون الكاف وكسر الفا والله اشد باسا من قريش
واشد تنكيلا تعذيبا ٭ من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغا
وجه الله ومنها الدعا للمسلم قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك
مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والسبب الي الخير الواقع بها ٭ ومن يشفع شفاعة سيئة
يريد بها محرما يكن له كفل منها ٭ نصيب من وزرها مساو لها في القدر وقيل الشفاعة الحسنة هي حسن القول
في الناس والسيئة هي الغيبة واساءة القول فيهم ٭ وكان الله على كل شي مقيتا ٭ مقتدرا من اقات على الشي
اذا اقدر قال الزبير وذي ضغن كففت السو عنه وكنت على اساته مقيتا وقال النحول الي الفضل ام
علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت او شهيدا وهو عالم بالغيب والحاضر او حفيظا وقد تحي بمعنى
خالق الاقوات وبمعنى المقتدر وكلاهما لا يلايم ههنا واشتقاقه من القوت لانه يقوي الجسم ويحفظه واذا
حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله اي عمرك واحياك
والحال حيوتك ونظيره قولهم صلى على النبي عليه السلام اذا دعا له اي قال له صلى الله عليك ومن فسر التحية
في هذه الاية بالعطية فقد سها وكذا من ادعى ان حقيقتها الملك وانما هي مجاز وذلك ان الجاهلية كانوا
يحيون الملوك بقولهم ابيت اللعن ولا يخاطبون به غيرهم حتى ان احدهم اذا تولى الامارة والملك قيل له
فلان نال التحية وقال الامام محي السنة التحية هي دعاء الحياة والمراد بالتحية ههنا السلام اي اذا سلم
عليكم احد فاجيبوا باحسن مما سلم والمراد باحسن منها الزيادة في الجواب وان المسلم اذا قال السلام عليك فقال
المجيب عليك السلام ورحمة الله واذا قال السلام عليك ورحمة الله فيزيد وبركاته وروي ان رجلا قال
لرسول الله عليه السلام السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال
الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا هذه الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله ورد

السلام ورجعه جوابه بمثله وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها ويدل على
وجوب الجواب وقوله فحيوا وهذا الجواب على الكفاية وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على
قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة وعن النخعي
السلام سنة والرد فريضة وعن ابي يوسف من قال لاخر اقرا فلانا السلام وجب عليه ان يفعل ولا يسلم
على من يسب الناس او ينظر في وجوه النسا ولا يعرف توبته ولا على الكدا والملاغي او الشيخ الممازح
او الرند ولا من جلسوا في المسجد للقراة او التسبيح او انتظار الصلوة لانهم ما جلسوا فيه لدخول الزائرين
عليهم فليس هذا اوان السلام ولهذا قالوا لو سلم عليهم الداخل وسعهم ان لا يجيبوه ولا يسلم المتفقه على
استاذه ولو فعل لا يجب رد سلامه وكذلك الخصمان اذا سلما على القاضي ولا يرد السلام في الخطبة وقرا
القران وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني
والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا مررتم بهولا الذين يلعبون بالازلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه فلا تسلموا عليهم
فان سلموا عليكم فلا تسلموا عليهم وقال الطحاوي المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي عليه السلام انه
تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امراته ولا يسلم على اجنبية ولا يرد عليها ان كانت شابة
ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل
على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكبير وعن ابن عمران رسول الله
عليه السلام قال ان اليهود اذا سلم عليكم احدهم فانما يقول السام عليك فقل عليك وعن الحسن يجوز
ان تقول للكافر عليك ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام
ورحمة الله وبركاته فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وعن النخعي يجوز ان يبدا اهل الذمة بالسلام
اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وعن ابي حنيفة لا ابتداه بسلام في كتاب وغيره وعن ابي يوسف
لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدي وليت شعري كيف يعملان بقوله سلموا
اليهود والنصارى ولا تسلموا على يهود امتي الحديث وعنه عليه السلام اذا سلم عليك اليهود فقل عليك
فانه يقول السام عليك ولا باس بالدعا له بما يصلحه في دنياه ولا باس بمصافحة المسلم جاره النصراني
اذا رجع بعد الغيبة ويتاذى بترك المصافحة وقيل السلام انما يكون على من جلس للتحية والزيارة
ان الله كان على كل شي حسيبا اي محاسبا يحاسبكم على كل شي من التحية وغيرها فطوبى لمن لا يرى الناس
ولا يصاحبهم لخفة حسابه وقلة وقوفه وقال مجاهد حفيظا وقال ابو عبيدة كافيا يقال حسبي هذا
اي كفاني الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والجملة وقعت بيانا للوحدانية او لا اله الا هو اعتراض
والخبر قوله ٭ ليجمعنكم الى يوم القيمة ٭ واللام جواب قسم محذوف اي الله والله ليحشرنكم الي يوم

القيمة والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيام الناس من القبور او قيامهم للحساب يوم
يقوم الناس لرب العالمين لا ريب فيه اي في ذلك اليوم او الجمع وهو حال عن اليوم او صفة المصدر وقيل
وقيل الى بمعنى في كانه قيل في يوم القيمة وقيل ليجمعنكم من الصور مفضين الى حساب يوم القيمة وقيل
ليجمعنكم في البرزخ الذي بين الموت والبعث الى يوم القيمة • ومن اصدق من الله حديثا • انكار ان يكون
اصدق منه اي لا اصدق منه لانه صادق لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه ولا يجوز عليه ومن سواه
من الصادقين ليس كذلك لان الكذب الذي هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه اما للاحتياج
اليه جلب المنفعة او دفع المضرة واما للجهل بقبحه واما للسفه وعدم الفرق بين الصدق والكذب
في الاخبار والكل على الله محال فانه عز وعلا غني لا يجوز عليه الحاجة عالم لا يجوز عليه الجهل حكيم لا
يجوز عليه السفه وقرا حمزة والكسائي كل صاد ساكنة بعدها دال بحرف بين الصاد والزاي والباقون بالصاد
الخالص وهو اثنا عشر موضعا اثنان في هذه السورة وثلثة في الانعام وسبعة في سبع سورة الانفال
ويونس ويوسف والحجر والنحل والقصص والزلزال • فما لكم في المنافقين فئتين قال مجاهد هم قوم خرجوا
الى المدينة واسلموا ثم ارتدوا واستاذنوا رسول الله عليه السلام الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون
فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون في اسلامهم وقال زيد بن ثابت لما خرج النبي عليه السلام
الى احد رجع ناس ممن خرج معه وكان الصحابة فرقتين فرقة قالت نقاتلهم وفرقة لا فنزلت وقيل
هم قوم هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة
والاشتياق الى الوطن وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اسلموا
بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين والمعنى ما لكم ايها المومنون اختلفتم في شان قوم نافقوا
نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لا تبتوا القول بكفرهم وفئتين حال من معنى الفعل في ما
لكم كقولك ما لك قايما وفي المنافقين متعلق بما دل عليه فئتين من معنى الاختلاف والتفرق والله
اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا جزاء بما عملوا من الارتداد والاحتيال او اركسهم بان
يصيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه
مهتدين وقيل انقولون ان هولاء مهتدون وقد اضلهم الله ومن يضلل الله ومن يخلق الله فيه الضلال
فلن تجد له سبيلا الى الهداية ذم عليهم وايذان بان من لم يسلم وجهه لله ولم يجاهد في سبيله لم يعنهم
ولم يرشدهم الى نيل الكرامة السنية والاختصاص بالهداية التي هي راس السعادة الدنيوية والا
ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنون ان تكفروا ككفرهم فتكونون سوا فتكونون معهم شرعا واحدا فيما هم عليه
من الضلالة واتباع دين الآباء وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فيكونون سواء
بالياء اي سيئون معكم فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يومنوا وتحققوا

ايمانهم

ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا في سبيل الله اي في الله ولاجله وبسببه وقيل سبيل الله
ما امر بسلوكه فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان المظاهر بالهجرة وقيل او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم
حيث وجدتموهم في حل او حرم كساير الكفرة • ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا • اي جانبوهم راسا لا تقبلوا
منهم ولاية ولا نصرة • الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق • استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم
اي الا الذين ينتهون الى قوم عاهدوكم ويتصلون بهم والقوم هم خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه السلام
وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال
ولجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقال الضحاك عن ابن عباس اراد بالقوم الذي بينكم وبينهم
ميثاق بني بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او جاؤكم عطف على صفة قوم ظاهرا واما في التحقيق فهو من
عطف موصوف بصفة على موصوف بصفة اخرى كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم
كافين عن القتال لا عليكم ولا لكم وكذا الكلام اذا جعل عطفا على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون
بالمعاهدين او الذين كفوا عن قتالكم وهذا اظهر من الاول لقوله فان اعتزلوكم ولم يقاتلوكم والقوا اليكم
الى اخره لان الضماير الواقعة بعدها العاطفة كلها راجعة الى الموصول بخلاف العطف على الصفة فانها
ح راجعة الى قوم فيلزم بعض انفكاك النظم على ان ضمير اعتزلوكم لا يعود الى قوم وقرا اي جاؤكم بغير
العاطف على انه صفة بعد صفة لقوم او بيان ليصلوا او استيناف كانه قيل كيف وصلوا الى المعاهدين
ومن اين ذلك او بدل منه بدل الكل او البعض او الاشتمال حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل
قراءة من قرا حصرة صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف اي او جاؤكم قوما حصرت
صدورهم وقيل هو بيان لقوله جاؤكم وهو بنوا مدلج جاؤا الى رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق
والانقباض اي ضاقت وانقبضت صدورهم وان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم
من جهة العهد الذي بينكم • او يقاتلوا قومهم معكم • ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم جملة معترضة
للامتنان على المومنين والدلالة على ان تركهم للقتال بسبب ان الله يسلطهم ويقذف في قلوبهم الرعب وقوله
فلقاتلوكم عطف على لسلطهم عطف الجواب على الجواب وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد وهو ابلغ
في الامتنان فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم • اي فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام
وقرئ بسكون اللام وفتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اي فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم • ستجدون
آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا هم قوم من اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار كانوا
اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى
الفتنة كلما دعاهم قومهم الى الكفر والى قتال المسلمين وقرا الاعمش وابن وثاب ردوا بكسر الراء اركسوا فيها
عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو وقرئ ركسوا فيها على جعل التفعيل مكان

الانفال رواه الاعمش عن ابن مسعود وروي ايضا عنه ركسوا بالتخفيف هكذا ذكر في غرايب القران فان
لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم اي خذوهم اسارى
ومنه قيل للاسير اخيذ واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالاسر والقتل لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم
وغدرهم واضرارهم او سلطانا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا العرب يستعملون
كان في معنى صح وثبت ثم لما اراد وانفي الامر بابلغ الوجوه قالوا ما كان لك ان تفعل كذا اي استعمل فيما هو
محال وقريب منه فمن الاول قوله تعالى وما كان الله ان يتخذ من ولد ومن الثاني قوله وما كان لمومن ان يقتل
مومنا الا خطا اي ما صح الا خطا اي ما صح لمؤمن ولا استقام ان يقتل مومنا ابتدا غير قصاص وقوله
الا خطا الا على وجه الخطا منصوب على الحال او المفعول له اي ما ينبغي ان يقتله في حال من الاحوال الا
في حال الخطا او لا يقتله لعله من العلل الا للخطا وحده او على انه صفة مصدر محذوف اي لا قتلا خطا
وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثنا منقطع اي لكن قتله خطا فجزاوه ما ذكر والمراد بالخطا ههنا
عدم التعمد في القتل بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقري خطاء
بالمد وخطا كعصاة بتخفيف الهمزة وروي عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر
خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل الهجرة النبي عليه السلام فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يووي
سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه
ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على
دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسخا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحارث
هذا اخي فمن انت يا حارث علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه
او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قبا ولم يشعر باسلامه فنزلت
ومن يقتل مومنا خطا فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق
الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللوم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه لاكرم
موضع منه والرقبة عبارة عن النسمة وهي النفس كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك راسا من الرقيق
مومنة محكوما باسلامها وان كانت صغيرة وعليه الجمهور وعن الحسن لا تجزي الا رقبة قد صلت وصامت
ولا تجزي الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مومنة
عن جملة الاحيا لزمه ان يدخل مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق
ممنوع من تصرف الاحرار ودية مسلمة الى اهله اي دية مؤداة الى اهل القتيل وهم الذين يرثونه
يقتسمونها كسائر المواريث لا فرق بينهما في كل شي فيقضي منها الدين وينفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي

ليبت

في لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال عليه السلام انا وارث من لا وارث له وعن ابن
عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجات امراته تطلب ميراثها من عقلته فقال لا اعلم لك شيا انما
الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله عليه السلام
يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من
الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضي من الدية دين ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين
وحدها وخلاف قول الجماعة وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا
يتصدق عليه بالدية فان معناه العفو ما على المعسر واسقاط الحق عند سمى العفو عنها صدقة حثا
عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عليه السلام كل معروف صدقة وسواء ان يصدقوا متعلق بعليه
المقدر في قوله فتحرير رقبة وتسليم دية الى اهله في جميع الاحيان الاحين ان يتصدق اهله بالدية فح
تسقط الدية او بمسلمة اي يجب عليه الدية او يسلمها الى اهله في جميع الاحيان الاحين
يتصدقون عليه فح تسقط الدية ومحلها النصب على الحال من اهله بمعنى الا متصدقين او الظرف
بتقدير حذف الزمان لقولهم اجلس ما دام زيد جالسا وقرا ابي تصدقوا بالتا وتخفيف الصاد وابن
مسعود يتصدقوا وان كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة اي ان كان المقتول
مومنا من قوم كفار اهل الحرب كرجل اسلم في قومه الكفار ولم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطا
دون الدية لاهله لانهم كفار محاربون ولا وارثة بينه وبينهم وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتي قومه
وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطا لانهم يظنون كافرا مثلهم وقرا زيد بن علي النخعي
فتحرير بالنصب اي فاوجبنا ليه تحرير رقبة وكذلك فدية مسلمة بالنصب وان كان من قوم
بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مومنة وان كان من قوم كفرة معاهدين
او اهل الذمة فحكمه حكم مسلم من المسلمين في وجوب الدية والكفارة لا مسلم من المحاربين حتى يكون
الواجب الكفارة فقط فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين
فالواجب عليه صيام شهرين متتابعين او فعليه وقرا زيد بن علي فصيام بالنصب على فاوجبنا صيام
توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من الله او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه
اي قبولا منه ورحمة منه من تاب الله عليه مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها
وكان الله عليما بحاله وحال غيره حكيما فيما امر من شانه ومن عداه ومن يقتل مومنا متعمدا قاصدا فجزاوه
جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من الابراق والتهديد العظيم قال ابن
عباس ان توبة قاتل المومن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سيلوا قالوا لا توبة له والجمهور
على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ولقوله

من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وعن النبي عليه السلام شفاعتي لاهل الكباير من امتي قال انس قيل
يا رسول الله لمن تشفع قال لاصحاب الدما والعظايم وقال عليه السلام في حديث احرمهم لمن قال لا اله الا الله
مخلصاً فقد صرح عليه السلام بانه شفعه الله في جميع امته وانه لا يخرج من شفاعته اصحاب واهل الكباير
ومن لم يعمل سوي الايمان خيرا وعليه اجماع العلما من اهل الحق اذ لم ينقل فيه خلاف من احد منهم وقيل هو
مخصوص بمن قتل مومنا مستحلا وبعضهم انه نزل في مقيس بن صبابة الكناني وجد اخاه قتيلا في بني
النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله عليه السلام ان يدفعوا اليه ديته من الابل ثم انصرف نحو المدينة
وحمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا وهو الذي استثناه النبي عليه السلام يوم فتح مكة خلود عصاة
عن امنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة والمراد بالخلود المكث فان الدلايل متظاهرة على عدم خلود عصاة
المومنين وعلى العفو عما سوى الشرك من غير تقييد بالتوبة • يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله
سافرتم وذهبتم في الغزو فتبينوا وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي
فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه لتعرفوا المومن من الكافر ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام قرا
نافع وابن عامر وحمزة والكسائي السلم بغير الالف والباقون السلام وهما الاستسلام والانقياد وقيل
الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام اي لا تقولوا لمن انقاد واسلم او سلم عليكم وقرا عاصم
الجحدري وابو الهيثم السلم بسكون اللام والحسن وابو رجا السلم بكسر السين • لست مومنا • وانما فعلت
ذلك متعوذا وقري مومنا بالفتح اي مبذولا له الامان من امنه اي نومنك وروي عن ابن عباس مومنا
اي مومنا روي ان مرداس ابن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم من قومه ولم يسلم من قومه غيره
فغزتهم سرية لرسول الله عم فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راي الخيل الجا غنمه الى عاقول من
الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فقتله اسامة بن زيد
واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة
ما معه ثم قرا الاية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله فقال اسامة
فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وجعل عليه
الكفارة فقط دون الدية لاهله لانهم كفار محاربون فلا وراثة بينه وبينهم وروي عن اسامة
انه قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح قال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم قالها ام لا وقيل
نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله
وماله وفيه دليل على ان المجتهد يغفر خطاه وعلى صحة ايمان المكره وعن ابن عباس مر رجل من بني
سليم على نفر من الصحابة ومعه غنم فسلم عليهم قالوا ما سلم عليكم الا ليتعوذ منكم فقتلوه واخذوا غنمه
فاتوا بها رسول الله عليه السلام فنزلت • تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع

النفاد

النفاد فهو الذي دعاكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه وهو حال من الضمير
في تقولوا معبر بما هو الحامل لهم على العجلة وقلة البحث • فعند الله مغانم كثيرة تاخذونها يغنيكم
عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به ممن يتعرض لتاخذ ماله وعند الله اجور كثيرة لمن اتقى معاصيه
التي من جملتها قتل المومن • كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة
فحصنتم بها دماكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة في الدين والاشتهار
بالايمان والتقدم فيه • فتبينوا فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم واعتبروا ظاهر الاسلام في
في المكافاة ولا تبادروا الى قتلهم ولا تقولوا ان تهليل هذا الا اتقا القتل لا بصدق النية فتجعلوه سلما
الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله تعالى على ان اتقاه الف كافر اهون عند الله من قتل مسلم وتكرير
الامر وتبيين ترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم وكان النبي عليه السلام اذا بعث سرية قال اذا رايتم مسجدا او سمعتم
موذنا فلا تقتلن احدا رايتموه دلالة على ان الغزاة اذا رادوا موضعا فيه شعار الاسلام كفوا عن اهله
ولم يتعرضوا لهم • ان الله كان بما تعملون خبيرا عالما به وبالغرض فلا تتهافتوا في القتل واحترزوا واحتاطوا
في ذلك لا يستوي القاعدون عن الحرب من المومنين في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه
غير اولي الضرر قرا حمزة وابن كثير وابو عمرو وعاصم غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لان غير لا يتعرف
باضافته الى المعرفة والقاعدون عام لا يقصد به قوم باعيانهم فهو في حكم النكرة كقوله ولقد امر على اللئيم
يسبني فان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشي بعينه وله في القران نظاير او بدل منه
قاله المبرد قرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على انه استثنا منهم او حال عنهم وقري بالجر على انه صفة
للمومنين او بدل منه والضرر المرض او العاهة من عرج او عمي او زمانة او نحوها وقرا زيد بن علي اولي
الضر بالادغام وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله
وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المومنين فغشيت رسول الله السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى
خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر قال زيد
انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس
لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك والمجاهدون في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة ومانع وفايدة نفي الاستواء
بين القاعد والمجاهد تذكير ما بينهما من التفاوت العظيم ليانف القاعد ويرغب في الجهاد وتنزله
رفعا لرتبته وانفا عن انحطاط منزلته الى ارتفاع طبقاته ونحوه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون قصد به الى ما بينهما من تفاوت التعظيم والبون البعيد ليا ذن الجاهل ولينهض بنفسه
عن صعة الى شرف العلم فيهتز لتعلمه ويرغب فيه وفي ارتفاع رتبته فضل الله المجاهدين باموالهم

وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة كما نفي من استوا القاعدين درجة جملة موضحة كما نفي من استواء
القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر
لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على
المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه كانه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره ضربه سوطا
اي ضربه ضربة او على الحال بمعنى ذوي درجة ويجوز ان يكون المفعول الثاني لتضمنه معنى الاعطاء
وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عملهم وخلوص نيتهم
وان كان المجاهدين مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي عليه السلام لقد خلفتم بالمدينة اقواما
ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين حسنت عقايدهم وصحت نياتهم وكانت افيدتهم
تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما
نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر والمفعول الثاني لتضمنه معنى الاعطا كانه قيل واعطاهم زيادة
على القاعدين اجرا عظيما درجات منه بدل من اجرا عن النبي عليه السلام بين المجاهد والقاعد مائة
درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة ومغفرة ورحمة كل واحد منهما بدل من اجرا ويجوز
ان درجات نصب درجة لقولك ضربته اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات
اجرا عظيما على انه حال عن درجات تقدمت عليها ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلها
كانه قيل وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة قيل كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما
للمجاهدين وترغيبا فيه وقيل الدرجة ما جعل لهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والدرجات ما
جعل لهم في الاخرة مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولذا وصفها بقوله منه وجمعها باجرا عظيما ومغفرة
ورحمة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل الدرجة
للمجاهدين بالاموال والانفس والدرجات للمجاهدين على الاطلاق بحيث يتناول حرف القلب عن
الالتفات الى ما سوى الله تعالى وقيل القاعدون الاول هم الاضرا والقاعدون الثاني هم الذين اذن
لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار
والاخرون من جاهد نفسه التي هي اعدى عدو وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا ستورا عليهم لما فرط منهم رحيما منعما عليهم بما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ان الذين توفاهم الملائكة يجوز ان يكون ماضيا كقراة من قرا توفتهم
ومضارعا بمعنى تتوفيهم كما ترى توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها
اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها وهو على حكاية الحال وقصد الاستحضار وقرا عيسى بن عمر تتوفيهم
ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بالقعود عن الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة

اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا قال الملائكة للمتوفين توبيخا لهم فيم كنتم في اي
شي كنتم من امر دينكم وقيل في اي الفريقين كنتم في المسلمين ام في المشركين سوال توبيخ وتعيير فاعتذروا
بضعف عن مقاومة اهل الشرك وقرا اليماني فيما كنتم بالالف قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذارا
مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة وعجزوا عن اظهار الدين واعلا كلمته قالوا اي
الملائكة تكذيبا لهم الم تكن ارض الله واسعة وانكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بلد اخر لا تمنعون
فيه من اظهار دينكم من الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة قالوا وفيه دليل على وجوب
الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وكذا اذا علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على
العبادة وعن النبي عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة
وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عم احب شي الى الله تعالى الغربا قيل من الغربا قال الفرارون بدينهم
يبعثهم الله يوم القيمة مع عيسى ابن مريم فاولئك ماويهم جهنم لتركهم ما فرض الله عليهم وتكثير سواد الكفرة
ومساعدتهم اياهم وهو خبر ان ولتضمن الاسم مع الشرط زحلقت الفا فيه وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة
باضمار قد او الخبر قالوا والعايد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة
منها وساءت مصيرا ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مصيرا والمخصوص بالذم محذوف
معناه ساءت مصيرا هي الا المستضعفين من الرجال والنسا والولدان استثنا منقطع من الذين ماتوا
على ترك الهجرة واوعدوا بان ماويهم جهنم لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر
الولدان ان اريد بهما المماليك البالغون فظاهر وان اريد الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهامها
بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجب عليهم والاشعار بانهم لا محيص لهم عنها البتة اذا بلغوا
حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ واستطاعوا لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين
او الرجال والنسا والولدان اذ لا توقيت فيه نظير قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا فان يحمل صفة الحمار
ومنه قوله ولقد امر على اللئيم يسبني فان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فلم يقصد به
معهود وفي هذا الوصف اعني عدم الاستطاعة والاهتدا دلالة على انه العلة في عدم استحقاق
الوعيد حتى لو انتفى استحقوا الوعيد او حال عنه او عن المستكن ومعنى عدم الاستطاعة للحيلة عدم
وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه ومعنى عدم اهتدا السبيل عدم معرفة الطريق بنفسه
او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم عسى في اللغة للطمع والطمع والاشفاق من الله واجب وهو في مثل
هذا المقام للتحقيق كانه قيل ان الله سيعفو عنهم وقيل في ذكر كلمة الاطماع ولفظ العفو ايذان بان
ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر في حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها وكان الله عفوا
غفورا يريد ان من عادته ان يعفو عن الخطايين ويعفو للمذنبين قد عفى عنهم وغفر لهم والعفو والمغفرة

فتهاجروا فيها م

همنا والله اعلم على الحقيقة لاستدعائها سبق جريمة وههنا لا ذلك فصح اجراوه على ظاهره ومما يدل على
ان المراد الحقيقة دون المجاز قوله فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم اي يتجاوز عنهم ومن يهاجر في سبيل
الله ومن يفارق وطنه وقومه لاجل الله يجد في الارض مراغما كثيرة اي متحولا من الرغام وهو التراب
وقيل طريقا يراغم سلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف
بالرغام ومنه قوله حتى يخرج منه الرغم اي حتى يخضع ويذل ويخرج منه كبر الشيطان يقال راغمه
اذا فارقه على رغمه ومنه راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال
النابغة كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب ومنه اذا خرج مراغما اي مغاضبا والمراغم
المهرب وقرئ مرغما وقرا ابو واقد وسبح وبطهو الجراح مرغما بالتشديد وسعة في الرزق واظهار
الدين والتنكير للتعظيم ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت قرئ يدركه
بالرفع بناء على انه خبر محذوف اي هو يدركه وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها
ثم نقل حركة الى الكاف كقوله عنزي سبني اضربه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا
وهو على اعتبار العطف على مصدر الفعل السابق والمعنى ومن يكن منه خروج ثم ادراك الموت ويكون
منه ترك والحاق كما يقال في اكرمني اكرمك اي لكن منك اكرام او مني اكرام وفي مصحف ابن مسعود
فيدركه بالفا فقد وقع اجره على الله مبهمة لا يقاس امرها في العظيم والمعنى ايما عبد او شخص يخرج من
بيته مفارقا وطنه وقومه حبا لله ورسوله ثم يدركه الموت حق على الله ان يعطيه اجره وفي كلمة
على دلالة على تحقق الاجر البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كانه من الواجبات عليه فان وعده
المحتوم والخلف منه محال لكونه نقصا منافيا للالوهية وكمال الغنى قال البيضاوي الوقوع
والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب وقال الزمخشري معناه فقد
وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها وجبت الشمس سقط
قرصها والمعنى قد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه يريد ان لفظ الوجوب حقيقة في الوقوع فصح
اطلاق الوقوع وارادة الوجوب بمعنى اللزوم واستحقاق الذم على الترك او لزوم مخالفة الحكمة وعندنا
لا وجوب على الله ان اثاب فبفضله وان عاقب فبعدله لان الاعمال عادية لا اسباب حقيقية
فله ان يثيب مع الاخلال ويعذب مع الاعمال روي ان قوله تعالى ان الذين توفيهم الملائكة الى اخره
لما نزل سمعه جندب بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله تعالى واني لاجد حيلة ولي من المال ما يبلغني
المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه بنوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فلما بلغ
التنعيم ادركه الموت فطفق يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على
ما بايعك عليه رسولك فمات فبلغ خبره اصحاب رسول الله عليه السلام فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم

اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فانزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا
الاية وكان الله غفورا ستر وتمحو ما صدر عنهم رحيما ينعم عليهم بما لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره فلا
يضيع اجرهم قال الواحدي الهجرة لغرض ديني من طلب حج او علم او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة وقناعة عن
زهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب تسمى هجرة الى الله ورسوله فان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع
على الله واذا ضربتم في الارض سافرتم والمسافر من قصد سيرا وسطا ثلاثة ايام ولياليها وفارق
بيوت بلده فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها في الظهر والعصر والعشا
التخيير بين القصر والاتمام هو الظاهر المتبادر الى الفهم من نفي الجناح وان كان مفهومه بحسب العقل
مجرد عدم الحرمة او الكراهة على ما يشمل الواجب والمندوب ايضا لكن صلوة رخصة اسقاط الدليلين
احدهما قوله عليه السلام ان هذه صدقة تصدق بها عليكم فاقبلوا صدقته حين سال عمر عن القصر الصلوة
ونحن امنون وانما سال عمر لان القصر متعلق بالخوف بناء على ان التعليق بالشرط يدل على انتفا الحكم عند
انتفا الشرط لقولك انت طالق ان دخلت الدار ولم اطلقك ان ان صليت قوله هذه اشارة
الى صلوة المقصورة وقوله فاقبلوا صدقته معناه اعملوا بها واعتقدوها وقيل هذه الاية
وفي هذه الاية دليل على ان التعليق بالشرط لا يدل على العدم عند عدم الشرط ولذا سوال عمر دليل
عليه ايضا لانه لو كان دالا على عدم الحكم لفهم فلم يسال له ورد بانه يجوز ان يكون السؤال بناء على وقوع
العمل على خلاف ما فهم كما يشعر به سياق القصة المروية عنه على ان الفعل بمفهوم الشرط انما يكون
اذا لم يظهر له فايدة اخرى مثل الخروج مخرج الغالب كما في هذه الاية فان الغالب من احوال المسافر
في ذلك الوقت كان الخوف وكذا قوله تعالى فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا فان الغالب ان الانسان
انما يكاتب العبد اذا علم فيه خيرا وذهب فخر الاسلام الى ان المراد في الاية قصر الاحوال كالايجاز ز
في القراءة والتخفيف في الركوع والسجود والاكتفاء بالايماء لا قصر الايجاز وهو ضعيف لان الائمة
كالمجمعين على ان الاية في قصر اجزاء الصلوة وثانيهما ان الخيار انما ثبت للعبد اذا تضمن رفقا
كما في الكفارة والرفق ههنا متعين في القصر فلا يثبت الخيار فيكون الرخصة رخصة اسقاط
وعند ابي حنيفة القصر في السفر عزيمة غير رخصة اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل
وعن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها
اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وذهب الشافعي الى
التخيير لما ثبت من انه عليه السلام اتم في السفر مع انه قصر فيه من غير خوف وبعض ان عائشة
اعتمرت مع رسول الله من المدينة الى مكة وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت
فقال احسنت يا عائشة وما عاب عليها وكان عثمان يتم ويقصر واقل سفر يقصر فيه عند ابي

حنيفة بستة برد مسيرة ثلثة ايام ولياليها الابل ومشي الاقدام على القصد هذا للبر واما في البحر
فالاعتبار لاعتدال الريح وللجبل ما يليق به وعند الشافعي اربعة برد مسيرة يومين وهي جمع بريد
وهو اثني عشر ميلا كل ميل اثني عشر الف قدم والفرسخ ثلثة اميال وقري ان تقصروا من اقصر بمعني
قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من
عند الاخفش وقرا الزهري تقصّروا بالتشديد وقرا الحسن ان يقصروا بالياء وطلحة بن مصرف
ان تقصر تم بالتخفيف والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم وبالسنة
في حال الامن كما ذكرنا فان قيل كيف يعمل بالسنة على خلاف الكتاب اجيب بانه لا مخالفة اذ التقييد
بالشرط على نفي الحكم عند عدمه بل على مجرد ثبوته عند ثبوته ولو سلم ففيما اذا لم يظهر له فايدة اخري
وههنا الشرط خارج مخرج الاغلب ولا دلالة فيه على النفي وفاقا ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
قرا عبد الله من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له بمعني كراهة ان يفتنكم والمراد
بالفتنة القتال والتعرض بما يكره وقرا زيد بن علي ان يفتنكم بضم الياء • ان الكافرين كانوا لكم
عدوا مبينا علة لخوف الفتنة فان كلمة ان اذا وقعت بين الجملتين يكون لتعليل الاولي بالثانية
كما في قوله تعالي وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء ونظايره كثيرة قال بعضهم فاما ان يكون
ان في مثل هذا الكلام للتعليل وهو الحق او يكون تقديره لان الحذف غير الايما وهو باطل لان ما ذكره
في تعليل ان من اعتبار حذف اللام انما يكون في ان بالفتح • فاذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة تعلق
بظاهره من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول حيث شرط كونه فيهم وعامة الفقها على انه تعالي علم الرسول
كيفيتها لياتم به الايمة بعده وانهم نواب عنه وقوام بما كان يقوم به في كل عصر فيكون حضورهم
كحضوره وقيل لو جعل الخطاب له خاصة ويثبت الحكم في غيره بالقياس لم يبعد والضمير في فيهم
للخايفين جميعا ولو كان الخطاب في كنت للرسول ولكل امام والا فهو للخايفين ممن يحضرهم النبي
عليه السلام ويصلي بهم • فلتقم طايفة منهم معك فاجعلهم طايفتين فلتقم احدهما معك فصل
بهم وقرا عيسي فلتقم بكسر اللام ولذلك ولتات طايفة • وليأخذوا اسلحتهم • اي وليأخذ المصلون
اسلحة لا تشغلهم عن الصلوة كالسيف والنحو ونحوهما وقيل الضمير للطايفة الاخري وذكر الطايفة
الاولي يدل عليه وقري وليأخذوا بكسر اللام فاذا سجدوا فليكونوا فليكن غير المصلين من ورائكم
يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة ان يجعل الامام طايفة نحو العدو ويصلي باخري ركعة
في الثاني ان كان مسافرا وركعتين في غيره ان كان مقيما وتمضي هذه الي العدو وتجي تلك ويصلي بهم
ما بقي ويسلم وحده وتذهب اليه وياتي الاولي وتتم صلاتها بلا قراة ثم الاخري بقراة ويصلي بالاولي
في المغرب ركعتين وبالاخري ركعة واذا زاد الخوف صلوا ركبانا فرادي بايماء الي ما شاوا وان عجزوا عن

تحيم

التوجه ويفسدها القتال والمشي الي غير العدو والركوب والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة لان ذهاب
الطايفة الاولي عنده يكون عقيب سجودهم لا عقيب صلوتهم كما هو عند مالك فان السجود عنده بمعني الصلوة
لان الامام يصلي عنده بالاولي ركعة وينتظر قايما حتي يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا بالاول ثم يصلي بالاخري
ركعة وينتظر قاعدا حتي يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعل عليه السلام بذات الرقاع ويؤيد قول مالك
قوله تعالي • ولتات طايفة اخري لم يصلوا فليصلوا معك لانه يدل على ان الطايفة الاولي قد صلوا
والثانية يصلون معه لا منفردين قال البيضاوي ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل
طايفة مرة كما فعله النبي عليه السلام ببطن النخل وذلك ما روي جابر ان النبي عليه السلام كان
يصلي بالناس صلوة الظهر في الخوف ببطن نخل فصلي بطايفة ركعتين ثم يسلم لكنه ما روي انه صلي
بطايفة اخري ركعتين حتي يكون مع كل طايفة مرة وقرا عيسي وابرهيم فليقم ولياتِ بكسر اللام
وبالياء فيهما لان الطايفة يذكر ويؤنث وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ
آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة وجعلا ماخوذين ونظيره قوله والذين تبوءوا
الدار والايمان مستقرا ومتوطنا لتمكنهم فيه واستقامتهم عليه فلذلك جمع بينه وبين الدار في
التبوء تبوء منزلا اي اتخذ منزلا والحاصل ان الاخذ لم يتعلق بالحذر الا بعد جعله بمنزلة الآلة
وان التبوء لم يتعلق بالايمان الا بعد جعله بمنزلة المستقر والمتوطن والمتبوء فلم يلزم من الجمع
فيهما محذور قال مجاهد قال ابو عياش الزرقي كنا مع رسول الله عم بعسفان وعلى المشركين خالد
ابن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد اصبنا غرة اي الغفلة لو حملنا عليهم وهم في الصلوة
فنزلت الاية بين الظهر والعصر • ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم تمنوا ان يصيبوا
منكم غرة في صلوتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله
امروا باخذ السلاح وقرا سعيد بن جبير لو يغفلون بالياء وعبيد بن عمير فيميلون بضم وقري وامتعاتكم
بالالف والتاجمع امتعه • ولا جناح عليكم ان كان بكم اذي من مطر او كنتم مرضي ان تضعوا اسلحتكم
وخذوا حذركم رخص لهم في وضع الاسلحة اذا ثقل عليهم اخذها وحملها بسبب مطر او مرض وامرهم
مع ذلك باخذ الحذر تكرير الزيادة التحرز والتيقظ ولئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو وبيان ذلك
انه اقتصر في الاول وهو قوله وليأخذوا اسلحتهم على اخذ الاسلحة وفي الثاني ضم اليه اخذ الحذر
لان الكفار يتنبهون للون المسلمين في الصلوة فينتهزون فرصة الهجوم عليهم فلا جرم خص الله تعالي
هذا الموضع بزيادة التحفظ والتيقظ وفي الثالث كرر تلك الزيادة بقوله وخذوا حذركم تاكيدا
وقصدا الي تمكين المكرر في النفوس وتقديره ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا • ظاهره التعليل
لما مر ان الواقعة بين الجملتين يكون للتعليل غالبا لكنهم يقولون انها ههنا لدفع الوهم الناشي من

الامر بالحذر من العدو ولانه يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام بان اعد لعدوهم ان يصيبه
بعذاب من عنده او بايدي المومنين لتقوي قلوبهم وليعلموا ان الامر ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل
لان التحرز في نفسه عبادة كما ان قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ليس نهيا ومنعا عن الاقدام
في الحرب بل امرا بالتحرز والتيقظ ابدا انابان ذلك تعبد من الله • فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم في حال
الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين • وقعودا جاثين على الركب مرامين
وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمانتم سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم • فاقيموا الصلوة فاقضوا
ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج واللام في اقيموا الصلوة للعهد فيمن يقول
بوجوب القضا وللجنس على القول بعدم الوجوب • ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا تعليل
لاقامة الصلوة فان الغالب من حال ان التي تقع بعد الامر والنهي ان يكون للتعليل ويغني غناء الفا
وقد ذكر عبد القاهر انها في مثل هذه المواقع تقع كذلك ولذلك قد ذكر في اكثر الكتب انها في مثل هذه
من الطوائف من قبيل الصريح دون الايما وان ذهب اليه بعضهم نظرا الى انها لم توضع للتعليل وانما وقعت
في هذه المواضع لتقوية الجملة التي يطلبها المخاطب ويرد دفيها ويسال عنها ودلالة الجواب على العلية
ايما لا صريح قوله كتابا موقوتا اي فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال
خوف او امن وفيه دلالة على ان المراد بالذكر الصلوة على ما ذهب اليه الشافعي فانها اوجبها على
المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب اذا حضر وقتها فاذا اطمان فعليه القضا وقال ابو
حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فاديموا ذكر الله مهللين
مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتاييد في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم
فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجا اليه فاذا اطمانتم فاذا امنتم فاقيموا الصلوة
فاتموها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم
ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني
فيه فان ما يكابدون من الالم والقتل غير مختص بهم بل مشترك بين الفريقين وهم يرجون من الله ما لا
يرجون عدوهم من اظهار الدين واستحقاق الثواب فينبغي ان يكون ارغب منهم في الحرب واصبر عليها
وقرا الاعرج ان تكونوا بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم يالمون كما
تالمون تعليلا للنهي على هذه القراة واما على القراة بكسر الهمزة فهو جزا الشرط وقرا النخعي ان يكونوا
يالمون بالياء فيهما وقري تيلمون كما تيلمون بكسر حرف المضارعة وقلب الهمزة ياء وقيل الرجا ههنا بمعنى
الخوف اي وتخافون من عذاب الله ما لا يخافون والاية نزلت في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا
وفشلوا وكان الله عليما باعمالكم واحوالكم ظاهرة وباطنة حكيما فيما يامركم وما ينهاكم عنه فيما يجري

امورکم

امورکم ولا يدبرها الا على حسب ما يصلحكم • انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في
طعمة ابن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جارة قتادة بن النعمان في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق
ينتشر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد فحلف
ما اخذها حتى انتهى الى ماله داره وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي
فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسالوه
ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل هلك وافتضح صاحبنا وبرى اليهودي فهم رسول الله عليه
السلام ان يفعل ويعاقب وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب
حايطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحايط عليه فقتله • بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس بمعنى
الروية بمعنى الابصار ولا بمعنى العلم لاستدعائه ثلثة مفاعيل وهو لم يتعد ههنا الا الى مفعولين
احدهما الكاف والاخر المحذوف العايد اي الموصول تقديره بما اراكه الله وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن
احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ليجتهد رايه لان الراي من رسول الله كان
مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف وفيه اشعار بان غير النبي عليه السلام
من اهل الراي والاجتهاد كلهم من اهل التكلف ولقايل ان يقول ما التوفيق بينه وبين التكلف الذي
في قوله عليه السلام انا وصالحوا امتي برآء من التكلف وايضا قال الله تعالى قل ما اسالكم عليه من اجر
وما انا من المتكلفين فان جمهور ائمة التفسير والاصول والنحو قد اتفقوا على ان الجمع المعرف باللام
يتناول كل واحد من الافراد كالمفرد حتى ذكروا في قوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين على انه نكر
ظلما وجمع العالمين على معنى لا يريد شيا من الظلم لاحد من خلقه وذهبوا في قوله لا يدركه الابصار الى
ان معناه لا يدركه شيء من الابصار الى غير ذلك • ولا تكن للخائنين اي لاجل الخائنين والذب عنهم
خصيما مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر • واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهود
وقيل واستغفر من جدالك عن طعمة • ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره • ولا تجادل عن الذين يختانون
انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة
منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع الضرر اليهم وجمع الخائنين ويختانون مع ان السارق طعمة
وحده ليشمل طعمة وامثاله واياه وقومه لانهم شاركوه حين شهدوا له بالبراة وخاصموا عنه ان الله لا
يحب من كان خوانا اثيما للتعليل للنهي الخوان كثير الخيانة والاثيم كثير الاثم وفيهما دلالة
على افراط طعمة في الخيانة وركوب الماثم وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن
عمر بن الخطاب انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه
فقال كذبت ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة يستخفون من الناس يستترون من الناس حياء منهم

نزل

وخوفا من ضررهم • ولا يستخفون من الله • ولا يستحيون منه على انه احق بان يستحيى منه ويخاف وهو
معهم وهو عالم بهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويواخذ عليه • اذ يبيتون يدبرون
ويزورون واصله ان يكون بالليل • ما لا يرضى من القول من رمي البري والحلف وشهادة الزور وقيل ذلك
ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي عليه السلام فانه يسمع قوله ويمينه لانه مسلم ولا يسمع من
اليهودي لكفره فلم يرض الله ذلك منهم • وكان الله بما يعملون محيطا • لا يفوت عنه شيء • ها انتم هولاء • ها
للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدا وخبر • جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع هولاء خبرا
كقوله انت حاتم تجود بمالك وتوثر على نفسك او اولاء موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا
انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا • فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة • فمن يخاصم الله عنهم يوم القيمة اذا
اخذهم بعذابه وقرا عبد الله واي عنه اي طعمة • ام من يكون عليهم وكيلا • حافظا او محاميا يحميهم من عذاب
الله وانتقامه وام في مثل هذا المواضع بمعنى بل لا متصلة ولا منقطعة ويجوز الحمل على احدهما بتاويل
وقيل الظاهر ان ام منقطعة لان الاستفهام في من يكون للانكار والنفي والهمزة التي في ام لتقرير النفي
ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي • او يظلم نفسه • بما يختص به ولا يتعداه
كالحلف الكاذب وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم • ثم
يستغفر الله بالتوبة والانابة • يجد الله غفورا • ستورا محاء لذنوبه رحيما • منعما عليه بالجنة وهذا
حكم عام يدخل تحته طعمة وقومه ومن عداهم عظيم خيانتهم او لانه اردفها بسعة مغفرته وعظيم رحمته
ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اجل واعظم وفيه حث على التوبة والانابة
والاستغفار • ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه لان وباله يعود عليه ولا يتعداه • ومن يكسب خطيئة
صغيرة لانها بالخطا اليق وقيل ما لا عمد فيه وقيل سرقة الدرع • او اثما • اي كبيرة او ما كان عن عمد • ثم
يرم به بريئا • كما رمى طعمة زيدا وضميره به عايد الى الاثم وقيل الى الكسب الدال عليه يكسب وقيل الى احد
الشيئين المدلول عليه باو ولانه من يرمي في البري بالخطيئة ايضا يكون باهتا وقرا معاذ بن جبل ومن يكسب
بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب وقرا اليماني ثم يرم بهما بريئا بزيادة الميم • فقد احتمل بهتانا
واثما مبينا • بسبب رمي البري وتنزيه النفس الخاطية والظاهر ان المراد بالاثم ههنا ما يعم الخطيئة
ايضا تغليبا او نظرا الى ان الرمي بالخطيئة اعظام لها واخراج في حكم الاثام او الى انه قد يطلق على
مطلق الذنب كما في كباير الاثم بقي الاشكال في مغايرة احتمال الاثم والبهتان اعني الاتصاف بهما لكسب الاثم
والرمي به واجيب بان تغاير المفهوم كاف او ان التفخيم الحاصل من التنكير يعطي التغاير او انه على اسلوب من
ادرك الضمان فقد ادرك المرعى وهذا الاخير مستفاد من جعل الجزا امر الظاهر اللزوم للشرط بحيث لا
فايدة في ذكره ما دام محمولا على اطلاقه فيحمل على اخص الخصوص ليفيد والمعنى على هذا فقد بلغ في احتمال

البهتان

البهتان هو الكذب الذي يبهت ويتحير فيه • ولولا فضل الله عليك ورحمته • الفضل التفضل اي ولولا
اني قضيت ان اتفضل عليك واترحم بضروب النعم التي من جملتها الوحي والاطلاع على الاسرار • لهمت طايفة
منهم • اي من بني ظفر • ان يضلوك • عن القضا بالحق مع علمهم بان الجاني صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا
يعلمون كنه القضية والجملة جواب لولا والظاهر ان القصد الى نفي همهم لان لولا لانتفا الشيء لوجود
غيره لكنهم يقولون ليس القصد فيه نفي همهم بل الى نفي ما اثره فيه والمعنى لولا فضل الله لاضلوك اذ
ندهموا وانت غير مطلع على حقيقة الحال • وما يضلون الا انفسهم • لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله
عليهم • وما يضرونك من شيء • لان الله قد عصمك وما خطر ببالك كان عملا بظاهر الحال لا ميلا في
الحكم اذ لم يكن يخطر بباله ان الحقيقة على خلاف ذلك ومن شيء في موقع النصب على المصدر اي
شيا من الضرر • وانزل الله عليك الكتاب والحكمة • المراد بالكتاب القران وبالحكمة السنة وقيل الحكمة
ههنا القضا بالوحي • وعلمك ما لم تكن تعلم • من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام ويجوز ان
يراد بالطايفة بنو ظفر ويعود ضمير منهم الى الناس وقيل الاية نزلت في المنافقين • وكان فضل الله
عليك عظيما • اذ لا فضل اعظم من النبوة سيما اذا كان مع سيادة الاولين الافضلين من الانبيا والمر
سلين • لا خير في كثير من نجويهم • اي من تناجي الناس • الا من امر بصدقة • على تقدير مضاف اي الا نجوى
من امر فهو على هذا مجرور بدل من قولك لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويحتمل ان يكون منصوبا
على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير • او معروف • هو كل ما يستحسنه الشرع ولا
ينكره العقل وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل صدقة التطوع وعن النبي عليه
السلام كلام ابن ادم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وعنه عليه
السلام التارك للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مومنا بي ولا بالقران • او اصلاح بين الناس •
او اصلاح ذات البين عن ابي الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة
الصوم والصدقة والصلوة قلنا بلى قال اصلاح ذات البين وافساد ذات هي الحالقة • ومن يفعل
ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما • اي ومن امر بالصدقة او المعروف او الاصلاح
طلبا لمرضات الله وخالصا لوجهه لا لغرض ناجز من متاع الدنيا فسوف نعطيه نعيما لا يكتنه به وفي
اضافة المصدر الى المفعول دلالة على ان الامر بالخير ان يكون مطمح نظره ومقصد همته عبادة
الله وجنابه والتقرب اليه ويقتصر على طلب رضاه ولا يلتفت الى ما سواه وفي ذكر الامر بالخير وترتب
الجزا على الفعل دلالة على ان الامر اذا دخل في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل وان العمدة والغرض
هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيل الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله لان الاعمال
بالنيات قرا ابو عمرو وحمزة يوتيه باليا والباقون بالنون • ومن يشاقق الرسول • اي يخالفه من الشق فان

فان كلام المخالفين في شق غير شق الاخرة من بعد ما تبين له الهدى من بعد ما ظهر له الحق بالوقوف على
المعجزات ظهور الاشبهة فيه• ويتبع غير سبيل المؤمنين ما هم عليه من اعتقاد وعمل نوله ما تولى اي نجعله
واليا لما تولى من الضلالة ونخلي بينه وبين ما اختاره قالوا فيه دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفته كالكتاب
والسنة لان الله جمع مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المومنين في الوعيد ولا شك ان مشاقة الرسول وحدها
حرام يستوجب الوعيد فلولا ان الاتباع المذكور حرام لم يكن في ضمه الى المشاقة فايدة وكان الكلام ركيكا كما
لو قلنا من يشاقق الرسول وياكل الخبز واذا حرم اتباع غير سبيل المومنين يجب اتباع سبيلهم اذ لا مخرج عنهما
لان ترك اتباع غير سبيلهم يدخل في اتباع سبيلهم والاجماع سبيلهم فيجب اتباعه ولفظ الغير عام لاضافته
الى الجنس بدليل صحة الاستثنا على انه لا يجب المتابعة في المباحات ثم سبيل المومنين لا يجوز ان يكون عين
ما اتى به الرسول عليه السلام لانه ان كان كذلك فاتباع غيره يكون مخالفة الرسول ويكون المعطوف
عين المعطوف عليه وهو المشاقة واعترض بانه لا يجوز ان يكون عينه ويكفي في صحة العطف تغاير
المفهومين فان مفهوم مشاقة الرسول غير مفهوم اتباع غير سبيل المؤمنين لقوله اطيعوا الله واطيعوا
الرسول لان اطاعة الله بحسب الوجود الخارجي لقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله لكنه غيره بحسب
المفهوم واجيب بانهم لا يمنعون من جهة انه لا يصح العطف بل من جهة ان سبيل المؤمنين عام لا مخصص له
بما ثبت اتيان الرسول به مع ان حمل الكلام على الفايدة الجديدة اولى من حمله على التكرار وتغاير المفهومين
كما في قولنا اتبعوا القران وكتاب الله والتنزيل ونحو ذلك فان قيل يجوز ان يراد سبيل المؤمنين في متابعة
الرسول او مناصرته او الاقتدا او فيما صاروا به مومنين وهو الايمان به وقد نزلت في طعمة حين
سرق درعا ولحق المشركين اجيب بان العبرة للعمومات والاطلاق دون خصوصيات الاسباب
والاحتمالات والثالث بالنصوص ما دلت عليه ظواهرها ولم تصرف عنه ان التمسك بالظواهر ووجوب
العمل بها انما يثبت بالاجماع ولولاه لوجب العمل بالدلايل المانعة عن اتباع الظن ثم السبيل وان كان في
الاصل الطريق الذي يمشي فيه فانه غير مراد اتفاقا بل المراد به الطريق الذي اتفق عليه الامة من قول
او فعل او اعتقاد ونصليه جهنم اي وندخله فيها وقرا الاعمش بقوله نوله ويصليه بالياء فيهما وقرئ
نصليه بفتح النون من صلاه وسات مصيرا جهنم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا كرره للتاكيد وقيل ان شيخا من العرب جا الى رسول الله
عليه السلام فقال يا رسول الله اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيا منذ عرفته وامنت
به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة على الله وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا
واني لنادم تايب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وقوله ضلالا بعيدا اي عن الحق لان الشرك اعظم
انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة ان يدعون وقرات عايشة ان تدعون بالتاء

من دونه الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احيا العرب الا ولهم صنم يعبدونه
ويسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله تعالى عن ذلك وقيل المراد الملايكة
لقولهم الملايكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ اثنى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث وونثا
بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كاسد واسد واثنا على قلب الواو لضمها همزة نحو اجوه في وجوه وقرات
عايشة رضي الله عنها اوثانا وقرا ابو البرهسم الا امواتا• وان يدعون اي وان يعبدون بعبادتها• الا
شيطانا مريدا لانه هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد
المارد المرتد الذي لا يعلق بخير وقيل المريد المارد وهو العاتي واصل التركيب للملامسة ومنه صرح
ممرد وغلام امرد وبجرد مرد التي يناثرها ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن
من عبادك عطف عليه اي شيطانا مريدا بين لعنه الله وهذا القول الشنيع الدال على فرط عداوته
للناس وقد برهن سبحانه وتعالى اولا ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به
ينفعل ولا يفعل فعلا اختيارا بان ذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا
غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبارة الشيطان وهو اقطع الضلالة لثلثة اوجه الاول انه مريد منهمك
في الضلالة لا يعلق بشيء من الخير وهو الهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا من الهدى والثاني انه
ملعون لضلالته فاستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في
اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته نصيبا مفروضا اي مقطوعا واجبا
فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطا وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعين
الى النار وقال الجوهري نصيبا مفروضا اي مقتطعا محدودا ولاضلنهم عن الحق اراد به التزيين
والا فليس الا ضلال من شيء كما قال لازينن لهم في الارض ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة
وركوب الاهوا وان لا بعث ولا جنة ولا نار وقيل ادراك الاخرة مع ركوب المعاصي وقال ابن عباس
لاسوفنهم بالتوبة وقيل لاوسوسن لهم بالاماني وقيل لافتحن عليهم باب تمني الجزا الجميل مع اصرارهم على الشر
وقيل لاغرينهم على ما يتمنونه من الشهوات المحرمات حتى يرتكبوها ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام
يشقونها للتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت العرب يعملون بالبحاير والسوايب يحرمون على انفسهم
الانتفاع بها ولامرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويدخل فيه ما قالوا من فقا عين الحامي
وخصا العبيد والوشم والوشر واللوط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي
هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب من الله زلفى وعموم اللفظ
يمنع الخصا قال انس تغيير خلق الله الخصا وبه قال ابن عباس ان النبي عليه السلام نهى عن صبر الروح وخصا
البهايم ونهى عنه عمر ايضا واما اهل العلم الا في الذكور واباحه كثير من علما التابعين كعروة ابن الزبير

والحسن وطاوس وابن عمر بن عبد العزيز ناسا من الجند نخصا حيالهم وعليه عامة العلما ووجه الاباحة
دعوى الحاجة الى ذلك ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله باثارة ما يدعوا اليه عما امر به وتجاوزه به
عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار
يعدهم الفقر وما لا ينجز وقرا الاعمش يعدهم بسكون الدال على الاخفا ويمنيهم ما لا ينالون وقيل يمنيهم
بان لا بعث ولا جنة ولا نار وقيل الاماني وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر
وهو الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه وقيل يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن
الله لهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحقايق وكل ذلك بقضا الله
وقدره اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل عنه كان عندو ليس
صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
كثيرة عظيمة في غاية العظمة وقرا يحيى وابراهيم سيدخلهم بالياء تجري من تحتها الانهار اسناد الجري الى
الانهار من المجاز في الاثبات واللام للجنس او للعهد او العوض عن المضاف اليه وانه تجري قصدا الى استمرار
ذلك وحصوله حالا فحالا ولان الما الجاري من اجل النعم وفيه الانس الاعظم حال الله بذكر الجنات مشفوعا
بذكر الانهار الجارية من تحتها وجعلها ملزوزة في قرنها وقدمه على ساير نعوتها خالدين فيها ابدا حال
من المفعول ازال به خوف الزوال منهم ولا لذ عيشا كالنعم والسرور وعد الله حقا وحق ذلك حقا فالاول
مؤكد لنفسه لان مضمون سندخلهم جنات وهو الوعد لا غير فيكون وعد الله تاكيدا لنفسه والثاني مؤكد
لغيره لان الوعد المذكور من حيث انه خبر يحتمل غير الحق فيكون حقا تاكيدا لغيره اي لاجل دفع الغير وهو
الباطل وفاعل الحق مضمونه وقيل يجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله
سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث
بليغ لدلالته على صدق اخبار الله وحقيقة مقاله مع انكار وجود قايل اصدق منه وفايدة هذه التوكيدات
معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة واماني الباطلة لقرنايه بوعد الله الصادق لاوليايه ترغيبا
للعباد في تحصيله بفعل الطاعات وترك السيئات ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب ليس ما وعد الله
من الثواب لا ينال باما نيكم ايها المسلمون ولا باماني الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وعن الحسن
ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المؤمنين افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم الانبيا
وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس
الامر باماني المشركين وهو قولهم لا بعث ولا حساب او قولهم ان كان الامر كما يزعم هولا لنكونن خيرا منهم
واحسن حالا لاوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى ولا باماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل

الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وانما الامر بالايمان والعمل
الصالح ثم قرر ذلك بقوله من يعمل سوءا يجز به اي يعاقب به في الكتب عاجلا واجلا لما روي انه لما
نزل قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام اما انت يا ابا بكر واصحابك المؤمنون
فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليست لكم ذنوب واما الاخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا
يوم القيمة وعن ابن عباس لما نزل شق على المسلمين وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا غيرك فكيف
الجزا قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة
من عشرة وبقيت تسع حسنات فويل لمن غلب احاده اعشاره واما من كان جزاه في الاخرة فيقابل
بين حسناته وسياته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطي الجزا في الجنة فيؤتي كل
ذي فضل فضله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته
من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه وقال الحسن هذا اي قوله من يعمل سوءا يجز به الاية للكفار لقوله
تعالى وهل نجازي الا الكفور ومن يعمل من الصالحات من زايدة عند الاخفش وصفة عند سيبويه
اي شيئا من الصالحات ولقايل ان يقول لم لا يكون تبعيضية اي ومن يعمل بعض الصالحات لان كل احد
لا يتمكن من كلها لاختلاف احوال المكلف من السفر والاقامة والفقر والغنى والمرض والصحة وغير ذلك
فكم من مكلف يسقط والحج والجهاد وكذا الصلوة ولذلك قالوا ليس المراد بالصالحات في قوله وعملوا الصا
لحات
جميع الجنس ولا جنس الجمع وان قل اذ لا يكفي ثلثة من الاعمال بل المراد ما بين الكل والاقل وهو جميع ما يجب
في الدين بالنظر الى كل مكلف وما يليق بحاله فليس كل احد مكلفا بالكل من ذكر او انثى من هذه لتبيين
الابهام ومن يعمل في موقع الحال من المستكن فيه وجعلها للابتدا او الظرف حالا من الصالحات اي كاينة صادرا
من ذكر او انثى ليس ببعيد من حيث المعنى وهو مؤمن حال وفيه دليل ان الاعمال غير داخلة في الايمان
لانه جعله شرط صحة الاعمال والمشروط لا يدخل في الشرط قطعا لامتناع اشتراط الشي بنفسه فلا اعتداد بالعمل
بدون الايمان فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ولا ينقص شي من الاجر واذا لم ينقص اجر المطيع
فبالحري ان لا يزداد عقاب العاصي لان المجازي وعد حتما فالخلف ممتنع لكونه نقصا منافيا للالوهية
وكمال الغنى ولانه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابو بكر يدخلون بضم اليا وفتح الخا والباقون بضم اليا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله
اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل اخلص عمله لله وقيل فوض امره
الى الله وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن فاعل للحسنات
تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم حنيفا مايلا الى ملة الاسلام غير زايل عنه وهو حال من ابراهيم لقوله بل
ملة ابراهيم حنيفا او من الملة او المتبع واتخذ الله ابراهيم خليلا اي اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة

الموافق لدين الاسلام المتفق عليه

الخليل عند خليله اعاد ذكره تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخليل المخال وهو من يخالك اي يوافقك
في خلالك او يسايرك في طريقتك من الخل او هو الطريق في الرمل وقيل من الخلل فان كلا من الخليلين يسد خلل
الاخر او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة تفيد تاكيد وجوب اتباع ملته لان
من كان مشهودا له بالاستقامة على الخير وبلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان يتبع ملته
وطريقته قالوا وفيه اعتراض ليست عاطفة ولا حالية وقيل الجملة استيناف جي به للترغيب في اتباع
ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في
ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها
للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحا لينة فملاوا منها الغراير حيا من الناس فلما
اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فحملته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت
واستيقظ ابرهيم فاشتم رايحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند
خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ﴿ولله ما في السموات وما في الارض﴾ خلقا وملكا يختار منها ومن فيها ما
يشا وهو متصل بذكر العمال الصالحين والطالعين مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال
قدرته على مجازاتهم على الاعمال ﴿وكان الله بكل شي محيطا﴾ احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم
على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا الانفسهم ما هو لها ابقى وانفع ﴿ويستفتونك في النسا﴾ في ميراثهن
اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين جا الى النبي عليه السلام اخبرانك تعطي الابنة النصف وانما كنا
نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام لذلك امرت ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ يبين لكم
حكمه فيهن والافتا تبيين المبهم ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ في محل الرفع عطفا على اسم الله او الضمير المستكن
في يفتيكم لوقوع الفصل بالمفعول والجار والمجرور فيكون الافتا مسندا الى الله او الى ما في القران من قوله
يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدا
وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ لا القران ويجوز ان ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى
عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم ولا يجوز عطفه
على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى ﴿في يتامى النسا﴾ صلة يتلى ان عطف للموصول على ما قبله اي
يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النسا
كما تقول كلمتك اليوم في زيد والاضافة في يتامى النسا بمعنى من لانها اضافة الشي الى جنسه وقرئ في
ييامى بياءين على انه ايامى فقلبت الهمزة يا ﴿اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ اي ما فرض لهن من الميراث
وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت ذميمة
عضلها عن التزوج حتى يموت فيرثها ﴿وترغبون ان تنكحوهن﴾ اي في ان تنكحوهن لجمالهن او عن تنكحوهن

لدمامتهن

لدمامتهن وروي ان عمر كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس
لها من هو خير منك وان كانت ذميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والواو تحتمل الحال والعطف
وليس فيه دليل على جواز تزوج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها هكذا
قيل ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ عطف على يتامى النسا والعرب ما كانوا يورثون الاطفال ولا النسا وانما
يورثون الرجال القوام بالامور ويجوز ان يكون خطابا للاوصيا كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
﴿وان تقوموا لليتامى بالقسط﴾ هذا ايضا عطف عليه اي يفتيكم في يتامى النسا وفي المستضعفين وفي
ان تقوموا ويجوز ان ينتصب على معنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للايمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا
حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم ﴿وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما﴾ بعث على الخير وان تقوموا
بالنصفة في شان هولا ﴿وان امراة خافت من بعلها نشوزا﴾ اي توقعت منه ذلك لما ظهر لها من
مخايله وامارته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته وان يوذيها بسبب او ضرب او اعراضا
بان يقل مجالستها ومحادثتها الكبر في السن او ملال او غير ذلك ﴿فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا﴾
فلا باس بهما في ان يتصالحا بان تهب له شيئا تستميله او تحط له بعض المهر او القسم كما فعلت سودة
بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله عليه السلام وعرفت مكان عايشة من قلبه فوهبت لها
يومها وقال ابن جبير كان رجل له امراة مسنة لها منه اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا
تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها ثم
اتى النبي عليه السلام فذكر له فنزلت وقرا الكوفيون حمزة وعاصم والكسائي ان يصلحا بضم اليا وسكون
الصاد من اصلح والباقون ان يصالحا بفتح اليا والصاد المشددة والف بعدها وفتح اللام اصله يتصالحا
فادغم التا في الصاد وقرا الجحدري يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح وقري يصطلحا وقرا عبيدة السلماني
يصالحا وفي مصحف ابن مسعود وان اصالحا بكسر الالف وقيل اطلق رافع خولة مرتين وتزوج باخرى
فلما قاربت العدة صالحته وعلى بعض الايام فنزلت وقد اباحت للزوج ما رضيت به ولا يلزم من
الطرفين ﴿والصلح خير﴾ من المصالحة خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسو العشرة او من الخصومة
او الصلح خير لكل احد من غيره لانه يوجب المودة والمغفرة ويقلع الشحنا والبغضا كما قال عليه السلام تفتح
ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيا الا رجل كانت بينه وبين اخيه
شحنا فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا والصلح خير من الخيور اي الخيرات كما ان الخصومة شر من الشرور
وهو اعتراض وكذا قوله ﴿واحضرت الانفس الشح﴾ ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في
المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعل الشح حاضرا لها لا يغيب
عنها ابدا او لا تنفك عنه انها مطبوعة عليه فلا تكاد المراة تسمح بقسمتها وبغير قسمتها ولا الرجل يسمح بان

يقسم لها وان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذ رغب عنها وكرهها واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة
على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز
والاعراض وما يؤدي الى نقص الحق فان الله كان بما تعملون خبيرا اي عليما بجميع اعمالكم التي من جملتها الخصومة
والاصلاح والاحسان والتقوى فيجازيكم على ذلك وعنه عليه السلام اول من يختصم يوم القيمة الرجل
والمراة والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها تشهد ورجلاها عليها بما كانت لزوجها وتشهد عليه يداه
ورجلاه بما كان يوذيها وحكي ان عمران بن حطان الخارجي كان من ادم بني اسرائيل ادم وامراته من اجملهم
فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك قالت حمدت الله على اني واياك من اهل
الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده
الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ومحال في العادة ان تعدلوا بين النساء في القسم
والمحبة ولذلك كان رسول الله عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذا قسمتي فيما املك
فلا تواخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن
صعب شديد بالغ في الصعوبة حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة
والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والموانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي من ورايه
كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا امال القلب مع بعضهن ويفعل معنى
ذلك الاستحالة قوله ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم واجتهدتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع
والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فلا تفرطوا فيه ولا تتبعوا اهواءكم افعالكم
فتذروها كالمعلقة التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال الحسن الاحطة او تطليق او صلف او
بين ذلك تعليق وقال قتادة كالمحبوسة وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وعن النبي عليه السلام
من كانت له امراتان يميل مع احديهما جا يوم القيمة واحد شقيه مائل وروي ان عمر بعث الى ازواج
النبي عليه السلام بمال فقالت عائشة الى كل ازواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات
بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله صلعم كان يعدل بيننا في القسمة
بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ امراتان فاذا كان احديهما
لم يتوضا في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما كنتم تفسدون
من امورهن وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان عفورا رحيما الواسع الغني المقتدر
الحكيم المتقن في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته واقتداره
واتقانه في افعاله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي كل اهل الكتاب من قبلكم كاليهود والنصارى
ومن تقدم عليهم والكتاب للجنس ومن متعلق بوصينا او باوتوا ومساق لتاكيد الامر بالاخلاص

واياكم

واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان الوصية في معنى
القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا
فان الله مالك الملك لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم ولا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصيكم بالتقوى لرحمته
لا لحاجته ثم قرر ذلك وكان الله غنيا عن الخلق كله وعبادته حميدا في ذاته حمد ام لم يحمد ولله ما في
السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات يدل لحاجتها على غناه
وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصايص والكمالات على كونه حميدا محمودا على نعمه وهو تقرير
لما يوجب تقواه وكفى بالله وكيلا تنبيه على كمال غناه واحتياج الخلق اليه فان الوكيل هو المتكفل
بامور الخلق وحاجاتهم او الماكول اليه ذلك حيث وكلوا اليه مصالحهم اعتمادا على احسانه وعلمه
بحقايق الاشيا ودقايقها كما هي وقيل هو راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه يوكل بكفايتهما وما
بينهما تقرير لذلك وقيل وكيلا شهيدا وروي ذلك عن ابن عباس وقيل دافعا ومجازيا وقيل الذي
ابتدا عباده بعنايته ودوام حسن رعايته ثم ختم لهم بجميل ولايته ان يشا يذهبكم ايها الناس اي
يفنيكم ويعدمكم كما اوجدكم ومفعول يشا محذوف دل عليه الجواب فيكون الخطاب عاما وقيل اي
يهلككم فيكون للكفار خاصة ويات باخرين ويوجد قوما اخرين مكانكم او خلقا اخرين غير الانس
وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شي اراده وهذا ايضا تقرير
لغناه واقتداره وتخويف لمن عصاه وكفر به وقيل هو لما نزل ضرب رسول الله عليه السلام يده على
ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابنا فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة
فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي
الاخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما لان من جاهد خالصا لله لم يخطيه الغنيمة وله في الاخرة
ما هي في جنبه كلا شي او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريد لقوله من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه وكان الله سميعا بصيرا عالما بالاعمال والاعراض فيجازيهم على حسب ذلك يا ايها الذين
امنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل مواظبين عليه شهداء لله تقيمون شهاداتكم
لوجه الله كما امرتكم باقامتها اي لوجهه خالصا لذلك ان تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه
ولا لغرض من الاعراض سوى اقامة الحق ورد الظلم ودفعه وهو خبر ثان وقال ابن عباس كونوا
قوالين بالعدل في الشهادة على من كانت له ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها
لان الشهادة بيان الحق سوا كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين او على والديكم واقاربكم ان يكن
اي المشهود عليه او كل منه ومن المشهود له غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها
ترحما عليه فالله اولى بهما اي اولى بجنسي الغني والفقير اي بالنظر وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة

عليهما مصلحة لهما ترغيبا لانه انظر لعباده من كل ناظر وقراة ابي فالله اولى بهم شاهدة على ان المراد بالضمير
في بهما جنس الغني وجنس الفقير اي الاغنيا والفقرا وقال الحسن معناه فالله اعلم بهما وقرا عبد الله
ان يكن غني او فقير على كان التامة وفي مصحف انس فالله اولى بهم وقرا ابن عمير اولى به فلا تتبعوا
الهوى ان تعدلوا ان اقيم الشهادة بالحق فلا تتبعوا الهوى اي لتعاموا النفس فيها ارادة لعدلكم
واتركوا اتباع الهوى في الشهادة لتكونوا عادلين او انهاكم عن اتباع الهوى في الشهادة كراهة لعدلكم
او ارادة لعدلكم وان تلووا اي وان تفتلوا وتميلوا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل
وقري وان تلوا بحذف الواو الاولى بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فهو من اللفيف المقرون
وعلى القراة الاولى من المقرون او تعرضوا عن ادايها وعن ابن عباس ان الاية واردة في الشهادة
مانعة له ان يلوي فيحرف او يعرض فيكتم فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم على ذلك وقرا النخعي
يعملون باليا • يايها الذين امنوا خطاب للمسلمين والمنافقين او لمومني اهل الكتاب اذ روي ان
ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نومن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه
فنزلت امنوا بالله ورسله • وكتبه وداوموا عليه والكتاب الذي نزل على رسوله وهو القران العظيم
المنزل على محمد عليه السلام وقرا الحسن نزل بالتخفيف والكتاب الذي انزل من قبل اراد به جنس
ما انزل على الانبيا وقبله من الكتب بدليل قوله وكتبه وفي افراد القران بالذكر وتقديمه اجلال
لشانه واظهار لفضله على غيره كان اهل الكتاب مومنين ببعض الكتب السماوية دون الكل فامروا
ان يومنوا ايمانا عاما بجميع الكتب فان الايمان بالبعض دون البعض ليس بايمان لان كل واحد منها
مصدق لاخر وهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به • ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر • اي ومن يكفر بشي من ذلك • فقد ضل ضلالا بعيدا • عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقته
وقري وكتابه على ارادة الجنس • وقرا الحسن وكتبه بسكون التا • ان الذين امنوا يعني اليهود امنوا
بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل وكذبوا بالانجيل وعيسى ثم امنوا بعد عوده اليهم • ثم كفروا بمحمد
بعد ما كانوا مومنين به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت
ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان وسخريتهم بكل اية تنزل او قوما تكرر منهم
الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد
منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصايرهم عميت عن الحق لا
انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم واللام في ليغفر لتاكيد النفي والدلالة على انه ليس من
شانه ذلك ولا هو بصدده والظاهر انه خبر كان من غير تقدير شي وقيل خبر كان في امثال ذلك محذوف
تتعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم ذا التقدير تكلف يحصل الغرض بدونه وقيل امنوا

بموسى ثم كفروا بعبادة العجل ثم امنوا بالتوبة ثم كفروا بعيسى او امنوا بموسى ثم كفروا بعزير ثم امنوا
بداود ثم كفروا بعيسى • وعن زيد بن علي ولا ليهديهم بسكون اليا قيل لا وجه له الا ان يكون سكونها لكثرة
الحركات قلت سكونه على تسكين المنصوب للتخفيف كما قيل فيمن قرا فاواري بسكون اليا حالي النصب
بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما • قيل هذا يدل على ان الاية في المنافقين وهم قد امنوا في الظاهر
وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر
مكان انذر تهكما بهم وقيل مكان اخبر بمعنى الاخبار الخاص الذي هو الانذار • وقوله • الذين يتخذون
الكافرين اوليا من دون المومنين حيث لا ضرورة ايبتغون عندهم العزة يتعززون بهم لانهم
فان العزة لله جميعا • لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليايه فقال ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين لا لوليه غيرهم بالاضافة • وقد نزل عليكم في الكتاب في القران قرا عاصم نزل بفتح النون
والتا والباقون بضم النون وكسر الزا وقرا الاعرج وابو البرهسم نزل بالتخفيف والخطاب في عليكم
للمسلمين ان اذا سمعتم ايات الله هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان
الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزايها وان ما في حيزها في موقع الرفع بنزل او في
موقع الرفع بنزل او في موقع النصب بنزل على ما هو قراة عاصم والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل
عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القران في مجالسهم فيستهزون به فنهى المسلمون ان يقعدوا
معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة يكفر بها ويستهزا بها حالان من الايات جي بهما لتقييد النهي
عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره هو جزا الشرط والضمير في معهم
عايد الى الكفرة المدلول عليهم بقوله بها ويستهزا بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزين
بها حتى ياخذوا في حديث غير ذلك من الكفر والاستهزاء فلا باس بالقعود معهم ح وقال الحسن لا يجوز القعود
معهم وان خاضوا في حديث غيره كقوله واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم
الظالمين والجمهور على الاول لان اية الانعام مكية وهذه مدنية والمتاخر بالعمل وقوله • انكم
اذا مثلهم علة للنهي لما مر من ان الغالب من حال ان الواقعة بعد الامر والنهي ان يكون للتعليل
ويغني عنا الفا والمعنى انهاكم عن القعود مع الكفار حين يكفرون بالقران ويستهزون به لانكم اذا مثلهم
في الكفر والاستهزا ان رضيتم بذلك فان الرضا بالكفر كفر وذلك لان الشخص اذا كان له القدرة على الاعراض
عن الكفار والفساق والانكار عليهم لم يعرض ولم ينكر فترك الاعراض والانكار منه انما هو لرضاه ولذلك
قال رسول الله عم التارك للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مومنا بي ولا بالقران وايضا الذين
يقاعدون الخايضين في القران من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه قوله ان الله جامع المنافقين والكافرين

في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم اذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر
بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقري مثلهم على البناء
لاضافته كقوله تعالى مثل ما انكم تنطقون ❊ الذين يتربصون بكم اي ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل
من الذين يتخذون او صفة للمنافقين في قوله ان الله جامع المنافقين او ذم منصوب او مرفوع او مرفوع
او مبتدا خبره ❊ فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا مما غنمتم ❊ وان كان
للكافرين نصيب من الزيادة والظهور في الحرب فانها سجال ❊ قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفار
الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء من حاذ الحمار العانة اذا جمعها
وساقها غالبا لها ومنه كان احوذيا نسيج وحده ونظيره استوصب ويستوق في المجي على الاصل اذ القياس
فيه ان يقال استحاذ يستحيذ واستصاب يستصيب كاستقام يستقيم مثلا كان المنافقين جعلوا اعتبة
الكفار حيث اطاعوا اطاعة الرعية للملوك كانه قيل قالوا الم نملككم ❊ ونمنعكم من المومنين بان اخذلناهم
بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فاشركونا فيما اصبتم وسمي ظفر المسلمين فتحا وظفر
الكافرين نصيبا تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم يفتح له ابواب
السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا وقري ونمنعكم
منصوبا باضمار ان في جواب الاستفهام بالواو وقال الحطيئة الم اك جارك ويكون بيني وبينكم المودة
والاخاء او من قبيل ولحق بالحجاز من غير نظر الى الاستفهام ❊ فالله يحكم بينكم يوم القيمة بين اهل الايمان
وبين اهل الكفر والنفاق ❊ ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا قال علي في الاخرة وعن ابن
عباس المراد بالسبيل الحجة وقيل الظهور على اصحاب النبي عم واستدل به الشافعية على فساد شري
الكافر للمسلم وايضا فيه اذلال بالمسلم من جهة الكافر وذلك لا يجوز وفيه خلاف للحنفية كما عرف في
موضعه ❊ ان المنافقين يخادعون الله الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تريد به من المكروه واصله
الاخفا ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لوقتين والمخادعة مفاعلة بين اثنين تقتضي ثبوت
الخدع من الطرفين لكن خدعهم الله تعالى بان يوقعوا في علمه خلاف ما يريدون لانه تعالى عليم لا يخفى عليه
خافية ويخدع الله اياهم بان يوقع في قلوبهم خلاف ما يريد ليغتروا ثم يصيبهم بالمكروه لا يصح لان الحكم
الغني لا يخدع فالمراد ما مخادعة رسوله على حذف المضاف واما المعاملة الشبيهة بالخداع واما
حقيقة الخداع بزعمهم الفاسد واعتقادهم الباطل لان من ادعى الايمان بالله نفاقا لم يبعد من مثل كمال
جهله تجويز ان يكون في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا كانه قيل ان المنافقين انهم يزعمون يخدعون وهو خادعهم يعني لما صنعوا مع الله
صورة صنع الخادعين وعاملوا المعاملة المشتبهة بمعاملتهم حيث اظهروا الايمان وابطنوا الكفر فلا جرم

ان الله يصنع معهم صورة صنع الخادع حيث امر باجرا احكام المسلمين عليهم في الدنيا واعد لهم الدرك
الاسفل من النار في الاخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب والخادع اسم فاعل
من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وعن الحسن يعطى كل مومن ومنافق نورا يمشون به يوم
القيمة فاذا انتهوا الى الصراط مضى المومنون بنورهم عليه ويطفا نور المنافقين فينادونهم الم نكن
معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وتلا الاية ثم قال فذلك خدع الله اياهم ❊ واذا قاموا
الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين متقاعسين كمن يفعل شيا على كره من غير رغبة وطيبة نفس وقري
كسالى بضم الكاف وفتحها وهما جمعا كسلان نحو سكارى في سكران وقرا الحسن وابراهيم كسالى بكسر الكاف
يراؤن الناس يقصدون بصلوتهم الريا والسمعة والمراة مفاعلة من الرؤية بمعنى التفعيل كنعم وناعم
وفنق وفانق وللمقابلة فان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه ويدل على الاول قراة ابن اسحق
يرؤنهم مشددة اي يبصرونهم اعمالهم ويراون الناس لذلك وقرا الاشهب العقيلي وابو البرهسم
يرؤن بغير الف ولا مد مثل يرعون والزهري يراون بالالف وضم الواو وعن الحسن يرون بضم اليا
وسكون الواو ولا يذكرون الله الا قليلا الا عند روية المومنين لهم وهو اقل من احوالهم ولو ارادوا
بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقال قتادة وانما قل ذكر المنافقين لان الله لم يقبله وكل
ما قبل الله فهو كثير وقيل لان ذكرهم باللسان قليل بالنسبة الى الذكر بالقلب وقيل اراد بالذكر الصلوة
لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم لو وجدوا
مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوا ولا يذكرون قط لان ما يتفق من صلوتهم او ذكرهم
ليس بصلوة او ذكر لانهم لم يريدوا بذلك وجه الله وقيل اراد به الذكر في الصلوة لانهم لا يذكرون
فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك منصوب على الذم او على الحال من واو يراون كقوله ولا
اي يراونهم غير ذاكرين مذبذبين والمعنى مترددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشي
مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرا ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم
او دينهم او يتذبذبون كما جا صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وقرا
ابو جعفر مدبدبين غير المعجمة بمعنى اخذ وا تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة
واحدة وهي الطريقة ومنها دعه قريش وعن الحسن من طريق الحلواني مذبذبين بفتح الميم
وذلك اشارة الى الكفر والايمان ❊ لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى المومنين ولا الى
الكافرين ولا صائرين الى احد الفريقين بالكلية او لا منضمين الى هؤلاء مجتمعين معهم ومن
يضلل الله فلن تجد له سبيلا طريقا الى الهداية وعنه عم مثل المنافق كمثل الشاة بين الغنمين
تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وعن قتادة ذكر لنا ان النبي عم كان يضرب للمومن والمنافق

مثل ثلثة دفعوا الى نهر فوقع المومن فقطع ووقع المنافق حتى اذا كان يصل الى المومن ناداه المشرك
هلم الي فاني اخاف عليك وناداه المؤمن ان هلم الي فان عندي وعندي يحصي له ما عنده فما زال
المنافق يتردد ما بينهما حتى اتى عليه اذي فغرقه يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اوليآء من
دون المومنين • فان ذلك صنع المنافقين وديدنهم نهي المؤمنين عن موالاة الكفار وبالغ فيه
بقوله اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي حجة بينة يعني ان موالاة الكفرة بينة على
النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه والهمزة للانكار اي منكرا انكم تريدون ذلك ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار • هو الطبقة التي في قعر جهنم وقال ابن مسعود الدرك الاسفل توابيت
من حديد مقفلة في النار وقال ابو هريرة بيت مقفل عليهم توقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم
وجعل ذلك مصيرهم ومنزلهم لانهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله اذ اضموا استهزا بالاسلام وخداعا
للمسلمين وخلطوا بالشرك تمويها وتدليسا وما قال عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام
وصلى • وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ايتمن خان وامثاله من باب التشبيه
والتغليظ وسميت طبقات النار دركات وهي سبع لانها متداركة متتابعة بعضها اسفل من بعض
وقرا اهل الكوفة في الدرك بسكون الراء وهو لغة كالنهر والنهر والتحريك اوجه لقولهم ادراك جهنم
فان افعالا لا يكون جمع فعل بالتحريك كجمل واجمال الا بالسكون فانه شاذ ولن تجد لهم نصيرا القدرة على
اخراجهم منه ويعينهم الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا اما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال
النفاق • واعتصموا بالله • ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص وعن علي كرم الله وجهه المنافقون
شر من كفر بالله واولاهم بمقته وابعدهم من الانابة اليه لانه شرط عليهم في التوبة الاصلاح والاعتصام
ولم يشترط ذلك على غيرهم واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه • فاولئك مع المؤمنين
هم اصحاب المومنين ورفقاؤهم في الدارين • وسوف يوت الله المؤمنين اجرا عظيما اي اجرا لا يكتنه
وصفه فيشاركونهم ويساهمونهم • ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم ليشفي به غيظا او يستجلب به
نفعا او يدفع ضرا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني المتعالي عن ذلك كله وانما يعاقب المصر بكفره
لان اصراره كسوء مزاج يودي الى مرض فاذا ازال بالايمان والشكر ونفى عنه نفسه تخلص من تبعته
وقدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر اولا الي ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع
فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به ويشكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما
على الايمان وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما لا يضيع عنده عمل عامل سيما شكر
شاكر وايمان مؤمن • لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي
لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعوا على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقال مقاتل نزلت الاية في ابي بكر الصديق

شتمه

شتمه رجل وهو جالس عند النبي عليه السلام فسكت ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقال عم فقال يا رسول الله
شتمني وانا ساكت فلم تقل له شيا حتى اذا رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لا اجلس
عند مجي الشيطان فنزل هذا انزلت بعذر ابي بكر رضي الله عنه وفيه دلالة على انه بدا بالشتيمة يرد على
الشاتم قال الله ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل وعنه عم المستبان ما قالا فعلى البادي
ما لم يعتد المظلوم وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشكاهم فعوتب عليه فنزلت ترخيصا ان يشكو
ويذكر ما صنع به ويقول فيهم وقري الا من ظلم مبنيا للفاعل فيكون الاستثنا منقطعا بمعنى الظالم
يحبه فيرتكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ولكن الظالم اجهره الله بالسوء من القول ويجوز من ظلم مرفوعا
اي لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم وذكر الله لزيادة تحقيق نفي هذه المقيصة عنه ومنه لا يعلم
من في السموات والارض الغيب الا الله على ان المعنى لا يعلم الغيب احد الا الله وذكر من في السموات
والارض تحقيقا وتاكيد النفي الغيب عنهم وهو لغة بني تميم فانهم قد جوزوا في غير الجنس البدل
على جعل منه المبدل منه بمنزلة غير المذكور حتى كان الاستثنا مفرغ والنفي عام كقولهم ما جاني
زيد الا عمرو وقال سيبويه ما جاني الا عمرو فهو استثنا مفرغ وتقديره ما جاني احد الا عمرو فهو
نفي المجي عن كل احد غير عمرو او يضرب من التاويل كاليعافير من الانيس • وكان الله سميعا لكلام
المظلوم عليما بالظلم ومن اسند اليه عن ابي هريرة ان رسول الله عليه السلام قال اتدرون من
المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة
بصلوة وصيام وزكوة وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى
هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم
فطرحت عليه ثم طرح في النار وعنه عليه السلام لتودن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى تقاد
للشاة الجلحا من الشاة القرنا ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا
عن سو لكم المواخذة عليه وهو حث على العفو وترك الجهر بالسوء بعد ما اطلقه واذن فيه وجعله
محبوبا بعثا على الاحب الافضل وذكر ابدا الخير واخفايه تسبيت له وتوطية وانما عطف عليهما
مع دخوله فيهما اعتدا به وتنبيها على قدره ومنزلته وكونه من الخير بمكان وسيط والدليل على
ان العفو هو المقصود بذكرهما فان الله كان عفوا قديرا اي بليغ العفو عن العصاة بليغ القدرة
على الانتقام فاتعدروا بسنته في العفو والتجاوز وعن النبي عليه السلام اذا كان يوم القيمة
ينادي مناد اين العافون عن الناس هلموا الى ربكم وخذوا اجوركم وحق لكل مسلم اذا عفا ان يدخله
الجنة قالوا العفو مندوب اليه قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيرجح ترك العفو مندوبا ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يومنوا ويكفرون برسله ويقولو

نومن ببعض ونكفر ببعض نومن ببعض من الكتب والانبيا ونكفر ببعض من ذلك • ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا • اي دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا
وسطا في القراة وهو ما بين الجهر والمخافة وقد اخطاوا العدم الواسطة بين الايمان والكفر فان سبيل الا ن
هو المعجزة والكفر بالبعض انكار لها وتكذيب وهو يستلزم الكفر بالجميع فالكافر بالبعض كافر بالكل
فماذا بعد الحق الا الضلال ولذلك قال • اولئك هم الكافرون اي هم الكاملون في الكفر تصريحا بانهم
ليسوا من الايمان في شي قط لا من الايمان بالله وبرسله ولا من الايمان بغيرهما على ابلغ وجه واكده حقا
مصدر موكد لمضمون الجملة نحو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او صفة لمصدر
الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا اي ثابتا يقينا لا شبهة فيه • واعتدنا للكافرين عذابا مهينا • مهينا
لهم عذابا يهينهم كما اهانوا اجل النعم والدين الاقدم قال قتادة اتخذوا التهود والتنصر وهما بدعتان
وتركوا الاسلام فحكم الله عليهم بالتحقيق في الكفر واحضر لهم المهين • والذين امنوا بالله ورسله كلهم
ولم يفرقوا بين احد منهم اي بين الرسل واحد في معنى الجماعة ولهذا صح دخول بين عليه وهو غير الاحد
الذي هو اول العدد في مثل قل هو الله احد وما قيل من انه في معنى الجماعة باعتبار كونه نكرة في سياق ق
النفي فهو وهم بري منه المحققون الا يرى انه لا يستقيم لم يفرقوا بين رسول من الرسل الا بتقدير
عطف اي رسول ورسول وقوله لستن كاحد من النسا ليس في معنى كامراة منهن اولئك سوف نوتيهم
اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد وتثبيته ودلالة على انه كاين لا محالة لا لكونه
متاخرا الى حين وقرا حفص وعاصم ويعقوب بالياء حملا على ما قبله والباقون بالنون على طريق الالتفات
وكان الله غفورا لمن فرط منهم رحيما منعما عليهم بما لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره يسالك اهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا وغيرهما قالوا لرسول
الله عليه السلام ان كنت نبيا صادقا فاتنا بكتاب من السما جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا محررا
بخط سماوي على الواح كما كانت في التورية وقيل كتابا الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين
ينزل سالوا ذلك تعنتا وعنادا لا زيادة في البصيرة واليقين قال الحسن ولو سالوا لكي يتبين الحق
لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية وروى العباس عن ابي عمرو ينزل خفيفة بالياء وعبد الوارث عن الحسن
ينزل بالياء وتشديد الزاء والفاعل هو الله تعالى فقد سالوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر
اي استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا اكبر من ذلك وقرا الحسن اكثر بالثاء وهذا السوال وان
كان من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا اتباعهم لانهم راضين بسوالهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان اقترحوا
عليك ليس باول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نراه جهرة او مجاهرين معاينين
له او مجاهرا معاينا فاخذتهم الصاعقة اي الرجفة لقوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت

وقال

وقال ابن جريج الصاعقة التي اصابتهم هي الموت واماتهم الله قبل اجالهم عقوبة ثم بعثهم وقيل النار وقيل
الصيحة وعن عبد الرحمن بن معاوية ان ابن عباس قال في قوله تعالى فقالوا ارنا الله جهرة انهم ارادوه
بعد راوه انما هو قالوا ... الله وقال ابو عبيدة جهرة اي علانية فهي اعلانهم ذلك زيادة جراة وقرئ
جهرة بفتح الها وقرئ الصعقة بظلمهم اي بسبب فرط التعنت والعناد وطلب المستحيل منهم فانهم طلبوا
الروية في الدنيا ومع الظن بتشبيه الاجسام وذلك لا يقتضي امتناعها للمومنين في الاخرة القايلين
بان الله لا يشبه شيا • ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاتهم البينات انظر كيف انجر الظلم الى ظلم اخر اكبر
من ذلك فان هذا مما افترقه ايضا اوايلهم والبينات المعجزات لا التورية اذ لم تاتهم بعد فعفونا
عن ذلك اي عن ذلك الذنب العظيم وهو اتخاذهم العجل الها ومعبودا وقيل الذين اتخذوا العجل هنا
غير الذين قالوا ارنا الله جهرة نعفي الله عنهم بعد ان جعل توبتهم قتل بعضهم بعضا • واتينا موسى سلطانا
واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة من اتخاذهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم
والسيوف تتساقط عليهم فيا له من سلطان مبين • ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم
ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مظل عليهم قال قتادة هو باب بيت
المقدس وقيل باب اريحا مدينة الجبارين وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود وعلى لسان
موسى وحين ظل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن الاعتدا الذي فيه المسخ في عهد داود فالاحسن ان
يقال على لسانهما وقرا غير نافع لا تعدوا باسكان العين وتخفيف الدال من عدا يعدو اذا تجاوز وحده
ونافع لا تعدوا باسكان العين وتخفيف الدال من عدا يعدو اذا تجاوز وحده وقرا نافع لا تعدوا بفتح
العين وتشديد الدال من اعتدى اي بالغ في مجاوزة الحد واختلس فتح العين قالون واجمله ورش •
وقرئ لا تعتدوا على الاصل واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ان لا يعدوا في السبت وهو قولهم سمعنا واطعنا
فلم نقضوه لعنوا وقال ابن عباس اخذ الله منهم عهدا موكدا في الايمان بالنبي عليه السلام فبما نقضهم
ميثاقهم الباء متعلق بمحذوف اي خالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا او متعلق بحرمنا عليهم وقيل
التقدير فبنقضهم ميثاقهم وطبع على قلوبهم وقيل التقدير فبما نقضهم ميثاقهم لا يومنون وما مزيدة
للتاكيد ومعناه تحقيق او تحريم الطيبات بسبب نقض العهد وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا ابدال
عليه قوله بل طبع الله عليها لانه رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل
في جاره وقيل ما نكرة تامة ونقضهم بدل منها وقرا زيد بن فبما نقضهم بضم الضاد على ان ما استفهامية
وكفرهم بالرفع وكفرهم بايات الله بالقران او بما في كتبهم وقتلهم الانبياء بغير حق عندهم لانهم قتلوهم
بغير وجه يستحقون به القتل عندهم ونفي النكرة يفيد العموم كالجنس في قوله بغير الحق على في سورة البقرة
والمعنى ان قتلهم اياهم باطل صرف وظلم محض في اعتقادهم ايضا كما في الواقع وهو بنص الجنسية هناك وقولهم

ان العقاب

قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي خلقة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها شي من الذكر والموعظة ولا تفقهه كقولهم
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية العلم فنحن لا نفتقر
بما عندنا الى غيره بل طبع الله عليها بكفرهم رد عليهم بان الامر ليس كذلك بل انما طبع الله عليها وخذلها بسبب
انهم صرفوا القدرة والارادة اي الكفر فخلقه الله في قلوبهم ولو صرفوا الى الايمان لخلقه فيها على ما جرت
به عادته فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه او ايمانا قليلا لا اعتداد به وهو
ايمانهم ببعض الكتاب وببعض الانبيا ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم

منون قط

لان ما ينفق من ادعائهم وقبولهم ليس باذعان وقبول وبكفرهم بعيسى عطف على كفرهم

اسباب

الطبع او على فبما نقضهم وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم تابع لقوله وقولهم قلوبنا غلف على سبيل الا
ستطراد ويجوز ان يجعل هذا مع ما عطف عطفا على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا
بتكرر كفرهم لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليه السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني التزنية
قال مقاتل قذفوها بيوسف ثم ابن يعقوب بن ماثان وهو ابن عمها لانها بنت عمران بن ماثان وقال
ابن قتيبة اشاعت اليهود الفاحشة على زكريا ومريم فهرب منهم لذلك فدخل في جوف شجرة فشقو
بنصفين وقرات في الانجيل ان يوسف هذا خطب مريم وتزوجها فعلم انها حبلى ولم يباشرها
وكان رجلا صالحا فاراد ان يسرحها خفية فتراآي له ملك فقال يا يوسف ابن داود هكذا
نسه في الانجيل ان امراتك حبلى وسوف تلد ولدا اسمه عيسى وهو ينجي الله امته من خطاياهم
وخافت مريم على نفسها الملك هرداس فهرب بها يوسف وبابنها عيسى الى مصر وبهتانا مصدر
يعمل فيه القول لانه ضرب منه كقولهم قعد القرفصا او صفة محذوف اي قولا بهتانا وقيل
منصوب بفعله المحذوف اي بهتوا بهتانا وقيل في موضع الحال باهتين وقولهم انا قتلنا
المسيح عيسى ابن مريم رسول الله بزعمهم او قالوا ذلك على وجه الاستهزا القول فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن كان ذكرهم القبيح
رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا ابتلاه كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي
جعل لكم الارض مهادا وعيسى بدل او عطف بيان من المسيح ورسول الله كذلك او صفة لعيسى او نصب
على المدح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم
اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السما ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه
ايكم ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب
وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقي شبهه

على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقي
الله عليه شبهه فخرج فظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في
زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراتهم على الله وقصدهم قتل نبيه بالمعجزات القا

هرة

هرة

وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه
كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف
بقتله وشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا كانه قيل ولكن شبه لهم
من قتلوه وقرا زيد بن علي شبه بفتح الشين وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك
الوقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وقال بعضهم ان كان هذا
عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا
وقال الكلبي اختلافهم فيه هو ان اليهود قالوا نحن قتلناه وقالت طايفة من النصارى نحن قتلناه
وقالت طايفة منهم ما قتله هولا ولا هولا بل رفعه الله الى السما ونحن ننظر اليه وقال بعضهم انه
اله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك
منه في موضع خبر على انه لسكر اي لفي شك حادث منه اي من جهته لفي تردد والشك يطلق على ما لا
يترجح احد طرفيه وعلى مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع
الظن استثنا منقطع اي ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي
يسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثنا واعلم ان جمعا من المحققين كالامام الرازي
وغيره جعلوا الشك والوهم من اقسام الاعتقاد والترادف للتصديق او الحكم وليس بصحيح اذ لا
اعتقاد ولا حكم فيهما اما في الشك فلانه تردد الذهن في الثبوت ولا نفيا من غير رجحان واما
في الوهم فملاحظة الطرف المرجوح وكلاهما تصور لا حكم معه اصلا وذلك انا اذا تصورنا نسبة امر
الى اخر ايجابا او سلبا وشككنا في ذلك المتصور هو نسبة الايجابية او السلبية اي ترددنا بين
اثباتها ونفيها فقد علمنا تلك الامرين والنسبة ضربا ما من العلم اما النسبة فلانا لا نشك فيما لا نتصوره
ولا نفهمه اصلا واما الامران فلاستحالة العلم بها دونهما فلنا في هذه الادراك نوع من الادراك ثم
اذا زال الشك وحكمنا باحد طرفي المتصور من الايجاب او السلب فقد علمنا تلك النسبة نوعا اخر من
العلم هو المسمى بالحكم والتصديق وحقيقة اذعان النفس وقبولها لوقوع النسبة اولا وقوعها
فتميز هذا النوع من الادراك عن الاول بحقيقته وجدانا ويلازمه المشهور وتنافي اللوازم دال
على اختلاف الحقايق ملزوماتها ولا يخفى ما في هذا البيان من الدلالة على ان الشك من قبيل التصور
وان الحكم نفس التصديق وانه ادراك لان الحاصل بعد زوال الشك هو الحكم فقط ولو لم يكن ادراكا

بل

فعلا كما زعم المتاخرون لم يحصل هناك نوع اخر من العلم متعلق بالنسبة تجعل الشك والوهم من اقسام
التصديق بعيد عن التحقيق واما الظن فالمذكور في عبارة القوم انه الحكم باحد النقيضين مع تجويز
الاخر ويتبادر انه مركب من اعتقادين وليس كذلك بل المعتبر في الظن ان يكون بحيث لو اخطر
النقيض بالبال لحكم بامكانه فهو ان الظن اعتقاد بسيط لا تركب عن اعتقادين وقد لا يخطر نقيضه
بالبال واعلم ايضا انه قد يراد بالظن ما ليس بيقين فيشمل الظن الصرف والجهل المركب واعتقاد
المقلد وقرا ابو عبيد بن عمير الا اتباع الظن بالرفع على انه استثنا من الجحد وما قتلوه يقينا قتلا
يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل ما علموه يقينا كقوله لذلك يخبر عنها
العالمات بها وقد قتلت بعلم ذلك يقينا من قولهم قتلت الشي علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه
علمك وفيه تحكم لانه اذا انفي العلم عنهم بالكلية على وجه التاكيد من الاستغراقية ثم قيل وما علموه علم
يقين واحاطة لم يكن الا تهكما ويجوز ان يكون يقينا تاكيدا للنفي دون المنفي كقولك ما قتلوه حقا
اي حق انتفاء قتله حقا بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا
غالبا يقدر على كل ما يريد حكيما يدبر امور عباده ويجزيها على حسب ما يصلحهم وان من اهل الكتا
الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به واللام جواب قسم محذوف
اي والله ليؤمنن والجملة والقسم صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى وبعبارة
اخرى اي وان احد من اهل الكتاب فحذف الموصوف الذي هو احد واقيم صفته الذي هو من
اهل الكتاب مقامه كقول القطامي فبينا ما من الحيتين الا يظل ترى لكوكبه شعاعا وكما
كالمرتق اصاب غابا فيخبوا ساعة ويهب ساعا اي ما حي من الحيتين والمعنى وما من اليهود
والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت عند المعاينة حين لا
ينفعه ايمانه ويعضد ذلك قراءة ابي الا ليؤمنن قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع
وفايدة هذا الاخبار الوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان قبل ان يضطروا اليه ولم
ينفعهم ايمانهم لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج اية ما قراتها الا
تخالج في نفسي شي منها يعني هذه الاية وقال اني اوتي بالاسير من اليهود والنصارى فامر بضرب عنقه
فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهود اذا حضره الموت ضربت الملايكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله
اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي ويقول للنصراني اتاك نبيا فزعمت انه
الله او ابن الله فيومن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمان قال وكان متكيا فاستوى
جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم
قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني

محمد

محمد بن علي ابن الحنفية فقال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن
عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى
يحرك شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهوا
ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وقيل الضمير في موته لعيسى يعني وان منهم احد الا ليؤمنن
بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله وعن النبي عليه السلام
قال يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية
ويفيض المال حتى لا يقبله احد وتهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل الدجال
فيمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون وقيل الضمير في به يعود الى الله تعالى
وقيل الى محمد عم وقرا طلحة السمان وان بتشديد النون الا ليؤمنن به بالنون الخفيفة وفي
مصحف ابي قبل موتهم بضمير الجمع ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه
وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل شهيدا انه قد بلغهم رسالة ربه واقر بالعبودية على
نفسه كما قال تعالى مخبرا عنه وكنت عليهم ما دمت فيهم فبظلم من الذين هادوا الباء متعلق بحرمنا
وهو بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واعيد الفاء في البدل لما طال الفصل وتنكير يحتمل
الوجوه اي فباي ظلم منهم والمعنى فبظلم عظيم صدر من اليهود وهو ما ذكر من نقضهم الميثاق
وكفرهم بايات الله وبهتانهم على مريم وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم فيريد ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرم
عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها
اي حرمنا عليهم تناولها وتقدير التناول اولى مما تقدير الاكل ليدخل فيه شرب البان الابل
فانها من جملة ما حرمت عليهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وبمنعهم وصرفهم عن سبيل الله ناسا
كثيرا وصدا كثيرا واخذهم الربى وقد نهوا عنه كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا
وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل اي بالرشوة التي كانوا
ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب وساير الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين
منهم عذابا اليما دون من تاب وامن لكن الراسخون في العلم لكن الثابتون في العلم الغاصون
فيه بعض من قاطع المتقنون يعني الذين اسلموا من احبار اليهود كعبد الله بن سلام وشيعته
والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنون من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل (منهم)
اليك وما انزل من قبلك خبر الراسخون وقراهما اليماني معلومين وقوله والمقيمين الصلوة

نصب على المدح وما انزل من قبلك خبر الراسخون وقراهما اليماني معلومين وقوله والمقيمين
لبيان فضل الصلوة وقيل عطف على ما انزل اليك اي يومنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم
الانبيا والمسلمون او عطف على قبل تقديره ومن قبل المقيمين اي المسلمين فحذف قبل واقام
المضاف اليه مقامه وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراة مالك ابن دينار والجحدر
وعيسى الثقفي عطفا على الراسخون او الضمير في يومنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنوتيهم
والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الوجوه المذكورة والمومنون بالله واليوم الاخر قيل قدم عليه الايمان
بالكتب والانبيا وما يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود بالاية اولئك سنوتيهم اجرا عظيما
على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح قرا حمزة سيوتيهم باليا حملا على ما قبله والباقون على
طريق الالتفات انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيون من بعده جواب لاهل الكتاب
عن سوالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السما واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كساير الانبيا
يقال اوحى اليه كلاما اذا تكلم بكلام يخفى عن الغير وقيل بدا بذكر نوح لانه كان ابا البشر كادم
عليه السلام قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين ولانه اول نبي من انبيا الشريعة واول نذ
على الشرك واول من عذب امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعائه وكان اطول الانبيا
عمرا وجعلت معجزته في نفسه لانه عمر الف سنة فلم ينقص له سن ولم يشب له شعرة ولم تنقص له
قوة ولم يصبر على اذى قومه ما جرهوا على طول عمره روى ابن عباس ان من اليهود قالوا للنبي
عليه السلام ما اوحى الله اليك ولا الى احد بعد موسى شيا فكذبهم الله تعالى بهذه الاية واوحينا
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم
بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم وتصريحا بتكذيب اليهود فان ابرهيم اول اولي العزم
منهم وعيسى اخرهم والباقون من اشرف ومشاهيرهم قيل في الاية دلالة على تفضيل محمد عليه السلام
حيث شبه ما اوحى اليه بجميع ما اوحى اليه النبيين كلهم وفي ضمير ذلك تنبيه تفضيل ما اوحي
اليه الى ما عداه وقرا الحسن وابن جبير ويونس بكسر النون والسلمي بفتح النون قيل جعلوه
من انس يونس معلوما ومجهولا وعن الحسن هو اسم اعجمي واتينا داود زبورا لما اشار بقوله انا
اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده الى تفضيل رسول الله عليه السلام لقوله
واتينا داود زبورا على وجه تفضيل وهو انه خاتم الانبيا وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب
في زبور داود وقال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وهم محمد وامته وفي تنكيره وجوه ان يريد واتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد

ثم ذكر

ثم ذكر رسول الله عم من الزبور فسمي ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما يسمى القران قرانا وان يكون زبور والزبور
زبورا كعباس والعباس وفضل والفضل وغير ذلك قرا غيره زبورا بضم الزا حيث كان وهو جمع زبر بمعنى
مزبور وهو الكتاب او مصدر كالقعود وسمي به الكتاب المنزل على داود عم والباقون بالفتح وقرا الحسن
ابن عمران واقد ونبيح والجراح زبورا بفتح الزا والبا روي انه برز الى البرية ويقرا الزبور ويقوم
خلفه علما بني اسرايل ويقوم الناس خلف العلما والجن خلف الناس الاعظم فالاعظم والشياطين خلف
الجن وتجي الدواب في الجبال فيقمن بين يديه تعجبا لما منه والطير ترفرف على رؤسهم فلما قارف الذنب
لم ير ذلك فقيل له قال ذلك انس الطاعة وهذا وحشة المعصية ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا
اليك وهو ارسلنا ونبانا وما اشبه ذلك او بما فسره قد قصصناهم عليك من قبل من قبل هذه السورة
او اليوم وقيل نصب بنزع الخافض اي اوحينا الى نوح والى رسل ورسلا لم نقصصهم عليك عن علي
رضي الله عنه ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم يقصص وفيه دلالة على ان الاولى ان لا يقتصر
على عدد في التسمية وان روي عدد الانبيا في بعض الاحاديث فانه عم سيل عن عددهم فقال
مائة الف ولم يعة وعشرون الفا فلا يومن في تعيين العدد مخالفة الواقع وهو عد غيرهم
منهم او عد بعضهم من غيرهم وقيل بعث الله ثمانية الاف نبي واربعة الاف من بني اسرايل
واربعة الاف من ساير الناس وقيل كان بين موسى وعيسى اربعة الاف نبي وقيل سبعون الفا
الا انهم على دين موسى فجا عيسى ناسخا الشريعة وكلم الله موسى تكليما عن ابن عمر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى كلم موسى بماية الف وعشرين الفا وثلثماية عشر كلمة فكان الكلام من الله
والاستماع من موسى فقال اي رب انت الذي تكلمني ام غيرك قال الله تعالى انا الذي اكلمك
لا رسول الله بيني وبينك وعن ابن عباس عن النبي عم ان الله تعالى حي موسى بماية الف واربعين
الف كلمة ووصايا كلها في ثلثة ايام فلما سمع موسى كلام الادميين مقتهم لما وقع في مسامعه من كلام
الرب تعالى وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى قال النبي عم ان الله تعالى لما اعطى موسى الكلام
واعطاني الرؤية وفضلني بالمقام المحمود والحوض المورود وقرا ابرهيم ويحيى بن وثاب وكلم الله
بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وخرج الله موسى باظفار المحن ومخالب
الفتن رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او التكرير اي البدل او التاكيد وقيل باضمار ارسلنا
وعلى الحال ويكون رسلا موطيا لما بعده لقولك مررت بزيد رجلا صالحا والاول هو الاوجه لان المدح
مقصود مبني عن التعظيم ونكره للتعظيم والتكثير جميعا اي رسلا اي رسل وذي عدد كثير وايات عظام
واعمار طويلة ونحو ذلك قوله مبشرين ومنذرين اي مبشرين لاهل الايمان والطاعة بالجنة والثوا
ومنذرين لاهل الكفر والمعاصي بالنار والعذاب لان ذلك مما لا سبيل للعقل اليه وان كان قبل نظاره

دقيقة لا يتيسر الا لواحد بعد واحد وقرا يحيى وابرهيم مبشرين من الابشار لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل اذ لم يستقل العقول والحواس بمعرفة تفاصيل اهل الجنة والجنة والنار وما اعد فيهما من الثواب
والعقاب واحكام القضايا من الوجوب والامتناع والحل والحرمة والاباحة وما يتعلق بحقوق الله وحقوق
العباد كان من فضل الله ولطفه ورحمته بعثة الرسل الكرام وارسالهم ليبينوا للناس ما يحتاجون
اليه من الامور الدينية والدنيوية كما قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فلولا
البعثة لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا ينبهنا على التفاصيل ويزيل الموانع ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه دلالة
على ان ارسال الرسل ضرورة لقصور الكل عن معرفة جزئيات المصالح والاكثر عن معرفة كلياتها فالبعثة صارت
واجبة لا بمعنى الوجوب على الله بل بمعنى ان قضية الحكم تقتضي ذلك لما فيه من المصالح وكان الله عزيزا لا يعجز
عما يريد حكيما ذا حكمة بالغة في جميع ما يفعله ويذره فان قلت بم يتعلق اللام في لئلا قلت بقوله رسلا
جمع رسل من الرسالة وهو سفارة العبد بين الله وبين ذوي الالباب ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة
وتفصيلا لما قصرت عنه عقول الناس من امور الدنيا والدين او بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين
وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعده ظرفها
او صفة لكن الله يشهد لما تعنتوا انهم عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك
قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد وقرا ابو عبد الرحمن السلمي وصبيح والجراح لكن بالتشديد وقيل
لما نزلت انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزلت لكن الله يشهد بما انزل اليك ومعنى شهادته بما
انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم
بانه حق وصدق وعن ابن عباس ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سالنا
عنك اليهود وعن صفتك كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك ودخل عليه جماعة من اليهود فقال لهم والله انكم
لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله ذلك وقرا الحسن بما انزل مجهولا انزله بعلمه
انزله ملتبسا بعلمه الخاص لا يعلمه غيره وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ وقيل انزله وهو عالم
بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه وقيل انزله وهو عالم
رقيب عليه حافظ من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في اخر سورة الجن فانه
يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا اي حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين وقد علم الله انه كلام
اي كان رقيبا عليه حافظا له وهذه اربعة اوجه متمايزة بان العلم على الاول عبارة عن المعلوم وهو
ذلك التاليف الخارج عن طوق البشر والباء للالة كما في قولك خلقه بقدرته وفعله بعلمه فيكون وصفا
للقران بكمال الحسن ونهاية البلاغة وعلى الثاني والثالث حقيقة لكن الظرف على الثاني حال من الفاعل
وعلى الثالث من المفعول وعلى الرابع عبارة عن كونه رقيبا عليه حافظا له والظرف حال من الفاعل وقيل

الحكم ح

في هذه الوجوه كلها بمعنى الملابسة وفيها الجملة على الاول بيان للشهادة وان شهادته لصحته انه انزله
بالنظم واما على الثاني والثالث مبينة لها بل تكون تقريرا للصلة وبيانها انزل اليك وعن احمد بن حنبل
كما لا نقول لمن قال القران مخلوق انه كافر حتى قرات ايات من القران فعلمت ان من قال القران مخلوق
كافر قال الله تعالى انزله بعلمه وقال ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم فالقران علم ومن زعم
ان علم الله مخلوق فهو كافر ولا يخفى ما فيه من تكفير المعتزلة القائلين بحدوث الصفات وعن ابي يوسف
باحثت انا وابو حنيفة في ذلك ستة اشهر ثم اتفق رايي ورايه على ان القائلين بخلق القران كفار ارادوا
المعنى القائم بذات الله لا المؤلف من الاصوات والحروف لامتناع قيام الحادث بذاته وتقدس والملائكة
يشهدون شهادتهم تبع لشهادة الله فانهم يشهدون بصحته ما يشهد بصحته قيل وفيه تنبيه على انهم يودون
ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل
للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها
كما عرفت الملائكة وشهدوا وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة ذلك عن الاستشهاد بغيره
قل اي شيء اكبر شهادة قل الله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قرا عكرمة والاعرج وصدوا بضم
الصاد قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الكفر والاضلال والمضل ابعد من الانقلاع عن الضلال
ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار او الناس بصدهم عما فيه خلاصهم وصلاحهم او باعم من ذلك وفي الاية
دلالة على ان الكفار مكلفون بالشرائع فيعصون بترك الواجبات وفعل المنهيات اذ المراد بهم الجامعون
بين الكفر والظلم عما فيه صلاحهم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ولا ليدلهم الى طريق ومعنى
مكلفون بالشرائع بترك الواجبات اللام فيهما تاكيد النفي وان المغفرة والهداية منافيان لحالهم
في التصميم على الكفر والظلم وهي مثل لام لاسجد في قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال الا طريق
جهنم يعني اليهودية والنصرانية نزلت في كفرة اهل الكتاب بين جحدوا وصدوا وظلموا الخوم الله
المغفرة والهدى الى طريق النجاة ويسرهم لطريق جهنم كما قال فسنيسره للعسرى وقيل عدم الهداية
مجاز عن ترك اللطف بهم ولا يخلوا عن شائبة تحكم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريق جهنم يعني اليهود
والنصرانية فالهداية على هذا الحكم او بمعنى مجرد الدلالة واتفقت كلمة اهل الحق قاطبة على ان المعاصي
كلها بتقدير الله وعلمه وقضائه ومشيته لا بمحبته ورضاه والطاعات كلها بهما ايضا على ان جميع
افعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تعالى خالقها لا غيره فيخلق في بعضهم المعاصي
نعوذ بالله منه وفي بعضهم ما يحب ويرضى به لا يسال عما يفعل وهم يسالون وقال الاعظم الايمة الاربعة
ان الله تعالى لم يزل فاعلا بفعله وفعله صفته في الازل فالفاعل هو الله تعالى والمفعول مخلوق وصفاته
ازلية غير مخلوقة ولا محدثة فمن قال انها مخلوقة او محدثة او وقف فيها او شك فيها فهو كافر بالله

الكفار ح

صح

وفيه تصريح بكفر من قال بحدوث افعال الله وصفاته وايذان بانه يجب على كل احد ان لا يتعرض بالكمية
والكيفية ونحو ذلك مما فيه شائبة الاعتراض على الله لان الاعتراض عليه كفر ومع ذلك لا يدرك كنه الخالق
وافعاله على ما اتفق عليه المحققون ولذلك قال عم كلكم في ذات الله حمقى خطابا لهؤلاء الذين لم يوجد بعضهم
بعدهم مثلهم في كمال العقل وادراك الحقايق فما ظنك بمن دونهم خالدين فيها ابدا قد سبق القول من الله ان
من مات على الكفر نعوذ بالله من ذلك ليبعثن عليه العذاب حتما مقضيا ليخلدنه في النار وخالدين
حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يتعاظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
كما عددهم الله تعالى فرق المكلفين من اهل الايمان والكفر والنفاق وبين صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم
واحتج عليهم بما يثبت نبوة محمد عم وحققها ويدحض الشبهة في كون ما انزل اليه معجزة بلغت من الجزالة وحسن النظم
درجة لا يدرك كنهها وعلم الطريق الموصل الى العلم بها وعرفهم ان من انكرها   في غاية ونهاية سخافة
العقل وسجل على نفسه بالغي المبين والظلم العظيم اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله
اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام يهتز لادراك السامع وينشط لاستماعه وبالحق في موقع الحال
اي ملتبسا بالحق مقرونا به وقيل الباء متعلق بجاء اي جاءكم بسبب اقامة الحق فامنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا
لكم او اقصدوا واتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه من الكفر والنفاق وهو الايمان وقال الاخفش اعملوا خيرا
لكم وقيل التقدير يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يضمر مع اسمه عندكم وقيل انتصابه
على الحال ومثله انتهوا خيرا لكم في جميع وجوهه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يريد وان
تكفروا فان الله غني مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعصيتكم ولا ينتفع بشكركم وايمانكم وانما امركم بالايمان لرحمته
لا لحاجته وكان الله عليما باحوالكم حكيما فيما ارد لكم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود
في حط عيسى عن منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشده وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث اتخذوه
وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق بقوله ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وانتصابه
على انه مفعول لا تقولوا اي لا تقولوا الا القول الحق بمعنى لا تذكروا او لا تعتقدوا والقول بمعنى الكلام
او المصدر وقيل الا الحق بالانقطاع اشبه لان التنزيه لا يكون مقولا عليه بل له وفيه ان هذه اللام
بمعنى قال عليه افترى وفيه نظر لان معنى الباء كما ذهب اليه الجمهور في قوله حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق وفيه وجوه اخر ذكرت فيما هنالك تطالعها انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته
قرا جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت وانما قيل لعيسى كلمة الله لانه لم يولد الا بكلمة وحدها
وهي قوله كن من غير واسطة اب ولا نطفة سميت للمسبب باسم السبب كما سمي الشجر بالندى
والعشب بالسماء القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وهو حال باضمار قد بمعنى كلمته
وهو المكون بكلمته من غير اب او من الضمير المجرور والعامل معنى الاضافة تقديره وكلمة الله

مليها اياها وروح منه وذو روح كاين منه بلا توسط المادة وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات
والقلوب وقيل روح منه اي رحمة وعن ابي ابن كعب لما اخذ ارواح بني ادم من ظهره واخذ عليهم الميثاق
ردهم الى ظهره ولم يرد اليه روح عيسى فلما اراد خلقه ارسله الى مريم فدخل فيها وقيل الروح نفخ جبريل
وقيل الوحي اوحي الى عيسى ان كن فكان وقيل اراد بجبريل معناه كلمته القيها الى مريم والقيها ايضا
روح منه بامره وهو جبريل كما قال فارسلنا اليها روحنا يعني جبريل فامنوا بالله ورسله فاجمعوا
بين الايمان بالله ورسله فان القرينة قد دلت على ان المراد طلب الايمان بالمجموع ولا تقولوا ثلثة اي
الالهة ثلثة الله وعيسى ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون باقنوم
الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة والمشهور انهم يقولون في المسيح لاهوتية
وناسوتية الالهية والانسانية من جهة الاب وجهة الام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم الا
وقوله سبحانه ان يكون له ولد فان سوقهما للرد عليهم وقد تعرض فيهما لنفي الاتصال بطريق الولدية
وقد اثبت ان اتصاله بمريم من جهة انه ولدها على وجه القصر بقوله انما المسيح عيسى بن مريم وان اتصاله
بالله ليس الا من جهة انه رسوله وانه موجود بامره وابتدعه جسدا حيا من غير اب ولا نطفة ويجوز
ان يكون التقدير ولا تقولوا الهنا او في الوجود الهة ثلثة صفة مبتدا محذوف او مبتدا حذف مميزه
لا خبر مبتدا كما قيل التقدير ولا تقولوا الهتنا ثلثة وهو مردود وجهه مذكور في الايضاح في بحث حذف
المسند انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه لما تقدم من الاضمار انما الله اله واحد اي واحد بالذات
لا تعدد فيه بوجه ما لما افتروا على الله تعالى باشراكهم نزه ذاته عن ذلك بقوله واحد وفيه دلالة على نفي
الولد ايضا وذلك انه اذا قال واحد علم انه ليست له صاحبة لانه لو كانت صاحبة لكان من جنسه ولا
جنس له واذا لم يتات ان تكون له صاحبة لم يتات ان يكون له ولد سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا
من ان يكون له ولد وقرا الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام
جملتان له ما في السموات وما في الارض اي يختص به جميع ما في العالم ملكا وخلقا وعلما لا يماثله شي من
ذلك فيتخذه ولدا وفيه ابطال الولد من وجهين احدهما انه ما من شي من العالم الكبري والصغري الا
وهو مخترعه ومالكه والعالم به ومن كان هذا شانه كان غنيا عن كل شي والولد انما يطلبه المحتاج
وثانيهما انه منشئ السموات والارض وهي اجسام عظيمة يمتنع ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات
الاجسام ومبدع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا فالله تعالى متعال عن ان يكون والدا او مولودا
لان الحدوث والجسمية لا زمان لهما والله قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يماثله احد اما انه ليس
بجسم فلان الجسم متركب ومتحيز وذلك امارات الحدوث واما انه لم يماثله شي فلانه واحد بمعنى

انه ليس في الوجود موجود آخر يساويه في وجوب الوجود او بمعنى انه في ذاته غير مركب من الاجزاء والابعاض
وكلا المفهومين سلب محض كالاحدية واذا لم يماثله شيء من الموجودات فلم يكن له ضد ولا ند فهو المتحد في
الحقيقة المتوحد في الالهية المتفرد الذي لم يشبه شيء مستحق في شيء من الاوصاف وفي الكل دلالة على انتفا
الولد عنه بما لا يتاتى ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال ان تكون ذاته كذات من ينشا
منه الولد وكفى بالله وكيلا يكل الخلق كله اليه امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه به على غناه عن الولد
لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله لان
عبوديته عزة وشرف يتناهى بذلك وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول
قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى
من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به
وقرا الحسن ان يكون عبد الله بكسر الهمزة ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح ولا يستنكف الملائكة
المقربون ان يكونوا عبيدا لله واحتج به المعتزلة وبعض الاشاعرة على تفضيل الملائكة وذلك ان اهل اللسان
يفهمون من ذلك افضلية الملائكة من عيسى اذ القياس في مثله الترقي من الادنى الى الاعلى واجاب بعضهم
بان النصارى استعظموا المسيح بحيث يرتفع من ان يكون عبدا من عباد الله بل ينبغي ان يكون ابنا له لانه
مجرد لا اب له وقادر يبري الاكمه والابرص ويحيي الموتى بخلاف ساير عباد الله من بني ادم فرد عليهم بانه
لا يستنكف من ذلك المسيح ولا من هو اعلى منه في هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا اب لهم ولا ام ويقدرون
باذن الله على افعال اقوى واعجب من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى فالترقي والعلو انما هو في امر
التجرد واظهار الاثار القوية لا في مطلق الشرف والكمال فلا دلالة على افضلية الملائكة وقد يجاب بان
الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اريد بالعطف
المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس وان اراد التكبير
فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة
على المسيح من الانبيا وذلك لا يلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ولهم تمسكات اخر اوردناها
مع اجوبتها في سورة البقرة ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف
ولذا عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق وقيل الاستنكاف التكبر
من غير انفة فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله عن ابن مسعود قال عليه السلام في قوله فيوفيهم اجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة
لمن وجبت له النار ممن صنع اليهم المعروف في الدنيا ويجوز ان يراد بالزيادة ههنا النظر الى وجه الله كقوله

للذين

للذين احسنوا الحسنى وزيادة واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما واما التفصيل
المجازات العامة المدلول عليها من فحوى الكلام فانه قد طوى ذكر احد الفريقين في المفصل كانه قيل ومن
يستنكف ويستكبر ويؤمن ويعمل صالحا فسيحشرهم اليه جميعا لدلالة التفصيل على ذلك كما طوى احدهما في
التفصيل الاتي وهو قوله فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به ويجوز ان تقول ومن يستنكف عبادته
ويستكبر فيعذب بنار الجحيم وبنار الحسرة عند روية اجور العاملين والاطلاع على تكريمهم قصدا الى
تفصيل عذاب المستنكفين المشار اليه بقوله فسيحشرهم وعيدا لهم الى نوعين من العذاب وقرا الاعرج
والسلمي والمفضل عن عاصم فسنحشرهم فنوفيهم ونزيدهم من فضله فنعذبهم كلها بالنون ولا يجدون
لهم من دون الله وليا يلي امورهم ولا نصيرا يمنع عنهم ويعينهم يا ايها الناس قد جاكم برهان من ربكم وانزلنا
اليكم نورا مبينا اراد بالبرهان ما يبرهن به وهو المعجزات وبالنور القران اي جاكم دلايل العقل
وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل هما القران وعطف انزلنا على قد جاكم برهان لتغاير الصفة
في البرهان والنور وقيل البرهان الدين او محمد عم والنور المبين هو القران فاما الذين امنوا
بالله اي بجميع ما جا من عنده واعتصموا به والتجاوا اليه في مجامع امورهم او استمسكوا بدينه وقيل الضمير
المجرور للنور المبين فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قيل في ثواب مستحق وتفضل وعن ابن عباس الرحمة
الجنة على اطلاق الحال وارادة المحل والفضل ما يتفضل عليهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت
على تسمية المفعول بالمصدر ومفصل هذا التفصيل قوله يا ايها الناس قد جاكم برهان من ربكم وحذف
فيه ذكر فريق غير المومنين المعتصمين لان ذكر احد الفريقين يدل على ذكر الاخر ويهديهم اليه قيل
الى عبادته وقيل الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة
قيل هو ثاني مفعولي يهديهم واليه حال منه والاحسن ان يكون اليه مفعولا ثانيا ويكون صراطا
بدلا من اليه او حالا من ضمير يهديهم اي يهديهم متوجهين الى عبادته طريق الاسلام ومعنى الهداية
ههنا التوفيق للعبادة والتثبيت على الاسلام لحصول اصل الهداية قبل ذلك وقيل الرحمة والفضل
هما محمولان على ما في الجنة من المنفعة والتعظيم واما الهداية فالمراد منها السعادة الحاصلة بتجلي انوار
عالم القدس في الارواح البشرية وهذا هو السعادة الروحانية واخر ذكرها عن القسمين الاولين
تنبيها على ان البهجة الروحانية اشرف من اللذات الجسمانية وقال علقمة من امن بالله واعتصم بالقران
رحمه من عذابه واغناه من فضله وهداه صراطا مستقيما يستفتونك اي في الكلالة وانما حذفت
لدلالة الجواب عليها روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله عم صلى الله عليه وسلم
فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزل من الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة من
تفسير الكلالة فلا نعيده ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وقوله ليس له ولد صفة

له ولعبي حالا كما زعم بعضهم لان ذا الحال اما امرؤ وهو نكرة غير موصوفة واما ضمير هلك وهو مفسر
غير مقصود بما يدعي انه لا ضمير فيه لانه تفسير للفعل فقط والمراد بالولد اعم من الابن والبنت لا الابن
فقط كما توهم الزمخشري لوجهين احدهما انه لو وقع نكرة في حيز النفي عام وتقييده بالابن تخصيص
من غير مخصص وهو باطل ورد التعليل بان الابن يسقط الاخت دون البنت ليس بسديد لان معنى
الاية ان الله تعالى فرض للاخت النصف اذا لم يكن له ولد وهو الحكم ثابت عند عدم الابن والبنت
غير ثابت عند وجود احدهما اما الابن فلانه يسقط واما البنت فلانها تصير عصبة لا يتعين لها
فرض نعم يكون نصيبها مع بنت واحدة النصف بحكم العصوبة لا الفرضية فلا حاجة الى تفسير الولد
بالابن لا منطوقا ولا مفهوما والثاني ان الكلالة ومورث لا يكون له ولد اصلا ولا والد وهكذا الكلام في
تخصيص الولد بالابن في مسئلة اخي الكلالة كما سيجيء والواو في قوله وله اخت فلها النصف ما ترك
للعطف والمراد بالاخت الاخت من الاب والام او الاب فقط لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها
عصبة وابن الام لا يكون عصبة واما الاخت من ام فلها السدس في اية المواريث مستوي بينها وبين
اخيها وهو يرثها اي والمرء يرث اخته وقرا اليماني وهو وارثها ان لم يكن لها ولد توضيحه ان الله تعالى
فرض للاخ جميع مال الاخت وهذا الحكم مشروط بعدم الابن والبنت جميعا اذ مع الابن يسقط الاخ ومع
البنت يكون عصبة وان لم يرد بيرثها يرث جميع مالها بل الارث في الجملة فالتقييد بالابن صحيح من جهة انه
الذي يسقط الاخ لا البنت لكنها لا تكون كلالة قال البيضاوي والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد
لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة
ان فسرت بالميتة فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة اي فان كان من يرث
بالاخوة اثنتين وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار
التعدد دون الصغر والكبر وغيرهما وقال البغوي اراد اثنتين فصاعدا وهو ان من مات وله اخوات
فلهن الثلثان وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كان من يرث بالاخوة
ذكورا واناثا فاراد بالاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكور يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين الله لكم ضلالكم
اي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتحروا خلافه ويبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا
وقال الفراء وابو عبيد لئلا تضلوا فحذف لا وقرا زيد بن علي ان لا تضلوا قال قتادة ذكر لنا ان ابا بكر
الصديق رضي الله عنه قال في خطبته ان الاية الاولى التي في سورة النساء في شان الفرايض انزلها الله تعالى
في الوالدين والاولاد والثانية انزلها الله في الاخوة والاخوات من الاب والام والله بكل شيء عليم فهو عالم
باحوال العباد واعمالهم ومصالحهم في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق
على كل مومن ومومنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبري من الشرك وكان في مشية الله

من الذين يتجاوز عنهم